

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد الثلاثون

أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

رمضان ١٤٤٣ هـ / نيسان ٢٠٢٢ م.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليه السلام

رئيس التحرير: أ.د. حميد عبد جواد محمد النجدي
(رئيس الجامعة)

مدير التحرير: أ.د. باقر جواد الزجاجي
(عميد كلية الآداب)

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. ماجد حمزة طعمة الخزاعي / مساعد رئيس الجامعة
أ.د. حسن حنتوش رشيد الحسنواوي / كلية القانون
أ.د. صادق عبد المطلب عزيز الموسوي / كلية الآداب / قسم اللغة الانكليزية
أ.د. عادل خليل مهدي الزبيدي / كلية الآداب / قسم الصحافة
أ.د. عزيز جبر شيال الازير جاوي / كلية القانون / العلوم السياسية
أ.د. حافظ إبراهيم محمود / كلية التقنيات الطبية والصحية
أ.د. حسن سعيد جاسم الأسدي / كلية طب الأسنان

مدقق اللغة الإنكليزية
د. محسن علي شريب

مدقق اللغة العربية
د. جعفر علي عاشور

كربلاء، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليه السلام

ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧-٩

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486, Tel: 351257-9

info@abu.edu.iq, www.abu.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥

ISSN 1819-2033

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليه السلام بمساهمات الاساتذة والكتاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والإجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجديد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

✓ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

✓ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

✓ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة

مع تعريف بالباحث.

✓ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقومين المتخصصين.

✓ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم

النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء المقدسة، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليه السلام

ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧٠٩

البريد الالكتروني: info@abu.edu.iq

الموقع الالكتروني للمجلة: http://abu.edu.iq/ahl-al-bayt-jurnal

محتويات العدد

- كلمة هيئة التحرير.....٩
- الوسائل الإجرائية لإستعمال الحق في الدعوى المدنية (دراسة قانونية تحليلية).....١٠
أ.م.د علي شمران الشمري
- حجية إثبات المهدي المنتظر بين النقل والعقل.....٣٦
م. حسين عبد الأمير يوسف
- جدلية التفسير و التأويل ٥٢
م.د عزام فرحان شهاب الربيعي
- سلامة القضاء عند الامام علي -عليه السلام- الفقه الجنائي انموذجا ٧٦
م.د زهراء مهدي كاطع
هبة مرتضى علي
- موت المتعاقد في عقود الاعتبار الشخصي (دراسة مقارنة) ١٠١
أ.م.د علي شاكر عبد القادر البدري
- التذكية الشرعية وطرقها الحديثة في الفقه الإمامي.....١٢٢
م. إيناس كريم راجي إبراهيم الكناني
أ.م.د خضير جاسم حالوب الشمري
- المقدرات الجوهرية ودورها في بناء المنظمة المتعلمة (دراسة تحليلية لآراء أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار).....١٤٥
أ.د. ميثاق هاتف الفتلاوي
م.م. اسحاق ناصر حسين

البينة النظيفة حق من حقوق الانسان ١٦٧

م.م فراس عبد الامير عيسى

م.م صائب محمد ناظم

الاتجاهات التشريعية الحديثة في إعادة المحاكمة -دراسة مقارنة- ١٨٢

م.م كرار رياض سيد

م.م ميثم غانم الجبوري

احكام الاحوال الشخصية للتوأم السيامي المتلاصق (دراسة قانونية استقرائية

في ضوء الفقه الاسلامي) ٢٠٤

م.د اثير عبد الجواد حسين

م.د حسنين مكي جودي

أ.د حيدر حسين الشمري

تعارض التنفيذ في البيع المتعاقب ٢٢٦

أ.د وسن قاسم غني الخفاجي

التصوف الافلاطوني اتحاد ام تسامي؟ ٢٤٢

م.د حسين هادي

موقف الإسلام من الإعلان في فلسفة السيّاحة ٢٥٦

م.م حقي إسماعيل غافل

الصفقة في التوجه السياسي للرئيس الامريكي دونالد ترامب تجاه دول الخليج

العربية ٢٧٢

م. مؤيد جبار حسن

تقييم أداء المصارف الإسلامية العراقية باستخدام نموذج PATROL ٢٩٨

زينه ضياء عبد علي

أ.م.د احمد كاظم بريس

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء

عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء" ٣٢٥

أ.د ميثاق هاتف الفتلاوي

محمد كامل غانم الكناني

تجارب اندماج المصارف الإسلامية في بلدان مختارة (مقارنة وتحليل) ٣٥٦

أ.د طالب حسين فارس

بان عباس مهدي

تقييم الأداء لمعمل اسمنت بابل للمدة ٢٠١٦-٢٠١٧ ٣٨٠

م.د سلطان جاسم النصراوي

افراح علي حميد المعموري

انتهاك العقد النفسي وتأثيره على تهكم الزبون -دراسة تحليلية لأراء عينة

من زبائن شركة آسيا سيل للاتصالات اللاسلكية- ٤٠١

أ.م.د حسين علي عبد الرسول

صفا أمجد أكرم الغانمي

بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة

تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية..... ٤٢٦

حيدر ناصر حسين الميالي

أ.د عباس كاظم الدعيمي

استخدام نموذج البائل في قياس انتاجية الأنفاق العام الفصلي في العراق

للمدة (2005-2017)..... ٤٥٦

زينب جبار عبد الحسين الدعيمي

أ.م.د محمد حسين كاظم الجبوري

استخدام انموذج الانحدار الذاتي للإبطاء الموزعAutoregressive Distributed Lag

(ARDL) في قياس وتحليل العلاقة بين الانفاق العام والاستثمار في العراق للمدة

١٩٩٤- ٢٠١٧ ٤٧١

أ.د عامر عمران كاظم

حسين علي عباس

تأثير استراتيجيات ادارة المعرفة في تحقيق التكيف التنظيمي -دراسة تحليلية

لآراء عينة من العاملين في شركة زين العراق للاتصالات المتنقلة في محافظتي

كربلاء المقدسة وبابل- ٤٩٠

م.م عبير محمد مهدي الشمري

تجليات الذات والآخر في رواية الخيميائي لـ(باولو كويلو)..... ٥١٠

م.م. زيد وفاق شاكر

التزام الحفظي وتطبيقاته في الأحكام الولائية ٥٢٦

أ.م.د ضرغام كريم الموسوي

زهرة إبراهيم خان

دور جمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية ٥٤٠
م.د ياسر عامر المختار

**تأثير الشمول المالي على مؤشرات كفاية رأس المال (العراق حالة دراسية
للمدة ٢٠١٠-٢٠١٦)..... ٥٦٤**
أ.م.د كمال كاظم جواد الشمري
ريام فاضل شاكر الفتلاوي

**الاحكام الموضوعية والاجرائية للقوانين الجزائية المحددة الفترة -دراسة
تحليلية مقارنة- ٥٨٨**
أ.م.د عدي جابر هادي
م.م علي حمزة جبر

الضمانات الدستورية والقانونية لحقوق الإنسان ٦٠٨
زينب احمد حسون بلال

تمثيلات الاسلاموفوبيا في السينما الامريكية..... ٦٢٧
م.م محمد عبد الحميد ضيدان

كلمة هيئة التحرير

عيد المعلم العراقي

المعلم هو نقطة الإنطلاق في مسيرة الحضارة الإنسانية، وبالمعلم ازدهرت اليابان، وبالمعلم قفزت سنغافورا سلاسل التقدم لتصبح من الدول المتقدمة بعد أن كانت ارضاً للمستنقعات. عندما سُئل امبراطور اليابان ذات يوم عن سبب تقدم اليابان قال: بدأنا من حيث انتهى الآخرون وتعلمنا من أخطائهم ومنحنا المعلم حصانة الدبلوماسية وراتب الوزير، فأصبح المعلم هو الرجل الثاني في اليابان بعد الامبراطور.

وفي سنغافورة ظهر زعيم يعرف قدر المعلم هو (لي كوان يو) ويتواضع قال: انني لم أقم بالمعجزة في سنغافورة انا فقط قمْتُ بواجبي نحو وطني فقد خصصتُ موارد الدولة للتعليم وغيَّرتُ مكانة المعلمين من الطبقات الدنيا في المجتمع الى المكان اللائق بهم. وهم قد صنعوا المعجزة التي يعيشها المواطنون الآن واي مسؤول يحبُّ بلده ويهتم بشعبه كان سيفعل مثل فعلي، وما هي الأيام حتى تجاوز راتب المعلم في سنغافورة ٥٠ الف دولار سنوياً بالإضافة الى بقية الامتيازات المادية والمعنوية.

وهكذا فأينما وجدت تقدماً في العالم في فلندا، المانيا، استراليا، فتش عن السبب فستجد العامل الرئيسي لهذا التقدم هو المعلم.

وعلى العكس فتش عن أسباب التأخر والإنحطاط عند الدول ستجده في ضعف مستوى التعليم وهزالة المعلم وضعف مكانته الاجتماعية. فالمعلم الفاشل يبني جيلاً منحطاً. والدول الفاشلة تنتج مجتمعاً متخلفاً يهاهما للتعليم وتجاهلها للمعلم الذي أصبح يعيش في بلدان التخلف تحت سقف الفقر، مرمى للطعن وهدفاً لسهام الحاقدين.

وفي العراق اليوم يعيش ٣٧٠ الف معلم في أصعب الظروف المعيشية وهم يؤدون وظائفهم التعليمية في أماكن بائسة لاتليق بالمسيرة التعليمية وإمكانات الدولة التي إهتمت بكل شيء إلا بالمعلم؛ صانع الأجيال، وصانع الحضارات. فإذا أردنا للعراق الخير والتقدم ويكون في مصاف دول العالم المتقدمة، وإذا أردنا لشعبنا السعادة والرفي فعلينا أن نبدأ أولاً بالمعلم نضعه نصب أعيننا ونقوم له بتجيلاً وإحتراماً امثالاً للشاعر أحمد شوقي:

كاد المعلم أن يكون رسولاً

قم للمعلم وفه التبجيلا

الوسائل الإجرائية لإستعمال الحق في الدعوى المدنية (دراسة قانونية تحليلية)

*Procedural means for the use of the right to civil action
(analytical legal study)*

أ.م.د. علي شمران الشمري^(١) Assist. Prof. Ali Shamran Alshammary

الخلاصة

تعد الوسائل الإجرائية لإستعمال الحق في الدعوى المدنية من أهم الادوات والإجراءات القضائية التي يحمي بها المدعى عليه حقه من دعوى المدعي، وقانون المرافعات تكفل ببيان الإجراءات والاوضاع التي تلزم مراعاتها عند الالتجاء إلى القضاء، والمواعيد التي يجب أن تحترم عند إتخاذها، فضلاً عن ذلك فهو يعني بيان الجزاء في حالة مخالفة أية من الإجراءات القضائية اللازمة لرفع الدعاوى المدنية.

فالدفع هي الوسائل القانونية التي يستعين بها الخصم ليجيب بها عن دعوى خصمه بقصد تفادي الحكم له بما يدعيه، فالدفع إذن هو أداة لإستعمال الحق في الدعوى وهو نشاط إيجابي، فعل أو حركة وهذا النشاط يصدر من المدعى عليه بالصيغة المحددة وفق القوانين الإجرائية النافذة، فهو إذن شكل قانوني وليس إتفاقي الهدف منه إجراء موازنة عادلة بين الاطراف حفاظاً على النظام العام وإستقرار المعاملات. الكلمات المفتاحية: الوسائل الإجرائية، الدعوى المدنية، قانون المرافعات.

Abstract

Procedural means for the use of the right to civil action are among the most important judicial tools and procedures by which the defendant protects his right from the plaintiff's lawsuit. The Code of Procedure guarantees the procedures and conditions that need to be observed when resorting to the judiciary, and the dates that must be respected when taken. A statement of the penalty in case of violation of any judicial procedures necessary to bring civil proceedings.

١ - جامعة أهل البيت - (عليه السلام) - كلية القانون.

Defenses are the legal means by which the litigant uses the answer to avoid his judgment, in order to avoid being judged by what he claims. Payment is therefore an instrument for the use of the right to action, which is a positive activity, action or movement. This activity is issued by the defendant in the form prescribed according to the procedural laws in force. It is not an agreement aimed at achieving a fair balance between the parties in order to maintain public order and the stability of transactions.

المقدمة

أولاً: موضوع البحث:

إن قانون المرافعات المدنية هو من القوانين الإجرائية، والتي يعني ببيان الإجراءات والاوضاع التي تلزم مراعاتها من قبل الخصوم عند اللجوء إلى القضاء، وكذلك المواعيد التي يجب أن تحترم عند العمل بها، إضافة إلى ذلك فهو يعني ببيان الجزاء المترتب على مخالفتها وكيفية التمسك بهذا الجزاء، وعليه لا بد من وجود وسائل يستخدمها أحد الأطراف ضد الآخر لكي يستعمل حقه في الدعوى المدنية، وبالتالي يطمئن الأشخاص بالمحافظة على حقوقهم متى إتخذوا الاوضاع التي نص عليها القانون.

فإذا كان المشرع يعترف للمدعي بحق اللجوء إلى القضاء عن طريق المطالبة القضائية والاعتراف له بالحق في رفع الدعوى ضد من إعتدى عليه، فإنه من باب العدالة والانصاف وتحقيق المساواة بين الخصوم فقد إعترف للمدعى عليه بحق (الدفاع) عن نفسه أمام القضاء لما يثار في مواجهته من إدعاءات، حيث يطلق إصطلاح الدفع بمعناه العام على جميع وسائل الدفاع التي يستعين بها الخصم لأستعمال حقه في الدعوى المدنية بالرد على طلب الخصم الآخر بقصد تفادي الحكم لصالح الأخير بما يدعيه كلاً أو بعضاً سواء أكانت هذه الوسائل موجهة إلى أصل الحق المطالب به وهو ما يسمى (بالدفع الموضوعية) أم إلى إجراءات الدعوى وهو ما يسمى (بالدفع الشكلية) أو إلى حق الخصم في إستعمال الدعوى منكرًا عليه هذا الحق عن طريق ما يسمى (بالدفع بعدم القبول).

ثانياً: أهمية البحث وسبب اختياره:

إن موضوع وسائل استعمال الحق في الدعوى المدنية والتي هي كما ذكرناها الدفع الشكلية والموضوعية والدفع بعدم القبول من الموضوعات المهمة العملية والعلمية في نطاق القوانين الإجرائية والتي يهدف من ورائها المشرع إلى تحقيق وإقامة الموازنة العادلة بين طرفي الدعوى ضماناً لكفالة حق الإدعاء وتقديره لكل خصم في الدعوى، من خلال تمكين المدعى عليه بأطلاعه على أدلة خصمه وإعطائه فرصة الرد عليها إستناداً لمبدأ حرية الخصوم في الدفاع وحققهم بالمجابهة بالأدلة وكافة الإجراءات التي يستعين بها المدعى عليه في الرد على طلبات المدعي، وسبب إختيارنا لهذا الموضوع هو لارتباطه الوثيق بالحياة العملية للأفراد خصوصاً بعد كثرة عدد الدعاوى والمنازعات المعروضة أمام القضاء، وكذلك لتجنب نوعاً من الدعاوى الكيدية التي قد تحصل من أحد الأطراف، بغية الاهتمام والامام ببعض الموضوعات وتسليط الضوء عليها

ليكون حافظاً للأفراد ولل قضاء في إستخدام الطرق القانونية المشروعة في إستعمال هذه الدفوع للمحافظة على الحقوق والتي هي محل الدعوى المدنية.

ثالثاً: نطاق البحث:

إنّ الواقع العملي في كيفية استعمال الحق في الدعوى المدنية والرد على طلبات المدعي في دعواه يقودنا إلى حقيقة أساسية ألا وهي الاهتمام والبحث في موضوع الدفوع والتي هي أما تتعلق بشكل الدعوى وإجراءاتها والتي تسمى بالدفوع الشكلية، وأما تتعلق بموضوع الدعوى وتسمى بالدفوع الموضوعية، وأما دفوع تقف وسطاً بين النوعين السابقين والتي هي تتعلق بشروط قبول الدعوى وصفة رافعها والتي تسمى الدفع بعدم القبول، أذن هذه الدفوع الثلاثة تعد من أهم الوسائل الاجرائية في هذا المجال وبناءً على ما تقدم فقد تكون المواضيع المذكورة في أعلاه هي نطاق البحث والتقصي في هذا الموضوع.

رابعاً: منهجية البحث وخطته:-

نظراً لتعدد الدفوع وتشعبها والتي هي من أحسن الوسائل التي يستعملها المدعى عليه في إستعمال حقه في الدعوى المدنية بالرد على طلبات المدعي والتي قد تسبب له إضراراً بمصلحته، فتحتم علينا أن نبحث هذا الموضوع وفق منهجية مقارنة تحليلية لأراء الفقه ونصوص القوانين وأحكام القضاء بين النظام القانوني العراقي والمصري والفرنسي كأصل عام مع الاشارة إلى بعض الانظمة القانونية العربية والاجنبية إستثناءً كلما إستدعت حاجة البحث إلى ذلك زيادة في المعلومة وقوة ورصانة البحث من الجانب العلمي الاكاديمي، وبالتالي نرجح ما هو راجح ونتنقد ما نراه غير ذلك مع إعطاء الحلول والمعالجات المناسبة. ولأجل بيان هذه الموضوعات في أعلاه فقد تم تقسيم الموضوع على ثلاثة مباحث، كان الأول بعنوان الدفوع الموضوعية، والثاني بعنوان الدفوع الشكلية، أما الثالث كان بعنوان الدفع بعدم القبول، وسننهي هذا الموضوع بخاتمة تتضمن عدداً من النتائج والمقترحات، وهي على النحو الآتي.

المبحث الأول: (الدفوع الموضوعية)

إبتداءً أن الدفوع في قانون المرافعات هي مصطلح إجرائي يقصد به الإداة الأخرى من أدوات استعمال الحق في الدعوى المدنية، على إعتبار إن الدعوى وحسب ما نصت عليه المادة الثانية من قانون المرافعات المدنية العراقية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل هي (طلب شخص حقه من آخر أمام القضاء) وهذا الشخص هو المدعي في الدعوى، ولكن للمدعى عليه أيضاً الحق في دفع هذا الطلب بدفع موضوعي، ولهذا الدفع معنى عام وآخر خاص أو ضيق، فلأجل الإحاطة بموضوع هذا البحث بشكل دقيق سوف نقسمه على ثلاثة مطالب، كان الأول: بعنوان التعريف بالدفوع الموضوعية، والثاني: بعنوان خصائص وشروط صحة الدفوع الموضوعية، أما أحكام هذه الدفوع فقد كانت عنواناً للمطلب الثالث، والتفاصيل على النحو الآتي:

المطلب الأول: (التعريف بالدفوع الموضوعية)

لقد تم تعريف الدفع في قانون المرافعات المدنية العراقية في المادة (٨) منه، حيث نصت على أن (١- الدفع هو الاتيان بدعوى من جانب المدعى عليه، تدفع دعوى المدعي وتستلزم ردها كلاً أو بعضاً...)،

أما قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ المعدل فلم يشر الى تعريف الدفع صراحةً وإنما أشار الى بعض أحكامه وإجراءات رفعه الى المحكمة المختصة^(٢)، فالدفع بمعناه العام يطلق على جميع وسائل الدفاع التي يستعين بها الخصم للرد على طلب الخصم الآخر لغرض تفادي حصول الحكم لصالح الطرف الأول وهو المدعى في الدعوى المدنية^(٣)، أما الدفع بمعناه الخاص فيطلق على الوسائل التي يستعين بها الخصم ويظعن بها بصحة الإجراء في الدعوى من دون أن يتعرض فيها لأصل الحق المدعى به^(٤).

وهناك من يقسم الدفع الموضوعي على دفع بالمعنى الضيق ودفع بالمعنى الواسع فالدفع بالمعنى الضيق هو حق خاص للخصم، إن شاء استعماله وإن شاء تنازل عنه، وليس للقاضي إثارته من تلقاء نفسه، بل للخصم وحده التمسك به وإثباته ويرجع ذلك إلى أن الخصم لا يجبر على الدفاع عن حقوقه، وليس لغيره إستعمال حقه في الدفاع عن هذه الحقوق وهذا النوع من الدفع لكونها حقاً خاصاً للخصم المدعى عليه فأنها تقتضي أما بتنازل المدعى عليه عنها صراحةً أو ضمناً، أو بتقادم الحق في التمسك بها شأنها شأن الحق في الدعوى ومن أمثلته الدفع بالمقاصة أو الدفع بالإبطال لعيب من عيوب الإرادة أو الدفع بتقادم الدين، أما الدفع بالمعنى الواسع فلا يتوقف إثارته على إرادة الخصم، وإنما يترتب آثاره بقوة القانون ويمكن للقاضي إثارته من تلقاء نفسه ولا يحتاج في ذلك إلى تمسك المدعى عليه به ما دام تضمنته وقائع القضية المعروضة عليه، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها:

١. إرتباط الدفع بفكرة النظام العام: فالدفع المتعلقة بالنظام العام ترتب أثرها بقوة القانون ويثيرها القاضي من تلقاء نفسه دون توقف في ذلك على تمسك الخصم ومثال ذلك الدفع ببطلان العقد لعدم مشروعية السبب.

٢. إرتباط الدفع بفكرة الاثبات: فالقاعدة أن من يدعي شيئاً عليه إثباته، وإلا حكم القاضي برفض إدعائه دون حاجة في ذلك إلى دفع أو إنكار صريح من المدعى عليه، ولذلك إذا فشل المدعى في إثبات الواقعة التي يستند عليها للمطالبة بحقه، رفض القاضي طلبه دون حاجة إلى إنكار المدعى عليه لهذه الواقعة.

٣. إرتباط الدفع بمسألة متعلقة بفكرة القانون: إذ إنَّ القاضي يثير من تلقاء نفسه أي مسألة قانون في القضية المعروضة عليه.

٤. وهذا النوع من الدفع يضعها القاضي في إعتباره من تلقاء نفسه طالما تضمنتها وقائع القضية المعروضة عليه، ولا يمنع من ذلك تنازل الخصم عنها كما أنها لا يرد عليها التقادم إذ ترمي إلى بيان عدم وجود الحق الموضوعي لذلك تسري عليها قاعدة (إن الدفع لا تتقادم) إذ أنها بعدها وسيلة

٢- انظر بهذا الخصوص المواد من (١٠٨-١١٦) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري.

٣- د. معوض عبد التواب، المرجع في التعليق على قانون المرافعات، ج ٢، ط ٢، مكتبة عالم الفكر والقانون للنشر والتوزيع، القاهرة،

٢٠٠٤، ص ١٨٦.

٤- عز الدين الديناصوري وحامد عكاز، التعليق على قانون المرافعات، ج ٢، ط ٢، مطبعة رمضان، مصر، ٢٠٠٥، ص ١٠٩.

لبيان عدم وجود الحق الموضوعي تبقى قائمة (كوسيلة دفاع) ما بقي الطلب القائم على أساس وجود هذا الحق^(٥).

ومن خلال إستعراض تعاريف الدفع سابقة الذكر فقد نرى بأنه من المستحسن لو إن المشرع العراقي لم يعرف الدفع بنص قانوني محدد وذلك لعدة أسباب منها إنه يعد قيداً على حرية القاضي في التوسع في مفهوم الدفع وفقاً لما تتطلبه الحالة المعروضة أمام القضاء ومنها لتحقيق أكثر إستقراراً للمعاملات وأكثر مرونة في إيجاد الحلول المناسبة لبعض المنازعات التي تستدعي ذلك، واسباب أخرى هي عدم وجود تعاريف لهذا المصطلح في بعض القوانين العربية كقانون المرافعات المدنية والتجارية المصري وحسناً ما فعل في عدم إيراد تعريف للدفع واكتفى بإيراد بعض الأحكام والإجراءات الضرورية، وذلك ليفتح الباب أمام الفقه والقضاء للإجتهد في وضع التعريفات التي غالباً ما تكون جامعة في مفهومها لتتناول الجزء الأكبر من الحماية القانونية للمدعى عليه.

وعليه فيمكن إعطاء تعريفاً متوازناً للدفع يختلف عما سبق من حيث الصياغة القانونية والفنية وهو على النحو الآتي، الدفع (وهو أية وسيلة إجرائية قانونية تسمح للمدعى عليه من مهاجمة طلبات المدعي في دعواه المدنية وتستلزم رد الوقائع والأدلة المقدمة للقاضي بناءً على سلطته التقديرية).

أما الدفوع الموضوعية فقد تم تعريفها... بأنها (الوسائل التي يلجأ إليها المدعى عليه ليثبت فيها أنَّ دعوى خصمه على أساس غير قانوني وهي دفوع تتعلق بأساس الدعوى وموضوعها)^(٦)، وتعرف أيضاً بأنها (إعتراض من المدعى عليه على الحق المطلوب حمايته من المدعي، أو هي سلطة المدعى عليه في تأكيد واقعة منعت أو منهيّة للواقعة المنشئة التي أكدّها المدعي ليس من شأنها رفض الدعوى ما لم يتمسك بما المدعى عليه)^(٧).

ومن أمثلة هذه الدفوع هو الدفع بالمقاصة لإنكار حق المدعي في المطالبة بالدين إذ تنص المادة (٤١٣) من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل بأنه (..... لا تقع المقاصة الا من تمسك بما من له مصلحة فيها) وهو المدعى عليه في الفرض أعلاه^(٨)، وكذلك نجد إشارة أخرى الى الدفوع الموضوعية في القانون ذاته وخاصةً في المادة (٢/٤٤٢) إذ نصت على أنه (٢- يجوز التمسك بالدفع في أية حالة كانت عليها الدعوى.....).

أما قانون المرافعات المدنية العراقي والمصري فلم يتطرقا الى تعريف للدفع الموضوعية على عكس قانون أصول المحاكمات اللبناني رقم ٩٠ لسنة ١٩٨٣ المعدل، حيث نصت المادة (٥٠) منه على تعريف الدفع الموضوعي بأنه (كل سبب يرمي به الخصم الى رد طلب خصمه لعدم صحته بعد بحث الحق في الموضوع)

٥- د. محمود هاشم، قانون القضاء المدني، ج ١، ١٩٨١، ص ٢٧٠. د. فتحي والي، التنفيذ الجبري، ١٩٩٨، ص ٤٨٥. د. وجدي راغب، مبادئ القضاء المدني، ٢٠٠١، ص ٤٩١.

٦- القاضي: مدحت الحمود، شرح قانون المرافعات المدنية العراقي، ط ٤، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠١١، ص ١٨. القاضي: صادق حيدر، شرح قانون المرافعات المدنية، دراسة مقارنة، مكتبة السنهوري، ٢٠١١، ص ١٤٧.

٧- د. عبد الحكم فوده، الدفع بعدم نظر الدعوى المدنية، منشأة المعارف بالاسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١٤٣.

٨- انظر المعنى نفسه نص المادة (١/٣٦٥) من القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ المعدل، ونص المادة (٣٣٦) من قانون الموجبات والعقود اللبناني الصادر في ١٩٣٢/٣/٩ المعدل، ونص المادة (١٢٩٧) من القانون المدني الفرنسي الصادر عام ١٨٠٤ المعدل.

والمادة (٧٤) من القانون ذاته أيضاً ذكرت بأن الدفوع الموضوعية هي (انكار حق المدعي مباشرة أو بادعاء يراد به إبادة هذا الحق)، وهذه المادة الأخيرة جاءت مطابقة لما ذهب اليه قانون المرافعات المدنية الفرنسية رقم ١١٢٣ لسنة ١٩٧٥^(٩).

وفي معنى آخر للدفوع الموضوعية يقصد بها الاعتراض على موضوع الدعوى فهي توجه مباشرة نحو الحق موضوع الدعوى وتقضي برفضه كلياً أو جزئياً، فعلى المدعى عليه إبداء كل ما لديه من دفوع موضوعية، حتى يتلافى صدور حكم مفاجئ من المحكمة لو إنه قام بأبداء دفع موضوعي واحد^(١٠).
فيتضح من كل ما تقدم بان الدفوع الموضوعية هي سلاح بيد المدعى عليه يستطيع التخلص بها من دعوى خصمه إذا ما أحسن تطبيقها في المواعيد القانونية المحددة لهذا الغرض أو هي ما يثيره المدعى عليه أمام القاضي لرد إدعاء المدعي كآثارة واقعة وفاء الدين مثلاً.

المطلب الثاني: (خصائص صحة الدفوع الموضوعية وشروطها)

ابتداءً ان الدفوع الموضوعية هي مذكورة على سبيل المثال لا الحصر وهي كثيرة ومتعددة منها الدفع بصورية التصرفات والعقود، والدفع بالتقادم المكسب والمسقط للملكية، والدفع بالمقاصة بين الديون، والدفع بعدم التنفيذ، والدفع بسبق السداد، والدفع بالحوالة وغيرها الكثير^(١١)، فبال تأكيد بأنه تتمتع هذه الدفوع بعدة خصائص تميزها عن الاوضاع والإجراءات القانونية الأخرى من هذه الخصائص هو (ورودها على سبيل المثال لا الحصر) أي أن من حق المدعى عليه إبداء عدة دفوع موضوعية في الدعوى المدنية لا دفع واحد وكل هذه الدفوع عند رفعها يجب أن تحقق مصلحته فنلاحظ بان الدفوع الموضوعية التي يتمسك بها المدعى عليه أمام محكمة الموضوع لم تكن محددة على سبيل الحصر، لأن المشرع لم يورد نصاً يحصر فيه الدفوع الموضوعية الجائز أبدأها أمام المحكمة^(١٢).

ومنها أيضاً بأنه (يمكن التمسك بالدفوع الموضوعية والأدلاء بها أمام المحكمة في جميع مراحل الدعوى، بل يجوز إثارتها لأول مرة أمام محكمة الدرجة الثانية)، ومن خصائصها أيضاً بأنه (يترتب على الحكم الصادر بقبول الدفع الموضوعي إنهاء النزاع على أصل الحق المدعى به، ويجوز الحكم المذكور حجية الشيء المقضي به ومن ثم لا يسوغ تجديد القضية نفسها سواء كان ذلك أمام المحكمة مصدرة الحكم أو أمام أية محكمة أخرى). ومنها أيضاً بأنه (يعد الحكم الصادر في الدفع الموضوعي حكماً موضوعياً فاصلاً في الموضوع)^(١٣).

٩- بالمعنى نفسه انظر نص المادة (٧١) من قانون المرافعات المدنية الفرنسية رقم ١١٢٣ لسنة ١٩٧٥.

١٠- إستاذنا د.عباس العبودي، شرح أحكام قانون أصول المحاكمات المدنية، ط١، الاصدار الثاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧، ص٢٧٧.

١١- هشام زوين، موسوعة الدفوع المدنية والدفوع الإجرائية، ط١، دار القانون للإصدارات القانونية، المجلد السادس، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٣٦.

١٢- د.مجدي محمود، موسوعة الدفوع الجنائية، دار العدالة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٣٧٩، وانظر بهذا الخصوص أيضاً، مصطفى راشد عبد الحمزة، الدفوع الموضوعية في الدعوى الجنائية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة النهدين، ٢٠٠٩، ص٤٩.

١٣- د.عبد الكريم الطالب، الشرح العملي لقانون المسطرة المدنية، ط٥، نشر وتوزيع مطبوعات المعرفة مراكش، ٢٠٠٨، ص٢٣٢.

ومن الخصائص الأخرى (فان الأصل في الدفوع الموضوعية بأنها لا تتعلق بالنظام العام بل هي تتعلق بالمصالح الخاصة) إذن لصاحبها أن يتمسك بها أو يسقط حقه في ذلك عن طريق عدم التمسك بها في الوقت المناسب وبالشكل المحدد لذلك، ولكن على العكس من ذلك اذا كانت هذه الدفوع تتعلق بالنظام العام فيجوز لصاحب المصلحة أن يتمسك بما كما يجوز للمحكمة إثارتها والقضاء فيها من تلقاء نفسها (١٤).

ومن الجدير بالذكر فقد يستخدم القاضي سلطته التقديرية عندما تطرح عليه بعض الوقائع والأدلة والاثباتات فيقوم بإعطائها الوصف القانوني الذي يتلاءم معها وكأنها دفع موضوعي، ولو لم يكن ذلك متعلقاً بالنظام العام، هنا لا يوجد ما يمنع القاضي كقاعدة عامة من النهوض من تلقاء نفسه بأثارة هذا الدفع حتى ولو لم يتقدم به الخصم (١٥)، منطلقاً في ذلك من مبدأ إستقرار المعاملات والحفاظ على المصلحة العامة وتحقيق العدالة وإيجاد التوازن بين المراكز القانونية في المنازعة المعروضة عليه.

أما ما يتعلق بشروط صحة الدفوع الموضوعية فهناك شروط خاصة بالدفع الموضوعي بوصفه دعوى وأخرى شروطاً عامة مطلوبة لأبداء الدفع، فمثال الشروط الخاصة هو، وجود حق أو مركز قانوني فما دام أن الدفع هو وسيلة لحماية الحق إذن يفترض لوجوده سبق وجود حق أو مركز قانوني، والشرط الآخر هو أن يكون هناك إعتداء على الحق أو المركز القانوني، والشرط الأخير هو شرط الصفة والمصلحة في الدفع (١٦)، أما الشروط العامة لأبداء الدفوع الموضوعية فهي أولاً، أن يثار الدفع الموضوعي قبل إقفال باب المرافعة، وثانياً، وهو ان يكون إبداء الدفع الموضوعي على وجه ثابت في أوراق الدعوى، فالدفع الذي تلتزم المحكمة بالرد عليه يجب ان يتمسك به صاحبه ويثبته بالفعل على وجه له أصل ثابت في أوراق الدعوى، والشرط الثالث، هو إبداء الدفع بصورة واضحة وجازمة، والمقصود بوضوح الدفع: هو أن يكون شاملاً لبيان مضمونه موضعاً للفائدة منه ومبيناً أثره في الحكم لكي تلتزم المحكمة بعد ذلك بالرد عليه وكذلك يجب أن يكون جازماً أي أن لا يكون هذا الدفع بصيغة تفويض الأمر الى المحكمة أو ترك التصرف لها إذا شاءت (١٧)، والشرط الأخير: هو أن يكون الدفع متعلقاً بموضوع الدعوى، أي أن يكون تعلق هذا الدفع بالموضوع ظاهراً ومنتجاً فيه وهذا الشرط هو شرط جامع لكل الدفوع المتعلقة بأساس النزاع وموضوع الدعوى أو الدفوع الموضوعية (١٨).

فيتضح من كل ما تقدم بأنه لابد من وجود خصائص للدفوع الموضوعية لكي تميزها عن غيرها من المصطلحات القانونية ويشترط أيضاً مجموعة من الشروط لصحة هذا الدفع ولكي يكون منتجاً في الدعوى المدنية.

١٤- د. نبيل اسماعيل عمر، الوسيط في قانون المرافعات المدنية والتجارية، الاسكندرية، ٢٠٠٨، ص ٤٠٠. ود. حلمي محمد الحجار، الوجيز في أصول المحاكمات المدنية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٥٣.
١٥- جليل حسن الساعدي، كفاءة حق الدفاع أثناء نظر الدعوى المدنية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٩٣، ص ١٦٣. د. آدم وهيب الندوي، المرافعات المدنية، ط ٣، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ٢٠١١، ص ٢٢٤.
١٦- مدحت محمد سعد الدين، نظرية الدفوع في قانون الإجراءات الجنائية، ط ٢، ٢٠٠٣، ص ١٣٩.
١٧- د. رؤوف عبید، ضوابط تسبیب الأحكام الجنائية، ط ٢، مطبعة الاستقلال الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٧١.
١٨- مصطفى راشد عبد الحمزة، مصدر سابق، ص ٧٣.

المطلب الثالث: (أحكام الدفع الموضوعية)

تخضع الدفع الموضوعية من حيث تقديمها والحكم فيها الى مجموعة من القواعد العامة تتمثل بالآتي:

- ١- لا يتقيد المدعى عليه في إبداء الدفع الموضوعية بترتيب معين، ويجوز إبدؤها في أية حالة كانت عليها الإجراءات، ولو لأول مرة أمام محكمة الاستئناف، ولا يترتب على تقديم دفع موضوعي إعتبار المدعى عليه متنازلاً ضمناً عن غيره من الدفع، لان قواعد العدالة واحترام حقوق الدفاع تقتضي أن يسمح للخصم بإبداء أي وسيلة من شأنها تفادي الحكم عليه بما يدعيه الخصم الآخر في أية مرحلة من مراحل الخصومة.
- ٢- يترتب على قبول الدفع الموضوعي إنهاء النزاع أمام المحكمة التي نظرت، فلا يجوز تحديد المطالبة به أمام القضاء مرة أخرى لسبق الفصل فيه، وإذا إستؤنف الحكم الصادر فيه فإن هذا الاستئناف ينقل النزاع برمته الى المحكمة الاستئنافية، فاذا ألغت المحكمة الاستئنافية هذا الحكم فعليها أن تتصدى لنظر الموضوع ولا تعيده لمحكمة أول درجة لأنها إستنفذت ولايتها بشأنه^(١٩).

- ٣- ومن القواعد أيضاً بأن الدفع الموضوعية واردة في القانون على سبيل المثال لا الحصر، والحكم فيها يعد حكماً فاصلاً في موضوع النزاع وبالتالي إذا طعن في هذا الحكم بالاستئناف وقضت الأخيرة بإلغائه فإن عليها أن تتصدى للموضوع وتحكم فيه ولا تعيد القضية الى محكمة أول درجة لتنظرها من جديد^(٢٠)، أو بمعنى آخر إن إبداء الدفع الموضوعية يُعد تعريضاً لموضوع الدعوى والحكم بقبول الدفع الموضوعي هو حكم في موضوع الدعوى وينهي النزاع على أصل الحق نفسه ويصبح للحكم الموضوعي حجية الشيء المحكوم به ومن ثم لا يجوز للمدعي أن يعود مرة أخرى الى تحديد النزاع أمام المحكمة ذاتها والتي فصلت فيه، أو أمام محكمة أخرى لسبق الفصل في ذات الموضوع، ولا يجوز للمدعى عليه إلا إستئناف الحكم أمام محكمة الدرجة الثانية والتي لها أن تعيد بحث ودراسة موضوع الدعوى بشكل جديد ثم تقضي في الدعوى حسبما يترأى لهذه المحكمة^(٢١).

ومما تجدر الإشارة اليه بأنه إذا كان لدى المدعى عليه عدة دفع موضوعية متفاوتة القوة أن لا يكفي بأبداء الدفع الحاسم منها، فتصدر المحكمة حكمها ضده وإنما يجب عليه أن يبدي كل ما لديه من الدفع علي سبيل الاحتياط، وقد حدث أن إقتصرت شخص في دفاعه على التمسك بحجية حكم معين يرتبط بموضوع النزاع، ولما لم تأخذ المحكمة الإستئنافية بوجهة نظره أصدرت حكماً ضده فلما طعن في هذا الحكم بالنقض بحجة الاخلال بحق الدفاع قررت هذه المحكمة أنه ما دام الطاعن هو الذي أثر أن يقتصر في دفاعه على هذا الدفع القانوني بقوة الأمر المقضي فيه وكان وحده صاحب الشأن في إبداء ما يرى من أوجه الدفاع في الدعوى، وعليه فلا على المحكمة أي لوم إن هي حكمت في موضوع الدعوى وعدت سكوتها عن مناقشة قيمة الربح مثلاً هو عدم المنازعة في تلك القيمة^(٢٢).

ولا يجوز إثارة الدفع الموضوعية لأول مرة أمام محكمة التمييز وبهذا الصدد قضت محكمة التمييز الأردنية ((إن البينات وقواعد الاثبات تُعد متعلقة بحقوق الخصمين وليست من المخالفات التي تتعلق بجوابات

١٩- د.علي بركات، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، ط١، دار النهضة العربية، ٢٠١٦، ص٧١٦.

٢٠- د.محمد نصر محمد، أصول الدفع والمحاكمات، ط١، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص٢٨١.

٢١- عبد العزيز سليم، الموسوعة الذهبية في الدفع، ١٩٩٥، ص١١٨.

٢٢- إستاذنا د.عباس العبودي، شرح أحكام قانون أصول المحاكمات المدنية، مصدر سابق، ص٢٧٧.

المحكمة وإن إثارة الدفع بها في المرحلة التمييزية، لا يصلح سبباً للنقض عملاً بأحكام المادة ٦/١٩٨ من قانون أصول المحاكمات المدنية الإردني^(٢٣).

ومن أحكام الدفع الموضوعية الأخرى هو إنه لا يخضع إبدائها إلى قيود خاصة ما عدا ما يقتضيه حسن دفاع المدعى عليه عن نفسه من تقديم الدفع الحاسمة على الدفع الأقل قوة وتأثيراً مع مراعاة عدم التناقض بين تقديم هذه الدفع على أنه لا يجوز للقاضي الحكم للمدعي بشيء دون طلب ولا يجوز له أن يثير دعواً موضوعياً للمدعى عليه من تلقاء نفسه وبهذا يكون قد تجاوز حدود سلطته التي منحها آياه المشرع ويصبح لدينا تعسف في استعمال حق التقاضي وترجيح مصلحة طرف على آخر دون مسوغ قانوني^(٢٤). فضلاً عن ذلك فقد يراعى في الدفع ما يراعى في الدعوى من أحكام، ويشترط أن يكون ذا صلة مباشرة بالدعوى الأصلية، وعليه تخضع الدفع الموضوعية للشروط التي يخضع لها حق الدعوى من حيث توفر الأهلية والصفة والمصلحة، وهذا مما أشارت إليه المادة (٢/٨) من قانون المرافعات المدنية العراقي^(٢٥). وبهذا الخصوص أشارت محكمة النقض المصرية في إحدى قراراتها بأنه (مفاد نص المادة الثالثة من قانون المرافعات، وعلى ما جرى به قضاء هذه المحكمة على إنه يشترط لقبول الدعوى أو الطعن أو أي طلب أو دفع يكون لصاحبه فيه مصلحة شخصية ومباشرة أي يكون هو صاحب الحق أو المركز القانوني أو نائبه فإذا لم يتوافر هذا الشرط تقضي المحكمة من تلقاء نفسها وفي أي حال تكون عليها الدعوى بعد القبول)^(٢٦).

المبحث الثاني: (الدفع الشككية)

تحتل الدفع الشككية مكانة بارزة في ميدان قانون المرافعات، لأنها سمة في سمات النظام القضائي نفسه، وأوجب الالتزام بها إذ يبين قانون المرافعات المدنية العراقي الجزاء المترتب على مخالفة القواعد المنظمة لإجراءات المرافعات، وللدفوع الشككية معنى محدد جداً في قانون المرافعات مرتبط بكيفية التمسك بهذا الجزاء، وأن حق الخصم في التمسك بالدفع الشككية أساسه القانون فمن أجل المحافظة على الأشكال والاوضاع التي نص عليها قانون المرافعات كان من الضروري وضع الجزاء على مخالفتها وتحديد كيفية التمسك به لكي تحترم أوامر القانون ونواهي، ولكن في الوقت نفسه يجب أن لا يؤدي هذا الجزاء إلى تفضيل الشكل على الموضوع والتعسف في استخدامه وغل يد القاضي عن إمكانية التصحيح وبالتالي إهدار الحقوق لأسباب غير مقبولة.

وأن تقرير الدفع الشككية يحتاج إلى موازنة دقيقة بين مسألتين هما التشدد في الشككية، والمرونة عند تطبيقها وفقاً لمقتضيات القانون، وكلا الأمرين له أضراره فالتشدد في الشككية يؤدي إلى جمود نظام التقاضي وعرقلة سير العدالة، ويؤدي إلى إبطال الدعاوى لأبسط الأسباب، مما يرهق القضاء بدعاوى مكررة لا تنقطع سلسلتها إلا بعد أمد بعيد، أما التساهل والمرونة في الشككية فقد يؤدي إلى فوضى في العمل القضائي

٢٣- انظر قرار محكمة التمييز الأردنية (رقم القرار ٩٢/١٣٦٤ ص ٥٣٧ سنة ١٩٩٤، الاجتهاد القضائي، ج ٤، ص ٣٤٤).

٢٤- د. عماد حسن سلمان، شرح قانون المرافعات المدنية، مكتبة السنهوري، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٩، ص ٢١٤.

٢٥- انظر بنفس المفهوم نص المادة (٣) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم (١٣) لسنة ١٩٦٨ المعدل.

٢٦- انظر قرار محكمة النقض المصرية (الطعن رقم ١١٠ لسنة ٧٠ قضائية جلسة ٢٤/١/٢٠٠١)، مشار إليه في متن قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري، طبعة ٢٠١٧ - ٢٠١٨، ص ٩.

بإتاحة الفرصة أمام الخصوم للأحتيال على إجراءات التقاضي كسباً للوقت أو المماطلة عند شعور الخصم بأنه على وشك أن يخسر دعواه أو دفعه، وعليه فالموازنة في تطبيق الدفوع الشككية هي مسألة أساسية، ولأهمية هذه الدفوع لابد من التعريف بها وبيان أنواعها، ثم بيان مسقطاتها، وذلك يكون من خلال تقسيم هذا المبحث على ثلاثة مطالب، سيكون المطلب الأول بعنوان التعريف بالدفوع الشككية، وخصصنا المطلب الثاني لبيان انواع الدفوع الشككية، أما مسقطات الدفوع الشككية فقد كانت عنواناً للمطلب الثالث، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: (التعريف بالدفوع الشككية)

لم يتناول قانون المرافعات المدنية العراقي وغيره من القوانين تعريف الدفع الشكلي صراحةً وإنما تم معالجة بعض أحكامه^(٢٧)، أما الفقه فقد عرفوا الدفع الشكلي بعدة تعريفات فبعضهم عرفه بأنه ((وسيلة دفاع توجه إلى إجراءات الخصومة دون المساس بأصل الحق المدعى به ولتفادي الحكم مؤقتاً في الموضوع))^(٢٨). وورد تعريفه أيضاً بأنه ((الاعتراض على شكل الدعوى أو إجراءاتها بقصد تعطيل سيرها، فهذه الدفوع لا تتعرض إلى الحق الموضوعي الذي يستند إليه المدعي وإنما تتعرض إلى عدم صحة الإجراءات التي رفعت بها لائحة الدعوى))^(٢٩)، كما عرفه آخرون بأنه ((هو الذي يتعرض إلى إجراءات الدعوى بقصد تعطيل سيرها، فهو لا يتعرض إلى الحق الموضوعي الذي يستند المدعي إليه ولا يتعرض إلى الوسيلة التي يحمي المدعي حقه بها، ولكن يتعرض إلى عدم صحة عمل من الاعمال كالدفع ببطلان عريضة الدعوى))^(٣٠). ويرى البعض بأنه ((هو تلك الوسائل أو الادوات التي حددها المشرع وجعلها وسيلة المدعى عليه للتمسك بالجزاء الإجرائي المترتب على وقوع مخالفات إجرائية))^(٣١)، كما عرفه إتجاه آخر بأنه ((الدفع الذي يوجه إلى إجراءات الخصومة بغرض استصدار حكم ينهي الخصومة دون الفصل في موضوعها، أو يؤدي إلى تأخير الفصل فيها وتقوم هذه الدفوع على أساس قواعد المرافعات المنظمة للخصومة))^(٣٢). قانون المرافعات المدنية الفرنسي لم يذكر الدفوع الشككية على سبيل الحصر، حيث نصت المادة (٧٣) من القانون المذكور بأنه ((يُعَدُّ دفعاً متعلقاً بالإجراءات كل دفع يتصل ببطلانها أو بأعتبرها كأن لم تكن أو يتصل بوقف السير في الدعوى)) وتنص المادة (١/٧٤) منه على ((وجوب إبداء جميع الدفوع الشككية معاً وقبل التكلم في الموضوع وقبل إبداء أي دفع بعدم القبول، ولو كان الدفع الشكلي متصلاً بالنظام العام)).

أما الفقرة الثانية من المادة (٧٤) فقد إستثنت الحالات الآتية بحيث يجوز فيها التمسك بأمر يسبق الدفع الشكلي، أو التمسك بالدفع الشكلي بعد السير في الدعوى، وهذه الحالات هي:

- ٢٧- من القوانين الأخرى التي لم تعطي تعريفاً للدفع الشكلي هي قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم (١٣) لسنة ١٩٦٨ المعدل، وقانون أصول المحاكمات المدنية الأردني رقم (٢٤) لسنة ١٩٨٨ المعدل وغيرها من القوانين.
- ٢٨- د. أحمد ابو الوفا، نظرية الدفوع في قانون المرافعات، ط ٨، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٨٨، ص ١٦٩.
- ٢٩- استاذنا د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون أصول المحاكمات المدنية، ط ١، دار الثقافة والنشر، عمان، ٢٠٠٤، ص ٢٧٨.
- ٣٠- القاضي: مدحت المحمود، شرح قانون المرافعات المدنية رقم (٨١) لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته العملية، ط ١، ٢٠٠٥، ص ١٢٢.
- ٣١- د. نبيل اسماعيل عمر، قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ١٩٩٤، ص ٣٥٤.
- ٣٢- د. وجدي راغب، الموجز في مبادئ القضاء المدني، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٣٦١.

١. طلب الاطلاع على المستندات لا يمنع من إبداء الدفوع الشكلية بعدئذٍ.
 ٢. يجوز إبداء الدفع بالحالة للأرتباط في أية حال تكون عليها الدعوى، ما لم يقصد به مجرد تأخير نظر الدعوى المادة (١٠٣) مرافعات مدنية فرنسي.
 ٣. إذا كان القانون يمنح الخصم ميعاداً معيناً لاتخاذ صفة، فإن التمسك بهذا الميعاد لا يخل بحقه في إبداء ما لديه من دفوع شكلية بعد إنقضاء الأجل المادة (١١١) مرافعات مدنية فرنسي.
 ٤. يجوز التمسك ببطالان أي إجراء يتم أثناء نظر الدعوى بشرط أن يكون هذا التمسك فور إتخاذ الإجراء، ويسقط الحق في التمسك ببطالان هذا الإجراء بالتكلم في الموضوع أو بإبداء دفع بعدم القبول، متى تم هذا أو ذاك بعد إتخاذ الإجراء الباطل المادة (١١٢) مرافعات مدنية فرنسي.
- ومن الجدير بالذكر فالدفوع الشكلية في قانون المرافعات المدنية هي تلك الأدوات او الوسائل الإجرائية التي حددها المشرع وجعلها وسيلة المدعى عليه للتمسك بالجزاء الإجرائي المترتب على وقوع مخالفات إجرائية^(٣٣)، إضافة إلى ذلك فقد عرفت المادة (٥٢) من قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني رقم (٩٠) لسنة ١٩٨٣ الدفع الشكلي بأنه ((كل سبب يرمي به الخصم إلى إعلان عدم قانونية المحاكمة أو سقوطها أو وقف سيرها))^(٣٤).

فيتضح من خلال كل ما تقدم بأن هناك من القوانين من عرف الدفع الشكلي، ومنها من لم يعرفه وحسناً فعلت القوانين التي لم تعرف الدفع الشكلي لجعل الأمر أكثر مرونة وسهولة للقاضي في استخدام سلطته التقديرية التي منحه أياها المشرع هذا أولاً وثانياً إن مهمة إعطاء التعريفات لا تقع على عاتق المشرع وإنما على عاتق الفقه القانوني ولكي يواكب هذا المصطلح بعض التطورات الإجرائية التي تحدث في سوح القضاء، وما تتوصل إليه الدراسات الحديثة والتطورات العلمية والتكنولوجية وخاصة في مجال العقود الالكترونية والمعاملات التجارية عبر وسائل الاتصال الحديثة "كالانترنت" مثلاً، وعليه أن الدفع يعد شكلياً إذا كان يرمي إلى تعطيل النظر في القضية لسبب يتعلق باختصاص المحكمة أو بإجراءات الخصومة لذلك نستطيع القول إنَّ الدفوع الشكلية هي (عقبات غالباً ما تكون وقتية تتعلق بسلامة إجراءات الدعوى ومدى مطابقتها لقانون المرافعات دون مناقشة موضوعها).

المطلب الثاني: (أنواع الدفوع الشكلية)

تنقسم الدفوع الشكلية على نوعين رئيسيين هما:

أولاً: الدفوع الشكلية النسبية.

ثانياً: الدفوع الشكلية المطلقة، وسنتناول هذه الدفوع تباعاً.

٣٣- د. عصمت عبد المجيد بكر، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية في ضوء آراء الفقه وأحكام القضاء، مكتبة السنهوري، دار السنهوري، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٤٣٢.

٣٤- تجدر الإشارة إلى أن خلافاً قد ثار في الفقه بصدد هل أن الدفوع الشكلية وردت على سبيل الحصر أم المثال، فالراجح إنَّها لم ترد على سبيل الحصر وهذا ما أخذ به قانون المرافعات المدنية المصري، إذ صرحت المذكرة الايضاحية إلى أن المشرع اتجه إلى عدم حصر الدفوع الشكلية على اعتبار أن كل دفع يتصل بالإجراءات هو في واقع الأمر دفع شكلي، ولم يحصر قانون المرافعات المدنية الفرنسي لعام ١٩٧٥ الدفوع الشكلية، وكما جاء في نص المادة (٧٣) منه، إنظر بخصوص ذلك إستاذنا د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية، ط ١، مكتبة السنهوري، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٦، ص ٣٤١.

أولاً: الدفع الشككية النسبية:

وهي التي يلزم تقديمها قبل أي دفع آخر بحيث تتعلق بمصلحة أحد الخصوم، وإذا لم يتم تقديمها قبل الدفع الأخرى يسقط الحق فيها، وأن هدف المشرع من وراء هذا التشديد في تقديمها هو تجنب ضياع الوقت والجهد والنفقات، ولا يسمح برفعها من قبل أحد الخصوم في أي وقت يشاء، لأن ذلك سوف يؤدي إلى التمسك بها على الرغم من أن الدعوى كانت قد إستمرت في سيرها نحو الحسم، وأن في ذلك إطالة لأمد النزاع مما يسبب تعسفاً للطرف الآخر والذي يملك الحق من الحصول على حقه بأسرع وقت، ولكي يحقق في ذلك القاضي العدالة والتوازن الإجرائي بين الخصوم وإستقرار المعاملات^(٣٥).

ويعد أي طلب أو دفع مما يتعلق بموضوع الدعوى مسقطاً للحق في الدفع الشككي سواء قُدم بصورة شفوية أو تحريرية^(٣٦)، لأنها دفع غير متعلقة بالنظام العام بل هي مقررّة لصالح من يريد التمسك بها وعليه إبدائها قبل غيرها من الدفع الأخرى، ومن الأمثلة على هذه الدفع والتي أوردها المشرع العراقي هي (الدفع ببطالان عريضة الدعوى) و (الدفع بعدم الاختصاص المكاني) والتفاصيل كالآتي:

١. الدفع ببطالان عريضة الدعوى أو الأوراق الأخرى: هذا الدفع يجب إبداءه قبل أي دفع أو طلب آخر وإلا سقط الحق فيه، والمحكمة هنا تفصل فيه قبل التعرض لموضوع الدعوى، ويجب أن يرفع هذا الدفع في عريضة الاعتراض أو الاستئناف والا سقط الحق فيه، ويحول بطلان التبليغ إذا حضر المطلوب تبليغه أو من يقوم مقامه في اليوم المحدد، وهذا مما أشارت إليه المادة (٧٣) من قانون المرافعات المدنية العراقي، ونصها ((١- الدفع ببطالان تبليغ عريضة الدعوى أو الأوراق الأخرى يجب إبداءه قبل أي دفع أو طلب آخر وإلا سقط الحق فيه، وتفصل المحكمة فيه قبل التعرض لموضوع الدعوى. ٢- يجب إبداء هذا الدفع في عريضة الاعتراض أو الاستئناف والا سقط الحق فيه. ٣- يزول بطلان التبليغ إذا حضر المطلوب تبليغه أو من يقوم مقامه في اليوم المحدد.))^(٣٧).

٢. الدفع بعدم الاختصاص المكاني: إن الدفع بعدم الاختصاص المكاني يجب إبداءه كذلك قبل التعرض لموضوع الدعوى والا سقط الحق فيه، وهذا مما أشارت إليه المادة (٧٤) من قانون المرافعات المدنية العراقي^(٣٨)، وأن هذا الدفع هو من حق الخصوم، وليس من حق محكمة الموضوع إحالة الدعوى على محكمة أخرى بحجة عدم إختصاصها إذا لم يكن هناك طلب من الخصم، فإذا قضت المحكمة بعدم إختصاصها القيمي أو الوظيفي أو النوعي أو المكاني وجب عليها أن تحيل الدعوى إلى المحكمة المختصة، وهذا مما أشارت إليه المادة (٧٨) من قانون المرافعات المدنية العراقي^(٣٩).

٣٥- د. عماد حسن سلمان، مصدر سابق، ص ٢٠٨. وبنفس المفهوم إنظر إستاذنا د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية، مصدر سابق، ص ٣٤١. ود. عصمت عبد المجيد بكر، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية، مصدر سابق، ص ٤٣٣. ٣٦- كما إن بعض الطلبات يلزم تقديمها حتى قبل هذا النمط من الدفع الشككية، مثال على هذا ما تنص عليه المادة (٩٥) من قانون المرافعات المدنية العراقي المتعلقة بطلب رد القاضي والتي تنص على أنه ((١- يجب تقديم طلب الرد قبل الدخول في أساس الدعوى والا سقط الحق فيه)).

٣٧- وبالمنع نفسه إنظر نص المادة (١١٤) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري.

٣٨- إنظر بالمنع نفسه نص المادة (١٠٨) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري.

٣٩- إنظر بالمنع نفسه نص المادة (١١٠) مرافعات مصري.

ثانياً: الدفع الشكلي المطلقة:

وهي التي يتم تقديمها في أية مرحلة من مراحل الدعوى فهي تتعلق بالنظام العام وأن المحكمة تقضي بها من تلقاء نفسها، وقد أورد قانون المرافعات المدنية العراقي أمثلة على ذلك منها:

١. الدفع بعدم الاختصاص الوظيفي أو النوعي: إذ تنص المادة (٧٧) مرافعات عراقي على أن الدفع بعدم اختصاص المحكمة بسبب عدم ولايتها أو بسبب نوع الدعوى أو قيمتها تحكم به المحكمة من تلقاء نفسها، ويجوز إبداءه في أية حالة تكون عليها الدعوى، وهذا الدفع من النظام العام يجوز إبداءه في أية مرحلة من مراحل الدعوى بما في ذلك مرحلة التمييز وهذا ما أكدت عليه المادة (٣/٢٠٩) مرافعات عراقي.

٢. الدفع بتوحيد دعويين: إذا تبين للمحكمة إن للدعوى إرتباطاً بدعوى مقامة قبلاً بمحكمة أخرى فلها أن تقرر توحيد الدعويين وترسل إضبارة الدعوى إلى المحكمة الأخرى، والقرار الصادر من المحكمة الأخيرة برفض التوحيد يكون قابلاً للتمييز، وهذا ما أشارت إليه المادة (٧٥) مرافعات مدنية عراقي، وللمحكمة أن تقرر توحيد الدعويين إذا كانت الدعوى الأخرى مقامة لدى المحكمة ذاتها، والهدف من هذا التوحيد هو حسن سير العدالة وعدم صدور أحكام لا توافق بينهما وتحقيق التوازن الإجرائي بين الخصوم^(٤٠).

والأمثلة على هذا الدفع كثيرة منها (دعوى زيادة النفقة التي تقيمها الزوجة على زوجها، ودعوى قطع النفقة التي يقيمها هو عليها)، و (دعوى الدين على الأصل، ودعوى الدين نفسه على الكفيل المتضامن).
٣. الدفع بعدم جواز إقامة الدعوى في أكثر من محكمة واحدة: على ذلك نصت المادة (٧٦) من قانون المرافعات المدنية العراقي بعدم جواز إقامة الدعوى الواحدة في أكثر من محكمة واحدة، فإذا أُقيمت في أكثر من محكمة عُدت عريضة الدعوى المقامة أولاً وأبطلت العريضة الأخرى، وقد أجاز النص للمحكمة توحيد الدعويين لتجنب مشاكل الأحكام المتناقضة في الدعوى الواحدة ولتحقيق مبدأ الاقتصاد في الإجراءات.

وبما أن الدفع الشكلي يرمي إلى منع المحكمة من التصدي لموضوع الدعوى فهناك الكثير من الدفع الشكلي والتي تؤدي الغرض نفسه مما ذكر في أعلاه، ومن هذه الدفع على سبيل المثال لا الحصر هي: الدفع ببطالان صحيفة الدعوى، والدفع بعدم قبول الدعوى لرفعها من متعددين لا رابطة بينهم، والدفع بعد المدعي تاركاً دعواه، والدفع ببطالان صحيفة الاستئناف لخلوها من الأسباب، والدفع باعتبار الدعوى كأن لم تكن والدفع بسقوط الخصومة أو بإنقضائها والدفع بسقوط أمر الأداء لعدم إعلانه في الميعاد وغيرها الكثير^(٤١).

٤٠- القاضي: رحيم حسن العكيلي، دراسات في قانون المرافعات المدنية، ج ١، مكتبة الصباح، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٢٣٢. وإنظر أيضاً بشأن الدفع التي تتعلق بالنظام العام، د. وجدي راغب، مركز الخصم أمام القضاء المدني، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، جامعة عين شمس، العدد الأول، يناير / ١٩٧٦، سنة ١٨، ص ١٨٦.

٤١- د. كمال عبد الواحد الجوهري، أصول تفسير وتطبيق قواعد المطالبة القضائية في قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار محمود للنشر والتوزيع، القاهرة، (بلا سنة طبع)، ص ٢٥٢.

وأخيراً فقد تحكم الدفوع الشككية مجموعة من القواعد العامة والتي نصت عليها القوانين الإجرائية كقانون المرافعات المدنية العراقي من المواد (٧٣ - ٨٠) فقد بينت بعض الأحكام والقواعد فيما يخص تقديمها أو عدم تقديمها وزمان ومكان القيام بها، وذكرت هذه الأحكام والقواعد في قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري وتحديدًا من المادة (٢٠٨ - ١١٦) من القانون المذكور، أما بالنسبة للمشرع الفرنسي فله موقف يختلف عما ذهب إليه القانون العراقي والمصري إذ يشترط أن تقدم جميع الدفوع الشككية قبل أي دفع موضوعي أو أي دفع يتعلق بعدم القبول حتى لو كانت تلك الدفوع متعلقة بالنظام العام والا سقط الحق في تقديمها^(٤٢).

المطلب الثالث: (مستقطات الدفوع الشككية)

هناك الكثير من الإجراءات والتصرفات التي تكون مانعاً من إبداء الدفوع الشككية، فلا يكفي الزام الخصم بترتيب الدفوع الشككية، بل عليه أن يتقدم بها قبل التعرض لموضوع الدعوى والا سقط الحق فيها، وصور التعرض لموضوع الدعوى عديدة^(٤٣).

ويكون التعرض للموضوع بأن يطلب الخصم رد طلبات خصمه أو أن يناقش خصمه في هذه الطلبات أو أن يتقدم بدعوى حادثة من جانبه أو يطلب التأجيل لأدخال شخص ثالث ضامن فيها^(٤٤)، أو تقديم المستندات التي تثبت براءة ذمته أو طلب التأجيل للأطلاع على مستند قدمه خصمه^(٤٥).

وإذا دفع المدعى عليه بعدم الاختصاص المكاني ثم طلب التأجيل ليثبت بتقديم مستندات معينة براءة ذمته من جزء من الدين وقدم هذه المستندات يكون قد عدل عن حقه في التمسك بعدم الاختصاص وإذا طلب المدعى عليه في أول جلسة محددة لنظر الدعوى تأجيلها لتحقيق الصلح وأجلت الدعوى بناءً على هذا الطلب، فلا يجوز له بعد ذلك التمسك بعدم اختصاص المحكمة^(٤٦).

وكذلك إذا رد المدعى عليه على طلبات خصمه بلائحة جوائية قبل إنعقاد المرافعة وتضمنت التكلم في الموضوع فلا يجوز له بعد ذلك التمسك في الجلسة الأولى بإحالة الدعوى إلى محكمة أخرى للأرتباط أو لعدم اختصاص المحكمة المكاني^(٤٧)، ولا يسقط حق الخصم في الدفع الشكلي إذا تضمنت اللائحة التي قدم فيها الدفع الشكلي كلاماً في الموضوع إذا هو راعى الترتيب الذي اقتضاه القانون^(٤٨).

٤٢- إنظر بهذا الخصوص نص المادة (٧٤) من قانون المرافعات المدنية الفرنسي. وأكثر تفصيلاً بشأن هذا الموضوع إنظر، علي سعود داخل، العيب الجوهرى في الإجراء القضائي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون/ جامعة بابل، ٢٠١٣، ص ٧٥.

٤٣- د. أحمد أبو الوفا، نظرية الدفوع في قانون المرافعات، ط ٨، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٧٢. ولل تفصيل أكثر إنظر: علي غسان أحمد، الدفوع الشككية في الدعوى المدنية "دراسة مقارنة"، إطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية الحقوق / جامعة النهرين، ٢٠٠٨، ص ١٩.

٤٤- إنظر القرار المرقم ١٩١ / مدنية عقار ٩٧٢ في ١٣/٩/١٩٧٢ المنشور في النشرة القضائية، العدد/ ٣، السنة / ٣، تشرين الأول / ١٩٧٤، ص ١١٩.

٤٥- د. محمد العشماوي، د. عبد الوهاب العشماوي، قانون المرافعات في التشريع المصري والمقارن، ج ٢، المطبعة النموذجية، ١٩٥٨، ص ٢٢١.

٤٦- د. أحمد مسلم، أصول المرافعات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٦٩.

٤٧- د. صلاح الدين الناهي، الوجيز في المرافعات المدنية والتجارية، بغداد، ١٩٦٨، ص ٣٣٤.

٤٨- د. وجدي راغب، الموجز في مبادئ القضاء المدني، مصدر سابق، ص ٢١٩.

كما إن المدعى عليه لو طلب من المحكمة المرفوعة أمامها القضية توحيدها مع دعوى أخرى مرفوعة أمامها للأرتباط يسقط حقه في إيراد الدفع بعدم الاختصاص المكاني، وعلة السقوط هذا هو إن المدعى عليه بإبداء ما تقدم قد سَلَمَ ضمناً بصحة الإجراءات وبقيامها أمام محكمة مختصة، رغم إن طلب التوحيد هو بحد ذاته دفع شكلي^(٤٩).

ويسقط الحق في إبداء الدفع الشكلية أيضاً إذا أقرت المحكمة إتفاق الخصوم على عدم السير في الدعوى مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر عملاً بنص المادة (٨٢) من قانون المرافعات المدنية العراقي، فلا يجوز بعد إنتهاء المدة التمسك بأي دفع شكلي وذلك لأن المشرع العراقي عندما أجاز لطرفي الخصومة الاتفاق على وقفها يفترض إنها انعقدت صحيحة^(٥٠).

ولكن لا يسقط حق الخصم في إبداء الدفع الشكلية إذا وقع التأجيل أو إنقطع السير في الدعوى بحكم القانون لوفاة أحد الخصوم أو فقد أهلية الخصومة أو زوال صفة من كان يباشر الخصومة نيابةً عنه ما دامت الدعوى لم تنتهياً للحكم في موضوعها، وهذا ما أشارت إليه صراحةً المادة (٨٤) من قانون المرافعات المدنية العراقي، والسبب يعود هو حتى لا يصدر الحكم في الدفع الشكلي في غفلةٍ منه ويكون مشوباً بالبطلان^(٥١).

وكذلك يسقط حق الخصم في التمسك بالدفع الشكلي عند مبادرته بإبداء دفع بعدم قبول الدعوى، لعدم رفعها مثلاً في الميعاد أو المناسبة المحددة لذلك، أو لرفعها من غير ذي صفة أو لأنتفاء المصلحة القانونية في رفعها، أو لسبق الفصل في موضوعها، وهذا مما أشارت إليه محكمة النقض المصرية في أحد قراراتها^(٥٢).

بينما لا يعد من مسقطات الدفع طلب تأجيل القضية إلى جلسة أخرى دون التكلم في الموضوع أو تحديد جلسة لنظر الدعوى دون أن تقتزن بطلب تأييد الحكم المطعون فيه إستئنافاً وكذلك طلب الإطلاع على الاوراق المتعلقة بالدفع، أو الطعن بتزوير التبليغ أو طلب رد الحاكم^(٥٣).

ولا يسقط الدفع الشكلي لقيام سبب من أسباب الرد الواردة في المادة (٩٣) من قانون المرافعات المدنية العراقي وذلك لأن المادة (١/٩٥) من القانون ذاته أوجبت تقديم طلب الرد قبل الدخول في أساس الدعوى وإلا سقط الحق فيه، وهذا ما أشارت إليه محكمة تمييز العراق في إحدى قراراتها^(٥٤).

تبين بأنه هناك بعض الإجراءات إذا ما قام بها الخصم بنفسه أو من يمثله قانوناً يسقط حقه في إبداء الدفع الشكلية بحيث يُعد ذلك تنازلاً منه أو إهمالاً في اتخاذ بعض الإجراءات أو قد يكون في غفلةٍ منها

٤٩- علي غسان أحمد، مصدر سابق، ص ٢٠.

٥٠- د. محمد العشماوي، د. عبد الوهاب العشماوي، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

٥١- ضياء شيت خطاب، نظرية الدفع أمام القضاء، بحث منشور في مجلة التدوين القانوني، العدد/ ٢، السنة الأولى، مطبعة البرهان، بغداد، ١٩٦٢، ص ٢٥.

٥٢- إنظر قرار محكمة النقض المصرية (نقض ١٢/٢٣/١٩٦٩، السنة ٢٠/، ١٢٩٦،) أشار إليه د. أحمد ابو الوفا، التعليق على نصوص قانون المرافعات، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٥٥٩.

٥٣- عبد الرحمن العلام، شرح قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ مع المبادئ القانونية لقرارات محكمة تمييز العراق، ج ٢، ط ٢، ٢٠٠٩، ص ٣٠٠.

٥٤- إنظر قرار محكمة تمييز العراق (القرار رقم ١٧٠ / مدنية أولى، ٩٧٧ في ١٩٧٧/٧/٢١)، منشور في مجلة الأحكام العدلية، العددان ٣ و ٤، السنة الثامنة، ١٩٧٧، ص ١٦٠.

فيضيغ حقه في الرد بالدفع الشككية والتي يهدف من ورائها المدعى عليه تضييع الفرصة على المدعي في كسب دعواه.

المبحث الثالث: (الدفع بعدم القبول)

إبتداءً يعد الدفع بعدم قبول الدعوى الوسيلة الإجرائية التي حددها القانون للمدعى عليه للتمسك بتخلف الشروط القانونية الواجب توافرها في الدعوى القضائية والتي تكون لازمة لقبول هذه الدعوى، على إعتبار إن الدعوى هي مجموعة من الإجراءات القضائية الإصولية التي يتطلبها القانون لغرض صحة وقبول هذه الدعوى، لاشك إن المادة (٢) من قانون المرافعات المدنية العراقي قد عرفت الدعوى بأنها (طلب شخص حقه من آخر أمام القضاء)، أما المادة (٦) من القانون ذاته فذكرت بأنه (يشترط في الدعوى أن يكون المدعى به مصلحة معلومة وحالة وممكنة ومحقة.....).

فتتركز هذه الشروط في شرط المصلحة وأوصافها القانونية، فإذا لم تتوافر هذه الاوصاف أو إذا لم تتوافر هذه المصلحة فيتولد للمدعى عليه حق إجرائي في التمسك بعدم قبول الدعوى، وهذا الدفع هو وسيلة ترمي إلى إنكار وجود الدعوى مطالباً بالقبول بعدم جوازها أو لإنتفاء أحد شروط قبولها، كالصفة أو المصلحة من وراء رفع الدعوى، أو لأنعدام الحق في رفعها أو لسقوط الحق لسبق الصلح فيها أو لأنقضاء المدد المحددة لرفعها، وغيرها الكثير من الاسباب التي تدفع المدعى عليه بالطلب من القضاء بعدم قبول دعوى المدعي.

ولأجل بيان هذا المبحث بشكل أكثر دقة وإفادة للمعنى لابد من تقسيمه على ثلاثة مطالب، سيكون المطلب الأول بعنوان: التعريف بالدفع بعدم القبول، وخصصنا المطلب الثاني لبيان التمييز بين انواع الدفع المختلفة، ونبين في المطلب الثالث أحكام الدفع بعدم القبول، والتفاصيل على النحو الآتي:

المطلب الأول: (التعريف بالدفع بعدم القبول)

إن الدفع بعدم القبول هو إحدى الإجراءات التي يحتمي بها المدعى عليه من دعوى المدعي خوفاً من أن تتضرر مصالحه تعسفاً وبدون وجه حق من الطرف الآخر، فقد تم تعريفه بأنه ((هو ذلك الدفع الذي يوجه إلى حق المدعي في رفع الدعوى بهدف إنكار هذا الحق إستناداً لعدم توافر شروطه، ومن ثم منع المحكمة من نظر الدعوى المرفوعة إليها))^(٥٥)، ومثاله الدفع بعدم قبول الدعوى لرفعها من غير ذي صفة، أو لسابقة الفصل فيها، أو لأنتفاء المصلحة، أو لعدم إتخاذ إجراء كان يجب أن يسبق رفع الدعوى وغيرها. وفي تعريف آخر الدفع بعدم القبول هو (كل دفع يقصد به عدم قبول دعوى الخصم دون المساس بموضوع الدعوى وذلك بسبب إنقضاء حق التقاضي، كما في حالة فقد الصفة أو المصلحة أو بسبب التقادم أو السقوط أو بسبب سبق الفصل في الدعوى)^(٥٦).

٥٥- د. محمد الروي، الدفع بالإحالة، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٥. د. نبيل اسماعيل عمر، الدفع بعدم القبول ونظامه القانوني، منشأة المعارف، ١٩٨١، ص ٦١٣. إستاذنا د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون أصول المحاكمات المدنية، مصدر سابق، ص ٢٨٣.

٥٦- د. عبد الحكم فوده، الدفع بانتفاء الصفة أو المصلحة في المنازعات المدنية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١٢.

وعرفه أيضاً بأنه (دفع يوجه إلى حق الخصم في رفع الدعوى، ويهدف إلى منع المحكمة من النظر فيها كالدفع بعدم قبول الدعوى لأنتفاء المصلحة، أو رفعها بعد فوات الميعاد، أو لسبق الفصل فيها)^(٥٧)، وعرفه آخرون بأنه (الوسيلة الإجرائية التي حددها المشرع للتمسك بتخلف الشروط القانونية الواجب توافرها في الدعوى القضائية والتي تكون لازمة لقبول هذه الدعوى)^(٥٨).

ومن خلال النظر إلى التعريفات المذكورة آنفاً بدورنا نرجح ونذهب مع ما ذهب إليه التعريف الأخير على اعتبار إن الدفع هو وسيلة إجرائية تحمي المدعى عليه هذا أولاً وثانياً إن هذا التعريف لم يحصر حالات قبول الدفع بتعداد معين مثلما فعلت التعريفات الأخرى، إذ جعل للقاضي سلطة تقديرية واسعة في معرفة الشروط القانونية الواجب توافرها في الدعوى القضائية دون الإشارة إلى شرط الصفة أو المصلحة أو التقادم أو غيرها، لأن ذلك يضيق من سلطة القاضي عند نظره الدعوى المرفوعة أمامه.

أما موقف القوانين الإجرائية من الدفع بعدم القبول فنلاحظ إن قانون المرافعات المدنية العراقي لم يعرف هذا المصطلح وحسناً فعل وإنما أشار إلى حالة واحدة من حالات الدفع بعدم القبول وتحديداً في نص المادة (٨٠) من القانون ذاته عندما نصت على أنه (١- إذا كانت الخصومة غير متوجهة تحكم المحكمة ولو من تلقاء نفسها برد الدعوى دون الدخول في أساسها. ٢- للخصم أن يبدي هذا الدفع في أية حالة تكون عليها الدعوى)^(٥٩).

ومن خلال النظر إلى هذا النص تبين إن المشرع إعتبر الدفع بعدم توجه الخصومة من النظام العام، فقد أوجب على المحكمة عندما تكون الخصومة غير متوجهة أن تحكم ولو من تلقاء نفسها برد الدعوى فضلاً عن إعطاء هذا الحق إلى الخصم في أن يتقدم بهذا الدفع وفي أية حالة تكون عليها الدعوى، وهذا ما أكدت عليه محكمة التمييز العراقية في إحدى قراراتها^(٦٠).

أما قانون المرافعات المدنية الفرنسي فقد عرف الدفع بعدم القبول في المادة (١٢٢) منه بأنه (كل دفع ينكر به الخصم دعوى خصمه، دون المساس بالموضوع وذلك بسبب إنتفاء حق التقاضي، كما في حالة فقد الصفة أو المصلحة أو بسبب التقادم أو السقوط أو سبق الفصل في الدعوى).

ومن الجدير بالذكر فقد اختلف الفقه في تحديد الطبيعة القانونية لهذا الدفع فذهب جانب من الفقه إلى أن الدفع بعدم القبول يخضع لأحكام الدفع الشككية إذا كان سبب البطلان يرجع إلى عيب في الإجراء القضائي^(٦١)، وذهب رأي آخر إلى أن الدفع بعدم القبول يحتل مركزاً وسطاً بين الدفع الشككية والدفع

٥٧- د. أحمد السيد صاوي، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٤٣.

٥٨- مصطفى مجدي هرجه، الموسوعة القضائية في المرافعات المدنية والتجارية، ج ١، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٨٣.

٥٩- ومن الجدير بالذكر أن بقية التشريعات أيضاً لم تعرف هنا المصطلح القانوني وإنما اشارت إلى أكثر من حالة في الدفع بعدم

القبول، مثل قانون أصول المحاكمات المدنية الاردني رقم (٢٤) لسنة ١٩٨٨ أشار إلى مثل هذه الحالات في المواد (١٢١/١، ٢١٨ /

٢)، وكذلك قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري اشار إلى حالات الدفع بعدم القبول في المواد (٤٤، ١٢٨، ١٥٧)، وبنفس

المفهوم إنظر نص المادة (١٠٥) من قانون الاثبات العراقي رقم (١٠٧) لسنة ١٩٧٩ المعدل.

٦٠- إنظر قرار محكمة التمييز الرقم (٢٨٢) / ٣م - ٨٣ / ٨٤ في ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٣ المنشور في مجلة الأحكام العدلية، العدد/

١، ١٩٨٣، ص ٧٩.

٦١- د. إبراهيم نجيب سعد، القانون القضائي الخاص، الاسكندرية، ١٩٧٤، ص ٦٥٦. ود. فححي والي، الوسيط في قانون القضاء

المدني، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٥٤٨. وإستاذنا د. عباس العبودي، شرح احكام قانون المرافعات المدنية، مصدر سابق، ص ٣٤٣.

الموضوعية، لأنها لا توجه إلى إجراءات الدعوى ولا تتناول الحق ذاته وإنما تتناول الوسيلة التي يحمي بها صاحب الحق حقه^(٦٢).

أما من جانبنا فقد تنفق مع الرأي الذي تذكره محكمة النقض المصرية والتي إعتبرت الدفع بعدم القبول الأصل فيه أنه ذو طبيعة مختلطة غير أنه يغلب عليه وصف الدفع الموضوعية متى كان مبناه يتحصل في طلب طرح المتمسك بالدفع، المسؤولية عن نفسه تأسيساً على أنه غير ملزم بصفته الشخصية قبل المدعي بأي التزام وإنما الملزم شخص آخر.

وفيما يلي نص القرار (إن الدفع بعدم قبول الدعوى لإنتفاء الصفة، هو دفع موضوعي متى كان مبناه يتحصل في طلب طرح المتمسك بالدفع المسؤولية عن نفسه، تأسيساً على أنه غير ملزم بصفته قبل المدعي بأي التزام وإنما الملزم شخص آخر)^(٦٣).

فيتضح من خلال ما تقدم إن أغلب الفقهاء قد تناولوا تعريفاً للدفع بعدم القبول، بينما عرفت الكثير من التشريعات عن إيراد تعريف له باستثناء ما جاءت به المادة (١٢٢) من قانون المرافعات الفرنسي بتعريفها للدفع بعدم القبول.

المطلب الثاني: (التمييز بين أنواع الدفع المختلفة)

تشترك الدفع بصفة عامة بصفات يتميز بها كل دفع عن الآخر وتبدو أهمية التمييز بين هذه الأنواع الثلاثة سابقة الذكر من خلال التركيز على عدة نقاط مهمة منها التمييز بينهما من حيث الوقت المعين للتقدم بكل دفع، فضلاً عن بيان سلطة المحكمة في إثارتها من تلقاء نفسها، ثم بيان حجية الحكم الصادر فيه وأثره على مدى زوال سلطة المحكمة لولايتها بنظر النزاع، وغير ذلك من الأمور الإجرائية التي تستوجب التمييز بين هذه الدفع.

فإبتداءً إن الدفع الموضوعية الأصل فيها أنه يجوز الإدلاء بها في أي دور من أدوار المحاكمة وحتى نهايتها، بينما الدفع الشككية فأن الأصل فيها أن الدفع يكون قبل الدفع الموضوعية والا يسقط الحق بالمتمسك بها، فإذا دفع المدعى عليه بانقضاء الدين بالوفاء مثلاً ثم دفع بعد ذلك بعدم إختصاص المحكمة المكاني وهو دفع شكلي، فلا يقبل منه هذا الدفع لأن من الواجب عليه إبداءه قبل الدفع الموضوعية وقبل الدخول بأساس الدعوى ذلك لأن الدفع الشككية إنما هي قاصرة على مسائل شككية ولا تؤثر على موضوع الحق ولهذا يجب إبداءها قبل الدفع الموضوعية وإلا سقط الحق بها، وهذا مما أشار إليه قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري وتحديداً في نص المادة (١٠٨) منه^(٦٤)، ولكن يستثنى من ذلك الدفع الشككية المطلقة والمتعلقة بالنظام العام إذ يجوز إبداءها في أية حالة تكون عليها الدعوى^(٦٥).

٦٢- د. محمد علي الصوري، التعليق المقارن في مواد قانون الإثبات، ج ٣، ١٩٨٣، ص ٩٥٦. ود. عبد المنعم الشرفاوي، المرافعات المدنية والتجارية، مصر، ١٩٧٧، ص ١٣٥. ود. رمزي سيف، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٤٢٣. والاستاذ ضياء شيت خطاب، الوجيز في شرح قانون المرافعات المدنية، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٢٠.

٦٣- إنظر قرار محكمة النقض المصرية (نقض مدني جلسة ١٠/٤/١٩٧٤، مجموعة المكتب الفني - السنة ٢٥/ الطعن رقم ١٦٢/، السنة ٣٨، ص ١٤٠)، أشار إليه استاذنا د. عباس العبودي، شرح احكام قانون إصول المحاكمات المدنية، مصدر سابق، ص ٢٨٣.

٦٤- إنظر بالمعنى نفسه نص المادة (١١٠) من قانون إصول المحاكمات المدنية الأردني، وإنظر أيضاً، الاستاذ عبد الوهاب عرفه، الشامل في المرافعات المدنية، الدعوى المدنية وإجراءاتها، ط ١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٧٨.

٦٥- إنظر نص المادة (١١١) من قانون إصول المحاكمات المدنية الأردني.

أما الدفع بعدم القبول فيتفق مع الدفع الموضوعية، إذ يجوز للخصم إبداءه في أية حالة تكون عليها الدعوى لأن هذا الدفع يتعلق بالنظام العام، وقد أجازت المادة (٦٣) من قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني للقاضي أن يحكم بتعويض الضرر الذي ينجم عن إساءة الخصم لرخصة الادلاء بدفع عدم القبول وعدم استعماها في الوقت المناسب، وإنما يتأخر في ذلك بقصد إطالة أمد النزاع، ويكون طلب التعويض في هذه الحالة بناءً على طلب الخصم المتضرر^(٦٦).

أما سلطة المحكمة في إثارة الدفع فطبقاً لمبدأ حياد القاضي فإن المحكمة لا يجوز لها إثارة الدفع الموضوعية من تلقاء نفسها كقاعدة عامة إلا إذا كانت هذه الدفع تتعلق بالنظام العام، والدفع الشكلية أيضاً فإنها عند تعلّقها بالنظام العام كما هو الحال بالدفع بعدم اختصاص المحكمة لأنتفاء ولايتها أو بسبب نوع الدعوى أو قيمتها فإن على المحكمة أن تثير هذا الدفع من تلقاء نفسها^(٦٧) وتتفق أيضاً الدفع بعدم القبول مع الدفع الشكلية لأن الدفع بعدم القبول في الغالب يتصل بقاعدة قانونية تتعلق بالنظام العام، ولذلك يجب على المحكمة أن تثيره من تلقاء نفسها.

فضلاً عن ذلك فإن الحكم الصادر بقبول الدفع الموضوعي يترتب عليه إنهاء النزاع في أصل الحق، فهو حكم نهائي يكتسب حجية الشيء المقضي فيه^(٦٨)، فلا تصح المطالبة به أمام المحكمة التي اصدرت الحكم أو أمام أي محكمة أخرى، أما الحكم الصادر بقبول الدفع الشكلي فهو لا يمس أصل الحق وبالتالي لا يكتسب حجية الشيء المقضي فيه، ولا يؤدي إلى إنهاء النزاع، وبناءً عليه فإن هذا الدفع لا يمنع من إقامة ذات الدعوى مرة ثانية للمطالبة بالحق نفسه إذا ما صحح الإجراء الذي طعن فيه، ويتفق الدفع بعدم القبول مع الدفع الشكلية بالنسبة للحكم الصادر فلا يكتسب حجية الشيء المقضي فيه ويجوز إقامة الدعوى وتجديدها مرة ثانية، طالما لم يسبق الفصل في موضوعها^(٦٩).

أما من حيث إنهاء ولاية المحكمة في الدفع فطالما كان الحكم الصادر في الدفع الموضوعي يمس أصل الحق، أي لا يصدر إلا بعد بحث الحق في الموضوع ويصبح الحكم حائزاً لحجيته نهائياً فإنه أيضاً يخرج الدعوى من يد المحكمة فتستنفذ ولايتها ولا يجوز لها أن تفصل فيه من جديد أما الدفع الشكلية فإنها توجه إلى إجراءات الدعوى ودون بحث الحق في الموضوع، وإن إنتهاء النزاع بصور حكم إجرائي بعدم قانونية الدعوى لا يجعل المحكمة مستنفذة لولايتها تجاه الموضوع لأنها لم تفصل فيه وإنما عليها أن تقرر إعادة الدعوى إلى محكمة الدرجة الأولى للنظر في الموضوع^(٧٠).

٦٦- استاذنا د. عباس العبودي، شرح احكام قانون أصول المحاكمات المدنية، مصدر سابق، ص ٢٨٥، وبشأن هذا الموضوع أنظر أكثر تفصيلاً، عبد الرحمن العلام، شرح قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل مع المبادئ القانونية لقرارات محكمة تمييز العراق، ج ١، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١٢١. وهشام زوين، موسوعة الدفع المدنية والدفع الإجرائية، مصدر سابق، ص ٤٧.
٦٧- إنظر بالمعنى نفسه نص المادة (١١١) من قانون أصول المحاكمات المدنية الأردني سابق الذكر.
٦٨- إنظر نص المادة (٤١) من قانون البيّنات الأردني رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٢ المعدل بالقانون رقم (١٦) لسنة ٢٠٠٥، وبفهم المعنى إنظر د. محمود محمد الكيلاني، موسوعة القضاء المدني، أصول المحاكمات والمرافعات المدنية، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص ٢١٨.
٦٩- إنظر أكثر تفصيلاً بشأن التمييز بين الدفع، الاستاذ عبد الوهاب عرفه، مصدر سابق، ص ٧٨.
٧٠- إنظر بهذا الخصوص نص المادة (١٨٨) من قانون أصول المحاكمات المدنية الأردني.

أما الحكم في الدفع بعدم القبول فإن محكمة الدرجة الأولى لا تستنفذ ولايتها بالحكم إذا لم يتعرض هذا الحكم لمبحث الموضوع لأن الأصل أن إستئناف هذا الحكم لا يطرح النزاع بصورة كلية على محكمة الدرجة الثانية، وإنما يطرح فقط مسألة القبول وذلك حتى لا يحرم الخصم درجة من درجات التقاضي^(٧١).

فيتضح من كل ما تقدم بأنه إذا توافرت في الدعوى عدة دفع فيجب على الخصم أن يبدأ بالدفع الشككية كما أن هذه الدفع يتقدم بعضها على البعض الآخر فمثلاً يجب الدفع بعدم الاختصاص المكاني أو بطلان تبليغ لائحة الدعوى قبل أي دفع أو طلب آخر والا سقط الحق فيه لأن المحكمة تفصل في هذه الدفع قبل التعرض لموضوع الدعوى، وظهر بأن هناك حالات تشابه واختلاف بين أنواع الدفع المذكورة ويتم التعامل بهذه الدفع من قبل القضاء وفق ضوابط ومحددات قانونية لا تقبل النقاش أو التأويل لأن البعض منها يتعلق بمسألة النظام العام وتحقيق التوازن الإجرائي بين الخصوم.

المطلب الثالث: (أحكام الدفع بعدم القبول)

رغم خصوصية الدفع بعدم القبول إلا أنه لم ينظم بشكل كافٍ وفي الغرض المطلوب من قبل بعض التشريعات، فقانون المرافعات المدنية العراقي لم يشير إلى ذلك إلا في المادة (٨٠) منه فقط سابقة الذكر وهي لا ترقى إلى أهمية الإجراءات القضائية التي ترفع من المدعي ضد المدعى عليه، وما يستحقه من الحماية من تعسف الطرف الآخر.

أما القضاء والفقه المصري فقد إستخلص من نص المادة (١١٥) مرافعات مدنية مصري مجموعة من الأحكام والقواعد فيما يتعلق بالدفع بعدم القبول وهي:

١. يُبدي الدفع بعدم قبول الدعوى في أية حالة تكون عليها الدعوى، ولو لأول مرة في الاستئناف، ولكن لا يُبدي في النقض لأول مرة إلا إذا كان متعلقاً بالنظام العام.
٢. إن الدفع بعدم قبول الدعوى لا يتعلق بالنظام العام إلا إذا نص القانون على ذلك مثل الدفع بعدم قبول الطعن لرفعه في غير ميعاده.
٣. الدفع بإنكار صفة المدعي أو المدعى عليه من النظام العام، حتى لا تزدحم المحاكم وتشغل بقضايا غير جدية لا يفيد منها أحد.
٤. الدفع بعدم قبول الدعوى لسابقة الفصل فيها أصبح من النظام العام عملاً بالمادة (١١٦) مرافعات مصري.
٥. في بعض الأحوال يترتب على قبول الدفع بعدم القبول إنهاء النزاع على أصل الحق كما في حالة عدم قبول الطعن لرفعه بعد الميعاد، وفي بعض الأحوال يترتب على قبول الدفع إنهاء الخصومة وحدها كما في حالة عدم قبول الطعن لرفعه قبل الميعاد.

٧١- للتفصيل أكثر بشأن هذا الموضوع انظر: عبد الرحمن العلام، شرح قانون المرافعات المدنية، ج١، ط١، مصدر سابق، ص١٢٢. وإستاذنا د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون إصول المحاكمات المدنية، مصدر سابق، ص٢٨٦.

٦. لا يترتب على استئناف الحكم بقبول الدفع بعدم القبول طرح النزاع برمته على محكمة الاستئناف، وإنما ولايتها تقتصر على مجرد الفصل في الدفع بعدم القبول (٧٢).

أما في قانون المرافعات المدنية الفرنسي فقد كان هناك عدة أحكام وقواعد تنظم الدفع بعدم القبول، فقد أجازت المادة (١٢٣) منه إبداء الدفع بعدم القبول في أية حالة تكون عليها الدعوى، مع عدم الإخلال بالحكم بالتعويضات إن كان لها وجه على من يعتمد التمسك به متأخراً بقصد تأخير نظر الدعوى.

وتجيز المادة (١٢٤) من القانون ذاته التمسك بالدفع بعدم القبول دون حاجة إلى إثبات حصول أي ضرر، كما تجيز المادة (١٢٥) من القانون المذكور للقاضي أن يثير من تلقاء نفسه عدم قبول الدعوى إذا كان متعلقاً بالنظام العام، وفي حالة انتفاء المصلحة أو عدم مراعاة مواعيد الطعن بالأحكام.

كما تنص المادة (١٢٦) منه على أنه لا يحكم بعدم قبول الدعوى إذا زال سبب عدم قبولها، وذلك في الأحوال التي يجوز فيها تصحيح شكل الدعوى، كما لا يحكم بعدم قبولها إذا أصبح صاحب الصفة خصماً فيها بشرط أن يتم ذلك في خلال الميعاد المقرر لإقامتها.

ومن الجدير بالذكر أن من أبرز صور الدفع بعدم قبول الدعوى، السقوط الذي يقصد به ضياع الحق بسبب عدم مباشرته في المدة المحددة قانوناً، كالدفع بعدم قبول دعوى الحيازة إذا رفع الخصم دعوى الملكية وخسر الدعوى وهذا ما أشارت إليه المادة (١/١٢) من قانون المرافعات المدنية العراقي.

وعلى أية حال إذا كان الدفع متعلقاً بالإجراءات والتي لا يراعى فيها مصلحة الخصم وإنما المصلحة العامة ومن ثم فإنه يتعلق بالنظام العام، فالمحكمة هنا تقضي به من تلقاء نفسها ولو لم يتمسك به الخصم، وهناك حالات أخرى يتعين أن يتمسك الخصم بالدفع بعدم القبول وأنه يدي به قبل التكلم في الموضوع والا عد تنازلاً عنه، ومنها على سبيل المثال الدفع بعدم قبول الدعوى من عديمي الأهلية أو ناقصيها، أو عدم قبول دعوى منع التعرض لرفعها بعد سنة من حصوله (٧٣).

ومن أهم آثار الدفع بعدم قبول الدعوى بعد قبول القاضي وصدور الحكم فيها هو زوال إجراءات الخصومة وزوال جميع الآثار الأخرى التي ترتبت على قيامها (٧٤)، ومن الآثار الأخرى على هذا هو أن يصبح الحكم الصادر بقبول الدفع في هذه الحالات حائزاً لقوة الأمر المقضي ومستنفذاً لولاية المحكمة التي أصدرته ومن ثم يكون حجّةً أمام المحاكم الأخرى فيمنع من تجديد الدعوى محل الدفع (٧٥).

يتضح من كل ما تقدم إن للدفع بعدم القبول أحكاماً تميزه عن غيره من الدفوع الأخرى من حيث وقت إبدائه واستنفاد ولاية المحكمة بالبت فيه وحجية الأمر المقضي بعد إصدار الحكم به وغيرها من الأحكام كل ذلك وسائل إجرائية تنظيمية يهدف المشرع من ورائها إلى حماية المدعى عليه من الدعوى التي يرفعها المدعي، ولتحقيق الموازنة الإجرائية بين الأطراف المتنازعة.

٧٢- انظر أكثر تفصيلاً بشأن الدفع بعدم القبول وأحكامه، د. كمال عبد الواحد الجوهري، أصول تفسير وتطبيق قواعد المطالبة القضائية في قانون المرافعات المدنية والتجارية، مصدر سابق، ص ٢٦٨.

٧٣- المستشار: فرج علواني هليل، الدفوع في المواد المدنية والتجارية، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٨، ص ٧٩٢.

٧٤- د. عبد الوهاب خيرى علي العاني، نظام المرافعات دراسة فقهية مقارنة بين الشريعة والقانون المدني الاردني، ط ١، المركز القومي للأصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٦٦٢.

٧٥- د. احمد خليفة شرقاوي، الدفع بعدم الاختصاص دراسة تاصيلية مقارنة بين الفقه الإسلامي وقانون المرافعات المدنية والتجارية، دار شتات للنشر والبرمجيات، مصر، ٢٠١١، ص ١٥٣.

الخاتمة:

بعد بيان موضوع البحث الموسوم بالوسائل الإجرائية لاستعمال الحق في الدعوى المدنية والتركيز على الدفوع المختلفة والتي يحتمي بها المدعى عليه من الدعوى المرفوعة ضده من المدعي، وبيان التعريف بكل دفع وخصائصه وأحكامه، ثم بيان ما هي أوجه الشبه والاختلاف بين الدفوع المختلفة من خلال تناول وبحث التمييز بينهما، فقد توصلنا في النهاية إلى مجموعة من النتائج والمقترحات وهي على النحو الآتي:

أولاً: النتائج:

١. تبين لنا بأن الدفع الموضوعي هو دعوى ولكن من جانب المدعى عليه والغاية منه هو رد دعوى المدعي لكي يحافظ على مصالحه من الأخير لكي لا تتضرر وبالتالي سوف يخسر الدعوى.
٢. تبين إن للدفع أهمية بشكل عام في وصول الحق إلى أصحابه وإنها الأساس في ممارسة الخصوم لحق التقاضي الذي كفله الدستور وقانون المرافعات المدنية العراقية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل، وإن ممارسة الأشخاص حقهم في الدفاع عن مصالحهم والحفاظ على حقوقهم وفق الضوابط والإجراءات المنصوص عليها في القانون تعد ممارسة لهم في التعبير عن حريتهم.
٣. إن صدور حكم في الدفع الموضوعية يترتب عليه إنهاء النزاع وإمتناع إقامة الدعوى مجدداً بذلك، لأن الحكم الصادر فيها يكتسب حجية مطلقة في مواجهة الكافة وواجب إحترامه من قبل الجميع.
٤. إن الدفوع الموضوعية تندمج في موضوع الدعوى وعلى هذا الأساس لا تلتزم المحكمة بالفصل فيها على حده وإنما تفصل فيها مع موضوع الدعوى ويجوز ذلك القرار حجية الأمر المقضي فيه بالنسبة للموضوع.
٥. تبين أن الدفوع الشكلية هي الدفوع التي توجه إلى إجراءات الخصومة لغرض إستصدار حكم برد الدعوى من دون الفصل في موضوعها، أو يؤدي إلى تأخير الفصل فيها.
٦. إن التمسك بالدفع الشكلية والنجاح في تقديمها يترتب عليه وقف لحق موضوع الطلب الأصلي من دون أن يمنع من تجديده أو تصحيحه حسب الأحوال في وقت لاحق وبإجراءات جديدة.
٧. لقد أوجب المشرع على الخصوم إبداء الدفوع الشكلية قبل الدخول في أساس الدعوى، وإستثنى من ذلك الدفوع المتعلقة بالنظام العام، إذ أجاز إبداءها في أية مرحلة تكون عليها الدعوى، بل أجاز إثارتها ولو لأول مرة أمام محكمة التمييز، ولو من تلقاء نفسها وبدون طلب من أحد.
٨. القرار الصادر في الدفع الشكلي لا يمس أصل الحق وبالتالي لا يترتب عليه إنهاء النزاع، إنما يترتب عليه إنهاء الخصومة وهو لا يجوز حجية الحكم المقضي به، ويجوز الطعن بالقرار الصادر بشأنه سلباً أو إيجاباً.
٩. تبين إن الهدف من الدفع بعدم القبول هو لحماية مصالح المدعى عليه التي قد تتضرر من دعوى المدعي تعسفاً وبدون وجه حق.
١٠. إذا كان الدفع بعدم القبول يتعلق بالإجراءات التي تتعلق بالمحافظة على النظام العام فالمحكمة تقضي به من تلقاء نفسها، ولو لم يتمسك الخصم بها.

ثانياً: المقترحات:

١. من خلال البحث لاحظنا بأن هناك تفاوتاً واختلافاً في كيفية تطبيق الإجراءات الخاصة بالدفع والمرافعة من قانون لآخر، فعليه نقترح سن قانون موحد لقانون المرافعات المدنية في البلاد العربية والاسلامية لكي يعالج المواد القانونية بهذا الشأن معالجة موحدة وشاملة لكي تسهل مهمة إجراء تقديم الدفوع والمرافعات على الصعيد العربي من أجل توحيد الحلول وعدم تعقيدتها بين دولة وأخرى ولكي يكون الخطوة الأولى نحو توحيد أغلب فروع القانون المختلفة.
٢. نوصي القضاء العراقي بالأخذ بالمعيار الذي يميز الدفوع الموضوعية عن غيرها تماشياً مع الفقه والقضاء المقارن، وهذا المعيار يكمن في مدى تعلق الدفع بموضوع الدعوى.
٣. على المشرع العراقي أن يضمن في نصوصه الخاصة بالدفع حالة الإكراه في ممارسة الإجراءات القضائية والجزاء المترتب عنه.
٤. نقترح إضافة النص الآتي على النصوص الموجودة في قانون المرافعات المدنية الخاصة بالدفع (إذا تكررت الدفوع الشكلية الكيدية أكثر من مرة يتعرض من يمارسها إلى إجراءات دعوى تضليل القضاء وللمحكمة ان تحكم على مقدمها بالغرامة المناسبة).
٥. نقترح أن يميز النص القانوني إستثناء بعض الحالات التي يمكن تقديم الدفع الشكلي فيها في كافة مراحل الدعوى، على أن يكون لمحكمة الموضوع صلاحية الحكم بالغرامة إذا ما قدم الدفع الشكلي المشمول بالاستثناءات في وقت متأخر.
٦. ضرورة تفعيل دور المؤسسات القضائية والاهتمام بالبنى التحتية والعمل على إيجاد تعاون مشترك بين الاقطار العربية فيما يخص العمل القضائي، لتسهيل مهمة إيجاد الحلول للمنازعات المشتركة بين دولتين.

المصادر:

أولاً: الكتب القانونية:

١. د. إبراهيم نجيب سعد، القانون القضائي الخاص، الاسكندرية، ١٩٧٤.
٢. د. أحمد ابو الوفا، نظرية الدفوع في قانون المرافعات، ط ٨، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٨٨.
٣. د. أحمد أبو الوفا، نظرية الدفوع في قانون المرافعات، ط ٨، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٠.
٤. د. أحمد ابو الوفا، التعليق على نصوص قانون المرافعات، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٧.
٥. د. أحمد مسلم، إصول المرافعات، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١.
٦. د. أحمد السيد صاوي، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧.
٧. د. أحمد خليفه شرقاوي، الدفع بعدم الاختصاص دراسة تاصيلية مقارنة بين الفقه الإسلامي وقانون المرافعات المدنية والتجارية، دار شتات للنشر والبرمجيات، مصر، ٢٠١١.

٨. د. آدم وهيب النداوي، المرافعات المدنية، ط ٣، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ٢٠١١.
٩. د. حلمي محمد الحجار، الوجيز في أصول المحاكمات المدنية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٧.
١٠. رحيم حسن العكيلي، دراسات في قانون المرافعات المدنية، ج ١، مكتبة الصباح، بغداد، ٢٠٠٦.
١١. د. رمزي سيف، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، القاهرة، ١٩٦٩.
١٢. د. رؤوف عبيد، ضوابط تسبب الأحكام الجنائية، ط ٢، مطبعة الاستقلال الكبرى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧.
١٣. صادق حيدر، شرح قانون المرافعات المدنية، دراسة مقارنة، مكتبة السنهوري، ٢٠١١.
١٤. د. صلاح الدين الناهي، الوجيز في المرافعات المدنية والتجارية، بغداد، ١٩٦٨.
١٥. ضياء شيت خطاب، الوجيز في شرح قانون المرافعات المدنية، بغداد، ١٩٧٣.
١٦. إستاذنا د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون أصول المحاكمات المدنية، ط ١، دار الثقافة والنشر، عمان، ٢٠٠٤.
١٧. إستاذنا د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون أصول المحاكمات المدنية، ط ١، الاصدار الثاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٧.
١٨. إستاذنا د. عباس العبودي، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية، ط ١، مكتبة السنهوري، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٦.
١٩. د. عبد الحكم فوده، الدفع بانتفاء الصفة أو المصلحة في المنازعات المدنية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٧.
٢٠. د. عبد الحكم فوده، الدفع بعدم جواز نظر الدعوى المدنية، منشأة المعارف بالاسكندرية، ٢٠٠٧.
٢١. عبد الرحمن العلام، شرح قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل مع المبادئ القانونية لقرارات محكمة تمييز العراق، ج ١، ط ١، ٢٠٠٩.
٢٢. عبد الرحمن العلام، شرح قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل مع المبادئ القانونية لقرارات محكمة تمييز العراق، ج ٢، ط ٢، ٢٠٠٩.
٢٣. عبد الوهاب عرفه، الشامل في المرافعات المدنية، الدعوى المدنية وإجراءاتها، ط ١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠٠٩.
٢٤. د. عبد الوهاب خير علي العاني، نظام المرافعات دراسة فقهية مقارنة بين الشريعة والقانون المدني الاردني، ط ١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٤.
٢٥. د. عبد المنعم الشرقاوي، المرافعات المدنية والتجارية، مصر، ١٩٧٧.
٢٦. عز الدين الديناصوري، حامد عكاز، التعليق على قانون المرافعات، ج ٢، ط ٢، مطبعة رمضان، مصر، ٢٠٠٥.
٢٧. د. عبد الكريم الطالب، الشرح العملي لقانون المسطرة المدنية، ط ٥، نشر وتوزيع مطبوعات المعرفة مراكش، ٢٠٠٨.
٢٨. عبد العزيز سليم، الموسوعة الذهبية في الدفع، ١٩٩٥.

٢٩. د. عصمت عبد المجيد بكر، شرح أحكام قانون المرافعات المدنية في ضوء آراء الفقه وأحكام القضاء، مكتبة السنهوري، دار السنهوري، بيروت، ٢٠٠٩.
٣٠. د. علي بركات، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، ط ١، دار النهضة العربية، ٢٠١٦.
٣١. د. عماد حسن سلمان، شرح قانون المرافعات المدنية، مكتبة السنهوري، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٩.
٣٢. د. فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني، القاهرة، ١٩٨٧.
٣٣. د. فتحي والي، التنفيذ الجبري، ١٩٩٨.
٣٤. المستشار: فرج علواني هليل، الدفع في المواد المدنية والتجارية، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٨.
٣٥. د. كمال عبد الواحد الجوهرى، اصول تفسير وتطبيق قواعد المطالبة القضائية في قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار محمود للنشر والتوزيع، القاهرة، (بلا سنة طبع).
٣٦. د. محمد نصر محمد، أصول الدفع والمحاكمات، ط ١، دار الراجية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.
٣٧. د. محمد الروبي، الدفع بالإحالة، ط ٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٣.
٣٨. د. محمد علي الصوري، التعليق المقارن في مواد قانون الإثبات، ج ٣، ١٩٨٣.
٣٩. د. محمد العشماوي، د. عبد الوهاب العشماوي، قانون المرافعات في التشريع المصري والمقارن، ج ٢، المطبعة النموذجية، ١٩٥٨.
٤٠. مدحت الحمود، شرح قانون المرافعات المدنية العراقي، ط ٤، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠١١.
٤١. مدحت الحمود، شرح قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته العملية، ط ١، ٢٠٠٥.
٤٢. مدحت محمد سعد الدين، نظرية الدفع في قانون الإجراءات الجنائية، ط ٢، ٢٠٠٣.
٤٣. د. محمود هاشم، قانون القضاء المدني، ج ١، ١٩٨١.
٤٤. د. محمود محمد الكيلاني، موسوعة القضاء المدني، أصول المحاكمات والمرافعات المدنية، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.
٤٥. د. مجدي محمود، موسوعة الدفع الجنائية، دار العدالة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.
٤٦. مصطفى مجدي هرجه، الموسوعة القضائية في المرافعات المدنية والتجارية، ج ١، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ١٩٩٥.
٤٧. د. معوض عبد التواب، المرجع في التعليق على قانون المرافعات، ج ٢، ط ٢، مكتب عالم الفكر والقانون للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤.
٤٨. د. نبيل اسماعيل عمر، الدفع بعدم القبول ونظامه القانوني، منشأة المعارف، ١٩٨١.
٤٩. د. نبيل اسماعيل عمر، قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ١٩٩٤.
٥٠. د. نبيل اسماعيل عمر، الوسيط في قانون المرافعات المدنية والتجارية، الاسكندرية، ٢٠٠٨.

٥١. هشام زوين، موسوعة الدفوع المدنية والدفوع الإجرائية، ط ١، دار القانون للإصدارات القانونية، المجلد السادس، القاهرة، ٢٠٠٨.

٥٢. د. وجدي راغب، الموجز في مبادئ القضاء المدني، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧.

٥٣. د. وجدي راغب، مبادئ القضاء المدني، ٢٠٠١.

ثانياً: الأطاريح والرسائل والبحوث:

١. جليل حسن الساعدي، كفالة حق الدفاع أثناء نظر الدعوى المدنية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٩٣.
٢. ضياء شيت خطاب، نظرية الدفوع أمام القضاء، بحث منشور في مجلة التدوين القانوني، العدد ٢، السنة الأولى، مطبعة البرهان، بغداد، ١٩٦٢.
٣. علي سعود داخل، العيب الجوهرى في الإجراء القضائي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون/ جامعة بابل، ٢٠١٣.
٤. علي غسان أحمد، الدفوع الشكلية في الدعوى المدنية "دراسة مقارنة"، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية الحقوق/ جامعة النهرين، ٢٠٠٨.
٥. مصطفى راشد عبد الحمزة، الدفوع الموضوعية في الدعوى الجنائية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الحقوق، جامعة النهرين، ٢٠٠٩.
٦. د. وجدي راغب، مركز الخصم أمام القضاء المدني، بحث منشور في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، جامعة عين شمس، العدد الأول، يناير/ ١٩٧٦.

ثالثاً: القوانين:

١. القانون المدني الفرنسي الصادر عام ١٨٠٤ المعدل.
٢. قانون الموجبات والعقود اللبناني الصادر في ١٩٣٢/٣/٩ المعدل.
٣. القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ المعدل.
٤. القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل.
٥. قانون البيّنات الاردني رقم (٣٠) لسنة ١٩٥٢ المعدل بالقانون رقم (١٦) لسنة ٢٠٠٥.
٦. قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ المعدل.
٧. قانون المرافعات المدنية العراقي رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل.
٨. قانون المرافعات المدنية الفرنسي رقم ١١٢٣ لسنة ١٩٧٥ المعدل.
٩. قانون الاثبات العراقي رقم (١٠٧) لسنة ١٩٧٩ المعدل.
١٠. قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني رقم ٩٠ لسنة ١٩٨٣ المعدل.
١١. قانون أصول المحاكمات المدنية الاردني رقم (٢٤) لسنة ١٩٨٨ المعدل.

حجية إثبات المهدي المنتظر بين النقل والعقل

The Evidential Authenticity of the Expected Mahdi between Reason and Hadith

م. حسين عبد الأمير يوسف^(١) Lect. Hussein Abdul-Ameer Yusuf

الملخص

إن ما قدمناه في بحثنا من حديث من الآراء المهمة الثلاثة عن الإمام المهدي -عجل الله فرجه- هي أن البعض قد ذهبوا في رواياتهم وأحاديثهم العديدة المروية عن الرسول الأكرم -ﷺ- هو أن المهدي من ولد فاطمة -عليها السلام- وأنه يولد ويظهر آخر الزمان، يعدّه مصلحاً يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهؤلاء لا يقولون بعصمته أيضاً. وهناك من ذهب إلى أن الإمام المهدي -عجل الله فرجه- هو ابن الإمام الحسن العسكري -عليه السلام- لكنه ولد ومات ومن أحفاده سيظهر الإمام المهدي المنتظر آخر الزمان، وهذا الرأي ضعيف جداً. أما الرأي الثالث وهو ما يقول به الشيعة الاثنا عشرية ويذهب إليه أيضاً بعض علماء السنة، هو أن الإمام المهدي ابن الإمام الحسن العسكري -عليه السلام- وأسمه محمد ولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ هجرية وله غيبتان صغرى وكبرى وسيظهر بعد غيبته الطويلة هذه كما نصت عليه الأحاديث المعتبرة التي ذكرناه، وكذلك الأدلة العقلية التي تؤيد ذلك، وهذا الرأي هو الرأي الذي نؤيده ونذهب إليه كما يؤمن به الشيعة الإمامية جميعاً.

Abstract

three opinions about Imam Al-Mahdi (may God bless him and grant him peace):

Nights and days will not end until God sends that reformer who was preached by the Prophet Muhammad (peace be upon him) and the heavenly religions before him to fill the earth with equity and justice as it was filled with oppression and tyranny.

١- كلية العلوم الإسلامية/ جامعة أهل البيت -عليه السلام-.

God has made the resurrection and the reckoning in secret on a day that only those whose heart is filled with faith and fear of the threat will believe in it in order to survive that difficult day. The righteous and the oppressed.

The issue of achieving divine justice on this planet is not a dream that passes and ends, or a wish that is desired by one who lacks it. Rather, it is a true divine promise that must be fulfilled, so that everyone who has a right takes his right, and for heaven's justice to appear on its fullness as God promised it, to be an argument against those who lost and sold it.

المقدمة

لن تنقضي الليالي والأيام حتى يبعث الله ذلك المصلح الذي بشر به الرسول الأكرم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والديانات السماوية من قبله ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.^(٢)

إن قضية الإمام المهدي -عجل الله فرجه- من القضايا العقائدية المهمة التي شغلت بال الباحثين الإسلاميين لفترات طويلة وعلى مدى التاريخ الإسلامي الطويل. وقد إنقسم الباحثون حولها وتعددت آراءهم فيها بين من يؤيدها وبين من ينكرها وبين من يشكك فيها، وعلى الرغم من كثرة الأحاديث الواردة فيها وفي ظهوره الحتمي آخر الزمان، كما في الكتب التاريخية المعتمدة، تظل هناك مسألة خلاف كبيرة بين المسلمين، وهي هل أنه ولد فعلاً وله غيبة طويلة وسيظهر آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، أم أنه سيولد آخر الزمان ثم يظهر ليعلن حكومة العدل الإلهي المنتظرة؟

هذا الاختلاف دفع بالباحثين من الفريقين أن يقدموا آراءهم وإستدلالاتهم المختلفة لإثبات كل فريق رأيه، وقد ظهرت الكتب والمصادر والبحوث العديدة حول ذلك، منها القديمة والحديثة، ومن أهم البحوث الحديثة، كتاب الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى للشهيد محمد الصدر ودراسة في علامات الظهور للسيد مرتضى العاملي وبحث حول المهدي للشهيد محمد باقر الصدر وغيرها من المصادر ومن أهم المؤلفات القديمة، هو كتاب الغيبة للشيخ المفيد رحمه الله.

وفي بحثنا المختصر هذا الذي إعتمدنا فيه على أدق المصادر المعتمدة نحاول تسليط الضوء على بعض الأحاديث والروايات المعتمدة عن غيبة الإمام وظهوره -عجل الله فرجه- التي نقلناه عن تلك المصادر، ولنربط بين ماجاء في تلك الروايات وما يقرره المنطق والعقل في صدقها وإثبات حقيقة ماورد فيها معتمدين أيضاً على ماورد في كتاب الله العزيز لدعم تلك الآراء:

وقد قسمنا بحثنا على ثلاثة مطالب مهمة، وهذه المطالب عبارة عن الآراء المطروحة من الطرفين حول قضية الإمام المهدي -عجل الله فرجه-

المطلب الأول: وهو يبحث أحاديث وروايات أهل السنة الواردة في مصادرهم وكتبهم حول الإمام المهدي وظهوره.

المطلب الثاني: إستعرضنا فيها رأياً وسطياً يذهب القائلون فيه إلى أنه ولد لكنه مات وسيظهر من ولده مهدي آخر الزمان ليقوم بإيداء المهمة الموكلة إليه.

المطلب الثالث: وهو الذي يقول أصحابه، بأن الإمام المهدي هو محمد بن الحسن العسكري -عليه السلام- الذي ولد في الخامس عشر من شعبان عام (٢٥٥) هجرية وله غيبتان صغرى وكبرى وسيظهر آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. والقائلون به هم الشيعة الإمامية. وهذا المطلب ينقسم على قسمين، هو الأدلة النقلية التي تؤيد ذلك والثاني الأدلة النقلية التي تدعمه. ثم نذكرهم ما توصلنا إليه من نتائج وبعدها ملخص عن البحث. ومن الله التوفيق

المطلب الأول

قد يجد القارئ الكريم، تكراراً لما نقدم من الأحاديث عند أصحاب هذا الرأي، وأن الكثير من الكتب والمصادر المعتمدة نقلتها ودونتها، وهناك أيضاً الكثير من الباحثين أشاروا إليها فما هو الداعي لذكر بعضها، والجواب هنا أننا لن نتوقف في بحثنا هذا على النقل فقط لأننا نثبت حقيقة الإمام المهدي -عليه السلام- وظهوره، لكننا نريد إثبات ولادته وغيبته نقلية وعقلية، ففي الإثبات المنطقي لا بد وأن ندعم هذا الإثبات والأدلة العقلية بأدلة نقلية لتكون الحجة أبلغ وأقرب إلى الواقع ومن ثم التصديق، لذا يستوجب الأمر التأكيد على الأحاديث المعتمدة وخاصة عند أصحاب الرأي الأول:

لقد اتفق أصحابه على الأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- حول المهدي وأنه يظهر آخر الزمان ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه من ولد فاطمة -عليها السلام- فقد جاء في الحديث "لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً. ثم يخرج رجل من عترتي أو أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً" (٣).

"أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أم سلمة -رضي الله عنها- تقول سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول المهدي من عترتي من أولاد فاطمة. (٤)

وجاء أيضاً في صحيح الترمذي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال "لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي" (٥).

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل جاء "عن علي -عليه السلام- عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال "لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً" (٦).

إن الأحاديث التي تروى كتب أهل السنة كثيرة ومعتمدة ولا حصر لها، ونحن ليس بصدد إستعراضها بقدر ما نحن بحاجة لطرح الموضوع والوقوف على أهميته وإثبات واقعية الولادة والظهور.

إن أصحاب هذا الرأي يرون أن المهدي الموعود يولد آخر الزمان وأنه رجل صالح من ذرية الرسول الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- فينتصر للحق ويؤسس دولته الإسلامية المنتظرة، ولكن وللأسف الشديد فإن هذه الأحاديث وعلى كثرتها وصحة تواتر أغلبها، فإن هناك من أصحاب هذا الرأي من يشكك فيها أو من

٣- راجع مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٧، وأبو يعلى، ج ١، ص ٣٦٧، ح ١١٢٨، وابن حبان ج ٨ ص ٢٩١.

٤- التبريزي، محمد بن عبد الله: ج ٣، ص ٢٤ ف ٢، ح ٥٤٥٣ عن أبي داود.

٥- ينظر الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي موضوع الفتن ٢٢٣٠.

٦- يراجع كتاب أحاديث المهدي في مسند أحمد بن حنبل الناشر مؤسسة النشر الإسلامي وهذا الكراس يحتوي على أكثر من مائة وثلاثين حديث رواها أحمد بن حنبل في الإمام المهدي -عليه السلام-.

يضعفها ومنهم من قال أنها من وضع الشيعة أنفسهم وينسبونها إلى الرسول الأكرم - ﷺ - لهذا فقد عدّوا قضية الإمام المهدي قضية لا تستحق كل هذا الاهتمام والتفكير والبحث،.

فقد أشار صاحب كتاب الفتوحات الإسلامية، زين الدين دحلان إلى هذا الأمر بالقول "والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة ومتواترة، فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الأكثر لكثرة روايتها وكثرة مخرجها يقوّي بعضها بعضاً حتى صارت تفيد القطع".^(٧)

وهنا يقطع الباحث بصحة الموضوع لكثرة الأحاديث، ولا يلتفت إلا من يشكك فيها وفي ظهور الإمام.

لكن هناك من لم يذهب إلى التشكيك في الظهور ولكنه عدّ المهدي رجلاً اعتيادياً وخليفة عادياً يحكم يوماً ما على هذه الأرض ليملاها قسطاً وعدلاً. فقد جاء عن المودودي في البيانات القول "قد ذكرنا في هذا الباب نوعين من الأحاديث، أحاديث ذكر فيها المهدي بصراحة، وأحاديث إنما أخبر فيها بظهور خليفة عادل بدون تصريح بالمهدي، ولما كانت هذه الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث من النوع الأول في موضوعها فقد ذهب المحدثون إلى أن المراد بالخليفة العادل هو المهدي".^(٨)

إن هذه المسألة ظهرت وكأنما لا تعني إلا مجموعة من المسلمين تعرضوا على مر التاريخ للظلم والإضطهاد، فأصبحت قضية المهدي بالنسبة لهم قضية الأمل والحلم المرتقب الذي راحوا يتشبثون به على مدى التاريخ حتى يبقى هذا الأمل تتوارثه الأجيال بعدهم، لذا عدّوه جزءاً مهماً من عقيدتهم فصاروا يهتمون به. لكن هناك من الباحثين الإسلاميين المعاصرين من الأخوة أهل السنة من إعترض على هذه الآراء وتصدى لها ولقضية الإمام المهدي - عليه السلام - وطرحها بوصفها جزءاً مهماً من العقيدة، وأن من يشكك فيها أو ينكرها فقد أنكر أمراً عقائدياً مهماً من عقائد الدين الحنيف.

فهذا الشيخ عبد المحسن العبادي وهو من الأخوة أهل السنة والذي يعمل مدرساً في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، فقد طرح الموضوع في بحث ألقاه في الجامعة المذكورة نشرته مجلة الجامعة في عددها الثالث السنة الأولى ١٣٨٩ هـ وعلى الصفحة ١٣٦ - ١٦٤ تحت عنوان (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر) نكتطف بعضاً مما جاء في هذا البحث بما يناسب الموضوع، يقول:

"إن الذي دفعني لإختيار هذا الموضوع أمران:

الأول: "إن الأحاديث الواردة في المهدي لم ترد في الصحيحين على وجه التفصيل بل جاءت مجملة، وقد وردت في غيرها مفسرة لما فيها، فقد يظن ظان أن ذلك يقلل من شأنها وذلك خطأ واضح، فالصحيح بل والحسن في غير الصحيحين مقبول معتمد عند أهل الحديث."

الثاني: "إن بعض الكتاب في هذا العصر أقدم على الطعن في الأحاديث الواردة في المهدي بغير علم، بل بجهل وبالتقليد لأحد لم يكن من أهل العناية بالحديث، وقد اطلعت على التعليق لعبد الرحمن محمد عثمان على كتاب (تحفة الأحوذى) الذي طبع أخيراً في مصر قال في الجزء السادس في باب ما جاء في

٧- دحلان زين الدين الفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٢٢٣.

٨- ينظر الكتاب: الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر المؤلف: حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري (المتوفى: ١٤١٣ هـ) الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٩٣.

الخلفاء قال في تعليقه (يرى الكثيرون من العلماء إن كل ما ورد من أحاديث عن المهدي هي موضع شك وإنها لا تصلح عن رسول الله - ﷺ - بل أنها من وضع الشيعة) وجاء أيضاً معلقاً بشأن المهدي تقارب الزمن وقصر الأمل في الجزء المذكور (ويرى الكثيرون من العلماء والثقات الاثبات، إن ما ورد من أحاديث خاصة بالمهدي ليست إلا من وضع الباطنية والشيعة وأضرابهم وإنها لا تصح بنسبتها الى الرسول - ﷺ -) ثم يقول الشيخ عبد المحسن:

"بل لقد تجرأ بعضهم الى ما هو اكثر من ذلك فنجد محي الدين عبد الحميد يقول في تعليقه على الحاوي للفتاوي للسيوطي، يقول في آخر جزء في العرف الورد في أخبار المهدي ص ١٦٦ من الجزء الثاني (يرى بعض الباحثين إن كل ما ورد عن المهدي والدجال من الاسرائيليات) وأخطر من ذلك تعليق أبو رية، رئيس بعثة الأزهر في لبنان العام الماضي علق عمّا جاء على كتاب النهاية لابن كثير بما معناها (إن ما جاء من الأحاديث في شأن المهدي ونزول عيسى والدجال إنما هو لانتصار الحق على الباطل)،" ثم يقول:

"لهذين الأمرين ولكون الواجب على كل مسلم ناصح لنفسه أن لا يتردد في تصديق الرسول - ﷺ - فيما يخبر به، رأيت أن يكون الكلام حول هذا الأمر موضوع محاضرتي كما قلت وجعلت عنوانها عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر". انتهى ما قلناه بإختصار عن محاضرة الشيخ عبد المحسن العبادي التي يمكن أن نستخلص منها بعض النتائج المهمة وهي:

١- إن الإيمان بمسألة المهدي أمر مهم لا يمكن أن يغفل عنه المسلم سواءً اعتقد بولادته وغيبته أم لم يعتقد.

٢- إن محاولة الطعن بالأحاديث الواردة عن الرسول - ﷺ - في مسألة المهدي ونسبتها إلى الشيعة أمر مرفوض لتواترها وكثرتها.

٣- إن تأويل مسألة المهدي إلى مسألة مجرد إنتصار الحق على الباطل بدون أن يكون هناك مهدي أمر يتناقض مع صراحة الأحاديث وما جاء فيها من إشارات ودلالات واضحة على شخصية المهدي وخاصة انه قال "اسمه اسمي ومن ولد فاطمة".

إذن وبغض النظر عن الطعون والشبهات، يمكن أن نقول ان هناك رأياً ثابتاً وعقيدة راسخة عند الأخوة أهل السنة بتلك الأحاديث الواردة في المهدي، لا تقبل الشك ولا التأويل، لكن أصحاب هذا الرأي لا يؤمنون بولادته وغيبته وإنما بظهوره آخر الزمان كما بشر به الرسول - ﷺ - وسوف نناقش ولادته وغيبته عند أصحاب الرأي الآخر.

إذ أردنا أن ندرس ظاهرة التشكيك هذه عند أصحاب الرأي الأول أو بالأحرى عند بعض أهل السنة نجد أن هناك اسباباً عدة يمكن ذكر أهمها:

أولاً: يرى البعض أن الأحاديث لم تذكر بصورة صريحة وواضحة ومتواترة في صحيح البخاري وصحيح مسلم، وهذا مما يضعف الحديث عن فكرة المهدي ويضعفها. والرد بإختصار على أصحاب هذا الرأي هو:

نقول: كيف يحقّ له أن يستند إلى مجرد عدم إثباتهما لحديث معين في كتابيهما، ليجعل ذلك دليلاً على بطلان ذلك الحديث حتى إذا رواه غيرهما؟ و صحّحه. مع أنّ البخاريّ ومسلماً -خاصّة- لم يلتزما باستيعاب كلّ الأحاديث الصحيحة في كتابيهما! بل، إنّما انتخبا ما رأياه لازماً وضرورياً، واستوعبه جهدهما وتعلّق به غرضهما من الأحاديث. وقد صرّحاً بأنّ ما تركاه من الأحاديث الصحيحة أكثر ممّا أوردها^(٩).

وجاء أيضاً في كتاب المستدرك للنيسابوري "فقد قال: "لم يحكم ولا واحد منهما (أي مسلم والبخاري) أنّه لم يصحّ من الحديث غير ما أخرجاه.^(١٠)

بمعنى أن مسلم والبخاري لم يحكما بعدم صحة الحديث غير الموجود في صحيحيهما، فكيف يمكن أن يكون ذلك دليلاً على عدم وجود المهدي، لأنّ أحاديثه لم تذكر في الصحيحين.

ثانياً: هناك من شكك بالأخبار الواردة نفسها بشأنه، أو ضعف أسانيدهما، كما فعل ابن خلدون في تاريخه في الفصل الثاني والخمسين، فقد ضعف بعض الأحاديث بشأنه مع إقراره بظهوره.^(١١) ومن المشككين بمجده الأحاديث أيضاً علي حسين السائح، إستاذ كلية الدعوة الإسلامية في ليبيا "تراثنا وموازين النقد"^(١٢).

إن ابن خلدون لم يشكك في المهدي نفسه بل شكك في بعض الأحاديث الواردة فيه، فقد تناول ابن خلدون (ثلاثة وعشرين) حديثاً من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر فأخضع هذه الأحاديث للنقد والدراسة فضعف (تسعة عشر) حديثاً ولم يحكم بالضعف على الأربعة المتبقية مما يعني أنّها صحيحة في نظره، فجاء المتشككون، وأخذوا ماشكك به ابن خلدون، ثم أشاعوا أن ابن خلدون لا يعتقد بالمهدي المنتظر، ويضعف أحاديثه. لكن هناك شهادة خطية لابن خلدون تؤكد ذلك "فقد قال ما نصه حرفياً: "إعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى المهدي"^(١٣).

ثالثاً: لقد إستدل البعض منهم على عدم وجود الإمام ونفي ولادته بالقول "أن الشيعة إختلفوا وإنقسموا إلى اربع عشرة فرقة بعد وفاة الحسن العسكري -عليه السلام- وهذا دليل على عدم وجود الإمام"^(١٤)

لقد ذكر الشيخ المفيد تلك الفرق وما نسب إليها من قول وناقشه ثم عقب عليه بقوله: "وليس من هؤلاء الفرق التي ذكرناها فرقة موجودة في زماننا هذا وهو سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة الا الإمامية الإثنا عشرية القائلة بإمامة ابن الحسن المسمى باسم رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- القاطعة على حياته وبقائه الى وقت قيامه بالسيف حسبما شرحناه فما تقدم عنهم وهم أكثر فرق الشيعة عددا وعلماء ومتكلمون ونظار وصالحون وعباد ومتفقهة وأصحاب حديث وأدباء وشعراء، وهم وجه الإمامية ورؤساء جماعتهم والمعتمد

٩- ينظر ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ١٩، طبعة دار الفكر.

١٠- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين طبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ، ج ٢/١.

١١- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ١٩١.

١٢- السائح، علي حسين، تراثنا وموازين النقد نشر بمجلة ليبيا، العدد العاشر، لسنة ١٩٩٣، ص ١٨١.

١٣- ابن خلدون تاريخ ابن خلدون ج ١، ص ٥٥٥، فصل ٥٢.

١٤- ينظر النوبختي، فرق الشيعة، تفرق الشيعة بعد الإمام العسكري -عليه السلام-.

عليهم في الديانة ومن سواهم منقرضون ولا يعلم أحد من جملة الأربع عشرة فرقة التي قدمنا ذكرها ظاهراً بمقالة ولا موجوداً على هذا الوصف من ديانتهم وإنما الحاصل منهم حكاية عمن سلف وأراجيف بوجود قوم منهم لا تثبت^(١٥).

رابعا: هناك من يقول بأنه لا يوجد عند الإمام الحسن العسكري أبناء من الذكور على الإطلاق وقد نسبوا القول إلى الطبري، لكن الطبري لم يذكر ذلك صراحة بل أنه يروي حادثة مفادها "إن رجلاً زعم أنه محمد بن الحسن المهدي فأمر المقتدر بإحضار ابن طومار نقيب الطالبين ومشايخ آل أبي طالب فسأله عن نسبته، فزعم أنه محمد بن الحسن بن موسى بن جعفر الرضا، وأنه قدم من البادية، فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن. وكان قوم يقولون: إنه أعقب وقوم قالوا: لم يعقب وقد أستند القائلون بأن الإمام لم يعقب إلى تلك الرواية"^(١٦).

وحول هذا التشكيك نقول:

إن هذه الموارد وغيرها من التشكيك لا تقوى أمام الكم الهائل من المرويات والأحاديث المتواترة عن ولادته وغيبته وظهوره عليه السلام سواءً عند الشيعة أو عند مؤرخي أهل السنة. لذا يمكن القول على أن هذا مع تأكيدهم على ظهوره وإتفاق أغلبهم على الأحاديث المروية فيه وفي ولادته وظهوره آخر الزمان، لكن فيه من يرى أنه ولد وله غيبة تنتهي بالظهور الموعد كما نصت الروايات.

المطلب الثاني:

ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن المهدي -عليه السلام- هو من أبناء الحسن العسكري -عليه السلام- وأنه ولد ومات ومن أبنائه سوف يولد المهدي المنتظر الموعد الذي بشر به الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-. لم نطلع خلال بحثنا في الكتب التاريخية على أصالة وقوة هذا الرأي، وإنما جاءت إشارات وآراء منسوبة إلى بعض العلماء حوله، وهذه الآراء لا تقوى ولا تصمد أمام النقد. وقد تداولها عوام الناس بناءً على قصص موهومة وخرافات ملفقة، وقد نسبها البعض إلى أحد علماء الشيعة الكبار وهو أبو سهل النوبختي إستاناداً إلى ما نقله ابن النديم عن الطبري:

حيث جاء عن ابن النديم القول عن أبي سهل النوبختي "أبو إسماعيل بن علي بن نوبخت. وهو من كبار علماء الشيعة. وكان أبو الحسين الناشئ يقول إنه أستاذه. وكان فاضلاً عالماً متكلماً. وله مجلس يحضره جماعة من المتكلمين. وله رأى في القائم من آل محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- لم يسبق إليه. وهو أنه كان يقول: أنا أقول إن الإمام محمد بن الحسن. ولكنه مات في الغيبة. وقام بالامر في الغيبة ابنه"^(١٧).

وقد ذكر هذا الرأي أيضاً نقلاً عن ابن النديم الباحث الدكتور (مارتن مكدرموت) في كتابه "علم الكلام عند الشيخ المفيد" يقول "ذكر ابن النديم أن لأبي سهل النوبختي رأياً غريباً شاذاً في الغيبة يقول فيه: إن

١٥- المفيد، محمد بن نعمان، الفصول المختارة، ص ٣٢١.

١٦- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٣٤-٣٦.

١٧- ينظر البغدادي، ابن النديم، الفهرست، ص ٢٢٥.

الإمام الثاني عشر توفي في أيام غيبته وخلفه نجله، وتستمر هذه الخلافة في الغيبة من الآباء إلى الأبناء حتى تقتضي مشيئة الله بأن يظهر أحد أخلاف الإمام المهدي^(١٨).

وقد رد الأستاذ عباس إقبال على هذا الرأي وأبطله فقال: "إن الكتابات الشيعية بأسرها لم تنسب إعتقاداً مثل هذا، إلى أبي سهل وكذلك لم يذكر في قسم كتابه المسمى "بالتنبية في الإمامة" الذي نقله أبين بابويه في كتابه كمال الدين رأياً مثل هذا، وحتى لو كان ابن النديم صادقاً في كلامه الحاكي عن نسبة هذا الرأي إلى أبي سهل فلا بدّ من القول بأنه عدل عن رأيه فيما بعد مسلماً لرأي أغلبية الإمامية"^(١٩).

وحول هذا الرأي علق الشيخ محمد حسن آل ياسين -رحمته- في كتابه المنتظر، يقول "لو أنه مات، فمن الذي وقف عليه ومن الذي غسله ومن الذي صلى عليه ومن الذي شيّعه ومن الذي دفنه، وأين قبره، وأين ذريته، إنما هي دعوى باطلة"^(٢٠).

وقد يردد البعض هذه الأحاديث ويحاول الاستفادة منها، في تفنيد وإبطال رأي الشيعة حول ولادته وغيبته، ويقولون إن أحاديثهم تتناقض حوله فمنهم من يؤمن بغيبته ومنهم من يؤمن بولادته وموته، ولكن أغلب الإمامية يؤمنون بولادته وغيبته وليس فيهم من يقول بموته. وقد يتفق علماء الإمامية على تكفير من يقول بهذا الرأي. وليس الإمامية فقط بل إن هناك من علماء أهل السنة من يكفر من يقول بموت المهدي -عجل الله فرجه- فهذا العالم المعروف أحمد شهاب الدين الهيثمي يذكر هذه الرأي وينتقد كل من يقول فيه، لأنه يعارض آراء علماء المسلمين جميعاً وقد يصل الإيمان بموته إلى حد الكفر فيقول: "هناك جماعة إدعوا أن المهدي قد مات من أربعين سنة وأنه الموعود المنتظر ظهوره آخر الزمان ويترتب على هذا تكفير الأئمة المصريحين بكتبهم بما يكذب هؤلاء في زعمهم، وإن هذا الميت ليس المهدي المذكور ومن كفر مسلماً لدينه فهو كافر مرتد تضرب عنقه إن لم يتب"^(٢١).

وعلى هذا نجد أن هناك اتفاقاً بين جميع علماء المسلمين على رفض هذا الرأي لعدم توفر ما يؤيده ولأنه يتناقض مع ما نقله المسلمون من أحاديث مستفيضة ومعتبرة عن ظهوره وقيام دولة الحق على يديه.

المطلب الثالث:

القسم الأول: الأدلة النقلية:

يعدّ الشيعة الإمامية الإثنا عشرية أغلب القائلين بهذا الرأي وعليه يتفق علماءهم. وكما أن هناك بعضاً من علماء المذاهب الإسلامية الأخرى من يتفق معهم عليه وإن قل عددهم. وهو أن الإمام المهدي -عجل الله فرجه- هو محمد بن الإمام الحسن العسكري -عليه السلام- وهو الإمام الثاني عشر من أئمة الهدى -عليهم السلام-.

١٨- مارتن مكدموت، علم الكلام عند الشيخ المفيد، ص ٥١.

١٩- الأششتياني، عباس إقبال، آل نوحته، نقله إلى العربية، علي هاشم الأسدي، المطبعة الرضوية، مشهد ص.

٢٠- آل ياسين، محمد حسن، المنتظر، ص ١٩.

٢١- ينظر سعد عبد القادر ماهر، صون اللسان في كشف البيان، ص ٤٨.

وفي بحثنا المختصر هذا لا نريد أن نتطرق الى فلسفة غيبته والفائدة منها وأسبابها والظروف السياسية التي أحاطت بها، لأن هذه الأمور تطرق إليها العديد من الباحثين والمفكرين وأئمة المذهب. وقد أشبعوا الموضوع بحثاً وخاصة الشهيد السعيد محمد صادق الصدر - رحمه الله - في كتابه الغيبة الصغرى والكبرى. وإن ما نريد التطرق اليه هنا هو ذكر بعض الأدلة العقلية والنقلية التي أكدت ولادته - عليه السلام - في الخامس عشر من شعبان عام (٢٥٥) للهجرة، وأن له غيبتين أحدهما صغرى استمرت من عام ٢٦٠ هـ الى ٣٢٩ هـ وأخرى كبرى استمرت من ذلك الوقت حتى يأذن الله له بالظهور وإقامة دولة الحق.

يتفق علماء الشيعة الإمامية مع غيرهم من علماء المسلمين على أغلب الأحاديث التي نصت على ظهوره وأنه من ولد فاطمة، لكنهم يختلفون معهم في مسألة ولادته وغيبته، فبينما يرى أصحاب غير الشيعة انه يولد ويظهر آخر الزمان، يرى علماء الشيعة انه ولد، وأنه ابن الإمام الحسن العسكري بن علي الهادي بن الإمام الجواد بن الإمام الرضا بن الإمام موسى بن جعفر بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام الباقر بن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - وهو من ذرية فاطمة - عليها السلام -.

ويستند أصحاب هذا الرأي الى الأحاديث العديدة المروية عن الطرفين في دعم رأيهم ومنها الأحاديث الواردة عن طريق أهل السنة ونذكر منها:

١- عن أبي سعيد الخدري عن الرسول - ﷺ - يقول: (الأئمة من بعدي اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين والمهدي منهم) (٢٢).

٢- عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله - ﷺ - (يكون بعدي اثنا عشر أميراً) ثم تكلم بشيء لم أفهمه فسألت الذي يليني وفي رواية (عمر) فقال: قال، كلهم من قريش. (٢٣)

٣- عن عباة بن ربيعي عن جابر قال، قال رسول الله - ﷺ - (أنا سيد النبيين، وعلي سيد الصويين، وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي وآخرهم المهدي القائم) (٢٤).

٤- عن سعيد بن المسيب عن عمرو بن عثمان بن عفان، قال، قال أبي، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول (الأئمة بعدي اثنا عشر تسعة من صلب الحسين ومنا مهدي هذه الأمة) (٢٥).

٥- وقال العارف المحدث الفقيه الدهلوي البخاري في رسالة مناقب الأئمة - عليهم السلام - (وأبو محمد الحسن العسكري، ولده محمد - عليه السلام - معلوم عند خواص أصحابه وثقاته) (٢٦).

وقد ذكره ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية وذكر اسمه وغيبته وكراماته فقد ذكر حديثه هذا صاحب كتاب وجوه الكلام في ص ١٥٧ منه.

وهناك عدد لا بأس به من الأحاديث التي ينقلها أهل السنة وعلمائهم حول ولادته ونسبه وغيبته وظهوره لا مجال لذكرها هنا.

أما الأحاديث التي يرويها الشيعة فهي كثيرة أيضاً ومنها عن الأئمة الأطهار - عليهم السلام -:

٢٢- الجوهري، أحمد بن عياش، مقتضب الأثر، ص ٩.

٢٣- البخاري، الصحيح، ج ٩، ص ٨١.

٢٤- الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٣٠٨.

٢٥- الكوفي، ابن عقدة، فضائل أمير المؤمنين، ص ١٥١.

٢٦- البخاري الدهلوي، أبو المجد عبد الحق، تحصيل الكمال، (ينظر كشف الأستار ص ٦٣).

١- عن الحسين بن الحسن العلوي قال: دخلت على أبي محمد -عليه السلام- فهنأته بسيدنا صاحب الزمان لما وُلد^(٢٧).

٢- عن محمد بن إسحاق القمي قال: لما وُلد الخلف الصالح -عليه السلام- ورد من مولانا أبي محمد الحسن العسكري -عليه السلام- إلى جدي أحمد بن إسحاق كتاب بخطه الذي كان يرد به التوقيعات عليه (وُلد المولود فليكن عندك مستوراً)^(٢٨).

وحول غيبته وردت أحاديث كثيرة نذكر منها:

- عن السعيد بن محمد الحميري في حديث طويل يقول فيه، قلت للصادق جعفر بن محمد -عليه السلام- يا بن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن تقع، فقال: بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة^(٢٩).

ويمكن للقارئ أن يراجع المصادر العديدة المعتبرة سواءً لدى الشيعة أو غيرهم غير تلك التي ذكرناها ليطلع على العدد الكبير من الأحاديث المروية سواءً عن ولادته وغيبته أو التي تذكر ظهوره.

القسم الثاني: الأدلة العقلية:

وإذا تعدينا الأدلة النقلية فيمكننا أن نورد بعض الأدلة التي قد نعدّها أدلة عقلية تؤيد مانقل وماجاء من أحاديث حول غيبته وظهوره عليه السلام، وهنا يمكن أن نعرض بعض النقاط التي تحتاج إلى بحث مستفيض لإرباطها بموضوع الغيبة والظهور، ونحن نذكرها ونشير إليها باختصار ومنها:

١- إن الملاحظ في مسألة الإمام المهدي -عليه السلام- هو أن كل ما جاء من العلامات فإنها تتحدث جميعاً عن ظهوره وليس عن ولادته، باعتبار أن الإمام المهدي مصلح عالمي حاله حال المصلحين الآخرين من الأنبياء الذين بعثوا لإقامة العدل لذا، يقتضى الأمر أن تكون الإشارات و البشائر والعلامات التي تبشر به وبقدومه إشارات وعلامات عن موعد ولادته -عليه السلام- لا عن موعد ظهوره كما هو الحال عند بشارات ولادات الأنبياء -عليهم السلام- حينما يولدون، باعتبار أنهم سوف يبعثون لتلك الفترة من الزمان التي جاؤوا للدنيا فيها، لإقامة حكم الله على الأرض وتخليص البشرية من الظلم، كظهور علامات وظواهر طبيعية خاصة أو حوادث زمانية معينة تسبق ولادة كل نبي، فلو طالعنا تلك العلامات التي بشرت بقدوم بعض الأنبياء والرسل والمصلحين نجد أنها علامات تشير إلى قرب الولادة وليس إلى موعد الظهور أو تبليغ الرسالة، فعلى سبيل المثال، فالنبي إبراهيم -عليه السلام- توقع المنجمون ولادته -عليه السلام- وأنه سوف يحارب النمرود بكل قوة لذلك سعى النمرود إلى قتله والتخلص منه إلا أنه لم يتمكن^(٣٠).

٢٧- الطوسي، الغيبة، ج ١، ص ٢٥٤.

٢٨- الصدوق، كمال الدين واتمام النعمة، ص ٤١٢.

٢٩- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١٤٥.

٣٠- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٧، ص ٥٤٩.

وكذلك الحال بالنسبة للنبي زرادشت الذي كان المنجمون يخبرون الملك الفارسي بولادته وبأنه سوف يقضي على السحر وعلى سلطنة الملك، فراح الملك يتحرى ذلك المولود ليقتله حين لاحت علامته ولادته^(٣١).

أما بالنسبة للنبي موسى -عليه السلام- فقصته واضحة كما جاءت في القرآن الكريم وكيف أن الفرعون كان يبحث عن كل مولود جديد ويقتله، حتى أنه لما ولد موسى -عليه السلام- أمر الله أمه أن تضعه في التابوت وتلقيه في اليم ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾^(٣٢).

أما عن قصة ولادة النبي عيسى -عليه السلام- فيحكىها المنجمون المجوس الثلاثة الذين قدموا فلسطين وبشرا بولادته -عليه السلام- كما جاء في إنجيل متى:

"وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ حَمِّ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَىٰ أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ» فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرْبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكُتَبَةِ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ: أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ"^(٣٣)

أما في قصة البشارة لولادة رسولنا الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- فقد إمتلأت كتب التأريخ بالروايات المعتمدة والصحيحة عن ذلك الحدث العظيم.

هذا الذي أردنا بيانه هو، أن أغلب المصلحين والأنبياء كانت تذكر علامات قبل ولادتهم، ليستبشر الناس بقرب خالصهم من الظلم والطغيان، لكننا لانجد في الإمام المهدي كمصلح عالمي أشار إليه الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-، إشارة واضحة إلى ولادته، وإن ذكر أن الأئمة -عليهم السلام- هم اثنا عشر من نسل فاطمة وأنهم من قریش كما تقدم بيانه في الأحاديث المروية عنه -صلى الله عليه وآله وسلم-.

فلماذا لم يذكر الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- علامات لولادته في آخر الزمان؟، ولماذا جاءت جميع الروايات التي يرويها المسلمون هي عن علامات الظهور وليس عن الولادة؟ مع العلم أن الفترة بين علامة وأخرى قد تكون فترة طويلة وتستغرق عشرات السنين، وهذا عكس علامات الولادة التي تكون متقاربة في الزمن وقد تقع في ليلة وضحاها.

وهذا يعني ان عصر الظهور غير عصر الولادة، بمعنى أنه ولد في زمان وسيظهر في زمان آخر، وإذا كان ظهوره آخر الزمان وفي وقت غير وقت ولادته، فلا يمكن أن تكون ولادته في آخر الزمان أيضاً وذلك تبعاً للأحاديث المروية والعلامات المذكورة التي إهتمت بمسألة ظهوره آخر الزمان ولم تشر إلى ولادته مطلقاً، دليل على أنه مولود وينتظر أمر الظهور في الوقت المناسب الذي يأذن الله له به.

٣١- سليمان مظهر، قصة الديانات، ص ٢٨٢.

٣٢- سورة طه، آية، ٣٧-٣٨.

٣٣- ينظر إنجيل متى، ٢: ٢٠ و ٢: ٧.

٢- إن مسألة الإمام المهدي -عجل الله فرجه- تذكرنا بالتفاته عقلية لأحد الفلاسفة من الشكاكين وهو (باسكال) فقد فرض فرضية لطيفة قاده عقله من خلالها الى الإيمان بالله، فقال هناك فرضيتان هما:

أولاً: لو فرضنا أن الله موجود وظهر أنه موجود، فالنتيجة تكون قد ربحنا في الفرض، ولم تكن هناك خسارة وإذا ظهر أنه غير موجود، فلم نخسر شئ لأن النتيجة لاشئ بعد الموت.
أما إذا فرضناه غير موجود وظهر أنه موجود فتكون النتيجة خسارة لنا، وإذا ظهر أنه غير موجود فعلاً فالنتيجة لاشئ أيضاً لأنه غير موجود.

فأي فرضية يختارها العقل من هاتين الفرضيتين؟

سيكون الاختيار حتماً للفرضية التي فيها ربح وليس فيها خسارة، وهي الإيمان بأنه موجود.
وهذا الأمر يمكن أن نطبقه في مسألة الإمام المهدي -عليه السلام-.

فاذا فرضنا وجوده وظهر فعلاً أنه موجود فيكون هناك ربح ولا خسارة في هذا الفرض. أما إذا فرضنا عدم وجوده وظهر أنه موجود ففي الفرض خسارة لنا. وإذا ظهر أنه غير موجود فعلاً فلا أثم علينا، لأننا عملنا من أجل ظهوره -عليه السلام-.

وعلى هذا فلنختار الفرضية المرجحة ونؤمن بوجوده وغيبته -عليه السلام-، مع العلم أن في هذا الإيمان دافعاً للإنسان على العمل والمراقبة والانتظار، فلماذا لا نفرض أنه موجود ولماذا لا نؤمن بوجوده وندفع الخسارة عنا. (٣٤)

٣- إن مسألة الإيمان بالإمام المهدي -عجل الله فرجه- لا يمكن التعامل معها بالماديات الملموسة، كما نتعامل مع بقية الأشياء، بل أننا إيمان وشعور روحي ينبع من ضمير الإنسان المؤمن، فمتى ما كان الإنسان المؤمن قريباً روحياً منه، فإنه سوف يشعر بوجوده وإحاطة عنايته له، وكلما كان بعيداً عنه، فإنه لا يشعر بوجوده ولطفه (فالذي في قلبه نور المهدي سيرى المهدي والذي لا يمتلك هذا النور فإنه لن يراه) مثله مثل الإنسان الذي تحيط به الرحمة الإلهية والنعمة العظيمة لكنه لا يشعر بهذه الرحمة لأنه لا يستشعرها في قلبه بل يتعامل معها بالماديات المعروفة، فإذا فقدتها سيشعر بالألم والحزن والعاطفة، فتراه يتوجه إلى الله بقلبه لطلب تلك الرحمة التي لم يستشعرها قلبه من قبل. أو مثله مثل الإنسان الذي تمر عليه الأشياء أو يمروا عليه الأشخاص فهو قد يراهم ببصره لكنه يدركهم ببصيرته، فهو قد لا يشعر بقربهم أو بعدهم عنه. فقد يكون الإنسان مشغولاً بفكرة معينة وتمر به وتحبيه وتسأله، فلا يرد عليك التحية ولا جواب السؤال. وحينما تعاتبته عن عدم رد التحية وجواب السؤال، فسكون جوابه، أنه لم يكن متوجهاً إليك لفكرة ما شغلت باله، فهو يراك ببصره لكن لا يدرك وجودك ببصيرته. ونحن كلما اعتقدنا بالإمام المهدي وإنشغلنا بوجوده وفكرنا بأمره فإننا نشعر بوجوده بيننا وقربه منا. أما إذ لم يكن له مكان ونور في قلوبنا فإننا لا نشعر به ولا نؤمن بوجوده ولا نعرفه حتى إذا رأيناه والتقيناه به، لأن بعدنا الروحي عنه وعدم التفاعل معه جعلنا نفقد ونجهل مواصفاته وأوصافه النورانية التي يتحلى بها، حتى وأن ظهرت لنا كراماته فأنا لا ندركها مطلقاً. وهذا

الأمر يشبه قربنا وبعدنا عن الخالق سبحانه وتعالى، فالعابد العارف يعبد الله وكأنه يراه، والإنسان العادي يعبد الله عبادة عادة وليس عبادة، لأنه وجد أمه وأباه يعبدان بهذا الشكل من العبادة، أما العابد العارف فإنه سيكون قريباً من الله ويشعر بحس بوجوده في كل لحظة، وهذا الأمر ينطبق على جميع المسائل الغيبية، ومنها مسألة الإمام المهدي -عجل الله فرجه- فيجب أن يكون التعامل معها تعاملًا روحياً خالصاً، وليس بالقول دون الفعل حتى نستطيع أن نشعر بوجوده وقربه منا.

٤- جاء في تفسير الآية الكرمة من سورة البقرة ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾. (٣٥)

والأسئلة التي نطرحها هنا حول هذا الغيب التي ذكرته الآية المباركة وتحتاج إلى الجواب المنطقي والعقلي

هي:

١- لماذا أشارت الآية بذلك الكتاب، ولم تشر بهذا الكتاب، مع العلم أن أسم الإشارة (ذلك) كما يقول النحويون يشير الى البعيد أو الغائب، والقرآن ليس بعيداً وليس غائباً. ولو أن بعض المفسرين يقول المقصود به الكتاب في اللوح المحفوظ، ولكن نحن أمة إسلامية دستورنا هذا الذي بين أيدينا وهو القرآن الكريم.

وإن جاءت التفاسير مختلفة في تفسير (ذلك) فقال أغلبهم أنها تعني (هذا) الكتاب، لأن العرب تستعمل أحدهما مكان الأخرى. (٣٦)

٢- لماذا جعلنا هذا الكتاب هدى، للذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وهم المتقون. مع العلم أن القرآن هدى لجميع المسلمين بل للعالم أجمع، ولماذا جعلت صفة الغيب من صفات المتقين فإذا كان المقصود بهذا الغيب في هذه الآية هو الملائكة والخالق والعالم الآخر، فهذه الأمور لا تختص بالمتقين فقط بل حتى لغير المسلمين أيضاً، ولماذا جعلت من صفاتهم إقامة الصلاة، مع أن أغلب المسلمين يقيمون الصلاة، وينفقون في سبيل الله، وقد تجد انساناً محسناً ينفق في سبيل الله ولكنه لا يصلي.

إذن، فما هو الكتاب، وما هو الغيب المقصودان في هذه الآية، وهل يمكن أن تقصد الآية أمراً آخرًا أطلقت عليه لفظ الكتاب؟ وغيباً خاصاً يرتبط بهذا الأمر، حتى يكون الإيمان بهما صفة خاصة للمتقين، الذين يؤمنون بذلك الكتاب وذلك الغيب الخاص المقصود الذي لا يؤمن بهما غيرهم من الناس.. يقول العلامة الطباطبائي، في كتاب الميزان في تفسيره لهذه الآية، أن الإمام الصادق -عليه السلام- سئل عنها فقال: (ان المقصود بالغيب هو غائبان أهل البيت) (٣٧).

وجاء في المعاني عن الصادق -عليه السلام-: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، قال: من آمن بقيام القائم عليه السلام انه حق. (٣٨)

٣٥- سورة البقرة، آية ١-٣.

٣٦- معاجم اللغة العربية، أسماء الإشارة.

٣٧- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٦.

٣٨- المصدر اعلاه، ج ١، ص ٤٧.

وهذا يعني أن من يؤمن بغائب لم يقل بمهدينا، لأن أغلب المسلمين وعامتهم يؤمنون بظهور المهدي، ولكن لا يؤمن بغيبته إلا المخلصين من الناس الذين أطلق عليهم القرآن إسم المتقين لتعلقهم بوجوده دون شك وانتظارهم له ولظهوره بالعمل دون الملل.

ويقول الألباني أيضاً في تفسيره لهذه الآية فإنه يجد الغيب فيها متعلق بغيبة الإمام المهدي وليس بالمغيبات المطلقة الأخرى كما يرى المفسرون، أو لعل الإيمان به جزء من المغيبات الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم، فيقول "إن عقيدة خروج المهديّ عقيدة ثابتة متواترة عنه صلى الله عليه وآله وسلم، يجب الإيمان بها، لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وإن إنكاره لا يصدر إلا من جاهل أو مكابر^(٣٩).

هذا بالنسبة إلى تفسير الغيب. أما الكتاب فله معان عدة قد يكون إحداها هو الإمام المعصوم بعدّه عدل القرآن ومفسر الكتاب ومبين معاني آياته، وقد ورد هذا المعنى عن الإمام علي -عليه السلام- في إشارته إلى أنه هو الكتاب، وذلك في معركة صفين حينما رفع أهل الشام المصاحف وقالوا، كتاب الله بيننا وبينكم، فقال الإمام -عليه السلام- (نحن كتاب الله الناطق). "هذا كتاب الله الصامت وأنا المعبر عنه فخذوا بكتاب الله الناطق، وذروا الحكم بكتاب الله الصامت"^(٤٠)

والآية تقول "ذلك الكتاب هدى للمتقين" مع العلم أن القرآن لم يكن هدى لمجموعة دون سواها، لأي نوع من أنواع الهداية، بل أنه كتاب هداية للبشرية جمعاء، فلماذا قالت ذلك الكتاب ولماذا خصت الآية المتقين فقط، ثم تبين صفات أولئك المتقين فتقول "الذين يؤمنون بالغيب" فإذا كان الإيمان بالغيب الذي علمناه وهو، الله، والقيامة، والجنة والنار، والملائكة، وغيرها من المغيبات، فهذه الأمور يؤمن بها حتى غير المسلم، فهل يمكن أن نطلق عليهم صفة المتقين في هذه الحالة. الجواب قطعاً كلا:

نتيجة البحث:

بعد إن إستعرضنا الآراء الثلاثة حول الإمام المهدي -عجل الله فرجه- نمكن أن نخرج بنتيجة مختصرها هو:

- ١- إن آراء أهل السنة في ظهوره آخر الزمان ثابتة وأدلتهم واضحة وإن شذ عنهم البعض وشكك في ظهوره.
- ٢- يجمع أغلب المسلمين من الطرفين أن الإمام المهدي -عجل الله فرجه- هو من نسل فاطمة -عليها السلام- ومن ذرية الإمام الحسين -عليه السلام-.
- ٣- يجمع الشيعة وكثير من أبناء السنة أن الإمام المهدي -عليه السلام- قد ولد في الخامس عشر من شعبان وأنه ابن الأمام الحسن العسكري -عليه السلام- وله غيبتان صغرى وكبرى ويظهر آخر الزمان.
- ٤- هناك آراء حول ولادته وموته، لكن هذه الآراء ضعيفة ومحدودة وقد كفر علماء المسلمين من قال بها.

٣٩- الألباني، محمدناصر، موسوعة الألباني، ص ٢٣٦.

٤٠- وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٤.

- ٥- إنَّ القرآن والعقل يدعمان فكرة الغيب كما تدعمهما الأدلة النقلية.
- ٦- من خلال ما تقدم من البحث فإن الأدلة النقلية والعقلية التي قدمناه تقودنا إلى أن نرجح الرأي الثالث، الذي يؤمن بولادة الإمام المهدي -عليه السلام- وغيبته وظهوره آخر الزمان، ولأن الشيعة ليس وحدهم من يؤمن بهذا الرأي، بل إنَّ الكثير من علماء أهل السنة، يتفقون على ولادته -عليه السلام- وغيبته وقد جاءت الأحاديث المعتبرة والكثيرة في كتبهم ومصادرهم كما ذكرناها في البحث.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ١- إنجيل متى.
- ٢- الأشتياني، عباس إقبال، آل نوبخت، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة للعتبة الرضوية المقدسة؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ٣- الألباني، محمد ناصر الدين، موسوعة الألباني، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، اليمن، ٢٠١٠م
- ٤- آل ياسين، محمد حسن، المنتظر دار المؤرخ العربي، بيروت - ٢٠١٢م.
- ٥- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٦- البغدادي، ابن النديم محمد بن إسحق، الفهرست، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٧- التبريزي، محمد بن عبد الله، تحقيق محمد ناصر الدين، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.
- ٨- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.
- ٩- الجوهري، أحمد بن عياش، مقتضب الأثر، مؤسسة البعثة، ٢٠١٨.
- ١٠- التويجري، حمود بن عبد الله، الإحتجاج بالأثر، إعتنى بالدراسة، الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، السعودية.
- ١١- تشومسكي، نعوم، العقل ضد السلطة، دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٤م.
- ١٢- الحاكم النيسابوري، إبي عبد الله محمد، المستدرک علی الصحیحین، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- ١٣- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، المكتبة الإسلامية، طهران، ٢٠١٧م.
- ١٤- ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، مؤسسة قرطبة القاهرة، ١٩٩٧م.
- ١٥- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
- ١٦- دحلان، زين الدين، الفتوحات الإسلامية، مكتبة السعادة، مصر، ١٩٧٧م.
- ١٧- دخيل، محمد علي، الإمام المهدي، دار المرتضى، بيروت، ١٩٨٨م.
- ١٨- الدهلوي، أبوالمجد عبد الحق، تحصيل الكمال دار صفصافة للنشر، ٢٠١٦م.
- ١٩- السائح، علي بن حسين، مجلة (تراثنا وموازن النقد) ج ٣٣، الصفحة العاشرة، مؤسسة ال البيت -عليه السلام-.

- ٢٠- سعد عبد القادر ماهر، صون اللسان في كشف البيان، الشبكة العنكبوتية، موقع سعد عبد القادر.
- ٢١- سليمان مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥ م.
- ٢٢- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٦ إلى ١٤١٠ هـ.
- ٢٣- الصافي، منتخب الأثرني الإمام الثاني عشر، الشيخ لطف الله، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣ م.
- ٢٤- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث، دارالفكر، بيروت، ١٩٩٧.
- ٢٥- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، عيون الأخبارالرضا، مكتبة دار اليان، دمشق، ١٩٧٨ م.
- ٢٦- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، كمال الدين وإتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٨١ م.
- ٢٧- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة إسماعيليان، قم، ١٩٨١ م.
- ٢٨- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧ هـ.
- ٢٩- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الغيبة، مكتبة نينوى، طهران، ١٣٨٥ هـ.
- ٣٠- الكوفي، ابن عقدة، أحمد بن محمد بن سعيد، فضائل أمير المؤمنين، إنتشارات دليل، طهران، ١٤٢٤ هـ.
- ٣١- مارتن، مكدرموت، علم الكلام عند الشيخ المفيد، تعريب، علي هاشم، مجمع البحوث الإسلامية مشهد، ١٤١٣ هـ.
- ٣٢- ماهر، سعد عبد القادر، صون اللسان في كشف البيان، موقع Abdulqader Mahir.
- ٣٣- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٧٧ م.
- ٣٤- المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الفصول المختارة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٢ هـ.
- ٣٥- النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، تحقيق عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد القاهرة، ١٩٩٢ م.

جدلية التفسير و التأويل

The Controversy of Explanation and Interpretation

م.د عزام فرحان شهاب الربيعي^(١) Lect. Azzam F. Shahab Al-Rubaie

الخلاصة

تناول البحث الجدلية القائمة بين التفسير و التأويل ومعانيهما اللغوية و الاصطلاحية وانواعهما و اقسامهما وما يتعلق بهما من مفاهيم كالمناهج والاتجاهات التفسيرية، واثبت نوعين من التأويل: الاضطراري والاختياري، واستدل على عدم الفرق العملي بين التفسير والتأويل بالآيات و الاحاديث وغيرها مفنداً الآراء التي تفرق بينهما بوجوه ظاهرية مردودة ومثبتاً عدم تطابق ذلك مع افكار الهرمنيوطيقا التي تجرد النص من قصد المؤلف وتقيده بثقافة زمانه، فتحرر فهم المفسر من قيود القرائن الحالية والمقالية. الكلمات المفتاحية: التفسير، التأويل، المناهج التفسيرية، الاتجاهات التفسيرية، الهرمنيوطيقا.

Abstract

Conclusion the criminal research that existed between interpretation and interpretation and their linguistic meanings and reformayions and their types and residences and related concepts of ambiguous approaches and trends, and you know the compuisory and aptional interpretation of me, and inferred the practical difference between the interpretation and interpretation of the conversations of the hadiths and the reconstruction of the vesseis that divide them with aburger phenomenon in donia postta takes inconsistency with the ideas of al-harminoyta, which abstract the text from the authores priest and pays attention to his discretion, so liberate the understanding of inquiring about the restricryions of agar allen, the caring and the article.

^١ - جامعة اهل البيت - / كلية العلوم الاسلامية.

لقد حث الاسلام على الاهتمام بالقران الكريم وتلاوته وتدبر آياته، بل أوجب تطبيق تعاليمه واحكامه واتخاذهُ دستوراً هادياً ينظم تفاصيل الحياة العامة والخاصة كمنهج حكيم ومستقيم يضمن سعادة البشر في الدارين، ومن الواضح ان ذلك كله لا يتسنى الا بتفسير آياته ومعرفة معانيه في اعماق ذلك البحر المعطاء الذي يمدّه من بعده سبعة أبحر لإستخراج مفاهيمه العظيمة وكنوزه المعرفية و العلمية والفكرية التي لا تنضب، ومن هنا كان اهتمام المفسرين قديماً وحديثاً بتفسير القران وتأويل ظواهره وتطبيق اكبر عدد ممكن من المصاديق المعاصرة على مفاهيمه ونظرياته بغية ربطه بالواقع الاجتماعي و حلّه لمشاكله الحياتية، واحتاج ذلك ايضاً الى دراسات وابحاث قرآنية متنوعة ومنها معاني التفسير و التأويل وهل انهما مختلفان من وجه او وجوه معينة او انهما واحد ولا اختلاف بينهما الا في اللفظ والتسامح في الاصطلاح؟

ومن هنا كان هذا البحث الذي يتابع معاني التفسير و التأويل ويناقش الآراء المختلفة في التفريق بينهما ثم حاول ان يثبت عدم الفرق بين التفسير و التأويل في المفهوم و المصداق وان الخلاف في التفريق بينهما لفظي فقط ولا مشاحة في الاصطلاح، فالتأويل وجه من وجوه التفسير ونوع منه بحيث يمكن إطلاق لفظ التفسير عليه وكذلك العكس كما صنع معظم القدماء ومنهم ابن عباس والمبرد وابو عبيدة ومجاهد والطبري و الشيخ الطوسي وغيرهم، بل كما صنع القران الكريم نفسه، وكذلك احاديث النبي - ﷺ - واهل البيت - عليهم السلام - التي لم تفرق أكثرها عند التأمل فيها بين التفسير والتأويل، بل واستخدمت احياناً احدهما بقصد الآخر، فالمفسر يمكن ان يفسر الآيات حسب ظاهرها أو حقيقتها والمتبادر منها ويمكن ان يفسرها حسب باطنها ووجوهها المحتملة الأخرى مع مراعاة القرائن والسياق ومقتضيات العقل والعقيدة، وكل ذلك بالادلة والشواهد والامثلة القرآنية.

كما لا بد ان لا يشتبه بين هذا المعنى وان التفسير و التأويل هما واحد عملاً وبين مفاهيم وافكار الهرمنيوطيقا المعاصرة، فلا علاقة لذلك كله بالهرمنيوطيقا ومحاولة الانفراد بالنص وعزله عن مؤلفه وقصده، وبذلك لا بد ان نميّز بين نوعين من قواعد فهم النصوص فتتقبل احدهما ونرفض الآخر كما ستتضح تفاصيل ذلك في ثنايا البحث.

وكذلك ينبغي عند محاولتنا استخراج الآيات واعطاء معانيها التأويلية ان نميّز بين نوعين من التأويلات وهي الاضطرارية و الاختيارية وأهم فرق بينهما هو في قبول المعنى الاخر وعدمه.. وهكذا كان لزماً حينئذ استعراض انواع المناهج التفسيرية ونفرّق بينها و بين الاتجاهات التفسيرية و الاساليب التفسيرية والمعاني التفسيرية، وبذلك يتبادر الى الذهن رأي ابن عباس في تقسيم انواع التفسير فلا بد من ذكره ايضاً وابداء الراي فيه.

إصطلاحات وفوارق:

لا بد في هذا البحث أولاً من التطرق الى تعريف بعض المصطلحات المهمة ومعرفة الفوارق بينها كمدخل للوصول الى النتائج النهائية.
وهذه المصطلحات هي:

التفسير:

يمكن تعريف التفسير في اللغة والاصطلاح لكي يتسنى لنا بعد ذلك النظر في الفوارق الممكنة بين التفسير والتأويل..

التفسير لغةً: أصله من (سفر) و (فسر) أي اتضح او انكشف، ومنها اسفر الصبح أي ظهر وبان^(٢).. وعليه فالتفسير هو الاتضاح والانكشاف والظهور من الخفاء..

ولكن الراغب فصل بينهما فقال:

(جُعِلَ الْفَسْرُ لِإِظْهَارِ الْمَعْنَى الْمَعْقُولِ، وَجُعِلَ السَّفَرُ لِإِبْرَازِ الْأَعْيَانِ لِلْأَبْصَارِ)^(٣) وعليه يكون التفسير من

الفسر لا من السفر وهو الأقرب.

التفسير اصطلاحاً: يرى العلامة الطباطبائي ان مفهوم التفسير هو بيان معاني الايات القرآنية وكشف

مقاصدها ومدلولها.^(٤)

وعليه فالتفسير يتصدى لبيان الدلالة التصورية للآيات أي مفهوم المفردات ومعاني الالفاظ، وكذلك

بيان الدلالة التصديقية الأولى أي المراد الاستعمالي للالفاظ والآيات وبيان الدلالة التصديقية الثانية أي

المراد الجدي للآيات وتوضيح ومدلولها.

بينما اختصرها الطبرسي في اللفظ: (التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل)^(٥). ويمكن ان نعدّ كلامه

وجهاً آخر لكلام الطباطبائي -رحمته- لان الآيات تتكون من مجموع الالفاظ ومعانيها^(٦).

اما الترجمة: فهي بيان معاني الالفاظ الظاهرية ومدلولاتها التصورية.

التأويل:

في اللغة: هو من الأول وهو الرجوع الى الأصل الأول^(٧).

في الاصطلاح: هو الرجوع في تأويل المتشابه الى المحكم، فالحكم هو المرجع الذي يرجع اليه، في تأويل

القران، وهو المأخذ الذي تؤخذ منه معارفه^(٨)..

وقد تعددت الآراء في معنى التأويل فمنهم من يرى ان التأويل يعنى بيان باطن الالفاظ او بيان المصاديق

الأخرى للمفهوم غير المصدق الاول الذي يمثله الظاهر او سبب النزول^(٩).

وقد ورد في القران الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا

اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١٠).

٢- الراغب الاصفهاني المفردات مادة سفر.

٣- المصدر السابق.

٤- الميزان في تفسير القران، الطباطبائي، ج ١، ص ٧.

٥- الطبرسي مجمع البيان ج ١ ص ١٣.

٦- راجع تفاصيل أخرى حول المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير في كتاب: المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، محمد حسين

الصغير، ص ١٥ - ٢٠.

٧- الراغب الاصفهاني المفردات مادة أول.

٨- تفسير الميزان للطباطبائي ج ٣ ص ٢٧.

٩- راجع: المبادئ العامة لتفسير القران، د. محمد حسين الصغير، ص ٢١.

١٠- سورة ال عمران، من الآية ٧.

والمراد من ابتغاء الفتنة طلب ضلال الناس بالشبهات والتلبيس من خلال اتباع المتشابه دون الرجوع به الى المحكم^(١١)..

وفي الجملة فالتأويل هو ارجاع الشئ المبهم (من الكلام والفعل والقول) الى حقيقة وواقعه، وفي حديث الامام الباقر -عليه السلام- عن الفضل بن يسار قال: (سألت ابا جعفر عن هذه الرواية: ما من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن؟ فقال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله منه ما قد مضى ومنه مالم يكن يجري كما يجري الشمس والقمر)^(١٢).

ومنه يُعرف ان الفرق بين التفسير والتأويل هو الظاهر والباطن على بعض الآراء، بناءً على ان المقصود من التنزيل هنا هو التفسير.

التدبر:

معنى التدبر في اللغة^(١٣): دبر الشئ عقبه و مؤخره، وتدبر الامر أي تأمله و تفكر فيه على مهل ونظر في عاقبته، ومنه تدبر القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١٤) وجاء في معنى التدبر لغة ايضاً: اخذ الشئ بعد الشئ^(١٥).

وفي الفلسفة و التصوف: التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، أو استغراق الذهن في التفكير في موضوع الى حد يجعله يغفل عن الاشياء الاخرى، والتفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل^(١٦).

وفي اصطلاح علوم القرآن: التفكير في غايات القرآن ومقاصده من خلال التفهم و التأمل في معاني الايات ومبانيها^(١٧).

وجاء كذلك: التدبر في القرآن الكريم هو التأمل في الاية عقيب الاية، او التأمل بعد التأمل في الاية^(١٨). مفردة التدبر في القرآن:

وردت لفظة التدبر بالقرآن الكريم في اربع ايات هي:

١. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١٩).
٢. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢٠).
٣. ﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٢١).
٤. ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَكِّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢٢).

١١- راجع: تفسير جامع البيان، الطبري، ج ٢، ص ٥٠.

١٢- وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١٤ ص ٢٥٤. بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار، ص ٢٢٣.

١٣- المعجم الوسيط، لسان العرب، القاموس المحيط: مادة دبر.

١٤- محمد: ٢٤.

١٥- راجع تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٥، ص ١٩.

١٦- راجع: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفوي، ج ٩، ص ١٤.

١٧- نقلاً عن شبكة جمعية مكنون - الانترنت (بتصرف).

١٨- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٥، ص ١٩.

١٩- سورة النساء من الاية ٨٢.

٢٠- سورة محمد - ﷺ - من الاية ٢٤.

٢١- سورة المؤمنين من الاية ٦٨.

٢٢- سورة ص من الاية ٢٩.

ولا يخفى ما في هذه الايات من الحث على تدبر القرآن لكل من يعرف العربية علماً كان او غيره مفسراً كان او غيره والاستفادة من ذلك كلِّ بحسبه، بل جعل قوله تعالى في الآية الرابعة التدبر في القرآن والاعتبار منه هو الغاية من انزاله^(٢٣).

الفرق بين التدبر والتفسير:

يناءً على كل ماتقدم يمكن القول بأن التدبر هو محاولة كشف معاني الايات ووضع احتمالات لمفاهيمها ومداليلها من خلال التفكير و التأمل في مفرداتها وتعاييرها وقراءتها..
بينما التفسير هو الكشف لمعاني الايات وبيان مفاهيمها ومداليلها ومصاديقها نفسها والترجيح بين احتمالاتها بالادلة العقلية والنقلية واللبية واللغوية وغيرها.

الفرق بين التأويل والتفسير:

هناك عدة أقوال في محاولة إيجاد الفرق بين التفسير والتأويل نذكرها باختصار^(٢٤):

١. لا يمكن عملاً إيجاد فرق بين التفسير و التأويل، فالتفسير هو التأويل بلا فرق بينهما.
 ٢. التفسير اهم من التأويل، لأنه يكون في الالفاظ، بينما يكون التأويل غالباً في المعاني واحتمالاتها.
 ٣. التفسير توضيح المشكل من الالفاظ، بينما التأويل رد المحتمل الى الظاهر.
 ٤. التفسير يكون للالفاظ المفردات والتأويل للجمل غالباً.
 ٥. التفسير قطع بالمراد، اما التأويل فيكون محتملاً لهذا المراد او ذاك مع الترجيح بدليل وقرينه.
 ٦. التفسير هو المعنى الحقيقي، والتأويل هو توضيح المعاني المجازية او الكناية والاستعارة.
 ٧. التفسير بيان الحقيقة والمجاز معاً، بينما يعني التأويل بباطن اللفظ.
 ٨. التفسير بالرواية والنقل، بينما التأويل بالدراية والاجتهاد واستنباط العلماء والمفسرين.
 ٩. التفسير بالظاهر والتأويل بالسمع والنقل.
 ١٠. التفسير بالسمع والنقل بينما التأويل توضيح الظواهر وتوكيدها (عكس التاسع).
- وعلى هذا يمكن إضافة ٣ آراء أخرى في الفرق بين التفسير و التأويل وهي:
١. التفسير بيان ظاهر القرآن، والتأويل بيان باطن القرآن خلاف ظاهره.
 ٢. التفسير يحدد معنى المفهوم، التأويل يجسد المصاديق في الواقع.
 ٣. التفسير هو المصادق الأول للآية، بينما التأويل هو بيان المصاديق الأخرى الممكنة للآية، وغالباً فان المصادق الأول هو المصادق المتعارف في عصر النزول اما المصاديق الأخرى فهي التي تتحدد عبر العصور، ولهذا يقال التأويل مقابل التنزيل..
- وبه قال النبي - ﷺ - لأمر المؤمنين - ﷺ - (يا علي تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل)^(٢٥).

^{٢٣} - راجع: تفسير البحر المديد، ابن عجيبة الاندلسي، ج٦، ص٣٢٨، فهم القرآن، المحاسبي، ص٢٧٥.

^{٢٤} - للمزيد من التفاصيل راجع كتاب: المبادئ العامة لتفسير القرآن، محمد حسين الصغير، ص ٢٠ - ٢٣، كتاب التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، ج ١، ص ٢٥ - ٣٠.

^{٢٥} - امالي الطوسي، الشيخ الطوسي، ج ١، ص ٤٠٠ / الفصول المهمة في أصول الائمة، الحر العاملي، ج ٢، ص ١١٦.

ومن امثله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٢٦) حيث نزلت في علي -عليه السلام-^(٢٧)، فهو مصداقها الأول والمتعارف في زمان نزول الآية، ولكن يمكن تأويلها لمصاديق أخرى تفدي نفسها لله تعالى وتببعها بأي شكل من اشكال التضحية والفداء وفي أي وقت ومكان، مادام اصل القضية محفوظاً والنية خالصة لوجهه تعالى والمهدف ابتغاء مرضاة الله وقربه سبحانه.

الرأي الصحيح في التفسير والتأويل:

رغم ما ذكرناه من الاراء في التفريق بين التفسير و التأويل؛ الا انه يمكن استظهار ان التفسير والتأويل كلاهما واحد في المعنى والواقع وفي المفهوم والمصاديق، خصوصاً على تعريف الطباطبائي صاحب الميزان للتفسير والذي قال فيه (ان مفهوم التفسير هو بيان معاني الايات القرآنية وكشف مقاصدها ومداليلها)^(٢٨).

مناقشة الاقوال:

ليس هناك من داعٍ للتفريق بينهما بهذا الشكل الذي أشكل وصعب حتى على بعض الذين حاولوا إيجاد فرق بينهما، فتعددت الآراء فيها الى اكثر من خمسة عشر رأياً يبدو منها انها تتقاطع فيما بينها أحيانا وتتقارب بل وتتطابق أحيانا أخرى ويكثر فيها الجدل والاختلاف بلا ثمرة عملية واضحة، فان الوجدان والواقع العملي يشهدان بأن التفسير في حقيقته الذي يكشف عن المعنى المراد هو كاشف عن مصاديقها أيضاً بلا فرق بين كون هذا المصداق هو الأول وكونه هو السبب للنزول وبين كونه يعبر عن مصاديق أخرى يمكن ان ينطبق عليها المفهوم نفسه بعدما عرفنا ان السبب لا يخص المسبب، او ان المورد لا يخصص الوارد، أي ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد تعارف ذلك عند الباحثين في أسباب النزول^(٢٩)، وبهذا يُفهم قول الامام الباقر -عليه السلام-: (ان القرآن يجري فيهم كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الاحياء...) (٣٠).

ولكن التوهم في الفرق بينهما جاء بعد ملاحظة متكررة من استعمال لفظة التأويل في محل التفسير عند بعض القدماء كمجاهد وأبو عبيدة وابن عباس بل حتى عند أمثال ابن جرير الطبري وغيرهم كما سيأتي^(٣١). والمفسر في نهاية المطاف اما ان يفسر هذه اللفظة او تلك بالمعنى الظاهر او المتبادر والحقيقي، واما ان يرى ذلك غير مناسب لأي أمر كان عقلياً أو نقلياً أو واقعياً أو تاريخياً فيفسره بخلاف الظاهر منه او يفسره بالجاز أو بالكناية وما شابه بخلاف الظاهري والمتبادر، وهكذا، وذلك التفسير هو الذي قد يصطلح عليه

٢٦- سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

٢٧- ذكره القرطبي بين عدة تفاسير للآية الكريمة فقال في تفسيره (٢١/٣): وقيل نزلت في علي -عليه السلام- حين تركه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- على فراشه ليلة خرج الى الغار وذكره ابو حيان الاندلسي في تفسيره (البحر المحيط ٢/ ١٢٧) قال: وقيل: في علي حين خلفه رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وذكر ما قاله العللي ابن حجر العسقلاني في (العجاب في بيان الأسباب ١/ ٢٥٩). وقال الألوسي في تفسيره (٩٧/٢): وقال الامامية وبعض منا: انما نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه حين استخلفه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- على فراشه بمكة لما خرج الى الغار. وذكره ابن عساکر في (تاريخ دمشق ٤٢/ ٦٧) عن ابن عباس ويسند اخر عن ابن عباس (٤٢/ ٦٨). وذكره ابن الاثير في (اسد الغابة ٤/ ٢٥٠) والمقرئزي في (امتناع الاسماع ١/ ٥٧).

٢٨- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج ١، ص ٧.

٢٩- راجع: اسباب النزول، الواحدي، ص ١٩٥، موجز علوم القرآن، داوود العطار، ص ١٣٥، علم اصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ص ١٨٩.

٣٠- بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج ٨٩، ص ٩٧/ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ص ٢٢٢.

٣١- تحت عنوان: الادلة والشواهد، الفقرة ٢-٣.

البعض بالتأويل لا التفسير، ولا مشاحة في الاصطلاح، خصوصاً بعد التأمل في هذه الأقوال التي يمكن أرجاع بعضها الى البعض الآخر ومن ثم عودتها في نهاية المطاف بتفصيلها الى معنى واحد هو الاصل الذي تفرعت منه وهو ان التفسير و التأويل معرفة معاني الآيات والمقصود منها ومداليلها ومصاديقها سواء كانت من الظاهر او باللبس الى الباطن اضطراراً.

الادلة والشواهد:

يمكن الاستدلال على عدم الفرق بين التفسير و التأويل عملياً بما يلي:

١. ان المعاني اللغوية والاصطلاحية للتفسير والتأويل^(٣٢) تدل على تطابقهما او تقاربهما على الاقل، بحيث يظهر للمتأمل انهما يرجعان الى اصل ومعنى واحد، فاذا كان المعنى اللغوي للتفسير هو الكشف والبيان، ومعناه الاصطلاحي هو: بيان معاني الآيات القرآنية وكشف المراد منها ومقاصدها ومداليلها، وهكذا كان تعريف التأويل بانه لغة: الرجوع الى الأصل الأول، واصطلاحاً هو: بيان باطن الآيات القرآنية وإظهار مصاديقها المختلفة والكشف عن معانيها المتنوعة (ومن المعلوم ان بيان المعنى والكشف عن المراد منه هو رجوع به الى اصل المعنى الأول واشتقاقاته ومعانيه وتشخيص مصاديقه الممكنة) فهما اذن من الأمور المتلازمة ان لم نقل انهما شئ واحد عملياً، ولهذا صار كل من التفسير و التأويل بعهد المفسر نفسه الذي لا بد له من ان يعطي المعنى النهائي المراد للآية ظاهراً كان أم باطناً^(٣٣).

بشرط ان لا يكون ذلك الانتقال الى الباطن اعتباطاً او مخالفاً لقواعد العربية او للذوق اللغوي العام او مستحيلاً في معاني المفردات وبلا شاهد، بل لا بد ان يكون معنى محتماً منطقياً ومنسجماً مع الظاهر، بل اشترط البعض ان يكون جارياً على مقتضى اساليب العربية في مداليل الكلام بل وان يكون له مثل مقرر من نفس القرآن^(٣٤).

٢. ان هذا التطابق ثابت عند القدماء الى حد الترادف عند الاستعمال، ومنهم أبو عبيدة وأبو العباس المبرد ومجاهد والشيخ الطوسي وابن جرير الطبري وغيرهم^(٣٥).. ومنهم ابن عباس في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٣٦)، ومن المعلوم انهم أقرب للتشريع، بل عاش بعضهم زمن المعصوم -عليه السلام- فكيف لا يفهم الفرق بينهما ان كان، فلو كان لبان، ولأكد عليه المعصوم -عليه السلام- في كلامه وأوضح الفرق بينهما..

ان ذلك اذا لم يرق الى حد الدليل فهو قطعاً مؤيد واضح لما نحن فيه، وليس لمجرد التسامح من هؤلاء الأعلام على اختلاف توجهاتهم وازمائهم.

^{٣٢} - كما اوضحنا هذه المعاني بنصوصها في عنوان (اصطلاحات و فوارق) فراجع.

^{٣٣} - راجع: التأويل في مختلف المذاهب و الاراء، محمد هادي معرفة، ص ١٤.

^{٣٤} - راجع: الموافقات، الشاطبي، ج ٢، ص ٣٩١.

^{٣٥} - راجع: مجمع البيان، الطبرسي ج ١، ص ١٠٣، الانتقان، السيوطي ج ٤، ص ١٦٥، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ج ٣، ص ٣٩٨.

^{٣٦} - سورة الكهف من الآية ٨٢.

٣. بعض اللغويين المعتمدين قد صرح في معنى التفسير والتأويل بأحدهما واحد، مثل قول الجوهري: (التأويل: تفسير ما يؤول اليه الشيء)^(٣٧) وقول الفيروزبادي: (أَوَّل الكلام تأويلًا وتأوله: دبره وفسره)^(٣٨) وهكذا صنع ابن منظور في استعماله للتأويل بمعنى التفسير في مواضع متعددة^(٣٩).

اما العلامة معرفة فقد ذكر ذلك أيضاً في كتابه التأويل، حيث قال:

(التأويل بمعنى الكشف عن المفهوم العام المختبئ وراء ستار اللفظ هو نوع تفسير يعني بالمفاهيم الباطنة، والتي تشكل رسالة الآية الخالدة يكشفها المفسر الخبير..^(٤٠))

٤. قول بعض المعصومين -عليه السلام- الذين لم يذكروا في نصوصهم الشريفة التفسير مقابل التأويل، بل ذكروا التنزيل مقابل التأويل، ويفهم منهم -عليه السلام- أنهم قصدوا بالتأويل التفسير نفسه.

ومن تلك الاقوال الكريمة الحديث الشريف للنبي الاكرم -صلى الله عليه وآله- وهو يخاطب الامام علي -عليه السلام-: (تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل)^(٤١) فالظاهر منه اني اقاتلهم على الايمان بأصل نزوله من الله تعالى، واما انت يا علي فستقاتلهم من بعدي على تفسيره ومعانيه ومصاديقه التي سينكرونها او يحرفونها.

وكذلك قول الامام الباقر -عليه السلام-: (ظاهرة تنزيله وباطنه تأويله)^(٤٢) والظاهر منه انه -عليه السلام- بصدد التفريق بين الظاهر والباطن من معاني الالفاظ وليس بين التفسير والتأويل ولا خلاف في وجود الظاهر والباطن في القرآن الكريم، فقد نزل القرآن بالفاظ لها ظاهر متعارف في لغة العرب وهو المتبادر منها او مصداقها الأول والواضح ويمكن ان تستبطن هذه الالفاظ معان أخرى ومصاديق متعددة، وكل ذلك من مهام المفسر نفسه في كشفه وتفسيره وبيانه.

٥. ان القرآن الكريم يشهد على ذلك فقد وردت كلمة (تأويل) او ما يقاربها مثل (تأويله) و(تأويلًا) في عشرة مواضع كلها كانت (بمعنى تفسير) اما تفسير الايات او تفسير الالفاظ والاقوال او تفسير الاحلام وهكذا، الا واحدة ولكنها خارجة عما نحن فيه وستأتي. وذلك بشهادة عدة من كبار المفسرين كما سيتضح ذلك، على ان الاربعة الأولى منها كانت في سورة يوسف -عليه السلام- وهي كالآتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُثِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ...﴾^(٤٣).

٢- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٤٤).

٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...﴾^(٤٥).

٤- قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾^(٤٦).

^{٣٧}- الصحاح في اللغة، ج ١، ص ٢٧.

^{٣٨}- القاموس المحيط، ج ١، مادة اول.

^{٣٩}- لسان العرب، ج ٣، ص ٢٣٨ وغيرها.

^{٤٠}- التأويل، ص ١٤.

^{٤١}- دلائل الامامة، ابو جعفر الطبري، ص ٦٥، الفصول المهمة، الحر العاملي، ج ٢، ص ١١٦.

^{٤٢}- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٤، ص ٢٥٤.

^{٤٣}- سورة يوسف من الآية ٦، راجع تفسير الآية في تفسير ابن عاشور، الزمخشري، أيسر التفاسير للجزائري.

^{٤٤}- سورة يوسف من الآية ٢١، راجع تفسير الآية في الدر المنثور، تفسير ابن كثير.

^{٤٥}- سورة يوسف من الآية ١٠٠، راجع تفسير الآية في مفاتيح الغيب للرازي، تفسير اللوسي.

^{٤٦}- سورة يوسف من الآية ١٠١، راجع تفسير الآية في جامع البيان للطبري، تفسير البيضاوي.

- ٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٤٧).
 - ٦- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٤٨).
 - ٧- قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٤٩).
- وفي هذه الآية فقط جاء تفسير (أحسن تأويلاً) أي أحسن عاقبة ومآلاً، ومن الواضح ان هذا أجنبي عما نحن فيه وخارج عنه لان التأويل هنا من المال والعاقبة وليس من الأول والرجوع الى الأصل والكشف والتوضيح ولا هو في مقابل التفسير وما شابه ومع ذلك فيحتمل أيضاً ان يكون (أحسن تأويلاً) في هذه الآية هو قوله تعالى نفسه: (أحسن تفسيراً): ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٥٠).
- ٨- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ (٥١).
 - ٩- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ...﴾ (٥٢).
 - ١٠- قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...﴾ (٥٣).

وبضم هذه الأمور الخمسة الى بعضها سيتعاضد الدليل على كون التفسير والتأويل بمعنى واحد، وإذا تنزلنا وقلنا بان ذلك كله لا يصلح دليلاً وقد يناقش فيه فعلى اقل تقدير يكون كل واحد من هذه الأمور الخمسة المذكورة مشيراً ومؤيداً على انهما واحد.

وبالجملة نقول: ان التأويل وجه من وجوه التفسير ونوع منه بحيث يمكن إطلاق لفظ التفسير عليه كما صنع معظم القدماء، فالمفسر يمكن ان يفسر الآيات حسب ظاهرها أو حقيقتها والمتبادر منها ويمكن ان يفسرها حسب باطنها ووجوهها المحتملة الأخرى مع مراعاة القرائن والسياق ومقتضيات العقل والعقيدة.

علاقة التفسير و التأويل بالهرمنيوطيقا:

قد يفهم مما تقدم عن معنى التفسير و التأويل و انهما عملياً بمعنى واحد تأييد فكرة الهرمنيوطيقا ونظرياتها المعاصرة ومحاولة تطبيقها على النصوص القرآنية وتأويل معانيها حسب نظر المفسر او الناقد نفسه بمعزل عن رأي (المؤلف او الكاتب)!!

لكن الصحيح ان التفسير و التأويل لما كانا بمعنى الكشف عن المعنى المقصود و توضيح المفاهيم الجدية المرادة من النص القرآني - وبالتالي من أي نص آخر سماوي او أدبي او فني او غيره- فهذا يمكن ان يكون قريباً مما اراده الفيلسوف الالماني فردريك شليرمآخر رائد الهرمنيوطيقا فيما عرف عنها من انها قواعد فهم النصوص - والمفروض ان تكون من خلال القرائن الحالية و المقالية و ظروف النص نفسه والاجواء المحيطة

- ٤٧- سورة الكهف من الآية ٨٢، راجع تفسير الآية في تفسير ابن عطية، تفسير ابن عباس.
- ٤٨- سورة النساء من الآية ٥٩، راجع تفسير الآية في تفسير القران، للشيخ الطوسي، ج ٣، ص ٢٣٦.
- ٤٩- سورة الاسراء من الآية ٣٥، راجع تفسير الآية في تفسير الطبري، تفسير الاصفى للفيض الكاشاني وغيرها.
- ٥٠- سورة الفرقان من الآية ٣٣.
- ٥١- سورة ال عمران من الآية ٧، راجع تفسير الآية في مجمع البيان للطبرسي، تفسير الطبري.
- ٥٢- سورة الاعراف من الآية ٥٣، راجع تفسير الآية في تفسير الماوردي، تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.
- ٥٣- سورة يونس من الآية ٣٩، راجع تفسير الآية في تفسير الوجيز، تفسير ابن كثير، تفسير التبيان للطوسي، تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

به وسبب صدوره ومنها معاني مفردات النص وثقافته السائدة في زمانه- ومما قصده دلتي في منهجه التأويلي لنصوص اللاهوت؛ وهو ما يوضح العلاقة الحميمة التي لا يمكن انكارها بين القصد و النص و التفسير(او الكاتب والمتن والناقد) الى الحد الذي يراها شليرمآخر مساواة بين المفسر و المؤلف بحيث يحل المفسر مكان المؤلف عن طريق اعادة البناء الذاتي والموضوعي لتجربة المؤلف من خلال النص؛ وهذا بنظره هو الاساس للفهم الصحيح^(٥٤)..

هذا كله مما يمكن قبوله في فهمنا للنصوص عامة و النص القرآني خاصة وتحديد مصداقه وامكانية شموله لمصاديق اخرى حسب قواعد: الجري والتطبيق؛ وتنقيح المناط؛ و مناسبات الحكم و الموضوع.. اما اذا كان المقصود من هذه القواعد في الهرميوطيقا المعاصرة عزل المؤلف عن نصه وترك قصده منه تماماً حين تفسير النص بحيث تكون النصوص أشبه بالقوالب الفارغة القابلة لأي معنى!! كما يرى ذلك عبد الكريم سروش و محمد اركون وهاشم صالح و امثالهم: (الالفاظ لا تحمل معنى، فهي خالية من المعاني ولكنها يمكن ان تتقبل أي معنى يرد عليها..)^(٥٥) وكذلك: (النص في حقيقته امر مبهم ويمكن ان يعطي عدة معاني..)^(٥٦) فلا يمكن قبول ذلك، ولا يمكن مشابته بالتفسير و التأويل كما عرفنا؛ لأن ذلك بأختصار سيوقع المفسر في تقويل المؤلف مالم يقله وتحميل النص ما لا يحتمله حينما يحتلي بالنص المفسر وحده وبيتعد عن قصد مؤلفه فينتفتح المجال امامه لتأويلات النص حسب ميوله و توجهاته الخاصة، وهذا بعينه الفوضى في فهم النصوص.

أنواع التأويل:

التأويل حيث يكون تفسيراً للآيات خلاف الظاهر والمتبادر منها؛ يمكن ان نقسمه على نوعين اساسيين فمنها اضطراري ومنها اختياري.

١- الاضطراري: وهو التأويل الذي لا بد من القول به وترك الظاهر من الآيات، وذلك اذا كان الظاهر يتعارض مع العقل والعقيدة او العرف والذوق العام والمنطق السليم.. اما مثال تعارض الظاهر مع العقل فهو مثل قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾^(٥٧). حيث تؤول اليد بالقدرة والسلطنة، لأن ظاهر اليد هي اليد الجارحة المعروفة عند الانسان والمخلوقات وهذا يصطدم مع العقل لانه يعني تجسيم الباري تعالى، فالعقل يحكم باستحالة كون واجب الوجود جسماً لأن الجسم يتكون من أجزاء مركبة وتحتاج بعضها الى بعض بينما نجد ان واجب الوجود بسيط مطلق لا يحتاج شيئاً والا ما كان واجبا، كما هو واضح في الفلسفة بشكل مفصل.

اما مثال تعارض الظاهر مع العقيدة الصحيحة فهو مثل قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾^(٥٨) حيث تؤول المعصية هنا بترك الأولى لأن كل نبي معصوم ملتزم بالاوامر والنواهي الالزامية الإلهية.

^{٥٤}- مزيد من التفاصيل راجع: التأويل، محمد هادي معرفة، ص ١٥٨-١٦٤، اشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد ابو زيد، ص ١٩-٢٤.

^{٥٥}- مترجم عن الفارسية بتصرف من كتاب: القبض و البسط في الشريعة، عبد الكريم سروش، ص ٢٨٨.

^{٥٦}- مترجم عن الفارسية بتصرف من كتاب: التعددية الدينية، عبد الكريم سروش، ص ١٧.

^{٥٧}- سورة الفتح من الآية ١٠.

^{٥٨}- سورة طه من الآية ١٢١.

اما مثال تعارض الظاهر مع المنطق العام والذوق السليم والعرف فهو مثل قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلاً﴾^(٥٩)، حيث تقول الاعمى هنا الى عمى البصيرة عن الهدى والحق، ومن غير المقبول عرفاً ومنطقاً ان يقال هنا بعمى العين المعروف.

٢- الاختياري: وهو التأويل الذي يمكن القول به من باب التوسع في المفهوم وفي المصاديق بدليل وحجة، ويمكن تركه والاخذ بالظاهر فقط مادام ليس فيه تعارض مع العقل او العقيدة او غيرها. ومثال التأويل الاختياري قوله تعالى: ﴿واقصد في مشيك﴾^(٦٠)، فقد جاء في تأويلها انها أمر بالتواضع وترك التكبر والخيلاء^(٦١)، وجاء في تفسير الامثل ان تأويلها: (رعاية الاعتدال في العمل والكلام، لأنّ التأكيد على الاعتدال في المشي أو إطلاق الصوت هو من باب المثال في الحقيقة)^(٦٢)، بل ويمكن أيضاً تأويل القصد هنا بالنية والارادة والتوجه كما هو في معناها اللغوي:

(قصد: توجه الى.. والقصد: ارادة القيام بعمل وعقد النية عليه..)^(٦٣) أي كن ناوياً متوجهاً مريداً هادفاً في حياتك ومسيرتك واعمالك ولا تكن عشوائياً متخبطاً على غير قصد ونية ولا هدى ودراية.. على ان هذه التأويلات الاختيارية لا تلغي إمكان الأخذ بالظاهر نفسه منه وهو الاعتدال في المشي المتعارف من غير بطء ولا سرعة مفرطة. وبناءً على ذلك فإن الفرق الأساسي بين التأويلين هو ان الاضطراري يلغي الظاهر نهائياً بخلاف الاختياري الذي يبقى فيه الظاهر محتملاً وممكناً جداً.

اقسام التفسير:

يمكن تقسيم التفاسير بعدة لحاظات تمثل كل واحدة منها مقسماً وجهة معينة للتقسيم.. فمرة يقسم التفسير بلحاظ المناهج التفسيرية المتبعة الى: التفسير القرآني والتفسير الروائي والتفسير الاجتهادي والتفسير... ومرة أخرى يقسم التفسير بلحاظ الاتجاهات التفسيرية الميول المتنوعة الى: التفسير العلمي والتفسير الفقهي والتفسير اللغوي والتفسير... ومرة ثالثة يقسم بلحاظ المعاني التفسيرية ومدى إمكان فهمه وتشخيص معانيه ومصاديقه الى: تفسير لا يعلمه الا الله تعالى وتفسير يعلمه العلماء خاصة وتفسير يعرفه من عرف العربية وفنونها وتفسير...

وسياقي تفصيل هذه التقسيمات وامثالها: على ان هناك تقسيمات بلحاظات وجهات أخرى أعرضنا عن الخوض فيها هنا مراعاة للاختصار وتقديراً لمقتضى الموضوع والمقام... ومن امثلة هذه اللحاظات والجهات:

^{٥٩} - سورة الاسراء من الاية ٧٢.

^{٦٠} - سورة لقمان من الاية ١٩.

^{٦١} - راجع: تفسير الطبري، ج ٥، ص ٤١٢.

^{٦٢} - تفسير الامثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج ١٢، ص ٤٩.

^{٦٣} - القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج ٣، ص ٢٥١ مادة قصد.

التقسيم بلحاظ أسلوب كتابة التفسير من ناحية التوسع وعدمه الى المختصر والمتوسط والمفصل، او الاجمالي و التحليلي و المقارن؛ كما صنع الفيض الكاشاني في تفاسيره الثلاثة من المختصر الى المتوسط والى المفصل، وهي على الترتيب: الصافي والأصفي والمصفي.

ومن ناحية تسلسله وتسلسل تفسير آياته الى:

الترتيبي والموضوعي.. وهكذا الترتيبي الى ترتيب حسب الترتيب الحالي للقران وترتيبي حسب ترتيب نزوله، و التفسير الموضوعي الى تفسير من الموضوع الى الايات وتفسير من الايات الى الموضوع..

وتقسيم بلحاظ تنظيمه الى تفسير متن ومزج وتفسير متن وشرح و....

وتقسيم بلحاظ الاختصاص وعدمه الى تفسير جامع وتفسير مختص (يختص فقط بايات الاحكام او بايات الاعجاز او...).

وتقسيم بلحاظ تمامه او نقصه الى التفسير الشامل (لكل القران) والتفسير الناقص (لبعض القران ثم التوقف لأي سبب كان مثل موت المفسر).

وتقسيم بلحاظ المذهب التفسيرية الى تفاسير الشيعة (التي تؤكد على الامامة والولاية والعصمة والرجعة والشفاعة وامثالها) وتفاسير الاشاعرة (التي تؤكد على الجبر وقبول الظواهر والميل للتجسيم)، وتفاسير المعتزلة (التي تؤكد على الاختيار والعقل والتأويلات) وتفاسير الزيدية و....

وتقسم بلحاظ المدارس التفسيرية (داخل المذهب الواحد) الى:

تفاسير المدرسة الامامية وتفاسير المدرسة الزيدية وتفاسير المدرسة الإسماعيلية و... فهي تفاسير الفرق الكلامية..

وهكذا يقسم التفسير ايضاً بحسب الألوان التفسيرية المعاصرة كالتفسير الجهادي والتفسير السياسي والتفسير..

واليك الان الأهم من هذه اللحظات في اقسام التفسير، والتي تمثل اهم الجهات المعتمدة في تقسيم التفاسير^(٦٤)، وهي اللحظات الثلاثة الأولى فقط مما ذكرناه انفاً وذلك كله مراعاة للاختصار، وهي لحاظ المناهج التفسيرية، ولحاظ الاتجاهات التفسيرية، ولحاظ المعاني التفسيرية..

المناهج التفسيرية:

منهج تفسير القران الكريم هو (عبارة عن الكيفية التي بها يكشف عن معاني الايات ومداليلها)^(٦٥) أي طريقة الاستفادة من ادوات ومصادر تفسير القران مثل القران نفسه، والروايات و العقل والاجتهاد الشخصي حسب الضوابط اللغوية والقرائن الحالية و المقالية و امثالها...

وبهذا يكون تقسيم التفاسير حسب المناهج التفسيرية الى التفسير القراني والتفسير الروائي والتفسير الاجتهادي العقلي و..

^{٦٤} - راجع: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقران، د. محمد علي الرضائي، ص ١٩-٢١، المناهج التفسيرية في علوم القران، جعفر السبحاني، ص ٧٦، المبادئ العامة لتفسير القران الكريم، محمد حسين الصغير، اقسام التفسير.
^{٦٥} - مناهج تفسير القران، كمال الحيدري، ص ٣١.

وعليه يمكن تعريف منهج التفسير باختصار على انه: كيفية كشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم ومدى الاعتماد على هذا المصدر او ذلك والاستفادة منه في تفسير الآيات^(٦٦).
ان منهج كل مفسر في تفسيره يتعين من خلال طريقة المفسر في التفسير والاداة والوسيلة التي يعتمدها في كشف معاني القرآن وبيان مدلول الآيات، وعادة تكون هذه الأدوات والوسائل عقلية او عقلية^(٦٧).
فالفرق بين التفسير ومنهج التفسير هو ان التفسير كشف معاني القرآن وبيان مدلول الآيات، بينما منهج التفسير هو الطريقة التي يتم بها هذا الكشف والبيان ومدى استخدام الأدوات والوسائل الخاصة بذلك.

وبناءً على هذا فاذا اعتمد المفسر في تفسيره للقرآن على القرآن نفسه بشكل اساسي فهو تفسير قرآني، مثل تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، والتفسير القرآني للقرآن للعلامة محمد الصادقي الطهراني.
واذا اعتمد في التفسير على الروايات التفسيرية وما ورد في السنة الشريفة عن النبي - ﷺ - واهل البيت - عليهم السلام - فهو تفسير روائي (اثرى)، مثل تفسير البرهان للعلامة البحراني، وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي.

واذا اعتمد في التفسير على الاجتهاد والعقل والاستنباط حسب القواعد والضوابط والقرائن والظواهر وامثالها فهو تفسير عقلي اجتهادي، مثل تفسير التبيان للشيخ الطوسي وروح المعاني للالوسي واغلب تفاسير المعتزلة مثل تفسير مسلم بن بحر الاصفهاني ويمكن اعتبار تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي - ﷺ - تفسيراً عقلياً اجتهادياً أيضاً.

وهناك من يتوسع^(٦٨) في ذكر الأمثلة والاقسام للتفسير في منهجية النقلي والعقلي الاجتهادي، فيعد مثلاً أن من أنواع واقسام التفسير العقلي الاجتهادي هو التفسير في ظل المدارس الكلامية، وهو ما يمكن ان يصطلح عليه التفسير الكلامي (العقدي) الذي يهتم بالآيات التي تتحدث عن العقيدة بمختلف تفاصيلها وتشعباتها، فيفسرها بما يشبه التفسير الموضوعي الذي يتمحور حول موضوع معين ويجمع ما يخصه من آيات ويخرج منها بنتيجة معينة يمكن اعتبارها النظرية القرآنية أو رأي القرآن حول ذلك الموضوع..

من تأويلات المعتزلة:

من أمثلة ذلك ما تتأوله المعتزلة في تفاسيرها عن الشفاعة وعن مرتكب الكبيرة وما شابه ذلك بحيث تحاول بكل ما تستطيع ان تلوي اعناق الآيات وتجرحها جراً نحو معتقدها الخاص ليتخذوها دليلاً قرآنياً على ما يعتقدون.

ففي مفهوم الشفاعة مثلاً التزم المعتزلة بان الشفاعة ليس لغفران الذنوب وتكفير السيئات كما هو متعارف عند عموم المسلمين، بل هي مجرد لرفع الدرجات واعلاء المنازل في الجنة، وان أصحاب الذنوب

^{٦٦} - للمزيد راجع: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، د. محمد علي الرضائي، ص ١٨.

^{٦٧} - راجع: المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني، ص ٧٥.

^{٦٨} - راجع: المصادر السابق، ص ٧٧ - ١٦٣ / المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، ص ٨٩ - ١٣٠.

والكبائر إذا ماتوا وهم على معاصيهم دون التوبة عنها فهم في النار بل هم مخلصون فيها^(٦٩)! و استدلووا لذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾^(٧٠). فالشفاعة لا تنال الا من تاب عن ذنوبه فاستحق الجنة بعمله ثم تأتيه الشفاعة لاجل رفع منزلته وزيادة فضله ودرجته في الجنة!

وبناءً على ذلك فان مرتكب الكبائر اذا مات دون توبة فهو مخلص في النار وان كان مؤمناً في عقيدته وله اعمال صالحة وحسنات كثيرة وحاولوا الاستدلال لذلك بايتين:

الأولى: ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب﴾^(٧١)

بزعم ان الظلم هنا هو الذنوب الصغيرة المغفرة او الكبيرة بشرط التوبة قبل الموت.

الثانية: ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾^(٧٢)

بزعم ان المعنى هو ان الله تعالى لا يغفر لمن يشاء الشرك دون توبة ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك اذا تاب!!

بينما الصحيح هو عدم امكان الجزم بان مرتكب الكبيرة مخلص في النار ولو مات بلا توبة لان امره حينئذ بيد الله تعالى ان يشاء يرحمه باي سبب من أسباب الرحمة كالشفاعة وغيرها او ان يكتف بتعذيبه في الدنيا بالابتلاءات والعذابات كالفقر والمرض والخوف وامثال ذلك، وان يشاء يعذبه في النار لفترة معينة ثم يعفو عنه ويدخله الجنة، وقد يخلص في النار ايضاً، فكل ذلك في النهاية راجع اليه تعالى ولا نستطيع الجزم والقطع به وذلك لوجود آيات اخرى تدل عليه او روايات و اخبار عن المعصومين -عليهم السلام- تؤيد ذلك.

مناهج ام اتجاهات؟

وهكذا تُذكر اقسام اخرى ايضاً غير ماتقدم تعدُّ منهجاً مستقلاً احياناً في قبال المناهج القرانية والروائية والعقلية؛ و احياناً اخرى تعدُّ ضمن منهج التفسير العقلي الاجتهادي، وذلك مثل ما يُعرف بالمنهج العلمي حيث يُنتج التفسير العلمي، والذي يؤكد عموماً على الظواهر العلمية وربط الايات بما فيها من حقائق علمية بالنظريات العلمية والاكتشافات الحديثة، وكذلك التفسير الصوفي او التفسير العرفاني الذي يؤكد بدوره على المعاني العرفانية او الغيبية وربطها بالنظريات والاراء الفلسفية او الاعتقادات الصوفية وسلوكياتها الخاصة..

وكذلك التفسير الاخلاقي او التربوي او الاجتماعي الذي يؤكد على مافي القرآن الكريم من مفاهيم اخلاقية او تربوية او تشخيص وحل لمشكلة اجتماعية معينة... وهكذا

في حين انّ الصحيح كما تقدم هو أن تعتبر كل واحدة من هذه الاقسام المذكورة نوعاً من التفسير العقلي والاجتهادي وليس قسيماً له، لأنها في الواقع اقساماً لما يمكن ان يعرف بالاتجاهات التفسيرية وهي

^{٦٩} - راجع: الاصول الخمسة، القاضي عبد الجبارالمعتزلي، ص ٦٨١ - ٦٩٠.

^{٧٠} - سورة البقرة من الاية ٢٥٤.

^{٧١} - سورة الرعد من الاية ٦.

^{٧٢} - سورة النساء من الاية ٤٨.

التي تمثل ميول ورغبات كل مفسر في بحثه في القرآن الكريم حسب تخصصه واهتماماته، وسيأتي الحديث عن ذلك..

وكذلك لم يخلُ التفسير النقلي (القرآني والروائي) من هذا التسامح حيث نسبت إليه أقساماً مثل التفسير اللغوي والبلاغي أو التفسير التاريخي أو التفسير الفقهي وما شابه ذلك، بينما تمثل كل هذه الأقسام الاتجاهات التفسيرية المتنوعة وليست مناهج التفسير المتقدمة.. والاكثر من ذلك قد ذكروا أحياناً ما يعرف بمنهج التفسير بالرأي كأحد المناهج التفسيرية رغم أن ذلك ليس قسماً لهذه المناهج بل هو تخطب اعمى وتوجه عشوائي نحو تفسير القرآن فلا يستحق أن يعد منها فضلاً عن عده منهجاً وذلك لأنه مرفوض شرعياً وعلمياً..

أما شرعياً فلقول النبي -ﷺ- المتواتر المتفق عليه: (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) (٧٣) وأمثال ذلك (٧٤).

وأما علمياً فلأنه رأي شخصي يستمد من المرتكزات الذهنية والمبتنيات القبليّة، بل قد تكون أيضاً من الأهواء الشخصية والمصالح الذاتية والتوجهات المذهبية والسياسية وغيرها، ولا يعتمد على أسس علمية قائمة على الاستدلال والحجة والبرهان، وعليه فلا قيمة لهكذا نوع من التفاسير من الناحية العلمية والموضوعية.

وقد يوضع أحياناً ما يعرف بالمنهج الموضوعي قسماً لهذه المناهج أيضاً، وهو في الواقع ليس بمنهج ولا قسيم المناهج التفسيرية أو قسماً منها ولا هو لون من ألوان الاتجاهات التفسيرية، إنما هو نوع من أنواع واساليب كتابة التفسير وتنظيمه، قبال التفسير الترتيبي الذي يتسلسل بتفسير السور والآيات من الفاتحة إلى الناس، ولا يأخذ كل موضوع وإياته الخاصة على حده وما شابه ذلك من طرق التفسير الموضوعي.

وهناك ما يمكن أن يطلق عليه المنهج الاجتماعي في تفسير القرآن، وهو لون من ألوان التفاسير المعاصرة، ويمكن أن يطلق عليه أيضاً بالمنهج التوفيقي (٧٥) لأنه يحاول التوفيق بين مفاهيم الاسلام عموماً وآيات القرآن خصوصاً وبين المفاهيم المعاصرة ومتطلبات الحياة والحضارة والثقافات الجديدة، والغاية هو إيجاد الترابط والانسجام بين مفاهيم الاسلام والمفاهيم الغربية عموماً لاجل حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة وللاجل دفع الشبهات عن الاسلام وعن المسلمين، وكان من أبرز هذه التفاسير التي اتجهت نحو هذا المنحى تفسير المنار الذي ابتدأ به الشيخ محمد عبده ثم أكمله تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، وكذلك تفسير الامثل الذي انجزه باشراف الشيخ مكارم الشيرازي وبجهود متنوعة الاختصاصات لعشرة علماء، والحق أن ذلك لا يعد من المناهج التفسيرية أيضاً بل هو لون من ألوان الاتجاهات التفسيرية المتنوعة التي تسعى لتحقيق غاية معينة منسجمة من توجهات ورغبات المفسر نفسه كما أوضحنا، وعدم انطباق ضابطة المنهج التفسيري الذي عرفناه انفاً.

٧٣- التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج ٧، ص ١٥٥، تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٣، ص ٤٢.

٧٤- راجع: عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور، ج ٤ ص ٣٧، جامع الاخبار، ص ١٣.

٧٥- راجع: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي رضائي، ص ٢٢.

الاتجاهات التفسيرية:

الاتجاه التفسيري: تأثير الاعتقادات الدينية، الكلامية، والاتجاهات العصرية وأساليب كتابة التفسير على تفسير المفسر^(٧٦)

اما المنهج التفسيري فكما قلنا سابقاً بأنه توضيح معاني القرآن باستخدام الأدوات التفسيرية (العقل و النقل).

فالفارق بين المناهج والاتجاهات هو ان المنهج التفسيري يستخدم فيه المفسر لبيان معاني الآيات ورفع إبهامها أحد الأدوات التفسيرية وهي إما العقل أو النقل أو كليهما؛ فيعتمد في تفسير آيات القرآن على القرآن الكريم نفسه، أو على السنة الشريفة، أو على كليهما، أو غيرهما، فالعلامة الطباطبائي في تفسير الميزان مثلاً يستخدم النقل في كشف الآيات القرآنية فيعتمد على الآية لتوضيح الآية فمنهج هو تفسير القرآن بالقرآن..

وأما في الاتجاهات التفسيرية فان المفسر يبحث في تفسيره عن اهتماماته بحسب قدرته؛ فيتجه إلى إيضاح المادة القرآنية تارة من حيث اللغة، وأخرى يعتني بآيات الأحكام، وثالثة يصب اهتمامه على الجانب التاريخي والقصصي، أو يهتم بالأبحاث الأخلاقية وغيرها.

وبناءً على ذلك يمكن القول بأن الاتجاه التفسيري هو: اختيار المفسر لنوع معين من الأبحاث التي يؤكد عليها أكثر من غيرها حسب ميوله عند تفسيره للقرآن، وتمثل عادة غايته من التفسير ورغبته واهتماماته الخاصة او حاجة مجتمعه بغض النظر عن الطريقة والمنهج او أسلوب الكتابة والمدرسة التي ينتمي إليها.. فالاتجاه التفسيري يمثل مدى تأثير ميول المفسر وتخصصه واهتمامه بجانب معين أكثر من غيره وبهذا يكون تنوع التفاسير بين الاتجاه الفقهي والاتجاه الكلامي والاتجاه النحوي والاتجاه الفلسفي وامثالها، وبهذا يكون التفسير نفسه فقهياً او كلامياً او نحوياً او علمياً او فلسفياً، او ان يكون جامعاً مهماً امكن بين أكثر من اتجاه حسب قدرة المفسر وجهده وميوله واهدافه، فيكون التفسير جامعاً.

وعليه فلا بد من ملاحظة ذلك الاختلاف بين المنهج و الاتجاه عند تقسيم التفاسير، ولا بد من ملاحظة جهة تقسيم خاصة، حيث تتنوع التفاسير حسب جهة التقسيم ولا تتداخل الجهات، فاذا قلنا ان جهة التقسيم هي المنهج التفسيري فالتفاسير تتنوع بين التفسير القرآني للقرآن والتفسير الروائي او الاثري للقرآن والتفسير العقلي او الاجتهادي للقرآن..

اما اذا اخذنا الاتجاه التفسيري كجهة للتقسيم فالتفاسير تتنوع بين التفسير الفقهي والتفسير العلمي والتفسير الكلامي والتفسير الفلسفي والتفسير العرفاني، واذا لوحظ الاهتمام بجهات متعددة وعدم التركيز على واحدة دون الجهات الأخرى فعندها يعرف بالتفسير الجامع..

فمثلاً تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي هو تفسير قرآني جامع، بينما تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي تفسير اجتهادي لغوي، وهكذا.. ويمكن ان نمثل للتفاسير حسب اتجاهاتها التفسيرية^(٧٧):

^{٧٦} - دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي رضائي، ص ١٧.

^{٧٧} - راجع: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي رضائي، ص ١٨-٤١، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني، ص ٧٧-١٦٣، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، ص ٨٩-١٣٠.

فمثال التفسير الفقهي: تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي/ تفسير زبدة البيان في احكام القرآن للمقدس الاردبيلي وتفسير كنز العرفان في فقه القرآن للفاضل المقداد.

ومثال التفسير الكلامي: تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي/ تفسير التبيان للشيخ الطوسي.

ومثال التفسير اللغوي: تفسير مجمع البيان للعلامة الطبرسي.

ومثال التفسير الفلسفي: تفسير القرآن الكريم لصدر المتألهين الشيرازي (الملا صدرا)/ وتفسير القرآن الكريم لابن عربي.

ومثال التفسير العرفاني: تفسير تسنيم للشيخ جوادي أُملي/ تفسير لطائف الإشارات للقمي.

ومثال التفسير العلمي: تفسير الجواهر للطنطاوي الجوهري.

ومثال التفسير الادبي: تفسير الكشف للزمخشري/ تفسير جوامع الجامع للعلامة الطبرسي.

ومثال التفسير الصوفي الشهودي: تفسير البحر المديد لابن عجيبة الاندلسي/ تفسير القرآن المجيد

للتستري/ تفسير روح البيان لاسماعيل حقي البروسوي.

ومثال التفسير الجهادي السياسي: تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب/ تفسير المبين لمحمد جواد مغنية.

ومثال التفسير التاريخي: تفسير الاء الرحمن للشيخ محمد جواد البلاغي/ تفسير حجة التفاسير وبلاغ

الاكسبر للشيخ عبد الحجة البلاغي.

ومثال التفسير الجامع: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور/ تفسير مواهب الرحمن للسيد عبد الأعلى

السبزواري/ تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.

ومثال التفسير الاجتماعي التحليلي: تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ تفسير أحسن

الحديث للسيد علي أكبر القرشي/ تفسير النور لمحسن قراءتي.

ومثال تفسير اسباب النزول: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي/ تفسير أسباب النزول لعلي رضا

ذكاوتي- وان كانت اسباب النزول هي من مباحث علوم القرآن، ومعرفتها توجد ادوات جديدة بيد المفسر للكشف عن المراد من الآيات، ولكن ذلك لا يمنع من ان تكون اتجاهات تفسيرية خاصة اذا ما اهتم المفسر لبحثها في تفسيره أكثر من إهتمامه بغيرها-

ومثال التفسير التربوي الاجتماعي: تفسير اطيب البيان للسيد عبد الحسين الطيب/ تفسير الكاشف

محمد جواد مغنية.

ومثال التفسير التحليلي العصري: تفسير الكوثر للشيخ يعقوب جعفري/ تفسير الفرقان لمحمد صادقي

طهراني.

وهكذا تتنوع التفاسير حسب توجهات مفسريها واهتماماتهم، ووفق الاهداف التي من اجلها كتبت.

المعاني التفسيرية: والمقصود منها هو مدى امكان فهم معاني الايات ومفاهيمها وكشف مقاصدها

ومداليلها وتحديد مصاديقها واوقاتها، وهذه تمثل جهة اخرى من جهات تقسيم التفسير غير المناهج

والاتجاهات وامثالها.

لأن الآيات تختلف عن بعضها في سهولة فهمها واستظهارها ومساعدة القرائن عليها وصعوبة ذلك

أحيانا، بل قد لا يتيسر الا من كلام المعصوم -عليه السلام- وتفسيره نبياً كان ام غيره، وقد تبقى الايات في

متناول الاحتمالات والوجوه والاراء كل حسب فهمه ودليله، او من اشارات معينة تصريحية او تلميحية من القرآن نفسه حيث يفسر بعضه بعضاً...

وبناء على ذلك فقد قسم ابن عباس التفسير على أربعة وجوه^(٧٨):

١- تفسير تعرفه العرب من كلامها: ويمكن التمثيل لابن عباس في ذلك بقوله تعالى: ﴿وما يملكون من قطمير﴾^(٧٩)، ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا﴾^(٨٠).

٢- تفسير لا يعذر احد بجهالته: ويمكن التمثيل له في ذلك بالآيات المنصوصة الصريحة التي يمكن فهمها بسهولة ويسر لكل من يعرف العربية عربياً كان ام غيره، مثل قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾^(٨١)، ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾^(٨٢).

٣- تفسير يعلمه العلماء خاصة: ويمكن التمثيل له في ذلك بالآيات التي نعتمد في فهمها على الروايات التفسيرية للمعصومين -عليهم السلام- لأنهم سادة العلماء وفضلهم، مثل أكثر آيات الاحكام التي لا تفهم العرف تفاصيلها الا من السنة الشريفة كأقوال الرسول والعترة -عليهم السلام-، وذلك كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾^(٨٣).

٤- تفسير لا يعلمه الا الله: ويمكن التمثيل له في ذلك بالحروف المقطعة وبوقت القيامة، وحقيقة الروح والارزاق والاجال وما شابه من هذه الأمور الغيبية التي يصرح القرآن بان فهم حقيقتها ووقاتها ومصاديقها بيده تعالى وحده، مثل قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً﴾^(٨٤)، ﴿يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكرها الى ربك منتهاها﴾^(٨٥).

والظاهر ان هذا هو مراد ابن عباس من القسم الرابع بالذات، حيث لا يعلم الا الله وقته وحقيقته، اما المفهوم نفسه والدلالة التصورية للالفاظ فلا يمكن ان نجعل معناها أيضاً والا لم يكن القرآن كتاب هداية للمجتمع ولا حجة عليهم.

فكيف يكون هادياً وحجة نحتاج به ومرجعاً يلجأ اليه وفصلاً للخطاب والخلاف اذا كان جزء كبير منه مبهم ولا يعلمه الا الله بحيث يخفى حتى على النبي -ﷺ- الذي جاء به الينا وقد نزل عليه ابتداءً، وحتى على اله الكرام البررة المعصومين الخيرة، وهم ساسة البلاد والحجة على العباد والموكلون بالحفاظ على الشريعة ودستورها القرآن الكريم وشرحه وتفصيله وصيائنه من التحريف والتشويه.

^{٧٨} - راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج ٢، ص ١٦٢.

^{٧٩} - سورة فاطر، من الآية ١٣.

^{٨٠} - سورة الطور، من الآية ١٣.

^{٨١} - سورة الاعراف من الآية ٣١.

^{٨٢} - سورة البقرة من الآية ٨٢.

^{٨٣} - سورة البقرة من الآية ١٨٣.

^{٨٤} - سورة الاسراء من الآية ٨٥.

^{٨٥} - سورة النازعات من الآية ٤٢ - ٤٤.

وقد ذكر آخرون تقسيمات متشابهة أو مقارنة لما ذكره ابن عباس من الجهة نفسها في إمكان فهمه وتفسيره وعدمه كالشيخ الطوسي -رحمته- في تفسير التبيان وابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، وغيرهم.

ولكن الأصح أن هذه التقسيمات المذكورة وأمثالها ما دامت بمقسم إمكان التفسير مباشرة أو بعد التأمل والوسائل وعدم إمكان ذلك فهو من باب تقسيم الكل إلى أجزائه، أي تقسيم التفسير الواحد من أي منهج تفسيري كان ومن أي اتجاه كان أو لون أو أسلوب إلى أجزاء مختلفة فبعضه يسهل فهمه وبعضه يصعب وبعضه محتمل وبعضه يستحيل، بينما المطلوب هو تقسيم التفاسير إلى أنواع..

ومع ذلك فإذا أردنا تقسيم التفسير الواحد بملاحظة معاني الفاظه وإياته وسهولة فهمها وعدمه فلا نحتاج إلى أقسام أربعة أو أكثر على النحو المتقدم لابن عباس -رحمته- أو غيره بل يكفي تقسيم تفسيرنا للقرآن تبعاً لتقسيم القرآن نفسه إلى محكم ومتشابه، فالمحكم: ما لا تعرض فيه شبهة لفظاً ولا معنى^(٨٦)..

فهو المتقن في المعنى فلا يحتمل وجوهاً لأن دلالاته واضحة فيه، أي دلالة اللفظ واضحة في المعنى..

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل...﴾^(٨٧).

ومثل قوله تعالى: ﴿وما كان ربك نسياً﴾^(٨٨)، وآية: ﴿ليس كمثل شيء﴾^(٨٩).

والمتشابه: هو ما لا يُنبأ ظاهره عن المراد^(٩٠).

فهو المتماثل مع غيره في المعنى، أي تماثل وجوه الكلام بعضها مع بعض فتجمل الوجوه وتتعدد المعاني

ومحتملاتها...

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾^(٩١)، ﴿ثم استوى على العرش﴾^(٩٢).

والأفضل أن نقول كما قال الفخر الرازي في تمييزه بين المحكم والمتشابه^(٩٣)، حيث قال:

المحكم: هو النص (الذي لا يحتمل وجوهاً أخرى) أو الظاهر (الراجح المقدم على احتمال آخر أقل

منه).

والمتشابه: هو المشترك في المعنى (المتساوي الاحتمالات) أو المؤول (المرجوح وخلاف الظاهر).. الذي

قد يرجح على الظاهر بقول المعصوم أو بالقرائن العقلية واللفظية وأمثالها.

وعليه فالآيات المحكمة هي الآيات التي يمكن فهمها وكشف المراد منها بالنص الصريح أو بالظاهر

المقبول سواء مباشرة بما تملكه من معرفة بالعربية ومعانيها وبلاغتها و بالقرائن الحالية والمقالية أو بالاستعانة

بكلام المعصوم -عليه السلام- وتوضيحه.

٨٦- راجع مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مادة حكم.

٨٧- سورة الفيل من الآية ١- ٢.

٨٨- سورة مريم من الآية ٦٤.

٨٩- سورة الشورى، من الآية ١١.

٩٠- راجع مفردات غريب القرآن الراغب الاصفهاني، مادة شبه.

٩١- سورة الفتح من الآية ١٠.

٩٢- سورة الأعراف من الآية ٥٤.

٩٣- راجع تفسير مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ج٧، ص ١٨٠.

اما الايات المتشابهة فهي الايات التي يمكن فهم عدة معاني منها ويصعب تشخيص احدها، او قد يستحيل تشخيص المصداق والوقت والتفاصيل المرادة منها فلا يعلم ذلك الا الله تعالى، الا انه يمكن تقريب احد معانيه وتعليقه على المعاني الأخرى من خلال ارجاعه الى المحكم الذي يحاكمه او ينظر اليه. وبهذا نزل القرآن الكريم ليوضح هذه المسألة ويؤكد هذا التقسيم حيث قال تعالى: ﴿هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلم تأويله الا الله...﴾ (٩٤).

وبناءً على ذلك نقول ان هذا التقسيم للتفسير الواحد وهذا التعريف للمحكم و المتشابه وهذه الطريقة في التمييز بينهما هي الافضل؛ لأنها الاقرب للواقع ولفحوى الآية المقدمة ولأنها الأنفع في التفسير وفهم معاني الآيات ومداليلها، ولو لأجل انها تقتضي تفسير القرآن بالقرآن وهي الطريقة المثلى عادة عند المعصومين -عليه السلام- وعند اتباعهم من السلف الصالح رضوان الله عليهم.

نتيجة البحث:

لقد توصل هذا البحث الى اهم النتائج الآتية:

- ١- هناك آراء مختلفة في التفريق بين التفسير و التأويل وصلت الى مايقارب الخمسة عشر رأياً؛ الا انه يمكن استظهار انهما واحد في المعنى والواقع وفي المفهوم والمصاديق، خصوصاً على تعريف العلامة الطباطبائي للتفسير بأنه بيان معاني الايات القرآنية وكشف مقاصدها ومداليلها.
- ٢- يمكن الرد الاجمالي على فحوى هذه الاراء المفرقة بين التفسير و التأويل بأن الوجدان والواقع العملي يشهدان بأن التفسير في حقيقته الذي يكشف عن المعنى المراد هو كاشف عن مصاديقها أيضاً و بلا فرق بين كون هذا المصداق هو الأول أو كونه هو السبب للنزول وبين كونه يعبر عن مصاديق أخرى يمكن ان ينطبق عليها المفهوم نفسه بعدما عرفنا ان السبب لا يخصص المسبب، او ان المورد لا يخصص الوارد، أي ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد تعارف ذلك عند الباحثين في أسباب النزول، قال الامام الباقر -عليه السلام-: (ان القرآن يجري فيهم كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الاحياء...) (٩٥).
- اما هذا التوهم في الفرق بينهما فقد جاء بعد استعمال لفظة التأويل في محل التفسير عند بعض القدماء كمجاهد وأبو عبيدة وابن عباس بل حتى عند أمثال ابن جرير الطبري وغيرهم، ولا مشاحة في الاصطلاح، فان التفسير و التأويل معرفة معاني الآيات والمقصود منها ومداليلها ومصاديقها سواء أكانت من الظاهر او بالاجزاء الى الباطن اظطراباً.
- ٣- يمكن الاستدلال على عدم الفرق بين التفسير و التأويل عملياً بما يلي:

^{٩٤} - سورة ال عمران من الآية ٧.

^{٩٥} - بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج ٨٩، ص ٩٧/ بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ص ٢٢٢.

ان المعاني اللغوية والاصطلاحية للتفسير والتأويل^(٩٦) تدل على تطابقهما او تقاربهما على الاقل، بحيث يظهر للمتأمل انهما يرجعان الى اصل ومعنى واحد، ولهذا صار كل من التفسير و التأويل بعهدة المفسر نفسه الذي لا بد له من ان يعطي المعنى النهائي المراد للآية ظاهراً كان أم باطناً.

ان هذا التطابق ثابت عند القدماء الى حد الترادف عند الاستعمال، ومنهم ابن عباس وأبو عبيدة وأبو العباس المبرد ومجاهد والشيخ الطوسي وابن جرير الطبري وغيرهم^(٩٧).. ومن المعلوم انهم أقرب للتشريع، بل عاش بعضهم زمن المعصوم -عليه السلام- فكيف لا يفهم الفرق بينهما ان كان، فلو كان لبنان، ولاكد عليه المعصوم -عليه السلام- في كلامه وأوضح الفرق بينهما.

ثم ان بعض اللغويين المعتمدين قد صرح في معنى التفسير والتأويل باثما واحد، مثل قول الجوهري: (التأويل: تفسير ما يؤول اليه الشيء)^(٩٨) وقول الفيروزابادي: (أَوَّلُ الكلام تأويلاً وتأوله: دبره وقدره وفسره)^(٩٩) وهكذا صنع ابن منظور في استعماله للتأويل بمعنى التفسير في مواضع متعددة^(١٠٠).

وهكذا صنع العلامة معرفة حيث قال: (التأويل بمعنى الكشف عن المفهوم العام المختبأ وراء ستار اللفظ هو نوع تفسير يعني بالمفاهيم الباطنة، والتي تشكل رسالة الآية الخالدة يكشفها المفسر الخبير)^(١٠١) وكذلك فان بعض المعصومين -عليهم السلام- لم يذكروا في نصوصهم الشريفة التفسير قبال التأويل، بل ذكروا التنزيل قبال التأويل، ويفهم منهم -عليهم السلام- انهم قصدوا بالتأويل التفسير نفسه، ثم ان القران الكريم يشهد على ذلك فقد وردت كلمة (تأويل) او ما يقاربها مثل (تأويله) و(تأويلاً) في عشرة مواضع كلها كانت (بمعنى تفسير) اما تفسير الايات او تفسير الالفاظ والاقوال او تفسير الاحلام وهكذا.

٤- ان التفسير و التأويل لما كانا بمعنى الكشف عن المعنى المقصود و توضيح المفاهيم الجدية المرادة من النص القراني (وبالتالي من أي نص آخر سماوي او أدبي او فني او غيره) فهذا يمكن ان يكون قريباً مما اراده الفيلسوف الالماني فردريك شليرمماخر رائد الهرمنيوطيقا فيما عرف عنها من انها قواعد فهم النصوص (والمفروض ان تكون من خلال القرائن الحالية و المقالية و ظروف النص نفسه والاجواء المحيطة به وسبب صدوره ومنها معاني مفردات النص وثقافته السائدة في زمانه) ومما قصده دلتي في منهجه التأويلي لنصوص اللاهوت؛ وهو ما يوضح العلاقة الحميمة التي لايمكن انكارها بين القصد و النص و التفسير (او الكاتب والمتن والناقد) وهذا مما يمكن قبوله في فهمنا للنصوص عامة و النص القراني خاصة وتحديد مصداقه وامكانية شموله لمصاديق اخرى حسب قاعدة الجري والتطبيق؛ وتنقيح المناط و مناسبات الحكم و الموضوع..

اما اذا كان المقصود من هذه القواعد في الهرمنيوطيقا المعاصرة عزل المؤلف عن نصه وترك قصده منه تماماً حين تفسير النص بحيث تكون النصوص أشبه بالقوالب الفارغة القابلة لأي معنى فلا يمكن قبول

^{٩٦} - كما اوضحنا هذه المعاني بنصوصها في ص ١ فراجع.

^{٩٧} - راجع: مجمع البيان، الطبرسي ج ١، ص ١٠٣، الاتقان، السيوطي ج ٤، ص ١٦٥، التبيان في تفسير القران، الطوسي، ج ٣، ص ٣٩٨.

^{٩٨} - الصحاح في اللغة، ج ١، ص ٢٧.

^{٩٩} - القاموس المحيط، ج ١، مادة اول.

^{١٠٠} - لسان العرب، ج ٣، ص ٢٣٨ وغيرها.

^{١٠١} - التأويل، ص ١٤.

ذلك، ولا يمكن مشابته بالتفسير و التأويل كما عرفنا، لأن ذلك بأختصار سيوقع المفسر في تقويل المؤلف ما لم يقله وتحميل النص ما لا يخلقه حينما يختلي بالنص المفسر وحده ويتعد عن قصد مؤلفه فيفتح المجال امامه لتأويلات النص حسب ميوله و توجهاته الخاصة، وهذا بعينه الفوضى في فهم النصوص.

٥- ان التأويل حيث يكون تفسيراً للآيات خلاف الظاهر والمتبادر منها؛ يمكن ان نقسمه على نوعين اساسين فمنها اضطراري ومنها اختياري...

الاضطراري: وهو التأويل الذي لابد من القول به وترك الظاهر من الآيات، وذلك اذا كان الظاهر يتعارض مع العقل والعقيدة او العرف والذوق العام والمنطق السليم..

اما الاختياري: وهو التأويل الذي يمكن القول به من باب التوسع في المفهوم وفي المصاديق بدليل وحجة، ويمكن تركه والاخذ بالظاهر فقط مادام ليس فيه تعارض مع العقل او العقيدة او غيرها.

المصادر:

القرآن الكريم

- ١- الامالي، الشيخ الطوسي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١، ١٤١٤.
- ٢- الاتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، منشورات ذوي القربى، قم، ٢٠٠١م.
- ٣- اسباب النزول، الواحدي النيسابوري، الناشر: دار الاصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢.
- ٤- اشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد ابو زيد، الناشر: مؤمنون بلا حدود، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
- ٥- الاصول الخمسة، القاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق: فيصل بدير عون، جامعة الكويت، ط١، ١٩٩٨م.
- ٦- أيسر التفاسير، الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ٢٠١٣م.
- ٧- بحار الانوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٧، ٢٠١١م.
- ٨- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، بيروت، ١٩٧٢.
- ٩- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي، مكتبة الزهراء، ط١، ٢٠١٤م.
- ١٠- التأويل في مختلف المذاهب و الاراء، محمد هادي معرفة، الجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، طهران، ط١، ٢٠٠٦م.
- ١١- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، دار احياء التراث العربي، قم، ط١، ٢٠١٧م.
- ١٢- التعددية الدينية ومنطق التعايش، عبد الكريم سروش، تحقيق: عامر عبد زيد، الناشر: مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٥.
- ١٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ٢٠١٥.
- ١٤- تفسير الاصفى، الفيض الكاشاني، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٢، ١٤١٦ هـ.
- ١٥- تفسير روح المعاني، الالوسي، دار الطباعة المنيرية، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

- ١٦- تفسير المحرر الوجيز، ابن عطية، دار ابن حزم، بيروت، ط٣، ٢٠٠٥.
- ١٧- تفسير البحر المديد، ابن عجيبة الاندلسي، تحقيق: احمد القرشي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١.
- ١٨- تفسير انوار التنزيل و اسرار التأويل، البضاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨.
- ١٩- تفسير التحرير و التنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٩٨٤ م.
- ٢٠- تفسير تنوير المقباس، عبد الله بن عباس، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- ٢١- تفسير الكشاف، الزمخشري، الناشر: المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠١٣.
- ٢٢- تفسير النكت و العيون، ابو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م.
- ٢٣- تفسير المنار، علي رشيد رضا، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤.
- ٢٤- التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد، قم، ط١، ٢٠١١ م.
- ٢٥- جامع الاخبار، اقا بزرگ الطهراني، نشر مدينة العلم للنشر والتوزيع، ط١.
- ٢٦- جامع البيان، الطبري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٥ م.
- ٢٧- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦ م.
- ٢٨- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، د. محمد علي الرضائي، نشر مركز المصطفى العالمي، قم، ط١، ٢٠١٤ م.
- ٢٩- دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة البعثة، طهران، ط١، ١٤١٨.
- ٣٠- شبكة جمعية مكنون- الانترنت.
- ٣١- الصحاح في اللغة، ابو بكر الرازي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧ م.
- ٣٢- عوالي اللآلئ، ابن ابي جمهور، الناشر: المكتبة المرعشية، قم، ط١، ١٩٨٣ م.
- ٣٣- الفصول المهمة في أصول الائمة، الحر العاملي، منشورات المكتبة المركزية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣ م.
- ٣٤- فهم القرآن، المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.
- ٣٥- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥ م.
- ٣٦- القبض و البسط في الشريعة (مقالة)، عبد الكريم سروش، ترجمة: دلال عباس، مجلة الاجتهاد، طهران، ٢٠٠٣.
- ٣٧- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤.
- ٣٨- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م.
- ٣٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ م.
- ٤٠- مناهج تفسير القرآن، كمال الحيدري، مؤسسة الهدى، بيروت، ط١، ٢٠١٣ م.

- ٤١- موجز علوم القرآن، داوود العطار، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٩٥ م.
- ٤٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٥، ٢٠١١ م.
- ٤٣- المفردات، الراغب الاصفهاني، دار الشامية، دمشق، ط١، ١٤١٢.
- ٤٤- المناهج التفسيرية في علوم القرآن، جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق، قم، ط١، ١٤٣٢.
- ٤٥- الموافقات، الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ م.
- ٤٦- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٤١٧.
- ٤٧- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابو الحسن النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- ٤٨- وسائل الشيعة، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت، قم، ط٣، ١٩٩٦ م.

سلامة القضاء عند الامام علي -عليه السلام- الفقه الجنائي انموذجا

The Integrity of the Judiciary by Imam Ali (PbUH): An Example of Criminal Jurisprudence

م.د زهراء مهدي كاطع^(١) Lect. Zahra Mahdi Gati

هبة مرتضى علي^(٢) Hiba M. Ali

الملخص

إنَّ توزيع اهداف الحكم عند أمير المؤمنين -عليه السلام- على مستويين يتمثل الأول بالاهداف الاساسية الضرورية التي تمس حياة الأفراد والمجتمع مساً مباشراً وهي في اربعة اتجاهات مالية ودفاعية وتنموية واصلاحية وعمرانية وهي بدورها التزامات اساسية يفرض بدورها ان تدور حولها سياسة الحكومة، اما الثاني فيمثل الاهداف العليا التي يجمعها اطار العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى وهو الهدف المعنوي الذي يوفر الاجابة الاسلامية عن فلسفة الوجود الانساني وتقوم الانسان وتربيته.

والحكومة الشرعية في الاسلام وعند الامام علي -عليه السلام- هي تلك الحكومة التي تكون حاكمية لله تعالى على الصعيد التشريعي في اقامة العدل.

وهناك علاقة جدلية بين حقوق الحاكم وبين حقوق المحكومين فواجبات الحاكم تصل حقوقاً الى الرعية وفي المقابل تنعكس حقوق الرعية حقوقاً الى الحاكم وقد قدم الامام علي -عليه السلام- حقوق الرعية على حقوق الحاكم.

الكلمات المفتاحية: القضاء عند الامام علي -عليه السلام-، الفقه الجنائي، عهده -عليه السلام-، لمالك الاشر.

^١ - جامعة اهل البيت -عليه السلام- /كلية العلوم الاسلامية.

^٢ - جامعة اهل البيت -عليه السلام- /كلية العلوم الإسلامية.

Abstract

The goals of governance for the Commander of the Faithful, peace be upon him, can be divided into two levels. The first is represented by the basic and necessary goals that directly affect the lives of individuals and society, and they are in five directions: financial, defense, development, reform, and construction, which in turn are basic obligations that impose in turn the government policy around them, while the second represents the goals It is the moral goal that provides the Islamic answer to the philosophy of human existence, the evaluation and education of man.

The legitimate government in Islam and according to Imam Ali, peace be upon him, is that government that is the ruler of God Almighty on the legislative level in the establishment of justice.

There is a dialectical relationship between the rights of the ruler and the rights of the governed. The duties of the ruler amount to rights of the subjects, and in return, the rights of the subjects are reflected in the rights of the ruler. Imam Ali, peace be upon him, presented the rights of the subjects over the rights of the ruler.

Keywords: Judgment with Imam Ali, criminal jurisprudence, The era of the Imam to Malik Al-Ashtar.

المقدمة

إنَّ شخصية الإمام علي بن أبي طالب - (عليه السلام) - شخصيه فذة بل انها معجزة من معجزات الاسلام، لما تملكه من عمق و ثراء في مختلف جوانب الحياة البشرية والابداع الحضاري على مرّ العصور. وصف النبي الأكرم - (صلى الله عليه وآله) - الإمام علي - (عليه السلام) - حيث قال - (صلى الله عليه وآله) - : (أضياكم عليّ بعدي) (٣). وانه الوحيد الذي لم يحتج به الرسول المعظم حين ولاه قضاء اليمن رغم انه كان وقتها شاباً يافعاً الامر الذي يدلنا على تمتعه بالهام رباني وخصوصية قضائية استحق فيها ان يصفه النبي الأكرم - (صلى الله عليه وآله) - بانه اقضى الأمة.

قال الشيخ المفيد: "مما جاءت به الرواية في قضاياها والنبي - (صلى الله عليه وآله) - حي موجود، أنه لما اراد رسول الله - (صلى الله عليه وآله) - تقليده قضاء اليمن وانفاذه إليهم ليعلمهم الاحكام، ويبين لهم الحلال من الحرام، ويحكم فيهم بأحكام القرآن، قال له أمير المؤمنين - (عليه السلام) - : (ندبني يا رسول الله للقضاء وانا شاب ولا علم لي بكل القضاء، فقال له: ادن مني، فدنا منه، فضرب على صدره بيده، وقال - (صلى الله عليه وآله) - : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه. قال أمير المؤمنين - (صلى الله عليه وآله) - : فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام)".

فما هو اذن منهجه في القضاء؟ وكيف كان يقضي بين الناس؟ وما هي طريقته وحلوله العملية في جزئيات المسائل والقضايا التي كانت تعرض عليه؟ ان استعراض اقواله ومعالجاته لأمر القضاء، علاوة على

٣- الأحتجاج، الشيخ الطبرسي، تحقيق: السيد محمد باقر الخراسان، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ١٠٣.

أحكامه في جزئيات المسائل التي ورثناها عنه -عليه السلام-، يمثل أهم الوثائق التي تمدنا بالأسس الرئيسة لمنهجها في القضاء.

محتويات البحث

تضمن هذا البحث أربعة مباحث حيث كان المبحث الاول المصطلحات بين اللغة والاصطلاح ضم ثلاثة مطالب، المطلب الاول تعريف الفقه لغة واصطلاحاً والمطلب الثاني تعريف الفقه الجنائي لغة واصطلاحاً والمطلب الثالث تعريف القضاء لغة واصطلاحاً وتناول المبحث الثاني المواصفات التي يجب أن يتحلى بها القاضي في فكر الإمام علي -عليه السلام-، ضم ثلاثة مطالب، المطلب الاول صفات القاضي وشروطه في رسالة الامام علي -عليه السلام-، والمطلب الثاني ضمانات التقاضي عند الامام علي -عليه السلام-، والمطلب الثالث مراعاة وحدة الاحكام القضائية، اما المبحث الثالث الدعوى ووقائعها في المنهج القضائي ضم كذلك ثلاثة مطالب، المطلب الاول العمل القضائي عند الامام علي -عليه السلام- والمطلب الثاني الدعوى ووقائعها ومدلول سيرها، والمطلب الثالث احضار الطرفين وفهم الدعوى والمساواة بينهم، المطلب الرابع أدلة الاثبات، اما المبحث الرابع الحدود والديات في فكر الامام علي -عليه السلام- دراسة تطبيقية، ضم ثلاثة مطالب، الاول حد الزنا، والمطلب الثاني حد الخمر، والمطلب الثالث دية الجناية في قتل النفس.

أهداف البحث

١. ابراز دور الامام علي -عليه السلام- في تأسيس قواعد الفقه الجنائي وانظمتها.
٢. للامام علي -عليه السلام- دور كبير في بناء الدولة الاسلامية من خلال تطبيقات الاحكام الشرعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.
٣. ايضاح مفهوم القضاء واهميته في بناء الدولة الاسلامية.
٤. مدى تحقق العدالة الاجتماعية وضمان حقوق الفرد في الدولة الاسلامية.
٥. معرفة تأثير القضاء من الناحية السياسية والاقتصادية والعسكرية.
٦. معرفة اثبات الحقوق وكيفية رفع الدعوى وثبوتها واخذ الحقوق لاصحابها ومعاقبة المفسدين.
٧. تربية سلوك الفرد وتقويمه في المجتمع ومعرفة ما عليه من حقوق وواجبات.

منهجية البحث

اتبعنا المنهج الفقهي والوصفي اي ان الدراسة فقهية وصفية في تحديد كافة المفاهيم المرتبطة بالفقه الجنائي في قضاء الامام علي -عليه السلام- وأثره في بناء الدولة الاسلامية.

فرضية البحث

هناك فرضية مفادها ان الامام علي -عليه السلام- له دور كبير في ارساء معالم القضاء في الفقه الجنائي الاسلامي فهو الذي اسس قواعد القضاء من خلال احكامه وتطبيقاته القضائية ونظرته المميزة لمعالجة الاشكاليات التي تعاني منها الدولة المعاصرة.

مشكلة البحث

ومن هنا تكمن مشكلة البحث؛ انه لايمكن ان يتم القانون الوضعي بدون القانون السماوي التشريعي وعلى ضوء ماتقدم يمكن طرح التساؤل الذي يبرز اشكالية هذا البحث على النحو الآتي ما هو دور فقه القضاء الجنائي في تحقيق العدالة الاجتماعية؟ هل يساهم القضاء الجنائي في تحقيق العدالة بشتى انواعها في بناء الدولة الاسلامية؟

المبحث الأول: المصطلحات بين اللغة والاصطلاح

المطلب الاول: تعريف الفقه لغة واصطلاحاً

اولاً:- تعريف الفقه لغة

ذكر علماء اللغة ان معنى الفقه من الفهم والعلم في الدين، يقال: فقه الرجل يفقه فقيهه، وفقه يفقه فقهاً، اذا فهم^(٤).

وجاء في لسان العرب: الفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر انواع العلم، وقال ابن الاثير: وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة شرفها الله تعالى.

ثانياً:- الفقه في الاصطلاح:

ورد عن الفقهاء ان معنى الفقه اصطلاحاً هو (العلم بالاحكام الشرعية الفرعية من ادلتها التفصيلية)^(٥). ويفاد من التعريف المذكور تقييد العلم بالأحكام فقد خرج العلم بالذوات كالنباتات والجمادات وغيرها، والتقييد الشرعي يخرج العلم بالأحكام غير الشرعية كالأحكام الطبيعية واللغوية، اما تقييد الشرعية بالفرعية فإنه يخرج التعريف عن العلم بالأحكام الشرعية الاصولية كأصول الدين واصول الفقه، وقيد الأدلة التفصيلية يخرج التعريف عن علم المقلد بالاحكام الشرعية الفرعية والوظائف العملية لأن عمله بذلك لم يكن عن ادلة تفصيلية بل عن تعبد برأي سواه، وهو المجتهد والعمل طبق فتواه.

المطلب الثاني: تعريف الجناية لغة واصطلاحاً

اولاً:-تعريف الجناية لغة:

قبل ان معنى الجناية من جنى يجني، بمعنى اخذ يقال جنى الثمر إذا اخذه من الشجرة ويقال جنى على نفسه وجنى على قومه جناية إذا جر عليهم وهي اسم لكل مايجني الشخص ومايكسبه من أثم وهي عامة في الشر كله وخصصت بما حرمه الشرع دون غيره فالجاني اضاف على نفسه واكتسب اثماً وشرأ بارتكابه هذه الجناية^(٦).

^٤- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، دار مكتبة الهلال تحقيق: د. مهدي المخزومي، باب العين والضاد وللاء معاً، ج ٣، ص ٣٧٠.

^٥- معالم الدين وملاذ المجتهدين، الشهيد الثاني ابن الشيخ زين الدين، تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م، ص ١٤٠.

^٦- لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ج ١، ص ٥١٩، القاموس المحيط، الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج ٤، ص ٣١٥، مختار الصحاح، للرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م، ص ٤٨.

ثانياً: - تعريف الجناية في اصطلاح الفقهاء:-

ورد معنى مصطلح الجنائي عند الفقهاء هو (هي كل فعل محرم شرعاً مطلقاً سواء وقع على نفس او مال او غير ذلك).

ويلاحظ ان الجناية هي الجريمة في اصطلاح الفقه الاسلامي والواقع ان الجناية هي أثر فعل الجاني فيجب ان يختص بضررها كما يختص بفعلها والاصل الذي بنيت عليه الجنائيات في الشريعة هو درء المفسد أو جلب المصالح ومن أهم مايتحقق به مصلحة الخلق الحفاظ على الضروريات الخمس المعروفة عند الاصوليين بالضرورات التي رويت في الشريعة الاسلامية والشرائع السماوية وهي (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العرض، حفظ المال، حفظ العقل)^(٧).

المطلب الثالث: تعريف القضاء لغة واصطلاحاً

اولاً:- تعريف القضاء لغة:

جاء في معنى القضاء بالمد اصله(قضي) لانه من قضيت فأبدلت الياء همزة لمجيئها بعد الف ساكنة فصارت قضاء، وللقضاء في اللغة معاني كثيرة منها أحكام الشيء واتمامه والفراغ منه وأمضائه والحكم بين المتخاصمين، والفصل بين الشئتين وقضاء الحاجة، وقضاء الأمر وقضاء الدين، وجاء في معنى الحكم قوله تعالى: ﴿والله يقضي بالحق﴾^(٨) اي يحكم^(٩).

ثانياً:- تعريف القضاء اصطلاحاً:

قيل في معنى القضاء عند الفقهاء هو (ولاية الحكم شرعاً لمن له أهلية الفتوى بجزئيات القوانين الشرعية على أشخاص معينة بشرية متعلقة بإثبات الحقوق وأستيفائها للمستحق)^(١٠).

المبحث الثاني: المواصفات التي يجب أن يتحلّى بها القاضي في فكر

الامام علي - عليه السلام -

المطلب الأول: صفات القاضي وشروطه في رسالة الامام علي - عليه السلام -

أولى الاسلام القضاء اهمية كبرى فعده من ارفع المناصب وأسمىها فهو إمارة شرعية يمارسها ولي أمر المسلمين وخليفته بنفسه لأنه من الوظائف الداخلة تحت الخلافة والمندرجة في عمومها، لابل انه غصن من شجرة الرئاسة العامة للنبي وخلفائه^(١١). فالقضاء يتمم الأمر المتنازع فيه بالفصل والحسم

^٧ - الجنائيات في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الاسلامي والقانون، الشاذلي، حسن علي، ط٢، دار الكتاب الجامعي،

ج١، ص٢٣، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنة بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م، ج٢، ص٤.

^٨ - سورة البقرة، الآية ٢٥١.

^٩ - لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ج١٥، ص١٨٦.

^{١٠} - رياض المسائل، علي الطباطبائي، ط١، مركز الطباعة والنشر المجمع العالمي لأهل البيت - عليه السلام -، قم المقدسة، ايران ١٤٢٢م،

ج٢، ص٣٨٥.

^{١١} - المقدمة، ابن خلدون، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص٢٢٠.

فالقضاء منصب حساس ومهامه دقيقة لتعلقها بحقوق الناس وحرياتهم اضافة الى حقوق الباري سبحانه وتعالى، وحسبه درجة إن يكون بادئ ذي بدء من حقوق الرسول الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم - اذ إنه اول قاضي في الأسلام ثم اناط أمر القضاء لبعض اصحابه من توسم فيهم الكفاءة في مركز ولايته وسلك نمجه المقدس خلفاؤه من بعده مع ملاحظة أنَّ الأمام علي - عليه السلام - كان قد قضي بين الناس في خصوماتهم على عهد النبي الأمين وفي عهود من تولى الخلافة بعده.

وتعد رسالة القضاء للامام علي - عليه السلام - من الوثائق المهمة التي استند اليها الفقهاء في تحديد صفات اختيار القاضي وتحقيق العدالة والمساواة أمام القضاء وقد ركز الأمام - عليه السلام - على قواعد صارمة في اختيار القاضي وشروطه ليحول دون الغبن الذي يلحق بالناس عن طريق القاضي والشروط التي استنتجها الفقه من رسالة القضاء هي:

اولاً: شروط الكفاءة العلمية

يعد من اول الشروط التي يجب توفرها في القاضي لأنه بدون هذا الشرط سوف يضطر القاضي الى ان يحكم أما بعلمه المحدود وأما وفق هواه وكلاهما لا يكفي في إقامة الحدود والمساواة بين الناس. وأشار الأمام علي - عليه السلام - على شرط الكفاءة العلمية التي جاء فيها في رسالته الى مالك الاشر - رضوان الله عليه - : [ثم اختر للحكم: اي للقضاء، افضل رعيتك] واشترط افضل الرعية لاييني ان يكون القاضي اعلم زمانه وانما يفهم الترجيح بالصفات التي تتوفر في القاضي وان يحيط علماً بمعرفة تفاصيل القضايا التي تعرض عليه والتي عبر عنها الأمام - عليه السلام - [لايكتفي بأدنى فهم دون أقصاه] اي انه لا يكفي إصدار حكمه بما يبدو له بأول الفهم ويقر به دون أقصى الفهم فهو لا يكتفي بأقوال الخصوم وانما يزيد الى معلوماته معلومات أخرى حتى يحيط بالقضية المعروضة امامه من كل جوانبها. ولتحقيق الكفاءة العلمية عند القضاة كان الأمام علي - عليه السلام - يجمع القضاة والفقهاء بين حين وآخر ليوحد الأسس التي تقوم عليها الأحكام القضائية في كافة انحاء البلاد ويجعل القضاة على علم واسع بما بلغ اليه الاجتهاد^(١٢).

ثانياً: شرط العدالة

العدالة ملكة في النفس تمنع صاحبها من ارتكاب الكبائر والرذائل والاصرار على الصغائر فهي استواء احوال الإنسان في دينه واعتدال اقوله وافعاله. ونستنتج من عهد الامام علي - عليه السلام - لمالك الاشر - عليه السلام - والذي جاء فيه (ولا يكونن المحسن والمسيء عندك سواء، فإن ذلك ترهيداً لأهل الاحسان في الأحسان وتدريباً لأهل الاساءة على الإساءة، والزم كل منهم ما ألزم نفسه) وجاء في العهد أيضاً قوله - عليه السلام - (وليكن احب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية) فكانت شخصية الامام - عليه السلام - في الأصلة والتماسك فقد ضرب بنفسه اروع الأمثال في المساواة المطلقة بين الناس أمام القضاء فقد شكّا أحد الناس الأمام علي - عليه السلام - الى عمر بن الخطاب في خصومة وكان عمر آنذاك خليفة، فأحضرهما وقال: لعلي - عليه السلام - قف يا ابا الحسن بجانب خصمك فبدأ التأثر على وجه الامام علي -

^{١٢} - الامام علي - عليه السلام - صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ط١، دار المهدي، المجلد الأول، ص٣٥٧-٣٥٨، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

عليه السلام - فقال عمر: أكرهت يا علي ان تقف الى جانب خصمك، فقال له: لا ولكني رأيتك لم تسوّ بيني وبينه إذ عظمتمني بالتكنية ولم تكنه ^(١٣) تستند روح العدالة عند الامام علي - عليه السلام - الى التشريع الاسلامي ونصوصه فهي ليست مجرد فضيلة من الفضائل بل بوصفها جزء من الشريعة وقد وردت آيات قرآنية كثيرة دالة على الأخذ بالعدالة ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ^(١٤) فالاسلام لا يطلب العدالة من القضاء بل هي مفروضة على كل من يملك السلطة فقد اوجب الاسلام على الحكام الالتزام بالعدالة حتى مع الاعداء ^(١٥).

ثالثا: التشديد في تطبيق الأحكام

لقد شدد الإسلام في شروط من يصلح للقضاء وذلك لأن القضاء مسلط على دماء وأعراض وممتلكات الناس وهو الذي يحكم ويفصل في كلّ ذلك فينبغي في رجال القضاء توفر شروط دقيقة وهذه الشروط قد جاءت في قول الإمام علي - عليه السلام - لقاض: (هل تعرف الناس من المنسوخ؟ قال: لا، قال: فهل أشرفت على مراد الله عزّ وجلّ في أمثال القرآن؟ قال: لا، قال: اذن هلكت، وأهلك). والمفتي يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقائق السنن وبواطن الإشارات والآداب والإجماع والاختلاف، والاطلاع على أصول ما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه، ثم إلى حسن الاختيار، ثم إلى العمل الصالح، ثم الحكمة، ثم التقوى، ثم حينئذ إنّ قدر ^(١٦) فنحن نرى شروطاً دقيقة في من يتولى القضاء وقد فصل فقهاؤنا هذه الشروط كما يأتي:

١- البلوغ ٢- العقل ٣- الذكورة ٤- الإيمان ٥- طهارة المولد ٦- العدالة ٧- الرشد ٨- الاجتهاد، بل الضبط على وجهه، ولا تعتبر فيه الحرية كما لا تعتبر فيه الكتابة ولا البصر، فإن العبرة بالبصيرة ^(١٧).
فنحن إذا تمعنا في هذا النص الفقهي نجد أن الإسلام اهتم أولاً في أن يكون القاضي بالغاً ففي البلوغ يكتمل النضوج الذهني للإنسان، فليس صحيحاً أن يتولى القضاء من لم يبلغ السن القانونية، وهي البلوغ إضافة لذلك الشرط يجب أن يكون عاقلاً وليس فيه نقص في قواه الذهنية ويجب أن يكون ذكراً فإن الإسلام حرم تولي المرأة ^(١٨) لهذا المنصب الحساس، لان المرأة بطبيعتها الأنثوية مرهفة الأحاسيس، ولما لها من شفقة وحنان بحيث يمكن أن تخدعها دموع المتخاصمين فتحكم وفقاً لعواطفها، كذلك المرأة معرضة لحالات الحمل والولادة، والعادة الشهرية، ورضاعة الأطفال، والسهر على تربيتهم، فكل هذه العوارض الطبيعية التكوينية تؤثر سلباً على قابليتها سواء من الناحية النفسية أو الجسدية، فلكل هذه الأسباب حرم الإسلام على المرأة أن تتولى أمراً لا طاقة لها به، فهو دين يسر لا يمكن أن يكلف الإنسان فوق طاقته

١٣- الامام علي - عليه السلام - صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص ٣٥٣-٣٥٤.

١٤- سورة النحل، الآية ٩٠.

١٥- مبادئ نظام الحكم في الاسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، عبد الحميد متولي، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ١٩٧٤، ص ٢١٨.

١٦- مصباح الشريعة، المنسوب للأمام الصادق - عليه السلام -، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص ٣٥١.

١٧- مباني تكملة المنهاج، الخوئي، السيد أبو القاسم، كتاب القضاء، مؤسسة الخوئي الإسلامية، ج ١، ص ٢٦.

١٨- الاحكام السلطانية، الماوردي ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ٢٠١٤م، ص ٦١.

لقوله تعالى: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت ﴾^(١٩). وقد ذكر الشيخ المفيد في حديث طويل عن ابن عباس - عليه السلام - عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فصل فيه عوامل عدم صلاحية المرأة للقضاء.

ومن شروط القاضي هو الإيمان، فيجب أن يكون مسلماً مؤمناً بالله تعالى، ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - وبكتابه، وبرسوله، وباليوم الآخر وغيرها من شروط الإيمان، والتي تكون الأساس في تقويم شخصيته واستقامتها، كذلك من شروط القاضي أن يكون طاهر المولد وليس معروفاً بأنه ولد من سفاح حتى تتعزز مكانته في المجتمع، ولا يكون فيه مطعن يمكن أن ينفذ إليه المنافقون لا لأن ولد الزنا يتحمل خطيئة أبويه فقد قال تعالى: ﴿ ولا ترر وزارة وزر أخرى ﴾^(٢٠). فإن ولد الزنا لا يتحمل تلك الجريمة لأنه ولد بريئاً ولكن للمجتمع أعرافاً وتقاليده ينبغي مراعاتها ولا يمكن أن يكون الحاكم والقاضي المسلم فيه ثغرة يمكن أن ينفذ منها من في قلبه مرض، وشك، ونفاق، الشرط الآخر، وهو الأهم أن يكون القاضي عادلاً منصفاً غير مرتكب للمعاصي التي تخل بالعدالة، وأن يكون راشداً ذكياً مستقيماً، وأن يكون عالماً بالفقه، ومجتهداً^(٢١) ومطلعاً على القوانين الإسلامية وإذا لم يكن مجتهداً، فيجب أن يكون ضابطاً للأمور الفقهية، والمسائل القانونية، فهذه هي أهم الشروط الواجب توفرها في من يتولى القضاء، ومن الأمور التي استثناهما الإسلام في شروط القاضي هي مسألة (الحرية)، فهو لا يشترط في القاضي أن يكون من عليّة القوم ووجهائهم كما تشترطه بعض القوانين الوضعية سواء القديمة، منها مثل القانون الروماني، الذي كان يشترط أن يكون القاضي من النبلاء، أو كما يشترطها القانون البريطاني الملكي في وجوب كون القاضي من اللوردات، أو من المحافظين، فإن الإسلام أجاز القضاء ومنصبه الرفيع حتى للعبيد الذين لا يملكون حريتهم ما دامت تتوفر فيهم الشروط الأساسية الأخرى، وهذه هي عظمة الإسلام^(٢٢).

المطلب الثاني: ضمانات القاضي عند الامام علي - عليه السلام -

تستند رسالة القضاء للإمام علي - عليه السلام - على أسس وقواعد مهمة تهدف الى تنظيم حسن سير القضاء وأجراءاته وضمان حقوق الخصوم وعدم الاضرار بهم، فضلاً عن ذلك يحرص الامام علي - عليه السلام - الى إيجاد قواعد خاصة لضمان نزاهة القضاة وحماية استقلالهم تجاه الخصوم والغرض من هذه الضمانات هي حماية القاضي من نفسه وضعت رسالة الامام علي - عليه السلام - حداً لمثل هذه التصرفات التي قد تؤثر على نزاهة القاضي وحيادته؛ لأنه بشر والنفس أمانة بالسوء فقد وضع الامام علي - عليه السلام - اسساً وقواعد لضمان وظيفة القاضي^(٢٣) منها:

١٩- سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

٢٠- سورة فاطر، الآية ١٨.

٢١- الفقه الاسلامي وادلته، د. وهبة الزحيلي، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ١٩٨٥، ج٦، ص ٧٤٦.

٢٢- تأملات قانونية في رسالة القضاء للإمام علي - عليه السلام -، عباس زبون العبودي، مجلة أهل البيت - عليه السلام -، العدد ١٤٣٠ هـ.

٢٣- صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص٣٦٢.

أولاً: استقلال السلطة القضائية

إنَّ أول من بدأ بأسلوب استقلال القضاء هو أمير المؤمنين -عليه السلام- فهو مبدع هذه الفكرة من خلال المنهج القضائي الذي اعتمده في الاحكام والقضايا التي حكم بها وكل من كتب في القضاء الاسلامي استند الى منهج أمير المؤمنين -عليه السلام-. فقد سعى الأمام -عليه السلام- الى فصل القضاء عن السلطة التشريعية والتنفيذية لكي يكسب القضاة الحصانة ويؤمنهم من عقاب السلطة؛ لأن من اهم اسباب نجاح القضاء هو ((ان يكون القاضي مستقلاً في الفكر والارادة، قوياً في الصميم والقرار غير متأثر بشيء من السلطات السياسية والاقتصادية))^(٢٤).

فقد جاء في كتابه -عليه السلام- ممالك الاشر ((واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك وانظر في ذلك نظراً بليغاً))^(٢٥).

ثانياً: التأمين الوظيفي والاقتصادي للقاضي

يستند النظام القضائي عند الامام علي -عليه السلام- على ضرورة التأمين الوظيفي والاقتصادي للقاضي؛ لانه عدم ضبط هاتين الوسيلتين تعم الفوضى والانحلال، وقد اوضح الامام علي -عليه السلام- هذا الامر لمالك الاشر والتي جاء فيها ((واعطه... اي للقاضي) من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره)) وبهذا يوصي الامام -عليه السلام- ان تكون للقاضي منزلة رفيعة عند السلطة بحيث لا يستطيع احد مهما كانت درجته ان يعيق عملهم.

تعد رواتب القضاة في الإسلام أعلى رواتب يتقاضاها موظف في الدولة الإسلامية فلم يحدد الإسلام لهم مرتباً معيناً بل لهم صك مفتوح كي لا تلجأهم الحاجة والفاقة إلى أخذ الرشوة من المتخاصمين فتختل الأحكام القضائية وتختفي العدالة فعن الإمام علي -عليه السلام- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ثم أكثر تعاهد أمره -أي القاضي- وقضاياه، وأبسط عليه من البذل ما يستغني به عن الطمع وتقل حاجته إلى الناس واجعل له منك منزلة لا يطمع فيها غيره حتى يأمن من إغتيال الرجال أياه عنك ولا يجاري أحداً للرجاء ولا يصانعه لاستجلاب حسن الثناء، أحسن توقيره في مجلسك، وقربه منك))^(٢٦).

فنحن نرى في هذا الحديث الشريف عن النبي -صلى الله عليه وسلم- سمو مكانة القاضي في النظام الإسلامي ومكانته الرفيعة، فليس هناك رتبة في السلطة الإسلامية أرفع من رتبة القاضي إلا رتبة الإمام وولي الأمر بحيث لا يلجأ القاضي إلى أحد الوزراء أو القادة كي يقربوه من الحاكم الأعلى للمسلمين أو يمدحوه لديه حتى لا يصبح أداة طيعة في أيدي هؤلاء المسؤولين كي يحكم لصالحهم إن حدثت لهم قضية لديه بل هو أرفع واسمى منهم جميعاً وأقرب شخصاً لدى الإمام، وهذه هي عظمة النظام القضائي في الإسلام وسموه

٢٤- دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، المنتظري، ط٢، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ج٢، ص ١٩٦.

٢٥- نهج البلاغة، الامام علي -عليه السلام-، ج٣، ص ٩٤.

٢٦- دعائم الاسلام، ابن حيون، القاضي النعمان المغربي، تحقيق: عاصف بن علي أصغر فيضي، دار المعرف، القاهرة، مصر، ١٩٦٣م، ج١، ص ٣٦٠.

فقد حذر الإسلام القاضي من أخذ الرشوة وقبول الهدية كذلك وسد عليه الطريق إن سولت له نفسه يوماً ما في ذلك الأمر^(٢٧).

وبنه الامام - عليه السلام - المراقبة الوثيقة للموقف المالي للقضاة حيث روي ان شريحاً اشترى داراً فقال له الامام علي - عليه السلام - : (بلغني انك اشتريت داراً بثمانين ديناراً، وكتبت لها كتاباً، واشهدت شهوداً، فقال شريح: كذلك يا أمير المؤمنين، قال: فنظر مغضباً ثم قال له اما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بيتك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك الى قبرك خالصاً، فأنظر يا شريح لاتكون ابتعت الدار من غير مالك، او نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا انت قد خسرت الدنيا والآخرة^(٢٨)) فالامام - عليه السلام - لا يريد لقضاته التميز عن بقية الناس بالمال وشراء الدور والاراضي ومع انه طلب من مالك الاشر - عليه السلام - ان يفسح لقاضيه في البذل ما يزيل علة وتقل معه حاجته الى الناس، ولكن هدف الامام - عليه السلام - كان سامياً لم يخلق طبقة عليا حاكمة من ولاته وقضاته، بل اراد ان يتعفف عما في ايدي الناس. فالامام علي - عليه السلام - يريد من المسؤولين ان يقارنوا انفسهم مع ضعفاء الناس وليس مع اغنيائهم^(٢٩).

ثالثاً: الرقابة على القضاة

إن رقابة القضاء تعد عاملاً مساعداً لدعم واستقلال وتقويم الجانب الاخلاقي والسلوكي للقاضي فضلاً عن الجانب العلمي والتشريعي، فقد عزل الامام علي - عليه السلام - ابو الأسود الدؤلي عن القضاء لرفع صوته على الخصم فقد روي ان أمير المؤمنين - عليه السلام - ولي ابا الاسود الدؤلي القضاء ثم عزله فقال له: لم عزلتني، ماخنت وماجنيت؟ فقال - عليه السلام - (اني رأيت كلامك يعلو كلام خصمك)^(٣٠) وقد رأى الامام علي - عليه السلام - ان مصلحة القضاء ورعاية العدل تقضي على ولي الامر ان يكثر من مراقبة واعمال وتصرفات القضاة من حين لآخر وإن كانوا متصفين بصفات المتكاملة وانهم افضل الرعية علماً واخلاقاً والشعور بالمسؤولية، قد يكون ضئيلاً في نفوس بعض المسؤولين فأراد الامام علي - عليه السلام - أن يكون الحق قوياً وعميقاً في نفوس الموظفين عامة والقضاة خاصة فعهد الى عامله ان يكثر تعهد قضائه والعمل بمبدأ استقلال القاضي يحتم وجود الرقابة لأنها ستكون الضمانة على عدم انحراف القاضي واستقلاله للحرية الممنوحة اليه^(٣١).

المطلب الثالث: مراعاة وحدة الاحكام القضائية

رفض الامام علي - عليه السلام - اختلاف القضاة في وحدة الاحكام القضائية، فالامام علي - عليه السلام - اكد على الجانب الاجتماعي في عملية التنظيم القضائي وبالتالي في عملية العدل وعدم الاختلاف في الوحدة، وتتبع أمر القضاء ونصه والرجوع الى منهله الأساس المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لأنها معين

^{٢٧} - دعائم الاسلام، لقاضي النعمان، ج ٢ ص ٢٢٨.

^{٢٨} - بحار الانوار، المجلسي، محمد باقر، دار احياء الكتب الإسلامية، قم، إيران، ج ٤١، ص ٨٦٦.

^{٢٩} - الامام علي - عليه السلام - نموذج الحاكم العادل، حسين الموسوي، ط ١، دار الولاية، ١٤٢٣، ص ١٢٠.

^{٣٠} - مستدرک الوسائل، الحر العاملي، ج ١٧، ٣٥٩ رواية رقم (٢١٥٨١).

^{٣١} - الراعي والرعية، توفيق الفكيكي، مطبعة أسعد، بغداد، العراق، ١٩٦٩م، ص ٥٤-٥٥.

ومصدر الحكم القضائي والحجر الأساس، وان احكام الامام علي -عليه السلام- مطابقة للحق، وهي احكام ثابتة تتقيد بتغير الزمان والمكان، لأنه يستقي علومه من الوحي الألهي.

يشير الامام -عليه السلام- في رسالته ((لو أختصم الي رجلان، فقضيت بينهما قضاءً واحداً، لأن القضاء لا يحول ولا يزول)) (٣٢).

تفرد الامام -عليه السلام- وحده في حقيقة الاحكام القضائية لأنها تكون عنده مطابقة للحقيقة الواقعية، وكان الامام علي -عليه السلام- يجمع القضاة والحكام بين الحين والآخر ليوحد الأسس التي تقوم عليها الاحكام في كافة ارجاء دولته ويجعل القضاة على علم واسع بالية الاجتهاد، وكان يقول -عليه السلام-: ((ترد على احدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم بخلافه)).

ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام علي -عليه السلام- الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً (٣٣) فقد كان الامام علي -عليه السلام- اقضى القضاة وهو الذي قال فيه رسول الله -ﷺ- (اقضاكم علي) وعليه فأن اطلاع الفقه القانوني على احكام المحاكم والتعليق عليها يعزز رسالتها العلمية والوصول الى الحقيقة الواقعية التي تعمل التشريعات الحديثة على ان تكون أصدار الأحكام القضائية موحدة، ولذلك نظمت تشريعات التقاضي على درجتين وجعلت الاسس المهمة التي يستند اليها القضاء مما جعل المحكمة اكثر دقة بدراسة موضوع الدعوى والاحكام والتدقيق فيها للوصول الى العدالة ووحدت الاحكام.

وهذا ما اشار اليه الامام -عليه السلام- بقوله السابق فالامام هو المحكمة العليا التي تصحح الاخطاء التي يقع بها القضاة (٣٤).

المبحث الثالث: الدعوى ووقائعها في المنهج القضائي

المطلب الأول: العمل القضائي عند الامام علي -عليه السلام-

القضاء ليس عملاً اداريا في مجال الوظيفة العامة انما هو عمل الاهي ولكن كلف به الانسان، فالقاضي عندما تعرض امامه الدعوى يطلب التحري عن الحق الذي يكتنفه التنازع او الغموض لغرض كشف عائدته وحقيقة وجوده وان يكون صحيحاً وواضحاً، وبهدف الوصول الى الحكم الصائب والسليم لابد من امكان النظر وتفهم المعطيات للجانب العلمي لقضاء الامام علي -عليه السلام- والحق ان قيمة الحلول العلمية التي قررها الامام علي -عليه السلام- في جزيئات القضايا التي يرويهها لنا تراثه العظيم، انما تشكل في حقيقتها ملتقى عاماً لرجال القضاء عبر العصور (٣٥)، وان امير المؤمنين -عليه السلام- كان حريصاً في قضائه على احكام الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله -ﷺ- ولذلك اكد لعماله ضرورة اختيار القاضي الصالح وأقامة العدل بين الناس، كان -عليه السلام- يقتدي بسيرة رسول الله -ﷺ- في اشاعة العدل (٣٦)، ففي هذا الجو المفعم بالعدالة

٣٢- شرح احكام قانون الاثبات المدني، عباس العبودي، ط٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص ١٠٣.

٣٣- الامام علي -عليه السلام- صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ص ٣٥٩.

٣٤- الراعي والريعية، توفيق الفكيكي، ص ٩-١١.

٣٥- الامام علي -عليه السلام- ومنهجه بالقضاء، فاضل عباس الملا، ط١، العتبة العلوية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ص ٢٠١.

٣٦- نظرية الدعوى بين الشريعة الاسلامية وقانون المرافعات، محمد نعيم ياسين، ط٣، دار النفائس للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ص ٢٧٤.

الاجتماعية تبرز مبادئ الأسلام الداعية الى احترام حقوق الناس ومصالحهم المشروعة ومن ضمنها حقهم في رفع الدعوى حتى على السلطة الحاكمة، لقد جسد الامام علي - عليه السلام - حقيقة عدالة القضاء الأسلامي بحكمته وعلمه وذكر عنه بأنه قال: - عليه السلام - (احكام المسلمين على ثلاثة: شهادة عادلة، أو يمين قاطع، أو سنة ماضية من أئمة الهدى)^(٣٧).

المطلب الثاني: الدعوة وقائعها وعناصرها ومدلول سيرها

من خلال سير العملية القضائية لأمر المؤمنين - عليه السلام - على وجوب اتباع شكل معين في رفع الدعوى أو الطلب القضائي، لان الشريعة الاسلامية أساساً لم تعرف شكلية للقيود والتعقيدات في اجراء الدعوى، فالقاضي عليه ان يدور مع الحق ويتقصى الحقيقة من خلال الإجراءات التي يبادر باتخاذها مادام يراها مفيدة، دون ان تأخذه لومة لائم في مجال سير الدعوى فقد روى العاملي في وسائله عن أمير المؤمنين علي - عليه السلام - بأن النبي الاكرم - صلى الله عليه وآله وسلم - (كان يدعو الخصوم الى الصلح فلا يزال بهم حتى يصطلحوا)^(٣٨)، وانه عليه افضل الصلاة والسلام قال يوماً لعلي - عليه السلام -: (يا علي اذا تقاضي اليك رجلان فلا تقضي للأول حتى تسمع من الآخر، فإنك ان فعلت ذلك تبين للقضاء)^(٣٩).

ومقتضى هذه التوجيهات النبوية للأمام - عليه السلام - تدلنا على وجوب ان يراعي القاضي ابتداء الجانبين، الأول احضار المتخاصمين وفهم الدعوى اما الثاني فيقوم على عرض الصلح عليهما، فأن وقائع الدعوى تكمن في مجموعة من الوسائل والأمور التي يستند اليها المدعي في دعواه فهي الحالة التي تصب في مصدر الحق المدعى به، وان موضوع الدعوى هو المطالبة بالتعويض عن الفعل الضار مثلاً كضمان ملك الدابة التي سببت للغير الضرر اثناء ركوبه لها بفعل الوطئ على ما جاء في احدى السوابق القضائية لأقضى الأمة، اي ان موضوع الدعوى هو الضمان القائم على التعويض المطالب به عما سببت الدابة من ضرر للمشتكي، فإن وقائع الدعوى تتمثل في العناصر الواقعية التي سببت ذلك الضرر بفعل الوطئ بالذات، وهو نشاط مادي ملموس، اما عناصر الدعوى فتكمن في فروق بين الدعوى الجزائية عن الدعوى المدنية اذ لكل منهما عناصرها المستقلة عن الأخرى وهي كالتالي:

اولاً: من حيث السبب:

إن السبب للدعوى الجزائية هو الواقعة الاجرامية التي توجب ايقاع الجزاء على الجاني بعد ادانته على فعله الاجرامي وذلك ضماناً للحق العام، في حين ان سبب الدعوى المدنية هو الضرر وليس الواقعة الاجرامية.

ثانياً: من حيث الموضوع:

موضوع الدعوى المدنية هو طلب التعويض، بينما موضوع الدعوى الجزائية هو طلب العقوبة.

^{٣٧} - وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢٧، ص ٢١٧ (باب الزيادات في القضايا والاحكام).

^{٣٨} - وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢٧، ص ٤١٥ (باب ان يشترط فيه الأيمان والعدالة).

^{٣٩} - وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٨، ص ١٥٨، ب ٤، ج ٢، وصايا الرسول لزواج البنات - عليه السلام -، ص ٤٩٩.

ثالثاً: من حيث الخصوم:

الخصوم في الدعوى المدنية هم المدعي المدني والمدعى عليه، في حين ان الخصوم في الدعوى الجزائية هما المشتكي أو الحق العام والمتهم - الجاني أو المسؤول مدنياً^(٤٠).
يتم اجراءاتها، كالتأني وتحليل البيئة وما الى ذلك، فالقاضي اذن عليه ان يكون (واقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج واقلمهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على كشف الأمور) كي يفقه سر التنازع في الدعوى فإن لم يخض في الجزئيات الدعوى وزواياها فقد يفوته الكثير لأن في الزوايا خفايا وبغية وصول فهمه اقصاه عليه ان يستقصي أمر الدعوى أشد الاستقصاء، لأن النظرة الاولى حمقاء كما يروي عن النبي - ﷺ -
وعليه فإن فهم الدعوى يعني التحقق منها وكشف عائدية الحق فيها من عدمه عبر ماتحصل لدى القاضي في مجلس قضائه من ادلة ودفع وهذا الفهم يستتبعه فهم الواجب وهو فهم حكم الله تعالى من الكتاب والسنة المطهرة، وانه على هدى توجيهات النبي الاكرم - ﷺ - في الشاهد يرى مالا يراه الغائب وقد شبه بالحديد المحماة فهي تصيب من لامسها بالآم والحروق وهذا يعني فهم الدعوى، لا يتم الا عبر التحقيق والموازنة في الادلة التي تحصلت في مجالس القضاء وقد ورد عن رسول الله - ﷺ - انه (ليس الخبر كالمعاينة) لأن العين لا تكذب ومعنى قول الرسول - ﷺ - (ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب) اي حقق ثم أقضي^(٤١).

المطلب الثالث: أدلة الاثبات

عندما يحضر الخصمان مجلس القضاء، يعرض المدعي دعواه فيسأل القاضي المدعى عليه عن رأيه في ذلك فإذا أقر بما قاله المدعي، فإن الدعوى تثبت عليه واذا لم يقر طلب القاضي من المدعي ان يقدم مالدیه من البيئة وعلى اساسها يصدر القاضي الحكم، فإذا لم يكن لدى المدعي البيئة، اعطي له حق استحضار المدعى عليه، فإذا رفض ختمت الدعوى لصالح المدعى عليه، واذا استحلفه وحلف المدعى عليه انتهت القضية لصالح المدعى عليه، هذه الوسائل التي يستخدمها القاضي تسمى أدلة الاثبات وهي عديدة اتفق الفقهاء على بعضها واختلفوا على بعضها الآخر، اتفقوا على الأقرار والشهادة واليمين والنكول، واختلفوا في علم القاضي والقرائن والقسمات والقيافة والقرعة، وقد قدم لنا امير المؤمنين - ﷺ - دليلاً آخر من سيرته القضائية وهو رأي الخبير فإن لم يأت احد من العلماء على ذكره لامن السنة ولا من الشيعة^(٤٢)، ومن خلال مسيرة الامام علي - ﷺ - القضائية نذكر ما يلي:

٤٠- الامام علي - ﷺ - ومنهجه في القضاء، فاضل عباس الملا، ص ١٤٤-١٥٩.

٤١- الامام علي - ﷺ - ومنهجه في القضاء، فاضل عباي الملا، ص ١٤٥-١٥١.

٤٢- القضاء والنظام القضائي عند الامام علي - ﷺ -، الدكتور محسن باقر الموسوي، ط ١، الغدير، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص ١٨٩.

اولاً: الإقرار:

وقيل هو اخبار الشخص بثبوت حق للغير على نفسه ولو كان هذا الحق سلبياً^(٤٣) او هو اعتراف المقر بحق عليه ويشترط فيه ان يكون له أهلية التملك فلو أقر لبهيمة لم يقبل ولو أقر لعبد صح ويكون المقر به مولاه.

والمقر به يشترط ان يكون شيئاً معمولاً ومشروعاً فالذي لا يقهر العقل لا يمكن الإقرار به، كأن يقر بأن شخصاً اعطاه بيتاً وحدد تاريخ، ثم تبين ان ذلك ان ذلك الشخص قد توفي في ذلك التاريخ. واستند العلماء على حجية الإقرار بالاية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٤٤).

والشهادة على النفس هي الإقرار وقد امرنا الله تبارك وتعالى ان نقر على انفسنا بالحق الذي علينا اما من السنة فقد ورد عن النبي الأكرم - عليه السلام - (قل الحق ولو على نفسك)^(٤٥).

واستندوا الى رواية السكوني عن جعفر عن ابيه عن علي - عليه السلام - في رجل اقر عند موته لفلان وفلان لأحدهما عندي الف درهم، ثم مات على تلك الحال، فقال علي - عليه السلام -: ((إنما اقام البينة فله المال، وان لم يقم احد منهما البينة، فالمال بينهما نصفان))^(٤٦) فالأقرار هو دليل من ادلة الاثبات بل هو اقوى الأدلة على الإطلاق لأن احتمال الصدق فيه ارجح من احتمال الكذب اذ ليس من عادة العقلاء ان يقرؤا بشيء على انفسهم اذ لم يكونوا صادقين بذلك، والاقرار عند أمير المؤمنين - عليه السلام - فضيلة لأنه دليل على التوبة لقول أمير المؤمنين - عليه السلام - ((الاقرار اعتذار))^(٤٧) لكن الأقرار اقوى دلالة من الاعتذار، لانه يتضمن الاعتذار ويتضمن تعهداً بإعادة الحق الى نصابه فهو اعتذار وتعهد في آن واحد.

ثانياً: البينة:

الدلالة الواضحة عقلية كانت أم محسوسة وسمي الشاهدان بينة لقوله - عليه السلام - ((البينة على المدعي))^(٤٨) فالبينة مرادفة للشهادة لأثبتات الحق على الغير، اتفق الفقهاء جميعاً على ان الشهادة من طرق القضاء لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾^(٤٩). أما الشهادة في نصح البلاغة في هذا المجال ورد عن أمير المؤمنين - عليه السلام - (الشهادات استظهار على المجاحدات)^(٥٠) فلولوا الشهادة لأستمر النزاع بين الناس ولظل كل واحد يدعي الحق على نفسه فضاعت الحقوق وانتشر الظلم بين بني البشر فالمجاحدات هنا بمعنى الأمور التي يتم انكارها، ولو نظرنا الى قضاء أمير

٤٣- موسوعة الفقه الاسلامي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلام، م ٢، قم، ايران، ٢٠٠٥ م، ص ١٣٧.

٤٤- سورة النساء، الآية ١٣٥.

٤٥- المجلسي، بحار الانوار، ج ٧٧، ص ١٧١.

٤٦- الوسائل، الحر العاملي، ج ١٣، ص ٤٠٠.

٤٧- غرر الحكم ودرر الكلم، الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي، تحقيق: سيد مهدي رجائي، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، ج ١، ص ٥١.

٤٨- غرر الحكم، الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي، ج ٦، ص ٤٧٤.

٤٩- سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

٥٠- تبصرة الحكام، ابن فرحون المالكي، ج ١، ص ٢٤٨.

المؤمنين -عليه السلام- لوجدناه استفاد من السلطة التي يمنحها الواقع القضائي في تقدير شهادة الشهود بغية كشف الحقيقة وتحديد الواقعة، ومن الحوادث التي عالجها امير المؤمنين -عليه السلام- ابعاد السلطة التي مارسها الامام في تقدير شهادة الشهود وان امير المؤمنين -عليه السلام- اول من فرق بين الشهود في القضاء وحتى اصبحت سنة جارية.

فقد فرق الامام علي -عليه السلام- بين الشهود في قصة الشاب المعروفة، عندما ورد عليه باكياً شاكياً لشريح القاضي لأنه حكم عليه بشهادة الشهود الذين شهدوا موت ابيه فقام امير المؤمنين بتفريقهم واخذ اقوالهم منفردين فوجد اختلافاً كبيراً في اقوالهم مما يدل على كذبهم وتواطؤهم على قتله^(٥١) وبعد هذه الحادثة اصبحت التفريق بين الشهود مبدأ في القضاء ويستدلون عليه بعمل امير المؤمنين -عليه السلام- بعد ان لمسوا آثاره ومنافعه.

ثالثاً: والنكول

وذكر المحقق الحلي في النكول (ان نكل المنكر، بمعنى انه يحلف ولم يرد، قال الحاكم ان حلفت والا جعلتك ناكلاً ويكرر ذلك ثلاثاً، استظهاراً لا فرضاً، فإن اصر قيل يقضي عليه بالنكول) فالنكول هنا بمعنى اقرار غير جازم لأن فيه شبهة فالمدعى عليه عند امتناعه عن حلف اليمين، انما اعطى دليلاً بأنكاره لم يكن صحيحاً فلو كان صادقاً في انكاره لما تبطأ في اليمين التي ستدفع الضرر عنه ولا خوف من اليمين اذا كان صادقاً^(٥٢).

رابعاً: القسامة

عند امير المؤمنين -عليه السلام- ((القسامة جعل في النفس على العهد خمسين رجلاً وجعل في النفس على الخطأ خمسة وعشرين رجلاً)) وقد استدلل بعضهم في هذه الرواية على عدم كفاية أقل من خمسين رجلاً مع تكثير الحلف عليه، وهذا الرأي الاوفق لأن حكمة العدد هو ايجاد الحس الجماعي، وعن المحقق الحلي قال: (لو كانوا اقل من الخمسين كررت عليهم الايمان حتى يكملوا العدد) والهدف من القسامة الحفاظ على الدماء بإيجاد حس المسؤولية الاجتماعية^(٥٣).

خامساً: علم القاضي

فإن الامام أمير المؤمنين -عليه السلام- لم يستخدم علم الغيب في جميع الموارد صحيح انه استخدم خواص هذا العلم في مرات محدودة وقد ذكرت في قضاياه لكنها لا تحمل عنوان القضاء بل كان الأمام -عليه السلام- يريد بهذه الخطوة بأستناده الى المعيّيات ان يقف امام وقوع أشكال كبيراً و انحراف جسيم كوقوفه للحيلولة دون تحقق الزواج غلاماً بأمه وهو لا يعلم أنها أمه، فهذه الحادثة لاتعد قضاءً ولو ان العلامة التستري قد ذكرها في جملة اقصيته -عليه السلام-، نذكر نصها كما اوردها ابن شهر آشوب:

٥١- القصة المذكورة في المناقب، ابن شهر آشوب، مشير الدين ابو عبدالله محمد بن علي، مكتبة العلامة، قم إيران، ١٣٧٩هـ، ج ١، ص ٥٠٦-٥٠٧.

٥٢- شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام، العلامة الحلي، تحقيق: السيد صادق الشيرازي، ط ٢، دار الفارئ، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م، ج ٤، ص ٨٧٤.

٥٣- الوسائل، الحر العاملي، ج ١٩، ص ١٢٠، الحديث رقم ٢.

ان امير المؤمنين - عليه السلام - بعث احد اصحابه الى احدى محلات الكوفة واخبره ان هنالك امرأة ورجل على باب مسجد المحلة، وأمره ان يأتي بهما، فلما جاء ذكر للمرأة قصتها مع الرجل الذي تزوجته زواجاً مؤقتاً، وكيف ولد لهما مولود، وكيف تركت مولودها في العراء خوف الفضيحة، ثم ذكر لها ان ولدها الذي تركته هو هذا الرجل الذي اتفقت معه على الزواج فهذه ليست واقعة قضائية ولكن كان هدف الامام علي - عليه السلام - منع تحقق هذا الزواج^(٥٤).

فكان امير المؤمنين - عليه السلام - لا يقضي الا بدليل وكان دليله معه فإذا سأله الخصم عنه قدمه اليه وهذه ميزة بارزة في جميع أحكامه والحاجة الى الدليل تقتضي الحكم بالواقعات. لان الحكم بالمغيبات يفتقر الى دليل ملموس.

سادساً: قضاء امير المؤمنين - عليه السلام - بالقرائن

والقرائن هي النتائج التي يستخلصها القانون او القاضي من واقعة معلومة لمعرفة واقعة مجهولة وقد قضى امير المؤمنين - عليه السلام - في كثير من الخصومات التي عرضت عليه وقد استعمل الامام علي - عليه السلام - القرائن للكشف عن الحقائق في كثير من قضاياها وهي تقسم على اساس طبيعة القرينة الى:

١. قرائن الاثر.

٢. القرائن اللفظية.

٣. قرائن الحالة.

فقد قضى امير المؤمنين - عليه السلام - في صاحب الدابة انه يضمن ماوطأت بيدها ورجلها، وما نفحت برجلها فلا ضمان عليه الا ان يضرها انسان^(٥٥).

المبحث الرابع: الحدود والديّات في فكر الإمام علي - عليه السلام - -دراسة تطبيقية-

توطئة:

يعد قضاء الامام علي - عليه السلام - ثروة علمية فالأمام علي - عليه السلام - اقضى أهل زمانه لأنه أعلمهم بالفقه والشريعة وهما الوجدان الذي اعطاه القدرة في استخدام القضاء وفيه قال: رسول الله - ﷺ - ((اقضاكم علي)) و ((اقضى امتي علي)) وإن محمد الباقر - عليه السلام - قال: ((ليس أحد يقضي بقضاء يصيب في الحق الا مفتاحه قضاء علي))^(٥٦) ويقول الامام علي - عليه السلام - ((لو ثبت لي الوسادة لقضيت بين اهل الانجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينطق كل واحد ويقول قد قضى علي في بما انزل)) وفي المأثور عن عمر بن الخطاب قوله: ((لا بارك الله في معضلة لم تحكم فيها يا أبا الحسن)) فإقامة الحدود من الأمور

^{٥٤} - المناقب، لابن شهر آشوب، ج ١، ٤٩١-٤٩٢.

^{٥٥} - الكافي، الكليني، ج ٧، ص ٣٠٣، الرواية رقم ١١.

^{٥٦} - الارشاد، الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط ٢، ١٩٩٣ م، ج ١، ص ١٩٥.

الاساسية في قضاء الأمام علي -عليه السلام- ومن هنا نذكر بعض التطبيقات والأحكام التي طبقها الأمام علي -عليه السلام- واصبحت بعده مناراً يستلهم منها كل ذي عدل ليحكم بنهج الأمام علي -عليه السلام- (٥٧).

المطلب الأول: حد الزنا

عد علماء المسلمين الزنا من الذنوب الكبيرة وحرّمته تعد من البديهيات الدينية والمسلمات الواضحة وورد في القرآن الكريم سبع آيات تحدثت عن الزنا وقد ذكرت بعض الروايات الكثير من الآثار المتعلقة بالزنا، وان الزنا يعدل قتل نبي أو أمام أو هدم الكعبة ومن آثاره الدنيوية خراب البيت وسلب البركة في الحياة، وتعجيل الفناء وقطع الرزق وموت الفجاء ومن آثاره الاخروية الغضب الالهي والخلود في النار، وقد ورد في كتب الفقه ثلاث عقوبات كحد للزنا تختلف باختلاف حال الزناة الجلد وهو الحد الشرعي للرجل أو المرأة، الزاني اذا لم يكن محصناً وكان بالغاً عاقلاً حراً وهو مائة جلدة وقد ورد هذا الحكم في الآية الثانية من سورة النور ويكون اقامة الحد بحضور مجموعة من المؤمنين، فالقتل هو عقوبة الزنا بالمحارم النسبية كالأم والاخت والبنت والزنا بأمرأة مكرها لها (الاغتصاب) وزنا غير المسلم بالمسلمة وتكرار الزنا بعد اقامة الحد عليه ثلاث مرات فإنه يقتل في الرابعة، والرجم هو الحد الشرعي للمحصن اذا كان عاقلاً حراً سواء كان رجلاً أو امرأة ومن يحكم عليه بالرجم يجب عليه الغسل ويبقى الرجل الى وسطه والمرأة الى صدرها في الارض ثم يضربون بالحجارة وأما الشيخ والشيخة اذا زنيا فإنهما يجلدان مائة جلدة ثم يجرمان (٥٨)، ونذكر اروع التطبيقات التي قام بها الأمام علي -عليه السلام-.

اولاً: حكم الامام علي -عليه السلام- فيمن ولدت لستة اشهر روي عن يونس، عن الحسن ان عمر أتى بأمرأة قد ولدت لستة اشهر فهم برجمها، فقال له أمير المؤمنين -عليه السلام- (وإن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله عز اسمه يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾) (٥٩)، وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (٦٠)، فإن تمت المرأة الرضاعة سنتين، وكان حملهُ وفصالهُ ثلاثين شهراً كان ضال حمل منها ستة اشهر فخلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك يعمل به الصحابة والتابعين ومن اخذ عنه الى يومنا هذا، وكذا غيره من الوقائع التي قضى بها أمير المؤمنين -عليه السلام- بكتاب الله مما حير العقول فهذا الحكم كان ثابتاً في الكتاب المجيد ولكن لاتبلغه عقول الرجال الا المكمل منهم الذين هداهم الله اليه وعلمهم معالم دينه (٦١).

ثانياً: اتى رجل الى امير المؤمنين -عليه السلام- فقال: يا أمير المؤمنين إني زنيت فطهرني، فأعرض أمير المؤمنين -عليه السلام- بوجهه عنه، ثم قال له اجلس فإقبل علي -عليه السلام- على القول فقال: أيعجز احدكم اذا قارف هذه السيئة ان يستر على نفسه كما ستر الله عليه، فقام الرجل فقال: يا أمير المؤمنين إني زنيت فطهرني،

٥٧- الأمالي، الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط ١، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، قم، إيران، ١٤١٧هـ، ص ٤٢٩.

٥٨- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني العاملي، زين الدين البجعي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج ٩، ص ١٦، المقنع، الصدوق، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي -عليه السلام-، مؤسسة الإمام الهادي -عليه السلام-، ١٤١٥هـ، ص ٤٢٨.

٥٩- سورة الأعراف، الآية ٥١.

٦٠- سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

٦١- الارشاد، المفيد، ج ١، ص ٢٠٦.

قال: وما دعاك الى ما قلت؟ قال: الطهارة، قال - عليه السلام -: واي طهارة افضل من التوبة؟ ثم اقبل على اصحابه يحدثهم، فقام الرجل فقال: يا امير المؤمنين إني زنيت فطهرني فقال له أتقرأ شيئاً من القرآن؟ فقال: نعم، فسأله فأصاب، فقال له - عليه السلام -: أتعرف ما يلزمك من حقوق الله عز وجل في صلاتك وركاتك؟ فقال الرجل نعم، فسأله، فأصاب، فقال له: هل بك من مرض يعروك أو تجد وجعاً في رأسك أو شيئاً في بدنك أو غمّاً في صدرك؟ فقال: يا امير المؤمنين لا، فقال - عليه السلام -: ويحك اذهب حتى نسأل عنك في السر كما سألناك في العلن، فإن لم تعد الينا لم نطلبك، فقال: فسأل عنه، فأخبر أنه سالم الحال وأنه ليس هناك شيء يدخل عليه به الظن.

قال: ثم عاد الرجل اليه فقال: يا امير المؤمنين إني زنيت فطهرني فقال له - عليه السلام -: لو أنك لم تأتني لم نطلبك، ولسنا بتاركيك اذا لزمتك حكم الله عز وجل، ثم قال يا معشر الناس، انه يجزى من حضر منكم رجمه عمن غاب فنشدت الله رجلاً منكم يحضر غداً لما تلثم بعمامته حتى لا يعرف بعضكم بعضاً، فأنا لا ننظر في وجه رجل ونحن نرجمه بالحجارة، قال فغدا الناس كما أمرهم قبل اسفار الصبح، فأقبل علي - عليه السلام - ثم قال: نشدت الله رجلاً منكم لله عليه مثل هذا الحق ان يأخذ الله به، فإنه لا يأخذ الله عز وجل بحق من يطلبه الله بتمثله، قال فانصرف والله قوم ما ندري من هم حتى الساعة، ثم رماه بأربعة احجار، ورماه الناس (٦٢).

ثالثاً: ان العقوبة في الشريعة الاسلامية تقوم على الرحمة والتهديب وليس على الانتقام والتشفي ففي رواية محمد بن فرات عن الاصبع بن نباته رفعه قال: اتى عمر بخمسة نفر اخذوا في الزنا، فأمر ان يقام على كل واحد منهم الحد وكان امير المؤمنين - عليه السلام - حاضراً، فقال - عليه السلام -: يا عمر ليس هذا حكمهم، فقال عمر: فأقم انت الحد عليهم، فقدم واحد منهم فضرب عنقه، وقدم الآخر فرجمه، وقدم الثالث فضربه الحد، وقدم الرابع فضربه نصف الحد، وقدم الخامس فعززه، فتحير عمر وتعجب الناس من فعله، فقال عمر: يا ابا الحسن خمسة نفر في قضية واحدة أقمت عليهم خمسة حدود ليس شيء منها يشبه الآخر! فقال امير المؤمنين - عليه السلام -:

أما الاول: فكان ذمياً فخرج عن ذمته لم يكن له حد الا السيف.

واما الثاني: فرجل محصن كان حده الرجم.

واما الثالث: فغير محصن فحده الجلد.

واما الرابع: فعبد ضربناه نصف الحد.

واما الخامس: مجنون مغلوب على عقله فعزر.

فبالرغم من ان الجريمة واحدة التي ارتكبتها الجناة الا ان الحكم اختلف بينهم، حيث كان لكل جان شروط اجتماعية متباينة جعلت الحكم يتعدد بتعدد اقسامه، فالزنا على وجوه والحد فيه ايضاً على وجوه بحسب حال فاعله (٦٣).

٦٢- من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ط ٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٤هـ، ج ٤، ص ٣١، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٨، ص ٣٢٩.

٦٣- تهذيب الاحكام، الطوسي، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخراساني، ط ٤، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٦٥ش، ج ١٠، ص ٥٠.

المطلب الثاني: حد الخمر

حرم الله الخمر لفسادها لأن مدمن الخمر تورثه الارتعاش وتذهب بنوره وتهدم مروته وتحمله على ان يجترئ على ارتكاب المحارم وسفك الدماء وركوب الزنا، ولا يؤمن اذا سكر ان يشب على حرمة ولا يعقل ذلك ولا يزيد شاربها الاكل شر، وعن الامام الصادق -عليه السلام- (شرب الخمر مفتاح كل شر، وشارب الخمر مكذب بكتاب الله عز وجل، ولو صدق كتاب الله حرم حرامه) ولشدة حرمة شرب الخمر حرم الاسلام تناول المسكر قليله وكثيره وخالصه وممزوجة، فلو سقطت قطرة من الشراب في طرف مليء بسائل آخر، فإن تمام ذلك السائل سوف يحرّم، فقد جعل الاسلام لشارب الخمر عقاباً دنيوياً وهو الجلد ثمانين جلدة على ظهره، ونذكر بعض احكام امير المؤمنين في اقامة الحدود على شارب الخمر منها:

اولاً: عن ابي بصير عن أحدهما -عليه السلام- قال: كان علي عليه السلام يضرب في الخمر والنيبذ ثمانين، الحر والعبد واليهودي والنصراني، قلت وما شأن اليهودي والنصراني؟ قال: ليس لهم ان يظهروا شربه، يكون ذلك في بيوتهم، ان اليهود والنصارى وكذلك المجوس، اذا شربوا الخمر متظاهرين به يقام عليهم الحد^(٦٤).

ثانياً: ذكر المفيد في الارشاد وابن شهر آشوب في المناقب وقالوا: رواه العامة والخاصة من أن قدامة بن مضعون شرب الخمر في إمارة عمر بن الخطاب، فأراد عمر ان يحده، فقال قدامة: لا يجب علي الحد، لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٦٥)، فدرأ عمر عنه الحد فقال له علي -عليه السلام-: ان قدامة ليس من اهل هذه الاية ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرم الله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراماً، فإردد قدامه واستتبّه مما قال فإن تاب اقم عليه الحد وإن لم يتب فأقتله فقد خرج عن الملة، وعرف قدامة الخير فأظهر التوبة فدرأ عنه القتل ولم يدر كيف يحده يسأل علياً -عليه السلام-، فقال علي -عليه السلام-: ثمانين جلدة ان شارب الخمر اذا شربها سكر واذا سكر هذى واذا هذى افترى فحده عمر ثمانين^(٦٦).

ثالثاً: في رواية بكير عن ابي عبد الله -عليه السلام- قال: شرب رجل على عهد ابي بكر خمرًا، فعرف ابو بكر، فقال له أشربت خمرًا؟ قال الرجل نعم، قال ولم هي محرمة؟ فقال له الرجل إني أسلمت وحسن إسلامي ومنزلي بين ظهري قوم يشربون الخمر ويستعملونها، ولو علمت انها حرام اجتنبتها، فالتفت ابو بكر الى عمر فقال له: ما تقول في أمر هذا الرجل؟ فقال عمر: معضلة وليس لها الا ابا الحسن، فقال: ادع لنا علياً فقال عمر: يؤتى الحكم في بيته، فقاما والرجل معهما ومن حضرهما من الناس حتى امير المؤمنين -عليه السلام-، فأخبره بقصة الرجل، وقص الرجل قصته، قال: ابعثوا معه من يدور به مجالس المهاجرين والانصار من كان تلا عليه آية التحريم فيشهد عليه، ففعلوا ذلك فلم يشهد عليه احد بأنه قرأ عليه آية التحريم فتخلى عنه، وقال له: ان شربت بعدها اقمنا عليك الحد^(٦٧).

^{٦٤} - وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢٨، ص ٢٢٧.

^{٦٥} - سورة المائدة، الآية ٩٣.

^{٦٦} - الكافي، الكليني، ج ٧، ص ٢١٥، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢٨، ص ٢٢.

^{٦٧} - الكافي، الكليني، ج ٧، ص ٢١٦، بحار الانوار، المجلسي، ج ٤٠، ص ٢٨٩.

المطلب الثالث: دية الجنائية في قتل النفس

يعرف القتل على انه ازهاق روح الانسان واماتته والفتك به وذبحه ومن الجدير بالذكر ان الاسلام حفظ النفس البشرية من العدوان حيث ان الغاية من احكام الشريعة الاسلامية حفظ الضرورات الخمس، وهي: (حفظ الدين، حفظ المال، حفظ العرض، حفظ النفس، حفظ العقل) ولان حفظ الدين مقدم على حفظ النفس شرع الجهاد في سبيل الله الذي من الممكن ان تزهق فيه ارواح المسلمين في سبيل اعلاء كلمه الله تعالى والدفاع عن الاسلام ومن اجل حفظ النفس التي حرم الله تعالى، قتل النفس المسلمة بغير الحق وشرع القصاص من القاتل (٦٨) فقد قال عز وجل ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٦٩). لقد تصدى الفكر العلوي لجرمة القتل ومحاولة الحد منها فاستمر الامام - عليه السلام - بتوجيه خطابه دائماً للإنسان من اجل ان يقوم بدور التربية والأرشاد الصحيح ويحذر كل من يفكر ان يزهق روحاً بغير وجه حق قائلاً ثلاثة لا يدخلون الجنة اولهم سفك الدم الحرام وبنه - عليه السلام - من اقرار ذنباً كهذه الجريمة لا تغتفر وان الله تعالى اقسم على نفسه فقال (وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم، ولو كف بكف ولو مسح بكف) لأن الزواجر الاخلاقية والبعد الديني الغيبي قد يشكل درعاً مهماً يفسر الأمام - عليه السلام - أبعاد القول فرض الله القصاص حقناً للدماء قد شرع الله سبحانه القصاص واعدام القاتل فقد كان الامام - عليه السلام - حاسماً في موضوع القصاص (٧٠).

ونذكر اروع الاحكام التي قضى بها امير المؤمنين - عليه السلام - في القتل وديه القتل:

أولاً: وفيه بسنده عن مسمع بن عبد الملك عن الصادق - عليه السلام - ان قوماً احتضروا زينه الاسد فوقع فيها احد الرجال فأزحم الناس عليها ينظرون الى الاسد فوقع فيها رجل تعلق بالرجل الذي قبله فوقع رجل آخر وتعلق الآخر بالآخر فماتوا جميعاً من جراح الاسد، فتشاجر القوم في ذلك، فقضى علي - عليه السلام - فيهم، فقضى للأول ربع الدية لأنه اهلك من فوقه والثاني ثلث الدية والثالث نصف الدية والرابع الدية كاملة وجعل الدية على القبائل الذين ازدحموا فرضى بعض وسخط بعض، فرفع الى النبي الاكرم - صلى الله عليه وآله - فأجاز قضاء ابو الحسن - عليه السلام - وقال: - عليه السلام - (لقد قضى ابو الحسن فيهم بقضاء الله عز وجل فوق عرشه) (٧١).

ثانياً: رفع شاب شكواه الى الأمام علي - عليه السلام - ومعه جماعة فقال الامام - عليه السلام -: ان هؤلاء النفر خرجوا ومعهم ابي في السفر، فرجعوا ولم يرجع معهم ابي فسألتهم عنه فقالوا: قد توفي، وسألتهم عن امواله فقالوا: ما ترك مالا، فقدمتهم الى شريح فاستحلفهم، فأنبرى الامام قائلاً: (والله! لأحكمن بينهم بحكم ما حكم به خلق قبلي الا داود النبي - عليه السلام -) ثم امر - عليه السلام - قنبر بأحضار شرطة الخميس فلما حضروا وكل بكل واحد منهم شرطياً، والتفت اليهم قائلاً:

(ماذا تقولون؟ تقولون: اني لاعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى؟ إني اذن لجاهل، ثم امر بتفريقهم وتغطية رؤوسهم، واقم كل واحد منهم الى اسطوانة من اساطين المسجد، وقد غُطيت رؤوسهم بشياهم، ثم دعا كاتبه

٦٨- الواسطي، ص ٢١٥.

٦٩- سورة البقرة، الآية ١٧٩.

٧٠- نهج البلاغة، الشريف الرضي (الجامع)، فهرسه وتعليق د. صبحي، خطبة ١١٣، ص ١٣٧.

٧١- عجائب احكام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب - عليه السلام -، العاملي محسن الأميني، تحقيق: فارس حسون كريم، ص ٣٩.

عبد الله بن رافع، وامره بإحضار صحيفة ودواة، وجلس الامام -عليه السلام- في مجلس القضاء، وجلس الناس في مجلسه وقال لهم اذا انا كبرت فكبروا، ثم دعا بواحد منهم وكشف الثوب عن وجهه وقال لعبيد الله كاتبه (اكتب اقراره وما يقول).

ثم اقبل على الرجل، وقال له (في اي يوم خرجتم من منازلكم وابو هذا الفتى معكم؟، فقال في كذا وكذا وعينه، في أي شهر؟، في شهر كذا وعينه، في اي سنة؟، في سنة كذا وعينها، الى اين بلغتم في سفركم حتى مات ابو هذا الفتى؟، الى موضع كذا وعينه، في منزل من مات؟، في منزل فلان وشخصه، ماكان مرضه؟، وعين الوقت الذي مرض في اي يوم مات؟ ومن غسله؟ ومن كفنه؟ وبما كفنتموه؟ ومن صلى عليه؟ ومن نذله قبره؟.

ثم كبر الامام علي -عليه السلام- وكبر الناس معه، فارتاب الباكون ولم يدخلهم الشك ان صاحبهم قد اقر عليهم وعلى نفسه بما اقترفوه من جريمة، ثم امر -عليه السلام- بالرجل الى السجن، ودعا بشخص آخر منهم وقال له: كلا! زعمتم اني لاعلم ما صنعت؟ فارتاب الرجل وطفق يخبر الناس بما اقترفوه قائلاً: يا امير المؤمنين، ما انا الا واحد من القوم، ولقد كنت كارهاً لقتله، ثم دعا بكل واحد منهم فأقر بالقتل وسلب المال، ثم أمر برد الرجل الذي أمر به الى الحبس فأقر كصاحبه، فالزمهم بالمال والدم^(٧٢).

الخاتمة والنتائج

اهم النتائج للبحث يمكن تلخيصها كما يلي:

١. يمكن توزيع اهداف الحكم عند أمير المؤمنين -عليه السلام- الى مستويين يتمثل الأول بالاهداف الاساسية الضرورية التي تمس حياة الأفراد والمجتمع مساً مباشراً وهي في خمسة اتجاهات مالية ودفاعية وتنموية واصلاحية وعمرانية وهي بدورها التزامات اساسية يفرض بدورها ان تدور حولها سياسة الحكومة، اما الثاني فيمثل الاهداف العليا التي يجمعها اطار العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى وهو الهدف المعنوي الذي يوفر الاجابة الاسلامية عن فلسفة الوجود الانساني وتكوين وتربية الانسان.
٢. ان الحكومة الشرعية في الاسلام وعند الامام علي -عليه السلام- هي تلك الحكومة التي تكون حاكمية لله تعالى على الصعيد التشريعي في اقامة العدل.
٣. ثمة علاقة جدلية بين حقوق الحاكم وبين حقوق المحكومين فواجبات الحاكم تصل حقوقاً الى الرعية وفي المقابل تنعكس حقوق الرعية حقوقاً الى الحاكم وقد قدم الامام علي -عليه السلام- للحقوق حقوق الرعية على حقوق الحاكم.
٤. أمير المؤمنين -عليه السلام- ان القضاء مهمة صعبة وذلك لتعلقه بحياة الناس وحقوقهم واقامة العدل والمساواة بينهم ولا تتحقق هذه الغاية من القضاء الا من خلال تسليم هذا المنصب لذوي الكفاءة لذا عمد -عليه السلام- الى موازنة هذه السلطة وجعلها عادلة من خلال اقراره والشروط اللازمة لتعيين القضاة والتي تتمثل بالكفاءة العلمية والاخلاقية وذلك لان القاضي هو الركن الاساسي الذي تقوم عليه السلطة.

^{٧٢} - الكافي، الكليني، ج ٧، ص ٣١٧، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٨، ص ٢٠٤، قضاء أمير المؤمنين -عليه السلام-.

٥. حرص الامام علي - عليه السلام - على تحصين السلطة القضائية عبر إقراره الضمانات اللازمة للقضاة والتي من شأنها القضاء على الانحراف والفساد مما يجعل القاضي عادلاً في احكامه القضائية.
٦. بين الامام علي - عليه السلام - ان العقوبات الجنائية لا تعطي اثرها في المجتمع الا بعد بناء الدولة ووضعها على منظومة اسلامية متكاملة من خلال تطبيق الأحكام الشرعية في نظم الدولة في الاستقرار السياسي وما وفره النظام الاقتصادي من تكامل وفرص عمل وعدالة في التوزيع تحققت الرصانة الاقتصادية.
٧. ان القوانين التي ارساها الامام علي - عليه السلام - قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان ويمكن للحكومات المعاصرة ان تعتمدها في تنظيم سلطاتها القضائية من اجل تحقيق العدالة التي تشدها البشرية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
١. أثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي، ط ٣، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر.
٢. الأحتجاج، الشيخ الطبرسي، تحقيق: السيد محمد باقر الخراسان، ١٩٦٦م، ج ٢.
٣. الاحكام السلطانية، الماوردي ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ٢٠١٤م.
٤. الاختصاص، الشيخ المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، ١٩٩٣م، ص ١٥١، نهج السعادة، المحمودي، محمد باقر، ج ١.
٥. الارشاد، الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، ط ٢، ١٩٩٣م، ج ١.
٦. الاصول النظرية، الشريف رحيمة علي حمزة، ص ٢٥٠.
٧. الأمالي، الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط ١، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، قم، إيران، ١٤١٧هـ.
٨. الامام علي - عليه السلام - القائد السياسي الامثل، عبد الله الشريعة، دار المحجة البيضاء.
٩. الامام علي - عليه السلام - صوت العدالة الانسانية، جورج جرداق، ط ١، دار المهدي، المجلد الأول، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
١٠. الامام علي - عليه السلام - نموذج الحاكم العادل، حسين الموسوي، ط ١، دار الولاية، ١٤٢٣.
١١. الإمام علي - عليه السلام - ومنهجه بالقضاء، فاضل عباس الملا، ط ١، العتبة العلوية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ٢٠١٠م.
١٢. الامام علي - عليه السلام - ومنهجه في القضاء، فاضل عباس الملا.
١٤. تهذيب الاحكام، الطوسي، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخراسان، ط ٤، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٦٥ش، ج ٤٠.

١٥. الجنائيات في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون، الشاذلي، حسن علي، ط ٢، دار الكتاب الجامعي، ج ١، ص ٢٣، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنة بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م، ج ٢.
١٦. جواهر التاريخ، علي الكوراني العاملي، دار الهدى، ط ١، ج ١.
١٧. دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، تحقيق سامي الغريزي الغراوي، ط ١، مؤسسة الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، ٢٠٠٧م.
١٨. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، المنتظري، ط ٢، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ج ٢.
١٩. دعائم الاسلام، ابن حيون، القاضي النعمان المغربي، تحقيق: عاصف بن علي أصغر فيضي، دار المعرف، القاهرة، مصر، ١٩٦٣م، ج ١، ص ٣٦٠، ج ٢.
٢٠. الراعي والرعية، توفيق الفكيكي، مطبعة أسعد، بغداد، العراق، ١٩٦٩م.
٢١. الروضة البهية في شرح اللمعة دمشقية، الشهيد الثاني العاملي، زين الدين البجعي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج ٩، ص ١٦، المقنع، الصدوق، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي -عليه السلام-، مؤسسة الإمام الهادي -عليه السلام-، ١٤١٥هـ.
٢٢. رياض المسائل، علي الطباطبائي، ط ١، مركز الطباعة والنشر المجمع العالمي لأهل البيت -عليه السلام-، قم المقدسة، ايران ١٤٢٢، ج ٢.
٢٣. سفينة البحار ومدينة الحكمة والآثار، القمي عباس، تحقيق: مجمع البحوث الإسلامية التابع للآستانة الرضوية المقدسة، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٦هـ، ج ٢، ج ٢.
٢٤. شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام، العلامة الحلي، تحقيق: السيد صادق الشيرازي، ط ٢، دار القارئ، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م، ج ٤.
٢٥. شرح احكام قانون الاثبات المدني، عباس العبودي، ط ٣، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
٢٦. شرح رسالة الحقوق، الامام زين العابدين -عليه السلام-.
٢٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد ابو الفضل، بيروت، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٥م، ج ٧.
٢٨. عجائب احكام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب -عليه السلام-، العاملي محسن الأميني، تحقيق: فارس حسون كريم.
٢٩. علي ابن ابي طالب رجال المعارضة والدولة، القزويني.
٣٠. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، دار مكتبة الهلال تحقيق: د. مهدي المخزومي، باب العين والضاد وللاء معاً، ج ٣، ص ٣٧٠.
٣١. غرر الحكم ودرر الكلم، الشيخ عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، تحقيق: سيد مهدي رجائي، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، ج ١، ج ٦.

٣٢. الفقه الاسلامي وادلته، د. وهبة الزحيلي، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ١٩٨٥، ج٦.
٣٣. فكر الامام علي - (عليه السلام) - في نهج البلاغة، د. خليل منصور، الخطبة ٥٤.
٣٤. القصة المذكورة في المناقب، ابن شهر آشوب، مشير الدين ابو عبدالله محمد بن علي، مكتبة العلامة، قم إيران، ١٣٧٩هـ، ج١.
٣٥. القضاء والنظام القضائي عند الامام علي - (عليه السلام) -، الدكتور محسن باقر الموسوي، ط١، الغدير، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.
٣٦. القيادة في الاسلام، محمد الري شهري، تحقيق علي الاسدي، مؤسسة دار الحديث، ط١.
٣٧. الكافي، الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب، لا. طبعة، المكتبة الإسلامية، طهران، إيران. ج٧.
٣٨. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ج١، ص٥١٩، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، الهيئة الحصرية العامة للكتاب، ج٤، ص٣١٥، مختار الصحاح، للرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م، ص٤٨، ج١٥، ص١٨٦.
٣٩. مبادئ نظام الحكم في الاسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة، عبد الحميد متولي، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ١٩٧٤.
٤٠. مباني تكملة المنهاج، الخوئي، السيد أبو القاسم، كتاب القضاء، مؤسسة الخوئي الإسلامية، ج١.
٤١. مستدرک الوسائل، الحر العاملي، ج١٧، ٣٥٩ رواية رقم (٢١٥٨١).
٤٢. مصباح الشريعة، المنسوب للامام الصادق - (عليه السلام) -، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص٣٥١.
٤٣. معالم الدين وملاذ المجتهدين، الشهيد الثاني ابن الشيخ زين الدين، تحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م، ص١٤٠.
٤٤. معجم البلدان، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ج٤، ص٤٩٢.
٤٥. المقدمة، ابن خلدون، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٤٦. من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ط٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٤هـ، ج٤.
٤٧. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمد بن علي، ط٢، دار الأضواء، ١٩٩١م، ج٣.
٤٨. موسوعة الامام علي - (عليه السلام) - في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، ج١.
٤٩. موسوعة الفقه الاسلامي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلام، م٢، قم، ايران، ٢٠٠٥م.
٥٠. نظرية الدعوى بين الشريعة الاسلامية وقانون المرافعات، محمد نعيم ياسين، ط٣، دار النفائس للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٥م، ج٦.
٥١. نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٢٠، رقم ٤٣٢.

٥٢. نَحْجُ الْبَلَاغَةَ، الإمام علي - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، ج ١٠، ص ٩٤، الاخبار الطوال، الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داوود، ط ١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٣٠هـ.
٥٣. نَحْجُ الْبَلَاغَةَ، الشريف الرضي (الجامع)، فهرسه وتعليق د. صبحي، خطبة ١١٣.
٥٤. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٨، ص ١٥٨، ب ٤، ج ٢، وصايا الرسول لزوج البتول - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، ج ١١، ج ٢٧، (باب الزيادات في القضايا والاحكام)، ج ٢٧، ص ٤١٥ (باب ان يشترط فيه الأيمان والعدالة)، ج ٢٨، ج ١٣، ج ١٩، الحديث رقم ٢.
٥٥. بنايع المودة لذوي القرى، القندوزي، الشيخ سليمان بن إبراهيم، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط ١، ١٤١٦هـ، ج ١.

المجلات

٥٦. تأملات قانونية في رسالة القضاء للإمام علي - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، عباس زبون العبودي، مجلة أهل البيت - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، العدد السابع، ١٤٣٠هـ.

موت المتعاقد في عقود الاعتبار الشخصي (دراسة مقارنة)

The death of a Party in Thepersonal contracts consideration (Comparative Study)

أ.م.د علي شاكر عبد القادر البدري^(١)

Assist. Prof. Ali Shaker Abdl Gader Al Badri

الملخص

تتصف بعض العقود بصفات شخصية ينظر فيها لأهمية شخص المتعاقد، فإذا اتصف العقد بالصفات الشخصية، عُرف بالاعتبار الشخصي في التعاقد، وهذا المصطلح يعتد بأحد أطراف التعاقد أو كلاهما بذات شخص المتعاقد الآخر أو بصفة من صفاته بحيث يكون لهذه الذات أو لتلك الصفة أثر في إرضاء المتعاقد الآخر.

فالاعتبار الشخصي يعد من الأفكار المهمة في إبرام العقود رغم الاغفال التشريعي والفقهية، ونجد ان موضوع موت المتعاقد في عقود الاعتبار الشخصي، موضوع جدير بالبحث فلم نجد له معالجة متخصصة، ونجد النصوص المنظمة له متناثرة لا يجمعها جامع، ونجد اختلاف الحلول فيها فيما يتعلق ببحثنا، اتخذنا من هذه الدراسة منهجاً تحليلياً للنصوص التشريعية والقرارات القضائية والاقتوال الفقهية.

للاعتبار الشخصي أهمية في تبرير بعض الحلول القانونية المتعلقة بالعقد، وعلى الرغم من أهميته فنجد البعض قد اغفل ذلك وعدّه عنصراً هامشياً في العقد، ولا يخفى ان للاعتبار الشخصي دوراً في العقود ذات الطابع الشخصي، الذي تلعب شخصية المتعاقد أو إحدى صفاته الدور الجوهري في العقد، ففي بعض العقود نجد للاعتبار الشخصي دوراً جوهرياً فيه بل نجد مجاله الخصب في هذه العقود وفي عقود أخرى لا نجد هذا الدور.

١ - جامعة كربلاء/ كلية القانون.

ان الاعتماد بالاعتبار الشخصي يرتكز اما على ارادة المتعاقدين او وجود نص قانوني او طبيعة الالتزام، وهذا الاعتماد بالاعتبار الشخصي قد يكون في مرحلة تكوين العقد او في تنفيذ العقد وقد يكون في انقضاء العقد، والاخير هو ما سنبينه في بحثنا.

وعلى الرغم من وجود الاعتبار الشخصي وتأثيره في بعض من العقود الواردة على الملكية او الواردة على الانتفاع بالشيء او الواردة على العمل الا اننا نجد قلة من كتب في هذا الموضوع الحيوي.

وعلى الرغم من ان المشرع العراقي شتت دور الاعتبار الشخصي في العقود وعدم تركيزه وتوجيهه باتجاه واحد، فالاعتبار الشخصي له أثره الملموس في نطاق نظرية العقد، وكثيرا ما تثار بصدد تبرير الحلول القانونية المختلفة والمتعلقة بإبرام العقود وبآثارها، فالاعتبار الشخصي يعد من الأفكار الأساسية في مجال إبرام العقود وتنفيذها بالاعتماد بشخصية أحد المتعاقدين أو صفة جوهرية من صفاته أو الاعتماد بأشخاص وصفات جميع أطراف العقد، لقد وجدنا من المناسب لتحقيق مرامي البحث أن نتناوله في الدراسة، في القانون المدني العراقي ومقارنته مع القانون المصري وان نبين في المبحث الأول مفهوم موت المتعاقد في عقود الاعتبار الشخصي، وان نكرس في المبحث الثاني اثر الموت في عقود الاعتبار الشخصي فإذا فرغنا من ذلك كله بتوفيق من الله وتسديده نكون قد وصلنا إلى خاتمة نعمل فيها أبرز نتائج البحث ومقترحاته.

الكلمات المفتاحية: موت المتعاقد، عقود الاعتبار الشخصي، القانون المدني العراقي، القانون المصري.

Abstract

Some contracts are characterized by personal qualities which are considered for the importance of the person of the contractor. If the contract is characterized by personal qualities, it is considered personal in the contract. This term is considered by one of the parties to the contract or both, in the same person or in any of its characteristics.

The personal consideration is one of the important ideas in the conclusion of contracts despite the absence of legislative and jurisprudential, which made some think that it is only a marginal topic, and we find this position was a reflection of the position of legislation from it, and find that the subject of the death of the contractor in the contracts of personal consideration, We have taken from this study an analytical approach to the legislative texts, judicial decisions and jurisprudence.

المقدمة

للاعتبار الشخصي أهمية في تبرير بعض الحلول القانونية المتعلقة بالعقد، وعلى الرغم من أهميته فنجد البعض قد اغفل ذلك وعدّه عنصراً هامشياً في العقد، ولا يخفى ان للاعتبار الشخصي دوراً في العقود ذات الطابع الشخصي، الذي تلعب شخصية المتعاقد أو إحدى صفاته الدور الجوهري في العقد، ففي بعض العقود نجد للاعتبار الشخصي دوراً جوهرياً فيه بل نجد مجاله الخصب في هذه العقود وفي عقود أخرى لا نجد هذا الدور.

ان الاعتداد بالاعتبار الشخصي يتركز اما على ارادة المتعاقدين او وجود نص قانوني او طبيعة الالتزام، وهذا الاعتداد بالاعتبار الشخصي قد يكون في مرحلة تكوين العقد او في تنفيذ العقد وقد يكون في انقضاء العقد، والآخر هو ما سنبينه في بحثنا.

وعلى الرغم من وجود الاعتبار الشخصي وتأثيره في بعض من العقود الواردة على الملكية او الواردة على الانتفاع بالشيء او الواردة على العمل الا اننا نجد قلة من كتب في هذا الموضوع الحيوي.

وعلى الرغم من ان المشرع العراقي شنت دور الاعتبار الشخصي في العقود وعدم تركيزه وتوجيهه باتجاه واحد، فالاعتبار الشخصي له أثره الملموس في نطاق نظرية العقد، وكثيرا ما تثار بصدد تبرير الحلول القانونية المختلفة والمتعلقة بأبرام العقود وبآثارها، فالاعتبار الشخصي يعد من الأفكار الأساسية في مجال أبرام العقود وتنفيذها بالاعتداد بشخصية أحد المتعاقدين أو صفة جوهرية من صفاته او الاعتداد بأشخاص وصفات جميع اطراف العقد، لقد وجدنا من المناسب لتحقيق مرامي البحث أن نتناوله في الدراسة، في القانون المدني العراقي ومقارنته مع القانون المصري وان نبين في المبحث الاول مفهوم موت المتعاقد في عقود الاعتبار الشخصي، وان نكرس في المبحث الثاني اثر الموت في عقود الاعتبار الشخصي فإذا فرغنا من ذلك كله بتوفيق من الله وتسديده نكون قد وصلنا إلى خاتمة نعمل فيها أبرز نتائج البحث ومقترحاته.

المبحث الأول: مفهوم موت المتعاقد في عقود الاعتبار الشخصي

إنَّ الاعتبار الشخصي يعد من المواضيع المهمة في مجال العقود المدنية، وللوقوف على معناه يستلزمنا تعريفه وتمييزه مما يشته به وذكر صفاته الجوهرية، لذا سنتكلم في المطلب الاول عن تعريف الاعتبار الشخصي، وسنخصص في المطلب الثاني تمييز الاعتبار الشخصي مما يشته به وسنكرس في المطلب الثالث الصفات الجوهرية محل الاعتبار الشخصي في التعاقد.

المطلب الأول: تعريف الاعتبار الشخصي

لم يعرف الفقه او التشريع موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي، فتنتهي الشخصية الطبيعية بموتها الطبيعي وقد نصت المادة (٣٤/ف١) من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١، على ان ((تبدأ شخصية الانسان بتمام ولادته حياً، وتنتهي بموته))^(٢)، وهناك موت حكمي وهو المفقود، فبالموت تزول شخصية المتعاقد التي كانت محل اعتبار.

إن تحديد معنى الاعتبار الشخصي بشكل عام يشوبه بعض الغموض بسبب عدم بيان التشريعات المدنية وتطبيقاتها القضائية معناه، مما أدى إلى تباين الآراء الفقهية فيه، إذ ذهب رأي إلى تعريفه ((يكون لشخص العاقد اعتبار خاص في مبنى العقد بحيث يكون لصفة العاقد ارتباط بموضوع العقد))^(٣). ويلاحظ على هذا التعريف عدم بيانه للمقصود من ارتباط صفة العاقد بموضوع العقد، كذلك جعل الاعتبار

٢- انظر المادة (٢٩/ف١) من القانون المدني المصري رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨.

٣- مصطفى الزرقاء، الفقه الاسلامي في توبه الجديد، - المدخل الفقهي العام - ج١، ط٢، مطبعة الحياة دمشق، ١٩٦٤، ص٤٣٥.

الشخصي يتسم بطابع موضوعي، إذ انه ربط الاعتبار الشخصي بموضوع التعاقد، ولم تقم وزنا لدور ارادة المتعاقدين في الاعتداد بالاعتبار الشخصي.

وعرف كذلك بانه ((العقد الذي كانت شخصية احد المتعاقدين أو صفة خاصة فيه قد روعيت في إبرام العقد، كالعقد المبرم مع فنان أو مقاول أو مع جراح))^(٤) وعرف أيضا بأنه ((الاعتداد بشخصية المتعاقد أو صفة من صفاته ويؤثر في إبرام العقد))^(٥)، ويلاحظ على هذين التعريفين عدم وضوحهما لحقيقة الاعتبار الشخصي.

في حين بيّن البعض الآخر أن المقصود من الاعتبار الشخصي ((اعتبار الشخص الذي تم التعاقد معه والذي دفع رضا العاقد أو العاقدين الآخرين، أي إن الاعتداد بشخص أحد العاقدين يكون باعثا دافعا لرضا الطرف الآخر بالتعاقد))^(٦).

ويتبين من هذا التعريف وجود علاقة وثيقة بين الباعث الدافع على التعاقد وبين الاعتبار الشخصي في التعاقد لأن الشخص في الغالب له عدة بواعث تدفعه للتعاقد إلا أنه في العقود القائمة على الاعتبار الشخصي يكون لها المقام الجوهري من بين هذه البواعث فهو يعد الباعث الجوهري لإبرام العقد مع العاقد محل الاعتبار الشخصي^(٧).

ويظهر من هذا الرأي ان الاعتبار الشخصي يرتبط بالباعث الدافع الى التعاقد، فإذا كانت شخصية المتعاقد أو إحدى صفاته هي الدافع الى التعاقد كنا بصدد اعتبار شخصي في التعاقد، اما اذا لم تكن شخصية المتعاقد أو إحدى صفاته هي الدافع الى التعاقد لم نكن بصدد عقد متصف بالاعتبار الشخصي. ولقد ثار نقاش فقهي حول العلاقة بين الاعتبار الشخصي وبين الباعث الدافع الى التعاقد لأنه اذا صح في بعض العقود ذات الطابع الشخصي ان يكون شخص العاقد أو إحدى صفاته الباعث الدافع الى التعاقد مثل عقد الهبة فحينئذ يكون الاعتداد بشخص الموهوب له هو الباعث الرئيسي الذي دفع إرادة

٤- د. محمود جمال الدين زكي، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني المصري، مصادر الالتزام، ج ١، ط ٢، مطبعة فائق القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٥١. فكلمة الإعتبار في اللغة تدل على معان مختلفة في اللغة وتأتي بمعنى الرافة والرحمة، كذلك تأتي بمعنى العجب والتعجب وتأتي بمعنى على ما يقابل الواقع وتأتي بمعنى الانعاط والتدبر، وتأتي بمعنى الاعتداد بالشيء أما مدلول مصطلح الشخص في اللغة العربية، فهو كل جسم له أرتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات وقيل الفرد من أي نوع كان، وهو الكائن العاقل المختار في مقابل الشيء. للتفصيل ينظر عبد الله العلايلي، الصحاح في اللغة والعلوم، المجلد الاول، دار الحضارة العربية، بيروت، دون ذكر سنة الطبع، ص ٦٥٢.

٥- د. علي الموسوي، الاعتبار الشخصي في الشركة المساهمة، مجلة العلوم القانونية، جامعة بغداد، العدد الثاني، مجلد ٢٥، ٢٠١٠، ص ٣١١.

٦- "li ntnitus personae: cette expression indique, que la consideration de la personne avec l'aquieie on a contracte a determine le consentement du ou des contractants".

-AZOULAI, l'elimination de l'intuitus personas le contrat m la tendance a la stabilite du rapport contre - ctuel, paris 1960, p. 1 et suir

" un contra test marsque dintuitus personae lorsque la consideration de la personne dun des contro actants a ete de terminante du consent ement donne par lautre "

نقلا عن: د. سمير إسماعيل، الاعتبار الشخصي في التعاقد، اطروحة دكتوراه، جامعة الاسكندرية، ١٩٧٥، ص ١٥.

٧- اياد احمد البطاينة، الاعتبار الشخصي في التعاقد، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية القانون، جامعة بابل، ١٩٩٩، ص ٩.

الواهب الى التعاقد، الا ان هذا لا يصدق على جميع العقود ذات الاعتبار الشخصي^(٨)، فمثلا في عقد الوكالة الامر يختلف عن عقد الهبة وان كان عقد الهبة يعتد بالاعتبار الشخصي، فالاعتبار الشخصي في عقد الوكالة لا يكون هو الدافع الرئيسي للتعاقد، على الرغم من كونه عنصرا مهما يرتب عليه عدة اثار، ويبدو ان الاعتبار الشخصي هو الدافع الرئيسي (للاختيار المتعاقد) وليس الى ابرام العقد بل حتى في عقد الهبة فالدافع للتعاقد ذاته قد يكون الحصول على الاجر والثواب بينما اختيار المتعاقد (الموهوب له) لأنه من أقراره^(٩)، ويلاحظ كذلك اختلاف مفهوم الباعث في السبب عن الاعتبار الشخصي، لان الاعتبار الشخصي في حالة الاعتداد به يصبح عنصرا جوهريا في التعاقد، ولتوضيح ذلك بالمثال الاتي اذا قام شخص بتوكيل محام بسبب دعوى لديه فالدافع الرئيسي للتعاقد وجود الدعوى، ومع ذلك فقد يعبأ بشخص المحامي او احدى صفاته، بحيث يكون عنصرا جوهريا في التعاقد، له أهمية في نظر المتعاقد الاخر^(١٠).

فالباعث الدافع الى التعاقد يختلف عن الاعتبار الشخصي، فالباعث يختلف من عاقد إلى آخر باختلاف بواعثهم ودوافعهم، في حين إن الاعتبار الشخصي لا يوجد شيء من ذلك، كما ان القول بخلاف ذلك ويؤدي إلى دمج السبب مع الاعتبار الشخصي، لأن ما يشترط بالاعتبار الشخصي أن يكون عنصرا جوهريا الى اختيار المتعاقد لا السبب الوحيد أو السبب الرئيس في التعاقد لان الكثير من العقود لا تكون شخصية المتعاقد هي السبب الوحيد للتعاقد وإنما الباعث الدافع هو حاجة المتعاقد إلى محل العقد، وبالتالي بحاجة إلى من ينوب عنه في اجراء التصرف القانوني، أي ان الذي دفعه الى ابرام العقد هو الحاجة الى محل العقد ليقوم به غيره ومن ثم يضع بالشخص الذي يروم التعاقد معه صفات جوهرية ويعدها اساسية في العقد، كما ان ركن السبب يستلزم وجوده في العقود، اما الاعتبار الشخصي فلا يستلزم ذلك في حالة اطلاقه، وبناء على ذلك يكون وجود السبب وصحته امر مفترض قانونا في حالة عدم ذكره^(١١)، اما الاعتبار الشخصي فلم يفترضه القانون في العقود، بل لا يوجد اعتبار شخصي في كل العقود.

وما تقدم من تباین في بیان معنى الاعتبار الشخصي جعل من التشريعات المدنية تكتفي بالإشارة الى الاعتبار الشخصي في العقد دون ان تحد معناه^(١٢)، كذلك نجد إن موقف القضاء المصري كان صدى

^٨ عقيل محمد موسى الغبان، الاعتبار الشخصي في عقد المفاوضة، رسالة ماجستير مقدمة لكلية القانون جامعة بابل، ٢٠١٦،

ص ١٤.

^٩ د. مشعل مهدي جوهر حياة، مدى جدية عنصر الاعتبار الشخصي في عقد الوكالة، بحث منشور في مجلة الحقوق الكويتية، العدد الاول السنة ٢٠٠٩، ٣٣، ص ٢٨. دعلاء حسين علي ود. سعد ربيع عبد الجبار وم. محمد عبد الوهاب، التنازل عن العقد والتعاقد من الباطن في عقود الاعتبار الشخصي، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية، العدد السادس، ٢٠١٢، ص ٦.

^{١٠} د. جلال علي العدوي، اصول الالتزام، مصادر الالتزام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٧، ص ٤٨-٤٩. د. سماعيل غانم، النظرية العامة للالتزام، مصادر الالتزام، مكتبة عبد الله وهبة، مصر، ١٩٦٦، ص ١٩٤-١٩٥. د. جليل الساعدي، الاعتبار الشخصي وأثره في انعقاد وتنفيذ العقد، مجلة العلوم القانونية، بغداد، العدد الاول والثاني، ١٩٩٨، ص ١٤٩ و ١٥٣. محمد بن ابراهيم عبد العزيز القاسم، الاعتبار الشخصي في العقود، رسالة ماجستير مقدمة الى المعهد العالي للقضاء في جامعة محمد بن سعود، السعودية، ٢٠١٢، ص ٤٢.

^{١١} نصت المادة (٢/١٣٢) من القانون المدني العراقي على ان ((- ويفترض في كل التزام ان له سببا مشروعاً ولو لم يذكر هذا السبب في العقد مالم يقيم الدليل على غير ذلك))، والتي تقابلها المادة (١٣٧) من القانون المدني المصري. والمادة (١١٣٢) من القانون المدني الفرنسي.

^{١٢} انظر مثلاً في المواد (٨٢٠، ٨١٠، ٨٢٩، ٨٣٨، ٩٣٩) من القانون المدني العراقي. (٦٣٩، ٧٢١) من القانون المدني المصري.

لتوجهات مشرعه في عدم بيان معنى الاعتبار الشخصي في العقد حيث اكتفى بالإشارة لذلك بقوله ((ففي الحالات التي يكون فيها شخصية المفاوض محل اعتبار في العقد سيكون الغلط فيه سبباً لقابلية عقد المفاوضة للأبطال. فإذا تعاقد مريض مع جراح متوهماً انه جراح معين بالذات، فظهر غلط في شخصه وأنه جراح آخر كان من حق المريض إن يطالب بإبطال عقد المفاوضة للغلط))^(١٣).

ولابد ان نبين ان الاعتبار الشخصي يوجد بالعقود ذات الطابع الشخصي ولا يوجد في مواضيع ذات طابع موضوعي اذ تتعلق بالعقد ومحله فهذه العقود تعتمد على الاعتبار المالي.

المطلب الثاني: تمييز الاعتبار الشخصي مما يشته به

يتشابه الاعتبار الشخصي مع بعض الاوضاع القانونية مثل التحفظ في التعاقد والشرط لذا سنقسم هذا المطلب على فرعين نتناول في اولهما تمييز الاعتبار الشخصي من التحفظ بالتعاقد ونكرس في ثانيهما تمييزه من الشرط

الفرع الاول: تمييزه من التحفظ في التعاقد

ان التحفظ في التعاقد يمكن ان ينشأ في جميع العقود، وينقسم التحفظ في التعاقد على قسمين، هما التحفظ الصريح والتحفظ الضمني، اما التحفظ الصريح يتحقق عندما يسبق التعاقد عرض يتقدم به أحد المتعاقدين للآخر يعقبه مفاوضات، فإذا انتهت هذه المفاوضات وتوصل الطرفان إلى اتفاق على جميع الأمور، فقد يحتفظ أحدهما أو كلاهما لنفسه ببعض التحفظات ولا يصدر إيجاباً باتاً، بل يحتفظ لنفسه بحق الرجوع أو بحق إجراء بعض التعديلات على الشروط التي أتفق عليها، كأن يحتفظ بحق تعديل الثمن تبعاً لسعر السوق أو أن يعلق الإيجاب على أمر معين، فيسمى حينئذ بالإيجاب المعلق^(١٤). أما بالنسبة للتحفظ الضمني في التعاقد فيستشف من ظروف التعاقد، والذي بدوره قد يكون (تحفظاً ضمناً موضوعياً)، أو (تحفظاً ضمناً شخصياً)، ويقصد بالتحفظ الضمني الموضوعي هو التحفظ الذي له طابع عام ويسري تجاه جميع الناس، كاعتبارات سن التعاقد أو حالته الصحية ومدى تأثيرهما على تنفيذ التزاماته. أما التحفظ الضمني الشخصي فيقصد به التحفظ المرتبط باعتبارات شخصية، لها طابع خاص ومعياري ذاتي، مثل يسار المشتري في دفع الثمن المؤجل للعقد^(١٥).

ومعيار التفرقة بين التحفظ الضمني الموضوعي والتحفظ الضمني الشخصي (المرتبط باعتبار شخصي) هو طبيعة الاعتبارات التي تبنى عليها هذه التحفظات، فإذا كانت هذه التحفظات مردّها اعتبارات موضوعية عامة، تسري تجاه الناس كافة، فأما تكون تحفظات ضمنية موضوعية، كالاقتبارات التي تتعلق بالسن والحالة الصحية، وإذا كانت التحفظات تعود لاعتبارات شخصية لها طابع خاص، ومعياري ذاتي تختلف باختلاف الأشخاص، ولا يمكن تحديد معيار عام لها على أساس الشخص وصفاته تكون تحفظات ضمنية شخصية.

^{١٣} - انظر قرار محكمة النقض المصرية في ١٧/٤/١٩٤١، السنة ٢٥ القضائية / س ١٩٧٣، ج ٢، نقلاً عن د. عبد الحميد الشواربي، التعليق الموضوعي على القانون المدني، العقود المسماة، الكتاب السابع، منشأة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٤٢.

^{١٤} - د. جليل حسن بشات الساعدي، المرجع السابق، ص ١٤٩. وهناك تحفظ ذهني لا يدخل ضمن البحث للتفصيل ينظر اياها أحمد البطانية، المرجع السابق، ص ١٧.

^{١٥} - د. علاء حسين علي و د. سعد ربيع عبد الجبار و م. محمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٦٧.

ويلاحظ مما تقدم أن الاعتبار الشخصي يختلف عن التحفظ الصريح في التعاقد فيما يأتي:

١- إنَّ التحفظ الصريح في التعاقد لا يقتصر على دائرة العقود ذات الطابع الشخصي، بل يمتد لتشمل دائرة العقود ذات الطابع الموضوعي.

٢- إنَّ التحفظ الصريح في التعاقد يؤثر في الغالب على انعقاد العقد لا على تنفيذه أو انتقاله أو انقضائه، بينما نجد الاعتبار الشخصي يؤثر في انعقاد العقد وتنفيذه وانتقاله.

أما التحفظ الضمني الشخصي فهي وأن كان يتشابه مع الاعتبار الشخصي في التعاقد، من حيث أن كليهما يتحقق بناءً على اعتبارات تتعلق بشخص المتعاقد الآخر، إلا أن ما يميز الاعتبار الشخصي من التحفظ الضمني هو:-

١- إنَّ الاعتبار الشخصي يتعلق بالشخص أو بصفاته، والذي يعد عنصراً جوهرياً يوجد في العقود ذات الطابع الشخصي، ويؤثر في إبرام العقود وتنفيذها وانتقالها وانقضائها^(١٦)، أما التحفظ الضمني الشخصي، فإنه وأن كان يتعلق باعتبارات الشخص أو بصفاته، إلا أنها من الممكن أن تتوفر في جميع العقود، من دون أن يترتب عليها ما ينتج عن الإعتداد بالاعتبار الشخصي من وجوب تنفيذ المتعاقد للإلتزامات محل العقد بنفسه، وإنهاء هذه الإلتزامات بمجرد وفاة المتعاقد.

٢- كذلك ما يميز الإعتبار الشخصي من التحفظ الضمني الشخصي وبصورة جلية، هو تأثيرها في إنعقاد العقد وتنفيذه وانتقاله وإنقضائه، بخلاف التحفظ الضمني الشخصي إذ يكون تأثيره في إنعقاد العقد لا على تنفيذه أو انتقاله أو إنقضائه.

الفرع الثاني: تمييزه من الشرط

عرف الشرط بأنه (أمر مستقبل غير محقق الوقوع يترتب على وقوعه نفاذ الإلتزام أو زواله)^(١٧)، والشرط نوعان، شرط واقف يقتصر تأثيره على وجود الإلتزام وشرط فاسخ يترتب على تحققه زوال الإلتزام^(١٨)، وقد نصت المادة (٢٨٦) من القانون المدني العراقي على أن (١- العقد المعلق هو ما كان معلقاً على شرط واقف أو فاسخ ٢- ويشترط لصحة التعليق أن يكون مدلول فعل الشرط معدوماً على خطر الوجود لا محققاً ولا مستحيلاً). وقد نصت المادة (٢٦٥) من القانون المدني المصري على أن (يكون الإلتزام معلقاً على شرط إذا كان وجوده أو زواله مترتباً على أمر مستقبل غير محقق الوقوع). أما الاعتبار الشخصي فقيام المدين المعتد بشخصه بتنفيذ التزاماته.

ويتميز الإعتبار الشخصي من الشرط في عدة جوانب من أهمها:

١- تأثير الإعتبار الشخصي على إنعقاد العقد وتنفيذه وانتقاله وإنقضائه، بخلاف الشرط الذي يقتصر أثره على وجود الإلتزام إذا كان واقفاً أو زواله إذا كان الشرط فاسخاً.

١٦- د. جليل حسن الساعدي، المرجع السابق، ص ١٥٠.

١٧- لمزيد من التفصيل ينظر دعلاء حسين علي ود. سعد ربيع عبد الجبار وم. محمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٦٨.

١٨- د. محمد حسام محمود لطفي، النظرية العامة للإلتزام المصادر - الأحكام - الإثبات (دراسة تفصيلية في ضوء آراء الفقه وأحكام القضاء)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٣٧.

٣- تأثير الاعتبار الشخصي على تنفيذ العقد في وجوب قيام المدين المعتد بشخصه بتنفيذ التزاماته، على عكس الشرط الذي لا يؤثر على تنفيذ العقد، ولهذا يوصف العقد القائم على الاعتبار الشخصي بأنه عقد منجز، أما العقد المعلق على شرط واقف هو عقد موصوف وغير منجز.

المطلب الثالث: الصفات الجوهرية محل الاعتبار الشخصي في المتعاقد

إن الاعتبار الشخصي يتسع لكافة الصفات المتعلقة بما يشتمل عليه العقد، وما يتطلبه مبدأ حسن النية في التنفيذ، عليه سنقسم هذا المطلب على فرعين فنكرس الفرع الأول الصفات الذاتية المتعلقة بالمتعاقد، ونبين في الفرع الثاني الصفات العلمية المتعلقة بالمتعاقد.

الفرع الأول: الصفات الذاتية المتعلقة بالمتعاقد

هنالك عدة صفات قد يتصف بها المتعاقد تكون نابعة عن ذاته، فتضحى محل اعتبار، مما تحتم أن نستعرضها كآتي:

أولاً: الأهلية القانونية

ثانياً: حسن السمعة والأخلاق

ثالثاً: الحالة الصحية

رابعاً: الديانة

أولاً: الأهلية القانونية

ونقصد بها، اهلية الاداء وهي صلاحية الشخص لصدور العمل القانوني على وجه يعتد به شرعاً، وهي عنصر جوهرى في التعاقد، ودورها أهم في العقود ذات الطابع الشخصي بوجه خاص، ومن ثم تعد عنصراً جوهرياً عاماً في مختلف العقود^(١٩).

وتحدد الأهلية القانونية عادةً بالنسبة للشخص الطبيعي حسب قانون الدولة التي ينتمي إليها الشخص بجنسيته^(٢٠) إذ بينت المادة (١٠٦) من القانون المدني العراقي أن سن الرشد يكون بتمام ثمان عشرة سنة كاملة، اما القانون المدني المصري فقد بين في المادة (٢/٤٤) إلى أن سن الرشد هو تمام إحدى وعشرون سنة ميلادية كاملة.

وإذا كان الأمر يمكن أن يؤخذ بهذه البساطة بالنسبة للشخص للتعاقد إذا كان شخصاً طبيعياً، فإنه لا يكون كذلك إذا كان هذا الشخص شخصاً معنوياً، إذ يوجب القانون بيان الشكل القانوني للشخص المعنوي من حيث المستندات والوثائق الدالة على قيامه قانوناً، كعقد تأسيسه ونظامه الأساسي وغيرها من المستندات والوثائق الخاصة بتكوينه. وهنا تثور في هذه الحالة مشكلة تمثيل هذا الشخص، وفيما إذا كان

١٩- كنعان محمد محمود المفرجي، الاعتبار الشخصي في العقد الاداري (دراسة مقارنة)، دار الفكر العربي، الاسكندرية، ٢٠١٤م، ص ٦٣.

٢٠- نصت المادة (١٨) من القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ المعدل على (١- الأهلية تسري عليها قانون الدولة التي ينتمي إليها الشخص بجنسيته. ٢- ومع ذلك ففي التصرفات المالية التي تعقد في العراق وتترتب آثارها فيه، إذا كان أحد الطرفين أجنبياً ناقص الأهلية وكان سبب نقص أهليته يرجع إلى سبب فيه خفاء لا يسهل على الطرف الآخر تبينه، فإن الأجنبي يعتبر في هذا التصرف كامل الأهلية).

مؤهلاً قانونياً لهذا التمثيل أم لا، لذلك يجب على من يتولى مسؤولية تمثيل شخص معنوي، أن يبرز الوثائق التي تثبت مشروعية تمثيله، كإبراز نموذج من إمضائه، أو صلاحيته المخول بها من الشخص المعنوي^(٢١).

ثانياً: حسن السمعة والأخلاق

إنَّ الأخلاق والسمعة الحسنة التي يتحلى بها الشخص المتعاقد، تعد من الصفات الذاتية التي قد يعبأ بها في التعاقد، فكثيراً ما يكون خلق المتعاقد وسمعته محل اهتمام كبير، إذ عادةً تعدد بحسن سيرة الشخص الراغبة بالتعاقد معه وسمعته، وبالذات فيما يتعلق بمدى حرصه على الوفاء بالتزاماته بسهولة ويسر، ومن ثم يجب أن يكون الشخص المتعاقد على درجة كبيرة من حسن السمعة والأخلاق^(٢٢).

وتستشف من تلك الصفة أو هذا العنصر عبر ما يتمتع به الشخص بالثقة مع المتعاقدين السابقين، كذلك سمعته من خلال الأمانة والصدق بالتعامل بين الأوساط التجارية، وأن يكون حريصاً على الوفاء بالتزاماته بحسن نية من دون أي مماطلة، وكثيراً ما ينصب الاهتمام بهذه الصفة ويعتد بها في التعاقد، لأنها تعد عنصراً مهماً وضرورياً يلزم توفره^(٢٣).

ويستخلص مما تقدم أن صفة حسن السمعة والأخلاق التي يتحلى بها المتعاقد، يستدل عليها من سمعته الطبية بين أقرانه في وسطه المهني، عبر وفائه بالعهد من دون مماطلة، كذلك أمانته المعروفة في أدائه العمل، والدقة في احترام المواعيد، ومن ثم فإن هذه الأمور تجعل منه بلا شك موضع ثقة واطمئنان للإدارة عند التعاقد معه^(٢٤).

ثالثاً: الحالة الصحية

يقصد بالحالة الصحية هو مدى سلامة الشخص المتعاقد الناحية الطبية من حيث عدم أصابته بأمراض معينة، أو من حيث البنية والقدرة الجسدية^(٢٥). فهذه الصفة تكون محل إعتبار في كثير من العقود، لاسيما العقود الواردة على العمل ذلك لأن تنفيذه للالتزامات المنوطة به، يتطلب منه أن يكون صحيح البنية، بسبب أن مرضه قد يترتب عليه توقف العمل^(٢٦).

رابعاً: الديانة

من حيث المبدأ هو أن لا يكون للمعتقد أثر في المعاملات المالية للأفراد أو الإدارة، فحرية الأديان والمعتقدات وممارسة الشعائر الدينية مكفولة قانوناً، وهذا ما نص عليه الدستور العراقي النافذ في المادة الثانية منه بالقول (...). كما ويضمن كامل الحقوق الدينية لجميع الأفراد في حرية العقيدة والممارسة الدينية،

٢١- د. جليل حسن الساعدي، المرجع السابق، ص ١٥٢.

٢٢- د. محي الدين اسماعيل علم الدين، العقود المدنية الصغيرة، ط ٢ دار النهضة العربية، مصر ١٩٩٥، ص ٣٠. وقد بين القضاء الفرنسي على أن (... سمعة الشخص هو عنصر أساسي إذا ما كانت شخصية المتعاقد معتبرة في التعاقد). انظر: Voir l'arrêt du n°11.wikipedia.org, 3851, I, JCP G 1995, 3 novembre 1994 de la [cour d'appel de Paris](http://www.cour-d'appel-de-paris.fr) أشار الى ذلك، عقيل محمد موسى الغبان، الاعتبار الشخصي في عقد المقاولة (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية القانون - جامعة بابل، ٢٠١٦، ص ٣٢.

٢٣- د. طارق محمد عبد الرحمن سلطان، سلطة الادارة في توقيع الجزاءات على المتعاقدين معها في العقود الادارية وضوابطها (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣٤١.

٢٤- د. محي الدين اسماعيل علم الدين، المصدر السابق، ص ٣١.

٢٥- أياد أحمد البطاينة، المصدر السابق، ص ٦٧.

٢٦- د. محمد لبيب شنب، شرح قانون العمل ط ٣، دار النهضة العربية، ١٩٧٦، ص ١٥٨ وما بعدها.

كالمسيحيين والأيزيديين، والصابئة المندائيين...)، فلا يصح أن يكون للدين أو المعتقد أثر على العلاقات المالية، إلا أنه وفي بعض الحالات قد يعتد به المتعاقد ولأسباب مختلفة، كما في حالة بناء أو ترميم مسجد أو كنيسة، إذ يتطلب الأمر مراعاة السمات والمميزات التي تحملها هذه الأماكن المقدسة، والعمل على عدم المساس بها، وتجنب محاولات التأثير على مميزات هذه الأبنية أو المشاريع ذات الطابع الخاص، ذلك من خلال إسناد الأعمال التي تسمح للمتعاقد بالمحافظة على قدسية هذه الأماكن^(٢٧).

الفرع الثاني: الصفات العملية المتعلقة بالمتعاقد

إنَّ شخصية المتعاقد قد تكون محل اعتبار لدى المتعاقد عند إبرام العقد، لما قد يتمتع به هذا المتعاقد من مهارة وخبرة ودراية، فتكون هي محل اعتبار عند توقيع العقد. وعليه سنبين الصفات العملية للمتعاقد في الفقرات الآتية:-

أولاً: الكفاية المالية

ويقصد بها درجة يسار المتعاقد، ويقصد باليسار ((الإمكانات المالية التي يتمتع بها المتعاقد وملاءمته هذه الإمكانية وطبيعة العقد))^(٢٨)، إذ يجب أن يتمتع الشخص المتعاقد بالمقدرة المالية العالية التي تمكنه من تنفيذ التزاماته التعاقدية، فلا يصح التعاقد مع شخص معسر أو مفلس قانوناً، ذلك لأن المقدرة المالية التي يتمتع بها الشخص المتعاقد، تعد عنصر جذب للمتعاقد معه، والتي تكون محلاً للإعتبار عند التعاقد^(٢٩). بحيث يضع المتعاقد في إعتباره دائماً عند التعاقد مدى يسر المتعاقد من الناحية المالية، وهو ما تطمئن معه إلى ضمان تنفيذ العقد من ناحية، ومقدرته على التغلب على عوارض التنفيذ من ناحية أخرى^(٣٠).

ثانياً: المقدرة والخبرة الفنية

وتعني مؤهلات الشخص للمتعاقد الفنية وخبراته العملية^(٣١)، وتشمل الكفاءة الفنية والتقنية العالية التي تمكن المتعاقد من القيام بالتزاماته الفنية والعملية، إذ تكون مؤهلاته الفنية وسابقة أعماله، بلا ريب محلاً للاعتبار والتقدير من جانب المتعاقد عند اختيارها له، لاسيما إذا كان تنفيذ العقد يستلزم في المتعاقد تقنية عالية لتنفيذ العقد أو الصيانة، التي يتطلب تنفيذها دراية فنية على مستوى عال من الخبرة بأصول المهنة^(٣٢). وفي الحقيقة أن المقدرة الفنية المتخصصة الملازمة للشخص الراغب بالتعاقد، تعد صفةً عمليةً تجعل من العقد إذا روعيت عند إبرامه عقداً قائماً على الإعتبار الشخصي إذ أعتدت بصفة من صفات المتعاقد الآخر، وهي المعرفة والمهارة الفنية، أضف إلى ذلك أن هذه الصفة تمكن صاحبها من القيام بالعمل الذي يناط به على أكمل وجه.

^{٢٧}- جلال علي العدوي، قانون العمل، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٧، ص ٢٥٦.

^{٢٨}- د. احمد حشمت ابو ستيت، نظرية الالتزام في القانون المدني المصري، مكتبة عبد الله وهبة، مصر، ١٩٤٥م، ص ٦٣.

^{٢٩}- وما يؤكد أهمية الكفاية المالية في تنفيذ عقود المقاولات، أن تبلغ الكفاية المالية للمقاول حداً معيناً لكي يستطيع أبرام عقود المقاولات، للتفصيل ينظر كنعان محمد محمود المفرجي، المصدر السابق، ص ٦٤. هامش رقم ١.

^{٣٠}- د. عبد المجيد الحكيم، الوسيط في نظرية العقد، ج ١، انعقاد العقد، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٧، ص ٢٥٨.

^{٣١}- د. كمال قاسم ثروت، الوجيز في شرح احكام عقد المقاولة، ج ١، ط ١، مطبعة اوفسيت وسام، بغداد ١٩٧٦، ص ٣٦.

^{٣٢}- د. عدنان السرحان، شرح القانون المدني (العقود المسماة)، ط ١، مكتبة دار الثقافة، عمان ١٩٩٦، ص ٢٤.

المبحث الثاني: اثر الموت في عقود الاعتبار الشخصي

ان موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي يؤدي لانقضاء العقد، ولكن قد يبقى العقد مرتباً باثارة رغم موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي، عليه سنقسم هذا المبحث على مطلبين نتناول في المطلب الاول انتهاء العقد بموت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي، وسنكرس في المطلب الثاني بقاء العقد بموت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي.

المطلب الأول: انتهاء العقد بموت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي

ينصرف اثر العقد للخلف العام بعد موت المتعاقد نفسه، فموت احد المتعاقدين لا يرتب عليه انتهاء العقد، وانما يظل العقد قائماً منتجاً اثاره، إذ نصت المادة (١٤٢ / ف١) من القانون المدني العراقي على ان ((ينصرف اثر العقد إلى المتعاقدين والخلف العام دون إخلال بالقواعد المتعلقة بالميراث، مالم يتبين من العقد أو من طبيعة التعامل أو من نص القانون أن هذا الأثر لا ينصرف إلى الخلف العام))^(٣٣).

وان الحكم يختلف في حالة موت المتعاقد وكانت شخصيته محل اعتبار، فشخصية المتعاقد محل اعتبار تمنع من انصراف اثر العقد الى الخلف العام، وان ما يمنع من انصراف اثر العقد للخلف العام لإرادة المتعاقدين او لطبيعة العقد يرجع حقيقته للاعتبار الشخصي.

وعند الرجوع الى المذكرة الايضاحية للقانون المدني المصري نجد أن عدم انصراف اثر العقد الى الخلف العام بسبب ارادة المتعاقدين أو طبيعة العقد^(٣٤)، يرجع حقيقته الى الاعتبار الشخصي^(٣٥) أي أن اثر العقد لايسري في حق الخلف العام وذلك ان كانت شخصية السلف محل اعتبار في التعاقد، فلا يستطيع الخلف أن يطالب بتنفيذ العقد وذلك لأن شخصية السلف كانت محل اعتبار عند التعاقد^(٣٦).

قد يتبين من طبيعة التعامل ان هناك ارتباطاً بين شخصية المتعاقد والعقد، فاذا مات المتعاقد لم يعد هناك مبرر لاستمرار العقد، فتعاقد المريض مع الطبيب الجراح للقيام بعملية جراحية، ووفاة المرض قبل اجرائها، يحول دون استمرار العقد، وذلك لان محل العقد -القيام بالعمل- لا يمكن تنفيذه، ولا يقبل القول ان الخلف العام للمريض يخلف سلفه، ولو كان الخلف العام مصاباً بالمرض نفسه لسلفه، ولو كان في حاجة لذات العملية الجراحية لسلفه، فالاعتبارات الشخصية تحول دون تنفيذ العقد^(٣٧).

٣٣- انظر المادة (١٤٥) من القانون المدني المصري.

٣٤- أنظر مجموعة الاعمال التحضيرية للقانون المدني المصري، وزارة العدل، مطبعة مدكور، القاهرة، ج٢، ص٢٧٢ و ص (١٣١-١٣٢).

٣٥- أنظر قرار محكمة التمييز العراقية، رقم ١٢٢٣، بتاريخ ١٩/٨/١٩٦٣، المجلد الأول، ص١، ابراهيم المشاهدي، المبادئ القانونية في قضاء محكمة التمييز، مركز البحوث القانونية، وزارة العدل، مطبعة العمال، ٢٠٠٧، ص٤٥. كذلك قرار محكمة النقض المصرية، رقم ١٠٦، لسنة ٣٣ القضائية، بتاريخ ١٣/٢/١٩٦٨، حسن الفكاهاني وعبد المنعم حسني، الموسوعة الذهبية للقواعد القانونية التي قررتها محكمة النقض المصرية، ج١، الاصدار الثاني، دار العربية للمطبوعات، ١٩٨٢، ص٧٦٢.

٣٦- د. عبد المجيد الحكيم وآخرون، مصدر سابق، ج٢، ص١٣٢.

٣٧- ينظر اياد احمد البطانية، المرجع السابق، ص١٥٨.

وكذلك عقد البحث العلمي والذي يعد من العقود القائمة على الاعتبار الشخصي فانه ينتهي بموت احد المتعاقدين^(٣٨)، فالعقد ينتهي اذ لا ينتج آثاراً في المستقبل، وللقاضي سلطة تقديرية في تحديد الاعتبار الشخصي وفق طبيعة التعامل^(٣٩).

وقد لا تنصرف اثار العقد للخلف العام لوجود اتفاق المتعاقدين الذي يؤكد ان العقد ذو اعتبار شخصي، او قد يكون اتفاق المتعاقدين يجعلان العقد من عقود الاعتبار الشخصي فينتهي العقد بموت المتعاقد.

وقد ينص القانون على ان العقد ذو اعتبار شخصي، فعقد الايجار في الاصل انه ليس من عقود الاعتبار الشخصي ولكن ان روعي اعتبارات شخصية في اختيار المستأجر فانه يعد من العقود الاعتبارية الشخصية فاذا روعي مهنة المستأجر أو حرفته عدّ عقد الايجار من عقود الاعتبار الشخصي فقد نص القانون المدني العراقي في المادة (٧٨٤) على ان ((اذا لم يعقد الايجار الا بسبب حرفة المستأجر أو لاعتبارات أخرى تتعلق بشخصه ثم مات، جاز لورثته او للمؤجر ان يطلبوا فسخ العقد))^(٤٠).

وكذلك ان عقد المقاولة في الاصل لا يعد من عقود الاعتبار الشخصي ولكن ان ابرم عقد المقاولة مع فنان او مهندس معماري عدّ عقد المقاولة من عقود الاعتبار الشخصي فقد نصت المادة (٨٨٨ / ف٢) من القانون المدني العراقي على ان ((وتعتبر دائما شخصية الماقل محل اعتبار في التعاقد إذا ابرم العقد مع فنان أو مهندس معماري أو مع غيرهم ممن يزاولون مهنا حرة أخرى...)).

وكذلك نجد ان المشرع العراقي عدّ عقد الوكالة من عقود الاعتبار الشخصي اذ ان الموكل يضع ثقته في شخص معين وهو الوكيل، وكذلك تعد شخصية الموكل محل اعتبار عند الوكيل اذا كانت الوكالة من دون أجر وقد نص المشرع العراقي في المادة (٩٤٦) من القانون المدني على ان ((تنتهي الوكالة بموت الوكيل أو الموكل أو بخروج احدهما عن الاهلية أو بإتمام العمل الموكل فيه أو بانتهاء الاجل المعين للوكالة))، وقد نص المشرع المصري في المادة (٧١٤) من القانون المدني على ان ((تنتهي الوكالة بإتمام العمل الموكل فيه او بانتهاء الاجل المعين للوكالة وتنتهي ايضاً بموت الموكل او الوكيل))، فيفهم من النصين المتقدمين ان عقد الوكالة ينتهي بموت اي من المتعاقدين ولا ينتقل للورثة، وهذا خلاف القاعدة بانتقال الحقوق والالتزامات للورثة، مما يمكن القول بان هذا العقد من عقود الاعتبار الشخصي.

ان اثر موت المتعاقد في عقود الاعتبار الشخصي لا تنصرف للعقود الفورية، فلا ثمة من بحث ذلك نظرا لطبيعتها الفورية اذا تم تنفيذ العقد فوراً، وذلك لان الالتزامات الناشئة عنه قد انتهت بتمام تنفيذها، انما نطاقها يكون في العقود التي يلعب الزمن دورا في تنفيذها، اي في العقود المستمرة وفي العقود الفورية المتراخي تنفيذها^(٤١)، ففي حالة موت المتعاقد الذي تعد شخصيته محل اعتبار في عقود الاعتبار الشخصي ينقضي العقد ولا ينتقل لورثته فقد نص المشرع العراقي على ذلك في المادة (٨٦٣ / ف١) من القانون

^{٣٨} - وكذلك عقد الترخيص وهو من العقود التي تشمل على التزام بالمحافظة على الاسرار التكنولوجية اذ ان موت المرخص له لا تنتقل اثاره للغير لان ذلك يتضمن انتقال الاسرار التكنولوجية وهذا يتناقض مع طبيعة التعامل. انظر المرجع نفسه، ص ١٥٨.

^{٣٩} - د. رمضان ابو السعود وهام محمد محمود، المبادئ الاساسية في القانون، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٦، ص ٤٨٩.

^{٤٠} - انظر المادة ٦٠٢ من القانون المدني المصري.

^{٤١} - د. مشعل مهدي، المرجع السابق، ص ١١٣ وما بعدها.

المديني على ان ((تنتهي الاعارة بموت المستعير ولا تنتقل إلى ورثته...)) وقد نص المشرع المصري في المادة (٦٤٥) من القانون المدني على ان ((تنتهي العارية بموت المستعير...))، فالعقد ينتهي بموت المستعير، اما موت المعير فلا يؤثر على العقد كون شخصية المعير ليست محل اعتبار، وكذلك نص المشرع العراقي في المادة (١٨٨/١) من القانون المدني العراقي على ان ((تنتهي المقاولة بموت المقاول إذا كانت مؤهلاته الشخصية محل اعتبار في التعاقد، فأَنْ لم تكن محل اعتبار فلا ينتهي العقد من تلقاء ذاته...))، وكذلك نص المشرع المصري في المادة (٦٦٦) من القانون المدني المصري على ان ((ينقضي عقد المقاولة بموت المقاول إذا كانت مؤهلاته الشخصية محل اعتبار في التعاقد، فأَنْ لم تكن محل اعتبار فلا ينتهي العقد من تلقاء نفسه...))، ويتبين مما تقدم ان موت المتعاقد لا يؤثر في العقد بل ينتقل العقد الى خلفه العام ما لم تكن شخصية المتعاقد محل اعتبار فموت المقاول الذي شخصيته محل اعتبار ينهي عقد المقاولة، اما ان لم تكن شخصيته محل اعتبار فلا يؤثر موت المقاول في العقد، وقد ذهب محكمة النقض المصرية إلى ان ((فلا ينصرف أثر عقد الوكالة بعد الوفاة الموكل أو الوكيل إلى ورثته بوصفهم خلفاً عاماً، لان المشرع افترض إرادة المتعاقدين الضمنية اتجهت إلى انقضاء عقد الوكالة بوفاة ايهما اعتباراً ان هذا العقد من العقود التي تراعى فيها شخصية كل متعاقد))^(٤٢)، ونخلص مما تقدم ان موت الشخص ذو الاعتبار الشخصي يؤدي لانتهاء العقد وذلك لان بالموت تزول شخصية المتعاقد، فيكون لرب العمل او لورثة المقاول اولاي شخص متعاقد محل اعتبار التمسك بهذا الانقضاء.

فأثار العقد لا تنصرف للخلف العام بسبب الاعتبار الشخصي فيما يتعلق بالمستقبل، اما الاثار السابقة على الموت فلا يمكن الغاؤها، فأثار العقد ذو الاعتبار الشخصي تنصرف اثاره السابقة على الموت الى الخلف العام، فمثلاً إذا مات الوكيل في عقد الوكالة وكانت وكالة بأجرة، فعلى الرغم من انتهاء عقد الوكالة بالموت فأَنْ ذلك لا يحرم ورثة الوكيل من مطالبة الموكل بالأجرة المستحقة لمورثهم الوكيل قبل موته^(٤٣).

فبالموت ينتهي العقد طالما شخصية المتعاقد محل اعتبار، وبناء عليه لا تحل ورثة الوكيل محله بعد وفاته الا بموجب اختيار جديد عن طريق عقد جديد، ولكن انتهاء العقد يكون للاثار المستقبلية دون الاثار التي رتبت على العقد في الماضي كما بيناه سلفاً، وهذا الانهاء يكون بقوة القانون الا في الحالات الاستثنائية سوف نبينها لاحقاً، والانتهاء لا يكون باثر رجعي، سواء كان للمتعاقدين او بالنسبة للغير^(٤٤).

ان موت احد اطراف العقد يؤدي لانتهاء العقد ذو الاعتبار الشخصي ففي عقد الوكالة ان مات الموكل ينتهي هذا العقد ويبرر ذلك بان ارادة الموكل التي اختارت شخص الوكيل قد اختفت بوفاة الموكل وتلك الارادة منعت من استمرار العقد سواء كانت وكالة باجر او من دون اجر وقد جاء في قرار لمحكمة النقض الفرنسية ((ان الوكالة تنتهي بوفاة الموكل عملاً بنص الفقرة الثالثة من المادة ٢٠٠٣ من القانون

^{٤٢} - قرارها المرقم ١٠٦ لسنة ٢٣ ق بتاريخ ١٣ / ٢ / ١٩٦٨ سنة ١٩٦٨، أشار اليه د. ابراهيم سيد احمد، عقد الوكالة فقهاً وقضاءً، ٢٠٠٣، ط١، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ص١٢٢.

^{٤٣} - للتفصيل ينظر سمير اسماعيل حسن اسماعيل، الاعتبار الشخصي في التعاقد، رسالة دكتوراة، القاهرة، ص٢١٩.

^{٤٤} - د.قديري عبد الفتاح الشهاوي، احكام عقد الوكالة في التشريع المصري والمقارن، ط١، منشأة المعارف الاسكندرية، ٢٠٠١، ص٥٠٢ وما بعدها.

المدني الفرنسي...))^(٤٥)، فالمادة (٣٠٠٣/ف٣) من القانون المدني الفرنسي تبين ان العقد ذو الطابع الشخصي ينتهي بوفاة المتعاقد اذ نصت على ان ((٣- في حالة الموت الطبيعي او المدني، أو حالة الوصايا على كامل الاهلية أو حالة الاعسار سواء الموكل او الوكيل)).

اما ان توفي الشخص ذو الاعتبار الشخصي في مرحلة تكوين العقد، اي توفي من صدر منه التعبير فان الحق لا ينتقل لورثته لسقوط الايجاب بالموت طالما كان العقد المراد ابرامه ذو طابع شخصي، وكذلك يكون الحل اذا مات من وجه اليه التعبير اذا كان العقد المراد ابرامه ذا طابع شخصي، ولما كان مناط سقوط التعبير عن الارادة وعدم انتاجه لا ثره بالموت هو ارتباطه بشخص من صدر منه أو من وجه اليه، فان هذا السقوط يكون ان كان الموت يتعلق بالعقد الذي كان محل اعتبار، اما اذا كان الموت يتعلق بشخص العاقد الذي ليس محل اعتبار ففيه تفصيل^(٤٦)، وقد ينبري من يسأل اذا كان التعاقد مع أكثر من شخص ذو اعتبار شخصي، كأن يتعاقد شخص مع مقاولين بأعمال البناء بالتضامن، أو التزم رسامان برسم لوحة جدارية كبيرة على احد الجدران، فإن موت احدهما لا ينهي العقد بالنسبة الى المتعاقد الثاني، وإذا كان رب العمل قد عهد بالعمل الى عدة مقاولين متضامنين دون تقسيم العمل بينهم، فإن وفاة احدهم لا ينهي المقاوله بالنسبة للآخرين، بل يستمر العقد ويكون ملزماً لهم، كل ذلك مالم يكن مشروطاً اجتماعهم في تنفيذ العمل^(٤٧)، ولكن هذا لا يعني عدم انتهاء العقد بالنسبة للمتعاقد المتوفى ذو الاعتبار الشخصي، فالعقد بالنسبة للشخص المتوفى قد انتهى ولا يلزم الخلف العام بالتزامات سلفهم.

ويقودنا الكلام عن تساؤل عن موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي الذي بدأ بإنجاز بعض ما اتفق عليه، ويمكننا ان نتلمس الاجابة عن هذا التساؤل بان نقول لا صعوبة في حالة موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي ولم يبدأ بالتنفيذ بعد، فلا يلتزم الخلف العام باي شيء لانقضاء العقد، ولكن التساؤل يثور ان بدأ السلف بإنجاز بعض الاعمال، فان مات المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي تترتب عدة آثار، فلو كان العقد مقاوله -ويعد من ابرز الصور التنفيذ الجزئي للعمل- ومات المقاول محل الاعتبار بعد أن انجز شيئاً من العمل أو بعد أن اشترى الأدوات والمواد اللازمة، فتتم تصفية مراكز كل من المتعاقدين وفق المادة (٨٨٩)

اوردها د. مشعل مهدي، المرجع السابق، ص ١١٨ ٢٣٢ III، 1988، Gaz de pal، 22mar1988، Cass Civ-45

^{٤٦} - فقد نص القانون المدني المصري في المادة (٩٢) ((إذا مات من صدر منه التعبير عن الإرادة، أو فقد أهليته (قبل أن ينتج التعبير أثره)، فإن ذلك لا يمنع من ترتب هذا الأثر عند اتصال التعبير بعلم من وجه إليه، هذا ما لم يبين العكس من التعبير أو من طبيعة التعامل))، فيفهم من هذا النص ان القانون المدني المصري عدّ التعبير عن الإرادة له وجود فعلي من وقت صدوره من صاحبه، ولا يسقط التعبير عن الارادة بموت من صدر منه التعبير ولا بفقدانه للأهلية، وأن هذا التعبير بموجب النص المتقدم ذكره يستكمل وجوده القانوني بوضوئه إلى علم من وجه اليه. ويجدر بالذكر أن القانون المدني المصري قد أعطى الإرادة استقلاليتها عن شخص موجهها. للمزيد من التفصيل ينظر د. اسماعيل غانم، في النظرية العامة للتزام، ج١، مصادر الالتزام، ١٩٦٨، ص ١٠٥ د. سمير اسماعيل، المرجع السابق، ص ١٠٥.

أما المشرع الفرنسي فلم يرد نصاً في قانونه المدني يحدد أثراً للموت وفقدان الأهلية في التعبير عن الإرادة سواء أكان التعبير إيجاباً أم قبولاً قبل ان يعدل بالأمر التشريعي الفرنسي المرقم ١٣١ لسنة ٢٠١٦، مما جعل الفقه والقضاء الفرنسي أن يضعوا حلولاً متفاوتة في ذلك، فقد رأى الفقيه الفرنسي (مازو) أن موت الموجب لا يمكنه أن يجعل الإيجاب ساقطاً عندما يكون الأطراف قد اتفقوا على الإبقاء على إيجابهم لمدة معينة) ينظر المادة (١١٠١) P.886 2003. DALLOZ ; Paris 2003 ; Code civil

اما القانون العراقي فلم ينظم موقف موت الموجب او القابل للتفصيل ينظر استاذنا د. عزيز كاظم جبر الحفاجي، أحكام عقد البيع مقارنة بالفقه الاسلامي، الكتاب الاول، منشورات زين الحقوقية، ط١، لبنان، ٢٠١٣، ص ٩٦.

^{٤٧} - د. عبد الرزاق احمد السنهاوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، ج٥، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٣٨٧.

من القانون المدني العراقي^(٤٨)، فالأصل ان على رب العمل أن يتسلم العمل المنجز، ولكن هذا التسلم يتم قبل الأوان المتفق عليه، فهو تسلم معجل لجزء من العمل الكلي، لذلك فإن احكام التسليم والتسليم تراعي ما تقتضيه خصوصية الحالة، اذ يتسلم رب العمل الجزء المعجل من الاعمال بالنسبة للعمل الكلي المتفق عليه عند موت الما قول محل الاعتبار^(٤٩)، وقد يكون العمل المنجز غير نافع ان لم يستطع رب العمل بعد موت الما قول أن يجد مقاولاً آخر يكمله، فيضطر الى تركه^(٥٠)، ويلتزم الورثة برد الاشياء العائدة الى رب العمل.

المطلب الثاني: بقاء العقد بموت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي.

قد لا ينتهي العقد بموت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي، بل يبقى العقد مرتباً بآثاره، وذلك في حالات متعددة، وهذه الحالات توجد في بعض العقود ذو الاعتبار الشخصي دون سواها وكما يأتي:

١. حالة عدم علم المتعاقد بموت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي: - كما في عقد الوكالة، قد تبقى الوكالة حتى اذا مات احد اطراف العقد، فعقد الوكالة لا ينتهي بمجرد موت الموكل بل تبقى الوكالة لحين علم الوكيل بموت الموكل فلو ابرم الوكيل عقداً مع الغير وكان لا يعلمان بموت الموكل، تنصرف اثار العقد الى الخلف العام للموكل، واختلف في اساس صحة العقد بين من يؤسس ذلك على نظرية النيابة الظاهرة^(٥١)، او لفكرة المركز الظاهر، حفاظاً على استقرار المعاملات، وردوا على هذه الفكرة ان من شأنها ان تخلق مصدراً جديداً للالتزام، في حين ان سبب التزام الموكل هي اعتقاد غير المشروع^(٥٢)، والحقيقة ان عقد الوكالة قد انتهى -ورغم ذلك- يظل قائماً مرتباً بآثاره، مما يؤدي لهدر لمقتضى الاعتبار الشخصي والاثار المترتبة عليه. ومهما قيل من اراء من بقاء اثار التي رتبها الوكيل بعد موت الموكل بانها وكالة ظاهرة او من انها وكالة حقيقية ومما قيل من تبريرات حماية الاوضاع الظاهرة وحماية غير الحسن النية، فالقول الفصل ان عقد الوكالة مازال مرتباً بآثاره، ويبدو ان الراي الجدير بذلك ان عقد الوكالة ينتهي بالموت الا ان صفة النيابة تبقى بموجب القانون، فيكون الاساس القانوني لانصراف اثر الوكالة - بعد الوفاة وقبل العلم بها لا إلى النيابة الاتفاقية بل الى القانون الذي اضاف مشروعية لتفعيل الوكالة بعد وفاة الموكل، فاصبح هو المصدر لا اتفاق الطرفين. فقد نص المشرع العراقي في قانونه المدني في المادة (٩٨٤) على ان ((لا يحتج بانتهاء الوكالة على غير الحسن النية الذي تعاقد مع الوكيل قبل علمه بانتهائها))، وكذلك نص المشرع المصري في قانونه المدني في

٤٨- اذ نصت المادة (٨٨٩) من القانون المدني العراقي على ان ((١- إذا أنقضى العقد بموت الما قول وجب على رب العمل أن يدفع للتركة قيمة ماتم من الاعمال وما أنفق لتنفيذ ماتم، وذلك بقدر النفع الذي يعود عليه من هذه الاعمال والنفقات، وتعتبر الاعمال والنفقات نافعة في جملتها إذا كان موضوع الما قوله تشييد مبان أو إنشاء أعمال كبيرة أخرى ٢- ويجوز لرب العمل نظير ذلك أن يطالب بتسليم المواد التي تم إعدادها والرسوم التي بدئ في تنفيذها على أن يدفع عنها تعويضاً عادلاً)).

٤٩- د. محمد لبيب شنب، مصدر سابق، ص ٢٤٤.

٥٠- الزم المشرع العراقي في المادة (١/٨٨٩) من قانونه المدني رب العمل بأن يدفع لورثة الما قول بعد موته قيمة ماتم من الاعمال وما أنفق لتنفيذ ماتم وذلك بقدر النفع الذي يعود عليه من هذه الاعمال والنفقات في حين نجد المشرع الفرنسي قد نص صراحة في المادة (١٧٩٦) من القانون المدني على أن يتم الدفع بموجبة نسبة الثمن المحدد بالعقد. اشار الى ذلك د. جعفر الفضلي، الوجيز في العقود المدنية، البيع، الايجار، الما قوله، العاتك لصناعة الكتاب، توزيع المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٤٤٧.

٥١- د. مشعل مهدي، المرجع السابق، ص ٢٩٢.

٥٢- د. سمير اسماعيل، المرجع السابق، ص ٦٥.

المادة (١٠٧) على ان ((إذا كان النائب ومن تعاقد معه مجهلان معاً وقت العقد انقضاء النيابة، فان اثر العقد الذي يبرمه، حقاً كان او التزام، يضاف الى الاصيل أو خلفائه))، فان توفي الموكل ولم يعلم الوكيل فلا يجوز الاحتجاج على الوكيل بانتهاء الوكالة كما بيناه سلفاً^(٥٣).

فالوكالة تبقى رغم موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي وهو بقاء مؤقت الى حين اثبات ان الوكيل او الغير كان يعلم بموت المتعاقد، ويقع عبء الاثبات على الورثة، ولعل الاخرى القول ان احساس الثقة التي يتمتع بها الوكيل، تجعل الالتزامات التي ينشئها بحق السلف تنتقل للخلف العام، وان انتقال الالتزامات والحقوق للخلف العام يعد تقييد من آثار الاعتبار الشخصي المتعلقة بالاعتداد بشخص المتعاقد^(٥٤)، ونخلص مما تقدم الى استمرار عقد الوكالة على الرغم من ان موت الموكل يتضمن تقييداً من آثار الاعتبار الشخصي^(٥٥).

وقد تترتب التزامات على انقضاء العقد لموت المتعاقد بالاقتدار الشخصي، فمن الالتزامات التي تترتب ان على الخلف العام لشخص المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي، اخطار المتعاقد الاخر بموت المتعاقد، فلا يجوز الاحتجاج بانتهاء العقد الا بالوقت الذي علم به المتعاقد الاخر، وينبغي إخطار الغير الذي له صلة أكيدة بالعقد، حتى لا يتذرع بجهله ويتمسك بتصرفه مع المتعاقد الاخر نظراً لحسن نيته، اما إذا تيسر العلم بانتهاء العقد فيعد مخطئاً، وعليه تقع تبعة تصرفه.

إنَّ الحقوق والالتزامات التي يرتبها العقد يلزم بها الخلف العام وان كان شخصية السلف محل اعتبار استثناء عن العقد ينتهي بالوفاة، وقد يكون عدم انتهاء العقد بخطأ من الخلف اذا علم بالوكالة ورغم ذلك اهمل ولم يحظر الوكيل، وقد يكون الخلف العام لم يخطأ ان كان لا يعلم بالوكالة ومع ذلك يعد العقد نافذا بحقه، فعبد اثبات وفاة الموكل تقع على الخلف العام.

٢. اتفاق المتعاقدين:- وقد يتفق المتعاقدون صراحة او ضمناً على ان يبقى عقد الاعتبار الشخصي رغم موت المتعاقد وذلك لان قاعدة انتهاء العقد بموت المتعاقد في العقود ذو الاعتبار الشخصي ليست من النظام العام، فيجوز الاتفاق على خلافها، وبناء على هذا الاتفاق يلتزم ورثة المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي بأثار العقد فمثلاً يجوز الاتفاق على عدم انتهاء عقد العارية على الرغم من موت المستعير، وذلك لان قاعدة انتهاء العقد بموت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي تعد قاعدة مكملية يجوز الاتفاق على خلافها وبناء على هذا الاتفاق يجوز استمرار العقد على الرغم من موت المتعاقد، فيلزم ورثة المتعاقد ذو الطابع الشخصي بأثار العقد، فقد نص القانون المدني العراقي في المادة (٨٦٣) ف/١ على ان ((تنتهي الاعارة بموت المستعير ولا تنتقل إلى ورثته إلا اذا كان هناك اتفاق على ذلك))^(٥٦)، وكذلك نجد ذلك في عقد الوكالة فقد ذهبت محكمة النقض المصرية ((يكون للمتعاقدان ان يتفقا على ان تستمر الوكالة على الرغم من وفاة احد المتعاقدين، على ان تنتقل التزامات المتوفي

^{٥٣}- د. مشعل مهدي، المرجع السابق، ص ١٠٩.

^{٥٤}- سمير اسماعيل حسن، المرجع السابق، ص ٢٣٩.

^{٥٥}- د. حسين عامر، التعسف في استعمال الحقوق والغاء العقود ط ١، دون ذكر المطبعة ومكان الطبع، ١٩٦٠، ص ٢٠٧ وما

بعدها.

^{٥٦}- وقد نص القانون المدني المصري في المادة (٦٤٥) على ان ((تنتهي العارية بموت المستعير مالم يوجد اتفاق يقضي بغيره)).

منها إلى ورثته، وهذا الاتفاق على استمرار بعد وفاة الموكل قد يكون صريحاً أو قد يكون ضمناً، ولقاضي الموضوع استخلاص الاتفاق الضمني من ظروف العقد وشروطه^(٥٧).

٣. العقد المبرم لمصلحة الغير أو لمصلحة المتعاقد الآخر: - وقد يبقى العقد ذو الاعتبار الشخصي على الرغم من موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي مثل عقد الوكالة غير قابلة للعزل، فإن كانت الوكالة مبرمة لمصلحة الوكيل أو الغير لا تنتهي بموت الموكل، بل يمكن القول ان الوكالة المنظمة لمصلحة الوكيل لا تقبل العزل لمجرد صدور ارادة العزل عن الموكل منفرداً، بل تحتاج إلى رضاء من نظمت لمصلحته، وقد اتجهت محكمة التمييز الفرنسية إلى القول ((... ان الوكالة غير قابلة للعزل تعد استثناء على الاصل الذي يقضي بحق الموكل في عزل وكيله متى شاء...))^(٥٨)، ويتبين مما تقدم ان الوكالة غير قابلة للعزل لا بد ان تتضمن حقاً ثابتاً لمن قررت لمصلحته كأن تتضمن الوكالة ربحاً للوكيل، فالعبرة بالوكالة غير القابلة للعزل بتضمنها حق الوكيل أو للغير يتعلق بموضوع الوكالة وليس بإيراد عبارة ان الوكالة غير قابلة للعزل، فنكون في هذه الحالة امام امتداد لعقد الوكالة على الرغم من موت الموكل، ففي التوكل يبيع منزل اتفق الوكيل مع الموكل قبل موته على ان يستوفي الوكيل من ثمن بيع المنزل ربحاً له ثابتاً ومحددأً بذمة الموكل، فلا ينقضي العقد بموت الموكل لوجود مصلحة للوكيل في عقد الوكالة، وعلى الرغم من خلو القانون المدني المصري لتنظيم هذه الحالة، الا ان الفقه المصري قد أقر ذلك ببقاء الوكالة غير القابلة للعزل بموت الموكل^(٥٩).

اما القانون المدني العراقي فقد بين ان الوكالة تنقضي بموت الوكيل أو الموكل، وإطلاق النص يتضمن حتى الوكالة غير القابلة للعزل^(٦٠)، وهذا ما اقره القضاء العراقي اذ جاء في أحد قراراتها ((تنتهي الوكالة الدورية بموت الموكل ويكون تصرف الوكيل الجاري بعد موت موكله باطلا ولو تعلق به حق الغير للإطلاق الوارد في المادة ٩٤٦ من القانون المدني العراقي))^(٦١)، على الرغم من وجود من يذهب الى خلاف ذلك إذ يرى ان الوكالة غير قابلة للعزل تبقى على الرغم من موت الموكل ان كان تنفيذها وصل الى مرحلة لا يمكن القول بانقضائها^(٦٢)، بل ان القضاء العراقي قد ذهب بقرار له الى تأييد هذا الرأي اذ جاء في قرارها ((ان معاملة البيع من قبل الوكيل الدوري للبائعة صحيحة وان توفيت الموكلة قبل التقرير في الدوائر المختصة لان الوكالة غير قابلة للعزل التي يتعلق بها حق الغير نافذة ولا يقطع الموت حكمها))^(٦٣)، و مهما قيل في ما

^{٥٧} - قرارها المرقم ٣٦ بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٥٣ المنشور في مجموعة احكام النقض، ج٢، ص ١٢٣٩.

^{٥٨} - Cass. Com, 8 oct 1969, D. 1970, II, conc. LAMBERT (J), P. 143; Cass. com, 20 janv 1971, Bull. civ, IV, n20; Cass. com 2 juin 1979, Bull. civ, IV, n222. ١١٢. المرجع السابق، ص ١١٢.

^{٥٩} - للتفصيل ينظر د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط، المرجع السابق، ص ٦٢٤.

^{٦٠} - فقد نصت المادة ٩٤٦ من القانون المدني العراقي على ان ((تنتهي الوكالة بموت الوكيل أو الموكل أو بخروج احدهما عن الاهلية أو باتمام العمل الموكل فيه أو بانتهاء الاجل المعين للوكالة)).

^{٦١} - قرارها المرقم ٩٩٩ / مدنية ثانية ١٩٧٣ في ٢ / ٣ / ١٩٧٤ المنشور في النشرة القضائية، العدد الاول، السنة الخامسة، ص ١٧٥. ان مجلة الاحكام العدلية قد ابقّت على الوكالة غير قابلة للعزل، فلا تتأثر بموت الموكل اذ نصت المادة (١٥٢٧) من المجلة ((ينعزل الوكيل بوفاة الموكل ولكن إذا تعلق به حق الغير فلا ينعزل)).

^{٦٢} - وهذا رأي د. حسن علي ذنون اورد د. اكرم ياملكي، العقود التجارية مطبعة العاني بغداد، ١٩٧٢، ص ٢٣.

^{٦٣} - قرارها المرقم ٢٣٥٨ / ٦٥ في ٤ / ٢٢ / ١٩٦٦ المنشور في المكتب الفني، قضاء محكمة تمييز العراق، المجلد الرابع، ١٩٧٠، ص ١٤٤.

تقدم، لكن نص المادة (١٩٩ / ف١) من قانون التسجيل العقاري المرقم ٤٣ لسنة ١٩٧١ قد حسم الامر بانقضاء الوكالة غير قابلة للعزل بموت الموكل او الوكيل (٦٤).

٤. ارتباط العقد ذو الطابع الشخصي بعقد آخر لا ينتهي بالموت ارتباطاً لا يتجزأ: - وقد يبقى عقد الاعتبار الشخصي رغم موت المتعاقد اذا كان العقد مرتبطاً بعقد آخر ارتباطاً لا يقبل التجزئة وذلك كما هو الشأن في عقد وكالة العامل عن رب العمل في ان يباشر في مواجهة الغير الدعاوى الناشئة عن عقد العمل الذي لا ينتهي بموت رب العمل، بل يظل العقد قائماً على الرغم من موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي وذلك حفاظاً على تنفيذ العقد الاخر الذي لم ينته بالموت (٦٥).

٥. الحكم باستمرار العقد ذو الاعتبار الشخصي دون تبرير ذلك: - الحكم باستمرار العقد على الرغم من موت المتعاقد وعلى الرغم من كون شخص الاخير محل اعتبار في التعاقد، وهذا ما يتعارض وتحقيق النتيجة الالهة للعقد القائم على الاعتبار الشخصي وهي ضرورة تنفيذ من اعتد بشخصه للالتزامات المترتبة على العقد بنفسه وتلقي الحقوق، فيبقى العقد نافذا مرتباً اثاره رغم موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي، فقد نص المشرع العراقي في المادة (٨١٢ / ف١) من القانون المدني على ان ((لا تنفسخ المزارعة بموت صاحب الارض ولا بموت المزارع)) (٦٦)، وبالنسبة لعقد المساقاة نصت المادة (٨٢٣ / ف١) على ان ((لا تنفسخ المساقاة بموت صاحب الشجر ولا بموت المساقى...)) وكذلك نص المشرع العراقي بالنسبة لالتزام البساتين في المادة (٨٣٩) من القانون المدني على ان ((لا ينفسخ عقد الالتزام بموت احد الطرفين، غير ان لورثة الملتزم اذا مات مورثهم قبل ظهور أول ثمرة من كل سنة، طلب الفسخ متى اثبتوا ان تنفيذ العقد أصبح فوق طاقاتهم بعد موت مورثهم)). وكذلك في عقد الايجار الخاضع لقانون إيجار العقار حتى لو كان شخصية المتعاقد محل اعتبار لا ينقضي عقد الايجار لوجود الامتداد القانوني الذي يمنع انقضاء العقد (٦٧).

وفي كل ما تقدم في حالة انتقال اثار العقد لورثة المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي وقد اخل احد الاطراف بالتزاماته فبإمكان المتعاقد الاخر وفق القواعد العامة من طلب التنفيذ العيني او التنفيذ بمقابل او الفسخ مع التعويض ان كان له مقتضى.

الخاتمة

النتائج:

١. ان الاعتبار الشخصي يحول دون تلاقي القبول بالايجاب اذا مات من صدر التعبير او من وجه اليه الايجاب.

٦٤- اذ نصت على ان ((تنتهي الوكالة بموت الموكل او الوكيل او بخروج احدهما عن الاهلية حتى لو تعلق بها حق الغير...)).

٦٥- د. سمير اسماعيل، المرجع السابق، ص ٢٣٩.

٦٦- بينما نصت المادة (٦٢٦) من القانون المدني المصري على انه ((لا تنقضي المزارعة بموت المؤجر، ولكنها تنقضي بموت المستأجر)). ولذا في التشريع المصري يمنع على ورثة المزارع المطالبة باستمرار العقد، ذلك لأنه يعتد بشخص المزارع ومهنته وكفاءته وامانته في عقد الزراعة، وان كان انقضاء المزارعة بموت المزارع ليس من النظام العام فيجوز الاتفاق على خلافه، لمزيد من التفصيل ينظر سمير اسماعيل، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

٦٧- د. علاء حسين ود. سعد ربيع وم. محمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٨٢.

٢. ان الاعتبار الشخصي في الاصل يحول دون انتقال الاثار من السلف الى الخلف العام.
٣. خرج المشرع العراقي عن هذا الاصل باستثناءات، تجعل اثار العقد مستمرة في حق الخلف العام.
٤. خرج المشرع العراقي باستثناءات اخرى تتعلق باستمرار بعض العقود على الرغم من موت المتعاقد ذو الاعتبار الشخصي ودون ان يبرر ذلك بتبرير معين.
٥. يؤدي الموت في القانون المدني العراقي الى انهاء عقد الوكالة غير قابلة للعزل سواء كان موت الموكل أو الوكيل.

المقترحات:

١. يمكن ان نورد معنى الاعتبار الشخصي يمكن الاخذ به في القانون المدني العراقي ((الاعتداد بشخصية المتعاقد او بصفة من صفاته الجوهرية التي تكون محل اعتبار جوهري بنظر المتعاقد الاخر بشكل يؤثر في تكوين وتنفيذ وانقضاء العقد)).
٢. تعديل نص مادة (١١٨ / ف ٢) من القانون المدني العراقي التي تخلط بين الاعتبار الشخصي وركن السبب ليكون النص ((إذا وقع غلط في ذات المتعاقد او في صفة من صفاته وكانت تلك الذات او هذه الصفة دافع رئيسيا لاختياره في التعاقد)).

المصادر

أولاً: الكتب

١. د. ابراهيم سيد احمد، عقد الوكالة فقهاً وقضائاً، ٢٠٠٣، ط ١، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.
٢. د. احمد حشمت ابو ستيت، نظرية الالتزام في القانون المدني المصري، مكتبة عبد الله وهبة، مصر، ١٩٤٥م.
٣. د. اسماعيل غانم، النظرية العامة للالتزام، مصادير الالتزام، مكتبة عبد الله وهبة، مصر، ١٩٦٦.
٤. د. اكرم ياملكي، العقود التجارية مطبعة العاني بغداد، ١٩٧٢.
٥. د. حسين عامر، التعسف في استعمال الحقوق والغاء العقود ط ١، دون ذكر المطبعة ومكان الطبع، ١٩٦٠.
٦. د. جلال علي العدوي، اصول الالتزام، مصادير الالتزام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٧.
٧. د. جلال علي العدوي، قانون العمل، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٧.
٨. د. رمضان ابو السعود وهام محمد محمود، المبادئ الاساسية في القانون، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٦.
٩. د. طارق محمد عبد الرحمن سلطان، سلطة الادارة في توقيع الجزاءات على المتعاقدين معها في العقود الادارية وضوابطها (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣.
١٠. د. عبد الحميد الشواربي، التعليق الموضوعي على القانون المدني، العقود المسماة، الكتاب السابع، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٥.

١١. د. عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، ج ٥، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤.
١٢. عبد الله العلايلي، الصحاح في اللغة والعلوم، المجلد الاول، دار الحضارة العربية، بيروت، دون ذكر سنة الطبع.
١٣. د. عبد المجيد الحكيم، الوسيط في نظرية العقد، ج ١، انعقاد العقد، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٧.
١٤. د. عزيز كاظم جبر الخفاجي، أحكام عقد البيع مقارنة بالفقه الاسلامي، الكتاب الاول، منشورات زين الحقوقية، ط ١، لبنان، ٢٠١٣.
١٥. د. عدنان السرحان، شرح القانون المدني (العقود المسماة)، ط ١، مكتبة دار الثقافة، عمان ١٩٩٦.
١٦. د. كنعان محمد محمود المفرجي، الاعتبار الشخصي في العقد الاداري (دراسة مقارنة)، دار الفكر العربي، الاسكندرية، ٢٠١٤ م.
١٧. د. كمال قاسم ثروت، الوجيز في شرح احكام عقد المفاوضة، ج ١، ط ١، مطبعة اوفسيت وسام، بغداد، ١٩٧٦.
١٨. د. محمد حسام محمود لطفي، النظرية العامة للإلتزام المصادر - الأحكام - الإثبات (دراسة تفصيلية في ضوء آراء الفقه وأحكام القضاء)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٨.
١٩. د. محمود جمال الدين زكي، الوجيز في نظرية الإلتزام في القانون المدني المصري، مصادر الإلتزام، ج ١، ط ٢، مطبعة فائق القاهرة، ١٩٧٦.
٢٠. د. محي الدين اسماعيل علم الدين، العقود المدنية الصغيرة، ط ٢، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٩٥.
٢١. د. محمد لبيب شنب، شرح قانون العمل ط ٣، دار النهضة العربية، ١٩٧٦.
٢٢. د. محمود جمال الدين زكي، الوجيز في نظرية الإلتزام في القانون المدني المصري، مصادر الإلتزام، ج ١، ط ٢، مطبعة فائق، القاهرة، ١٩٧٦.
٢٣. مصطفى الزرقاء، الفقه الاسلامي في ثوبه الجديد، -المدخل الفقهي العام- ج ١، ط ٢، مطبعة الحياة دمشق، ١٩٦٤.

ثانياً: البحوث والرسائل والاطاريح

١. د. جليل الساعدي، الاعتبار الشخصي وأثره في انعقاد وتنفيذ العقد، مجلة العلوم القانونية، بغداد، العدد الاول والثاني، ١٩٩٨.
٢. د. سمير إسماعيل حسن اسماعيل، الاعتبار الشخصي في التعاقد، اطروحة دكتوراه، جامعة الاسكندرية، ١٩٧٥.
٣. د. دعلاء حسين علي ود. سعد ربيع عبد الجبار وم. محمد عبد الوهاب، التنازل عن العقد والتعاقد من الباطن في عقود الاعتبار الشخصي، بحث منشور في مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية، العدد السادس، ٢٠١٢.

٤. د. علي الموسوي، الاعتبار الشخصي في الشركة المساهمة، مجلة العلوم القانونية، جامعة بغداد، العدد الثاني، مجلد ٢٥، ٢٠١٠.
٥. عقيل محمد موسى العبدان، الاعتبار الشخصي في عقد المفاوضة، رسالة ماجستير مقدمة لكلية القانون جامعة بابل، ٢٠١٦.
٦. محمد بن ابراهيم عبد العزيز القاسم، الاعتبار الشخصي في العقود، رسالة ماجستير مقدمة الى المعهد العالي للقضاء في جامعة محمد بن سعود، السعودية، ٢٠١٢.
٧. د. مشعل مهدي جوهر حياة، مدى جدية عنصر الاعتبار الشخصي في عقد الوكالة، بحث منشور في مجلة الحقوق الكويتية، العدد الاول السنة ٢٠٠٩، ٣٣.

ثالثاً: المنشورات القضائية ومجموعات الاحكام

- ١- ابراهيم المشاهدي، المبادئ القانونية في قضاء محكمة التمييز، مركز البحوث القانونية، وزارة العدل، مطبعة العمال، ٢٠٠٧.
- ٢- حسن الفكهاني، عبد المنعم حسني، الموسوعة الذهبية للقواعد القانونية التي قررتها محكمة النقض المصرية، الاصدار الثاني، دار العربية للمطبوعات، ١٩٨٢.
- ٣- المكتب الفني، قضاء محكمة تمييز العراق، المجلد الرابع، ١٩٧٠.
- ٤- النشرة القضائية، العدد الاول، السنة الخامسة، ١٩٧٦.

رابعاً: القوانين والاعمال التحضيرية:-

١. القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ وتعديلاته.
٢. قانون التسجيل العقاري المرقم ٤٣ لسنة ١٩٧١.
٣. القانون المدني المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٤٨ المعدل.
٤. مجموعة الاعمال التحضيرية للقانون المدني المصري، وزارة العدل، مطبعة مذكور، القاهرة.

التذكية الشرعية وطرقها الحديثة في الفقه الإمامي

The Legal Slaughtering and its Modern Methods in Islamic Jurisprudence

م. إيناس كريم راجي إبراهيم الكناني^(١)

Lect. Enas K. Raji Ibrahim Al-Kinani

أ.م.د. خضير جاسم حالوب الشمري^(٢)

Assist. Prof. Khodair J. Haloob Al-Shimari

الملخص

تُعد الذكاة هي إزهاق روح الحيوان بالطريق المشروع الذي يجعل لحمه حلالاً للمسلم، وطرق التذكية الشرعية ثلاثة: الذبح والنحر والعقر، كما وللذكاة الشرعية شروط وآداب يجب توافرها حتى تكون صحيحة، منها: محل الذبح هو الحلق ومحل النحر هو اللبة، وغيرها، والأصل في الذبح في الشريعة الإسلامية أن يكون بدون صعق أو تدويخ، لما في ذلك من إيلاام لذبيحته، ولأن طريقة الإسلام هي الأمثل رحمة بالحيوان، وإحساناً لذبيحته، وتقليلاً من معاناته، وعليه فلا يجوز الخروج عن هذا الأصل، ويجوز أكل لحوم الحيوانات التي تم تذكيته بالطرق الحديثة، أو التذكية بآلات الصيد إذا توافرت الشروط التي تؤكد عدم موت الذبيحة قبل تذكيته، ولا بأس باستخدام الآلات الميكانيكية في التذكية، ما دامت شروط التذكية الشرعية قد توفرت، وفي استخدام كلب الصيد في التذكية أيضاً، بشرط أن يكون الكلب معلماً، بالإضافة إلى توفر الشروط التي تتعلق بهذه الطريقة.

الكلمات المفتاحية: التذكية، الشريعة الإسلامية، الذبح، الطرق الحديثة.

١ - جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية.

٢ - جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية.

Abstract

The masculinity is the injury of the animal spirit in the legitimate way that makes its meat halal for the Muslim, and the methods of Islamic intelligence are three: slaughtering, slaughtering and adhesion, as well as conditions and manners that must be available in order to be correct, including: the place of slaughter is the throat and the place of slaughter is the pulp, etc., and the origin of slaughtering in the Shariah. Islam ism should be without taseror or dissonance, because it is the pain of its slaughter, and because the method of Islam is the best mercy of the animal, and charity for its slaughter, and to reduce its suffering, and therefore it is not permissible to depart from this origin, and it is permissible to eat the meat of animals that have been remembered by modern methods, or to be smarted with hunting machines if There are conditions that confirm that the carcass does not die before it is remembered, and it is okay to use mechanical machines in intelligence, as long as the conditions of legal intelligence have been met, and in the use of the hound in the smarting as well, provided that the dog is a teacher, in addition to the conditions that relate to this method.

المقدمة

إنَّ من نعم الله علينا أن جعلنا مسلمين، وهذه النعمة من اجل وأعظم النعم، وأكثرها جلباً للخير والبركة والصحة والسلامة، لما في هذا الدين من شرائع ونظم وقواعد تتحقق بها مصالح العباد في الدنيا والآخرة، ومن هذه الشرائع والنظم والقواعد وأصول تذكية الذبائح، والتي يلحقها الفقهاء بالعبادات لتعلقها بقواعد الحلال والحرام والحظر والإباحة، والشريعة الإسلامية لا تحل إلا ما فيه مصلحة ولا تحرم إلا ما فيه ضرر.

إشكالية البحث:

كثير من اللحوم في البلاد الإسلامية تجلب من بلاد غير إسلامية، وهذه البلاد تعتمد على طرق ذبح حديثة- كالصعق الكهربائي، والتخدير، والذبح بالآلات السريعة، وطريقة المسدس والمطرقة وغيرها من الطرق- ولا تعنيها تذكية شرعية ولا غيرها، ما يعنيها فقط هو السهولة والسرعة في الذبح، لذبح إعداد كبيرة في أوقات محدودة. وقد انتقلت بعض هذه الطرق إلى بعض البلاد الإسلامية، فاعتمد عليها البعض، دون النظر إلى حل أو حرمة، إلا إن عامة المسلمين يتوجسون من هذه الطرق، لما دار حولها من لغط وشبهات، احتياطاً لدينهم، وخوفاً على صحتهم من الأمراض التي قد تصيبهم جراء اكل لحوم الذبائح التي ذبحت بهذه الطرق، والأمر لا يتوقف على استخدام بعض المسلمين لهذه الطرق في الذبح، بل - كما لا يخفى على أحد- أن كثيراً من اللحوم المستهلكة في البلاد الإسلامية كمستورد من بلاد غير إسلامية تعتمد هذه الطرق في الذبح، أضف إلى ذلك وقوع المسلمين في البلاد غير الإسلامية، لا سيما المحتاطون لدينهم في تردد وحيرة من امر الذبائح التي تذبح بهذه الطرق، والذي يتوقف حلها على توفر الصفة المشروعة في

ذبحها، كالحوم الأبقار والأغنام والدجاج، مما جعلهم يتساءلون: هل تتوفر في هذه الذبائح شروط وضوابط التذكية الشرعية أم لا؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تعلقه بكل أكل لحوم الحيوان المباح أكله أو تحريمه من خلال تذكيته أو طريقة ذبحه، مما يتطلب بحثه ومعالجته بروح أحكام الشريعة الإسلامية. كما تتأثر أهميته من وجوب أن يكون المسلم على علم وبينة مما يأكل أو يشرب، فيتناول الطيب المباح، ويتجنب الخبيث المحرم، كما أن للدراسة المقارنة بين التذكية الشرعية وطرق الذبح الحديثة أهمية كبيرة في بيان طرق الذبح المتعددة ومعرفتها، ومعرفة مدى موافقتها أو مخالفتها للتذكية الشرعية؟

خطة البحث:

تطلب الموضوع البحث أن تأتي خطته في مبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم التذكية وشروطها وآدابها

المطلب الأول: مفهوم التذكية

المطلب الثاني: الشروط الشرعية للتذكية

المطلب الثالث: الآداب الشرعية للتذكية

المبحث الثاني: الطرق الحديثة للتذكية وأنواعها

المطلب الأول: طرق التذكية الحديثة

المطلب الثاني: تذكية الإبل والأسماك

المطلب الثالث: التذكية بالصيد واللحوم المستوردة

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات

المبحث الأول: مفهوم التذكية وشروطها وآدابها

المطلب الأول: مفهوم التذكية

الفرع الأول: التذكية لغة

الذكاة لغة الذبح، وكذا التذكية، وذكيتم أي ذبحتم، ويقال: ذكيت الشاة تذكية، والاسم ذكاة، والمذبح ذكي، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكَلِ السَّبعَ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾^(٣)، أي إلا ما أدركتم ذكاته^(٤). وقيل الذكاة التوقد والتلهب الذي يحدث في الحيوان بحدة الآلة، وسميت الشمس ذكاة لشدة الحرارة وسمي الرجل الذي خاطره حدة ذكياً، وتأتي الذكاة بمعنى الحياة من ذكت النار إذا حييت واشتعلت^(٥).

٣- سورة المائدة: الآية ٣.

٤- ينظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ): لسان العرب، ط ٢، ١٤١٢ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج ١٤، ص ٨٧.

٥- ينظر الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، (١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩ م): دار صادر، بيروت، لبنان، ص ٢٩٣.

وأصل الذكاة يدل على التمام ومنه ذكاة بالمد نهاية الشباب، وذكيت الذبيحة أتممت ذبحها، ورجل ذكي أي تام الفهم^(٦).

والذكاة تنبئ عن الطهارة، وتذكية الشاة لان الذبح يطهرها ويحل أكلها، لأنها عبارة عن سيل الدم النجس فان المحرم من الحيوان الدم المسفوح كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾^(٧)، فكانت الذكاة إزالة للخبث وتطهيره بتميز الطاهر من النجس، والمسك ذكاة ومنه ريح ذكية أي طيبة^(٨).

هذه هي المعاني التي تدل عليها كلمة الذكاة والتذكية، وبما أن معناها الأهم هو الذبح وهذا المعنى الذي نقصده من التذكية في هذه البحث فلا بد من بيان معنى الذبح لغة.

فالذبح في اللغة: قطع الحلقوم من باطن عند النضيل وهو موضع الذبح من الحلق فقد فسر الذبح بكونه قطع الحلقوم، والحلقوم مجرى النفس من الحيوان ويقصد بقوله من باطن أي من أمام الرقبة لا من القفا^(٩)، والذبح: الشق وكل ما شق فقد ذبح، والذبح مصدر ذبحت، قال تعالى: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾^(١٠)، والمذبح موضع الذبح من الحلقوم ما بين أصل العنق وبين الريشة^(١١).

الفرع الثاني: التذكية اصطلاحاً

تعددت الأقوال في تحديد مفهوم التذكية اصطلاحاً، فقد وقع اختلاف بين العلماء في معناها، حيث ذكر مشهور علماء الإمامية: إن التذكية عبارة عن قطع الأعضاء الأربعة التي هي^(١٢):

المرء: وهو مجرى الطعام

والحلقوم: وهو الحلق ومجرى النفس

والودجان: وهما عرقان محيطان بالحلقوم.

واستدلوا على ذلك بصحيفة عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت الإمام الكاظم -عليه السلام- فقال: ((إذا فرى الأوداج فلا بأس بذلك))^(١٣).

ولكن الإسكافي ذهب إلى أن التذكية عبارة عن قطع الحلقوم وخروج الدم^(١٤)، بدليل صحيفة زيد الشحام عن الإمام الصادق -عليه السلام- انه قال: ((... إذا قطع الحلقوم وخرج الدم فلا بأس))^(١٥).

٦- ينظر الطريحي، فخر الدين (ت ١٠٨٥ هـ): مجمع البحرين، ت. ح. أحمد الحسيني، ط ٢، (١٤٠٨ هـ - ١٣٦٧ هـ): المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران، إيران، ج ٢، ص ٩٩.

٧- سورة الأنعام: الآية ١٤٥.

٨- ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٨٨.

٩- ينظر الطريحي، مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٥٠.

١٠- سورة البقرة: الآية ٤٩.

١١- ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٤٣٨.

١٢- ينظر الجواهري، محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦ هـ): جواهر الكلام في شرائع الإسلام، ت. ح. محمود القوجاني، ط ٣، ١٣٦٩ هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ج ٣٦، ص ١٠٥.

١٣- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ): وسائل الشيعة، ط ٢، ١٤١٤ هـ، م/مهر، ن/ مؤسسة آل البيت -عليه السلام- لإحياء التراث، قم، إيران، ج ٢٤، ص ١٠.

١٤- ينظر الجواهري، جواهر الكلام، ج ٣٦، ص ١٠٥.

١٥- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ١١.

وبما أن النسبة بين صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج وصحيحة زيد الشحام العموم من وجه، حيث يجتمعان في صورة ما إذا قطع الحلقوم والأوداج الثلاثة، ويفترقان في صورة قطع الحلقوم بدون الأوداج، أو قطع الأوداج الثلاثة بدون الحلقوم، فيقع التعارض بينهما في صورة قطع الحلقوم فقط^(١٦).

وقد لا تكون هناك معارضة بين صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج وصحيحة زيد الشحام، بناءً على ما ذكره المقداد: (أن الأوداج الأربعة متصلة بعضها مع بعض، فإذا قطع الحلقوم أو الودجان فلا بد أن ينقطع الباقي معه، ولعله كذلك في الذبح المتعارف المسؤول عنه في النصوص، لا ما إذا قصد الاقتصار على أحدها، وحينئذ فلا انتهاء بالذبح المتعارف إلى منتهى الحلقوم يستلزم قطع الجميع، لأنها مع اتصالها به على وجه الإحاطة ونحوها لا يزيد عرضها على عرضه)^(١٧).

فإذا شككنا في حصول التذكية بقطع الحلقوم وجريان الدم فالأصل عدمها، كما أن التقديم يكون ما ذكره المشهور - من معنى التذكية - على ما ذكره غيره كما هو واضح^(١٨).

إذ إنَّ التذكية - أي ذبح الحيوانات التي يحل أكلها بالطريقة الشرعية - هي من الأمور التعبدية عند المسلمين، وتتم بإحدى الطرق الشرعية التالية:

أولاً: الذبح

وهو قطع الحلقوم والمريء والودجين، ويغلب استعماله في الغنم والبقر والطيور، ويجوز غيرها^(١٩).

ثانياً: النحر

وهو الطعن في اللبة (المنصر) إلى مبرأ الصدر، ويغلب استعماله في الإبل وأمثالها، ويجوز في البقر^(٢٠).

ثالثاً: العقر

وهو جرح الحيوان غير المقدور عليه، سواء الوحشي المباح صيده، أو المتوحش من الحيوانات المستأنسة^(٢١).

المطلب الثاني: الشروط الشرعية للتذكية

اتفق الفقهاء على أن الحيوان الذي يذكى هو الحيوان المأكول، سواء كان أهلياً أو برياً، والزكاة التي تعمل فيه لا بد لها من شروط حتى يتحقق حل الحيوان المراد تذكيته^(٢٢)، وهذه الشروط التي ذكرها الفقهاء هي:

١٦- ينظر الجواهري، حسن، بحوث في الفقه المعاصر، ط ١، ١٤١٩ هـ، م/ أمين، ن/ جواد الأئمة، قم، إيران، ج ٢، ص ٢٢٥.

١٧- ينظر الجواهري، جواهر الكلام، ج ٣٦، ص ١٠٦-١٠٧.

١٨- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٢٥.

١٩- ينظر مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ط ١، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م): ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ١٢.

٢٠- ينظر مؤتمر رابطة العالم الإسلامي وآخرون، الهدى الصحي، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م): الإسكندرية، مصر، ص ٥.

٢١- المصدر السابق.

٢٢- ينظر السيستاني، محمد رضا، بحوث فقهية، ط ١، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م) دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ص ١٥.

أولاً: إسلام الذابح

شرط مشهور الإمامية إسلام الذابح، ودلت على هذا الشرط روايات عديدة، منها: صحيحة سليمان ابن خالد قال: سألت الإمام الصادق -عليه السلام- عن ذبيحة الغلام والمرأة هل تؤكل؟ فقال -عليه السلام-: إذا كانت المرأة مسلمة فذكرت اسم الله على ذبيحتها حلت ذبيحتها، وكذلك الغلام إذا قوي على الذبيحة فذكر اسم الله.. (٢٣).

أما ذبيحة الكافر فإن كان وثنياً أو ملحداً أو مرتدّاً أو مغالياً أو ناصبياً ونحوهم فذبيحتهم محرمة عند الإمامية (٢٤).

وإن كان الكافر كتابياً فالأقوال عند الإمامية ثلاثة، فالقول المشهور شهرة عظيمة حرمة ذبيحته، وأما القول الثاني التفصيل بالخلية مع سماع تسميتهم والحرمة مع عدم التسمية، والثالث جواز أكل ذبائحهم (٢٥). إلا إن الروايات القائلة بعدم أكل ذبائح الكتابي، إن كانت مرشدة إلى ميتة المذبوح فهي تعارض الروايات المجوزة لأكل ذبائح الكتابي، وحينئذ نأخذ بروايات التحريم للترجيح (٢٦).

ثانياً: التسمية من الذابح

وهو من الشروط الواجب توافرها في الذابح، ومعناها:

ذكر اسم الله تعالى على الذبيحة، تبركاً بها، وتطبيراً للذبيحة، وطرده للشيطان، كقول بسم الله الرحمن الرحيم، أو بسم الله والله أكبر، ونحوها، كما يفهم ذلك العرف من ذكر اسم الله تعالى، وأما ذكر كلمة الله لوحدها فيشتك في تحليلها للأكل فتجري أصالة عدم التذكية، وترك التسمية عمداً يؤدي إلى حرمة الذبيحة، بينما تركها نسياناً لا يضر، أما تركها جهلاً فالأظهر أنه ملحق بالعمد في الحرمة (٢٧).

ففي صحيح الحلبي عن الإمام الصادق -عليه السلام-: ((انه سأله عن الرجل يذبح فينسى أن يسمى أتؤكل ذبيحته؟ فقال -عليه السلام-: نعم، إذا كان لا يتهم)) (٢٨).

وهذا الشرط لا خلاف فيه عند الإمامية في حل الأكل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق﴾ (٢٩).

ثالثاً: استقبال القبلة بالذبيحة

وذلك بأن يوجه الذابح محل الذبح من الحيوان والجهة الإمامية من بدنه إلى القبلة (٣٠).

٢٣- الحر العاملي، وسائل الشريعة، ج ٢٤، ص ١٢.

٢٤- ينظر مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ص ١٣.

٢٥- ينظر السيستاني، بحوث فقهية، ص ١٥.

٢٦- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٢٨.

٢٧- ينظر العبيدي، عبد الحميد حمد شهاب، الصيد والتذكية في الشريعة الإسلامية، (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) م/ اليرموك، ن/ ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، العراق، ص ٤٨٦.

٢٨- الحر العاملي، وسائل الشريعة، ج ٢٤، ص ١٧.

٢٩- سورة الأنعام: الآية ١٢١.

٣٠- ينظر مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ص ١٣.

وتحرم الذبيحة إذا أهمل الذابح العمل بهذا الشرط عامداً، أما إذا كان الإخلال بهذا الشرط بسبب النسيان، أو الجهل، أو الخطأ في تحديد القبلة، أو الخطأ في التنفيذ، لم تحرم^(٣١). ولا يشترط في الذابح نفسه أن يكون مستقبل القبلة أثناء الذبح، وإن كان هذا أولى^(٣٢). وقد ذهب إلى اشتراطه الإمامية وبعض من غيرهم كما سيأتي، ففي حسنة محمد بن مسلم عن الإمام الباقر -عليه السلام- قال: سألت عن الذبيحة؟ فقال -عليه السلام-: ((استقبل بذبيحتك القبلة))^(٣٣). وصحيح الحلبي عن الإمام الصادق -عليه السلام- وقد سئل عن الذبيحة تذبح لغير القبلة؟ فقال -عليه السلام-: ((لا بأس إذا لم يتعمد))^(٣٤).

رابعاً: أن يكون الحيوان حياً

أي أن يقع الذبح على الحيوان وهو حي فيموت بالذبح، ويستدل على ذلك بأن يتحرك الحيوان بعد إكمال الذبح حركة ما، ولا يلزم أن تكون الحركة كبيرة جداً بل تكفي الحركة الجزئية، مثل حركة العين، أو الإذن، أو الذنب، أو الرفس بالرجلين وما شابه ذلك مما يعلم به حياة الحيوان قبل الذبح^(٣٥). وكذلك يمكن الاكتفاء بخروج الدم الكثير والمتدفق من الحيوان بعد الذبح إذا كان ذلك دليلاً على وجود الحياة فيه قبله حتى ولو لم تصدر منه أي حركة^(٣٦).

خامساً: أن تكون الآلة من حديد

لقد ذكر الفقهاء من الإمامية عدم صحة التذكية إلا بالحديد مع القدرة عليه، وقد دلت على ذلك الروايات:

١. منها: صحيحة محمد بن مسلم قال: سألت الإمام الباقر -عليه السلام- عن الذبيحة بالليطة وبالمرودة؟ فقال -عليه السلام-: لا ذكاة إلا بحديد^(٣٧).
٢. ومنها صحيحة الحلبي عن الإمام الصادق -عليه السلام- قال: سألت عن ذبيحة العود والحجر والقصبة؟ فقال -عليه السلام-: قال علي -عليه السلام-: لا يصلح إلا بالحديدة^(٣٨).
٣. ومنها صحيحة زيد الشحام عن الإمام الصادق -عليه السلام- أنه قال: اذبح بالحجر وبالعضم وبالقصبة والعود إذا لم تصب الحديد...^(٣٩).
٤. ومن هذه الروايات يفهم إن الإمام -عليه السلام- نفى أن يكون الذبح مع القدرة على الحديد بالعود والحجر والقصبة، وقد ذكرت كتب اللغة للحديد معاني منها:

٣١- ينظر المدرسي، محمد تقي، فقه المصالح العامة، ط ١، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) ن/ محبان الحسين -عليه السلام-، قم، إيران، ص ٨٢.

٣٢- ينظر العبيدي، الصيد والتذكية في الشريعة الإسلامية، ص ٥٠٠.

٣٣- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ١٨.

٣٤- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨ هـ)، الكافي، ت. ح علي أكبر الغفاري، ط ٣، ١٣٦٧ هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ج ٦، ص ٢٣٣.

٣٥- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٨٣.

٣٦- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٣٢.

٣٧- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ١٩.

٣٨- الكليني، الكافي، ج ٦، ص ٢٢٧.

٣٩- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ١٩.

أ. الحاد، أي القاطع، ومنه قوله تعالى: ﴿فبصرك اليوم حديد﴾^(٤٠) بمعنى حاد فحديد فعيل بمعنى فاعل (أي حاد) وحديد صيغة مبالغة من الحاد^(٤١).

ب. القطعة من الحديد وهو الفلز المعروف في مقابل بقية الفلزات، ومنه (خاتم حديد)، واسم الصناعة: الحدادة، والحداد معالج الحديد^(٤٢).

إن هذا الاستظهار وإن كان يتفق مع الفهم الحرفي القائل بأن السكين إن وجدت وهي حادة وقاطعة بطبعها فالذبح إنما يكون بما لتسهيل عملية الذبح وإجابه وإراحة الذبيحة، وإن لم توجد السكين فيجوز الذبح بكل آلة قاطعة، إذ إن العرف لا يفهم بأن عدم وجود السكين يكون قيداً في صحة التذكية بالحجر الحاد والليطة الحادة، ولكن عندما نرجع إلى الروايات التي يسأل فيها الإمام -عليه السلام- عن الذبح بالليطة والمروءة فيأتي الجواب بصيغة: (لا ذكاة إلا بحديدة) أو (لا يصلح إلا بالحديدة) أو (اذبح بالحجر والعظم والقصة إذا لم تصب بالحديدة..). نرى إن هذه الروايات كأنها تبين جواز الذبح بالحجر الحاد إذا لم توجد الحديدة كما فهم المشهور^(٤٣).

المطلب الثالث: الآداب الشرعية للتذكية

قال أبو الحسن الرضا -عليه السلام-: ((إذا ذبحت الشاة وسلخت، أو سلخ شيء منها قبل أن تموت لم يحل أكلها))^(٤٤).

وقال الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام-: ((لا تذبح الشاة عند الشاة، ولا الجزور عند الجزور وهو ينظر إليه))^(٤٥).

فمن النصوص المتقدمة نفهم إن الإسلام أراد إراحة الحيوان عند الذبح، ولكن كيف لنا إراحة الحيوان عند الذبح؟

ذهب البعض إلى إن إراحة الحيوان بصورة موضوعية تكون من خلال علامات رئيسية هي الألم والكرب والوعى، فالألم يسبب الكرب، والكرب قد يحدث لأسباب عديدة أحدها الإحساس بالألم، وحينئذ إذا افقدنا وعي الحيوان فيزيل الكرب والإحساس بالألم^(٤٦).

ولابد لإراحة الحيوان من غياب الألم أو إنقاصه إلى الحد الأدنى عند الذبح الذي هو العنصر الرئيسي في إراحة الحيوان، وهذا يتوقف على أن تكون آلة الذبح حادة جداً، ولكن حدها ينبغي أن لا يكون أمام الحيوان^(٤٧).

كما ينبغي أن نتجنب أي عملية تخيف الحيوان عند الذبح مثل الضجيج الذي يحدث عند الذبح، ورائحة الدم الذي يخرج من حيوان نتيجة ألم وخوف، حيث ثبت إن الدم الذي يخرج على الصفة المتقدمة

٤٠- سورة ق: الآية ٢٢.

٤١- ينظر الطريحي، مجمع البحرين، ج ١/ ص ٤٧١.

٤٢- ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ١٤١.

٤٣- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٣١.

٤٤- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ١٧.

٤٥- الكليني، الكافي، ج ٦، ص ٢٣٠.

٤٦- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٥٣.

٤٧- ينظر العبيدي، الصيد والتذكية في الشريعة الإسلامية، ص ٥٠١.

يؤدي إلى كرب الحيوانات الأخرى، بخلاف الدم الذي يخرج من الحيوان هادئ حيث لا يسبب أي خوف للحيوانات الأخرى، بل تقوم الحيوانات الأخرى بلعق هذا الدم الذي خرج بمهدوء^(٤٨). أما فقد الوعي في الحيوانات بواسطة مسدس أو بواسطة الصعقة الكهربائية أو بغاز ثاني أكسيد الكربون، فإن ثبت أن هذه الأمور لا توجد أي أذى أو خوف عند الحيوان ولا توجب توقف قلبه وإماتته فلا بأس بها، وتكون منسجمة مع النصوص الشرعية التي أمرت بإراحة الذبيحة عند الذبح ومصاديق جديدة لها، وأما إذا كان فيها نوع أذى وخوف للحيوان فتكون منافية للغرض الذي جاءت من أجله^(٤٩). ويستحب لذبح الحيوان أن يسوقه برفق، وإن تعرض عليه الماء، وإن لا يحركه بعد ذبحه من مكان إلى آخر حتى يموت، ويكره سلخ جلده قبل خروج روحه، ويكره أيضاً أن يذبح أو ينحر الإنسان بيده ما رياه من البهائم، وكذلك من المكروهات الذبح ليلاً ونهار يوم الجمعة إلى الزوال إلا في حالة الضرورة^(٥٠).

المبحث الثاني: الطرق الحديثة للتذكية وأنواعها

المطلب الأول: طرق التذكية الحديثة

إن ازدياد العمران وكثرة المتطلبات الغذائية سبب استخدام الأجهزة الآلية (الأوتوماتيكية) وطرق عديدة أخرى لذبح الحيوانات، فقد أنشئت لذلك مجازر ومساح ضخمة تصل منتجاتها إلى آلاف الحيوانات يومياً، وإن استخدام مثل هذه الطرق بشكل واسع دفعنا إلى دراستها ومعرفة حكمها الشرعي وموقف الفقه الإسلامية منها.

الفرع الأول: الذبح بالماكينة والإشكالات التي تطرح عليها

هناك عدة إشكالات تطرح على الطرق الحديثة للتذكية يستنتج منها عدم التذكية أو عدم تحقق الشروط المعتبرة فيها، لذا سنطرح هذه الإشكالات والرد عليها، والإشكالات هي:

الإشكال الأول: ينسب الذبح للآلة

إذ إن الذبح الشرعي يتم باستخدام يد الإنسان، وهي تحرك السكين وتباشر عملية الذبح، أما في الذبح بالماكينة الحديثة تتحرك السكين بواسطة القوة الكهربائية، ولا تعمل يد الإنسان أي عمل في تحريك أو أمرار السكين^(٥١)، فقد ذكرت الآية الكريمة إن حلية الأكل من الذبيحة أن يكون انتساب التذكية إلى الإنسان، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَخْنُوقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾^(٥٢)، بالإضافة إلى الروايات الدالة على أنه لا يكفي في الحلية إزهاق روح الحيوان من قبل نفسه أو بفعل حيوان آخر ولو بقطع مذبجه وأوداجه ما لم يدركه الإنسان فيذكيه بيده^(٥٣).

٤٨- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٥٣.

٤٩- ينظر مؤتمر رابطة العالم الإسلامي وآخرون، الهدى الصحي، ص ٧.

٥٠- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٩٥.

٥١- ينظر مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ص ٣٦.

٥٢- سورة المائدة: الآية ٣.

٥٣- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٤٢.

فعن أبي بصير عن الإمام الصادق -عليه السلام- قال: لا تأكل من فريسة السبع ولا الموقوذة ولا المتردية إلا أن تدركه حياً، وتذكيه^(٥٤).

الرد على الإشكال

إن الانتساب إلى الفاعل عرفاً يكفي فيه أن يحصل الذبح بفعل الإنسان ويترب عليه ترتباً طبيعياً، ولذا يصدق القتل وينسب إلى الإنسان إذا سدد رصاصته من بندقيته، فحكم الماكنة التي يشغلها الإنسان لأجل الذبح هو حكم البندقية والسكينة التي تفعل القتل أو الذبح، فيصدق عنوان القاتل أو الذابح على الإنسان إذا حصلت النتيجة بفعله من دون تحلل شيء بين عمله وبين حصول النتيجة^(٥٥).

الإشكال الثاني: عدم تحقق التسمية على المذبوح

إذ إن التسمية عند الضغط على الزر ليست على المذبوح المعين، فالتسمية يجب أن تكون على آلة الذبح، ولا يمكن اعتبار الزر آلة للذبح، بالإضافة إلى وجود الفاصل الزمني بين ذبح الحيوان وزمن تشغيل الآلة، أو وجود فاصل بين ربط الحيوان بما إذا صدرت التسمية من الذابح حين تشغيل الآلة، لذا يكون الذبح بلا تسمية حين القيام به^(٥٦).

الرد على الإشكال

إن الظاهر من أدلة اشتراط التسمية هو حصولها حين الشروع في الذبح الذي هو عمل اختياري للفاعل، وإن تحقق الذبح في الحيوان متأخراً عن ذلك زماناً، وبما إن الذبح بالماكنة يكون عند تشغيلها أو عند تعليق الحيوان بالشريط فإن التسمية تكون عند الشروع بذبحه، فيصدق أنه سمي حين الشروع بالذبح، ومثل هذا ما ورد في الصيد الذي اشترطت التسمية فيه حين رمي السهم أو حين إرسال الكلب المعلم، مع أن الإصابة متأخرة زماناً، على أن الفاصل الزمني إذا كان قصيراً فعده العرف بحكم المتصل بزمان الذبح، فيشملة إطلاق ذكر اسم الله عليه، ويمكن أيضاً التخلص من هذا الإشكال بتكرار الذابح للتسمية إلى حين حصول الذبح بالماكنة^(٥٧).

وهنا لا بد لنا من طرح سؤالان:

الأول: بما إن الذبح بالماكنة يستوجب تشغيل عمال عديدين لأجل إنجاز العمل، وإن التسمية لا بد أن تكون من الذابح فمن هو الذابح الذي يجب عليه التسمية؟

٥٤- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٣٧.

٥٥- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٤٣.

٥٦- ينظر مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ص ٣٦.

٥٧- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٤٣.

الجواب: إن تعيين الذابح يكون بتعيين الشخص الذي يتحقق على يده الجزء الأخير من سبب الذبح، فمثلاً لو إن شخصاً شغل الماكنة وجاء آخر وأخذ بتعليق الذبائح على الشريط فأن هذا الشخص الأخير يعد هو الذابح الذي يتحقق الذبح بعد عمله، فيجب عليه التسمية^(٥٨).

الثاني: إذا كانت الذبائح المعلقة على الشريط الدائري للذبح كثيرة فهل تكفي تسمية واحدة عليها جميعاً، أو لابد من تعدد التسمية بتعدد الذبائح؟

الجواب: إن الجواب على هذا السؤال يختلف باختلاف الماكنت المعدة للذبح، فإن كانت الماكنة المعدة للذبح تذبح أعداداً كبيرة مرة واحدة فيكفي للحل تسمية واحدة لصدق اسم الله عليها، وأما إن كانت تذبح إعداد كبيرة بالتدرج، فلا يكفي للحل تسمية واحدة^(٥٩)، لأنه لا يصدق عليها حين الذبح أنها مما ذكر اسم الله عليها، نعم يصدق عليها ذكر اسم الله تعالى قبل الذبح، وهو غير كاف في حلية الذبيحة، وحينئذ لابد من تكرار الذابح للتسمية على كل ذبيحة حين الشروع في ذبحها^(٦٠).

الإشكال الثالث: قطع منحر الحيوان

لا يتحقق في الذبح بالماكنة الذبح الشرعي من قطع تمام العروق المطلوب قطعها وفي مواضعها، حيث يؤدي إلى قطع الرأس عمداً، وهذا ما نعت عنه الروايات، فتكون النتيجة محرمة^(٦١).

الرد على الإشكال

إن النهي الوارد في إبانة الراس عمداً في صحيحة محمد بن مسلم عن الإمام الباقر -عليه السلام- إذ قال: (لا تقطع الرقبة بعد ما تذبح)^(٦٢)، فقد اختلف الفقهاء في إفادته للحرمة، حيث ذهب جمع إلى الكراهة، وذهب بعض إلى الحرمة، ولكن الصحيح على كلا التقديرين عدم حرمة الذبيحة بهذا الفعل، لأن الزائد عن قطع الأعضاء يخرج عن كونه ذبحاً شرعياً فلا يكون مبيحاً، ويضعف بأن المعتبر في الذبح قد حصل، فلا اعتبار بالزائد، وقد روى الحلبي في الصحيح عن الإمام الصادق -عليه السلام- حيث سئل عن ذبح طير قطع رأسه أيؤكل منه؟ قال: (نعم، لكن لا يعتمد قطع رأسه) وهو نص، وعموم قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾^(٦٣)، فالمتنجه تحريم الفعل دون الذبيحة^(٦٤).

٥٨- ينظر العثماني، محمد تقي، بحوث في قضايا فقهية معاصرة، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م): دار القمر، دمشق، سوريا، ص ٤٢٤.

٥٩- ينظر مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ص ٣٦.

٦٠- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٤٥.

٦١- ينظر مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ص ٣٦.

٦٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٢٩.

٦٣- سورة الانعام: الآية ١١٨.

٦٤- ينظر الجواهري، جواهر الكلام، ج ٣٦، ص ١٢٠-١٢٣.

الإشكال الرابع: عدم تحقق الاستقبال

وهذا الإشكال مبني على أن يوجه الذابح الذبيحة حين الذبح مقابل القبلة، وتحرم الذبيحة إذا أهمل الذابح العمل بهذا الشرط عامداً عالماً، وفي الذبح بالماكنة لا يحصل توجيه محل الذبح والجهة الإمامية من بدن الذبيحة إلى القبلة (٦٥).

الرد على الإشكال

يكفي أن تكون مقادير الذبيحة حين الذبح أو أن يكون منحرفاً موجهاً للقبلة، فإنه يصدق عليه أنه ذبح لجهة القبلة، وأما أن يكون مضجع الذبيحة حين الذبح على شمالها أو يمينها فهذا ليس عليه أي دليل وعلى هذا يكفي في صدق استقبال القبلة بالذبيحة أن يكون الذبح بشكل عمودي على أن توجه المقادير أو المنحر إلى القبلة (٦٦).

الإشكال الخامس: الذبح بغير الحديد

عدم جواز الذبح بغير الحديد اختياراً، وهذا الإشكال في كون الذبح بالماكنة المشتملة على آلة الذبح بغير الحديد من الفلزات الأخرى (٦٧).

الرد على الإشكال

إن المراد بالحديد هو الحاد في مقابل الذبح بشيء ليس بحاد، كالقصب أو الحجارة أو غيرها مما لا يكون حاداً في ذلك الزمان، أي كل ما يقوم مقام الحديد في النحر وله القدرة على فري الأوداج وقطعها، لذا نجد أنَّ الروايات قد جعلت الحديد في مقابل الزجاج والحجر والقصب، ولم تجعله في مقابل بقية الفلزات، إلا أن مشهور علماء الإمامية ذهبوا إلى أن تكون الآلة الذابحة من جنس الحديد (الفلز الخامس)، فإذا تحقق هذا الشرط فلا إشكال من ناحية الذبح بالماكنة (٦٨).

آراء مشهور فقهاء الإمامية من الذبح بغير الحديد وسأورد فيما يلي نصوصاً مما وصل إلينا من كلماتهم:

١. قال الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ): (ولا يؤكل الصيد المقتول بالحجارة والخشب، ومن لم يجد حديداً يذكي به ووجد زجاجة تفري اللحم أو ليطة من قصب لها حد كحد السكين ذكى بها، ولا يذكي بذلك إلا عند فقد الحديد) (٦٩).

٦٥- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٨٢.

٦٦- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٤٥.

٦٧- ينظر السيستاني، بحوث فقهية، ص ٢٤.

٦٨- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢/ص ٢٤٥.

٦٩- المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ): المقنعة، ط ٢، ١٤١٠ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ص ٥٧٨.

٢. قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ): (ولا يجوز الذباجة إلا بالحديد، فإن لم توجد حديد وخيف فوت الذبيحة أو اضطر إلى ذبحها جاز أن يذبح بما يفري الأوداج من ليطة أو قصبه أو زجاجة أو حجارة حادة الأطراف) (٧٠).
٣. قال ابن إدريس (ت ٥٩٨ هـ): (لا تجوز الذباجة إلا بالحديد، فإن لم يوجد حديد وخيف فوت الذبيحة أو اضطر إلى ذبحها جاز أن يذبح بما يفري الأوداج من ليطة أو قصبه أو زجاجة أو حجارة حادة الأطراف مثل الصخور وغير ذلك) (٧١).
٤. قال المحقق الحلي (ت ٦٧٦ هـ): (ولا تصح إلا بالحديد مع القدرة ويجوز بغيره مما يفري الأوداج عند الضرورة ولو بمروءة أو ليطة أو زجاجة، وفي الظفر أو السن مع الضرورة تردد) (٧٢).
٥. قال العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ): (ولا تصح التذكية إلا بالحديد فإن تعذر وخيف فوت الذبيحة جاز بكل ما يفري الأعضاء كالزجاجة والليطة والخشبة والمروءة) (٧٣).
٦. قال الشهيد الأول (ت ٧٨٦ هـ): (والواجب في الذبيحة أمور سبعة: أن يكون بالحديد، فأن خيف فوت الذبيحة وتعذر الحديد جاز بما يفري الأعضاء من ليطة أو مروءة حادة أو زجاجة وفي السن والظفر للضرورة قول بالجواز) (٧٤).
٧. قال الشهيد الثاني (ت ٩٦٥ هـ): (المعتبر عندنا في الآلة التي يذكي بها أن يكون من حديد فلا يجزي غيره مع القدرة عليه وإن كان من المعادن المنطبقة كالنحاس والرصاص والذهب وغيرها، ويجوز مع تعذرهما والاضطرار إلى التذكية ما فرى الأعضاء من المحددات ولو من خشب أو ليطة أو مروءة أو غير ذلك عدا السن والظفر) (٧٥).
٨. قال المحقق الأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ): (الظاهر عدم الخلاف في اشتراط كونها -آلة الذبح والنحر- من حديد مع الاختيار) (٧٦).
٩. قال الفاضل الهندي (ت ١١٧٣ هـ): (ولا تصح التذكية اختياراً إلا بالحديد اتفاقاً) (٧٧).
١٠. قال المحقق النراقي (ت ١٢٤٥ هـ): (لا يجوز التذكية إلا بالحديد مع الاختيار فلا يجزي غيره ولا يقع به الذكاة وإن كان من المعادن المنطبقة كالنحاس والرصاص والذهب والفضة وغيرها) (٧٨).

٧٠- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ): النهاية، قدس محمد، قم، إيران، ص ٥٨٣.
 ٧١- ابن إدريس الحلي، أبي جعفر محمد بن منصور بن أحمد (ت ٥٩٨ هـ): السرائر، ط ٢، ١٤١٠ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ج ٣، ص ١٠٧.
 ٧٢- الحلي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦ هـ): المختصر النافع، ط ٣، ١٤١٠ هـ، مؤسسة البعثة، قم، إيران، ص ٢٤١.
 ٧٣- الحلي، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦ هـ): قواعد الأحكام، ط ١، ١٤١٩ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ج ١٣، ص ٣٢٠.
 ٧٤- العاملي، محمد بن جمال الدين مكي (ت ٧٨٦ هـ): اللعة دمشقية، ط ١، ١٤١١ هـ، دار الفكر، قم، إيران، ص ٢١٤.
 ٧٥- العاملي، زين الدين بن علي (ت ٩٦٥ هـ)، مسالك الإفهام، ط ١، ١٤١٧ هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران، ج ١١، ص ٢٧٠.
 ٧٦- الأردبيلي، أحمد المقدس (ت ٩٩٣ هـ): مجمع الفائدة والبرهان، ت. ح. آغا مجتبي العراقي وآخرون، ط ١، ١٤١٤ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ج ١١، ص ٩١.
 ٧٧- الفاضل الهندي، بهاء الدين محمد بن الحسين بن محمد الاصفهاني (ت ١١٧٣ هـ): كشف اللثام، ١٤٠٥ هـ، ري قمري، قم، إيران، ج ٢، ص ٢٥٨.
 ٧٨- الفراقي (ت ١٢٤٥ هـ): مستند الشيعة، مؤسسة الامام الضوئي الإسلامية، ج ٢، ص ٤٥٢.

١١. قال الشيخ صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦ هـ): (وأما الآلة فلا تصح التذكية ذبحاً أو نحرّاً إلا بالحديد مع القدرة عليه وإن كان من المعادن المنطبعة كالنحاس والصفرة والرصاص والذهب وغيرها، نعم لو لم يوجد الحديد وخيف فوت الذبيحة جاز بما يفري أعضاء الذبيح ولو كان ليطة أو خشبة أو مروة حادة أو زجاجة) (٧٩).

١٢. قال السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ): (أن يكون الذبح بالحديد مع الإمكان، نعم إذا لم يوجد الحديد وخيف فوت الذبيحة بتأخير ذبحها، أو كانت هناك ضرورة أخرى تقتضي الذبح جاز ذبحها بكل ما يقطع الأوداج من الزجاج والحجارة الحادة ونحوها) (٨٠).

١٣. قال السيد السيستاني: (أن يكون الذبح بالحديد مع الإمكان، نعم إذا لم يوجد الحديد جاز ذبحها بكل ما يقطع الأوداج من الزجاج والحجارة الحادة ونحوها حتى إذا لم تكف هناك ضرورة تدعو إلى الاستعجال في ذبحها كالخوف من تلفها بالتأخير - على الأظهر) (٨١).

١٤. قال السيد المدرسي: (يكون الذبح بسكين مصنوع من الحديد ولعل المصنوع اليوم من الاستيل أو غيره من معادن صلبة كاف في الذبح، وإن كان الأحواط استحباً أن يكون بالحديد) (٨٢).

الفرع الثاني: طرق أخرى للتذكية

توجد طرق أخرى قديمة وحديثة متداولة للتذكية، لابد من عرضها لمعرفة ماذا كانت تعد تذكية شرعية أم لا، وفيما يلي سنذكر هذه الطرق:

أولاً: صعق الحيوان بالتيار الكهربائي:

وهي طريقة حديثة تستعمل في بعض الحيوانات، حيث يتم إمرار تيار كهربائي ذي شدة معينة ولمدة ثابتة يجعل الحيوان المراد ذبحه كالمذوخ بالصعق الكهربائي، لكيلا يتأذى عند الذبح (٨٣)، وهذه الطريقة إذا أدت إلى توقف قلب الحيوان وموته قبل إجراء عملية الذبح عليه، فالحكم بالتحريم واضح ويحرم أكلها، لكن إذا أدى إلى جعل الحيوان فاقدًا للوعي فقط وسيعود إليه الوعي بعدة مدة معينة، فهنا تكون الذبيحة جائزة (٨٤)، أما إذا شككنا في حياة الحيوان بعد التدويخ فيكفي للحكم بالحياة حركته بعد التذكية (كحركة الذنب أو الإذن) وخروج الدم منه بدفع، وعلى هذا فمن الطبيعي يحرم الحيوان المشكوك بحياته إذا أجريت عليه التذكية ولم يتحرك منه شيء (٨٥).

٧٩- الجواهر، جواهر الكلام، ج ١٢، ص ٥٨٧.

٨٠- الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣ هـ): المسائل المنتخبة، مؤسسة الامام الخوئي الإسلامية، ص ٣٤٣.

٨١- السيستاني، علي الحسيني، المسائل المنتخبة، ط ٣، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م): م / مهر، ن / مكتب السيد السيستاني، قم،

إيران، ص ٤٥٥.

٨٢- المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٨٢.

٨٣- ينظر مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ص ٣٩.

٨٤- ينظر العثماني، محمد تقي، بحوث في قضايا فقهية معاصرة، ص ٤٢٠.

٨٥- ينظر الجواهر، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٥١.

ثانياً: التدويخ بالمسدس ذي الواقذة:

إذ يُحدث هذا المسدس ثقباً في جمجمة الحيوان يؤدي إلى فقدان الوعي بشكل فوري، وهذه الطريقة إذا استعملت وذبح الحيوان قبل الموت، فالأكل من الذبيحة جائز، باعتبارها موقوذة مذكى، أما لو ماتت قبل الذبح فهي محرمة ولا يجوز الأكل منها^(٨٦).

ثالثاً: التدويخ بضرب الحيوان:

إنَّ هذه الطريقة قديمة قد تخلت عنها المجازر الحديثة، وتتضمن ضرب جبهة الحيوان بمطرقة تحدث الماء شديداً للحيوان وتفقد الوعي ثم يتم بعد ذلك تذكيته باليد، لذا يعد الحيوان المذبوح بهذه الطريقة حلال ما لم يموت قبل التذكية^(٨٧).

رابعاً: التدويخ باستعمال ثاني أوكسيد الكاربون:

حيث يتم حبس الحيوان داخل مكان مقفل يحتوي على نسبة عالية من غاز ثنائي أوكسيد الكاربون، فيفقد الحيوان وعيه خلال عشرين ثانية، وهذه الطريقة مرفوضة ومحرمة لأنها تجعل الحيوان بحكم المنخقة^(٨٨)، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا اهْلَجَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾^(٨٩).

خامساً: الطريقة الإنكليزية:

ويخرق فيها الصدر بين الضلعين، وينفخ فيه حتى يختنق الحيوان بضغط هواء المنفاخ على رئتيه، ولا يخرج من الحيوان دم، ومن البديهي إن الحيوان في هذه الطريقة داخل في المنخقة التي نطق القرآن بحرماتها، وقد حققنا فيما سبق إن الخنق محرم سواء أصدر الخنق من مسلم أو كتابي^(٩٠). كما يجب الإشارة إلى إن الطرق المتبعة في التذكية تكون جائزة شرعاً إذا كانت بقصد التخفيف من ألم الذبيحة، فقد أمر الرسول ﷺ - بإحسان ذبح الحيوان والرفق به، وهذا شروط مهم بالإضافة إلى ما تم ذكره من شروط حتى تصل الذبيحة^(٩١).

المطلب الثاني: تذكية الإبل والسّمك

الفرع الأول: تذكية الإبل

إن الطريقة الشرعية لتذكية الإبل هي (النحر): ويكون بطعن الحيوان في لبتة وهي الوهدة، وهي ما بين أسفل العنف الصدر، وهي منفذ إلى جوف الحيوان ومقتل له، فتطعن بالسكين أو الخنجر أو نحوه من السلاح الذي ينهر الدم أو أي وسيلة حادة^(٩٢).

٨٦- ينظر مؤتمر رابطة العالم الإسلامي وآخرون، الهدى الصحي، ص ٨.

٨٧- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٤٩.

٨٨- ينظر مؤتمر رابطة العالم الإسلامي، الهدى الصحي، ص ٨.

٨٩- سورة المائدة: الآية ٣.

٩٠- ينظر العثماني، محمد تقي، بحوث في قضايا فقهية معاصرة، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م): دار القلم، دمشق، سوريا، ص ٤٢٩.

٩١- ينظر مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ص ٦٥.

٩٢- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٨٧.

فقد روي عن الإمام الصادق -عليه السلام- انه سئل عن البعير يذبح أو ينحر؟ فقال: ((السنة أن ينحر)) قيل كيف ينحر؟ قال: ((يقام قائماً حيال القبلة، ويعقل يده الواحدة، ويقوم الذي ينحره حيال القبلة، فيضرب في لبتة بالشفرة حتى تقطع وتفري))^(٩٣).

وجاء في رواية أخرى عن الإمام الصادق -عليه السلام- انه قال: ((النحر في اللبة، والذبح في الحلق))^(٩٤). فان خالف الذبح وذبح ما ينحر أو نحر ما يذبح لم تكن تذكيته صحيحة وبالتالي يحرم أكل الحيوان، فاذا ذبحت الإبل حرمت وإذا نحر البقر والغنم حرمت كذلك^(٩٥).

وقد وردت روايات كثيرة تؤكد على ذلك، منها: منها ما روي عن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال الصادق -عليه السلام-: ((كل منحور مذبح حرام، وكل مذبح منحور حرام))^(٩٦).

وكذلك ما روي عن يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي الحسن الأول -عليه السلام- إن أهل مكة لا يذبحون البقر وإنما ينحرون في اللبة فما ترى في أكل لحمها؟ فقال: فقال -عليه السلام-: ﴿فذبوها وما كادوا يفعلون﴾^(٩٧) لا تأكل إلا ما ذبح^(٩٨).

أما شروط النحر فكل ما يشترط في الذبح يشترط بالنحر، إلا انه يجوز نحر الإبل وهي واقفة أو باركة، أو حتى ساقطة على الأرض على جنبها بشرط أن يتم توجيه منحورها والجهة الإمامية من بدنها إلى القبلة، ولكن الأفضل أن تنحر وهي قائمة^(٩٩).

الفرع الثاني: تذكية السمك

إن السمك يذكي بإخراجه من الماء حياً، فلا إشكال ولا ترديد في حلية ما يؤخذ من الماء من السمك حياً ثم يموت خارج الماء^(١٠٠)، ودلت على ذلك الروايات الكثيرة، منها:

روى عمرو بن هارون الثقفي عن أبي عبد الله -عليه السلام-، قال: قال أمير المؤمنين -عليه السلام-: ((الجراد ذكي كله، والحيتان ذكي كله، وأما ما هلك في البحر فلا تأكل))^(١٠١).

وعن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر -عليه السلام-، قال: سألت عن سمكة وثبت من نحر فوقعت على الجسر من النهر فماتت، هل يصلح أكلها؟ فقال: ((إن أخذتها قبل أن تموت ثم ماتت فكلها وإن ماتت من قبل أن تأخذها فلا تأكلها))^(١٠٢).

٩٣- النوري، حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ): مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، ط ٢، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م): مؤسسة آل البيت -عليه السلام- لإحياء التراث، ج ١٦/ ص ١٣٢.
٩٤- الحر العاملي، وسائل الشريعة، ج ٢٤/ ص ١٠.
٩٥- ينظر العبيدي، الصيد والتذكية في الشريعة الإسلامية، ص ٤٥٥.
٩٦- الحر العاملي، وسائل الشريعة، ج ٢٤/ ص ١٤.
٩٧- سورة البقرة: الآية ٧١.
٩٨- الكليني، الكافي، ج ٦، ص ٢٢٩.
٩٩- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٨٧.
١٠٠- ينظر الحكيم، رياض، دروس منهجية في الفقه الإسلامي، ط ٣، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م): م/ ستارة، ن/ دار الهلال، ص ١١٣.
١٠١- الحر العاملي، وسائل الشريعة، ج ٢٤/ ص ٧٤.
١٠٢- الكليني، الكافي، ج ٦، ص ٢١٨.

وروى أيضاً محمد بن مسلم عن أحدهما (الباقر أو الصادق) انه سئل عن صيد الحيتان وان لم يسم عليه، فقال: ((لا بأس به إن كان حياً أن تأخذه)) وسئل عن صيد السمك ولا يسمي، قال: ((لا بأس)) (١٠٣).

والأحكام المتعلقة بتذكية السمك:

هناك أحكام عديدة في تذكية السمك، أهمها (١٠٤):

١. لا يشترط في تذكية السمك غير أخذه من الماء حياً، وأبرز مصاديق الأخذ هو الإمساك باليد مباشرة، أو بشبكة الصيد.
٢. لا يشترط ذكر اسم الله في ذكاة السمك، كما لا يشترط كون الآخذ مسلماً.
٣. إذا وجد السمك ميتاً بيد مسلم، فانه يعد مذكى، حتى يثبت خلاف ذلك، ولو وجد ميتاً بيد كافر لم يحل أكله حتى يثبت موته خارج الماء، ولا يكفي قوله وإخباره في إثبات ذلك.
٤. إن قطع السمك قبل أن يموت أو شواه وهو حي، فلا إشكال فيه.
٥. إذا جمع السمك في وعاء داخل ماء ثم يتم تفريغ الوعاء من الماء حق يموت السمك فيه، فهو حلال.
٦. إن مات السمك بعد وقوعه في الشبكة بسبب ضيق مجال الحركة أو أي سبب آخر، فالأحوط الاجتناب، وإن كان للقول بحليته وجه.
٧. فلو أُلقي في الماء مادة سامة أدت إلى موت ما في الماء ثم أخرج ميتاً لم يحل أكله.
٨. كما انه لو خرج السمك بطغيان الماء أو حالة المد والجزر ميتاً لم يجز تناوله، إلا أن يكون قد أخذها قبل أن تموت، حيث يصدق عليه التذكية.

المطلب الثالث: التذكية بالصيد واللحوم المستوردة

الفرع الأول: التذكية بالصيد

وهو إزهاق روح الحيوان بواسطة الصيد على وجه يحل أكلها، ويتحقق بآلات خاصة في نظر الشريعة، وهذه الآلات إما أن تكون حيواناً أو غيره (١٠٥)؛ لذا لا يعتبر الصيد تذكية شرعاً، إلا إذا كان بواسطة أحد الأمرين:

أولاً: كلب الصيد

من المعروف بين فقهاء الإمامية انه لا يصح الصيد الحيوان إلا بالكلاب المعلمة، فما أخذه الكلب المعلم وجرحه، وأدركه صاحبه ميتاً، أو في حالة حركة المذبوح يحل أكله، ويقوم إرسال الصائد وجرح الكلب

١٠٣- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤/ ص ٧٣.

١٠٤- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٧٦؛ الموسوي، محسن، صيد البحر تذكيته وما يحل منه، مجلة فقه أهل البيت، العدد

٣٩، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص ١٧.

١٠٥- ينظر العبيدي، الصيد والتذكية في الشريعة الإسلامية، ص ٥٠٧.

للحيوان - في أي موضع كان - مقام الذبح المقدور عليه ^(١٠٦)، والكلب إنما يكون معلماً إذا توفرت فيه شروط ثلاثة وهي ^(١٠٧):

١. أن يسترسل إذا أرسله صاحبه.
 ٢. أن ينزجر بزجره، أي يتوقف عن الاسترسال إذا زجر عنه.
 ٣. أن لا يأكل ما يحسكه على وجه الغلبة والاعتقاد.
- وبالإضافة إلى ما تقدم هناك شروط أخرى في وقوع التذكية بواسطة كلب الصيد، وهذه الشروط هي ^(١٠٨):

١. أن يرسل الصائد الكلب بقصد الصيد، أما إذا انطلق الكلب تلقائياً وصاد حيواناً وقتله، لم يكن مقتولاً حلالاً.
٢. أن يكون الصائد مسلماً أو من يكون بحكم المسلم كالصبي الملحق بالمسلم.
٣. أن يذكر الصائد اسم الله عند إرسال الكلب للصيد، فإذا تعدد ترك التسمية فلا يحل الصيد، أما ترك التسمية نسياناً فلا يضر.
٤. أن يستندون في موت الحيوان إلى جرحه بواسطة الكلب، أما إذا مات بسبب آخر مثل ارتطامه بصخرة، أو سقوطه من ارتفاع، أو إعيائه من المطاردة وما شاكل، فلا يصل.
٥. لا تشترط وحدة الصائد ولا وحدة كلب الصيد.
٦. لو أرسل الصائد كلبين أحدهما مدرب والآخر غير مدرب لم يحل صيدهما.
٧. لا يكون الصيد مذكى إذا تم اصطاده وقتله بواسطة حيوانات الصيد من غير الكلب، كالفهد والنمر وطيور الصيد الجارحة.

ثانياً: آلات الصيد

- الاصطياد بالآلات هو الآخر من أسباب تذكية الحيوانات القابلة للذكاة، وهي على امرين:
١. أما أن يكون سلاحاً سواء كان قاطعاً (كالسيف، والخنجر، والسكين وما أشبه) أو خارقاً (كالرمح، والسهم، والنشاب، وبنديقيات الصيد الحديثة) ^(١٠٩)، وفي هذه الحالة لا يشترط القطع أو الحرق حتى يحل الصيد، فإذا رمى حيواناً بسلاح فقتله ولكن دون أن يترك فيه أثراً ظاهراً من جرح أو قطع أو خرق، حل الصيد ^(١١٠).

١٠٦- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٦٣.
 ١٠٧- ينظر الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة، ط ١، ١٤١٥هـ، م/ باقري، ن/ مجمع الفكر الإسلامي، قم، إيران، ج ١/ ص ٩٧.
 ١٠٨- ينظر الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، للأطعمة واحكام الصيد والذبائح، ط ١، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م): مكتبة المعارض، الرياض، السعودية، ص ١٧٩-١٨٠.
 ١٠٩- ينظر العبيدي، الصيد والتذكية في الشريعة الإسلامية، ص ٥٠٨.
 ١١٠- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٦٧.

٢. وأما أن تكون الآلة خارقة ولو لم تكن سلاحاً، فيشترط في هذه الحالة أن تخرق الآلة الصيد حتى يكون حلالاً، أما إذا قتلته بثقلها دون أن تخرقه وتدميه، فلا يحل^(١١١).
- ومن شروط الصيد بالآلة، إذ يشترط في تذكية الصيد بالآلة ما اشترط في صيد الكلب، وهي بإيجاز^(١١٢):
 ١. ذكر اسم الله عند استخدام الآلة.
 ٢. أن يكون الصائد مسلماً - حسب المشهور بين الفقهاء والموافق للاحتياط.
 ٣. أن يكون استخدام الآلة بقصد الاصطياد حسب قول المشهور وهو أحوط، فلو رمى هدفاً آخر فأصاب حيواناً مأكول اللحم فقتله لم يحل.
 ٤. أن لا يقدر الصائد على ذبحه إن أدركه حياً، بل يكون قد قتل أو يكون في الرمي الأخير من حياته.
 ٥. أن يستند موت الصيد إلى آلة الصيد فقط وليس بفعل عامل آخر أو بمساعدته، فلو رمى الصيد بالآلة فسقط الصيد من شاهق ومات بسبب السقوط وحده، أو بسبب السقوط والآلة معاً، لم يحل.

الفرع الثاني: اللحوم المستوردة

ذكرنا فيما مضى من البحث انه لا بد من توفر ضوابط وشروط في التذكية بحيث يكون ذبحها مستكملاً شروط إباحتها للأكل حسبما ذكره أهل العلم في باب التذكية، فإذا تخلفت شروط التذكية عن ذبح الذبيحة، وذبحت بطريقة غير شرعية، فإن أكلها غير مباح ومحرم، لذا فلا بد لنا من الاطمئنان على توفر هذه الضوابط والشروط في الذبائح التي تورد إلى بلاد المسلمين من الدول غير الإسلامية بما تسمى (باللحوم المستوردة)^(١١٣).

فلا حاجة للبحث عن حكم اللحوم المستوردة من البلاد الإسلامية التي تكون لحومهم بأيديهم يتصرفون فيها ويستعملونها فيما يشترط فيه الطهارة، حيث يكون الحكم هو حلية الأكل كما هو واضح^(١١٤).

وقد وردت بعض الروايات حول هذا الموضوع، ومنها:

موثقة إسحاق بن عمار عن الإمام الكاظم -عليه السلام- انه قال: ((لا بأس بالصلاة في الفراء اليماني وفيما صنع في ارض الإسلام، قلت: فان كان فيها غير أهل الإسلام؟ قال-عليه السلام-: إذا كان الغالب عليها المسلمون فلا بأس))^(١١٥).

وسئل الامام الباقر -عليه السلام- عن شراء اللحوم من الأسواق ولا يدري ما صنع القصابون، فقال: ((كل إذا كان ذلك في سوق المسلمين، ولا تسأل عنه))^(١١٦).

ونستنتج مما تقدم من الروايات، أن يحكم بعدم التذكية لما وجد في يد الكافر وان كان في ارض المسلمين، وكذا الحكم في اللحم المأخوذ من يد مجهول الحال في غير المسلمين، فكل مشكوك الذبح اذا لم توجد قرينة

١١١- ينظر الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة، ط ١، ١٤١٥ هـ، م/ باقري، ن/ مجمع الفكر الإسلامي، قم، إيران، ج ١/ ص ٩٨.

١١٢- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٦٨.

١١٣- ينظر الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر، ج ٢، ص ٢٦٣.

١١٤- ينظر المدرسي، فقه المصالح العامة، ص ٩٨.

١١٥- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤/ ص ٨١.

١١٦- المصدر نفسه.

يد المسلم الدالة على الحلية يحكم فيه بأصالة عدم التذكية، ولا نرى ضرورة للتنبيه على إن هذا الحكم ليس مختصاً باللحوم، بل يجري في الشحوم والجلود أيضاً، فيكون الحكم فيها جميعاً هو الحرمة وعدم جواز الصلاة في الجلود^(١١٧).

الخاتمة

وفي نهاية المطاف لا يسعني إلا أن أحمد الله تعالى على توفيقه لي في إتمام هذا البحث حيث لكل بداية نهاية، وخير العمل ما حسن آخره وخير الكلام ما قل ودل، وبعد هذا الجهد المتواضع أتمنى أن أكون موفقاً في سردي للعناصر السابقة سرداً لا ملل فيه، واليكم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

أولاً: النتائج

١. الذكاة: هي إزهاق روح الحيوان بالطريق المشروع الذي يجعل لحمه حلالاً للمسلم.
٢. طرق التذكية الشرعية ثلاثة: الذبح والنحر والعقر.
٣. للذكاة الشرعية شروط وأداب يجب توافرها حتى تكون صحيحة.
٤. إنَّ محل الذبح هو الحلق ومحل النحر هو اللبة.
٥. الأصل في الذبح في الشريعة الإسلامية أن يكون بدون صعق أو تدويخ، لما في ذلك من إيلاء لذبيحته، ولأن طريقة الإسلام هي الأمثل رحمة بالحيوان، وإحساناً لذبيحته، وتقليلاً من معاناته، وعليه فلا يجوز الخروج عن هذا الأصل.
٦. يجوز أكل لحوم الحيوانات التي تم تذكيته بالطرق الحديثة إذا توافرت الشروط التي تؤكد عدم موت الذبيحة قبل تذكيته.
٧. لا بأس باستخدام الآلات الميكانيكية في التذكية، ما دامت شروط التذكية الشرعية قد توفرت.
٨. لا بأس في استخدام كلب الصيد في التذكية، بشرط أن يكون الكلب معلماً، بالإضافة إلى توفر الشروط التي تتعلق بهذه الطريقة.
٩. لا بأس في التذكية بآلات الصيد، لكن بشرط توفر الشروط الشرعية للتذكية بها.
١٠. الحكم بعد التذكية لما وجد في يد الكافر وإن كان في أرض المسلمين، وكذا الحكم في اللحم المأخوذ من يد مجهول الحال في غير سوق المسلمين.

ثانياً: التوصيات

١. متابعة طرق الذبح الحديثة في ضوء ما يجد من تقدم علمي وتكنولوجي ومراجعة الأحكام التي اتخذت بشأنها من قبل.
٢. إنشاء هيئات متخصصة يتكون أعضاؤها من كل من له صلة بموضوع الذبح من علماء دين وطب وتربية الحيوان وغيرهم للإشراف على المذابح للتأكد من تحقق التذكية الشرعية في الذبائح.

٣. وعلى الدول الإسلامية إلزام الجهات القائمة بالذبح باستخدام الوسائل التي تحقق التذكية الشرعية على الوجه الأمثل.
٤. على الحكومات الإسلامية السعي لدى السلطات غير الإسلامية التي يعيش في بلدها المسلمون، لتوفر لهم فرص الذبح بالطريقة الشرعية.
٥. العمل على تنمية الثروة الحيوانية في البلاد الإسلامية لتحقيق الاكتفاء الذاتي، والاقتصاد ما أمكن على البلاد الإسلامية في استيراد اللحوم.
٦. استخدام طرق الذبح الحديثة كالصعق الكهربائي وغيره تكون من قبل مسلم مدرب على استخدام هذه الطريق.
٧. عدم استخدام الأدوات التي تصعق بها الحيوانات المحرمة كالحنازير - في الدول غير المسلمة - في صعق الحيوانات الحلال.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأردبيلي، احمد المقدس (ت ٩٩٣ هـ): مجمع الفائدة والبرهان، ت. ح آغا مجتبي العراقي وآخرون، ط ١، ١٤١٤ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
٢. الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة، ط ١، ١٤١٥ هـ، م/ باقري، ن/ مجمع الفكر الإسلامي، قم، إيران.
٣. ابن إدريس الحلبي، أبي جعفر محمد بن منصور بن احمد (ت ٥٩٨ هـ): السرائر، ط ٢، ١٤١٠ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
٤. الجواهري، حسن، بحوث في الفقه المعاصر، ط ١، ١٤١٩ هـ، م/ أمين، ن/ جواد الأئمة، قم، إيران.
٥. الجواهري، محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦ هـ): جواهر الكلام في شرائع الإسلام، ت. ح محمود القوجاني، ط ٣، ١٣٦٩ هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.
٦. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ): وسائل الشيعة، ط ٢، ١٤١٤ هـ، م/ مهر، ن/ مؤسسة آل البيت - (عليه السلام) - لإحياء التراث، قم، إيران.
٧. الحكيم، رياض، دروس منهجية في الفقه الإسلامي، ط ٣، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م): م/ ستارة، ن/ دار الهلال.
٨. الحلبي، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦ هـ): المختصر النافع، ط ٣، ١٤١٠ هـ، مؤسسة البعثة، قم، إيران.
٩. الحلبي، أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦ هـ): قواعد الأحكام، ط ١، ١٤١٩ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
١٠. الخوئي، أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣ هـ): المسائل المنتخبة، مؤسسة الامام الخوئي الإسلامية.
١١. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م): دار صادر، بيروت، لبنان.

١٢. السيستاني، علي الحسيني، المسائل المنتخبة، ط ٣، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م): م/ مهر، ن/ مكتب السيد السيستاني، قم، إيران.
١٣. السيستاني، محمد رضا، بحوث فقهية، ط ١، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م) دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان.
١٤. الطريحي، فخر الدين (ت ١٠٨٥ هـ): مجمع البحرين، ت. ح: احمد الحسيني، ط ٢، (١٤٠٨ هـ - ١٣٦٧ هـ): المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران، إيران.
١٥. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ): النهاية، قدس محمدي، قم، إيران.
١٦. العاملي، زين الدين بن علي (ت ٩٦٥ هـ)، مسالك الإفهام، ط ١، ١٤١٧ هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران.
١٧. العاملي، محمد بن جمال الدين مكي (ت ٧٨٦ هـ): اللمعة دمشقية، ط ١، ١٤١١ هـ، دار الفكر، قم، إيران.
١٨. العبيدي، عبد الحميد حمد شهاب، الصيد والتذكية في الشريعة الإسلامية، (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) م/ اليرموك، ن/ ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، العراق.
١٩. العبيدي، عبد الحميد حمد شهاب، الصيد والتذكية في الشريعة الإسلامية، (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) م/ اليرموك، ن/ ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، العراق.
٢٠. العثماني، محمد تقى، بحوث في قضايا فقهية معاصرة، ط ١، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م): دار القمر، دمشق، سوريا.
٢١. الفاضل الهندي، بهاء الدين محمد بن الحسين بن محمد الأصفهاني (ت ١١٧٣ هـ): كشف اللثام، ١٤٠٥ هـ، ري قمري، قم، إيران.
٢٢. الفراقي (ت ١٢٤٥ هـ): مستند الشيعة، مؤسسة الامام الضوئي الإسلامية، ج ٢، ص ٤٥٢.
٢٣. الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، للأطعمة وأحكام الصيد والذبائح، ط ١، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م): مكتبة المعارض، الرياض، السعودية.
٢٤. الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨ هـ)، الكافي، ت. ح علي أكبر الغفاري، ط ٣، ١٣٦٧ هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.
٢٥. مجمع الفقه الإسلامي، التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية، ط ١، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م): ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٦. المدرسي، محمد تقى، فقه المصالح العامة، ط ١، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م): ن/ مصباح الحسين - عليا، قم، إيران.
٢٧. المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ): المقنعة، ط ٢، ١٤١٠ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
٢٨. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ): لسان العرب، ط ٢، ١٤١٢ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٩. مؤتمر رابطة العالم الإسلامي وآخرون، المهدي الصحي، (١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م): الإسكندرية، مصر.

٣٠. الموسوي، محسن، صيد البحر تذكّيته وما يحل منه، مجلة فقه أهل البيت، العدد ٣٩، (١٤٢٦ هـ — ٢٠٠٥ م).

٣١. النوري، حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ): مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ط ٢، (١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م): مؤسسة آل البيت - إحياء التراث.

المقدرات الجوهرية ودورها في بناء المنظمة المتعلمة (دراسة تحليلية لآراء اعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار)

The Core Capabilities and Their Role in Building the Learning organization (An Analytical Study of the Views of College Board members in Thi Qar University)

أ.د. ميثاق هاتف الفتلاوي ^(١) Prof. Mithaq Hatif Al-Fatlawi

م.م. اسحاق ناصر حسين ^(٢) Assist. Lect. Isshaq Nassir Hussein

المستخلص

يهدف البحث الى الكشف عن العلاقة والاثـر بين المقدرات الجوهرية وخصائص المنظمة المتعلمة، من خلال تساؤل هو ما مدى تأثير المقدرات الجوهرية في تعزيز خصائص المنظمة المتعلمة؟، ولأجل ذلك وضع مخطط فرضي يعبر عن اثنين من الفرضيات الرئيسة، وللتأكد من صحة الفرضيات خضعت جميعها لاختبارات متعددة، وقد تم استخدام الباحث الاستبانة كوسيلة للحصول على البيانات. اما منهج البحث فقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي كمنهج للبحث. في حين تكون مجتمع البحث من (١٤٦) عضو مجلس كلية، من كليات جامعة ذي قار، وطبق البحث العينة العمدية القصدية وقد حصل على (١٤١) استبانة صالحة للتحليل اي بنسبة (٩٦%) من مجتمع البحث الكلي. واعتمد الباحث في القياس مجموعة من وسائل الاحصاء الوصفي (التكرارات، النسب المئوية، الوسط الحسابي الموزون، الانحراف المعياري، الالهمية النسبية، مصفوفة الارتباط البسيط وتحليل الانحدار المتعدد وكذلك الاحصاء الاستدلالي (معامل الارتباط بيرسون، معامل التفسير)، واستخدام الصدق الظاهري، بواسطة البرنامج (SPSS V.23). ومن ابرز الاستنتاجات التي توصل اليها ان كليات جامعة ذي قار قيد الدراسة تبدي اهتماما كبيرا بالمقدرات الجوهرية بوصفها عنصراً مؤثراً في تعزيز خصائص المنظمة المتعلمة. أما أهم التوصيات التي جاء بها البحث هي تعزيز

١- كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة كربلاء.

٢- كلية الاداب/ جامعة ذي قار.

الاستفادة من الخبرة والمعرفة ومهارات الافراد العاملين بكافة المستويات التنظيمية عند وضع استراتيجيات تتماشى مع البيئة المحيطة بها.
الكلمات المفتاحية: المقدرات الجوهرية، المنظمة المتعلمة، جامعة ذي قار.

Abstract

The aim of the research is to reveal the relationship and impact between the core competencies and the characteristics of the learning organization, The methodology of the research has been asked to ask the question: What is the extent to which fundamental capabilities impact the enhancement of the characteristics of learning organization?. To that end, a hypothetical scheme was developed that reflected two of the main hypotheses. To verify the validity of the hypotheses, they were subjected to multiple tests. The research used the questionnaire as a means of obtaining data. The research methodology used the descriptive analytical method as a research method. The research community is (146) members of the Faculty Council, from the faculties of the University of Thi-Qar. Applied research sample was purposively intentionality obtained (141) questionnaire valid for analysis at a rate (96%) of the total research community. The research used a set of descriptive statistics (sequence, Percentages, weighted averages mean, standard deviation, Relative importance, Simple correlation matrix, multiple regression analysis), As well as the explanatory statistic (Pearson correlation coefficient, interpretation coefficient), The use of virtual honesty, As well as the use of statistical programs (SPSS V.23). One of his most striking conclusions is that the colleges of the University of Thi-Qar under study show great interest in core competencies as an influential element in enhancing the characteristics of learning organization. The main recommendations of the research are to enhance the use of the expertise, knowledge and skills of individuals working at all organizational levels when developing strategies in line with the frustrating environment..

المقدمة

في الوقت الذي أصبحت فيه المقدرات الجوهرية أساس بناء المنظمات وذات الصلة المباشرة بالمستقبل، سعت العديد من هذه المنظمات على مختلف انشطتها جاهدة في محاولة خلق مقدرتها الجوهرية من خلال الطريقة أو الكيفية التي تمكنها من تحقيق المزيج الفعال لمختلف مواردها، وذلك من اجل توليد قيمة لعملائها تفوق ما قد يصل اليه منافسوها، بالطريقة التي يصعب عليهم تقليدها وتساهم بطرح منتجات جديدة تتيح امكانية الدخول الى عدد من الاسواق المتنوعة. ولكي تتمكن المنظمات من تحقيق رسالتها واهدافها في البيئة التي تعمل فيها، لابد من أن يتوفر فيها عدد من المقدرات الجوهرية التي تتطلب مهارات وخبرات مختلفة، بالشكل الذي يتفق مع قيمها وثقافتها، وهنا يبرز دور المقدرات الجوهرية، وكيفية بنائها واستخدامها

المقدرات الجوهرية ودورها في بناء المنظمة المتعلمة (دراسة تحليلية لآراء أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار) كونهما إحدى المقدرات التي تقوم بدعم وإسناد المنظمات لتحقيق أهدافها. لذا فالمقدرات الجوهرية براعة متأصلة في المنظمات تمكنها من تقديم قيمة فريدة للعملاء. ولا سيما كيفية تنسيق مهارات الإنتاج المتنوعة، والمقدرات الجوهرية تخلق ميزة تنافسية مستدامة للمنظمة وتساعد على الاندماج في مجموعة واسعة من الأسواق ذات الصلة. وتساهم أيضاً بشكل كبير في الفوائد التي تقدمها منتجات المنظمة للعملاء.

أولاً: المنهجية العلمية للبحث

١. مشكلة البحث

تُعدُّ المقدرات الجوهرية من الآليات المهمة التي تُمكن من تعزيز خصائص المنظمة المتعلمة في ظل بيئة الأعمال الحالية التي تتسم بسرعة التغيرات الحاصلة فيها، حيث تعد المقدرات الجوهرية من المرتكزات الأساسية التي تستطيع من خلالها المنظمات تحقيق ميزتها وبالتالي تحسين عملياتها الإنتاجية، لذا فإن مشكلة البحث التي تتمحور حول تأثير المقدرات الجوهرية في تعزيز خصائص المنظمة المتعلمة وترتبط بصورة عامة بمدى إلمام ومعرفة بعض منظماتنا بطبيعة هذه الإشكالية وأبعادها في المنظمة المبحوثة في كليات جامعة ذي قار، وبشكل عام يمكن التعرف على مضمون المشكلة الحالية لهذا البحث من خلال التساؤل الآتي:- ما مدى تأثير المقدرات الجوهرية في تعزيز خصائص المنظمة المتعلمة؟ واستناداً إلى المشكلة أعلاه انبثقت جملة من التساؤلات وهي:-

١. ما مستوى توافر المقدرات الجوهرية في كليات جامعة ذي قار؟
٢. ما مستوى توافر خصائص المنظمة المتعلمة في كليات جامعة ذي قار؟
٣. ما مستوى واتجاه علاقة الارتباط بين المقدرات الجوهرية من وجهة نظر أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار؟
٤. ما مستوى واتجاه علاقة الارتباط بين المقدرات الجوهرية وخصائص المنظمة المتعلمة من وجهة نظر أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار؟
٥. ما مستوى تأثير المقدرات الجوهرية في تعزيز خصائص المنظمة المتعلمة من وجهة نظر أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار؟

٢. أهمية البحث

- تبرز أهمية البحث في الجانبين العلمي والعملية كالآتي:
- الأهمية العلمية: يحتوي الجانب النظري من خلاصة لأفكار الباحثين وإسهامهم في مجال تشخيص العلاقة بين متغيرات البحث وقد أولى الباحث اهتمامه بهذا الجانب أصالة المراجع وحداثها.
 - الأهمية العملية: يكتسب البحث أهميته من خلال التركيز على الأعمال القيادية لفئة مهمة في المجتمع العراقي، حيث لا تجد هذه الأعمال القدر الكافي من اهتمام الباحثين العراقيين على حد علم الباحث.

٣. اهداف البحث

استرشاداً بمشكلة البحث وتساؤلاتها وانسجاماً مع الاهتمامات التي أظهرتها الأدبيات لدور المقدرات الجوهرية في تعزيز خصائص المنظمة المتعلمة في المنظمات، يسعى البحث الحالي إلى تحقيق جملة من الأهداف وعلى النحو الآتي:

أ. اجراء تحليل للأدبيات التي تناولت متغيرات الدراسة الرئيسية والمتمثلة بالمقدرات الجوهرية والمنظمة المتعلمة.

ب. عرض ودراسة وتفسير طبيعة علاقات الارتباط بين متغيرات الدراسة في العينة المبحوثة.

ت. عرض ودراسة وتفسير طبيعة علاقات التأثير بين متغيرات الدراسة في العينة المبحوثة.

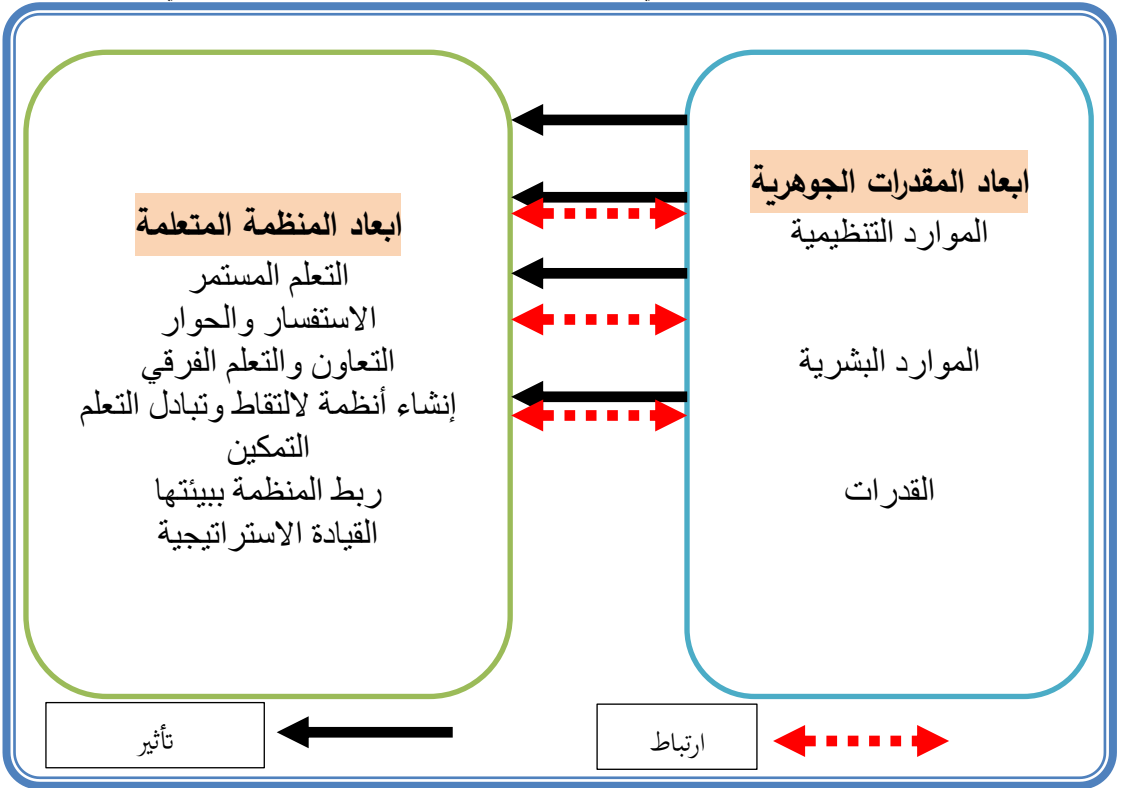
ث. تحديد المقومات والقدرات التي يجب توفرها في بيئة العمل التنظيمي لترسيخ أسس ومبادئ المنظمات المتعلمة فيها.

ج. معرفة مدى استعداد الادارات العليا وقدرتها لتفعيل ابعاد المقدرات الجوهرية في قطاع التعليم العالي والبحث العلمي.

ح. الاستفادة من النتائج التي تم الحصول عليها من علاقات الارتباط والتأثير والاعتماد عليها والخروج باستنتاجات عملية وتقديم التوصيات لأعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار خدمة لقطاع التعليم العالي العراقي.

٤. انموذج البحث الفرضي

تم تصميم النموذج الفرضي للبحث على وفق ما جاء من مسح للنتاجات الفكرية للأدبيات العلمية الرصينة ذات الصلة بمتغيرات البحث الرئيسة والفرعية، حيث يقدم المخطط صورة معبرة عن فكرة البحث، واستناداً إلى أهمية وأهداف البحث سيتم صياغة مجموعة من الفرضيات وهي كما موضحة في النموذج الفرضي أدناه.



الشكل (١) مخطط البحث الفرضي

٥. فرضيات البحث

١. الفرضية الرئيسة الاولى: توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية معنوية بين المقدرات

الجوهرية والمنظمة المتعلمة وتنطبق منها الفرضيات الفرعية الآتية:

أ. توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية معنوية بين الموارد التنظيمية والمنظمة المتعلمة بأبعادها مجتمعة.

ب. توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية معنوية بين الموارد البشرية والمنظمة المتعلمة بأبعادها مجتمعة.

ج. توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية معنوية بين القدرات والمنظمة المتعلمة بأبعادها مجتمعة.

٢. الفرضية الرئيسة الثانية: توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية معنوية بين المقدرات

الجوهرية والمنظمة المتعلمة وتنطبق منها الفرضيات الفرعية الآتية:

أ. توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية معنوية بين الموارد التنظيمية والمنظمة المتعلمة على المستوى الكلي.

ب. توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية معنوية بين الموارد البشرية والمنظمة المتعلمة على المستوى الكلي.

ج. توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية معنوية بين القدرات والمنظمة المتعلمة على المستوى الكلي.

ثانياً: المقدرات الجوهرية

أ. مفهوم المقدرات الجوهرية

ان المقدرات الجوهرية تنشأ من الطريقة التي تستخدم بها المنظمة قدراتها ومواردها بشكل أكثر فعالية من منافسيها (Evans,2015:100). واطهر كل من (Barney&Hesterly,2015:219) بأن المقدرات الجوهرية هي مجموعات معقدة من الموارد والقدرات التي تربط الاعمال التجارية المختلفة في المنظمة من خلال الدراية التقنية والفنية والخبرة. في حين اكد كل من (Rothaermel,2015:99)، (Brennan&Sisk,2015:58)، (Wright et al,2007:86)، (Rainey,2010:290)، (Rothaermel,2017:108-109) ان المقدرات الجوهرية هي نقطة قوة فريدة من نوعها، وهي جزء لا يتجزأ من عمل المنظمة، والتي تسمح بتمييز منتجاتها وخدماتها عن منتجات وخدمات منافساتها، مما يؤدي إلى خلق قيمة أعلى للزبون أو تقديم منتجات وخدمات ذات قيمة مماثلة بتكلفة أقل. وأشار (de Kluyver&Pearce,2015:102) الى ان المقدرات الجوهرية تمثل قدرات على مستوى عالمي تمكن المنظمات من بناء ميزة تنافسية. وتشير المقدرات الجوهرية إلى أن المنظمات تتنافس بناءً على قدرات معينة تقوم من خلالها بإنشاء منتجات وخدمات متباينة يقيّمها العملاء (Williams,2016:220). بينما اوضح (Clausewitz,Carl von,2016:79) بأن المقدرات الجوهرية قد تكون قدرات استنتجت من خلال دراسة النجاح المتكرر، وخاصة النتائج غير المتوقعة. واكد (Hitt et al,2016:16) ان المقدرات الجوهرية تمثل الوضع التنافسي للمنظمة وتعكس واقعها. بينما عرفها (Cordon et al,2016:21) هي تحول النظر من الخارج في الصناعة والتخطيط إلى الداخل من أجل فهم نقاط قوة المنظمة وتحقيق أقصى قدر لها. في حين اظهر (Küng,2017:103) ان المقدرات الجوهرية هي سمة تنظيمية مميزة تخلق ميزة تنافسية مستدامة وتوفر منطلقاً للنمو المستقبلي. اما (Luthans&Doh,2018:557) فيرى ان المقدرات الجوهرية هي رؤية وقيم. اما (Marcus&Cohen,2017:52)، (Laan&Yap,2016:75)، (Rigby,2015:24)، (Dess et al,2014:182)، (Smith,2008:1)، (Pralahad&Hamel,1990:82) فيرون ان المقدرات الجوهرية هي التعلم الجماعي في المنظمات، وخاصة كيفية تنسيق مهارات الإنتاج المتنوعة. اما (Ringlstetter,2018:108) فقد اوضح ان المقدرات الجوهرية هي المقدرات التي نحصل عليها من خلال التواصل والمشاركة والالتزام العميق بالعمل عبر الحدود التنظيمية. اما (Singh& Singh,2019:23) فقد وصف المقدرات الجوهرية بأنها تحسين القدرة على التعلم وذلك من خلال كيفية تنسيق المهارات والمعارف وتشجيع عمل الفريق. وعلى هذا الاساس يمكن تعريف المقدرات الجوهرية بأنها قدرة فريدة تكتسبها المنظمة من مؤسسيها ولا يمكن تقليدها بسهولة. والتي تمنح المنظمة ميزة تنافسية في خلق القيمة وتقديمها لعملائها في مجالها المختار.

ب. ابعاد المقدرات الجوهرية

تزايد الاهتمام بالمقدرات الجوهرية في المنظمات على مختلف احجامها، وذلك لدورها الفعال في الحصول على الميزة التنافسية وتحقيق التفوق الاستراتيجي، لذا اختلف الكتاب والباحثون في تسمية وتحديد أبعاد

المقددرات الجوهرية ودورها في بناء المنظمة المتعلمة (دراسة تحليلية لآراء أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار) واضحة للمقددرات الجوهرية، إذ يرى (Lai & Hwang, 2014:206) أن أبعاد المقدرات الجوهرية تتعلق بالتعاون، الاتصالات، حل المشاكل المعقدة، التفكير الناقد، والإبداع. أما (Agha et al, 2012:192) فقد بين بأن أبعاد المقدرات الجوهرية تتمثل في الرؤية المشتركة والتعاون والتمكين، بينما أوضح (Özbağ, 2013:12) بأن أبعاد المقدرات الجوهرية تصنف إلى الفرد، قابلية التوسع، وقيمة العميل. في حين ذكر (Kak, 2004:13) ثلاثة أبعاد وهي التعلم التنظيمي، رأس المال البشري والمرونة الاستراتيجية، وتناول (Hani & Alhawary, 2009: 98) الموارد الفريدة، نظم المعرفة، القدرات، التسهيلات، والعمليات. وأخيراً اتفق الباحث مع مع الأبعاد التي تناولها (Jabbouri & Zahari, 2014:132) الذي استند بها إلى تصنيف (Harrison & John, 1998) المتمثلة في الموارد التنظيمية، الموارد البشرية، والقدرات. إذ جاء الاختيار بسبب تناسب الأبعاد مع موضوع الدراسة وطبيعته الأفراد المستهدفين من الدراسة، فضلاً عن استخدام هذا المقياس من قبل العديد من الباحثين أمثال (Rychen & Salgnik, 2005:4)، (Branzei & Thornhill, 2006:11)، (Goel, 2007:41)، (Ljungquist, 2008:1-2)، (Jelassi & Enders, 2008)، (Vincent & Focht, 2009:166).

١. الموارد التنظيمية

أنسب نظرية لتفسير الموارد التنظيمية هي نظرية العرض المستند إلى الموارد. إذ تقوم النظرية بفحص وتصنيف المزايا الاستراتيجية لمنظمة ما مستندة إلى مزيج من القدرات والمهارات والأصول والممتلكات الملموسة (Mwai et al., 2018:1637)، (Othmana et al., 2015:122). والفكرة الأساسية وراء هذه النظرية هي أن المنظمات تختلف في الطرق الأساسية لأن كل منظمة تمتلك بداخلها مجموعة من الموارد الفريدة -الأصول الملموسة وغير الملموسة- والتي تستخدمها القدرات التنظيمية عندئذٍ (Pearce, J. & Pesic, 2013:98). فهذه الموارد والقدرات تمكن المنظمة من تحقيق ميزة تنافسية (M.A., 2007:203). وفي سياق هذه النظرية، من الواضح أن الموارد التنظيمية التي تمتلكها المنظمات تؤثر على عملية التوجيه الاستراتيجي، وهي مهمة بالنسبة للمنظمة لتطوير القدرات من مواردها، والتي تشكل جزءاً من الميزة التنافسية للمنظمة (Ismail et al., 2012: 153). ووفقاً لـ (Barney, 2007) ينص عرض المورد القائم على المورد على أن موارد المنظمة ليست جميعها تحقق أداءً فائقاً ولكن فقط أنواعاً معينة تتحكم فيها المنظمة وتعود ملكيتها لها (Gakenia, 2015:3).

٢. الموارد البشرية

غالباً ما تسعى المنظمات إلى تحقيق النمو والتوسع من خلال تميزها عن غيرها من المنافسين في عدة ميزات تجعلها تحقق التفوق والتقدم عليهم ولعل من أبرز الموارد التي تستطيع المنظمة التميز بها وتحقيق أهدافها هي الموارد البشرية، فالمورد البشري يعد القلب النابض في المنظمة الذي تستطيع به تحقيق ما تصبو إليه والمضي به قدماً، لذا يُعد المورد البشري من الموارد المهمة التي تمتلكها المنظمات، فلا بد من العمل الحثيث والمتواصل لحسن إدارته وتنميته وتطويره لتحقيق أهداف المنظمة وتحسين أدائها وزيادة الانتاجية (كروفر والبلداوي، ٢٠١٣: ١٤٩). وقد تم تعريف مصطلح الموارد البشرية تاريخياً على أنه "وظيفة تنظيمية

تتعلق بالحصول على واستبقاء الافراد الموهوبين، اذ أن هذه الوظيفة لا تزال ضرورية، ويعتقد الباحثون أن المستويات السابقة من الدعم والتفاعل مع الافراد لن تكون كافية في توفير قوة عاملة مؤهلة ومدرية بأعداد كافية لتلبية الاحتياجات المستقبلية مع تكامل أنماط الحياة الشخصية مع التكنولوجيا، لذا يجب أن يتلاءم مكان العمل بشكل أفضل مع أنماط الحياة تلك لكي ينجح. ويتطلب ذلك توسيع نطاق ما تعنيه الموارد البشرية للمستقبل ليس وظيفة، بل هو نظام تفاعلي للاحتياجات على المستوى التنظيمي والفردى (Marren et al.,2018:5). والموارد البشرية هي موارد قيّمة ونادرة وغير قابلة للاستبدال تسهم في الميزة التنافسية الحقيقية (Hitt et al,2001:13).

٣. القدرات

تعرف القدرات على أنها مهارات المنظمة التي تنسق بين موارد المنظمة ووضعها قيد الاستخدام الانتاجي، وتكمن في القواعد التنظيمية، اي الاسلوب الذي تعتمد المنظمة في اتخاذ القرارات وادارة العمليات الداخلية لتحقيق اهدافها (هل وجونز، ٢٠١٠: ١٨٥). في حين عرف (جرينبرغ وباون، ٢٠٠٩: ١٤٧) القدرات على انها الافكار المعقدة التي يمتلكها الافراد والتي تتيح لهم التكيف مع البيئة والتصرف بحكمة في مختلف لمواقف والقدرة على حل المشاكل. وتجمع المنظمة بين موارد فردية ملموسة وغير ملموسة لإنشاء القدرات. في المقابل، يتم استخدام القدرات لإكمال المهام التنظيمية المطلوبة لإنتاج السلع والخدمات التي تقدمها المنظمة للعملاء من أجل خلق قيمة لهم (Hitt,2017:88).

ثالثاً: المنظمة المتعلمة

أ. مفهوم المنظمة المتعلمة

يشير بعض الباحثين الى ان مفهوم المنظمة المتعلمة يتعلق بتوفير فرص التعلم المستمر، واستخدامه في تحقيق الأهداف وربط أداء الفرد بأداء المنظمة، وتشجيع البحث والحوار والمشاركة والأبداع، كمصدر للطاقة والقدرات والتجديد والتفاعل مع البيئة (Calvert,1994:12) الا ان باحثين اخرين يرون بأنها ممارسة المنظمات لنشاطها ومهامها في إطار عملياتها المعرفية المستمرة والناجمة عن عدم الثبات والاستقرار النسبي لبيئاتها، فتحاول بموجب ذلك امتلاك مجموعة من الموارد والقدرات على الرغم من أنها تعلم جيداً أن تلك الموارد والقدرات متغيرة في خواصها، مما ينعكس بوجود المنظمة وبقائها وكذلك اختلاف نتائجها، فالتعلم يعد مفتاحاً حاسماً في بقاء المنظمة عندما تحدث التغييرات بسرعة، فالتعلم هو عملية لخلق معرفة جديدة، ومن ثم تنقيح ودمج هذه المعرفة باستمرار كرد على التغييرات (Moustaghfir&Schiuma,2013:502). او قد يكون التعلم نشاط أو عملية اكتساب المعرفة أو المهارة من خلال الدراسة، أو التدريب، أو التدريس، أو تجربة شيء ما (Sarder,2016:14). ويصف (AL-Adaileh,etal,2012:485) ان المنظمة المتعلمة هي نظام مفتوح يتم دعمه من خلال استراتيجيات التعلم التنظيمي وتطويرها على نحو استباقي للتنافس في البيئة وتحول ذاتها بسهولة للتعامل مع هذه التغييرات، وتمتلك مزيجاً غير عادي من النظم والعمليات المترابطة من خلال الافراد، الديناميكيات وتأثيرات التعلم التنظيمي لتصبح كفاءات المنظمة مميزة لتؤمن موقفها في المستقبل وللحفاظ على ميزتها التنافسية. في حين اوضح (Graupp, et al,2014:172) ان المنظمة المتعلمة

المقدرات الجوهرية ودورها في بناء المنظمة المتعلمة (دراسة تحليلية لآراء أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار) هي منظمة يتمتع فيها الافراد العاملون بالقدرة على تجميع المعرفة الضمنية والصريحة في بيئة العمل الخاصة بهم من خلال إدراك ملائمة المعرفة الضمنية وقيمتها وأن تطبيق إدارة المعرفة يضيف قيمة في الإنتاج، ومن خلال هذه المعرفة تبدأ المنظمات في تعلم المفهوم والانعكاسات على إدارة المعرفة فعلياً بطريقة منهجية ومدروسة. وان تطوير المنظمة المتعلمة يمكن أن ينشئ ويحافظ على عمليات قوية وقابلة للتحويل. وعرفها (Sarder,2016:14) بأنها المنظمة التي تخلق مناخا يساعد الافراد في الاستمرار بزيادة قدرتهم على خلق النتائج التي يرغبون فيها حقاً، حيث يتم تغذية أنماط تفكير جديدة وموسعة، وإطلاق الطموح الجماعي. وبين (Tesavrita, Suryadi,2016:3) بان المنظمة المتعلمة هي منظمة ماهرة في إنشاء المعرفة واكتسابها ونقلها، ومن ثم تعديل عملياتها لتعكس تلك المعرفة الجديدة.

ب. ابعاد المنظمة المتعلمة

ركزت معظم المفاهيم الخاصة بالمنظمة المتعلمة على أهمية الحصول على المعرفة وتطويرها ونقلها وتسهيل التعلم الفردي والجماعي، وعكس عملية التعلم هذه على سلوك وممارسات المنظمة المتعلمة وأفرادها، ولكي تصبح المنظمات متعلمة او تسير باتجاه عملية التعلم لا بد من توفر سبعة ابعاد اساسية، لذا الباحث اعتمد على الابعاد التي تناولها (Nthurubele,2011:141). والتي تمثلت بـ(التعلم المستمر، الاستفسار والحوار، التعاون والتعلم الجماعي، إنشاء أنظمة للتقاط وتبادل التعلم، التمكين، ربط المنظمة ببيئتها، والقيادة الاستراتيجية) ويرجع سبب اختيار الباحث لهذه الابعاد، كونها تتلاءم مع طبيعة الدراسة والمنظمة المبحوثة من جهة ومن جهة أخرى ان اغلب الباحثين تناولوا هذه الابعاد وانفقوا عليها امثال (Gijzel,2015:20)، (Song& Joo,)، (Ambula et al., 2016:98)، (Dekouloua& Trivellasb,2015:368)، (Rose&)، (2009:56)، (Watkins& Marsick,2004:37)، (Kumar et al, 2016:177)، (Alazmi et al.,2013:524-525)، (Voolaid Karen,2013:486)، (Kumar,2006:320)، (Wu& Haley, 2011:151)، (Ali et al., 2015:2267)، (Wetherington&)، (Daniels,2013:92)، (Mebassana,2014:22)، (Rush, 2011:113).

١. التعلم المستمر

يُعرف (Casanova,2003). التعلم المستمر، والمعروف باسم التعلم مدى الحياة، بأنه التعلم الذي يتألف من جميع أنشطة التعلم التي تتم طوال الحياة، بهدف تحسين المعرفة والمهارات والكفاءات من منظور شخصي أو مدني أو اجتماعي أو للعمل (Eurostat, 2016:9). ويصفه كل من (Nthurubele,2011:13) و(Rush, 2011:113) بأنه تصميم للعمل حتى يتمكن الافراد من تأدية الاعمال أثناء العمل، بحيث يتم توفير الفرص للتعليم المستمر والنمو.

٢. الاستفسار والحوار

وتدعم الثقافة التنظيمية الاستفسار والحوار والتغذية العكسية كي يحصل الأفراد العاملين على مهارات ليعبروا عن وجهة نظرهم ويعززوا القدرة على الاستماع والاستفسار ومناقشة وجهات نظر الآخرين (Nthurubele,2011:13).. فالاستفسار والحوار يوحي بان هناك ردود فعل مفتوحة ونزيهة في العملية

التي تتم مناقشتها في المنظمة بطريقة حرة ومحترمة، ويتم الاستماع إلى وجهات نظر الجميع، بما في ذلك وجهات النظر المتضاربة، وتحليلها، والتسلسل الهرمي، وايضا التطلعات نحو خلق الثقة في الافراد شرط مسبق هو الرغبة في فهم الافراد العاملين وإيجاد تحديات وفرص جديدة للمنظمة. ومن أجل الاستفسار والحوار، يجب أن يكون التركيز على الزملاء وليس على النتائج الفردية، ومن المهم تطوير مهارات إجراء الحوار، والمناقشة، والاستماع الفعال، والتغذية الراجعة، والعمل الجماعي (Voolaid Karen, 2013:486).

٣. التعاون والتعلم الفرقي

يساهم التعلم في الفعالية التنظيمية من خلال تمكين الفرق من إنشاء المعرفة بين أعضاء الفريق، وإنشاء المعرفة مع الآخرين خارج الفريق، والتفاعل مع البيئة لتمكين التكيف مع المواقف المتغيرة. اذ يؤدي التعلم الجماعي إلى تحسين الأداء داخل الفريق والذي يتم ترجمته بشكل أكبر إلى الأداء التنظيمي (Kayes&Burnett., 2014:3). ويرى (García-Sánchez, 2016:151) ان التعلم الجماعي يعني مجموع الأنشطة الفردية المختلفة التي يعتمد عليها كل فرد، بحيث يتم مشاركتها ومناقشتها ودمجها وتنظيمها. ويصمم العمل لاستخدام الفرق او المجموعات للوصول إلى طرق تفكير مختلفة، ويتم تشجيع وتثمين التعاون المدعوم من ثقافة المنظمة لكي يتعلم أعضاء الفريق من بعضهم البعض (Nthurubele, 2011:13).

٤. انشاء انظمة لالتقاط وتبادل التعلم

يتم تطوير أنظمة للمشاركة في عملية التعلم، وإدامة هذه الأنظمة وتعزيزها وتكاملها مع العمل، اذ يسمح للأفراد العاملين في المنظمة بالوصول الى هذه الأنظمة ذات التكنولوجيات المتنوعة (Nthurubele, 2011:13). ويرتبط هذا البعد بالمستوى التنظيمي، وهو إنشاء أنظمة تسعى إلى التعلم، وخلق فرص عديدة للاتصال الثنائي ونشر المعلومات على نطاق واسع، واستخدام أدوات إدارة المعرفة والتطلعات نحو إنشاء شبكات المعرفة، ويتم جمع معلومات مهمة للمنظمة بشكل منهجي ويسهل تطبيق المعلومات ليتم سد الفجوات بين النتائج الحالية والمتوقعة (Voolaid Karen, 2013:486).

٥. التمكين

هو كافة المهارات المعرفية والعلمية التي تتوفر عند الافراد العاملين، وتجعلهم قادرين على القيام بالعمل المطلوب منهم بأسلوب مناسب، ويتوافق مع بيئة العمل في المنظمة، وكلما كانت خبرات الافراد كافية كلما ساهم ذلك في زيادة تمكينهم من القيام بأدوارهم الوظيفية بنجاح حيث يسمح للأفراد العاملين في وضع وصياغة وتنفيذ رؤية المنظمة، حيث يتم توزيع المسؤولية بينهم اذ يكون الافراد متحمسين للتعلم فيما يتعلق بما يتحملونه (Nthurubele, 2011:13).

٦. ربط المنظمة ببيئتها

فإن تبادل المعلومات هو تفاعل مهم بين المنظمة وبيئتها ويشكل أساس علاقتهم. وان اهتمام المدراء بربط المنظمة ببيئتها الخارجية يعود الى تأثير عوامل البيئة الخارجية على نشاطات المنظمة وقد يكون هذا التأثير ايجابيا على المنظمة فعليها استغلاله كفرصة متاحة لها واستثمارها، او العكس قد يُعد سلبيا فعليها تجنب التهديد (David, 2001:10). فربط المنظمة بالأبعاد البيئية وفهم الأفراد العاملين لهذه الأبعاد

المقدرات الجوهرية ودورها في بناء المنظمة المتعلمة (دراسة تحليلية لآراء أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار) واستخدام المعلومات لضبط ممارسات العمل مهم جداً، حيث يتيح لهؤلاء الافراد إدراك أثر المهام التي يؤديونها على المنظمة ككل (Nthurubele,2011:13). وربط المنظمة ببيئتها ايضاً يحقق التوازن بين العمل والحياة، ويتم تشجيع التفكير القائم على احتياجات المجتمع العالمي والمحلي والعمل، والبحث عن حلول للمشاكل في جميع أنحاء المنظمة (Voolaid Karen,2013:487).

٧. القيادة الاستراتيجية

تلعب القيادة الاستراتيجية دوراً مهماً وبارزاً في نجاح المنظمات في جميع أنحاء العالم. اذ عرفت القيادة الاستراتيجية على انها عملية منظمية تقوم في الاساس على التعلم المستمر، ويتوجب على القادة الاستراتيجيين ان يكونوا قادة تعلم يقدرون قيمة هذا التعلم واهميته بالنسبة لمنظمتهم المتعلمة (Senge,2006:363). في حين اوضح (Alhyasat& Sharif,2016:2) ان القيادة الاستراتيجية هي التفكير واتخاذ القرار اللارم لتطوير وتنمية الخطة الاستراتيجية للمنظمة. اذ ان القيادة تستخدم التعلم بأسلوب استراتيجي لتحقيق نتائج الاعمال، وتدعم القيادة التعلم من خلال سلوكها كأسلوب يتخذى به من قبل الآخرين (Nthurubele,2011:13). في حين يرى (Voolaid Karen,2013:487) ان هذا البعد هو توفير القيادة الاستراتيجية للتعلم، وهذا يدل على المدى الذي يفكر فيه القادة استراتيجياً حول كيفية استخدام التعلم لإحداث التغيير ولتحريك المنظمة في اتجاهات وافاق جديدة أو أسواق جديدة وتشتمل معايير هذا البعد على تشجيع ودعم الافراد العاملين للحصول على المهارات اللازمة لتحقيق الأهداف، واستخدام أحدث المعلومات عن المنافسين والاتجاهات الصناعية والمبادئ التوجيهية للمنظمة اذ ان كل فرد له الحق في تنفيذ رؤية المنظمة، لذا فالركيزة الاساسية هي تطوير الافراد من قبل القادة بدلاً من الإدارة والانضباط والوعي بالحاجة إلى التعلم المستمر.

رابعاً: الجانب العملي للدراسة

اختبار اداة قياس البحث

اعتمد البحث بشكل اساسي على الاستبيان (Questionnaire) لجمع البيانات التي تخص متغيرات البحث الرئيسة. هذه الاداة تعتمد على مقياس ليكرت (Likert) الخماسي من لا اتفق تماماً الى - اتفق تماماً. وبسبب الاهمية التي تحتلها اداة القياس في اي دراسة تعتمد منهج التحليل المسحي فلا بد من اجراء الاختبارات التالية للتأكد من دقة وصحة البيانات التي يتم الحصول عليها.

صدق اداة قياس البحث

ان عملية القياس الدقيق والموثوق للبناء المراد قياسه يعبر عن قابلية الاداة على القياس للمتغيرات، اي المدى الذي تمثل فيه اداة القياس الخصائص التي تكون موجودة في الظاهرة قيد البحث والتحقيق (Hinkin, 1995: 968). وقد تضمن هذا الجانب الصدق الظاهري، وكالاتي:-

الصدق الظاهري للأداة

تشكل هذه الخطوة اهمية في تحقيق الاطمئنان للمقياس اذ تعتمد على عرض اداة البحث في صورتها الاولى على عدد من المحكمين المتخصصين في مجال ادارة الاعمال الذين بلغ عددهم (١٨) محكماً وذلك للتأكد من الصدق الظاهري لأداة القياس، والملحق رقم (١) يوضح اسماء المحكمين. وقد اعد الباحث استمارة خاصة لاستطلاع اراء المحكمين حول مدى وضوح كل عبارة من حيث المحتوى الفكري والصياغة وتصحيح ما ينبغي تصحيحه من العبارات مع اضافة او حذف ما يرى المحكم من عبارات في أي محور من المحاور. وفي ضوء الآراء التي اظهرها المحكمون قام الباحث بأجراء التعديلات التي اتفق عليها (٧٠%) من المحكمين، وتعديل وصياغة بعض العبارات التي رأى المحكمون ضرورة اعادة صياغتها لتكون اكثر وضوحاً.

ثبات اداة قياس البحث

يشير ثبات اداة القياس الى اتساق مقياس البحث وثبات نتائجه على فترات زمنية مختلفة (Bartholomew, 1996: 24). وقد تم استخدام اختبار كرونباخ الفا للتأكد من الثبات البنائي لأداة القياس الخاصة بالبحث الحالي، وقد تم حساب معامل الثبات للأداة باستخدام معامل ارتباط كرونباخ الفا الموضح في الجدول (١):-

الجدول (١) معاملات الثبات لأداة قياس البحث

المقياس	معامل كرومباخ الفا للبعد	معامل كرومباخ الفا للمقياس
اولاً: المقدرات الجوهرية		0.80
١. الموارد التنظيمية	0.86	AL-Jabbouri & Zahari, 2014:183
٢. الموارد البشرية	0.78	
٣. القدرات	0.87	
ثانياً: المنظمة المتعلمة		0.82
التعلم المستمر	0.84	Nthurubele Abraham, 2011:141
الاستفسار والحوار	0.91	
التعلم والتعاون الفرقي	0.89	
انشاء الانظمة	0.85	
التمكين	0.92	
ربط المنظمة ببيئتها	0.83	
القيادة الاستراتيجية	0.88	

المصدر: اعداد الباحث باعتماد مخرجات برنامج Spss V.23

المقدرات الجوهرية ودورها في بناء المنظمة المتعلمة (دراسة تحليلية لآراء أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار) يظهر الجدول (١) بأن قيم معامل كرونباخ الفا قد تراوحت بين (0.77-0.92) وهي مقبولة إحصائياً في البحوث الإدارية والسلوكية لأن قيمتها أكبر (0.75) (Nunnally & Bernstein, 1994)، والتي تدل على أن الأداة تتصف بالاتساق والثبات الداخلي.

فرضية الارتباط الرئيسة الأولى: توجد علاقة ارتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين المقدرات الجوهرية بدلالة أبعاده مجتمعة والمنظمة المتعلمة بدلالة أبعاده مجتمعة "

بهدف قبول الفرضية الرئيسة الأولى أعلاه من عدم قبولها قام الباحث باختبار قيمة معامل الارتباط البسيط باستخدام اختبار (Sig. 2-tailed) للوقوف على معنوية العلاقة بين متغير المقدرات الجوهرية ومتغير المنظمة المتعلمة إذ يشير الجدول (٢) إلى وجود علاقة ارتباط موجبة وقوية وذات دلالة معنوية بين متغير المقدرات الجوهرية ومتغير المنظمة المتعلمة، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط البسيط بينهما (**0.875). وتشير هذه القيمة إلى قوة العلاقة الطردية بين متغير المقدرات الجوهرية والمنظمة المتعلمة، وإن ما يدعم ذلك معنوية علاقة الارتباط التي ظهرت عند مستوى معنوية (01%) وبدرجة ثقة بلغت (99%) والجدول (٢) يوضح تلك العلاقة، إذ يتضح قبول الفرضية الرئيسة الأولى التي تنص على إنه (توجد علاقة ارتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين المقدرات الجوهرية بدلالة أبعاده مجتمعة والمنظمة المتعلمة بدلالة أبعاده مجتمعة). عند مستوى معنوية (01%) أي إن نتيجة القرار مقبولة بدرجة ثقة قدرها (99%).

جدول (٢) مصفوفة معاملات الارتباط بين متغير المقدرات الجوهرية بأبعاده ومتغير المنظمة المتعلمة

Correlations						
		الموارد التنظيمية	الموارد البشرية	القدرات	المقدرات الجوهرية	المنظمة المتعلمة
الموارد التنظيمية	Pearson Correlation	1	.667**	.624**	.877**	.777**
	Sig. (2-tailed)		.000	.000	.000	.000
	N	141	141	141	141	141
الموارد البشرية	Pearson Correlation	.667**	1	.573**	.848**	.756**
	Sig. (2-tailed)	.000		.000	.000	.000
	N	141	141	141	141	141
القدرات	Pearson Correlation	.624**	.573**	1	.867**	.739**
	Sig. (2-tailed)	.000	.000		.000	.000
	N	141	141	141	141	141
المقدرات الجوهرية	Pearson Correlation	.877**	.848**	.867**	1	.875**
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.000		.000
	N	141	141	141	141	141
المنظمة المتعلمة	Pearson Correlation	.777**	.756**	.739**	.875**	1
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.000	.000	
	N	141	141	141	141	141

** . Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

وتتفرع من هذه الفرضية ثلاث فرضيات فرعية هي:

١. توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية لبعد الموارد التنظيمية مع متغير المنظمة المتعلمة

يظهر تحليل الارتباط الظاهر في جدول (٢) بأن هنالك علاقات ارتباط قوية (لان قيمتها أكثر من 0.30) وذات دلالة معنوية عند مستوى (1%) بين بعد الموارد التنظيمية ومتغير المنظمة المتعلمة اذ بلغت قيمة معامل الارتباط البسيط بينهما (0.777^{**}). وتدعم هذه النتيجة صحة الفرضية الفرعية (١).

٢. توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية لبعد الموارد البشرية مع متغير المنظمة المتعلمة يظهر جدول مصفوفة الارتباط (٢) بأن هنالك علاقات ارتباط ايجابية قوية وهي دالة معنويا بين بعد الموارد البشرية ومتغير المنظمة المتعلمة. اذ بلغت علاقة الارتباط (0.756^{**}). في حين بلغت معنوية علاقات الارتباط (0.000). اذ تظهر نتائج الجدول وجود علاقة ارتباط معنوية عند مستوى (1%) بين بعد الموارد البشرية ومتغير المنظمة المتعلمة، اذ تدعم هذه النتيجة صحة الفرضية الفرعية (٢).

٣. توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية لبعد القدرات مع متغير المنظمة المتعلمة يشير جدول (٢) الى مصفوفة الارتباط التي توضح ان هنالك علاقات ارتباط قوية وذات دلالة معنوية عند مستوى (1%) ظاهرة بين بعد القدرات ومتغير المنظمة المتعلمة اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (0.739^{**}) وبمستوى معنوية بلغ (0.000) وتدعم هذه النتيجة صحة الفرضية الفرعية (٣). فرضية التأثير الرئيسة الثانية: التي تنص على (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين متغير المقدرات الجوهرية ومتغير المنظمة المتعلمة).

يوضح الجدول (٣) نتائج مقدار الانحدار الخطي البسيط، لغرض تقدير اثر المقدرات الجوهرية على المنظمة المتعلمة أذ يتضح ما يأتي:

اولاً:- إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدّر بلغ (454.452) عند مستوى دلالة (0.01). وبناءً عليه تقبل الفرضية وهذا يعني وجود تأثير ذو دلالة إحصائية معنوية للمقدرات الجوهرية في المنظمة المتعلمة وبدرجة ثقة (99%).

جدول (٣) قيمة F المحسوبة لعلاقة التأثير بين متغير المقدرات الجوهرية والمنظمة المتعلمة (N = 141)

ANOVA ^a						
Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	32.028	1	32.028	454.452	.000 ^b
	Residual	9.796	139	.070		
	Total	41.825	140			
a. Dependent Variable: المنظمة المتعلمة						
b. Predictors: (Constant) المقدرات الجوهرية،						

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23

ثانياً:- يتضح من قيمة معامل التحديد (R^2) البالغة (0.766). يتضح بأن المقدرات الجوهرية قادر على تفسير ما نسبته (76.6%) من التغيرات التي تطرأ على خصائص المنظمة المتعلمة في كليات جامعة ذي قار عينة البحث. أما النسبة البالغة (23.4%) فتعزى إلى مساهمة متغيرات أخرى غير داخلية في أنموذج البحث. جدول (٤) قيمة R^2 المحسوبة لعلاقة التأثير بين متغير المقدرات الجوهرية والمنظمة المتعلمة (N = 141)

Model Summary				
Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	.875 ^a	.766	.764	.26547

a. Predictors: (Constant)، المقدرات الجوهرية

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23
 ثالثاً:- يتضح من خلال قيمة معامل الميل الحدي (β) البالغ (0.803). بان زيادة مستويات توافر المقدرات الجوهرية بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة خصائص المنظمة المتعلمة بنسبة (80.3%) من وحدة انحراف معياري واحد إذن تقبل الفرضية.

جدول (٥) قيمة B المحسوبة لعلاقة التأثير بين متغير المقدرات الجوهرية والمنظمة المتعلمة (N = 141)

Coefficients ^a					
	Model	Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t
		B	Std. Error	Beta	
1	(Constant)	.932	.119		7.823
	المقدرات الجوهرية	.803	.238	.875	21.318

a. Dependent Variable: المنظمة المتعلمة

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23
 وتتفرع من هذه الفرضية ثلاث فرضيات فرعية تتمحور حول "وجود تأثير ذو دلالة احصائية لأبعاد المقدرات الجوهرية (الموارد التنظيمية، والموارد البشرية، والقدرات) في المنظمة المتعلمة"، ويعرض الجدول (٦) فأن هنالك علاقة تأثير ذات دلالة معنوية ($\beta = 0.285, P < .01$) بين بعد الموارد التنظيمية ومتغير المنظمة المتعلمة. كما يظهر الجدول (٦) نتائج العلاقة بين بعد الموارد البشرية ومتغير المنظمة المتعلمة. اذ تعرض النتائج بأن بعد الموارد البشرية ($\beta = 0.292, P < .01$) له تأثير ايجابي ومعنوي عند مستوى (1%) وهذه النتيجة جاءت مطابقة لتوقعات البحث. ويشاهد من خلال الجدول (٦) وجود علاقة تأثير معنوية ($\beta = 0.233, P < .01$) بين بعد القدرات ومتغير المنظمة المتعلمة عند مستوى (1%). وتفيد هذه النتيجة بان القدرات تساهم في زيادة مستوى توافر خصائص المنظمة المتعلمة. كما تبين نتائج الجدول (٦) الى ان ابعاد المقدرات الجوهرية (الموارد التنظيمية، والموارد البشرية، والقدرات) تساهم في تفسير (77%) من التغير الحاصل في متغير المنظمة المتعلمة و (23%) يعود لتدخل عوامل أخرى غير داخلية في النموذج الاحصائي. وكما توضح قيمة ($F = 150.605, P < 0.01$) على وجود الدلالة المعنوية في تفسير توافر خصائص المنظمة المتعلمة من خلال مفهوم المقدرات الجوهرية. وفي ضوء ما تقدم فأن هذه النتيجة تقدم دعم اتجاه الفرضيات الفرعية.

جدول (٦) نتائج تحليل الانحدار المتعدد لاختبار الفرضيات الفرعية من الفرضية الرئيسة الثانية

المتغير المعتمد	المتغير المستقل	B	T	Sig.	R 2	F
المنظمة المتعلمة						
الموارد التنظيمية		.285**	5.768	.000	0.767	150.605**
الموارد البشرية		.292**	5.843	.000		
القدرات		.233**	6.025	.000		

المصدر: اعداد الباحث باعتماد مخرجات برنامج Spss V.23

١. اظهرت نتائج الدراسة الميدانية في كليات جامعة ذي قار قيد الدراسة تبدي اهتماما كبيرا بالمقدرات الجوهرية بوصفها عنصراً مؤثراً في تعزيز خصائص المنظمة المتعلمة، أي بمعنى توجد علاقة ارتباط موجبة ذات دلالة احصائية بين المقدرات الجوهرية بدلالة أبعاده مجتمعةً والمنظمة المتعلمة بدلالة أبعاده مجتمعةً.
٢. وجود تأثير ذو دلالة احصائية لأبعاد المقدرات الجوهرية (الموارد التنظيمية، والموارد البشرية، والقدرات) في المنظمة المتعلمة.
٣. توجد اختلافات في اراء المبحوثين حول مدى توافر المقدرات الجوهرية في كليات جامعة ذي قار وكانت بمستوى مرتفع نسبياً وحسب الترتيب الاتي (الموارد التنظيمية أولاً، القدرات ثانياً، الموارد البشرية ثالثاً)، ويلاحظ بان بعد الموارد التنظيمية قد حصل على المرتبة الاولى بدرجة الاهمية الترتيبية حسب اجابات عينة البحث اما اقل بعد فقد كان من نصيب الموارد البشرية.
٤. اظهر التحليل ان التغيير الذي يحصل في مستوى ادراك الافراد للمقدرات الجوهرية ينعكس في تعزيز مستوى المنظمة المتعلمة لدى الافراد وبالتالي سوف ينعكس ذلك ايجاباً في تقليل المشكلات لعينة البحث.
٥. تشير النتائج ان المقدرات الجوهرية اسهمت بالارتقاء بتعزيز خصائص المنظمة المتعلمة بقيمة عالية وذات دلالة معنوية واحصائية عند مستوى (١%)، مما يدل على ان المقدرات الجوهرية تحفز قدرات الافراد العاملين لتحسين الاداء الوظيفي لإنجاز المهام المطلوبة منهم.

التوصيات

١. الاستثمار الأمثل للموارد التنظيمية والموارد البشرية والقدرات التي تملكها الكليات عينة البحث من خلال تنمية وتطوير تلك المهارات لما لها من دور في توجه تلك الكليات الى ما تتيحه البيئة من فرص لاستثمارها وتفاديها التهديدات المحتملة.
٢. زج اكبر عدد ممكن من الافراد العاملين في صياغة الرؤية المستقبلية، كونها تعد اداة مهمة يمكن عن طريقها ربط الافراد العاملين بالأهداف الاستراتيجية للكليات.
٣. تعزيز الاستفادة من الخبرة والمعرفة ومهارات الافراد العاملين بكافة المستويات التنظيمية عند وضع استراتيجيات تتماشى مع البيئة المحيطة بها.
٤. زيادة الاهتمام باليات التعلم التنظيمي لتسهيل عملية الحصول على المعرفة وتوحيدها ونشرها داخل الكليات عينة الدراسة، و تشجيع الافراد العاملين على توليد الرؤى والافكار الجديدة التي تتسم بالأبداع من خلال اقامة الندوات والمؤتمرات للأفكار المذكورة ومكافأة المبدعين.

المصادر العربية

١. الكرفوع عدنان طه، البلداوي علاء عبد الكريم، دور تنمية الموارد البشرية في صناعة التأمين: دراسة حالة في شركة التأمين الوطنية، مجلة دراسات محاسبية ومالية، المجلد ٨، العدد ٤٢، ٢٠١٣.

المقدرات الجوهرية ودورها في بناء المنظمة المتعلمة (دراسة تحليلية لآراء أعضاء مجالس الكليات في جامعة ذي قار)
 ٢. جرينبرغ جيرالد، باون روبرت، ادارة السلوك في المنظمات، ترجمة رفاعي رفاعي، محمد وبسيوني،
 اسماعيل علي، دار المريخ للنشر، السعودية، ٢٠٠٩.

المصادر الاجنبية

1. Agha Sabah, Alrubaiee Laith& Jamhour Manar, Effect of core competence on competitive advantage and organizational performance, International journal of business and management, Middle East University – MEU, Jordan Vol. 7, No1, 2012.
2. AL-Adaileh, Raid Mohd, Dohoi,Khadra,Hacini,Ishaq " The Impact of Knowledge Conversion Processes on Implementing a Learning Organization Strategy" The Learning Organization,V,19,N:6, Emerald Group Publishing Limited, 2012.
3. Alazmi Ayesah A., Alazmi Meznah S.& Alqahtani Abdulmuhsen Ayedh, THE IMPACT OF HIGH SCHOOLS AS LEARNING ORGANIZATIONS ON TEACHERS' PROBLEM SOLVING STRATEGIES, Journal of Teaching and Education, CD-ROM. ISSN: 2165-6266:: 2(2):523–530 (2013).
4. Ali Mahmoud Mohamed, Abdulhamed Kirembwe Rashid &Aljamoudi Said Salim, The Dimensions Of The Learning Organization In Omani School From Employees Point Of View, international journal of scientific & technology research Vol 4, ISSUE 11, November, ISSN 2277-8616, 2015.
5. Ambula Rose, Awino Zachary B.7 K'Obonyo Peter, Learning Organization and Performance of Large Manufacturing Firms, DBA Africa Management Review, September Vol. 6 No.1, 2016 pp 94-105.
6. Bani-Hani, Jehads., & AlHawary, Faleh Abdelgder, "The Impact of core competencies on competitive Advantage Strategic challenge", International Bulletin of business Administration, Issn, (1451-2434), Issue (6), 2009.
7. Barney J ay B.&Hesterly William S.,Strategic Management and Competitive Advantage, Concepts and Cases,USA,University of Utah,Global edition,5th edition,2015.
8. Bartholomew, D. J., The Statistical Approach to Social Measurement, USA: Academic Reas. Inc, 1996.
9. Branzei O., & Thornhill, S., "From ordinary resources to extraordinary performance: Environmental moderators of competitive Advantage" Strategic organization, 4(1), 2006.
10. Brennan Louis& Vecchi Alessandra, International Manufacturing Strategy in a Time of Great Flux, Italy, University of Ferrara, 2017.

11. Calvert, G., Mobley, S., & Marshall, L., Grasping the learning organization. Training & Development, 1994, 48(6), 38–43.
12. Clausewitz, Carl von, The Palgrave Encyclopedia of Strategic Management, DOI 10.1007/978-1-349-94848-2_34-1(1780–1831), Germany, 2016.
13. Cordon Carlos, Mila Pau Garcia`, Vilarino Teresa Ferreiro, Caballero Pablo, Strategy is Digital, How Companies Can Use Big Data in the Value Chain, Springer International Publishing Switzerland, 2016.
14. David Freed, R "Strategic management", 5th, Prentice-Hall, Inc 2001".
15. de Kluyver Cornelis A. & Pearce John A., Strategic Management: An Executive Perspective, USA, 1st edition, 2015.
16. Dekouloua Paraskevi & Trivellas Panagiotis, Measuring the Impact of Learning Organization on Job Satisfaction and Individual Performance in Greek Advertising Sector, International Conference on Strategic Innovative Marketing, IC-SIM 2014, September 1-4, 2014, Madrid, Spain, Procedia - Social and Behavioral Sciences 175 (2015) 367 – 375.
17. Dess Gregory G., Lumpkin G. T., Eisner Alan B., McNamara Gerry, strategic management: creating competitive advantages, London, University of Texas at Dallas, Syracuse University, Pace University, Michigan State University, 7th Edition, 2014.
18. Eurostat, Classification of learning activities (CLA). Manual, Luxembourg, 2016. [Online] Available from: <http://ec.europa.eu/eurostat/documents/3859598/7659750/KS-GQ-15-011>.
19. Evans Nigel, Strategic Management for Tourism, Hospitality and Events, New York, Teesside University, 2nd, 2015.
20. Gakenia Njoroge Jane, organizational resources and performance of Mobile phone companies in Kenya, PhD thesis, Kenyatta University, Ku, Kenya, 2015.
21. García-Sánchez, S. (2016). Encouraging collaborative interaction in EFL learners with video role-plays. ENSAYOS, Revista de la Facultad de Educación de Albacete, 31(1). ISSN 2171-9098. ENSAYOS. Revista de la Facultad de Educación de Albacete, Nº 31-1, 2016, (149-164). Enlace web: <http://www.revista.uclm.es/index.php/ensayos>.
22. Gijzel Anoeska H.N., Time-out! The learning organization is here to stay: The effects of perceived work environment and personal characteristics, Master Thesis, Universiteit Nederland, Holland, 2015.
23. Goel, Sanjay "Student Developmental Core Competencies" American Association of Colleges & Universities (AAC&U), 2007.

24. Hitt MA, Bierman L & Shimizu K, Kochhar R, Direct and moderating effects of human capital on strategy and performance in professional service firms: a resource-based perspective. *Acad Manage J* 44(1), 2001:13–28.
25. Hitt Michael A., *strategic management: Competitiveness & Globalization Concepts and Cases*, 12th edition, Boston, USA, 2017.
26. Hitt Michael A., Ireland R. Duane, Hoskisson Robert E., *strategic management, Competitiveness & Globalization, Concepts and Cases*, 12e, USA, Texas A&M University, Rice University, 9th, 2016.
27. Ismail Alimin Ismadi, Rose Raduan Che, Uli Jegak & Abdullah Haslinda, the relationship between organizational resources, capabilities, systems and competitive advantage, *Asian Academy of Management Journal*, Vol. 17, No. 1, 151–173, January 2012.
28. Jabbouri Nada Ismaeel & Zahari Ibrahim, the role of core competencies on organizational performance: an empirical study in the Iraqi private banking sector, *European Scientific Journal* June 2014 /SPECIAL/ edition vol.1 ISSN: 1857 – 7881 (Print) e - ISSN 1857- 7431.
29. Jelassi, Tawfik & Enders, Albrecht " Strategies For E-Business: Creating Value through Electronic and Mobile Commerce " 2nd Edition, F.T. Prentice Hall, Italy, 2008.
30. Kak, Anjana, *Strategic Management, Core Competence and Flexibility: Learning Issues for Select Pharmaceutical Organizations*, *Global Journal of Flexible Systems Management* 2004, Vol. 5, No. 4, 2004, pp 1-15.
31. Kayes Christopher and Burnett Garry, *Team Learning in Organizations: A Review and Integration*, 2014, <https://www.researchgate.net/publication/239754559>.
32. Kumar Jishnu Krishna, Patthi Basavaraj, Singla Ashish, Gupta Ritu, Prasad Monika & Pandita Vinesha, Application of dimensions of learning organization questionnaire in a dental institution in national capital region of India: A cross-sectional study, *Journal of Indian Association of Public Health Dentistry*, Vol. 14, Issue 2, | April-June 2016.
33. Küng Lucy, *Strategic Management in the Media, Theory to Practice*, British, SAGE Publications Ltd, edition 2nd, 2017.
34. Laan Luke van der & Yap Janson, *Foresight & Strategy in the Asia Pacific Region, Practice and Theory to Build Enterprises of the Future*, Springer Science+Business Media Singapore, 2016.
35. Lai Chiu-Lin & Hwang Gwo-Jen, Effects of mobile learning participation time on high school students' 21st century. 2014.

36. Ljungquist, Urban, "Specification of Core Competence and associated components: a proposed model and a case illustration" *European Business Review*, 20 (1) 2008.
37. Luthans Fred & Doh Jonathan P., *International Management: Culture, Strategy, and Behavior*, 10th edition, by McGraw- Hill Education, New York, USA, 2018.
38. Marcus Alfred A. & Cohen Anne N., *Management Strategy, Achieving Sustained Competitive Advantage*, New York, McGraw-Hill Education, 3rd edition, 2017.
39. Marren Daniel E., Dunn Steven C. & Piscopo Paul F., *Aerospace Human Resources for the 21st Century: Workforce Challenges Facing Research and Development*, AIAA AVIATION Forum, 10.2514/6.2018-3413, June 25-29, 2018.
40. Mbassana Marvin Elie, validating the dimension of the learning organization questionnaire in the rwandan context, *European Journal of Business, Economics and Accountancy*, Vol. 2, No. 2, 2014, ISSN 2056-6018.
41. Moustaghfir K. & Schiuma G., "Knowledge, learning, and innovation: research and perspectives". *Journal of Knowledge Management*, Vol 17. Iss 4, 2013, Pp. 495 – 510.
42. Mwai Grace Mirigo, Namada Juliana Mulaa & Katuse Paul, *Influence of Organizational Resources on Organizational Effectiveness*, *American Journal of Industrial and Business Management*, 2018, 8, 1634-1656
43. Nthurubele Abraham Tshosane, *Facilitating a Learning Organization: The Case of a Small Consulting Firm*, Master Thesis, University of Stellenbosch, Stellenbosch, South Africa, 2011.
44. Nthurubele, Abraham Thshosane, *Facilitating a Learning Organization: The Case of a Small Consulting Firm*, Thesis presented in fulfillment of the requirements for the degree of Master of Philosophy (Information and Knowledge Management) at the University of Stellenbosch, 2011.
45. Nunnally, J.C. & Bernstein, I.H., *Psychometric theory*. New York: McGraw-Hill, 1994.
46. Othmana Rohana, Arshada Roshayani, Arisb Nooraslinda Abdul & Arifb Siti Maznah Mohd, *Organizational Resources and Sustained Competitive Advantage of Cooperative Organizations in Malaysia*, *Procedia - Social and Behavioral Sciences* 170, 2015, Pp:120 – 127.
47. Özbağa Gönül Kaya, *Resource Based View, Core Competence and Innovation: A Research on Turkish Manufacturing Industry*, *Scientific Research Journal (SCIRJ)*, Volume I, Issue III, October 2013 Edition 9 ISSN 2201-2796.

48. Pearce, J. and Robinson, R., Strategic Management: Strategy Formulation Implementation and Control. 13th Edition, McGraw-Hill/Irwin, New York, 2013.
49. Pesic, M.A., Six Sigma Philosophy and Resource-Based Theory of Competitiveness: An Integrative Approach. Economics and Organization, 4, 2007, 199-208.
50. Rainey David L., Enterprise-wide Strategic Management: Achieving Sustainable Success through Leadership, Strategies, and Value Creation, London, Cambridge University, 2010.
51. Rigby Darrell K., Management Tools: An executive's guide, 2015.
52. Ringlsetter Max J., Strategic Management of Market Niches, A Model Framework, Germany, Kathol. Universität Eichstätt-Ingolstadt, 2018.
53. Rose, R. C., & Kumar, N., Facilitating learning and change for performance improvement. International Journal of Learning and Change 1(3), 2006, pp. 317-328.
54. Rothaermel Frank T., Strategic Management, New York, Georgia Institute of Technology, edition 3rd, 2017.
55. Rush Rosalee Billingslea, Learning Organization Principles: The Impact on a Midwest State Government as Perceived by Its Employees", Western Michigan University, Dissertations. 457, 2011.
56. Rychen, D.S. & Salganik, L.H. "Defining and Selecting Key Competencies" 2005.
57. Sarder Russell, Building an innovative learning organization: a framework to build a smarter workforce, adapt to change, and drive growth, Hoboken, USA, New Jersey: John Wiley & Sons, Inc., 2016.
58. Senge, Peter, The fifth discipline: strategies and tools for building learning organization, New York, 2nd edition, 2006.
59. Singh Jagdeep & Singh Harwinder, Strategic Implementation of Continuous Improvement Approach: Improving the Performance of Small and Medium-Sized Enterprises, Springer International Publishing, The University of Texas at Dallas, TX, USA, 2019.
60. Song Ji Hoon, Joo Baek-Kyoo & Chermack Thomas J., The Dimensions of Learning Organization Questionnaire (DLOQ): A Validation Study in a Korean Context, Wiley Inter Science, human resource development quarterly vol. 20, no. 1, Spring 2009.
61. Tesavrita Ceicalia & Suryadi Kadarsah, Organization Learning through Effective Knowledge Sharing in SME's: A Conceptual Model, Universitas Katolik Parahyangan, Bandung, Indonesia, 2016.
62. Vincent, Shirley & Focht, Will "US higher education environmental program managers' perspectives on curriculum design and core

- competencies: Implications for sustainability as a guiding framework" Emerald Group Publishing Limited, International Journal of Sustainability in Higher Education Vol. 10, No. 2, 2009.
63. Voolaid Karen, Measurement of Organizational Learning of Business Schools, PhD thesis, Kaunas University of Technology, Estonia, Europe, 2013.
 64. Watkins, K.E. i Marsick, V.J. (2004) € e Construct of the Learning Organization: Dimensions, Measurement, and Validation, Human Resource Development Quarterly, vol. 15, no. 1, spring 2004, 31-55, ISSN (Online) 1532-1096
 65. Wetherington John M.& Daniels M. Kenneth, the relationship between learning organization dimension and performance in the nonprofit sector, journal for nonprofit management, 2013.
 66. Williams Steve, Business Intelligence Strategy and Big Data Analytics, A General Management Perspective, London, A catalog record for this book is available from the Library of Congress. ISBN: 978-0-12-809198-2,2016.
 67. Wright, P M, Dunford, B B and Snell, S A Human resources and the resource-based view of the firm, in Strategic Human Resource Management, Second Edition edn, (eds) R S Schuler and S E Jackson, pp 76–97, Blackwell, Oxford, 2007.
 68. Wu Yuhfen Diana H.& Haley Connie K., The Relationship Development and Learning Organization Dimensions, Journal of Library and Information Science,2011,Pp.146-165.

البيئة النظيفة حق من حقوق الانسان

A Clean Environment is a Human Right

م.م فراس عبد الامير عيسى^(١) Assist. Lect. Firas Abdul-Ameer Essa

م.م صائب محمد ناظم^(٢) Assist. Lect. Saib M. Nadhim

الملخص

تدور هذه الدراسة حول ماهية القواعد والأحكام المعنية بحماية البيئة على مستوى القانون الدولي وهل تكفل هذه القواعد والأحكام من توفير حماية حقيقية للبيئة، وبالأخص في وقتنا الحالي؟ كثيراً ما تتعرض له البيئة الطبيعية بمختلف عناصرها إلى الكثير من التجاوزات والاعتداءات التي أدت إلى الفتك بها، ومن أجل ضمان استقرار الوضع البيئي سوف نسلط الضوء ايضاً على أهم الانجازات والأعمال الدولية التي نصت على احترام البيئة وحمايتها سواء كانت اتفاقيات أو منظمات دولية. الكلمات المفتاحية: البيئة، التلوث، الاتفاقيات، حقوق.

Abstract

This study revolves around the rules and provision concerning the protection of environment at level of international law, and whether these rules and provision guarantee the provision of real protection for the environment, especially in your time, the national environment is often exposed to many of the abuses and attacks that led to its destruction. In order to ensure the stability of environmental situation, we will also highlight the most important achievement, and international respecting and protecting the environment, whether international agreements or organizations.

Keywords: Environment, pollution, conventions, rights.

^١ - كلية الادارة والاقتصاد / جامعة كربلاء.

^٢ - كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة / جامعة كربلاء.

البيئة هي المحيط التي تعيش بها جميع الكائنات الحية ومن ضمنها الإنسان ونظراً للطبيعة التي تتمتع بها البيئة كونها تؤثر وتتأثر بالإنسان الذي يمارس حقّه الإنساني فيها ومن ضمنها معيشتة، هذا الذي مكّن الإنسان من استغلال واستخدام مواردها لغرض استمرار تقدمه وتحسين وضعه المعيشي لتحقيق غاياته وأهدافه المتمثلة برفاهيته وتنميته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحقه في الحياة بصحة جيدة، والفارق في هذا الموضوع أنّ الإنسان وأثناء عمله لصنع وضع إيجابي من خلال استثمار موارد البيئة وبالوقت نفسه هو العامل السليبي في تلوث هذه البيئة بسبب النشاط الإنساني المتزايد والناتج عن النمو السكاني والصراع في التقدم العلمي التكنولوجي الهائل الذي شهده العالم جميعاً وبجميع المرافق، أصبحت البيئة تعاني من عدد من المشاكل وبجميع أشكالها وأهمها هي مشكلة التلوث، ولم يتوقف هذا التلوث إلى حدود الدولة بل ذهب آثاره إلى دول العالم الأخرى، وتتضمن المقدمة الآتي:

أولاً: فرضية البحث

تتطلب فرضية البحث من معرفة القواعد الدولية والأحكام الدولية المعنية لحماية البيئة على مستوى القانون الدولي التي سعت إلى حماية البيئة من انتهاكات العمل الإنساني السليبي الباعث عن تلوث البيئة من خلال استثماره واستغلاله لمورد الدولة لذا عرفت المعاهدات والاتفاقيات الدولية المعنية بذلك ومعرفة الانتهاكات هو أساس فرضية البحث.

ثانياً: مشكلة البحث

تتطلب مشكلة البحث من التساؤل الآتي هل إنّ الدول عند قيامها باستثمار مواردها أخذت بنظر الاعتبار الانبعاثات والانتهاكات والعمل السليبي للإنسان الذي يؤثر على البيئة؟ وما هي الحلول التي وضعتها الدول لمعالجة مثل هكذا حالات؟

ثالثاً: منهج البحث

البحث العلمي هو بذل الجهد في التحري والبحث والتتبع والدراسة لموضوع معين لكي تتبين حقيقته ولذلك فإنّ على الباحث أن يسلك منهجاً معيناً يسير على هداه ويلزم نفسه به طيلة البحث، وبالنظر لهذه الأهمية فقد ارتأينا معالجة المشكلة البحثية الحاضرة وفقاً للمنهج التاريخي والنظمي والمقارن بين كل من العراق والاردن ومصر وعمان، ولا يخفى ما للمنهج الأخير من أهمية بالغة في مجال الدراسات القانونية؛ حيث يمكن للباحث من خلاله الاطلاع على تجارب النظم القانونية الأخرى ومقارنتها بالنظم الوطنية مما يساهم في الكشف عن أوجه الاختلاف والاتفاق أو القصور بين هذه النظم.

رابعاً: هيكلية البحث

سنتناول موضوع البحث ضمن مبحثين حيث نتناول في المبحث الأول مفهوم حق الإنسان في البيئة، أمّا في المبحث الثاني فسنتناول قواعد الحماية الدولية لحق الإنسان في البيئة، وأخيراً وليس آخراً سنتناول خاتمة البحث فضلاً عن قائمة المصادر.

المبحث الأول: مفهوم حق الإنسان في البيئة

شاع استخدام مصطلح كلمة البيئة (Environment) في العصر الحديث وتنوعت المفاهيم العالمية لهذا المصطلح، ولارتباطها بحياة الكائنات الحية، سارع العلماء والباحثون في دراساتهم المختلفة^(٣)، واتساع مجالها لتشمل جميع المشكلات والموضوعات المرتبطة بها، وكما نعلم أنّ بيئة الإنسان هي الأرض حين أمر الله سبحانه وتعالى بالمحافظة عليها، لأنها بيئة صالحة للحياة ولجميع الكائنات البشرية الحية لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤). ولقد رأينا أنّ القانون الدولي للبيئة يعد وجهاً من أوجه تطور القانون الدولي المعاصر حيث كان تطوراً متنوعاً وسريعاً وامتد إلى نواحي عديدة منها ميدان حقوق الإنسان، فقد أصبح ميدان القانون الدولي لحقوق الإنسان بدوره منظوراً آلية بعده فرعاً من الفروع الرئيسية للقانون الدولي العام^(٥)، ونظراً للطبيعة التي تتمثل بالبيئة كونها أصبحت جزء لا يتجزأ من الإنسان الذي يعيش فيها فما كان منه إلا العمل على المحافظة عليها وحمايتها للحد من الانتهاكات البيئية، علماً أنّ موضوع البيئة حديث التنظيم بعد أن تدهورت البيئة الطبيعية في بداية السبعينات من القرن العشرين لذلك كان لا بدّ من ظهور تعاون مشترك^(٦)، وعليه سوف نتعرف على تعريف حق الإنسان في البيئة في المطلب الأول ومعوقات حق الإنسان في بيئة نظيفة خالية من (التلوث) في المطلب الثاني.

المطلب الأول: تعريف حق الإنسان في البيئة

لقد شاع استخدام كلمة البيئة في العصر الحديث لارتباطها المباشر بجميع الكائنات الحية، لذا رأينا أنّ نقسم هذا المطلب على فرعين الأول نعرف البيئة والثاني أنواعها.

الفرع الأول: تعريف البيئة

أولاً: البيئة لغة: البيئة لغة مشتقة من الفعل (بؤ) وإنّ هذا الفعل يوصي إلى أماكن عديدة منها موضع أو منزل الإنسان، فيقال تبؤ مكاناً أو منزلاً معنى حل ونزل وأقام يقال تبؤت منزله أي نزلته وبؤ له منزلاً وبؤاه منزلاً: هياه ومكن له فيه^(٧)، وهذا ما ورد في لسان العرب لابن منظور^(٨)، وأكد الباحثون أنّ كلمة (بيئة) هي ذات المعنى في جميع اللغات^(٩)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ

٣- محمد جبار أنويه، المسؤولية الدولية عن التلوث البيئي في العراق، جامعة بيروت، كلية الحقوق والعلوم السياسية، بيروت ٢٠١١، ص ٨.

٤- سورة الأعراف، الآية (٨٥).

٥- معمر رتيب محمد عبد الحافظ، القانون الدولي للبيئة وظاهرة التلوث (خطوة للأمام لحماية البيئة الدولية من التلوث) دار الكتب القانونية، مصر، المحلة الكبرى، سنة ٢٠٠٨، ص ٦٦.

٦- هشام بشير، حماية البيئة في ضوء أحكام القانون الدولي الإنساني، القاهرة، طبعة ٢٠١١، ص ٦.

٧- محمد جبار أنويه، مصدر سابق، ص ٨.

٨- المعنى الأول: هو إصلاح المكان وتحسينه للمبيت فقه فقد قيل: تبؤ أي أصلحه وهياه وجعله ملائماً لمبيته ثم اتخذ محلاً له. المعنى الثاني: النزول والإقامة: كان نقول، تبؤ المكان أي نزل فيه وأقام فيه، وينظرنا أنّ المعنيين صحيح وذلك لأنهما يعبران عن استقرار الإنسان وإصلاح المكان وتحسينه للسكن لا يقل أهمية عن النزول والإقامة فهو في كل حالة قد خصص هذا المكان ليتخذ منه منزله واستمرار معيشته، ينظر: هشام بشير، مصدر سابق، ص ٩.

٩- البيئة (هو الوسط الذي يعيش فيه الكائن الحي بوجه عام، بالإضافة إلى الظروف التي تحيط به أي كانت طبيعتها بيولوجية اجتماعية التي تكون سبب في نمو الكائن وتكاثره). ينظر: هشام بشير، مصدر نفسه، ص ٩.

يَسَاءُ نُصِيبَ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعَ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ^(١٠)، وهنا نرى أنها تعني ما ذهبنا إليه وهو معنى المكانة والهيأة.

ثانياً: البيئة اصطلاحاً: ظهر اهتمام القانون بحماية البيئة على المستوى الدولي والوطني باعتبارها قيمة اجتماعية جديدة، والمحافظة عليها من كل فعل يسبب اضراراً بها، وعلى الرغم من كثرة القوانين التي تناولت حماية البيئة إلا أنها لما نزل قاصرة على اعطاء تعريف محدد، وقد اختلف الفقهاء حول المفهوم الدقيق لمصطلح البيئة^(١١)، وجاء في إعلان ستوكهولم ١٩٧٢ تعريف عام للبيئة^(١٢)، والذي مثل أول استعراض دقيق للأثر البشري الشامل على البيئة، فيما يشكل محاولة لصياغة نظرة عامة وأساسية للأسلوب الذي يتيح التصدي لتحدي الحفاظ على البيئة البشرية وتعزيزها، حيث كانت غاياته واسعة النطاق من حيث اتصالها بالسياسة البيئية قبل اتصالها بالمواقف المعيارية التفصيلية وعلى أثر هذا الإعلان زاد الوعي العالمي بالقضايا البيئية زيادة متواترة ومتنامية بقدر ما اتسع نطاق صنع القانون البيئي الدولي^(١٣)، وفي المؤتمرات الدولية التي أهتمت بشؤون البيئة وعرفها البعض بأنها^(١٤) "البيئة عبارة عن مجموعة العوامل التي أوجدتها أنشطة الإنسان والتي تؤثر في ترابط وثيق على التوازن البيئي وتحدد الظروف التي يعيش فيها الإنسان بتطور المجتمع"^(١٥)، هذا كله أدى إلى نجاح الإنسان في تطوير الأساليب التقنية في استخدام مصادر الطبيعة إلى سوء استغلال البيئة الأمر الذي أدى إلى إصدار التشريعات الداخلية، للحد من الأضرار بالبيئة الطبيعية، وقد اختلفت السياسات التي أتهجها المشرع البيئي، وهو يصدر تعريف كلمة بيئة وذهب القانون المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ في هذا الاتجاه حيث عرفتها المادة (١) الفقرة (أ) منه بأنها (المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية وما يحتويها من مواد وما يحيط بها من هواء وماء وتربة وما يقيمها الإنسان من منشآت) عرف المشروع العراقي في قانون حماية وتحسين البيئة رقم (٣) لسنة ١٩٩٧ البيئة بأنها (المحيط بجميع عناصره الذي تعيش فيه الكائنات الحية) عرف المشروع الليبي قانون البيئة رقم (٤٤٤) لسنة ٢٠٠٢ كلمة بيئة بأنها (المحيط الذي يشمل الكائنات الحية وغير الحية، وما يحتويه الإنسان من مواد وما يحيط به من هواء وماء

١٠- سورة يوسف، الآية (٥٦).

١١- البيئة (هي حيز مكاني له خصائصه الطبيعية والأحيائية وتتألف من عناصر حية كالنباتات والحيوانات والإنسان، وهناك عناصر غير حية كالماء والهواء والتربة وإن الكائنات الحية تتفاعل مع الوسط المكاني الذي يعيش فيه من تتولد لديها صفات مميزة) عرفها فريق آخر: (إنها المحيطة بالإنسان والذي يشمل كل ما هو خارج عن كيان الإنسان، وكل ما يحيط به من موجودات فالحواء والماء والأرض الذي يعيش عليها ويزرعها وما يحيط به من كائنات حية هذه جميعها عناصر البيئة والتي تعتبر الاطار الذي يبني عليها الإنسان حياته) ينظر: هشام بشير، مصدر سابق، ص ١٧.

١٢- المقصود بالبيئة: هو كل ما يحيط بالإنسان، من هنا نرى نموذجين للبيئة الأول: البيئة الطبيعية، وهي كل ما يحيطه بالإنسان من ظواهر حية وغير حية، أي ليس للإنسان الدخل في وجودها أو صنعها أي تكونت من فعل الطبيعة وعواملها، سواء كانت أرض أو ماء أو هواء أو حيوانات أو نباتات. الثاني: البيئة البشرية، وهي كل شيء تم من صنع الإنسان عن طريق سلوكه ومنجزاته داخل البيئة الطبيعية التي نتجت عن نشاطه في تعامله مع تلك العناصر) ينظر: سيران طه أحمد، الحماية الدولية للبيئة من أسلحة الدمار الشامل، حالة العراق نموذجاً، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة السليمانية، كانون الثاني، ٢٠٠٤، ص ٨.

١٣- على سبيل المثال للحصر إعلان مؤتمر الأمم المتحدة بشأن البيئة البشرية (اعلان ستوكهولم) ١٩٧٢ واعلان ريو بشأن البيئة والتنمية، ١٩٩٢.

١٤- اقتراح وفد روماني بشأن مشروع الميثاق العالمي للطبيعة (وهو مشروع أعده الاتحاد الدولي لصيانة الطبيعة والموارد الطبيعية عام ١٩٧٩، بناءً على اقتراح من موبوتو رئيس جمهورية زائير أثناء دور انعقاد الجمعية العمومية للاتحاد بكينشاسا في سبتمبر عام ١٩٧٥، وتم عرضه على العامة للأمم المتحدة وأقرته في عام ١٩٨٢)، ينظر: تفصيلاً سيران طه أحمد، مصدر سابق، ص ٨.

١٥- هاشم بشير، مصدر سابق، ص ١١.

وتربة، وتفاعلات أي منها، وما يقيمه الإنسان من منشآت فيه) عرف المشروع العماني لحماية البيئة ومكافحة التلوث رقم (١) لسنة ١٩٨٢ المادة (٤) فقرة (٦) البيئة بأنها (مجموع النظم والعوامل والمواد الطبيعية التي يتعامل معها الإنسان أو يؤثر أو يؤثر فيها مثل الماء والتربة والمواد الغذائية والمعدنية والكيميائية المختلفة، مصادر الطاقة والعوامل الاجتماعية المختلفة) عرف البيئة القانون الفرنسي الصادر لسنة ١٩٧٦ بأنها (تلك الناتجة من علوم الطبيعة، والطبقة على المجتمعات الإنسانية) عرف المشروع اليوناني بموجب القانون رقم (٣٦) لسنة ١٩٨٦ الخاص بتنظيم البيئة المادة (١) الفقرة (٥) إنّ البيئة الطبيعية (هي المجال الأرضي والبحري والهوائي الذي يحيط بالإنسان، والذي يضم النباتات والحيوانات والمصادر الطبيعية) عرف المشروع البلغاري البيئة (مجموعة العوامل والعناصر الطبيعية والتي تؤثر في التوازن البيئي وكذلك تحسين المعيشة وصحة الإنسان والتراث الثقافي والتاريخي). ويتضح لنا من خلال التعاريف لمفهوم استصلاح البيئة هناك تباين فيها ويمكن أن نعرفها «هي المكان الذي يقصده الكائن الحي بقصد تهيئه الظروف الأساسية مثل المسكن والإقامة والعمل وكذلك الظروف المحيطة به لغرض استقراره في هذا المكان وتوفير السبل الكفيلة باستمرار معيشته».

الفرع الثاني: أنواع البيئة

نظراً لسعة مفهوم البيئة والشمول في متغيراتها بحيث يصعب الاحاطة بها ودراستها جميعاً باعتبارها محلاً للحماية القانونية فقد عمد الباحثون إلى محاولات لدراسة التفاعل بين الحياة والبيئة، ويعد تصنيف أنواع البيئة من تلك المحاولات وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم أنواع البيئة على قسمين:

أولاً: البيئة الطبيعية: هو كل ما يحيط بالإنسان من عناصر طبيعية، والتي لا دخل للإنسان في وجودها أو انشائها فهي وجدت من خلق الطبيعة بإرادة الله سبحانه وتعالى نعمة للكائنات الحية مثل (الماء والهواء والتربة والبحار والمحيطات) والأشكال الطبيعية من تكوينات صخرية وجبلية ورملية بالإضافة إلى الكائنات الحية من النباتات والحيوانات، وهناك من يصفها بالبيئة التي لا دخل للإنسان في وجودها واستخدامها، وهي مكونة من أربعة نظم مرتبطة ببعضها، ارتباطاً وثيقاً (الغلاف الجوي والغلاف المائي واليابسة والمحيط الحيوي) وهذه الأنظمة في حال تغيير مستمر^(١٦).

ثانياً: البيئة الوضعية أو البشرية: هناك ما يسميها بالبيئة المستحدثة وهناك من يسميها بالبيئة الصناعية، ومن خلال هذه التسميات والمصطلحات يتبين لنا معنى واحداً هو تدخل الإنسان في تغيير البيئة الطبيعية مثل قيامه بإنشاء صناعات ثقيلة وعملقة كصناعة الطائرات وسفن الفضاء والصناعات النووية والكيميائية... الخ، ويقصد بها أيضاً ذلك الجزء من البيئة الذي يتكون من الأفراد والجماعات البشرية في شكل تفاعلهم وأنماط النظم الاجتماعية التي يعيشون فيها وجميع مظاهر المجتمع الأخرى، وتشمل هذه النظم جميع العلاقات سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو قانونية كما تشمل أيضاً القيم الروحية والخلقية والتربوية وأنماط السلوك الإنساني وتطورها^(١٧).

^{١٦} - سهر إبراهيم حاجم الهيتي، المسؤولية الدولية عن الضرر البيئي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون، جامعة بغداد، القانون، ٢٠٠٥، ص ١٢.

^{١٧} - محمد جبار أتوية، مصدر سابق، ص ١٧.

المطلب الثاني: معوقات حق الإنسان في بيئة نظيفة (التلوث)

إنَّ الحق في البيئة من الحقوق الجديدة للإنسان التي نشأت لمواجهة الجوانب السلبية للتقدم الصناعي والتكنولوجي، فالحياة تصبح غير ممكنة وفي بعض الأحيان مستحيلة في بيئة ملوثة ووسط مليء بالصخب والضوضاء^(١٨)، ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ قضية التلوث البيئي من القضايا المهمة التي تشغل فكر العلماء والفقهاء بغية وضع حد لهذا التلوث كلما كان ذلك ممكناً، ولا يحتكر الفكر القانوني الداخلي أو الدولي وحدة قضية تلوث البيئة، بل إنَّ المسألة مشتركة كل يدلي بدلوه فيها حسب تكوينه العلمي ونظريته المتخصصة^(١٩)، ونظر لأهمية البيئة للكائنات الحية بجميع أصنافها فإنَّها تستحق كل الاهتمام والدراسة فقد أضحت البيئة المرض المزمن للمدينة المعاصرة ولحضارتها الصناعية والتقنية واتخذ تلوث البيئة صورة ماثلة في كل مكان وفي كل شيء، وبالتالي أصبحت حماية البيئة والطبيعة وكذلك الحياة اليومية للسكان أمراً ضرورياً^(٢٠)، ونظراً لأهمية التلوث سوف نقوم بتقسيم هذا المطلب على فرعين الأول تعريف التلوث والثاني أنواع التلوث.

الفرع الأول: تعريف التلوث

التلوث ليس هو الخطر الوحيد الذي يهدد بضرر البيئة الإنسانية إلاَّ أنَّه من أهم الأخطار على وجه العموم وأشدّها تأثيراً^(٢١)، وللإحاطة أكثر بتعريف التلوث سوف نقوم بتعريف التلوث لغة واصطلاحاً. أولاً: التلوث لغة: التلوث في بعض معاجم اللغة العربية يحمل العديد من المعاني منها خلط الشيء بما هو خارج عنه فيقال لوث تعني التلطّيح، ويقال لوث ثيابه بالطين، أي لطحها^(٢٢)، إنَّ كلمة التلوث تعني اختلاط الشيء بغيره أو بشيء غريب فيكدره ويجعل منه شيئاً ضاراً، ولا يختلف تعريف التلوث في اللغات الأجنبية^(٢٣).

ثانياً: التعريف اصطلاحاً: لا نجد في المراجع العلمية المعنية بشؤون البيئة تعريفاً موحداً متفقاً عليه لأنَّ مفهوم التلوث يغلب عليه طابع المرونة^(٢٤)، فالتلوث «يحدث عند تغيير أو حدوث خلل في مكونات البيئة الحية وغير الحية بحيث تؤدي إلى شلل النظام الايكولوجي أو يقلل قدرته على أداء دوره الطبيعي من التخلص الذاتي من الملوثات الناجمة عن عوامل عديدة طبيعية وصناعية بفعل الإنسان بحيث يمكن أن يؤدي إلى إلحاق الضرر في صحة وحياة وأنشطة الكائنات الحية»^(٢٥)، وعرف لاند (Lund) على أنَّه (التدهور

١٨- معمر رتيب محمد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص ٦٧.

١٩- هشام بشير، مصدر سابق، ص ١٠.

٢٠- أحمد أبو الوفا، الوسيط في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، الطبعة الخامسة، ٢٠١٠، ص ٣٤٤.

٢١- طارق إبراهيم الدسوقي عطية، الأمن البيئي النظام القانوني لحماية البيئة، الاسكندرية، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٩، ص ١٧٢.

٢٢- يوسف نور الدين، جبر ضرر التلوث البيئي، دراسة تحليلية مقارنة في ظل أحكام القانون المدني والتشريعات البيئية، اطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٢، ص ٤١.

٢٣- في المعاجم الفرنسية، إن فعل يلوث أي يلطخ أو يوسخ، ووسخ الشيء جعله غير سليم أو عكره، ولون الماء والهواء أي جعله معيباً، والتلوث كتعبير شائع يعني تدهور الحال أو الوسط بإدخال مادة ملوثة أو مكدره، واستخدمت المعاجم الانكليزية أكثر من مصطلح منها دل على حدوث التلوث، ومنها دل على فعل التلوث، ويدل كذلك على الغش والقتالة والبذاءة والاعلال والوسخ والشائبة، وكذلك على التلطّيح والتعفن) ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٢.

٢٤- معمر رتيب محمد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص ١٦٠.

٢٥- محمد صديق محمد عبدالله، الحماية القانونية للبيئة من التلوث (دراسة تحليلية مقارنة)، جامعة الموصل، الرافدين للحقوق، المجلد التاسع، السنة الثانية عشر، عدد (٣٢) لسنة ٢٠٠٧، ص ٧٧.

الناشئ من الأنشطة البشرية المختلفة وذلك نتيجة لاستخدام تلك الأنشطة لكل من الماء والهواء وتقليل فعالية وكفاءة هذه المواد^(٢٦)، وأيضاً حرص المشرع العربي والأجنبي عند اصداره للقوانين البيئية على وضع مفهوم محدد للتلوث وعرفه المشرع اليوناني في المادة ٢٨ من القانون رقم ١٦٥٠ لسنة ١٩٨٦ التلوث بأنه (ادخال في البيئة مواد ملوثة مهما كانت طبيعتها ضوضاء أو أشعة أو شكل آخر للطاقة بكميات أو تركيزات من شأنها أن تسبب تأثيرات سلبية أو أضرار مادية للصحة أو النظام المعيشة أو للتوازن أو عموماً تؤدي إلى بيئة غير ملائمة لتحقيق الاستعمالات المطلوبة بشأنها) المشرع المصري أفرد فقرتين أو ضمن المادة (٧/١) من قانون رقم (٤) لسنة ١٩٩٤ على أنّ التلوث يعني (أي تغيير في خواص البيئة مما قد يؤدي بطريق مباشر أو غير مباشر إلى الأضرار بالكائنات الحية أو يؤثر على ممارسة الإنسان لحياته الطبيعية) المادة (٨/١) وصف التأثير على البيئة بما يقلل قيمتها أو يشوه من طبيعتها البيئية أو يستنزف مواردها أو يضرّ بالكائنات الحية أو الآثار) عرفه المشرع العراقي في المادة ٢ فقرة ٦ من القانون المرقم ٣ لسنة ١٩٩٧ قد عرف التلوث بأنه (وجود أي من الملوثات المؤثرة في البيئة بكمية أو تركيز أو صفة غير طبيعية تؤدي بطريق مباشر أو غير مباشر إلى الأضرار بالإنسان أو الكائنات الحية الأخرى أو المكونات الأحيائية التي توجد فيها) في إشارة إلى الملوثات فقد بين أنّها (أي مواد صلبة أو سائلة أو غازية أو ضوضاء أو اهتزازات أو اشعاعات أو حرارة أو هج أو ما شابههما أو عوامل أحيائية تؤدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى تلوث البيئة) المشرع العماني عرف التلوث بأنه (أي تغيير أو فساد حاد طارئ أو خفيف مزمن في خصائص النظم والعوامل البيئية أو في نوعيتها. بالدرجة التي تجعلها غير صالحة للاستعمال المفيد في الأغراض المخصصة لها أو يؤدي استخدامها إلى أضرار صحية أو اقتصادية أو اجتماعية في السلطنة على المدى القريب أو البعيد). غير أنّ أهم تعريفات التلوث هو التعريف الوارد في توصيات مجلس منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الصادرة في ١٤ نوفمبر ١٩٧٤، الذي عرف التلوث أنه (ادخال مواد أو طاقة الإنسان سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى البيئة بحيث يترتب عليها آثار ضارة من شأنها أن تهدد الصحة الإنسانية، أو تضر بالموارد الحية أو بالنظم البيئية أو تنال من قيم التمتع بالبيئة أو تعوق الاستخدامات الأخرى المشروعة، وفي رأينا أنّ التعريف الوارد في توصيات منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية هو الراجح لأنّه وافي بمعنى كلمة التلوث إذ أشار فيه إلى معنى التلوث حاضراً ومستقبلاً ومدى تأثيره على جميع أصناف الموارد الحية.

الفرع الثاني: أنواع التلوث

قسم العلماء التلوث على أقسام متنوعة واستندوا إلى طبيعة المادة أو بالنظر إلى نوع المادة الملوثة أو على أساس العنصر أو مصدره وغيرها، وسوف نعرض بشيء موجز لهذه الأنواع فيما يلي:

أولاً: التلوث البيئي بالنظر إلى مصدره: ينقسم على نوعين:

- ١- التلوث الطبيعي: وهو التلوث الذي يحدث نتيجة عدة عوامل تصدر من الطبيعة ولا دخل للإنسان فيها مثل البراكين والغازات المنبعثة من الأرض، كما تسهم بعض الظواهر المناخية كالرياح والأمطار في احداث بعض صور التلوث البيئي^(٢٧). ٢- التلوث الصناعي: التلوث الناتج عن أنشطة الإنسان

^{٢٦} - ابراهيم حاجم الهيتي، المسؤولية الدولية عن الضرر البيئي، رسالة ماجستير، كلية القانون - جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ٩.

^{٢٧} - طارق إبراهيم الدسوقي عطية، مصدر سابق، ص ١٧٥.

أي كل ما يفعله أثناء ممارسته لأوجه حياته المختلفة وبجميع نشاطاته سواء كانت صناعية أو زراعية أو خدمية وغيرها بالإضافة إلى التطور العلمي وتقدم التقنيات التكنولوجية الحديثة الذي ساعده على صناعة المتفجرات النووية وغيرها هذا كله ساعد على تلوث البيئة ويمكن تقسيم التلوث الذي ظهر بفعل الإنسان إلى تلوث بيولوجي وتلوث كيميائي وتلوث فيزيائي^(٢٨).

ثانياً: التلوث البيئي بالنسبة إلى نطقة الجغرافي: ينقسم على نوعين:

١- التلوث المحلي: يقصد به التلوث الذي لا تتعدى آثاره الحيز الإقليمي لمكان مصدره بمعنى أنه التلوث المحصور في نطاق معين بغض النظر عن مصدره أو آثاره في منطقة معينة أو مكان محدد كمصنع أو غاية أو بحيرة... الخ.

٢- التلوث البعيد المدى: هو الذي يكون مصدره العضوي موجوداً كلياً أو جزئياً في منطقة تخضع للاختصاص الوطني لدولة ويحدث آثاره الضارة في منطقة تخضع للاختصاص الوطني لدولة أخرى^(٢٩).
ثالثاً: التلوث البيئي بالنظر إلى آثاره على البيئة: وبعد دراسة موضوع التلوث نرى بأنه ينقسم على ثلاثة أقسام:

١- التلوث المقبول أو المعقول: وهو الدرجة التي لا يتأثر فيها التوازن البيئي، ولا يكون مصحوباً بأي أخطار رئيسية بحيث لا تخلو منطقة من مناطق الكرة الأرضية منه.

٢- التلوث الخطر: يمثل مرحلة متقدمة من النوع الأول حيث يبدأ تأثيره السلبي على الكائنات الحية ويكثر تواجده في المناطق الصناعية ومناطق استخراج الطاقة فهذه جميعها بتماس مباشر مع جميع الكائنات الحية والبشرية.

٣- التلوث المدمر: وخير وصف لهذا التلوث هو (انهيار النظام البيئي بشتى صوره وأشكاله)^(٣٠). ممّا يؤدي إلى الاختلال في التوازن البيئي بشكل جذري.

المبحث الثاني: قواعد الحماية الدولية لحق الانسان في البيئة

لم يعد الاهتمام بالبيئة حكراً على دولة معينة او منظمة معينة، وإنما أصبح شاغلاً للعديد من الدول والمنظمات السياسية منها الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والقانونية على حدّ سواء^(٣١). ونظراً لأهمية البيئة في المجتمع الدولي ونتيجة لما تعرضت له من تلوث شامل قد تجسد هذا الاهتمام ليأخذ خطوة مهمة تمثلت بإبرام العديد من الاتفاقيات الدولية وظهور منظمات دولية تهدف إلى حماية البيئة بكل عناصرها سواء كانت جوية وبرية وبحرية ومما زاد من ذلك شهد العالم أعقاب الحرب العالمية الثانية ثورة تكنولوجية واسعة وبشكل خاص في صناعة الأسلحة وأدوات التدمير مما حدى بنا إلى دراسة هذا المبحث في مطلبين الأول دور الاتفاقيات في حق الإنسان في بيئة نظيفة والمطلب الثاني دور المنظمات الدولية.

^{٢٨} - سيران طه أحمد، مصدر سابق، ص ١١.

^{٢٩} - سهير إبراهيم حاتم الهيبي، مصدر سابق، ص ٢٥.

^{٣٠} - سيران طه أحمد، مصدر سابق، ص ١١.

^{٣١} - محمد صديق محمد عبدالله، مصدر سابق، ص ٧٨.

المطلب الأول: دور الاتفاقيات الدولية في حق الإنسان في بيئة نظيفة

لقد اتجه العالم منذ أوائل القرن المنصرم إلى وضع العديد من الاتفاقيات والمعاهدات والبروتوكولات بهدف تحفيز الجهود الدولية لمعالجة قضايا البيئة ومواردها حيث تم عقد ما يقارب (٣٠٠) اتفاقية في مجال القانون الدولي البيئي، وتنقسم هذه الاتفاقيات إلى اتفاقيات تتعلق بمكافحة التلوث التي تصيب مكونات البيئة كتلوث الهواء والماء والتلوث العابر للحدود، والقسم الثاني يتعلق بالمحافظة على الطبيعة^(٣٢)، وقد كان سبب تعاظم الاهتمام الدولي بالبيئة لعدة أسباب منها تفاقم مشكلات البيئة وخطورتها لارتباط مشكلة البيئة بمشكلة التنمية، فالتنمية لا تقوم إلا على بيئة نظيفة ومستقرة، بالإضافة إلى زيادة الاهتمام الدولي بقضايا حقوق الإنسان في الحياة في بيئة سليمة، وأخيراً عدم كفاية الجهود الوطنية لمحدودية الدول في المحافظة على البيئة التي تمتد آثارها إلى باقي الدول^(٣٣)، ولكل الأسباب آنفة الذكر برزت العديد من الاتفاقيات والمعاهدات الدولية وعلى مختلف المستويات التي ساهمت على تضافر الجهود من أجل التصدي لكل مشكلات البيئة وأهمها:

أولاً: اتفاقية (منع تلوث البحار بالنفط سنة ١٩٥٤): التي تهدف إلى منع التلوث بالتفريغ العمدي للنفط في البحار فقط، ثم حلت الاتفاقية الدولية لمنع التلوث من السفن (Marpol)^(٣٤)، كبديل عنها لمكافحة التلوث الناجم عن السفن أي كان نوعه لتصبح اليوم أهم الاتفاقيات التي تعني بمنع تلوث البيئة البحرية عن السفن، التي وضعت بعض الضوابط الصارمة على عمليات التفريغ تمثلت بأحكام خاصة بمنع التلوث بالنفط، وأحكام بمكافحة التلوث من المواد السائلة الضارة، ومنع التلوث بالمواد الضارة المغلفة المنقولة بحراً، ومنع التلوث الناجم عن مياه الصرف الصحي والنفايات وتلوث الهواء من انبعاثات السفن^(٣٥). ثانياً: اتفاقية (حظر تجارب الأسلحة النووية موسكو عام ١٩٦٣): عقدت معاهدة حظر تجارب الأسلحة النووية في الجو وفي الفضاء الخارجي وتحت سطح الماء في آب/ أغسطس ١٩٦٣ م، وتهدف بصفة رئيسية إلى وضع نهاية لتلوث البيئة عن طريق المواد المشعة، ووضع حد لسباق التسلح وإزالة دوافع وانتاج واختبار كافة أنواع الأسلحة بما في ذلك النووية^(٣٦)، وكان هدفها هو وضع حد لتلويث البيئة البشرية بالمواد المشعة إضافة إلى مواصلة العمل من أجل حظر تجارب الأسلحة النووية وصولاً إلى نزع السلاح العام والكامل تحت رقابة دولية صارمة وفعالة^(٣٧).

ثالثاً: اتفاقية (بروكسل عام ١٩٦٩): الخاصة بالمسؤولية المدنية عن الأضرار الناشئة عن التلوث بالنفط، تمّ اعتمادها لضمان التعويض الكافي الذي سيكون متاحاً، حيث يتسبب في أضرار تلوث نفطي في الحوادث

٣٢- يوسف نور الدين، مصدر سابق، ص ٥٠.

٣٣- هشام بشير، مصدر سابق، ص ٢٠.

٣٤- اعتمدت اتفاقية (Marpol) في ٢ تشرين الثاني ١٩٧٣، ومن ثم بروتوكول ١٩٧٨ كرد على سلسلة من حوادث ناقلات النفط بين عامي ١٩٧٦-١٩٧٧ حيث تم احتواء البروتوكول ضمن الاتفاقية الأم ودخل هذا الميثاق حيز التنفيذ في ١٩٨٣/١٠/٢ الاتفاقية الدولية لمنع التلوث من السفن www.adoman.com ٢٠١٧/١٢/١٢، الساعة ٥:٠٠ م.

٣٥- الاتفاقية الدولية لمنع التلوث من السفن الحارس الأمين للبيئة البحرية، المصدر الالكتروني نفسه، ٢٥/١١/٢٠١٧، ٢٠١٧.

٣٦- معاهدة الحظر الجزئي لتجارب الأسلحة النووية في الغلاف الجوي وفي الفضاء الخارجي وتحت الماء ١٩٦٣، ينظر معاهدة الحظر الجزئي للحظر الجزئي للنووية <http://www.marefa.org> ٢٤/١١/٢٠١٧ الساعة ١٠:٠٠ م.

٣٧- سيران طه أحمد، مصدر سابق، ص ٣٩.

البحرية التي تنطوي على ناقلات النفط^(٣٨)، ظهرت هذه الاتفاقية بعد كارثة (توري كانيون)^(٣٩)، تهدف هذه الاتفاقية إلى توفير تعويض ملائم للأشخاص الذين يتكبدون ضرراً بسبب التلوث الناجم عن احراق النفط أو حرقه من السفن وتوحيد القواعد والاجراءات الدولية لتحديد المسائل المتعلقة بالمسؤولية والتعويض المناسب^(٤٠).

رابعاً: اتفاقية (التلوث بعيد المدى للهواء عبر الحدود المنعقدة في جنيف سنة ١٩٧٩): تم توقيع هذه الاتفاقية في نوفمبر عام ١٩٧٩ في نطاق اللجنة الاقتصادية الاوروبية، وهي تُعدُّ من أهم الاتفاقيات على المستوى الدولي، وتهدف هذه الاتفاقية إلى حماية الإنسان والبيئة المحيطة به من تلوث الهواء، حيث تلزم الدول الأطراف التلوث الذي يعبر الحدود الوطنية، ويصل إلى مناطق بعيدة عن مصدر التلوث، كما يجب على الدول الأطراف وضع ضوابط للحد من تفاقم التلوث، وكذلك العمل بين الدول بجميع الوسائل لمكافحة تلوث الهواء^(٤١).

خامساً: اتفاقية (الأمم المتحدة لقانون البحار سنة ١٩٨٢ الخاصة بحماية البحار والمحافظه عليها): عمل برنامج الأمم المتحدة للبيئة على حماية المحيطات والبحار وتعزيز الاستخدام السليم للموارد البحرية، وتُعد الاتفاقيات البحرية وخطط عملها الاطار القانوني الوحيد في العالم لحماية المحيطات والبحار على المستوى الاقليمي، حيث تلعب دوراً رئيسياً في إنشاء اطار تنظيمي للنقل البحري من خلال تجارة عادلة وفعالة ومعتمدة دولياً، مع التركيز بوجه خاص على منع تلوث المحيطات والبحار الناجم عن السفن^(٤٢).

سادساً: اتفاقية (فيينا لحماية طبقة الأوزون عام ١٩٨٥): والتي اتفقت من خلالها الدول الأطراف على ضرورة التعاون من أجل صيانة طبقة الأوزون والعمل على حمايتها من التدهور والتدمير ووقف استنزافها وتقوم هذه الاتفاقية على أساس التعاون الوقائي، وكذلك التأكيد على ضرورة إيجاد بروتوكول يحدد التزامات الدول بشأن انتاج واستخدام المواد المستنفدة لطبقة الأوزون، وقد توجت الجهود العالمية في هذا الشأن بإقرار بروتوكول (مونتريال) والهدف منه (هو حماية طبقة الأوزون بالتقليل والتخلص من الانبعاثات الكونية البشرية للمواد التي تؤدي إلى تآكل طبقة الأوزون) الذي تم إقراره عام ١٩٨٧م، ودخل حيز النفاذ في يناير عام ١٩٨٩م^(٤٣).

٣٨- الاتفاقية الدولية بشأن المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث النفطي <http://ar.m.wikipedia.org> ٢٥/١١/٢٠١٧ الساعة

١٢:٣٠ م.

٣٩- ناقلة النفط (توري كانيون) هي حادثة وقعت في باريس ١٩٦٧ بالقرب من شواطئ انكلترا وكانت محملة بالنفط الخام الكويتي حيث انشقت هذه الناقلة إلى نصفين من جراء الصخور الموجودة في البحر مما أدى إلى تسريب كميات كبيرة من النفط، الأمر الذي أدى إلى تلوث المياه، وقتل الكثير من الطيور والأسماك والطحالب، إضافة إلى بقاء هذا المكان منكوب لبعض سنوات، حوادث هزت البحار www.hanasatrewaiya.com ٩/١٢/٢٠١٧ الساعة ٣:٠٠ م.

٤٠- هشام بشير، مصدر سابق، ص ٢٣.

٤١- الاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية البيئة الهوائية، اتفاقية التلوث بعيد المدى للهواء عبر الحدود، والمنعقدة في جنيف عام ١٩٧٩، ينظر الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية <http://www.politics-dz.com> ٢٤/١١/٢٠١٧، الساعة

١١:٤٥ م.

٤٢- الأمم المتحدة، المحيطات وقانون البحار، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، www.un.org ٢٦/١١/٢٠١٧، الساعة ٣:٠٠ م.

٤٣- اتفاقية فيينا الخاصة بحماية طبقة الأوزون وبروتوكول مونتريال الخاص بالمواد التي تعمل على تآكل طبقة الأوزون، ينظر: موقع الهيئة العامة الكويتية <http://www.epa.org.kw> ٢٤/١١/٢٠١٧ الساعة ١٠:٣٠ مساءً.

سابعاً: اتفاقية (بازل عام ١٩٨٩): الخاصة بالسيطرة على نقل النفايات الخطرة ورميها عبر الحدود، وعلى وجه التحديد منع نقل النفايات الخطرة من البلدان المتقدمة إلى البلدان الأقل نمواً، ومعالجة حركة النفايات المشعة، ومن أهم مبادئها هو التخلص من النفايات في نفس مكان تولدها بقدر الإمكان والتقليل من عملية نقل النفايات الخطرة عبر الحدود إلى درجة تتناسب مع إدارتها بطريقة سليمة بيئياً، بالإضافة إلى تقديم المساعدة إلى الدول النامية^(٤٤)، اعتمدت هذه الاتفاقية من جانب ١١٦ دولة ومن أهم أهدافها هو خفض توليد النفايات الخطرة إلى الحد الأدنى، إضافة إلى تشديد الرقابة على نقل النفايات الخطرة المسموح بنقلها عبر الحدود^(٤٥)، وفي ديسمبر تم التصديق على بروتوكول بازل الخطرة عبر الحدود والتخلص منها^(٤٦)، وأعقبتها اتفاقيات ناشئة عن (قمة ريو عام ١٩٩٢)^(٤٧)، التي نادت بتأمين المصالح الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للجيل الحاضر ولأجيال المستقبل.

المطلب الثاني: دور المنظمات الدولية في حماية حق الإنسان في بيئة نظيفة

لقد شغل موضوع البيئة حيزاً كبيراً من اهتمام المنظمات الدولية بسبب كثرة الحروب وتأثيرها على عناصر البيئة الدولية (الجو والبحر وسطح الأرض) لذلك لعبت دوراً مهماً في اعداد وصياغة المعاهدات الدولية التي تعني بحماية البيئة بصفة عامة، ومع ذلك لم يقتصر دورها على اعداد مشاريع تعالج شؤون البيئة، بل شملت أيضاً التصرفات القانونية الصادرة عن هذه المنظمات في مجال حماية البيئة^(٤٨)، حيث قامت هذه المنظمات بدور فعال في تطوير القانون الدولي للبيئة من خلال تبني استراتيجية خاصة بهذا الشأن إلى جانب الأنشطة الأخرى التي تقوم بها، حيث ظهرت العديد من الاتفاقيات التي أبرمتها المنظمات الدولية منذ بداية السبعينات في مختلف مجالات البيئة وتحت إشرافها، والتي بينت أهمية القانون الدولي للبيئة وإيجاد الحلول الكفيلة بمعالجتها مشاكلها، لذلك سوف نتطرق إلى أهم هذه المنظمات.

أولاً: دور الأمم المتحدة: لقد لعبت الأمم المتحدة دوراً بارزاً في صياغة القانون الدولي البيئي من خلال تنظيم المؤتمرات وإنشاء أجهزة وبرامج وتشكيل لجان دولية خاصة بحماية البيئة واصدار قرارات وتوصيات تؤكد فيها على مطالبه الحكومات بالتعاون الوثيق لوضع وتطبيق سياسة جماعية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ومن بين أهدافها حماية البيئة^(٤٩)، ونكشف دور الأمم المتحدة من خلال الجهد الذي بذلته في عقد مؤتمر دولي في (ستوكهولم) في (١٩٧٢) حيث أسفر هذا المؤتمر عن اصدار اعلان اشتمل على ستة وعشرين مبدأ وعدد من التوصيات حيث نصّ المبدأ الخامس والعشرين منه (يجب على الدول أن تتأكد

^{٤٤} - اتفاقية بازل، <http://ar.m.wikipedia.org>، ٢٤/١١/٢٠١٧، الساعة ١٢:٤٥ مساءً.

^{٤٥} - سهير إبراهيم حاجم الهيقي، مصدر سابق، ص ٨٠.

^{٤٦} - هشام بشير، مصدر سابق، ص ٢٨.

^{٤٧} - سمي (مؤتمر قمة الأرض) هو أول مؤتمر للأمم المتحدة حول البيئة والتنمية الذي أقيم في ريو دو جانيرو عام ١٩٩٢ بمثابة نقطة تحول في الطريقة التي ننظر بها إلى البيئة والتنمية، فقد أقر زعماء العالم جدول أعمال القرن ٢١ وهو مخطط عمل لتحقيق التنمية المستدامة ويقدم برنامج تنفيذي شامل لتحقيق التنمية ومعالجة القضايا البيئية والاقتصادية بطريقة متكاملة على المستويات العالمية والقطرية والمحلية، وللمزيد ينظر موقع (مؤتمر قمة الأرض في ريو دي جانيرو)، www.egyptple.com.

^{٤٨} - سيران طه أحمد، مصدر سابق، ص ٧٥.

^{٤٩} - معمر رتيب محمد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص ١٠٥.

من أنّ المنظمات الدولية تؤدي دوراً ماثلاً وفعالاً ومؤثراً في نطاق حماية البيئة وتحسين البيئة^(٥٠)، وكان من ضمن هذه المبادئ أنّ للإنسان حقاً أساسياً في الحرية والمساواة وكما له الحق في أن يعيش في بيئة ذات نوعية تسمح له بالعيش في كرامة ورفاهية، وأكدت أيضاً على ضرورة المحافظة على الموارد الطبيعية للكرة الأرضية المختلفة للحياة كالحوانات والنباتات وبيئتها لصالح الأجيال القادمة إضافة إلى عدم إلحاق أي أضرار بالبيئة في الدول الأخرى من جراء أنشطتها، وعليها أن تتعاون من أجل الوصول إلى قانونية دولية لتنظيم كيفية مواجهة التلوث وغيره من الأضرار المهددة للبيئة الإنسانية^(٥١).

ثانياً: منظمة الصحة العالمية: نشأت عام (١٩٤٧) واتخذت مدينة جنيف مقراً لها. من ضمن أهدافها تقييم الآثار الصحية لعوامل التلوث والمخاطر البيئية الأخرى في الهواء والماء والتربة والغذاء حيث قامت بنشر العديد من المعلومات الخاصة بالمستويات الدولية لمياه الشرب وتقييم الملوثات الحيوية والإشعاعية والمواد السامة والعديد من الإجراءات الخاصة بالتفتيش الدوري على الموانئ الجوية والبحرية وكذلك السفن والطائرات والمعدات والتجهيزات والمباني هذا ما نصت عليه المادة (٤) من دستور المنظمة^(٥٢)، وتفرع حق آخر من هذه المنظمة وسمي (حق الإنسان في البيئة) التي ساهمت بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة في وضع برنامج لمعايير الصحة البيئية يهدف إلى تقييم العلاقة بين التعرض للملوثات التي توجد في الماء والهواء والغذاء وبين صحة الإنسان ووضعت معايير تبين الحدود المسموح بها لكل ملوث في بيئة الإنسان^(٥٣)، بالإضافة إلى دورها الصحي في أعقاب الحرب النووية حيث كانت لديها الكثير من الدراسات وتواصلها مع وكالات الأمم المتحدة في جمع وتحليل البيانات المتعلقة بهذه الأنشطة وتزويد الجمعية العامة بهذه الأنشطة بانتظام، ويتضح لنا أنّ منظمة الصحة العالمية لها دور كبير وفعال وبارز في تكثيف المستويات الوطنية لحماية البيئة من خلال اعداد برامج خاصة بمكافحة التلوث.

ثالثاً: منظمة الأغذية والزراعة: منظمة الأغذية والزراعة^(٥٤)، هي منظمة متخصصة تابعة للأمم المتحدة تقود الجهود الدولية للقضاء على الجوع في العالم، وتقوم بمساعدة البلدان النامية والبلدان في مرحلة التطور على تطوير وتحسين ممارسات الزراعة والغابات^(٥٥)، ومن أهم أهدافها القضاء على سوء التغذية والاهتمام بقضايا الزراعة كالتصحر وإزالة الغابات بالإضافة إلى المحافظة على المصادر وتطويرها ورفع مستوى المعيشة والتغذية لسكان العالم والعمل على زيادة الانتاج الزراعي والحفاظ على المصادر الطبيعية، إنّ عمل واهتمام هذه المنظمة وضع المعايير والمستويات المتعلقة بحماية المياه والتربة والأغذية من التلوث بواسطة بقايا مبيدات الآفات أو عن طريق المواد المضافة للأغذية للمساعدة في حفظها^(٥٦).

^{٥٠} - سهير ابراهيم حاجم الهيتي، مصدر سابق، ص ١١٤.

^{٥١} - هشام بشير، مصدر سابق، ص ٣٥.

^{٥٢} - معمر رتيب محمد عبد الحافظ، مصدر سابق، ص ١١٠ - ١١١.

^{٥٣} - محمد جبار أنوية، مصدر سابق، ص ٥٨.

^{٥٤} - تأسست في السادس عشر من أكتوبر عام ١٩٤٥ في مدينة كوبيك، كندا، وفي عام ١٩٥١ نقل المقر الرئيسي للمنظمة إلى روما، إيطاليا، بلغ أعضاؤها حتى عام ٢٠١٣ (١٦٤) دولة، إضافة إلى الاتحاد الأوروبي، وجزر فارو وتوكلو أعضاء منتسبين www.fao.org ٢٠١٧/١٢/١٢، الساعة ٦:٣٠ م.

^{٥٥} - منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، www.ar.m.wikipedia.org، ٢٠١٧/١١/٢٦، الساعة ٦:٣٠ ص.

^{٥٦} - هشام بشير، مصدر سابق، ص ٣٩.

رابعاً: منظمة التجارة العالمية: تأسست عام ١٩٩٥ ولكن آليات عملها تعود إلى ١٩٤٧ هي منظمة دولية تعنى بتنظيم التجارة بين الدول الأعضاء، وتطوير الانتاج وتنمية التجارة الدولية ينطوي تحت لوائها^(٥٧)، وفي يوم ١٥ أبريل ١٩٩٥ شهد اتخاذ الخطوة الرئيسية في مجال ربط التجارة بالبيئة وإنشاء (لجنة التجارة والبيئة) في اطار منظمة التجارة العالمية ووضعت أهداف بيئية ذات الأثر التجاري الفعال لحماية حياة وصحة الإنسان والحيوان والنبات^(٥٨).

الخاتمة

تناولنا في بحثنا هذا حقاً من حقوق الإنسان وهو حق العيش في بيئة نظيفة بوصفها من المسائل الحيوية والشديدة الأهمية بالنسبة لعالمنا المعاصر وللأجيال المستقبلية ومن خلال البحث توصلنا الى جملة من النتائج والمقترحات نوردها على التوالي:

الاستنتاجات

١- لم يظهر اهتمام المجتمع الدولي لحماية حق الإنسان في البيئة إلا في الربع الأخير من القرن الماضي بعد انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية في ستوكهولم في عام ١٩٧٢ الذي تمخض عنه الإعلان العالمي للبيئة البشرية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، بوصفه أول مناقشة رئيسية لقضايا البيئة وعلى جميع الأصعدة العالمية والاقليمية والمحلية.

٢- ظهرت العديد من الاتفاقيات والمنظمات الدولية ومناشدات لجان حقوق الإنسان التي دعت إلى تشجيع الدول في حماية البيئة لكنها لا تزال قاصرة وغير كفيلة لضمان حياة ومستقبل البشرية.

٣- المجتمع الدولي رغم الجهود التي بذلت منه عن طريق الاتفاقيات والمعاهدات والمنظمات لكنه لم يتوصل إلى حل جميع مشاكل التلوث وفي جميع دول العالم وذلك بسبب التقدم السريع في التكنولوجيا الحديثة.

المقترحات

١- حث المنظمات الدولية بتحديث وتكثيف عملها لكي يتناسب مع التطور التكنولوجي ووضع أنظمة وتعليمات وحلول للحد من تقليل تلوث البيئة وإعطاء توصيات تتناسب مع كل إخلال بهذه التعليمات.

٢- وضع جزاء صارم بخصوص هذا الموضوع للحد من تلوث البيئة وبالأخص الذي تسببت به الدول الصناعية التي تمادت في استخدام موارد الطبيعة وبجميع أشكالها والتي تسببت بتلوث البيئة الطبيعية وبجميع أنواعها.

^{٥٧} - منظمة التجارة العالمية، www.Aljazeera.net، ٢٦/١١/٢٠١٧، الساعة ٩:٠٠ ص.

^{٥٨} - هشام بشير، مصدر سابق، ص ٤٠ - ٤١.

القرآن الكريم

أولاً: الكتب والرسائل والبحوث

- ١- أحمد أبو الوفا، الوسيط في القانون الدولي العام، كلية الحقوق - جامعة القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الخامسة، ٢٠١٠.
- ٣- سيران طه أحمد، الحماية الدولية للبيئة من أسلحة الدمار الشامل (حالة العراق نموذجاً)، رسالة ماجستير، كلية القانون - جامعة السليمانية، ٢٠٠٤.
- ٤- طارق إبراهيم الدسوقي عطية، الأمن البيئي النظام القانوني لحماية البيئة، الاسكندرية، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٩.
- ٥- سهير إبراهيم حاجم الهيبي، المسؤولية الدولية عن الضرر البيئي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية القانون - جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
- ٦- محمد جبار أتيوه، المسؤولية الدولية عن التلوث البيئي في العراق، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بيروت - كلية الحقوق والعلوم السياسية، بيروت، ٢٠١١.
- ٧- محمد صديق محمد عبدالله، الحماية القانونية للبيئة من التلوث (دراسة تحليلية مقارنة) جامعة الموصل، الرافدين للحقوق، مجلد (٩/ السنة الثانية عشر) عدد (٣٢) سنة ٢٠٠٧.
- ٨- معمر رتيب محمد عبد الحافظ، القانون الدولي للبيئة وظاهرة التلوث (خطوة للأمم لحماية البيئة الدولية من التلوث) دار الكتب القانونية، مصر، سنة ٢٠٠٨.
- ٩- هشام بشير، حماية البيئة في ضوء أحكام القانون الدولي الإنساني، القاهرة، ٢٠١٦.
- ١٠- يوسف نور الدين، جبر ضرر التلوث البيئي، دراسة تحليلية مقارنة في ظل أحكام القانون المدني والتشريعات البيئية، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خضير بسكرة، ٢٠١٢.

ثانياً: المواقع الإلكترونية

- ١١- الاتفاقيات الدولية الخاصة بحماية البيئة الهوائية، اتفاقية التلوث بعيد المدى للهواء عبر الحدود، والمنعقدة في جنيف ١٩٧٩، انظر: الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية <http://www.politics-az-com>.
- ١٢- الاتفاقية الدولية المسؤولة عن أضرار التلوث النفط <http://ar.m.wikipedia.org>.
- ١٣- الاتفاقية الدولية لمنع التلوث من السفن الحارس الأمين للبيئة البحرية. www.aldouman.com.
- ١٤- اتفاقية بازل <http://ar.m.wikipedia.com>.
- ١٥- اتفاقية فيينا الخاصة بحماية طبقة الأوزون وبروتوكول مونتريال الخاص بالمواد التي تعمل على تآكل طبقة الأوزون. انظر: موقع الهيئة العامة للإلكترونية.
- ١٦- الأمم المتحدة، المحيطات وقانون البحار برنامج الأمم المتحدة www.un/org.

- ١٧- معاهدة الحظر الجزئي لتجارب الأسلحة النووية في الغلاف الجوي وفي الفضاء الخارجي وتحت الماء ١٩٦٣، انظر معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية <http://www.marefa.org>.
- ١٨- منظمة الأغذية والزراعة الأمم المتحدة www.ar.wikipedia.net.
- ١٩- منظمة التجارة العالمية Aljazeera.org.

ثالثاً: القوانين الداخلية

- ١- القانون الأردني قانون حماية البيئة ٢٠٠٦.
- ٢- القانون البلغاري.
- ٣- القانون العراقي في حماية وتحسين البيئة رقم ٣ لسنة ١٩٩٧.
- ٤- القانون العماني لحماية البيئة ومكافحة التلوث رقم ١ لسنة ١٩٨٢.
- ٥- القانون الفرنسي لسنة ١٩٧٦.
- ٦- القانون الليبي قانون البيئة رقم ٤٤٤ لسنة ١٩٥٠ لسنة ١٩٨٦.
- ٧- القانون المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤.
- ٨- القانون اليوناني رقم ٣٦ لسنة ١٩٨٦، رقم ١٦٥٠ لسنة ١٩٨٦.

الاتجاهات التشريعية الحديثة في إعادة المحاكمة -دراسة مقارنة-

The Modern Legislative Trends in the Re-trial :A comparative study

م.م كرار رياض سيد^(١) Assist. Lect. Karrar Riyadh Said

م.م ميثم غانم الجبوري^(٢) Assist. Lect. Maitham Ghanim Al-Jubouri

المخلص

يعدُّ طريق الطعن بإعادة المحاكمة من طرق الطعن غير العادية في الأحكام القضائية، إذ أجاز المشرع العراقي للمحكوم عليه أو من يمثله قانوناً إن كان حياً، أو لزوجته أو أحد أقاربه إن كان متوفياً، أن يقدم طلباً بإعادة النظر في الأحكام الحائزة لقوة القضية المقضية الصادرة من محكمة الموضوع إلى الادعاء العام الذي بدوره يقوم بالتحقيق في صحة الأسباب التي استند إليها الطلب، ويدقق أوراق الدعوى ثم يقدم مطالعته مع الأوراق إلى محكمة التمييز لكي تنظر بالطلب، فإذا وجدته لم يستوف الشروط القانونية فتقرر رده، أما إذا وجدته مستوفياً لها فتقرر إحالته مع الأوراق إلى المحكمة التي أصدرت الحكم أو إلى المحكمة التي حلت محلها، مرفقاً بقرارها بإعادة المحاكمة، وتصدر المحكمة حكماً بنتيجة إعادة المحاكمة خلال (٩٠) يوماً من تاريخ ورود الإضبارة إليها وإحضار المحكوم أمامها إذا كان الحكم صادراً بالإعدام، وذلك بعد التأكد من توفر أسباب إعادة المحاكمة التي حددها المشرع العراقي في المادة (٢٧٠) من قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١ المعدل، أما في مصر فيقدم طلب إعادة المحاكمة من قبل النيابة العامة، أو من المحكوم عليه، أما إذا كان المحكوم عليه متوفياً فيكون الحق في طلب إعادة المحاكمة لزوجته أو أحد أقاربه على أن يبين في الطلب موضوعه والأسباب التي يستند إليها ويرفق به المستندات التي تؤيده بضمنها الحكم الصادر بالعقوبة أو التدبير، وإن الغاية المتوخاة من وضع طريق إعادة المحاكمة هي لدرء

١- كلية العمارة الجامعة.

٢- كلية الصفوة الجامعة.

الضرر الذي يصيب المحكوم عليه من قبل القاضي أو هيئة المحكمة جراء خطأ وقعت فيه عند إصدارها للحكم القضائي.

الكلمات المفتاحية: إعادة المحاكمة، التمييز، الاستئناف، تصحيح القرار التمييزي.

Abstract

The Iraqi and Egyptian legislators considered the method of challenging the retrial as an unusual method of appeal in judicial decisions. The Iraqi legislator authorized the convicted person or his legal representative if he was alive, or by his wife or relative, if he was deceased, to submit a request to review the judgments The Court of Cassation finds that the request for retrial has not met its legal requirements and decides whether to return it, but if it finds it satisfied, it shall decide to refer it to the court that handed down the sentence or to the court which replaced it, Return The court shall rule on the outcome of the retrial within ninety (90) days from the date of receipt of the file and bring the sentenced person if the sentence was sentenced to death after confirming the reasons for retrial set by the Iraqi legislator in article (270) of the Law of Trials Penal Code No. (23) of 1971 Amended. In Egypt, a request for retrial is submitted by the Public Prosecution or by the convicted person. If the sentenced person is dead, the right to request retrial is the right of his wife or a relative to indicate in the application the subject and the reasons Based on and accompanied by documents that support Including the sentence of the sentence or the measure. The purpose of the re-trial is to prevent damage to the convicted person by the judge or the court by an error in the judgment.

Keywords: The Cache Reset, The Discrimination, The Appeal, Correcting The Discriminatory Decision.

المقدمة

أولاً: التعريف بالموضوع

إذا كانت الأمم تحيا بأخلاقيها، وتخلد حضارتها بسمو العدل فيها، فإنه بقدر ما يمتد سيف العدالة فيها ظلاً وحمايةً للحاكم والمحكوم، بقدر ما ينحسر الظلم، فتبقى دائماً كلمة الحق هي العليا، والقضاء هو سبيل ذلك، فإلى ساحته يهرع الناس جميعاً، فمنذ القدم والقضاء - في المجتمعات كافة على اختلاف أنواعها - يحمل أمانة تحقيقاً للعدل منذ وجوده، فهو السبيل الذي يلتمس فيه المظلوم العدل والإنصاف، وهو سبيل الحاكم لكي يأمن غدر الخارجين على إرادة القانون، كما يعد مأناً للخائفين وملاذاً للمظلومين وحامياً للحقوق والحريات، لذا فقوة القضاء قوة للمستضعفين وضعفه يؤثر على ضمانات المتقاضين، ولعل القضاء في العراق ومصر أكبر شاهد على الحقيقة السابقة، فمن خلاله يستطيع الأفراد ممارسة حقوقهم وحرياتهم العامة، كما يستطيعون مقاضاة السلطة التنفيذية إذا ما تعرضت لهم وانتقصت من حقوقهم من دون مبرر

مقبول ومتفق مع أحكام الدستور والقانون، إذ حرص الدستوران العراقي والمصري على تكريس مبدأ قانوني هام وترسيخه وهو (أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته في محاكمة عادلة ومنصفة). ومع ذلك وعلى الرغم من حرص القضاة على سرعة حسم الدعوى الجزائية خلال فترة زمنية معقولة إلا أنهم قد يواجهون عقبات تحول دون محاكمة المتهم على نحو يضمن له كافة الحقوق التي كفلها الدستور والقانون، أو على نحو لا يرضي الشعور لدى الناس بتحقيق العدالة على النحو المطلوب، وهو الأمر الذي يستتبع بالضرورة إعادة محاكمة المتهم في حالات محددة نص عليها قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي على سبيل الحصر.

كما حرصاً من المشرعين العراقي والمصري على تحقيق الغاية الأساسية من محاكمة المتهم وفقاً لضوابط قانونية يراعي فيها كفالة كافة الحقوق والضمانات التي كفلها الدستور والقانون للمتهم وتحقيق العدالة على النحو المنشود والردع العام والخاص بين طوائف المجتمع، فقد عمد كلا المشرعين إلى إجراء بعض التعديلات على نظم إعادة المحاكمة، فقد أورد المشرع العراقي تعديلاً على قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١ وذلك بالقانون رقم (١٨) لسنة ٢٠١٦ فقد تم إلغاء نص المادة (٢٧١) من قانون أصول المحاكمات الجزائية سالف الذكر، ووضع أطر قانونية جديدة لإعادة محاكمة المتهمين سنوضحها بالتفصيل لاحقاً، أما المشرع المصري فقد حرص أيضاً على تنظيم مسألة الطعن في الأحكام لديه، وذلك تفادياً للسلبات التي كانت تلحق بعمليات إعادة المحاكمات في مصر التي كان من شأنها إطالة أمد النزاع لسنوات طويلة من دون مبرر مقبول، وهو الأمر الذي كان يمثل إهداراً لحقوق المتهم في محاكمة عادلة ومنصفة وسريعة، ولحق الدولة في إيقاع العقاب على الجناة فور ارتكاب الجريمة وذلك في محاولة من الدولة للحد من الأعمال الإرهابية التي انتشرت في الفترة الأخيرة.

ثانياً:- أهمية البحث

تكمن أهمية البحث بما يتسم به هذا الموضوع من أهمية بدأت تتصاعد وتيرتها في الآونة الأخيرة في العراق ومصر، الأمر الذي جعل المشرع العراقي إلى إدخال تعديلات على نصوص قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي، كما أدى إلى أن يتبنى المشرع المصري تعديلات جوهرية على إجراءات المحاكمة لديه نتيجة لما تتعرض له مصر من أعمال إرهابية خسيصة ودنيئة يستحق فاعلوها أشد العقاب.

ثالثاً:- أسباب اختيار موضوع البحث

تبرز أهمية اختيارنا لهذا الموضوع بالآتي:

١. يعود السبب الرئيسي في اختيارنا لهذا البحث إلى كون المحاكمة هي مناط العدل وجوهره، فلا عدالة ترجى من دون محاكمة، ولا محاكمة تقبل إلا إذا كانت عادلة، ولا عدل في محاكمة لم يتوافر فيها للمتهمين الحق في الدفاع عن أنفسهم وفقاً للضوابط التي أقرها القانون واعتمدها الشرائع المتقدمة، التي يأتي في مقدمتها فتح الباب على مصراعيه لإعادة محاكمة المتهم متى ما استجدت ظروف ووقائع جدية كان من شأنها تغيير مسار الحكم في الدعوى الجزائية المطروحة.

٢. ما يتسم به موضوع البحث من إطار عملي وتطبيقي، فلاشك أنَّ الموازنة بين حق المتهم في محاكمة عادلة، وبين حق الدولة في إيقاع العقاب على الجناة من شأنها أن تعمل على تفعيل دور العدالة وتحقيق الردع العام والخاص على النحو المطلوب، ثم التقليل من حجم الجرائم المرتكبة.

رابعاً:- إشكالية البحث

ينطلق البحث من إشكالية مفادها هو إنه على الرغم من أن موضوع إعادة محاكمة المتهمين يعود إلى فترة طويلة من الزمن إلا أن هناك اتجاهات تشريعية حديثة تناوّلها المشرعان العراقي والمصري ولم يتطرق إليها معظم الباحثين بالدراسة بشكل مستفيض رغم حداثة التشريعات الصادرة في هذا الموضوع، الأمر الذي جعلنا البحث فيه، آمليين أن يسهم في سدّ النقص الحاصل في المكتبة القانونية العراقية.

خامساً:- منهجية البحث

سنعتمد في دراستنا اسلوب المنهج التحليلي المقارن من خلال قراءة النصوص القانونية العراقية والمصرية، وتحليلها بغية الوصول إلى سبل السياسة التشريعية التي انتهجها كلٌّ مشرع، ومدى اتفاقها مع العدالة كأحد الأهداف الرئيسة الهامة التي يسعى مرفق القضاء إلى تحقيقها.

سادساً:- هيكلية البحث

يتكون هذا البحث من مبحثين رئيسيين، وخاتمة تتضمن أهم النتائج التي تمخض عنها البحث، ومجموعة من التوصيات التي توصل إليها الباحثان من خلال البحث.

المبحث الأول: مفهوم إعادة المحاكمة وأطرها العامة في القانون العراقي والمقارن

تمهيد:

قد تمثل إعادة المحاكمة^(٣) طرق النجاة للمتهمين ولاسيما الأبرياء منهم فإلتهام بريء حتى تثبت إدانته^(٤) في محاكمة عادلة ومنصفة^(٥)، وقد تمثل في الوقت ذاته مجالاً خصباً للراغبين في إطالة أمد النزاع القضائي بشكل غير مبرر وعلى نحو يضر بالعدالة وأغراضها^(٦)، وحقيقة الأمر أنَّ معيار التوفيق بين هذين الاعتبارين يختلف من مشروع جنائي لآخر، بيد أنَّ المتفق عليه بين تلك التشريعات هي ضرورة التوفيق بين مصلحتين جديرتين بالحماية:

الأولى: - تتمثل بمصلحة المجتمع في إنزال العقاب على الجاني الحقيقي من دون غيره^(٧).

٢- حيث كان الطاعن يرمي إلى حث القاضي على سحب الحكم الخطأ، وإصدار حكم جديد بدلاً منه، وكان يسمى في ذلك الوقت الإعادة بالغلط، ولكن هذا الغلط بتقدير وقائع الحكم ليس فيه تبرج للقاضي الذي أصدر الحكم، وفي سنة ١٦٦٧ تم إلغاء مصطلح نظام الإعادة بالغلط، وتم تسميته بالتماس إعادة النظر، وحصر الأسباب التي يجوز فيها الطلب بإعادة النظر في تقدير الوقائع أو الخطأ في الإجراءات، د. نبيل إسماعيل عمر، الطعن بالتماس إعادة النظر في المواد المدنية والتجارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ١٢.

٤- تثبت صفة المتهم للشخص إذا طالبت جهة من جهات التحقيق بمحاكمته وإيقاع العقاب عليه بمناسبة حدوث جريمة مدعية نسبة ارتكاب الجريمة إليه سواء كانت هذه الجهة هي النيابة العامة، أو قاضي التحقيق، أو المحكمة في حالات التصدي وفي جرائم الجلسات، وإذا قام مأمور الضبط القضائي بالقبض عليه في الأحوال التي أجاز له القانون ذلك، أو قام المضرور من الجريمة باستعمال حقه في الادعاء المباشر، فقد تكلف المحكمة الفرد بالحضور أمامها، وما تجدر الإشارة إليه إنه تزول صفة المتهم عن الشخص في القانون المصري في الأحوال الآتية:-

أولاً:- إذا صدر حكم بالبراءة لصالح المتهم فتزول عنه صفة المتهم ويصبح شخصاً عادياً.
ثانياً:- إذا صدر حكم بالإدانة على المتهم، فتزول عنه صفة المتهم، ويأخذ صفة المحكوم عليه، ويمكن أن تعود صفة المتهم للشخص من جديد بعد صدور حكم بالإدانة إذا نقض حكم الإدانة من قبل محكمة النقض أو قبل طلب إعادة النظر في حكم الإدانة بناءً على أحوال التماس إعادة النظر.

ثالثاً:- إذا انتهت تحقيقات النيابة العامة بصدر قرار بالأوجه لإقامة الدعوى الجنائية، ومع ذلك قد تعود صفة المتهم للشخص مرة ثانية إذا أُلغي قرار النيابة العامة بالأوجه لإقامة الدعوى الجنائية.

رابعاً:- إذا كان المعتقد اشتراك عدة أشخاص في ارتكاب الجريمة، ثم بعد ذلك ثبت للنسبة العامة عدم أحقية تقديم بعضهم للمحاكمة فوجه الاتهام بالنسبة للبعض من دون البعض الآخر، فمن لم يوجه إليه الاتهام تزول عنه صفة المتهم، في حين تظل لصيقة بمن وجه إليه الاتهام، د. أبو السعود عبد العزيز عبد العزيز موسى، ضمانات المتهم وحقوقه في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠١٥، ص ٤٢.

٥- حيث نصت المادة (١٩) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ على:

أولاً:- القضاء مستقل لا سلطان عليه لغير القانون.

ثانياً:- لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص ولا عقوبة إلا على الفعل الذي يعده القانون وقت اقترافه جريمة، ولا يجوز تطبيق عقوبة أشد من العقوبة النافذة وقت ارتكاب الجريمة.

ثالثاً:- التقاضي حق مصون ومكفول للجميع.

رابعاً:- حق الدفاع مقدس ومكفول في جميع مراحل التحقيق والمحاكمة.

خامساً:- المتهم بريء حتى تثبت إدانته في محاكمة قانونية عادلة، ولا يحاكم المتهم عن التهمة ذاتها مرة أخرى بعد الإفراج عنه إلا إذا ظهرت أدلة جديدة.

٦- إن مشكلة بطء الإجراءات الجنائية تعرقل سير العدالة الجنائية لكون العدالة البطيئة تعد صورة من صور الظلم، لأن إدراك العدالة لا يتحقق بصدر الحكم العادل أي الحل المنصف فحسب وإنما يقتضي صدور هذا الحكم في وقته وذلك لأن عامل الزمن له أهميته في تحقيق العدالة، د. أحمد فتحي سرور، الشرعية الدستورية وحقوق الإنسان في الإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٤٥.

٧- تسعى السياسة الجنائية العقابية التي يضمها علم العقاب إلى الوقوف على الكيفية التي ينبغي بها مواجهة الظاهرة الإجرامية في مرحلة التنفيذ العقابي، بما يكفل تحقيق أهداف المجتمع في منع الجريمة أو تقليصها إلى أبعد مدى. G. Levasseur, G. Stéfani et

والثانية:- تتمثل بمصلحة المتهم في محاكمته محاكمة عادلة يكفل له فيها سبل الدفاع عن نفسه على نحو يشعره بعدالة الحكم الصادر من القاضي^(٨).

وحقيقة الأمر أنَّ الحديث عن مفهوم إعادة المحاكمة لا يمكن أن يستقيم بأي حال من الأحوال من دون التعرض لماهيتها وضوابطها، وتمييزها عن طرق الطعن الأخرى، عليه سنتناول ذلك من خلال مطلبين.

المطلب الأول:- ماهية إعادة المحاكمة وضوابطها

لغرض إعطاء فكرة واضحة عن ماهية إعادة المحاكمة لا بد من التطرق إلى التعريف اللغوي والاصطلاحي لها وعلى النحو الآتي:

أولاً: التعريف اللغوي لإعادة المحاكمة

مصطلح إعادة المحاكمة مشتق من لفظين الأول إعادة والثاني المحاكمة، والإعادة في اللغة: مأخوذة من العود ومنها صفة الله تعالى المبديء المعيد، فهو جلّ في علاه من يعيد الخلق إلى الحياة بعد الممات يوم الحساب، وجاء عن شريح قوله إنما القضاء جمر فادفع الجمر عنك بعودين أي شاهدين^(٩)، أما المحاكمة لغة فهي مأخوذة من القاضي الذي حكم الأشياء ويتقنها^(١٠)، والحكم هو العلم والفقه، والحكومة رد الرجل عن الضيم ومنها حكمة اللجام لأنها ترد الدابة، والحكم صدر حكم أي قضى^(١١)، والحكم مقيد بالقضاء العادل، ويقال حكمته في مالي إذا جعلت له الحكم فيه واحتكم فلان في مال فلان إذا أجاز فيه حكمه^(١٢).

ثانياً: التعريف الاصطلاحي لإعادة المحاكمة

اختلفت وتعددت التعريفات التي قيلت بشأن مصطلح المحاكمة، فلم تعرف تعريفاً مانعاً جامعاً إذ إنَّ كل فقيه أو باحث عرفها من زاوية نظر خاصة به، فقد عرفت بأنها: "المرحلة الثانية للدعوى الجنائية، ويطلق عليها تعبير التحقيق النهائي وهي مجموعة من الإجراءات التي تستهدف تحييص أدلة الدعوى جميعاً، ما كان منها ضد مصلحة المتهم وما كان في مصلحته، وتهدف بذلك إلى تقصي كل الحقيقة الواقعية والقانونية في شأنها، ثم الفصل في موضوعها، أما بالإدانة إذا كانت الأدلة جازمة، أو بالبراءة إنَّ لم تتوفر الأدلة الجازمة"^(١٣).

R. Jambu-Merlin, Criminologie et science pénitentiaire, Précis Dalloz, 4ème éd. 1980, p. 1 et s ; B. Bouloc, Pénologie, Précis Dalloz, 1991, n°1, p. 1 et s

٨- يقوم القضاء بتحخيص الأدلة وتقدير أهميتها لتصدر بعد ذلك حكمها، د. محمد رشاد الشايب، الحماية الجنائية لحقوق المتهم وجرماته، دراسة مقارنة، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٢، ص ٤٨.

٩- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، المصري جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣١٥.

١٠- القضاء هو الملاذ الحقيقي للمظلوم وإليه يهرع للحصول على حقه وانصافه، لمزيد من التفاصيل راجع د. مجدي صالح يوسف الجارحي، ضمانات المتهم أمام المحاكم العسكرية في النظام القانوني المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١١، ص ٣.

١١- ولا شك أن المتقاضين يستمدون قوتهم من قوة القضاء، د. طلعت يوسف خاطر، القضاء العادل كضمانة للعدالة الانتقالية، دراسة مقارنة، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠١٦، ص ٥.

١٢- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، المصري جمال الدين أبو الفضل، المرجع السابق، ص ١٤٠.

١٣- د. محمود نجيب حسني، شرح قانون الإجراءات الجنائية، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٧٥٣.

أما إعادة المحاكمة الجنائية فقد عرفت بأنها: "طريق من طرق الطعن غير العادية^(١٤) جعلها المشرع وسيلة لرفع الخطأ الواقعي الذي أصاب الأحكام الباتة الصادرة بالإدانة، وذلك عن طريق رؤية الدعوى التي سبق الفصل فيها ثانية وإصدار حكم جديد فيها^(١٥)، ويعرفها البعض على أنها: "طريق غير عادي سمح به القانون لتصحيح الأخطاء الجسيمة التي تشوب الأحكام الباتة، من أجل ضمان حسن تحقيق العدالة"^(١٦).

كما يعرفها الباحثان بأنها: "طريق من طرق الطعن في الأحكام القضائية الغرض منها رفع السهو أو الخطأ الذي يصيب الأحكام القضائية والذي من شأنه أن يؤثر على المحكوم عليه فقد تقوم المحكمة بإعادة المحاكمة مجدداً وتصدر حكماً جديداً".

والأصل أنَّ الحكم البات هو عنوان الحقيقة، فلا يجوز بعد صيرورته باتاً الطعن عليه بأي طريق من طرق الطعن أو البحث عن حقيقة أخرى غير تلك التي عبر عنها هذا الحكم، إلا أنَّ المشرع الوضعي وضع بعض الاستثناءات وفي حدود معينة يثبت عكس هذه القرينة القانونية المستفادة من حجية الأحكام الباتة، ورأى أنَّ الإبقاء على الحجية المطلقة للحكم البات على أثر ثبوت الخطأ الجسيم الذي شاب الحكم هو أمر تتأذى منه العدالة ويشوه الحقيقة التي يعبر عنها، وتلافياً لذلك الوضع الذي ترفضه العدالة، سمح القانون في حالات معينة وبشروط محددة المساس بقوة القضية المقضية عن طريق طلب إعادة النظر، فهذا الطلب هو الوسيلة القانونية التي يمكن من خلالها التعرف على الخطأ الموضوعي الذي شاب الحكم البات، حمايةً للمصلحة الاجتماعية في تلافي هذا الخطأ، وهو المنفذ القانوني لاستبعاد قوة الأمر المقضي به والسماح تبعاً لذلك ببحث جديد في موضوع الدعوى توصلاً إلى حكم جديد يعبر عن الحقيقة المطلقة^(١٧).

وما تجدر الإشارة إليه أنه على الصعيد الدولي تميل أغلب المعاهدات والاتفاقيات الدولية إلى التأكيد على عدم جواز محاكمة الشخص الواحد عن ذات الفعل مرتين، وهذا المبدأ يعني عدم تقديم شخص قد أدين أو بُرئ من جريمة معينة مرة أخرى أمام المحكمة نفسها أو أمام محكمة أخرى، على الجريمة نفسها، ويشمل هذا الأمر جميع الجرائم مهما كانت خطورتها، ويحتل هذا المبدأ أهمية بالغة نصت عليه المواثيق والاتفاقيات الدولية، كالعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦، الذي أشار إلى أنه: "... لا يجوز تعريض أحد مجدداً للمحاكمة أو للعقاب على جريمة سبق أن أدين بها أو بُرئ منها بحكم

^{١٤} - تنقسم طرق الطعن في الأحكام إلى طرق عادية وطرق غير عادية، وأساس هذا التقسيم هو أنَّ طرق الطعن العادية يجوز سلوكها لمجرد عدم رضا المحكوم عليه بالحكم الصادر ضده وله تقديم ما يشاء من الأسباب التي يعتقد بأنها تعيب الحكم سواء ما تعلق منها بالقانون أو بالوقائع، أو بسلطة القضاء التقديرية في كيفية تفسير انطباق القانون على الوقائع، أما طرق الطعن غير العادية فلا يجوز سلوكها إلا إذا كان عدم رضا المحكوم عليه يستند إلى سبب من الأسباب المحددة في القانون، وقابلية الحكم للطعن فيه بالطرق التي حددها القانون لكي توفق بين فكرة الحجية التي تقضي باحترام الحكم تحقيقاً للمصلحة العامة، وبين مصلحة الفرد الخاصة التي تقضي إشباع غريزة العدالة في نفسه، بتصحيح ما شاب الحكم الصادر ضده من أخطاء، والجدير بالذكر أن طرق الطعن في الأحكام التي نظمها المشرع العراقي هي الاعتراض على الحكم الغيابي والاستئناف، وإعادة المحاكمة، والتمييز، وتصحيح القرار التمييزي، واعتراض الغير، والطعن لمصلحة القانون، د. غسان مدحت خير الدين، طرق الطعن في الأحكام، الطبعة الأولى، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣، ص ١١٤.

^{١٥} - د. سعيد حسب الله عبد الله، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، كلية القانون، جامعة الموصل، بدون سنة نشر، ص ٤٦٢.

^{١٦} - د. أحمد فتحي سرور، النقض الجنائي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٥٦٧.

^{١٧} - د. أحمد فتحي سرور، المرجع السابق، ص ٥٦٧.

نهایی وفقاً للقانون وللإجراءات الجنائية في كل بلد...^(١٨)، وتطبيقاً لهذا المبدأ فقد رأت المحكمة الأوروبية أن المادة (٤) من البروتوكول (٧) الملحق بالاتفاقية الأوروبية قد انتهكت في قضية (Gradinger) ضد النمسا عام ١٩٩٥، المتعلقة بصاحب بلاغ كان سبق أن أُدين من قبل المحكمة المحلية النمساوية لتسببه في وفاة أحد الأشخاص بسبب إهماله وهو يقود سيارته، ووفقاً للمحكمة الإقليمية التي ارتكزت على القانون الجنائي كانت نسبة الكحول في الدم لدى صاحب هذه الدعوى لم تبلغ المستوى الذي من شأنه أن يشكل عاملاً مشدداً، لكن المحامي العام للمقاطعة اختلف في الرأي مع هذا الاستنتاج وتذرع بالقانون المتعلق بحركة النقل على الطرق لفرض غرامة على صاحب الدعوى قوامها الحبس لمدة اسبوعان بسبب السياقة تحت تأثير الكحول، ورأت المحكمة الأوروبية أنه بالرغم من أن القانون الجنائي والقانون المتعلق بحركة النقل على الطرق اختلف كلاهما فيما يتعلق بتحديد الجريمة وطبيعتها وغرضها، إلا أن القرارات المطعون فيها استندت إلى أساس السلوك نفسه الأمر الذي يشكل انتهاكاً لمبدأ عدم جواز محاكمة الشخص بنفس التهمة مرتين^(١٩).

أما عن إعادة المحاكمة على النحو المراد من بحثنا هذا فإننا نجد أن المحاكم الدولية لا تتوانى عن إعادة محاكمة المحكوم عليهم متى ما ظهرت أدلة جديدة رأت المحكمة أن من شأنها أن تغير في الحكم الصادر منها، بل أن المحكمة الدولية تحكم بتعويضات باهظة لأولئك المتهمين عما أصابهم من ضرر جراء الأحكام الخاطئة التي طبقت عليهم^(٢٠).

المطلب الثاني:- التمييز بين إعادة المحاكمة وطرق الطعن الأخرى

للقوف على ماهية إعادة المحاكمة الجنائية على وجه الدقة يتعين علينا أن نميز بينها وبين ما يشبهها من طرق قانونية أخرى أقرها القانون لإعادة الطعن في الأحكام، كاستئناف الحكم، وتمييزه، و الاعتراض على الأحكام الغيائية.

أولاً:- إعادة المحاكمة واستئناف الأحكام

أجاز القانون العراقي والمصري استئناف الأحكام كمبدأ عام في جميع الأحكام التي تصدر من القضاء بشرط أن تكون هذه الأحكام صادرة من محاكم جزائية ولم يحظر المشرع استئنافها وأن تكون فاصلة في الموضوع وأن يتم الاستئناف خلال الميعاد المقرر قانوناً^(٢١)، والهدف من تقرير الاستئناف هو تحقيق المصلحة

^{١٨} - المادة (١٤) الفقرة (٧) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

^{١٩} - Eur. Court HR, Case of Gradinger v. Austria, judgment of 23 October 1995, Series A, No. 328-C, p. 66, para. 55 الموقع على www.echr.coe.int/ECHR/EN/ : متاح على الموقع

^{٢٠} - من أجل تصحيح أخطاء قضاة المحكمة الجنائية الدولية تبنى نظام روما التعويض عن الخطأ القضائي، كضمانة للمتهم لذلك فقد حدّد حالات استحقاق التعويض على سبيل الحصر، حيث بموجبها يمكن للمتهم أن يلتمس من هيئة المحكمة التعويض المقرر والمكفول له، ومن الحالات التي تستوجب التعويض عن الخطأ القضائي هي تعرض المتهم للقبض أو الاحتجاز من دون وجه حق في أية مرحلة من مراحل سير الدعوى، كما له أن يطلب بحقه في التعويض متى ما تمكن من نقض الإدانة بعد اكتشافه لأدلة جديدة لم تكن متاحة وقت المحاكمة وأن إخفاءها لم يعز إليه، أو متى ما ارتكب القضاة أو المدعي العام أو نواب المدعي العام أو المسجل أو نائبه خطأ قضائياً جسيماً، إذ بينت القواعد الإجرائية إجراءات طلب التعويض الواجب اتباعها أثناء رفع دعوى التعويض من أجل الحصول على مبلغ التعويض، وإن التعويض عن الخطأ القضائي في نظام روما تقرر لمحو آثار أخطاء العدالة الصادرة من محققين وقضاة المحكمة الجنائية الدولية التي وجدت أصلاً لدفع الضرر لا لإحداثة، خدومة عبد القادر، التعويض عن الخطأ في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، بحث منشور في مجلة الدراسات الحقوقية، العدد الثامن، الجزائر، ٢٠١٧، ص ٥٣.

^{٢١} - د. محمد عيد الغريب، الوجيز في شرح قانون الإجراءات الجنائية، مكتبة الجلاء، المنصورة، ٢٠٠٥، ص ٦٣٦.

العامة التي تقتضي تدعيم ثقة أفراد المجتمع في العدالة الجنائية من خلال تصحيح ما يحتمل من أخطاء قضائية تجنباً للاعتراف بالقوة لحكم معيباً^(٢٢)، بناءً على ذلك سنوجز أوجه الشبه والاختلاف بين إعادة المحاكمة واستئناف الحكم على النحو الآتي:

١- أوجه الشبه بين إعادة المحاكمة واستئناف الحكم

يستند حق الاستئناف إلى احتمال وقوع خطأ في حكم محكمة أول درجة، الأمر الذي يجعل من الاستئناف وسيلة قانونية للتحقق من سلامة الحكم وتصحيح ما قد يشوبه من أخطاء في تحصيل الوقائع أو في تطبيق القانون، رغبةً في الحصول على حكم قضائي مطابق للواقع وموافق للقانون^(٢٣)، وبهذا المفهوم يتفق الاستئناف مع إعادة المحاكمة في أنَّ إعادة المحاكمة تهدف إلى مطابقة الحكم القضائي للواقع وعدم انحرافه عنه على نحو يضر بعدالة مرفق القضاء.

٢- أوجه الاختلاف بين إعادة المحاكمة واستئناف الحكم

من أهم أوجه الاختلاف بين إعادة المحاكمة واستئناف الحكم هو الشروط الجوهرية لقبول الاستئناف هو أن يكون الحكم صادراً من محكمة أول درجة وذلك خلافاً لإعادة المحاكمة والتي تتم عندما يصبح الحكم حائزاً لقوة الأمر المقضي به.

ثانياً:- إعادة المحاكمة والطعن تمييزاً

تطرق المشرعان العراقي والمصري إلى طريق الطعن عن طريق التمييز وهو طريق غير عادي يُلجأ إليه لإصلاح ما شاب الحكم من مخالفة للقانون أو بطلان سواء في الحكم المطعون فيه، أو في الإجراءات التي أسس عليها^(٢٤)، والغرض منه هو لبيان ما إذا كانت هناك مخالفة لحكم القانون، وما إذا كانت محكمة الموضوع قد طبقت القانون تطبيقاً سليماً من عدمه^(٢٥).

١- أوجه الشبه بين إعادة المحاكمة والطعن تمييزاً

تأسيساً على ما تقدم يمكننا القول بأنَّ تمييز الحكم، أو نقضه يتشابه مع إعادة المحاكمة في أنَّه يعيد الدعوى إلى محكمة الإعادة بجاليتها التي كانت عليها قبل صدور الحكم المنقوض فلا تنقيد بما ورد في الحكم الأول في شأن تقدير وقائع الدعوى ولا يقيد بها حكم النقض في إعادة تقديرها بكامل حريتها فيصبح الحكم المنقوض لا وجود له، وتضحى مناعي الطاعن على هذا الحكم غير ذات موضوع، ومن ثمَّ فإنه لا يقبل من الطاعنين أن يطالبوا المحكمة (محكمة الإعادة) بالرد على ما أثاره الطاعن من أوجه نعي على الحكم المنقوض^(٢٦).

٢- أوجه الاختلاف بين إعادة المحاكمة والطعن تمييزاً

من أهم أوجه الاختلاف بين إعادة المحاكمة والطعن تمييزاً ما يأتي:-

٢٢- د. عوض محمود عوض، المبادئ العامة في قانون الإجراءات الجنائية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص ٦٧٥.

٢٣- د. محمود نجيب حسني، المرجع السابق، ص ١٠٩١.

٢٤- د. أحمد هندي، أصول المحاكمات المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٤٢٦.

٢٥- د. عيد القصاص، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار الكتب، القاهرة، ٢٠١٠، ص ١١٥٠.

٢٦- الطعن رقم (٤٢١٧) لسنة ٥٢ ق جلسة ١٩٨٢/١١/١ غير منشور.

- أ. الطعن بالتمييز لا يكون إلا في الأحكام النهائية، في حين أن إعادة المحاكمة لا يمكن أن تقع إلا على الأحكام التي حازت قوة الشيء المقضي به.
- ب. الطعن بطريق التمييز من شأنه تصحيح الأخطاء، والمخالفات القانونية التي يرجع سببها إلى المحكمة التي أصدرت الحكم المطعون فيه، في حين أن طريق الطعن بإعادة المحاكمة غايته تصحيح الأخطاء التي لا يرجع سبب ارتكابها إلى المحكمة التي أصدرت القرار المطلوب إعادة المحاكمة فيه.
- ج. الطعن بطريق التمييز يقدم إلى محكمة التمييز، وهي المحكمة التي تشرف على حسن تطبيق القانون، وهي غير المحكمة التي أصدرت القرار المطعون فيه، في حين سمح القانون للخصوم أن يتقدموا بطلب إعادة المحاكمة أمام المحكمة نفسها التي أصدرته، والسبب في ذلك أن الأخطاء التي نسبت إلى هذا القرار لم يكن سببها المحكمة، وإنما الخصوم أنفسهم لذا لم يرَ المشرع حاجة إلى اللجوء إلى محكمة أعلى، واكتفى بعرض ذلك على المحكمة التي أصدرته، وفي تطور حديث قام المشرع المصري بتعديل بعض نصوص قانون الإجراءات الجنائية لديه- نتيجة للظروف التي تمر بها البلاد ولاعتبارات تتعلق بتحقيق العدالة وحسن سير القضاء- فأصدر تعديلات على قانون الإجراءات الجنائية رقم (١٥٠) لسنة ١٩٥٠، وقانون حالات وإجراءات الطعن أمام محكمة النقض الصادر بقانون رقم (٥٧) لسنة ١٩٥٩ الذي أجاز فيه للدائرة الجنائية بمحكمة النقض عند نظر الموضوع حق إقامة الدعوى طبعاً لما هو مقرر من المادة (١١) من قانون الإجراءات الجنائية، أي أن لمحكمة النقض حق التصدي لإقامة الدعوى الجنائية ضد متهمين آخرين خلاف الواردة أسماؤهم بأمر الإحالة، أو بصدد وقائع غير واردة بأمر الإحالة شملتها التحقيقات، وبذلك تتحول محكمة النقض من محكمة قانون إلى محكمة موضوع تنظر الدعوى وتبت فيها من دون أن تتقيد بعدد مرات الإحالة إليها، وهو منحي جديد سلكه المشرع المصري حيث منحه لمحكمة النقض بمهدف تحقيق العدالة وعدم إطالة أمد المحاكمة من دون مبرر مقبول.

ثالثاً: -إعادة المحاكمة والاعتراض على الحكم الغيابي

يعد طريق الاعتراض على الحكم الغيابي من طرق الطعن في الأحكام التي قررها قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١ المعدل، بالإضافة إلى طرق التمييز وتصحيح القرار التمييزي وإعادة المحاكمة، كما ويعد أيضاً أحد أهم الضمانات التي وفرها القانون للمتهم حيث يجب أن تكون هناك فسحة للمتهم المحكوم غيابياً تمكنه في الدفاع عن نفسه بعد علمه بقرار الحكم الغيابي الصادر بحقه، وإيصال الحقيقة أمام المحكمة وصولاً إلى الحكم العادل.

١- أوجه الشبه بين إعادة المحاكمة والاعتراض على الحكم الغيابي

يتفق طريق الطعن بإعادة المحاكمة مع طريق الاعتراض على الحكم الغيابي في نقطة واحدة وهي أن كل منهما يمكنان المحكمة من إعادة النظر في الموضوع من جديد.

٢- أوجه الاختلاف بين إعادة المحاكمة والاعتراض على الحكم الغيابي

يختلف طريق إعادة المحاكمة عن طريق الاعتراض على الحكم الغيابي في الحكمة التي تقرر من أجلها كل واحد منهما، فالحكمة التي تقرر من أجلها الحكم الغيابي هي تمكين المتهم من إبداء دفاعه أمام محكمة

الموضوع، عندما يصدر حكماً بغيابه ولم يتمكن من إبداء دفاعه^(٢٧)، أمّا في إعادة المحاكمة فالمحكمة ليست تمكين المتهم من إبداء دفاعه لأنّ المتهم قد أبدى دفاعه بالفعل أمام محكمة الموضوع التي لم تقتنع به وأصدرت حكمها البات بإدانتها، ولكنها تكمن في ظهور وقائع جديدة تستلزم إعادة نظر الدعوى، فهذه الوقائع الجديدة من شأنها أن تؤثر بشكل مباشر على الحكم الصادر في الدعوى.

المبحث الثاني: السياسة التشريعية العراقية والمصرية المتبعة في إعادة المحاكمة

تمهيد:

أتاح المشرع العراقي للمحكوم عليه طلب إعادة النظر بالحكم الصادر ضده بقصد إبطاله، أو نقضه أو فسخه أو تعديله، سواء تم تقديم هذا الطلب أمام المحكمة التي أصدرت الحكم أو أمام محكمة أعلى منها، ويُعد طريق الطعن بإعادة المحاكمة هو الطريق الثالث الذي أشار إليه المشرع العراقي حينما عدد طرق الطعن بالأحكام في المادة (١٦٨) من قانون المرافعات المدنية وعالجه في المواد من (١٩٦) إلى (٢٠٣) من قانون المرافعات المدنية رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ المعدل النافذ، ويعد طريق الطعن بإعادة المحاكمة أو التماس إعادة النظر - كما أسمته بعض التشريعات - من بين أهم طرق الطعن في الأحكام التي تقع أمام المحكمة التي أصدرت الحكم، وتبدو أهميته من أنّه يواجه حالات من الغش والتزوير والتجاوز على القانون لاستصدار أحكام غير عادلة ولا تتطابق مع الواقع ولا مع الإنصاف، فليس من العدل احترامها وإلزام المحكوم عليه بتنفيذها، فكان لا بد من إيجاد طريق يتمكن به المحكوم عليه من كشف حقيقتها أمام القضاء وصولاً لإبطالها أو تعديلها بما يتلاءم مع الحق والإنصاف، وإعادة المحاكمة طريق من طرق الطعن غير العادية يلجأ الخصم بمقتضاها إلى المحكمة التي أصدرت الحكم بقصد إبطاله لسبب من الأسباب التي نص عليها القانون، ولا يقصد منه تجريح الحكم، وإنما يطلب به من المحكمة مجرد سحب حكمها الذي أصدرته وإعادة النظر فيه، بدليل أنّه يُرفع إلى ذات المحكمة التي أصدرته، هذا على صعيد قانون المرافعات المدنية والتجارية العراقي، أمّا على صعيد قانون أصول المحاكمات الجزائية فقد أدخل المشرع العراقي تعديلاً على نصوص هذا القانون نظم من خلاله آلية إعادة محاكمة المحكوم عليهم، إذ نص على إعادة المحاكمة في المواد من (٣٧٠) إلى (٣٧٩) منه^(٢٨)، بناءً على ما تقدم سنقوم بدراسة هذا المبحث من خلال المطالبين الآتيين:-

^{٢٧} - في مصر يخضع الحكم الغيابي الصادر في الجنبّة للمعارضة وتنفيد المحكمة حين تنظر المعارضة بقاعدة لا يضار المعارض بناءً على المعارضة المرفوعة منه، ولا يجوز للمحكمة أن تشدد العقوبة المحكوم بها غيابياً، كما أن الطعن في هذا الحكم الغيابي بطريق النقض لا يكون جائزاً إلا إذا ثبت إنه أصبح نهائياً قبل تقرير الطعن بالنقض، أمّا في الجنايات فلا يجوز لمحكمة الجنايات أن تحكم على المتهم في غيابه إلا بعد إعلانه قانونياً بالجلسة التي تحدّد لنظره دعواه لأن الإعلان القانوني شرط لازم لصحة اتصال المحكمة بالموضوع، فإذا كان المتهم لم يعلن أصلاً أو كان إعلانه باطلاً فلا يحق للمحكمة أن تتعرض للدعوى فإن هي فعلت كان حكمها باطلاً ويجب عليها في هذه الحالة تأجيل الدعوى إلى جلسة أخرى لإعادة تكليف المتهم بالحضور على الوجه الصحيح. د. محمد عيد الغريب، المرجع السابق، ص ٥٥٣، ٥٥٢.

^{٢٨} - د. عبد الأمير العكيلي وآخرون، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، الجزء الثاني، مكتبة السهوري، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٣٠.

المطلب الأول:- شروط طلب إعادة المحاكمة وأثره

تستلزم عملية إعادة المحاكمة توافر مجموعة من الشروط الشكلية والموضوعية في طلب إعادة المحاكمة حتى ينتج ثماره، لذا سنتناول هذه الشروط على النحو الآتي:-

أولاً: الشروط الشكلية

نص المشرع العراقي على شروط شكلية معينة في طلب إعادة المحاكمة حيث حدد الجهة المنوط بها النظر في طلب إعادة المحاكمة، وصاحب الحق في طلب المحاكمة، والإجراءات المتبعة في هذا الشأن سنتناول هذه الشروط على النحو الآتي:-

١- صاحب الحق في تقديم الطلب

لبيان من هو صاحب الحق في تقديم طلب إعادة المحاكمة في العراق ينبغي أن نؤكد على حقيقة مفادها أن قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي قد ميز بين فرضين.

الفرض الأول:- أن يكون صاحب الحق في طلب إعادة المحاكمة حياً وهو المحكوم عليه. فيكون في هذه الحالة للمحكوم عليه أو من يمثله قانوناً الحق في طلب إعادة المحاكمة، وفي مصر يقدم الطلب من النيابة العامة، أو من المحكوم عليه. الفرض الثاني:- إذا كان المحكوم عليه متوفياً فيكون الحق لطلب إعادة المحاكمة من حق زوجته أو أحد أقاربه.

وهي صورة مستحدثة وضعها المشرع العراقي من أجل تحقيق الصالح العام واعتبارات العدالة، وذلك خلافاً لما تبناه المشرع والقضاء المصري حيث قضى بأنه: "«إذا كان الحكم في الطعن بالنقض قد صدر بعد وفاة الطاعن التي لم تكن معلومة للمحكمة وقت صدوره، فإنه يتعين العدول عن الحكم المذكور، و القضاء بانقضاء الدعوى الجنائية لوفاة المحكوم عليه»^(٢٩)، ونحن نتفق مع المشرع العراقي لأن المحاكمة هنا هدفها تحقيق العدالة وليس إنهاء الدعوى الجنائية.

٢- الجهات التي يقدم لها الطلب والإجراءات المتبعة بشأنه

يقدم الطلب إلى الادعاء العام الذي بدوره يطلب إضبارة الدعوى ويقوم بالتحقيق في صحة الأسباب التي استند إليها الطلب، ويدقق أوراق الدعوى وبعد استكمالها للتحقيقات اللازمة عليه أن يقدم مطالعة مع الأوراق إلى محكمة التمييز، وتعد محكمة التمييز هي الجهة المختصة بنظر الطلب، مع مراعاة أن تقديم طلب إعادة المحاكمة لا يوقف تنفيذ الحكم إلا إذا كان الحكم الصادر هو الإعدام، ويرى الباحثان إنه من الضروري أن يعدل المشرع العراقي في قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١ المعدل ويجعل طلب إعادة المحاكمة يقدم من قبل الادعاء العام أو المحكوم عليه إلى محكمة التمييز مباشرة أسوة بالمشرع المصري الذي جعل تقديم الطلب من قبل النيابة العامة أو المحكوم عليه وذلك للدور الرقابي الذي يمتلكه الادعاء العام وبعده خصصاً شريفاً في الدعوى وذا علمية في مجال اختصاصه، بعكس المحكوم عليه الذي يجعل القانون، كما نوصي المشرع العراقي أيضاً بضرورة تعديل المادة (٥/عاشراً) من قانون الادعاء العام

^{٢٩}- نقض في ١٢/٤/١٩٦٢ أحكام النقض، ص ٨٢٤ رقم ١٩٨ - مشار إليه لدى د. عوض محمد عوض، شرح قانون الإجراءات الجنائية، الجزء الأول، ١٩٩٠، ص ١٣٣.

رقم (٤٩) لسنة ٢٠١٧ التي تنص على أن: "تقديم الطلبات وإبداء الرأي في قضايا التعهد بحفظ السلام وحسن السلوك وإعادة محاكمة..."، حقيقة الأمر إن هذه المادة تبدو لنا غامضة فيجب أن تكون أكثر وضوحاً لكي يفهم الباحث من خلالها هل إن مهام الادعاء العام تقديم الطلبات في إعادة المحاكمة أم إبداء الرأي في إعادة المحاكمة.

وما تجدر الإشارة إليه هو إنه لا يخرج موقف محكمة التمييز عن أحد فرضين:-
الفرض الأول:- تجد الطلب مستوفياً للشروط القانونية اللازمة له ولها أن تقبل الطلب وتحيله للمحكمة التي أصدرت الحكم لإعادة محاكمة المتهم.
الفرض الثاني:- رفض الطلب فالأمر متوقف على قناعتها بالأسباب التي أسس عليها الطلب وبما قدم من مستندات وأدلة أمامها.

وعليه يمكن القول بأن محكمة التمييز لا تفصل في الدعوى المطروحة أمامها لإعادة النظر فيها، إذ إنَّ الفصل في هذه الدعوى منوط بالمحكمة التي أصدرت الحكم المطعون فيه، أو المحكمة التي حلت محلها، أما في مصر فيقدم التماس إعادة النظر إلى محكمة النقض متى ماتوافرت شروطه المنصوص عليها قانوناً، فالأصل أنه من الناحية القانونية لا سبيل إلى الطعن في أحكام محكمة النقض، فهي الصورة المثلى للأحكام الباتة التي تحوز حجية الشيء المحكوم فيه طبقاً للمادة (٤٥٤) من قانون الإجراءات الجنائية، ومن ثم لا سبيل إلى مراجعة قضاء محكمة النقض بعدها جهة القضاء العليا، ذلك ما لم تتوافر شروط التماس إعادة النظر في حكمها الصادر في الموضوع في الأحوال التي تنص على ذلك، أو في حكم محكمة الموضوع الذي رفض الطعن فيه بالنقض، بيد أنه وفي تطور ملحوظ قبلت محكمة النقض - على خلاف القياس - الرجوع في حكمها في بعض الأحوال لمجرد الخطأ في إعمال مبدأ قانوني ثابت كعدم إضرار الطاعن بطعنه، وذلك بوجه خاص لدى وقوع هذا الخطأ في فصلها في الموضوع لدى الطعن على الحكم للمرة الثانية طبقاً لما تقضي به المادة (٤٥) من قانون حالات وإجراءات الطعن بالنقض، وذلك حيث لا يسعف التماس إعادة النظر في إصلاح الخطأ القانوني، وقد أجملت محكمة النقض سبب إعمالها مبدأ الرجوع المذكور في تحقيق حسن سير العدالة، فالعدالة هي الهدف والغاية من كل تلك الإجراءات والقواعد، فقد قضت محكمة النقض بأن: «محكمة النقض هي خاتمة المطاف، وأحكامها باتة لا سبيل إلى الطعن فيها، ولئن كان قضاء الدوائر الجنائية بالمحكمة جرى على الرجوع في أحكامها في أحوال مخصوصة تحقيقاً لحسن سير العدالة، إلا أن ما يؤسس الطالب عليه طلبه على نحو ما سلف بيانه يخرج عن تلك الأحوال، مما يتعين معه الحكم بعدم قبول الطلب» (٣٠).

ثانياً:- الشروط الموضوعية

هناك شروط موضوعية يجب أن تتوافر في طلب إعادة المحاكمة من أهمها أن يستند الطلب إلى أسباب ووقائع جديدة من شأنها أن تغير من مجريات الحكم، كإن تبين حياة المجني عليه في جريمة قتل مثلاً، ففي هذه الحالة تأتي اعتبارات العدالة اعتبار الحكم عنوان الحقيقة، أو أقوى من الحقيقة ذاتها، فقد نصت المادة

٣٠- الطعن رقم (٢٤٥٥١) لسنة ٦٨ ق- جلسة ٢٠٠٥/٣/٢٨.

- (٢٧٠) من قانون أصول المحاكمات الجزائية على أنه: "يجوز طلب إعادة المحاكمة في الدعاوى التي صدر فيها حكم بات بعقوبة، أو تدبير في جنائية، أو جنحة في الأحوال الآتية:
١. إذا حكم على المتهم بجريمة قتل ثم وجد المدعى بقتله حياً.
 ٢. إذا كان قد حكم على شخص لارتكابه جريمة ثم صدر حكم بات على شخص آخر لارتكابه الجريمة نفسها، وكان بين الحكمين تناقض من مقتضاه براءة أحد المحكوم عليهم.
 ٣. إذا حكم على شخص استناداً إلى شهادة شاهد أو رأي خبير أو سند ثم صدر حكم بات على الشاهد أو الخبير بعقوبة شهادة الزور عن هذه الشهادة أو الرأي^(٣١)، أو صدر حكم بات بتزوير السند^(٣٢).

٣١- إذا لم تكن شهادة الزور هي السبب الرئيسي في إصدار حكم البراءة جاز للمحكمة رفض طلب إعادة المحاكمة، وتطبيقاً لذلك قضت محكمة استئناف بغداد بأنه: "سبق وأن أصدرت محكمة جنح الرصافة بتاريخ ٢٠١٦/١/٢٦ وبالدعوى الجزائية المرقمة ٢٠١٥/ج/١٢٤٠ حكماً واجهياً قابلاً للتمييز يقضي ب:-

إلغاء التهمة المسندة للمتهمين كلاً من (أ. م. ع. و. ع. م. ع) وفق أحكام المادة (٣/٤١٣) من قانون العقوبات رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ عن شكوى المشتكى (أ. ع. ك) والإفراج عنهم وإخلاء سبيلهم حالاً ما لم يكونوا مطلوبين أو موقوفين على ذمة قضية أخرى وإلغاء صكوك الكفالة المأخوذة منهم.

إتلاف الظروف الفارغة المضبوطة بموجب محضر الضبط المؤرخ في ٢٠١٥/٣/٢٦ من قبل معاون القضاة وتنظيم محضر أصولي بذلك بعد اكتساب القرار الدرجة القطعية، وصدر القرار استناداً لأحكام المادة (١٨٢) الأصولية، وقد نقض القرار أعلاه بالقرار التمييزي المرقم (٢٠٢/٢٠١٦/ج) في ٢٠١٦/٣/٢٤ واتباعاً للقرار التمييزي أعلاه أصدرت محكمة جنح الرصافة بتاريخ ٢٠١٦/٥/١٠ بالعدد ٢٠١٥/ج/١٢٤٠ (منقوض/٢٠١٥) حكماً حضورياً قابلاً للتمييز يقضي ب:-

الحكم على المدان (أ. م. ع) بالحبس البسيط لمدة سنة واحدة استناداً لأحكام المادة (٣/٤١٣) عقوبات. لكون المدان صاحب عائلة وشاب في مقتبل العمر عليه قررت المحكمة إيقاف تنفيذ العقوبة الواردة بالفقرة (أ) أعلاه بمدة ثلاث سنوات على أن يتعهد خلالها بحسن السيرة والسلوك وأن يودع تأمينات في صندوق المحكمة مبلغاً مقداره مائتي دينار تعاد إليه بعد انتهاء المدة أعلاه وبعبكسه بقيد المبلغ لإيراداً ثانياً لحزينة الدولة استناداً لأحكام المواد (١١٨ و ١٤٤ و ١٤٦) عقوبات. إعطاء الحق للمشتكى (أ. ع. ك) بمراجعة المحاكم المدنية للمطالبة بالتعويض إن كان له مقتضى بعد اكتساب القرار الدرجة القطعية.

إتلاف الظروف الفارغة المضبوطة بموجب محضر المؤرخ في ٢٠١٥/٣/٢٦ من قبل معاون القضاة وتنظيم محضر أصولي بذلك بعد اكتساب القرار الدرجة القطعية وصدر القرار استناداً لأحكام المادة (١٨٢) الأصولية، وقد صدق القرار أعلاه بالقرار التمييزي المرقم (٧٤٥/٧٢٩/ج) في ٢٠١٦/١٠/٢٠ والمؤرخ في ٢٠١٦/٣/١ وبتاريخ ٢٠١٧/٣/١. قدم المحكوم عليه (أ. م. ع) بواسطة وكيله المحامية (ن. م) طلباً إلى رئاسة الادعاء يطلب فيها إعادة محاكمته للأسباب المبينة فيه، قررت رئاسة الادعاء العام بتاريخ ٢٠١٧/٣/٢٨ وبالعدد ٢٠١٧/٣٨/١٧/٦ رد الطلب لعدم توفر شروط القانونية استناداً لأحكام المادتين (٢٧٢ و ٢٧٥) من قانون أصول المحاكمات الجزائية، عرضت القضية أعلاه على الادعاء العام وطلب بمطالعة المؤرخة ٢٠١٧/٤/٥ رد الطلب، وكان القرار بالشكل الآتي:-

"لدى التدقيق والمداولة فقد وجد بأن طلب إعادة المحاكمة لم يستوف للشروط المنصوص عليها في المادة (٢٧٠) الأصولية وذلك لأن المحكمة لم تستند في حكمها بإدانة المتهم (أ. م. ع) على شهادة الشاهد (أ. م. ن) المحكوم عليه بجريمة شهادة الزور وأن المحكمة كانت على اطلاع على الحكم الصادر بمحقه وقد جاء قرارها مستنداً إلى أدلة وقرائن أخرى ومنها أقوال المشتكى وبقية شهود الإثبات إضافة إلى التقارير الطبية عليه قرر رد الطلب استناداً لأحكام المادة (٢٧٥) الأصولية، وصدر القرار بالاتفاق بتاريخ ٢٠١٧/٤/١١ الموافق ١٣/ رجب/ ١٤٣٨هـ، ينظر في ذلك، قرار الهيئة التمييزية الجزائية لرئاسة محكمة استئناف بغداد بالعدد ٢٧١ ج/٢٠١٧ والصادر في ٢٠١٧/٤/١١.

٣٢- تطبيقاً لذلك قضت محكمة التمييز بأنه:-

"لدى التدقيق والمداولة وجد أن محكمة أحداث صلاح الدين قضت بموجب قرارها الصادر بعدد ٦/أج/٢٠٠٨ في ٢٠٠٨/٤/٨ بإدانة الحدين الجانحين الفتيان وقت الحادث والبالغين حالياً وفق أحكام المادة (٢٥٢) من قانون العقوبات والحكم على كل واحد منهما بإيداعهما في مدرسة الشباب البالغين لمدة خمس سنوات وشهر واحد والقرار الصادر من محكمة جنابات صلاح الدين بتاريخ ٢٠٠٨/٩/٢٥ بالدعوى المرقمة ٢٠٠٨/ج/٢٣ القاضي بإدانة المتهم (...). وفق المادة (٢٥٢) من قانون العقوبات والحكم عليه بالسجن المؤبد استدلالاً بالمادة (١/١٣٢) عقوبات ظهر بأن تلك الشهادات كانت زوراً وحيث يجوز طلب إعادة المحاكمة في الدعوى التي صدر فيها حكم بات بعقوبة إذا حكم على شخص استناداً إلى شهادة شاهد، ثم صدر حكم بات على الشاهد بعقوبة شهادة الزور عن هذه الشهادة، استناداً لأحكام المادة (٣/٢٧٠) من قانون أصول المحاكمات الجزائية، عليه فإن طلب إعادة المحاكمة من قبل

٤. إذا ظهرت بعد الحكم وقائع أو قدمت مستندات كانت مجهولة وقت المحاكمة وكان من شأنها ثبوت براءة المحكوم عليه.
٥. إذا كان الحكم مبنياً على حكم نقض أو ألغي بعد ذلك بالطرق المقررة قانوناً.
٦. إذا كان قد صدر حكم بالإدانة، أو البراءة، أو قرار نهائي بالإفراج، أو ما في حكمهما عن الفعل نفسه سواء كون الفعل جريمة مستقلة، أو ظرفاً لها.
٧. إذا كانت قد سقطت الجريمة، أو العقوبة عن المتهم لأي سبب قانوني.

(ت. هـ. ف) مستوف لشروطه القانونية، لذا قرر إحالته مع أوراق الدعوى إلى محكمة جنابات صلاح الدين لإجراء محاكمته استناداً لأحكام المادتين (٢٧٥) و (٢٧٦) من قانون أصول المحاكمات الجزائية، وصدر القرار بالأكثرية في ٣٠/محرم/١٤٣٠ هـ الموافق ٢٧/١/٢٠٠٩ وأصدرت المحكمة قرارها الآتي:-

لقد أحال السيد قاضي محكمة تحقيق بلد بموجب قرار الإحالة المرقم ٧/إحالة/٢٠٠٦ والمؤرخ في ١٦/١/٢٠٠٦ المتهمين الموقوفين (ت. هـ. ف. أ) و(ر. أ. ز) وفق أحكام المادة (١/٤٠٦) وبدلالة مواد الاشتراك (٤٧، ٤٨، ٤٩) عقوبات، وبدلالة أمر مجلس الوزراء رقم (٣) لسنة ٢٠٠٤ لقيامهما بالاشتراك مع المتهمين المفرقة قضاياهم بقتل المجني عليه (...) وإعطاء الحق للمطالبة بالتعويض من المدانين أعلاه أمام المحاكم المدنية لعدم إبرازهم للقسام الشرعي ومعرفة المستحقين منهم ولم تنطرق المحكمة إلى مصير المضبوطات في هذه القضية لوجود قضية مفرقة بحق المتهمين الآخرين، أفهمت المحكمة المحكوم عليهما أعلاه بمضمون المادة (٢٢٤/د) من قانون أصول المحاكمات الجزائية بأن أوراق دعواهما ستُرسَل تلقائياً إلى محكمة التمييز للنظر في الحكم تمييزاً كما أنهما أن يطعنا في الحكم الصادر عليهما لدى نفس المحكمة أعلاه خلال ثلاثين يوماً تبدأ من اليوم التالي لتاريخ صدور الحكم عليها وتقدير أتعاب محاميه للمحامي المنتدب (...) عن المدان (...) وقدرها خمسون ألف دينار تصرف له من خزينة الدولة بعد اكتساب الحكم الدرجة القطعية، قدم المحامي (...) وكيل المدانين (...) و (...) ثلاث لوائح تمييزية يطلب فيها نقض القرار الأول بتاريخ ٥/٤/٢٠٠٦ والثانية بتاريخ ٥/٨/٢٠٠٦ والثالثة بتاريخ ١٧/٥/٢٠٠٦ طلبت رئاسة الادعاء العام بمطالعتها المرقمة ٥٩/هـ. ع/٢٠٠٦ بتاريخ ٦/٨/٢٠٠٦ تصديق كافة القرارات الصادرة بالدعوى، قررت محكمة التمييز بتاريخ ٣٠/١٠/٢٠٠٦ وبعدد ١٠٨/هيئة عامة/١٠٠٦ تصديق كافة القرارات الصادرة في الدعوى، ولعدم قناعة طالب إعادة المحاكمة (...) بالقرار التمييزي المذكور أعلاه فقد طلب إعادة المحاكمة للأسباب الواردة بلائحة وكيله المحامين (...) و (...) المؤرخة في ٢٧/٢/٢٠٠٧. طلبت رئاسة الادعاء العام بمطالعتها المرقمة ١٧/٦/٢٠٠٨ في ٢٣/١١/٢٠٠٨ إعادة المحاكمة، وصدر القرار الآتي: " لدى التدقيق والمداولة من قبل الهيئة العامة في محكمة التمييز الاتحادية فقد وجد أنّ محكمة جنابات صلاح الدين كانت قد قررت بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٦ بالدعوى المرقمة ٣٢/ج/٢٠٠٦ إدانة المتهمين (...) و (...) وفق أحكام المادة (١/٤٠٦ / أ) وبدلالة المواد (٤٧، ٤٨، ٤٩) من قانون العقوبات، وأمر مجلس الوزراء رقم (٣) لسنة ٢٠٠٤ لقيامهما بالاتفاق والاشتراك مع المتهمين المفرقة قضاياهم بقتل المجني عليه (...) عمداً مع سبق الإصرار وحكمت على كل واحد منهما بالإعدام شنقاً حتى الموت وصدقت كافة القرارات من قبل الهيئة العامة في محكمة التمييز الاتحادية بتاريخ ٣٠/١٠/٢٠٠٦ وبالعدد ١٠٨/هيئة عامة/٢٠٠٦، كما قررت محكمة التمييز الاتحادية بقرارها المرقم ٨٧/هيئة عامة/٢٠٠٧ في ٣٠/٥/٢٠٠٧ رد طلب التصحيح المقدم من قبل المدان (...) قدم المحكوم عليه (...) طالباً إلى رئاسة الادعاء العام بتاريخ ٢٧/٢/٢٠٠٧ طلب إعادة محاكمته للأسباب الواردة فيه، وبعد إجراء التحقيق من قبل الرئاسة المذكورة في صحة الأسباب التي استند إليها الطلب فيه إعادة محاكمته للأسباب الواردة فيه، وتديق إضبارة الدعوى أعلاه وأضاياها الدعوى المجلوبة طلبت بمطالعتها المرقمة ٩٥/١٤٥٩٥ في ٢٣/١١/٢٠٠٨ إعادة محاكمة المحكوم عليه وذلك لتحقيق سبب من أسباب إعادة المحاكمة المنصوص عليها في المادة (٣/٢٧٠) من قانون أصول المحاكمات الجزائية، ولدى التدقيق والتمحيص من قبل الهيئة وجد أنّ الدليل الوحيد ضد المتهم (...) هو ما ورد في أقوال المتهمين المفرقة قضاياهم والمبدونة بصفة شهود وهم كل من (...) و (...) و (...) وأن محكمة جنابات صلاح الدين اعتمدت تلك الشهادات عندما أصدرت قرارها في الدعوى أعلاه وحيث تأيد من القرار الصادر من محكمة أحداث صلاح الدين بعدد ٦/أج/٢٠٠٨ في ٨/٤/٢٠٠٨ القاضي بإدانة الحداث الجانحين الفتيان وقت الحادث والبالغين حالياً كل من (...) و (...) وفق أحكام المادة (٢٥٢) من قانون العقوبات والحكم على كل واحد منهما بإيداعهما في مدرسة الشباب البالغين لمدة خمس سنوات وشهر واحد والقرار الصادر من محكمة جنابات صلاح الدين بتاريخ ٢٥/٩/٢٠٠٨ بالدعوى المرقمة ٢٣/ج/٢٠٠٨ القاضي بإدانة المتهم (...) وفق أحكام المادة (٢٥٢) من قانون العقوبات والحكم عليه بالسجن المؤبد استناداً لأحكام المادة (١/١٣٢) منه بأن تلك الشهادات كانت زوراً وحيث يجوز طلب إعادة المحاكمة في الدعوى التي صدر فيها حكم بات بعقوبة إذا حكم على شخص استناداً إلى شهادة شاهد، ثم صدر حكم بات على الشاهد بعقوبة شهادة الزور عن هذه الشهادة، استناداً لأحكام المادة (٣/٢٧٠) من قانون أصول المحاكمات الجزائية، فإن طلب إعادة المحاكمة (...) مستوف لشروطه القانونية، لذا قرر إحالته مع أوراق الدعوى إلى محكمة جنابات صلاح الدين لإجراء محاكمته استناداً لأحكام المادتين (٢٧٥ و ٢٧٦) من قانون أصول المحاكمات الجزائية وصدر القرار بالأكثرية في ٣٠/محرم/١٤٣٠ هـ الموافق ٢٧/١/٢٠٠٩، ينظر في ذلك حكم محكمة التمييز رقم (٣٩٤) الصادر في ٢٧/١/٢٠٠٩.

ووفقاً لهذه المادة لا يقبل القاضي إعادة محاكمة المحكوم عليهم بحكم بات إلا إذا توافرت أحد الحالات المنصوص عليها حصراً في المادة سالفه الذكر، ولكي يتم قبول طلب إعادة المحاكمة من قبل المحكمة يجب أن تتوافر فيه حالة من الحالات المذكورة في المادة أعلاه وإلا فلا يجوز لها وتحت أي ظرف أن تقبل الطلب الذي لم يتوفر فيه شرط من هذه الشروط وذلك احتراماً لحجية الأحكام القضائية وصيرورتها باتة، كما لا يجوز تقديم طلب إعادة المحاكمة لأكثر من مرة^(٣٣)، والجدير بالذكر أنه تم إلغاء هذه المادة وسمح لأقارب المحكوم عليه والمتوفى التقدم بطلب لإعادة المحاكمة وهو ما يعد خطوة جيدة في تاريخ التشريع العراقي، إذ أورد المشرع العراقي تعديلاً على قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١ وذلك بالقانون رقم (١٨) لسنة ٢٠١٦ الذي نص فيه على إلغاء المادة (٢٧١) من قانون أصول المحاكمات الجزائية سالف البيان.

وفي مصر فقد نصت المادة (٤٤١) من قانون الإجراءات الجنائية على حالات طلب إعادة النظر بأنه: "يجوز طلب إعادة النظر في الأحكام النهائية الصادرة بالعقوبة في مواد الجنايات والجرح في الأحوال الآتية:-

١. إذا حكم على المتهم في جريمة قتل، ثم وجد المدعى قتله حياً.
 ٢. إذا صدر حكم على شخص من أجل واقعة، ثم صدر حكم على شخص آخر من أجل الواقعة عينها وكان بين الحكمين تناقض بحيث يستنتج منه براءة أحد المحكوم عليهما.
 ٣. إذا حكم على أحد الشهود أو الخبراء بالعقوبة لشهادة الزور وفقاً لأحكام الباب السادس من الكتاب الثالث من قانون العقوبات، أو إذا حكم بتزوير ورقة قدمت أثناء نظر الدعوى وكان للشهادة أو لتقرير الخبر أو للورقة تأثير في الحكم.
 ٤. إذا كان الحكم مبنياً على حكم صادر من محكمة مدنية، أو من إحدى محاكم الأحوال الشخصية وألغي هذا الحكم.
 ٥. إذا حدثت أو ظهرت بعد الحكم وقائع، أو إذا قدمت أوراق لم تكن معلومة وقت المحاكمة، وكان من شأن هذه الواقعة أو الأوراق ثبوت براءة المحكوم عليه.
- وهذه الحالات متفق عليها المشرعين العراقي والمصري، ولعل ذلك يرجع لاتفاق علة إعادة المحاكمة لديهما والمتمثلة في إصلاح الخطأ القضائي المتعلق بالوقائع^(٣٤).
- ويرى القضاء المصري إمكانية إعادة المحاكمة إذا ترتب على إعادة المحاكمة مخالفة قاعدة ألا يضار طاعن بطعنه، وتطبيقاً لذلك قضى بأنه «وحيث إن قاعدة وجوب عدم تسوف مركز الطاعن هي قاعدة قانونية عامة تطبق على طرق الطعن جميعها عادية كانت أو غير عادية وفقاً للمادة (٤١٧) من قانون

^{٣٣} - وتأكيذاً على ذلك قضت محكمة التمييز في حكمها المرقم (٣٢٨) / الهيئة الموسعة / ٢٠١٨ بأنه: "لدى التدقيق والمداولة من قبل الهيئة الموسعة الجزائية في محكمة التمييز الاتحادية وجد أن طلب إعادة المحاكمة المقدم من المحكوم عليه (ا.ع.١) بواسطة وكيله المحامي (ع.ب) لا يستند إلى أي سبب من الأسباب المنصوص عليها بالمادة (٢٧٠) من قانون أصول المحاكمات الجزائية لذا قرر رده لعدم استيفاء شروط القانونية استناداً لأحكام المادتين ٢٧٢ و ٢٧٥ من القانون المشار إليه وصدر القرار بالاتفاق في ٣/ صفر/ ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٠١٨/١٢/١٨.

^{٣٤} - فخري عبد الرازق صليبي الحديثي، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، مكتبة السنهوري، بغداد، بدون سنة نشر، ص ٥٧٢.

الإجراءات الجنائية والمادة (٤٣) من القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٥٩ في شأن حالات وإجراءات الطعن أمام محكمة النقض، لما كان ذلك وكان واقع الحال في الدعوى الماثلة... أنَّ الدعوى الجنائية رفعت على المتهم بوصف أنه.... ولما كان الثابت أنَّ المدعية بالحقوق المدنية لم تطعن في الحكم الصادر من محكمة ثاني درجة بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٩٧٣، وقد نقض هذا الحكم بناءً على الطعن الحاصل من المتهم والمسؤول عن الحقوق المدنية وحدهما، فإنه لا يجوز من بعد أن يضارا بطعنهما، وإذا كان الحكم الصادر من هذه المحكمة في ١٣ من أبريل سنة ١٩٧٥ «في الطعن المرفوع للمرة الثانية» قد قضى بتقدير التعويض بمبلغ ثمانية آلاف جنيه، فإنَّ الطعن بالنقض الحاصل من المتهم والمسؤول عن الحقوق المدنية يكون قد أضر بهما بما لا يتفق وصحيح القانون «حيث كانت المحكمة الاستئنافية قد قدرته بمبلغ خمسة آلاف».

لما كان ذلك، وكان قضاء هذه المحكمة قد جرى على أنه لا يوجد ما يمنع من أن ترجع هذه المحكمة في حكمها بناءً على طلب يقدم من النيابة العامة أو من أحد الخصوم يعلن به الخصم الآخر، وهو ما انطوى عليه طلب التماس إعادة النظر المقدم، فإنه يتعين الرجوع في الحكم الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٣ من أبريل سنة ١٩٧٥ في خصوص ما قضى به في الدعوى المدنية»^(٣٥).

وفي نهاية المطاف يمكننا القول بأنَّ الأسس التي بنى عليها المشرع العراقي إعادة المحاكمة لديه هي ذاتها الأسس التي تبنها المشرع المصري، والتي ترمي عند كل المشرعين إلى تصحيح الخطأ الذي وقع فيه الحكم فيما يتعلق بالوقائع.

المطلب الثاني:- الضوابط القانونية والقضائية لإعادة المحاكمة وأثرها

وضع المشرعان العراقي والمصري مجموعة من الضوابط التي تحكم عملية إعادة المحاكمة، كما عمل القضاء في العراق ومصر على بيان تلك الضوابط، وإرسائها على نحو موافق للقانون، لذا سنتناول تلك الضوابط على النحو الآتي:-

أولاً:- إعادة المحاكمة بمثابة محاكمة مبتدأة

من المقرر في أحكام محكمة النقض المصرية أنه طبقاً لنص المادة (٣٩٥) من قانون الإجراءات الجنائية تكون إعادة المحاكمة بحكم القانون وهي بمثابة محاكمة مبتدأة، وبالتالي فإن قضاء محكمة النقض استقر على أن يكون لمحاكمة الإعادة أنَّ تفصل في الدعوى بكامل حريتها غير مقيدة بشيء مما جاء بالحكم الغيابي^(٣٦)، وتأسيساً على ما تقدم يكون للقاضي وهو بشأن إعادة المحاكمة مطلق الحرية أي بمعنى إنه يكون غير مقيد بشيء مما تضمنه حكم صادر في ذات الواقعة على متهم آخر، ولا مبالياً بأن يكون من وراء قضاؤه على مقتضى العقيدة التي تكونت لديه قيام تناقض بين حكمه والحكم السابق صدوره على مقتضى العقيدة التي تكونت لدى القاضي الآخر.

٣٥- الطعن رقم (٧٨٨) لسنة ٤٤ ق- جلسة ١٩٧٥/٦/٢٢.

٣٦- الطعن رقم (١٢٧٤) لسنة ٥٢ ق- جلسة ١٩٨٢/٥/٩ غير منشور.

ثانياً: - تغيير هيئة المحكمة لا يوجب إعادة إجراءات المحاكمة إلا إذا أصر عليها المتهم أو المدافع

عنه

تطبيقاً لذلك قضت محكمة النقض المصرية على أنه: "لما كان الثابت من الاطلاع على الحكم المطعون فيه أنَّ الطاعن طلب أمام المحكمة التي كانت منظورة أمامها الدعوى قبل إحالتها إلى المحكمة التي أصدرت الحكم المطعون فيه ندب خبير حسابي وهو ما يسلم به الطاعن بأسباب طعنه ثم نظرت القضية بجلسة ٢٠٠٩/٩/٢٢ حيث تغير تشكيل المحكمة وأبدى الحاضر مع الطاعن دفاعه بتلك الجلسة من دون أن يطلب ندب خبير حسابي ثم أصدرت المحكمة حكمها في الدعوى، ولما كان القانون لم يوجب عند تغيير هيئة المحكمة إعادة إجراءات المحاكمة أو ضم أوراق أو اتخاذ أي إجراء من إجراءات التحقيق إلّا إذا أصر المتهم، أو المدافع عنه على ذلك، أما إذا تنازل صراحة أو ضمناً ولم تر المحكمة من جانبها محلاً لضم أوراق أو اتخاذ أي إجراء من إجراءات التحقيق، فيجوز للمحكمة أن ترفض طلب ندب خبير حسابي وإن هذا الرفض جاء لعدم وجود محل لندبه^(٣٧).

ثالثاً: - يجوز للمدعي بالحقوق المدنية أن يدعي مديناً أمام محكمة الإعادة من جديد

أجازت محكمة النقض المصرية للمدعي بالحقوق المدنية الادعاء من جديد أمام محكمة الإعادة، كما حددت المحكمة نطاق هذا الحق ومبرره حيث قضت بأنه: "لئن كان الأصل أنَّ نقض الحكم وإعادة المحاكمة يعيد الدعوى إلى محكمة الإعادة بالحالة التي كانت عليها لتستأنف سيرها من النقطة التي وقفت عندها قبل صدور الحكم المنقوض، بشرط ألا تتعرض محكمة الإعادة لما أبرمته محكمة النقض من الحكم المنقوض، فمحكمة النقض لا تتصل بالحكم المطعون فيه إلا من الوجوه التي بنى عليها الطعن، والمتصلة بشخص الطاعن وله مصلحة فيها - وبشرط ألا يضار المتهم بطعنه إذا كان قد انفرد بالطعن على الحكم، وإذا كانت الدعوى المدنية قد خرجت من حوزة المحكمة بسبق إحالتها إلى المحكمة المدنية المختصة إعمالاً لنص المادة (٣٠٩) من قانون الإجراءات الجنائية لما ارتأته من أنَّ الفصل فيها يقتضي إجراء تحقيق، ولم يطعن المتهمون في الحكم من هذه الناحية لأنه غير منهي للخصومة، ولا مانع من السير فيها، ولا انتفاء مصلحتهم - ولو أنهم كانوا قد فعلوا لقضت محكمة النقض بعدم قبول طعنهم، ومن ثم فما كان يجوز للمدعي بالحقوق المدنية أن يدعي مديناً أمام محكمة الإعادة من جديد، لأن ذلك يُعدُّ عوداً إلى أصل الادعاء الذي سبق وأن قضى بإحالاته إلى المحكمة المدنية، يستوي في ذلك أن تكون هذه المحكمة قد نظرت ادعاءه وفصلت فيه، أو لم تكن قد شرعت في نظره، ولأن أفراد المتهمين بالطعن في الحكم يوجب عدم إضرارهم بطعنهم، يستوي في ذلك أن يكون الضرر من ناحية العقوبة الجنائية، أو التعويض المدني، ولأن طبيعة الطعن بطريق النقض وأحكامه وإجراءاته، لا تسمح بالقول بجواز تدخل المدعي بالحقوق المدنية لأول مرة في الدعوى الجنائية بعد إحالتهم من محكمة النقض إلى محكمة الموضوع لإعادة الفصل فيها بعد نقض الحكم، وإذا خالف الحكم المطعون فيه هذا النظر، وجرى في قضائه على قبول الدعوى المدنية لدى محكمة الإعادة، وألزم المتهمين بالتعويض، فإنه يكون قد خالف القانون وأخطأ في تأويله بما يوجب تصحيحه والقضاء بعدم

٣٧- الطعن رقم (٢٣١٧) لسنة ٨٠ ق جلسة ٢٠١١/٥/٧ غير منشور.

قبول الدعوى المدنية بالنسبة للطاعن الأول والمحكوم عليهما الآخرين لاتصال وجه الطعن بهما، وذلك من دون حاجة لبحث الوجه الثاني من الطعن، ومن دون تحديد جلسة لنظر الموضوع، ما دام العوار الذي شاب الحكم مقصوراً على الخطأ في القانون^(٣٨)، ويترتب على إعادة المحاكمة أثران:-

١- الأول: وقف تنفيذ الحكم الجنائي المطعون فيه

من أهم النتائج المترتبة على قبول طلب إعادة المحاكمة هي وقف تنفيذ الحكم، فمتى ما تبين لمحكمة الموضوع أن الطعن قدم خلال المدة القانونية المطلوبة وهي خمسة عشر يوماً ومتى ما توافرت الأسباب التي تدعو إلى إعادة محاكمة المحكوم عليه، كان للمحكمة أن تقضي بقبول الطعن من الناحية الشكلية وفي هذه الحالة يوقف تنفيذ الحكم لحين انتهاء إعادة محاكمة المتهم مجدداً^(٣٩)، ويجوز لمقدم طلب الإعادة طلب وقف تنفيذ الحكم المطلوب إعادة المحاكمة بشأنه لحين الفصل في الطعن وذلك في الحالات التي يخشى فيها من تمام التنفيذ حدوث ضرر جسيم يتعذر تداركه بالطاعن.

٢- الثاني: صدور حكم جديد محله

إذا تبين للمحكمة توفر أحد الأسباب الموجبة لإعادة المحاكمة في الطلب، كان لها أن تقوم بإجراء تحقيقاتها كاملة في الدعوى فإن وجدت طالب الإعادة محق في طلبه كان لها أن تقوم بإصدار حكم يقضي بإبطال الحكم المطعون فيه أو بتعديله في الجزء الذي ثبت حق طالب الإعادة في إبطاله^(٤٠)، وفي هذه الحالة على المحكمة أن تقوم بإصدار أحد الأحكام الآتية:-

١. حكماً جديداً مغايراً تماماً للحكم الأول كأن تصدر حكماً ببراءة المتهم

وهذا أمر منطقي لأنها تنظر الدعوى بعدها محكمة وقائع فتتظر الوقائع المطروحة أمامها وتقدرها وتنفيها على ضوء الأدلة المستجدة التي دعت إلى إعادة محاكمة المحكوم عليهم.

٢. لها إن تعدل الحكم الصادر

ففي هذا الفرض لن تقوم المحكمة بإصدار حكم ببراءة المحكوم عليه، ولكنها سوف تخفف العقوبة المحكوم بها، وعلى ضوء ما استجد من وقائع وفي ضوء الظروف المطروحة عليها، والسؤال الذي يطرح هنا هو: هل يجوز الطعن بإعادة المحاكمة؟.

في حقيقة الأمر تكفلت المادة (٢٠٢) من قانون المرافعات المدنية العراقي رقم (٨٣) لسنة ١٩٦٩ بالرد على هذا التساؤل حيث نصت على أنه: "لا يقبل الطعن بطريق إعادة المحاكمة في الحكم الصادر في الطعن بإعادة المحاكمة".

وفي رأينا أن هذا النص وإن كانت له حكمة أملت لها ضرورة إنهاء الدعوى المطروحة أمام القضاء، ووضع حد لها حتى لا يمل الناس من محاكمة تلو الأخرى لذات الجناية إلا إننا لا يمكننا التسليم بهذا الأمر، فمفارقة القضاء يسعى في المقام الأول إلى تحقيق العدالة والعدل، ولا يخفى على أحد أن تحقيقهما قد يحتاج إلى صبر ورؤية.

^{٣٨}- الطعن رقم (٧٤٤٨) لسنة ٥٤ ق جلسة ١٣/٣/١٩٨٥ غير منشور.

^{٣٩}- د. نبيل إسماعيل عمر، الوسيط في قانون المرافعات المدنية والتجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، ٢٠٠٤، ص ٦٨٣.

^{٤٠}- مدحت محمود، شرح قانون المرافعات المدنية رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٧٢.

إن تقييد عدد مرات الطعن بإعادة المحاكمة في عدد معين لا يجب أن يكون حتى ولو كان الدافع من وراء ذلك سد الباب على الراغبين في إطالة أمد النزاع، فسد الباب لا ينبغي أن يتم بأي حال من الأحوال على حساب الجديين من مقدمي الطلب، ويجب أن يترك الأمر في النهاية للقاضي لبيت في قبول الطلب أو رفضه وفقاً لاعتبارات معينة يقدرها القانون.

الخاتمة

يجدر بنا في هذه المحطة أن نعرض أهم النتائج التي تضمنها هذا البحث، ومن ثم نتبعها ببعض التوصيات التي لا بد من الإشارة إليها.

أولاً: النتائج

١. إعادة المحاكمة طلب يقدم من المحكوم عليه أو من يمثلته قانوناً إن كان حياً، ومن زوجته أو أحد أقربائه إن كان متوفياً، إلى الادعاء العام.
٢. إعادة المحاكمة هي وسيلة فاعلة لإقرار العدل وتصويب مجرى سير العدالة، ليتفق والحقيقة الواقعة.
٣. يشترط لقبول طلب إعادة المحاكمة توافر أسبابه التي حددها القانون التي من شأنها أن تغير من سير ومجرى الحكم الصادر.
٤. يوجد فرق كبير بين الطعن في الأحكام الجنائية بالنقض والاستئناف، وبين الطعن بطريق إعادة المحاكمة حيث تتم إعادة المحاكمة بعد استنفاد الدعوى لكافة الطرق القانونية وبعد ظهور وقائع جديدة من شأنها أن تغير في مجرى الحكم القائم.
٥. من الآثار المترتبة على إعادة المحاكمة وقف تنفيذ الحكم وإعادة المحاكمة من جديد.
٦. يجوز للمدعي بالحقوق المدنية أن يدعي مدنياً أمام محكمة الإعادة من جديد.

ثانياً: التوصيات

١. نوصي المشرع العراقي المصري بضرورة إعادة تنظيم مسألة إعادة المحاكمة على نحو يشكل أكثر فاعلية وواقعية ليتفق مع المستجدات القائمة.
٢. نوصي بالنص على تحديد دائرة قضائية يكون اختصاصها الأصيل البت في طلبات إعادة المحاكمة خلال مدة زمنية مقبولة بغية الحد من استعمال طلبات إعادة المحاكمات من أجل إطالة أمد النزاع لا أكثر.
٣. نرى أنه من الضروري أن يعدل المشرع العراقي في قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١ المعدل ويجعل طلب إعادة المحاكمة يقدم من قبل الادعاء العام أو المحكوم عليه إلى محكمة التمييز مباشرة أسوة بالمشرع المصري الذي جعل تقديم الطلب من قبل النيابة العامة أو المحكوم عليه وذلك للدور الرقابي الذي يمتلكه الادعاء العام وبعده خصماً شريفاً في الدعوى وكونه ذا علمية في مجال اختصاصه، على العكس من المحكوم عليه الذي يجعل القانون في أغلب الأحيان.

٤. نظراً لأهمية محكمة التمييز في العراق لذا نقترح على مجلس القضاء الأعلى بضرورة فتح محاكم للتمييز في كافة محافظات العراق، وذلك من أجل تخفيف العبء الواقع على محكمة التمييز في الوقت الحالي والتي تبلغ دعاويها عشرات الآلاف سنوياً، ولكي تنجز الدعاوي بأسرع وقت ممكن.
٥. نصي المشرع العراقي بضرورة تعديل المادة (٥/عاشراً) من قانون الادعاء العام رقم (٤٩) لسنة ٢٠١٧ التي تنص على أن: "تقديم الطلبات وإبداء الرأي في قضايا التعهد بحفظ السلام وحسن السلوك وإعادة محاكمة..."، لكونها لم تكن واضحة وغامضة فيجب أن تكون أكثر وضوحاً لكي يفهم الباحث من خلالها هل إن من مهام الادعاء العام تقديم الطلبات في إعادة المحاكمة أم إبداء الرأي في إعادة المحاكمة.

قائمة المراجع

أولاً:- المعاجم والقواميس

١. محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي، المصري جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٨.

ثانياً:- المراجع العامة والمتخصصة

١. أحمد هندي، أصول المحاكمات المدنية والتجارية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ١٩٨٩.
٢. سعيد حسب الله عبد الله، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، كلية القانون، جامعة الموصل، بدون سنة نشر.
٣. عبد الأمير العكيلي وآخرون، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، الجزء الثاني، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠٠٩.
٤. عوض محمد عوض، شرح قانون الإجراءات الجنائية، الجزء الأول، بدون دار نشر، ١٩٩٠.
٥. عوض محمود عوض، المبادئ العامة في قانون الإجراءات الجنائية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢.
٦. عيد القصاص، الوسيط في شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية، دار الكتب، القاهرة، ٢٠١٠.
٧. فخري عبد الرازق صلي الحديثي، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، مكتبة السنهوري، بغداد، بدون سنة نشر.
٨. محمد عيد الغريب، الوجيز في شرح قانون الإجراءات الجنائية، مكتبة الجلاء، المنصورة، ٢٠٠٥.
٩. محمود نجيب حسني، شرح قانون الإجراءات الجنائية، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٨.
١٠. مدحت الحمودي، شرح قانون المرافعات المدنية رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٩.
١١. نبيل إسماعيل عمر، الوسيط في قانون المرافعات المدنية والتجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٤.

١٢. أبو السعود عبد العزيز عبد العزيز موسى، ضمانات المتهم وحقوقه في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠١٥.
١٣. أحمد فتحي سرور، الشرعية الدستورية وحقوق الإنسان في الإجراءات الجنائية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٥.
١٤. أحمد فتحي سرور، النقض الجنائي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤.
١٥. طلعت يوسف خاطر، القضاء العادل كضمانة للعدالة الانتقالية، دراسة مقارنة، دار الفكر والقانون للنشر والتوزيع، المنصورة، ٢٠١٦.
١٦. غسان مدحت خير الدين، طرق الطعن في الأحكام، الطبعة الأولى، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.
١٧. مجدي صالح يوسف الجارحي، ضمانات المتهم أمام المحاكم العسكرية في النظام القانوني المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١١.
١٨. محمد رشاد الشايب، الحماية الجنائية لحقوق المتهم وحرياته "دراسة مقارنة" دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٢.
١٩. نبيل إسماعيل عمر، الطعن بالتماس إعادة النظر في المواد المدنية والتجارية، منشأة المعارف، ١٩٨٣.

ثالثاً:- المراجع الأجنبية

- 1- Eur. Court HR, Case of Gradinger v. Austria, judgment of 23 October 1995.
- 2- G. Levasseur, G. Stéfani et R. Jambu-Merlin, Criminologie et science pénitentiaire, Précis Dalloz, 4^{ème} éd. 1980, p. 1 et s; B. Bouloc, Pénologie, Précis Dalloz, 1991.

رابعاً:- المجالات والبحوث

١. خدومة عبد القادر، التعويض عن الخطأ في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، بحث منشور في مجلة الدراسات الحقوقية، العدد الثامن، الجزائر.

**احكام الاحوال الشخصية للتوأم السيامي المتلاصق (دراسة قانونية
استقرائية في ضوء الفقه الاسلامي)**

*Personal status provisions for conjoined Siamese twins
(An inductive legal study in the light of Islamic
jurisprudence)*

م.د. اثير عبد الجواد حسين^(١) Dr. Atheer Abdel-Gawad Hussein

م.د. حسنين مكي جودي^(٢) Dr. Hasanin Maki Jodi

أ.د. حيدر حسين الشمري^(٣) Prof. Haider Hussain Al-Shamri

الملخص

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وأجرى عليه أحكام الشريعة الغراء وهو بهذه الهيئة فيتزوج ويرث ويوصى له.

لكن في حالات نادرة قد يولد الإنسان بهيئة توأم متلاصق بحيث لا يمكن فصل هذا التلاصق إلا بالتدخل الجراحي وبطبيعة الحال فإن هكذا حالة تقتضي تطبيق أحكام خاصة على هذا الكائن وقد عنى فقهاء الشريعة الإسلامية منذ عصور الإسلام الأولى بهذه المسألة ووضعوا له جملة من الأحكام بما يقتضي الإسترشاد بهذه الأحكام بغية الوصول إلى حلول ناجعة تعالج المشاكل التي تنثيرها حالة التلاصق بين التوأم من الناحية القانونية.

الكلمات المفتاحية: التوأم السيامي، الفقه الإسلامي، الأحوال الشخصية.

١ - جامعة أهل البيت - (عليه السلام) / كلية القانون.

٢ - جامعة وارث الأنبياء - (عليهم السلام) / كلية القانون.

٣ - جامعة كربلاء / كلية القانون.

Abstract

God created man in the best calendar and applied to him the provisions of the noble Sharia while he is in this form, so he marries, inherits and bequeaths to him.

But in rare cases, a person may be born in the form of conjoined twins, so that this conjoining can only be separated by surgical intervention. Of course, such a situation requires the application of special provisions on this being. The jurists of Islamic Sharia since the early ages of Islam have been concerned with this issue and put a set of rulings for it that requires guidance. These provisions are made in order to reach effective solutions that deal with the problems raised by the case of conjoined twins from a legal point of view.

المقدمة

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وأجرى عليه أحكام الشريعة الغراء وهو بهذه الهيئة فيتزوج ويرث ويوصى له.

لكن في حالات نادرة قد يولد الإنسان بهيئة توائم متلاصق بحيث لا يمكن فصل هذا التلاصق إلا بالتدخل الجراحي وبطبيعة الحال فإن هكذا حالة تقتضي تطبيق أحكام خاصة على هذا الكائن وقد عني فقهاء الشريعة الإسلامية منذ عصور الإسلام الأولى بهذه المسألة ووضعو له جملة من الأحكام بما يقتضي الإسترشاد بهذه الأحكام بغية الوصول إلى حلول ناجعة تعالج المشاكل التي تثيرها حالة التلاصق بين التوائم من الناحية القانونية.

تحديد نطاق البحث:

يتحدد نطاق البحث في بحث أحكام التوائم السيامي بنواحي معينة هي حكم الفصل والزواج والميراث والوصية وبحث هذه الأمور بالتأكيد يقتضي التمهيد حول مفهوم التوائم السيامي وبهذه الأمور يتحدد نطاق بحثنا.

أهمية الموضوع:

يمكن أن نحمل أهمية الموضوع من ناحيتين عملية وعلمية فأما العملية تأتي من المشاكل التي يثيرها هذا النوع من التوائم السيامي على الصعيد العملي فما هي أحكام زواجه؟ وما هي أحكام أرثه؟ أما من الناحية العلمية فتتمثل أهمية الموضوع بقلّة الدراسات التي تناولت موضوع التوائم السيامي خصوصاً في الجانب القانوني فأغلب الدراسات التي وقعت بين أيدينا تناولت الموضوع من جهة الفقه الاسلامي فقط ولم نجد دراسة متخصصة تناولت الموضوع من الناحية القانونية كل ذلك يدعونا إلى تناول الموضوع بالبحث عسى أن نصل إلى نتائج يسترشد من خلالها المشرع للوصول لرؤيا تؤهله إلى أن ينظم أحكام التوائم السيامي.

2.7

أحكام الأحوال الشخصية للتوائم السيامي المتلاصق (دراسة قانونية استقرائية في ضوء الفقه الإسلامي)

وبدمج معنى مفردة التوائم مع مفردة المتلاصقة نستطيع أن نعرف التوائم المتلاصقة لغة على إنها ما ولد من بطن واحدة وبوقت واحد وألتصق جسميهما معاً.

أما اصطلاحاً فقد عرفت على إنها توائم تنشأ من بويضة ومشيمة واحدة وتعد متشابهة ومتطابقة لم يكتمل انفصالها فتولد متصلة في منطقة أو أكثر من الجسد وهي متطابقة الجنس والصفات الوراثية و يطلق على هذه الظاهرة التوائم السيامية نسبة لسيام (الأسم القديم لتايلند حيث تكثر فيها هذه الظاهرة^(٧)) ويعرفها آخرون على أنها كل مولودين أرتبطا ببعضهما في جزء أو أكثر من أجزاء جسميهما خلقة لا يمكن فصلهما إلا بإجراء جراحي^(٨).

وعرفت أيضاً على أنها التوائم التي تنشأ من مشيمة وبويضة واحدة وتعد متشابهة ومتطابقة لم يكتمل انفصالها، وتولد ملتصقة في منطقة أو أكثر من الجسد وهي متطابقة الجنس والصفات الوراثية^(٩).

وهناك من عرف التوائم المتلصقة على أنها توأمان متلاحمان لهما في كثير من الأحيان أعضاء مشتركة^(١٠).

أما (الأجنة المتلاصقة) فهناك من عرف هذا المصطلح بأنه ((الجنينان التوأمين المتطابقان مكتملا الخلقة ومتحدان الجنس، المتلاحمان في أثناء الحمل تلاحماً غير طبيعي ولهما في كثير من الأحيان أعضاء مشتركة))^(١١).

ومن كل ما تقدم يمكننا أن نعرف التوائم السيامية بأنها التوائم المتحدة في الصفات التي تنشأ من بويضة ومشيمة واحدة وتكون متصلة بشكل لا يمكن فصله إلا بالتدخل الجراحي وفي جميع الأحوال يكون الجنينان من جنس واحد ولا يزيد عدد التوائم المتلاصقة عن اثنين.

ونحن إذ نضع هذا التعريف نؤكد على أن حالات التوائم السيامية لا يمكن أن تكون إلا من جنس واحد ذكران أو اثنيان وكذلك يجب أن لا يزيد عددهم عن اثنين فلا يمكن تصور التلاصق بين أكثر من اثنين وكذلك يجب أن يكون التلاصق تاماً بحيث لا يمكن فصلهما إلا بالتدخل الجراحي.

الفقرة الثانية / أنواع التوائم السيامية: تصنف التوائم السيامية بتصنيفين الأول يعتمد على معيار الإكتمال من عدمه أما التصنيف الثاني فهو الذي يعتمد على نوع الالتصاق والجزء الذي يتم فيه الالتصاق في الجسم ولزيادة الإيضاح سنشارك كل من هذين التصنيفين:

١- أنواع التوائم السيامية باعتبار الإكتمال وعدمه/ تتنوع التوائم السيامية إلى عدة أنواع ذكرها الأطباء نوردتها تباعاً:

٧- د. عبد الله بن عبد العزيز الربيع، تجرّبي مع التوائم السيامية، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٩، ص ١٠٥.

٨- د. عبد الناصر رأبو البصل، نوازل التوائم المتلصقة الأحكام المتعلقة بفصلها وميراثها وزواجها، مقالة مقدمة في الدورة العشرون للمجمع الفقهي الإسلامي المنعقد بمكة ٢٠١٠، ص ٨١.

٩- د. ناصر عبد الله أطبان، الأحكام الفقهية للتوائم المتلاصقة، مقالة مقدمة في الدورة العشرون للمجمع الفقهي، مكة، ٢٠١٠، ص ٧.

١٠- علي بن عبد الله الحمد، أحكام التوائم المتلصقة في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود، قسم الفقه الإسلامي، ١٤٢٣ هـ، ص ٨.

١١- فهد بن عبد الكريم السنبدي، أحكام الأجنة المتلاصقة بحث منشور في مجلة.

أ. التوائم الطفيلية: هي التي يكون فيها أحد التوائم مكتملاً والآخر مجرد جزء من جسد يفتقد مقومات الحياة ويعد متطفلاً على أخيه ومن هنا جاءت التسمية ويختلف العلماء في إطلاق صفة (سيامي) على هذا النوع لأن أعضاء الحياة موجودة فقط في أحدهما، أما الآخر فأعضاؤه لا تقوم معها الحياة^(١٢) وتتكون هذه التوائم من بيضة واحدة مخصبة من حيوان منوي واحد إذا انفصلت الخلية الناشئة تحت الفلسفة في مرحلة متأخرة كالتى تحدث للقرص الجرثومي حيث يؤدي ذلك إلى تكوين جنينين بغشاء سلي واحد ومشيمة واحدة وفي هذا النوع يمكن ملاحظة توائم متلاصقة نتيجة عدم الانفصال التام في الخلية الجنسية أو أن جزءاً من جنين يكون محمولاً بجوار الجنين الآخر وتكون نتيجة عدم اكتمال التكوين في أحد التوأمين وقد ذكر الأطباء أن التوائم الطفيلي لا يمكنه أن يستقل بالحياة على حاله هذا وأنه يمكن أستئصاله ليبقى بعد الجنين مكتمل الأعضاء^(١٣)

ب. التوائم داخل توأم: من الحالات النادرة الحدوث حالة التوائم داخل توأم آخر حين يكون هناك جنين مكتمل النمو وبداخله جنين آخر في مرحلة النمو المبكر بحيث يكون غير مكتمل ويكون ميتاً أو ضامراً بشكل في تجويف الجنين الأصلي ما يشبه الورم المخنقي، وقد يحدث هذا نتيجة دخول بيضة مخصبة إلى داخل تجويف بدنه خلال مرحلة تخلقه فينتج عنها هذا الجنين وقد ذكر الأطباء أن هذه الحالة تحدث بنسبة ١/ مليون حالة^(١٤).

ج. التوائم المكتملة: هذا النوع من التوائم يتبع التوائم المتطابقة المتلاصقة نتيجة حدوث انفصال الخلية الجنينية في مرحلة متأخرة كالتى تحدث للقرص الجرثومي، حيث يؤدي ذلك إلى تكوين جنينين بغشاء سلي واحد ومشيمة واحدة في هذا النوع يمكن ملاحظة تكون التوائم ملتصقة نتيجة عدم تكامل الانفصال بين خليتي الفلسفة الرئيسيتين^(١٥) وتقسم هذه الفئة حسب مواقع الإتصال لهذا التوأم، وقد قيل في تفسير هذه الحالة نظريتان النظرية الأقدم هي نظرية الإنشطار حيث تنقسم البويضة المخصبة أنقساماً جزئياً أما النظرية الثانية والأكثر قبولاً عند اهل الاختصاص من الاطباء هي نظرية الإندماج، حيث تنقسم البويضة المخصبة إنقساماً كاملاً لكن الخلايا الجذعية (التي تبحث عن خلايا ماثلة) تجد مثيلاً للخلايا الجذعية على التوائم الآخر وينتج التوأمين معاً وتحدث هذه الحالة نسبة حالة واحدة لكل ١٨٩٠٠٠ ولادة مع وجود نسبة أعلى نوعاً ما في جنوب شرق آسيا وأفريقيا والبرازيل، ويموت ما يتعدى نصف التوائم السيامية في الرحم قبل الولادة والجزء الآخر منهم يولد مع تشوهات يصعب العيش بحيث يبلغ معدل الحياة

١٢- عبد الحليم محمد منصور علي، أحكام زواج التوائم السيامية دراسة فقهية مقارنة، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص ٢١.

١٣- د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ٢٢.

١٤- محمد مفتاح الشافعي، الجينات المتلاصقة وموقف الفقهاء منه، دار الأصمعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ٧٠، أشار إليه د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ٢٢.

١٥- د. عبد المنعم أحمد سلطان، المصدر السابق، ص ٢٣.

- أحكام الاحوال الشخصية للتوأم السيامي المتلاصق (دراسة قانونية استقرائية في ضوء الفقه الاسلامي)
- والبقاء عليها ٢٥% من التوأم السيامية، وكان الأخوين التايلانديان (تشانج وانج بنكر) (١٨١١-١٨٧٤) أشهر زوج من التوأم المتلاصقة (١٦).
- ٢- أنواع التوائم المتلاصقة حسب منطقة الالتصاق: تصنف التوائم السيامية بحسب جهة الالتصاق على أنواع متعددة نذكرها تباعاً:
- أ. ملتصق الجانبين: يكون الالتصاق من الناحية الجانبية مع تشكيلة من الأطراف حيث يمكن أن يكون التوأم بطرفين فقط أو ثلاثة أو بأربعة أطراف وعملية الفصل ممكنة مع أن نتائجها ستكون الحياة بأطراف صناعية (١٧).
- ب. إلتصاق التوأمين من منطقة الظهر أو الخلف عند العمود الفقري: وهي حالة نادرة جداً.
- ج. ملتصق الرأسين: في هذه الحالة يكون الالتصاق أما من الناحية الخلفية للرأس أو الجانبية ويكون فصل التوأمين ممكناً مع أن حدوث أضرار بالدماغ أمراً مألوف وقد شهدت جراحة فصل التوائم الملتصقة من الدماغ تطوراً كبيراً في السنوات الأخيرة ولكن على الرغم من تحقيق طفرة فيه ما زالت معدلات النجاح قليلة فقد بلغ عدد المحاولات لفصل توأم ملتصقة الرأس في جميع أنحاء العالم في الفترة ما بين (١٩٢٨-١٩٨٧) ثلاثين محاولة حيث بقي على قيد الحياة ٢٦ من بين ٦٠ توأمًا أجريت لهم مثل هذه الجراحة (١٨).
- د. ملتصق الحوضين: يكون إلتصاق الحوضين عادة من الناحية الأمامية أو البطنية ويشترك التوأمين غالباً في الأمعاء والمثانة والأعضاء التناسلية والكليتين ونسبة نجاح فصل هذا النوع من التوأم وبقائها على قيد الحياة مرتفعة مع أنه يحدث قصور أو تعطل في وظائف أفراس الفضلات أو الوظائف الجنسية (١٩).
- هـ. ملتصق الساقين: يكون إلتصاق من الناحية الجبهية بمنطقتي الرأس والصدر وعادة ما يوجد وجهان على الجانبين هذا النوع متقابلين من الرأس وهذا النوع من التوائم لا يبقى على قيد الحياة ففي اغلب الحالات يموت مباشرة بعد الولادة (٢٠).
- و. ملتصق العجزين: يكون إلتصاق من المنطقة الخلفية للحوض وهي حالات نادرة ولكن نسبة بقائها على قيد الحياة وآفاق الحياة تعتبر جيدة (٢١).
- ز. ملتصق الصدرين: إلتصاق في هذه الحالة يكون من الناحية الأمامية لو البطنية عند الصدر مع الإشتراك في قلب واحد عادة وهذا النوع من التوائم السيامية لا يبقى على قيد الحياة مع أنه جرت محاولات لفصلهم.

١٦- ذكرت هذه المعلومة في موسوعة وكابيديا العالمية على شبكة الأنترنت على الرابط: www.ar.m.wikipedia.org

١٧- د. عبد المنعم أحمد سلطان، أحكام التوأم الملتصق بين الشريعة والقانون، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ٤٣.

١٨- مقالة بعنوان التوأم والتوائم الملتصقة منشورة على شبكة الأنترنت على الرابط: <http://form.sedty.com/t161825.html>.

١٩- عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ٢٤.

٢٠- المصدر نفسه، ص ٢٥.

٢١- عبد المنعم أحمد سلطان، المصدر السابق، ص ٤٤.

ح. ملتصق البطن: يكون التصاق البطنين من الجهة الأمامية وعادة ما يشترك التوأمان في الكبد وفي هذا النوع من الالتصاق بنصفين أعلى معدلات البقاء على قيد الحياة فأنسجة الكبد هي النوع الوحيد من بين أنسجة الجسم القادرة على تجديد نفسها مما يجعل فصل الكبد إلى اثنين أمراً ممكناً^(٢٢).

الفرع الثاني: التوصيف القانوني للتوائم السيامية وحكم فصلها.

تثار مسألة مهمة جداً وهي هل أن هذا النوع من التوأم الملتصق يعد شخصاً واحداً أم شخصين وما هو المعيار المعتمد للإجابة عن هذا السؤال وكذلك ما هو حكم فصل التوائم المتلاصقة؟ للإجابة عن هذه الأسئلة سنقسم هذا الفرع على فقرتين نتناول في الفقرة الأولى التوصيف القانوني للتوائم السيامية ومن ثم نتناول في الفقرة الثانية حكم فصل التوائم السيامية.

الفقرة الأولى: التوصيف القانوني للتوائم السيامية:

يقصد بالتوصيف القانوني للتوائم السيامية الوقوف على حقيقة هذا التوأم وتحديد الضوابط التي بموجبها يعد شخصاً واحداً وكذلك تحديد الضوابط التي يمكن من خلالها أن نحكم بأحدهما شخصان من كل ما تقدم سنتناول ضمن هذه الفقرة امرين الأول ضوابط اعتبار التوأمين شخص واحد ومن ثم نتناول ثانياً ضوابط اعتبار التوأمين شخصين.

أولاً: ضوابط عدّ التوأمين شخصاً واحداً:

يعد التوأم الملتصق شخصاً واحداً في الحالات التالية:

١- إذا اتحد في الأمور الطبيعية مثل البول والغائط والتنفس ونحو ذلك ما كان له آلتان لكل من البول والغائط وبأل كل واحد منهما على حدة وتغوط من كل واحد على حدة فيعتبر في هذه الحالة شخصان^(٢٣)، اما اذا بال كل منهما معاً أو تغوط معاً ففي هذه الحالة يعدان شخصاً واحداً وكذلك الأمر في النوم أن غط كل منهما معاً فنفس واحدة، وأن غط كل منهما فنفسان، وقيل يترك حتى ينام، ثم يصاح بهما فإن إنتبه جميعاً كانا شخصاً واحداً وأن أنتبه واحد وبقي الآخر عدا شخصين وهو ما أثر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- قد ورد في الأثر أنه قال (يترك حتى ينام ثم يصاح به فإن أنتبه جميعاً كان له ميراث واحد وإن أنتبه واحد وبقي الآخر كان له ميراث اثنين^(٢٤))، وفي رواية أخرى يذكر ابن القيم بعض الحوادث المنسوبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب -عليه السلام- فقد (روى محمد بن سهل حدثنا عبد الله بن محمد البلوي حدثني عمارة بن زيد حدثنا عبد الله بن العلا عن الزهري عن أبي سلمة عن عبد الرحمن قال أتي عمر بن الخطاب بإنسان له رأسان وفمان وأربع أيدي وأربع أرجل وأرجل واحليان ودبران فقالوا كيف يرث يا أمير المؤمنين فدعا علياً -عليه السلام- فقال فيهما قضيتان أحدهما ينظر إذا نام فإذا غط غطيظ واحد فنفس واحدة وإن غط كل منهما فنفسان وأما القضية الثانية فيطعمان ويسقيان

٢٢- التوأم السيامي مقال منشور على شبكة الأنترنت على الرابط: www.4ph.net/vb/t18676.

٢٣- عبد الحليم منصور علي، المصدر السابق، ص ٥١.

٢٤- أشار إلى الأثر د. سعد بن ناصر الشنندي، المصدر السابق، ص ٣٦.

فإن بال منهما جميعاً وتغوط منهما جميعاً فنفس واحدة وإن بال من كل واحد منهما على حدة وتغوط من كل واحد على حدة فنفسان (٢٥).

٢- إذا كان أحد التوأمين طبيعياً والآخر طفلياً من الحالات التي يحكم عليها بأن التوأمين شخص واحد أن يكون أحدهما حاملاً لتوأم طفلي سواء أكان هذا التوأم الطفلي به روح يتحرك أم كان بلا روح بأن ولد هكذا أو مات وتعذر فصله (٢٦).

٣- التوأم داخل التوأم: إذا كان هناك شخص وبدخله توأم مختلف في جسده فلا عبرة به ولا أثر له على تصرفات الشخص الأصلي ففي هذه الحالة يعد واحداً لا اثنين ولا أثر لهذا التوأم المختفي لأنه يكون ميتاً يشبه الورم ويرجع ذلك إلى أن البويضة في رحم الأم بعد تلقيحها إلى جنينين منفصلين أو ملتصقين قد ينمو أحدهما نمواً كاملاً فيما لا تكتمل أعضاء الآخر ليصبح طفلاً ملتصقاً ومعه على الجنين الآخر (٢٧).
٤- الإشتراك في أعضاء مقومات الحياة: كما هو الشأن في التوائم المكتملة التي تشترك بأحد أعضاء مقومات الحياة كالمخ والقلب وبالتالي لا يمكن فصلهما دون أن يفقد أحدهما فالتوأم هنا شخص واحد وله حقوق شخص واحد فقط (٢٨).

٥- التوأم الملتصق واحد مطلقاً: وقد اسند البعض هذا القول على كلام الإمام الشافعي فقد جاء في ما أثر عنه قال (وإذا جنى على امرأة فخرج منها بدنان في رأس جمع جنينين شيء واحد من خلقه ادمي فاللازم له فيه عنق رقبة.. الخ) (٢٩).

ثانياً: ضوابط اعتبار التوأمين المتلاصقين شخصين:

يعد التوأمين المتلاصقان شخصين كاملين إذا توافرت الضوابط التالية:

١- اختلافهما في الطباع والميول: كما لو كان أحدهما هادئاً والآخر بخلافه، وكما لو كان أحدهما يميل إلى إرتكاب الأمور غير المألوفة والآخر عكسه، وكما لو كان أحدهما يشرب المسكرات دون الآخر، كما في قصة التوأم السيامي (بنكر) المولود عام ١٨١١ في مدينة سيام وعاشا ٦٣ سنة كانت حياتهما غنية بالطرائف، منها أنهما لما بلغا سن الرشيد نشأ بينهم خلاف عنيف تحول إلى قضية أستدعت أحدهما إلى رفع شكوى في المحكمة ضد أخيه التوأم لأنه يتعاطى مشروبات روحية وهو لا يرغب في ذلك بل يزعمه

٢٥- أبن القيم، الطرف الحكيم في السياسة الشرعية، الجزء الأول، مطبعة المدني، القاهرة، ص ٧٧-٧٨، أشار إليه د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ٥١-٥٢.

٢٦- عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ٥٣.

٢٧- عثر أطباء مستشفى الملك فهد في السعودية على جنين داخل أحشاء طفلة لم يتجاوز عمرها الخمس أشهر في عملية نادرة كانت الطفلة تعاني من إنتفاخ غير طبيعي في البطن منذ ولادتها بعد عرضها على الطبيب تبين من خلال الأشعة بالموجات وجود ورم كبير أسفل البطن خلف المبيض يحتل نصف تجويف البطن تقريباً وتم إقرار عملية أستئصال للورم الذي تبين أن قطره يبلغ ١٣ سم عبارة عن جنين لم يكتمل فحملته الطفلة في أحشائها ذكر ذلك أحد أطباء المستشفى وأضاف أنه الحالة نادرة في مجال جراحة الأطفال ولذلك يجب التشخيص المبكر لمثل هذه الحالات والطفل بداخل بطن الأم حتى يتم تخليص الطفل أو الطفلة من هذا الجنين مبكراً قبل أن يكبر حجمه، للمزيد من التفاصيل يرجع شبكة الأنترنت الرابط: <http://www.Ibtasama.com/vb/showthead.4812.htm>

٢٨- د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ٥٤.

٢٩- د. سعد بن ناصر الشندي، المصدر السابق، ص ٣٥.

إلى أقصى الحدود، وتضمنت حيثيات شكواه أن أخاه يشرب الخمر بينما هو الذي يسكر ويتأثر عقله دون أخيه وبالطبع كان إصدار الحكم لصالحه في مجتمع يبيع تعاطي المشروبات ومنعه من تعاطيها يعد مسألة صعبة وغير ممكنة لذلك أكتفت المحكمة بنصح أخيه وحثه على التوازن في تناول المسكرات^(٣٠). وقد يكون إختلاف الطباع على هيئة أن أحد التوائم يحب القراءة والآخر يميل إلى الألعاب المسلية كما في قضية التوأم الايراني (لاله، لادن) فقد كانت لالة شديدة الوله بأجهزة الكمبيوتر والألعاب الإلكترونية بالإضافة إلى حبها الشديد للقانون في حين كانت لادن تريد أن تصبح صحفية وتعشق قراءة الصحف^(٣١).

٢- توفر مقومات الحياة المنفصلة: يرى البعض أن التوأم الملتصق يعد شخصين عند توفر مقومات الحياة المنفصلة أما إذا اشتركا في الأجهزة الأساسية كالمخ والقلب فهما شخص واحد يقول الدكتور الربيعية: التوائم الملتصق المكتملة وهي التي تتوافر فيها مقومات الحياة ويمكن فصلها ونقصد بمقومات الحياة المخ والقلب وأن كان بعض العلماء يكففي بالاشتراك في المخ فقط لكن الإتجاه الراجح يرى أن مقومات الحياة (المخ والقلب) في كلا التوأمين فإن التوأم إثنان ولكل منهما حقوقه^(٣٢).

وهناك اتجاهات فقهية أخرى حاولت أن تضع معياراً يصنف التوأم السيامي إذا كان واحداً أو أكثر كالقول بتعد الرأس فإذا تعدت الرأس فهما إثنان، وإذا كان لا يوجد إلا رأس واحد فهو شخص واحد^(٣٣) وهناك من حكم بأنهما أثنان مطلقاً^(٣٤) وهناك من حكم بأنهما شخص واحد مطلقاً والأرجح هو الإتجاه الذي لا يعطى حكماً واحداً في جميع الأبواب وهناك إتجاه يرى أن المرجع في اعتباره شخصاً واحداً أو شخصين هو العرف^(٣٥) ومن كل ما تقدم يبدو لنا أن الطب والعلم في هذه الأيام بلغ من المقدرة ما يؤهله ويمكنه من تشخيص حالة التوأم هل هو شخص واحد أو شخصان من خلال توافر الأجهزة الأساسية لكل منهما أو عدمه وبهذا يمكننا الوصول إلى معرفة ما إذا كان التوأم شخصاً واحداً أو شخصين.

الفقرة الثانية: حكم فصل التوائم السيامية:

يختلف حكم فصل التوائم السيامية عن بعضهما بإختلاف أنواع الالتصاق التي أشرنا إليها سابقاً ويمكن إجمال هذه الأحكام في أربع صور الأولى تتمثل بحكم فصل التوائم المكتملة والحالة الثانية تتمثل بحكم فصل التوائم الطفيلية والحالة الثالثة تتمثل بحكم فصل التوأم الميت عن صاحبه والحالة الرابعة تتمثل بحكم فصل

٣٠- د. عبد الحليم منصور، المصدر السابق، ص ٥٥.

٣١- ولد التوأم (لاله و لادن) من أسرة فقيرة إيرانية مما أدى إلى عدم إجراء عملية الفصل وهما طفلتان لتكاليف العملية الباهضة وكبر التوأمين ودرستا الحقوق حتى تخرجتا من جامعة طهران وأقدمت التوأم (لاله و لادن) على إجراء عملية انفصال قال التوأمين إن أهم دافع لإجراء العملية هي رغبة كل منهما رؤية وجه الآخر والتخلص من تعقيدات الحياة، عاشت التوأمين ملتصقتين لمدة ٢٩ عاماً ولم تتحملا عملية الفصل حيث عاشتا لمدة ٦٠ دقيقة فقط منفصلين قبل وفاتهما عام ٢٠٠٣ وفارق ٩٠ دقيقة ويذكر أن آية الله الخميني رفض إصدار فتوى بفصلهما وقال (إن الإسلام يجرمها وستعتبر عملية قتل طالما أكد الأطباء أنهم يعرفون مقدماً أنها تنتهي بالوفاة وأفتى أيضاً في إحدى المرات التي زارته فيها التوأمين مع أبيهما أن التوأمين أمراًتان كاملتان لذلك عليهما الزواج من رجلين يفضل أن يكونا شقيقين للمزيد من المعلومات زيارة الرابط:

٣٢- د. عبد الله بن عبد العزيز الربيعية، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

٣٣- وهو قول زكريا الأنصاري أشار إليه د. سعد بن ناصر الشثري، المصدر السابق، ص ٣٦.

٣٤- وهو قول عدد من الشافعية (بدليل أنهما يجبان الأم من الثلث إلى السدس "مغني المحتاج" أشار إليه د. سعد الدين الشثري.

٣٥- وهو قول الإمام الشافعي أشار إليه د. سعد الشثري، المصدر نفسه، ص ٣٧.

التوائم الملتصقة بعد الوفاة، ونحن اذ نشير الى هذه الاحكام ننوه الى ان الحكم الذي نقصده هو الحكم الشرعي على اعتبار ان الحكم القانوني يبقى مرهوناً بإرادة التوأم و الرأي الطبي.

أولاً: حكم فصل التوائم المكملة: يمكن إجمال الاتجاهات الفقهية التي قبلت في حكم هذه الحالة إلى اتجاهين أحدهما يميز مطلقاً والآخر يفصل في الأمر.

فأما الإتجاه المحيز فقد قاس عملية الفصل على عملية التداوي واستدل بمجموعة من الأدلة منها أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم وهذه هي الفطرة وأصل الخلقة ومن كان مغايراً لهذه الخلقة يجعلنا أمام حالة مرضية قد تستدعي التدخل العلاجي^(٣٦) ومن التبريرات التي ساقها هذا الإتجاه أن عدم الفصل بين التوائم الملتصقة قد يكون سبباً لهلاكهما فإذا أصيب أحدهما بمرض معين فإنه ينتقل إلى الطرف الآخر ويترتب على ذلك هلاك الشخص السليم والإسلام يدعو إلى عدم إلقاء النفس في التهلكة كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣٧) وكذلك استدلوا على هذا الحكم بأن بقاء التوائم الملتصقة على هذا النحو إضرار بهما والشرعية الإسلامية عملت على رفع الضرر كما في قوله عليه الصلاة والسلام (لا ضرر ولا ضرار) وكذلك استدلوا بأن في عملية الفصل مصلحة للتوأمين المتلاصقين حيث تؤدي عملية الفصل إلى التوسعة على التوأمين الملتصقين والرفق بهما^(٣٨).

أما الإتجاه الآخر فهو الإتجاه المفصل فقد أشرت شروطاً فإذا توفرت حكم بإباحة عملية الفصل وأن تخلفت حكم بالحرمة وهذه الشروط هي:

١- أن يغلب على ظن الأطباء المختصين حياتهما مع عدم حصول الضرر عليهما فهنا تجاز عملية الفصل.

٢- أن يغلب على الظن أن كلاهما سيعيش بعد الفصل فإن احتمل موت أحدهما حكم بالحرمة^(٣٩)، وضمن هذا الإتجاه فصلوا في الحالات المختلفة للتوأم السيامي وكما يلي فذهب بعضهم ومنهم السيد الحميني حيث يرى عدم جواز فصل التوأم (لاله ولادن) وهما من التوائم المكملة وقال ما نصه (أن الإسلام يجرمها "أي العملية" وتستعيب عملية قتل طالما أكد الأطباء أنهم يعرفون مقدماً إنها ستنتهي بالوفاة)^(٤٠) وأفتى أيضاً في إحدى المرات التي زارته فيها التوأمتان مع أبيهما أن التوأمتين إمرأتان كاملتان لذلك عليهما الزواج من رجلين يفضل أن يكونا شقيقين^(٤١) هذا خلاصة الحكم فيما يخص عملية فصل التوائم المتكاملة.

ثانياً: حكم فصل التوائم الطفيلي والتوأم داخل توأم: مر بنا مفهوم التوأم الطفيلي والتوأم داخل توأم وفصل هذا النوع من التوائم يمكن تأصيله على قول الفقهاء في حكم فصل الأعضاء الزائدة وفرقوا فيها بين

٣٦- عبد الحليم محمد منصور، أحكام جراحة فصل التوائم السيامية، المكتب الجامعي الحديث، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص ٨٤.

٣٧- د. عبد الحليم محمد منصور، أحكام فصل التوائم السيامية، المصدر السابق، ص ٩٧- ٩٨.

٣٨- المصدر نفسه، ص ٩٨.

٣٩- د. سعد بن ناصر الشثري، المصدر السابق، ص ٤٠- ٤١.

٤٠- د. عبد الحليم محمد منصور، أحكام جراحة فصل التوائم المتلاصقة، المصدر السابق، ص ٥٦.

٤١- المصدر نفسه، ص ٥١، الهامش الثاني.

أمرين الأول الا يمكن التفريق بين الأصل والزائد وفي هذه الحالة لا يجوز الفصل بين التوائم لإحتمال قطع الأصل (٤٢).

الأمر الثاني أن يكون الفصل بين الأصل والزائد ممكناً ويكون في بقاء هذه الأعضاء شيء ظاهر أو ضرر على الشخص الأصلي ففي هذه الحال قال الفقهاء بالجواز وبه قال النووي و التبرزي وقال ابن قدامه (يجوز قياساً على الختان والمداواة وقطع السلعة) والسلعة بكسر السين هي غده تخرج بين اللحم والجلد فجاز استئصالها عليهما كسائر الأفعال المباحة (٤٣).

وكذلك استدلو على جواز عملية الفصل في هذه الحالة بمجموعة من الأدلة بقياس عملية الفصل بعملية التداوي والتداوي مشروع في مجملته لدى الفقهاء، وكذلك أن في عملية الفصل رفعاً للضرر عن التوائم الأصلي وقد تثار مسألة التفرقة بين الأصلي والزائد وربما كانت هذه المسألة جديرة بالبحث فيما مضى أما الآن ومع تقدم علوم الطب أصبح تشخيص الأصل وتمييزه عن الزائد أمراً يسيراً (٤٤).

ثالثاً: حكم فصل التوائم الميت عن صاحبه الحي: تحدث فقهاؤنا القدامى عن فصل التوائم الميت عن صاحبه فقالوا أن أمكن ذلك من غير ضرر يلحق الحي فصل وإلا ربط الميت بجبل حتى يذبل ثم يفصل عن الحي (٤٥).

فقد جاء في حاشية البيهقي (قال في سبط الأنوار لو ولد شخصان معاً ملتصقان ومات أحدهما فإن أمكن فصله من الحي من غير ضرر يلحق بالحي وجب غسله والصلاة عليه ودفنه والأوجب أن يفعل بالميت الممكن من الغسل والتكفين والصلاة وأمتنع دفنه لعدم إمكانه وينظر سقوطه فإن سقط وجب دفنه (٤٦) وروي عن الإمام الشافعي أنه قال (دخلت بلدة اليمن فرأيت بها أنسان من وسطه إلى أسفله بدن واحد ومن وسطه إلى أعلاه بدنان مقتربان برأسين وبوجهين وأربع أيدي وهما يأكلان ويشربان ويتقالتان ومتلاحمان ويصطححان قال لما غبت عنهما قليلاً ورجعت ففيل لي (أحسن الله عزائك في أحد الشقيقتين فقلت: وكيف صنع به؟ فقيل ربط في أسفله جبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهباً راجعاً (٤٧).

وروي أيضاً عن سعيد بن جبير قال (أتى عمر بن الخطاب بأمرأة ولدت ولداً له خلقتان بدنان وبطنان وأربع أيدي ورأسان وفرجان هذا في النصف الأعلى وأما في الأسفل فله فخدان وساقان ورجلان مثل سائر الناس فطلبت المرأة ميراثها من زوجها وهو أبو ذلك الخلق العجيب فدعا عمر بأصحاب رسول الله - ﷺ - فشاوهم فلم يجيبوا فيه بشيء فدعا علي بن أبي طالب - عليه السلام - قال علي: أن هذا أمر يكون له نبأ فأحبسها، وأحبس ولدها وأقتص ما لهم واقم لهم من تخدمهم وأنفقت عليهم بالمعروف ففعل عمر ذلك ثم ماتت المرأة، ونسب الخلق وطلب الميراث فحكم له علي بأن يقام له خادم خصي يخدم فرجيه ويتولى

٤٢- د. سعد بن ناصر الشثري، المصدر السابق، ص ٤٠.

٤٣- د. المصدر نفسه، ص ٤١.

٤٤- د. عبد الحليم محمد منصور، أحكام جراحة فصل التوائم المتلاصقة، المصدر السابق، ص ٩٤-٩٥.

٤٥- المصدر نفسه، ص ٩٦.

٤٦- حاشية البيهقي على منہج الطالب، ج ١، ص ٥٨٦، أشار إليه د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ٩٦.

٤٧- سير أعلام النبلاء لأبن حجر العسقلاني، ج ١٠، ص ٩٠، أشار إليه د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧ وينظر في المعنى نفسه د. سعد بن ناصر الشثري، المصدر السابق، ص ٤٢.

أحكام الاحوال الشخصية للتوأم السيامي المتلاصق (دراسة قانونية استقرائية في ضوء الفقه الاسلامي)

منه ما يتولى الأمهات ما لا يحل لأحد سوى الخادم ثم أن أحد البدنين طلب النكاح فبعث عمر إلى علي فقال له يا أبا الحسن ما تجد في أمر هذين؟ ان اشتهى أحدهما شهوة خالفه الآخر وأن طلب الآخر حاجة طلب الذي يليه ضدها حتى أنه في ساعتنا هذه طلب أحدهما الجماع، فقال علي -عليه السلام- الله أكبر، إن الله أحلم وأكرم من أن يرى عبد أخاه وهو يجامع أهله، ولكن عللوه ثلاثاً، فإن الله سيقضي قضاء فيه ما طلب هذا إلا عند الموت، فعاش بعدها ثلاثة أيام ومات فجمع عمر أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فشاورهم فيه قال بعضهم: أقطعه حتى يبين الحي من الميت، ونكفنه وندفنه، فقال عمر إن هذا الذي أشرت لعلب أن تقتل حياً لحال ميت، وضج الجسد الحي فقال الله حسبكم تقتلونني وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقرأ القرآن فبعث إلى علي -عليه السلام- فقال يا أبا الحسن أحكم فيما بين هذين الخلقين فقال علي -عليه السلام-: الأمر فيه أوضح من ذلك وأسهل ما يسر الحكم أن تغسلوه وتكفنوه مع ابن أمه يحمله الخادم إذا مشى فيعاون عليه أخاه فإذا كان بعد ثلاث جف فاقطعوه جافاً ويكون موضعه حي لا يألم فأني (علم أن الله لا يبيقي الحي بعده أكثر من ثلاث يتأذى برائحة نتنه وجيفه فافعلوا ذلك فعاش الآخر ثلاثة أيام ومات فقال عمر يا ابن أبي طالب ما زلت كاشف كل شبهة وموضع كل حكم (٤٨).

وبناءً على ما تقدم يمكن القول أن فصل التوأم الميت من صاحبه أمر جائز بل قد يكون واجباً لا سيما وقد تقدمت علوم الطب والجراحة بشكل واضح ويمكن تأجيل ذلك على مجموعة من الحجج منها أن في عدم فصل الميت عن الحي هلاك له وكذلك أن في فصلهما رفع للضرر عن الحي وكذلك أن فصل الجزء الميت فيه حفاظ على حرمة الميت (٤٩).

ومن كل ما تقدم يبدو جلياً أن فصل التوأم الميت عن الحي مسألة مشروعة وقد تكون واجبة إذا أدى بقاء الجزء الميت إلى تضرر الحي والله أعلم.

رابعاً: حكم فصل التوائم الملتصقة بعد الوفاة: رأينا فيما تقدم أن فصل التوائم المكتملة حال حياتهما أمر جائز وكذلك الأمر فيما لو مات أحدهما وبقي الآخر حياً لكن ما الحكم لو توفي قبل أن تجري عليهما عملية الفصل هل يجوز فصلهما ليتمكن من غسل كل منهما منفرداً عن الآخر وكذلك تكفينهما والصلاة عليهما ودفنهما متوجهين إلى القبلة أمر لا يجوز؟

يذهب الاتجاه الغالب في الفقه إلى جواز عملية الفصل بعد الوفاة واستدل على ذلك بمجموعة من الأدلة نستعرضها تباعاً:

١- إنَّ غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه متجهاً إلى القبلة أمر واجب ولا يتم ذلك إلا بفصلهما إذ في حالة الالتصاق لا يمكن توجيه كل منهما معاً إلى القبلة (٥٠).

٤٨- كنز العمال، ج ٥، ص ٣٣١، أشار إليه د. عبد الحليم، المصادر السابق، ص.

٤٩- ينظر د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ١٠١.

٥٠- قال العباري (الظاهر فصلهما ليوجه كل منهما إلى القبلة ولأنه بعد الموت لا ضرورة إلى بقاؤهما ملتصقين ونقل عن بعض الدراسات الصحية ما بواقته تبصر أحمد بن قاسم الصباغ العباري المصري، من علماء الشافعية بمصر له حواشي عدن على كتب الشافعية في الفقه والأصول توفي سنة ٩٩٢ هـ وأشار إليه د. فيصل سعيد بالعمشاه، أحكام التوأم المتلاصق في الفقه الإسلامي، بحث مقدم إلى الدورة العشرون للمجمع الفقهي الإسلامي، مكة، ٢٠١٠، ص ٣٤.

٢- من المعلوم شرعاً وجوب دفن كل إنسان في قبر مستقل إلا إذا اقتضت الضرورة دفنهما جميعاً ففي هذه الحالة يدفنون معاً قال الشيرازي (ولا يدفن ميت في موضع فيه ميت إلا أن يعلم أنه قد بلي ولم يبق منه شيء ويرجع فيه إلى أهل الخبرة بتلك الأخبار^(٥١)) ومن كل ما تقدم يبدو أن فصل التوائم السيامية بعد الوفاء يأتي لضرورة توجيه كل منهما إلى القبلة فإن أمكن توجيههما إلى القبلة جاز دفنهما معاً كما يرى الشيرازي^(٥٢) ولا تشكل هذه الحالة أهمية كبيرة من الناحية القانونية.

المطلب الثاني: أحكام زواج التوائم السيامية

بعد أن تعرفنا في المطلب الأول على مفهوم التوائم السيامية وأنواعها والحكم الشرعي لفصل هذه التوائم عن بعض تأتي الآن لبيان الحكم الشرعي لزواج التوائم الملتصقة ونعتقد أن عملية زواج التوائم السيامية تتعدد بتعدد حالة الالتصاق التي تكون بين التوائم السيامية فهي لا تثير الكثير من المشاكل فيما يتعلق بالتوأم الطفيلي وهي بكل تأكيد مستحيلة فيما يتعلق بالتوأم داخل توأم لكن المسألة تدق وتحتاج إلى البحث بالنسبة للتوائم الملتصقة المكتملة وكذلك التوائم المشتركة في محل الوطء لذلك سنقسم هذا المطلب على فرعين نتناول في الفرع الأول حكم زواج التوائم الملتصقة مكتملة الأعضاء ومن ثم نتناول في الفرع الثاني حكم زواج التوائم الملتصقة المشتركة في محل الوطء.

الفرع الأول: حكم زواج التوائم الملتصقة مكتملة الأعضاء

أُتفق الفقهاء على جواز زواج التوائم الملتصقة الذي يكون مشروط بعدم الوطء فالزواج في هذه الحالة لا إشكال فيه لأن مقاصد الزواج كثيرة كقيام المرأة بخدمة زوجها أو الإنفاق على الزوجة^(٥٣) وكذلك الحكم فيما لو حكم عليه بأنه شخص واحد لكن وقع الخلاف بين الفقهاء في حكم نكاح التوائم الملتصقة فيما عدا هاتان الحالتان ويمكن إجمال الآراء الفقهية التي قيلت في ثلاث اتجاهات الرأي الأول يرى حرمة زواج التوائم الملتصقة وهذا القول ذهب إليه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف^(٥٤) ونسبه ابن القيم إلى الإمام علي -عليه السلام- كما ذكرنا في رواية أشرنا إليها سابقاً^(٥٥) وفي رواية أخرى ينسب إليه -عليه السلام- أنه قال (لا يكون فرج في فرج وعين تنظر ثم قال علي -عليه السلام- أما إذا حدثت فيهما الشهوة فإيهما سيموتان جميعاً سريعاً فما لبثا أن ماتا وبينهما ساعة أو نحوهما)^(٥٦).

وذهب إلى هذا الاتجاه العلامة الشيخ أشرف التهانوي المتوفي (١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م) حين سأل عن توأمتين أثنيتين كانتا ملتصقتين بالورك وكل واحدة منها تستقل بكل أعضائها حتى مجرى الطمث وهو محل الجماع فأفتى رحمه الله بأنه لا يحل وطؤهما إلا أن أمكن الإتيان في القبل بلا تعدد ولا يمكن ذلك بدون معصية فإذا وطئت أحدهما فلا يجوز للواطئ أن يتمتع بالأخرى لأنهما أختان والجمع بينهما حرام قطعاً ولا

٥١- د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ١٠٢.

٥٢- المهذب، ج ١، ص ١٣٦، أشار إليه د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر نفسه.

٥٣- د. عبد الحليم محمد منصور، أحكام زواج التوائم السيامية، المصدر السابق، ص.

٥٤- ينظر د. عبد الحليم محمد، المصدر السابق، ص ٧٢.

٥٥- ينظر الصفحة () من هذا البحث.

٥٦- د. عبد الحليم محمد منصور، المصدر السابق، ص ٧٣.

أحكام الأحوال الشخصية للتوأم السيامي المتلاصق (دراسة قانونية استقرائية في ضوء الفقه الإسلامي) يمكن أن يتمتع عن لمس الآخر والنظر إليها والتعري أمامها فتحرم عليها بناءً على الأمل المذكور أن يطاء أحدهما في هذا المجال (٥٧).

وجاء في قرار مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف (لا يجوز زواج أحد التوائم المتصلة أو كلاهما لأن النكاح له مستلزمات يحرم على أحد المتصلقين الإطلاع عليها وأضاف أن التوائم لا يعد أنه شخص واحد كما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج من امرأتين ملتصقتين لعدم جواز الجمع بين الأختين وعليه يصبح زواج المتصلق في كل الأحوال مخالفاً لأحكام الشرع (٥٨) وجاء في منهاج الصالحين للشهيد الصدر الثاني (من كان ذا رأسين فإن حكم شرعاً على أنه فرد واحد فلا إشكال في ترتيب أحكام الزواج والطلاق وسائر المعاملات عليه، وأما إذا حكم بكونه فردين كأن يكون مكون من جسمين على عضو واحد وهو لا شك في كونه معدد فزواجه مخالف للإحتياط الوجوبي للزوم أطلاع الطرف على الفرد الثاني المتصلق به وبالعكس وهو حرام سواء كانا رجلين أو امرأتين أو مختلفين (٥٩).

وذهب كذلك إلى حرمة زواج التوأم السيامي إذا حكم بكونه شخصين أبين باز وكذلك الدكتور عبد الله الطيار (٦٠).

الرأي الثاني: ذهب بعض متأخري الشافعية إلى القول بجواز نكاح التوائم المتصلة وإلى هذا القول ذهب دار الإفتاء المصرية وكذلك ذهب إلى هذا الإتجاه العلامة عبد الملك السعدي (٦١)، ووجاء في حاشية البيجرمي على الخطيب: كالنكاح فيجوز لكل منهما أن يتزوج سواء كانا ذكراً أو أنثيين أو مختلفين، ويجب الستر والتحفظ إن أمكن (٦٢).

وجاء في حاشية قليوبي على المنهاج (ودخل الثاني ما لو كانا ملتصقين وأعضاء كل منهما كاملة حتى الفرجين فلهما حكم أنثيين في جميع الأحكام حتى أن لكل منهما أن يتزوج سواء كانا ذكراً أو أنثيين أو مختلفين فإن نقصن أعضاء أحدهما فإن علم حياة أحدهما استقلالاً كنوم أحدهما ويقظة الآخر فكأنين أيضاً وإلا فواحد (٦٣).

واستدل أصحاب هذا الرأي بمجموعة من الأدلة منه أن الضرر وأن يتيح المحظورات وكذلك إرتكاب أخف الضررين دفعاً لأعلاهما وكذلك أن الإطلاع على العورة من حقوق الله عز وجل والنكاح من حقوق العباد مقدمة على حقوق الله وكذلك ضرورة الإمتناع عن الزنا وإلى الإتجاه المجيز ذهب السيد الخميني في فتاواه التي أصدرها بخصوص التوأم (لاله ولادن) إذ أفق بحرمة فصلهما لإحتمال الموت الذي كان راجحاً

٥٧- المصدر نفسه، ص ١٤.

٥٨- قرار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف منشور على شبكة الأنترنت على الرابط <http://azizbelleh.com/home/fatwa.12html>.

٥٩- آية الله السيد الشهيد الصدر، الجزء الرابع، المسألة (١١٨١)، ص ١٦٩.

٦٠- خلاصة رأي أبين باز والدكتور عبد الله الطيار منشورة على شبكة الأنترنت على موقع منتدى أهل الحديث www.ahlal hadeeth.com.

٦١- ينظر في تفصيل رأي العلامة السعدي (الموقع الرسمي لسماحة الشيخ أ.د عبد الرحمن عبد الملك السعدي) على الرابط www.alomah-alwasat.com/fatwa.morephp?ids575.

٦٢- ينظر في تفصيل ذلك د. عبد الحليم، المصدر السابق، ص ٧٤.

٦٣- المصدر نفسه، ص ٧٤.

على احتمال الحياة وفي الوقت نفسه أفقياً بأنهما أمراًتان كاملتان لذلك عليهما الزواج من رجلين يفضل أن يكونا شقيقين (٦٤).

ومن كل ما تقدم يبدو أن الرأي الأول الذي لا يميز هو الأرجح فإن أمكن فصلهما جاز لهما أن يتزوجا ونحن إذ نرجح الاتجاه الأول نؤكد على ضرورة مراعاة التفاصيل الخاصة لكل حالة على حدة فمن الصعب إعطاء حكم قانوني خاص بكل حالات التوائم المتلاصقة المتكاملة.

الفرع الثاني: حكم زواج التوائم المتلاصقة المشتركة في محل الوطء (التوائم المشكل)

نحن الآن بصدد شخصين من الأعلى وشخص واحد من الأسفل بحيث يتحد العضو التناسلي ذكراً كان أو أنثى، فهل يجوز لهذا التوائم المتلاصق المشترك في العضو التناسلي أن يتزوج أم لا؟ اختلف العلماء في هذه المسألة على رأيين:

الرأي الأول: جواز نكاحه: ذهب هذا الاتجاه إلى جواز نكاح التوائم المشترك في محل الوطء وقد نسب قول إلى الإمام الشافعي قال الإمام الغزالي وقد أخبر الشافعي بأمرأة لها رأسان فنكحها بمئة دينار وطلقها (٦٥).

وذهب إلى القول بالجواز في هذه الصورة أيضاً العلامة ابن القيم وإليه أيضاً ذهب بعض المالكية (٦٦) ومن الشيعة الإمامية ذهب صاحب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية إلى جواز نكاحهما إذ جاء في اللمعة ما نصه (أما في النكاح فهما واحد من حيث الذكورة والأنوثة أما من جهة العقد ففي توقف صحته على رضاهما معاً نظر ويقوي توقفه فلو لم يرضيا معاً لم يقع النكاح ولو اكتفيا برضا الواحد ففي صحة نكاح الآخر لو كان أنثى إشكال وكذا يقع الإشكال في الطلاق (٦٧).

وبهذا الاتجاه يذهب الدكتور عبد الملك السعدي حيث يقول (إذا كان التوأمين المتلاصقان بهذه الهيئة بنين فهل الزواج منهما كأمرأة واحدة أو امرأتين والعقد عليها على الأساس فقط أم لا بد من عقد لكل منهما وإذا تزوجها واحد هل يعتبر جمع بين أختين وما هو الحكم من حيث الحمل والرضاعة أقول: (هذه الأمور مرتبطة بما إذا كان لكل توأم فرج مستقل أو فرج واحد للجسم الأساس فقط فإن كان فرجاً واحداً في الأساس فإن العبرة له من حيث الزواج والنسب والرضاع والولادة والجزء الثاني بمثابة عضو زائد وإن كان لكل فرج مستقل فإنهما بمثابة امرأتين أختين لا يجوز الجمع بينهما بعقد على كل واحدة منهما استقلالاً وأنجاب كل واحدة ينسب إليها وأحكام الرضاع كل لها حكمها وزواج الواحدة يحرم عليه قربان الثانية أو لجسمها إلا لعسر التحرز عنها ويظن أنها على أفراد ويستتر عن الثانية وعلى الأخرى أن تغض نظرها عند

٦٤- ينظر المزيد من التفاصيل حول فتوى الخميني الرابط التالي: <http://form.alfinan.org/showthread.php?>>>.....?????????.....>

٦٥- د. عبد الحليم محمد، أحكام زواج التوائم السيامي، مصدر سابق، ص ٩٧.

٦٦- المصدر نفسه، ص ٩٧.

٦٧- الشهيد بن محمد بن جمال الدين مكي العاملي، زين الدين العاملي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج ٨، منشورات الحلبي.

أحكام الأحوال الشخصية للتوأم السيامي المتلاصق (دراسة قانونية استقرائية في ضوء الفقه الإسلامي)
كشف عورة الأخرى وكشف عورة زوجها لإن أمور النكاح والطلاق والزنا والأنساب متأصلة بوجود الفرج وعدمه (٦٨).

الرأي الثاني: حرمة الزواج: ذهب بعض المالكية كالقاضي عياض إلى حرمة زواج الملتصقين في محل الوطء قال الخطاب بعد أن ذكر قول ابن عرفة بالجواز وتعقبه عياض بأنهما أختان (٦٩) وإليه ذهب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وهو قول الدكتور أحمد الطيار حيث يقول (وإذا كان التوأم الملتصقان ذكراً فإن كان الإلتصاق في الجهاز التناسلي كأن يكون لهما معاً جهاز واحد فهنا لا يجوز لأحدهما النكاح لما يأتي: أنه لا يجوز بحال أن نجتمع على المرأة الواحدة رجلان في وقت واحد إنه إذا كان العقد لأحدهما فإن الآخر يكون الفعل منه زناً، وأنه يشكل على ذلك نسبة الولد فلمن ينسب؟) (٧٠)

ومن كل ما تقدم نقول أن إعطاء حكم شامل لجميع حالات التوأم المشكل أمر صعب والأفضل أن يكون المرجع في ذلك هم أهل الطب فإن حكموا بأنه واحد فلا إشكال في زواجه وباقي الأعضاء زوائد وأن حكموا بأنه اثنان وأن هذا العضو التناسلي لهما على سبيل الإشتراك فلا يجوز لهما الزواج في هذه الحالة لئلا نجتمع على المرأة الواحدة رجلان أو يجتمع رجل واحد على امرأتين أختين في عضو واحد إن كان الملتصقان اثنان وكل ذلك لا يجوز.

المبحث الثاني: أحكام أرث التوأم السيامي ووصيته

بعد أن بينا في المبحث السابق أحكام زواج التوأم السيامي تأتي الآن لبيان أحكام أرث ووصية التوأم السيامي، لذلك سنقسم هذا المبحث على مطلبين نتناول في المطلب لأول أحكام أرث التوأم السيامي ومن ثم نتناول في المطلب الثاني أحكام وصية التوأم السيامي.

المطلب الأول: أحكام ميراث التوأم السيامي

يتعلق بالمتلاصقين مجموعة من الأحكام في أبواب الموارث وهذه الأحكام يمكن ردها إلى مرحلتين الأولى تتعلق بالتوأم المتلاصق وهو جنين في بطن أمه والثانية تتعلق به بعد الولادة ولزيادة الإيضاح سنتناول كل مرحلة من هذه المراحل تباعاً:

الفقرة الأولى: أحكام ميراث التوأم المتلاصق وهو جنين في بطن أمه: نثبت للتوأم المتلاصق في هذه المرحلة أهلية وجوب ناقصة على اعتبار أن القانون قد افترض حياة الجنين إلا أن يثبت العكس، وذلك لأن قرار انتقاله في هذه المرحلة بقرار الأم وأيضاً لأنه معد للإنفصال وصورته تنشأ قائمة بذاتها بعد الولادة (٧١) لذلك جعل الشارع له أهلية ناقصة تصلح لأن تجب له الحقوق فقط وذلك مثل ثبوت نسبه من أبيه وميراثه له، ويثار في هذه المرحلة سؤال مهم وهو ما هي الدلائل التي يمكن أن يستدل من خلالها على أن

٦٨- يراجع د. عبد الملك السعدي، الأحكام الشرعية المترتبة على التوائم المتلاصقة منشور على الشبكة العالمية الأنترنت على الرابط التالي: <http://alqurasy.topgoo.net/t3253-topic>.

٦٩- أشار إلى رأي القاضي عياض د. عبد الحليم محمد منصور، أحكام زواج التوأم السيامي، مصدر سابق، ص.

٧٠-

٧١- د. عبد المنعم أحمد سلطان، المصدر السابق، ص ١٥٠.

هذا الجنين شخص واحد أو شخصان رأينا فيما مضى الصعوبة التي تثيرها هذه المسألة بالنسبة للتوأم المتلاصق المولود فما بالك لو كان هذا التوأم المتلاصق لا يزال جنيناً:

إذا أنعدمت الدلائل التي تصف التوأم المتلاصق إلى شخصين أو شخص واحد تماماً كما في حالة الجنين المشكل حينما لا تبين فيه علامات الذكورة والأنوثة فإن التوأم حينئذ يكون مشكلاً بمعنى أنه قد يكون شخصين من وجه وشخص من وجه آخر^(٧٢).

لكن إذا عرف أن هناك التصاقاً عن طريق الأشعة ففي هذه الحالة ينظر ما سيسفر عنه من نتائج في التعرف على نوعية الجنين وعدده وعلى ذلك فتورثه (التوأم المتلاصق) وهو جنين في بطن أمه يتم وفق قواعد الميراث، وتحل هذه المسألة بطريقتين أما أن يتم تأخير قسمة التركة حتى ولادة الجنين المتلاصق لكي يتم التأكد بشكل قطعي من عدده وجنسه ومن ثم لا تثير المسألة صعوبة^(٧٣) لكن المشكلة تثار لو لم يرضى الورثة بتأخير قسمة التركة فلا يمكن إجبارهم على ذلك^(٧٤) وقد اختلف الفقهاء حول المقدار الذي يترك من التركة ويمكن إجمال الاتجاهات الفقهية التي قيلت بهذا الصدد في أربعة آراء كما يلي:

الرأي الأول: يوقف للحمل نصيب أربعة بنين، أو نصيب أربع إناث أيهما أكثر ويعطى باقي الورثة أقل الأنصبة وذلك للإحتياط وهذا الرأي لأبي حنيفة رواه عنه ابن المبارك وكذلك هو رواية عند أشهب من المالكية^(٧٥).

الرأي الثاني: يوقف للحمل بنصيب ثلاثة بنين أو ثلاث بنات أيهما أكثر^(٧٦).

الرأي الثالث: يوقف للحمل نصيب ابن واحد أو ابنة واحدة أيهما أكثر وذلك لأن المعتاد الغالب أن تلد المرأة في بطن واحدة إلا ولداً واحداً فينبى عليه الحكم ما لم يعلم خلافه^(٧٧) ومن كل ما تقدم نجد أن الرأي الثالث هو أرجح الآراء.

الفقرة الثانية: أحكام ميراث التوأم السيامي بعد الولادة: تتعلق بالمتلاصقين نوعين من الأحكام في هذه المرحلة: (

الأول: هل يرث ميراثاً واحداً أو ميراث اثنين كما لو هلك هالك عن ثلاثة أبناء وتوأم متلاصق فهل نقسم تركته على أربعة أو نقسم على خمس؟

الثاني: هل يؤثر المتلاصق تأثير اثنين أو تأثير واحد في باب الحجب؟ كما لو مات عن أم وتوأم متلاصق فإن حكمنا عليه بأنه واحد ورثت الأم الثلث (عند القائلين بهذا الرأي وأن حكمنا عليه اثنين ورثت الأم السدس)^(٧٨).

٧٢- المصدر نفسه، ص ١٥٠.

٧٣- د. فهد بن عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٢٨٦.

٧٤-

٧٥- أشار إلى رأي الحنفية د. عبد المنعم أحمد سلطان، المصدر السابق، ص ١٥١.

٧٦- د. عبد المنعم أحمد سلطان، المصدر نفسه، ص ١٥١.

٧٧- د. محمد نبيل سعد الشاذلي، أحكام الميراث والوصية في الفقه الإسلامي والقانون، دار النهضة العربية، ٢٠٠٣، ص ٣٣١-

٣٣٢.

٧٨- د. عبد المنعم أحمد سلطان، المصدر السابق، ص ١٥١.

قال الشريبي قوله (أثنين) قد يشمل ما لو ولدت امرأة ولدين ملتصقين لهما رأسان وأربع أرجل وأربع أيد وفرجان ولهما أبن آخر ثم مات هذا الأبن وترك أمه وهذين فيصرف لهما السدس وهو كذلك لأن حكمهما حكم الإثنين في سائر الأحكام^(٧٩).

وقال الرملي لو كانا ملتصقين ولكل رأس وبدن ورجلان وفرجان أن حكمهما حكم الإثنين في سائر الأحكام ومنها الأثر^(٨٠) وجاء في الروضة البهية أنه يورث بحسب الإنباه فإذا كانا نائمين ونبه أحدهما الآخر فواحد وأن لم ينتبه الآخر فإن كان كما قضى به علي - ع -^(٨١).

ولا تشير مسألة جنس التوائم الكثير من المشاكل لأن التوائم في جميع الأحوال يكون من جنس واحد كما أثبت العلم والوقائع التاريخية ذلك^(٨٢).

وبدورنا نرجح إتباع الوسائل العلمية الحديثة في تحديد هل أن هذا التوائم يعد شخصاً واحداً أو شخصين وبالتالي يعتمد على الأشعة أو الأجهزة الطبية الحديثة ونرى والله أعلم أن يعتمد معيار تعدد القلب فإذا تعدد القلب نكون أمام شخصين وإذا كان التوائم بقلب واحد نكون أمام شخص واحد وهو ما يتوافق مع قوله تعالى ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِلرَّجُلِ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^(٨٣).

فإذا كان له قلبين أخذ حصتين بحسب جنسه وإن كان له قلب واحد أخذ حصة شخص واحد بحسب جنسه.

المطلب الثاني: أحكام وصية التوائم السيامية

كما هو شأن الميراث فإن أحكام الوصية التي يوصى بها للتوائم السيامية تختلف أحكامها فيما لو كان التوائم لا يزال جنين في بطن أمه عن تلك الأحكام بعد ولادتهما لذلك سنحاول ان نفصل هاتين المرحلتين تباعاً:

الفقرة الأولى: احكام الوصية الى التوائم الملتصق وهو جنين في بطن امه: اذا كان التوائم الملتصق جنيناً في بطن أمه وأوصى له انسان بوصية فيشترط لصحة الوصية الشروط التالية:

١- ان يكون موجودا عند انشاء الوصية، وان يستمر وجوده الى ما بعد موت الموصى خلافاً للملكية الذين لا يشترطون هذا الشرط حيث يقولون بصحة الوصية للمعدوم ويتحقق هذا الشرط اذا وجد الحمل خلال مدة معينة من انشاء الوصية^(٨٤).

٢- ولادته حياً: والحياة هنا مشترطة لكلا التوأمين وهذا ما ذهب اليه جمهور الفقهاء باستثناء الحنفية الذين اكتفوا بحياة اكثر الحمل أي الجزء الاصيل في حالة التوائم الطفيلي^(٨٥).

٧٩- أشار إلى رأي الشريبي د. سعد بن ناصر الشثري، المصدر السابق، ص.

٨٠- أشار إلى رأي الرملي، د. سعد بن ناصر الشثري، المصدر السابق، ص.

٨١- الشهيد محمد بن جمال الدين العاملي وزين الدين العاملي، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

٨٢- د. عبد الحليم محمد منصور، أحكام جراحة فصل التوائم السيامية، المصدر السابق، ص ٤٥.

٨٣- سورة الأحزاب، الآية (٣).

٨٤- د.عبد المنعم احمد سلطان، المصدر السابق، ص ١٥٢.

٨٥- المصدر نفسه، ص ١٥٢.

٣- ثبوت نسب التوأم الملتصق لآبيه شرعاً: حسب اتجاه جانب من الفقه ان يكون التوأم المتلاصق ثابت النسب لآبيه لكي يستحق الوصية^(٨٦) ولا تتفق مع هذا الشرط لان الاتجاه الفقهي المتقدم نعتقد انه قد خلط بين احكام الوصية واحكام الميراث وقد اشارت المادة (٣٦) من قانون الوصية المصري رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ الى حالة تعدد الحمل الموصى له حيث نص (اذا جاء الحمل في وقت واحد او في وقتين بأقل من ستة اشهر بولدين صبيين او اكثر كانت الوصية بينهما بالتساوي إلا اذا نصت الوصية خلاف ذلك إن انفصل احدهما غير حي استحق الحي منهم كل الوصية، وان مات احد الاولاد بعد الولادة كانت حصته بين ورثته في الوصية بالاعيان وتكون لورثته الموصى في الوصية بالمنافع^(٨٧)).

هذا اهم ما يتعلق بأحكام الوصية للجنين المتلاصق قبل ولادته.

الفقرة الثانية: أحكام الوصية للتوأم السيامي بعد الولادة: تصنف الوصية من جهة الشخص الذي سيتلقى الوصية (الموصى له) بأنها من التصرفات النافعة نفعاً محضاً والتوأم السيامي (المتلاصق) شأنه شأن الشخص العادي يمر بثلاث مراحل وهي مرحلة عدم التمييز ومرحلة الصغير المميز ومرحلة كمال الأهلية، وفيما يتعلق بالمرحلة الأولى لا يعتد بأقواله وتعد أقواله كلها هدراً وتصرفاته باطلة حتى لو كانت نافعة نفعاً محضاً كقبوله الهبات أو الوصية، وينوب عنه وليه الشرعي فيها^(٨٨).

أما فيما يتعلق بقبوله الوصية في مرحلة التمييز فيعد قبوله صحيحاً دون أن يتوقف على إجازة أحد^(٨٩) أما الرفض فيعد تصرفاً ضاراً لا يعتد به أما فيما يتعلق بتصرفات التوأم المتلاصق إذا بلغ سن الرشد بالتحديد قبوله للوصية فإن التوأم السيامي إذا بلغ سن الرشد يصبح مكلفاً بجميع التكاليف وفيما يتعلق بقبوله للوصية فنحن نكون أمام الفرضيات الثلاث الآتية:

- ١- إذا قبل كلا التوأمين المتلاصقين الوصية أستحق كل منهما نصيبه حسب صيغة الوصية.
 - ٢- إذا رفض كل من التوأمين الوصية فلا تنفذ الوصية بحقهما.
 - ٣- إذا رفض أحد التوأمين الوصية وقبلها الآخر فإذا كانت صيغة الوصية تقضي بأن يمتلك الموصى به على الشيوع أنتقل نصيب الرفض إلى نصيب القابل وإن كانت الوصية تقضي بتملك كل واحد منهما جزء من الموصى به أمتلك القابل وأنتقلت حصة الرفض إلى الورثة هذا بالنسبة للتوأم المتكامل.
- أما بالنسبة للتوأم المشكل فإذا قبل الإثنان فلا مشكلة أما إذا رفض الإثنان نرى أن يعمل بعبارة القابل وتهدر عبارة الرفض لما فيه خير على التوأم السيامي والله أعلم.

الخاتمة

بعد بحثنا لإحكام التوائم السيامية توصلنا إلى مجموعة من النتائج والمقترحات نعرضها تباعاً:

٨٦- المصدر نفسه، ص ١٥٢.

٨٧- نص المادة (٣٦) من قانون الوصية المصري رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦.

٨٨- د. عبد المنعم أحمد سلطان، المصدر السابق، ص ١٦١.

٨٩- المصدر نفسه، ص ١٦٢.

أولاً: النتائج:

- ١- في إطار تعريف التوائم السيامية اقترحنا أن تعرف على أنها التوائم متحدة الجنس والصفات التي تنشأ من بويضة ومشيمة واحدة وتكون متصلة وبشكل لا يمكن فصله إلا بالتدخل الجراحي.
- ٢- في جميع حالات التوائم المتلاصقة يكون الجنس متحداً أما التصاق ذكرين أو أنثيين وأثبت العلم والتجربة أنه لا يمكن أن يولد توأم متلاصق ذكر وأنثى.
- ٣- تصنف أنواع التوائم المتلاصقة بتصنيفات متعددة أما وفق معيار الإكمال من عدمه أو وفق المنطقة التي يحدث فيها الالتصاق.
- ٤- تعددت المعايير في إعتبار التوأمين شخص واحد أو شخصين منها من قال باختلاف الطباع والميول كمعيار للتمييز ومنها من اعتمد توفر مقومات الحياة المنفصلة في كل جزء من التوأمين ومنهم من قال بتعدد الرأس ومنهم من قال أن العرف هو المعيار في تصنيف التوأم إذا كان شخصاً أو أنثيين.
- ٥- في إطار زواج التوأم السيامي وجدنا أن كلمة الفقه اتفقت على جواز زواج التوأم السيامي المشروط بعدم الوطء وكذلك الحكم فيما لو حكم عليه بأنه شخص واحد.
- ٦- في إطار زواج التوأم الذي يحكم عليه بأنه شخصان اختلفت الآراء حول زواجه فذهب أحد الاتجاهات الفقهية إلى حرمة زواجه وذهب إتجاه آخر إلى جواز زواجهما ونميل مع الرأي الأول فيما يتعلق بالتوائم المتلاصقة المكتملة على أن ترعى خصوصية كل حالة وتقدر بقدرها فمن الصعب إعطاء حكم عام وشامل في هذه الحالة.
- ٧- اختلفت الآراء التي قبلت حول جواز نكاح التوائم المتلاصقة المشتركة في محل الوطء بين مجيز ومحرم من أجاز أستند على أنهما شخص واحد ومن حرم من أستند إلى سد الذرائع في تحريم زواج التوائم.
- ٨- في إطار التوائم المتلاصقة وجدنا أن أول من أفتى في أرث التوأم السيامي هو الإمام علي -عليه السلام- وأعتمد معياراً خاصاً في الحكم على التوأم إن كان شخصاً واحداً أو شخصين حيث ينيم التوأم ويهمس في أذن أحدهما فإن أفاق الإثنين فهي نفس واحدة وإن أفاق أحدهما دون الآخر فهما نفسان وبناءً على ذلك تترتب أحكام الأرث.
- ٩- اختلفت الآراء حول أرث التوأم السيامي وهو جنين في بطن أمه منهم من قال بإيقاف توزيع التركة إلى أن يولد التوأم السيامي ومنهم من قال وقف مقدار معين من التركة كحصة ذكرين أو أنثيين أو ثلاثة ذكور أو ثلاث أناث ونعتقد أن أرجح الآراء هو الرأي الذي يوقف للتوأم السيامي حصة ذكران أو أنثيان أيهما أكثر.
- ١٠- أما فيما يتعلق بأرث التوأم بعد الولادة نجد أن أفضل معيار في عدّه شخصاً واحداً أو أنثيين هو معيار تعدد القلب وإننا إذ نضع هذا المعيار نستند إلى قوله تعالى ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قُلُوبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ سورة الأحزاب الآية (٣).
- ١١- في إطار وصية التوأم السيامي نجد أن الوصية تعد من التصرفات النافعة نفعا محضاً وبالتالي هي تتأثر بالمراحل العمرية الثلاث التي يمر بها التوأم السيامي ففي إطار مرحلة عدم التمييز يقوم وليه أو وصية مقامه في قبول وصيه وفي إطار مرحلة التمييز يعد قوله في قبول وصية بعده تصرفاً نافعا نفعا محضاً ولا عبرة

بالرفض لانه تصرف ضار ضرراً محضاً اما في مرحلة تمام الاهلية فإن قبل الاثنان استحق الوصية وإن رفض الاثنان بطلت الوصية وإن رفض احدهما وقبل الاخر فينظر المال الموصى به فإن كانت صيغة الوصية لهما على الشيوع انتقلت حصة الرفض إلى القابل وإن سمي لكل منهما جزء اخذ القابل نصيبه ورد الباقي الى الورثة.

ثانياً: المقترحات:

نقترح على المشرع العراقي ان ينظم احكام التوائم السيامية ضمن قانون الاحوال الشخصية النافذ على ان يراعى المسائل التالية:

- ١- في اطار الحكم على التوأم السيامي إن كان شخصاً واحداً او إثنين نقترح ان يعتمد معيار تعدد القلب.
- ٢- في اطار زواج التوأم السيامي نقترح على المشرع ان يبيح زواج التوأم السيامي المشروط بعدم الوطء أما في اطار التوأم المكتمل نقترح ان لا يبيح زواجهم إلا اذا امكن فصلهم.
- ٣- فيما يتعلق بالتوأم المشكل نقترح على المشرع ان يحظر زواجهم بشكل مطلق.
- ٤- في اطار إرث التوأم السيامي إن كان التوأم جينياً في بطن امه نقترح ان يوقف من التركة ما يعادل نصيب ذكرين فإن ولد التوأم كذكرين استحقا الحصة وإن ولد التوأم كإثنين أخذوا حصتهما ورد الباقي إلى الورثة.
- ٥- في اطار وصية التوأم السيامي نقترح على المشرع ان ينظمها ضمن احكام قانون الاحوال الشخصية وفي حالة رفض احد التوأمين الوصية بعد بلوغ سن الرشد يعمل بالحل الذي توصلنا اليه فإذا كانت الوصية مشاعة انتقل نصيب الرفض إلى القابل وإن لم تكن مشاعة إنتقل نصيب الرفض الى الورثة.

قائمة المصادر

أولاً: المعاجم:

- ١- مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، المجلد ٤، بيروت، ط ١.
- ٢- أبي فارس معجم مقاييس اللغة، الجزء السادس، (مادة وأم).
- ٣- ابن منظور، لسان العرب، مادة (لصق)، ج ٣.

ثانياً: الكتب:

- ١- د. عبد الله بن عبد العزيز الربيع، تجربتي مع التوائم السيامية، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٩.
- ٢- د. عبد الناصر أبو البصل، نوازل التوائم المتلصقة الأحكام المتعلقة بفصلها وميراثها وزواجها، مقالة مقدمة في الدورة العشرون للمجمع الفقهي الإسلامي المنعقد بمكة ٢٠١٠.
- ٣- د. ناصر عبد الله، الأحكام الفقهية للتوائم المتلاصقة، مقالة مقدمة في الدورة العشرون للمجمع الفقهي، مكة، ٢٠١٠.
- ٤- علي بن عبد الله الحمد، أحكام التوائم المتلصقة في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود، قسم الفقه الإسلامي، ١٤٢٣ هـ).

- ٥- فهد بن عبد الكريم السنبدي، أحكام الأجنة المتلاصقة بحث منشور في مجلة الجمعية الفقهية السعودية، العدد ٩/ جمادي الأولى ٢٠١١.
- ٦- عبد الحليم محمد منصور علي، أحكام زواج التوائم السيامية دراسة فقهية مقارنة، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.
- ٧- محمد مفتاح الشافعي، الجينات المتلاصقة وموقف الفقهاء منه، دار الأصمعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.
- ٨- د. عبد المنعم أحمد سلطان، أحكام التوأم المتلاصق بين الشريعة والقانون، دار النهضة العربية، القاهرة.
- ٩- أبن القيم، الطرف الحكيم في السياسة الشرعية، الجزء الأول، مطبعة المدني، القاهرة.
- ١٠- د. عبد الحليم محمد منصور، أحكام جراحة فصل التوائم السيامية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٢.
- ١١- آية الله السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر، منهاج الصالحين، هيئة تراث الشهيد الصدر، الجزء الرابع.
- ١٢- الشهيدان محمد بن جمال الدين العاملي، زين الدين العاملي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
- ١٣- د. محمد نبيل سعد الشاذلي، أحكام الميراث والوصية في الفقه الإسلامي والقانون، دار النهضة العربية، ٢٠٠٣.

المواقع الإلكترونية:

- ١- مقالة بعنوان التوأم والتوائم المتلاصقة منشورة على شبكة الأنترنت على الرابط: <http://forum.sedty.com/tl611825.html>.
- ٢- مقال بعنوان التوأم السيامي منشورة على شبكة الأنترنت على الرابط: www.18676ph.net/vb/t4.
- ٣- <http://www.ibtesam.com/vb/t418676thd-4812.htm>.
- ٤- <http://forum.alfhhan.ory>.
- ٥- ذكرت هذه المعلومة في موسوعة وكابيديا العالمية على شبكة الأنترنت على الرابط: www.ar.m.wikipedia.org.
- ٦- موقع منتدى أهل الحديث على الرابط: www.ahlalhadeth.com.
- ٧- موقع مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف على شبكة الأنترنت على الرابط: www.azizbelleh.com/home/fatwa.
- ٨- موقع الشيخ أ.د عبد الرحمن عبد الملك السعدي على شبكة الأنترنت على الرابط: www.alomah-alwasat.com/futwa وكذلك حول فتواه في مجال التوأم السيامي على شبكة الأنترنت على الرابط: <http://algurasg.topgoo.het>.

تعارض التنفيذ في البيع المتعاقب

Conflict of Execution in Successive Sales

أ.د. وسن قاسم غني الخفاجي^(١) Prof. Wasan Q. Ghani Al-Khafaji

الملخص

ان من البديهيات في علم القانون، وواقعية التصرفات القانونية، وفاعلية فكرة حسن النية في التعاقد عموماً، ان يقع التصرف على محل معين ويفرز كافة مستوجبات التعاقد في هذا المحل ابتغاء اكمال ما تطلبه القانون وماهدف اليه من وراء هذا التصرف.

الا انه يحصل عملاً ان يتعاقب تصرفان على ذات المحل، احدهما أسبق في تاريخ وقوعه من التصرف الاخر، ومما تفرضه دواعي المنطق القول بصحة ونفاذ العقد الأسبق منهما وقوعاً وبطلان اللاحق، لان مستلزمات التعاقد صُبت في الاسبق، ولم يبقَ من تلك المستلزمات لافراجها في التصرف اللاحق، الا ان الواقع العملي قد افرز حالات مخصوصة يتم التعامل فيها مع التصرف اللاحق على انه هو من يسري اثره ويصبح نافذاً، لا السابق، فالقاعدة العامة في العقد تركز حول كونه ينتج اثاره فور انعقاده، اي دخوله حيز النفاذ بمجرد عقده صحيحاً غير مختل، فالعقد النافذ هو العقد الصادر بشكل صحيح ممن له ولاية اصداره، او هو العقد الذي لايتراخى اثره عن لحظة انشائه، وهو التصرف الذي انتقل الى دور انتاج الاثار. فاذا نشأ العقد صحيحاً مستوفياً اركان انعقاده، فالقاعدة، هنا، انه يبدأ ترتيب اثاره فور الانعقاد صحيحاً، الا انه من الممكن ان تظهر عقبات تتسلل من خلالها حالات معينة قد تُمنح الحياة من بعد موتها، فتنهض سبباً لعرقلة تطبيق القاعدة التي اشرنا اليها.

فاذا تصرف البائع في عقد البيع مثلاً، بالمبيع بعقد بيع اخر لاحق في تاريخ انعقاده على العقد الاول، فالمفروض وفقاً للقواعد العامة في القانون، ان هذا العقد اللاحق يقع باطلاً لوقوعه على محل سبق وان تم التصرف فيه، الا ان بوجود هذه العقبات والتي تم الاشارة اليها، فمن الممكن ان يحيا هذا العقد اللاحق وينشأ مرتباً لاثاره دون العقد الاول، كعقبة تسجيل العقد لانتقال الملكية في العقار، وعقبة حيازة المنقول

^١ - جامعة بابل/ كلية القانون.

سندا للملكية، وهذا مما يثير تعارضاً في تنفيذ هذين العقدين، ويتجه بالضرورة الى تنفيذ اللاحق منهما رغم اولوية السابق لهذا التنفيذ.

وإزاء هذه الحالات كيف يمكن تحقيق التوازن بين هذين التصرفين؟ وماهي علة ترجيح نفاذ العقد اللاحق رغم كونه لاحقاً في تاريخ انعقاده، خصوصاً وان كلاً من التصرفين صحيحاً لا تشوبه شائبة البطلان، وهذا مايجعل الترجيح المذكور محل نظر لولا العلة التي اقتضته، وماالاثار التي يمكن ان تترتب على هذا النفاذ؟ هذه التساؤلات هي ما يثير اشكالية بحثنا هذا، وهي ماسيجري الاجابة عنها وفق ماسيظهر لنا في متن البحث.

الكلمات المفتاحية: العقد السابق، العقد اللاحق، البيع المتعاقب.

Abstract

The axioms of the science of law, and realistic legal actions, and the effectiveness of the idea of goodwill in the general contracting, that is to act on a specific place and all sorts Mistojbat contracted in this shop in order to complete the Mattalbh law and Mahdv him from behind this act.

But he gets to do it Tsrfan located on the same shop, one of them earlier in the history of occurrence of the other act, regardless of whether these were issued by a single contractor or from two different contractors. It imposed a matter of logic to say the health and entry into force of the former contract their frequent subsequent invalidity, because contractual requirements poured in the former, that was left of those supplies for emptying them in the subsequent disposition, but the practice may Lovers specific cases are dealt with with the subsequent act that is valid impact and becomes effective, not the past, and about how these cases can achieve a balance between these two Altsrven? What are the bug tipping the subsequent entry into force of the contract despite being later in history to take place, especially since both Altsrven right to Achoppe flawless nullity, and this is what makes the penalties mentioned at issue not for the illness, which necessitated? Maalathar and the possible consequences of this force? These questions are something to problematic discussed this, a Masaijeri answered according Masazar us in the research.

المقدمة

اولاً:- فكرة موضوع البحث واشكاليته:-

إنَّ من البديهيات في علم القانون، وواقعية التصرفات القانونية، وفاعلية فكرة حسن النية في التعاقد عموماً ، ان يقع التصرف على محل معين ويفرز كافة مستوجبات التعاقد في هذا المحل ابتغاء اكمال ماتطلبه القانون وماهدف اليه من وراء هذا التصرف.

الا انه يحصل عملاً ان يقع تصرفان على ذات المحل، احدهما أسبق في تاريخ وقوعه من التصرف الاخر، صادرين من ذات المتعاقدين، ومما تفرضه دواعي المنطق القانوني القول بصحة ونفاذ وتنفيذ العقد الأسبق منهما وقوعاً وبطلان اللاحق، لان مستلزمات التعاقد صُبت في الاسبق، ولم يبق من تلك المستلزمات لافراغها في التصرف اللاحق، الا ان الواقع العملي قد افرز حالات مخصوصة يتم التعامل فيها مع التصرف اللاحق على انه هو من يسري اثره ويتم تنفيذه، لا السابق، يضاف اليها ما تنشؤه من تعارض في التنفيذ بين التصرفين، وإزاء هذه الحالات كيف يمكن تحقيق التوازن بين هذين التصرفين؟ وماهي علة ترجيح نفاذ العقد اللاحق رغم كونه لاحقاً في تاريخ انعقاده، خصوصاً وان كلاً من التصرفين صحيحاً لا تشوبه شائبة البطلان، وهذا مايجعل الترجيح المذكور محل نظر لولا العلة التي اقتضته؟ وماالاثار التي يمكن ان تترتب على هذا النفاذ؟ هذه التساؤلات هي ماثير اشكالية بحثنا هذا، وهي ماسيجري الاجابة عنها وفق ماسيظهر لنا في متن البحث.

ثانياً:- منهجية البحث

ان منهجية بحثنا ستركز حول اجراء استقراء للتشريعات القانونية محل المقارنة، وهي كلاً من القانون العراقي والمصري والفرنسي، وما يجري العمل فيها بخصوص الحالات التي ترجح نفاذ العقد الثاني وبالتالي اولوية تنفيذه مقدماً على الأول منهما، لبيان الاصول منها عملاً، وفي سبيل تركيز الفكرة وعدم تشتيتها سنقوم ببيان الحالات التي تنحصر في عقد البيع، كبيع العقار وبيع المنقول، لنرى انعكاسها في تحقيق التعارض في التنفيذ بين العقدتين. ولا نجد، هنا، ضرورة لتأسيس تعارض التنفيذ هذا، على اعتبارات تقوم على مرتكز مفاده تحقق هذا التعارض كلما تحققت احدى الحالات التي سنبينها لاحقاً، وانما يتحقق ذلك متى ماوجد له طريقاً مناسبة احدى تلك الحالات، فمثلاً قيام بائع العقار، بعد بيعه لمشتري أول، ببيعه لمشتري ثانٍ، وقيام الاخير بتسجيل عقده، مما يسمح بالقول بنفاذ عقد البيع اللاحق بسبب التسجيل، فهذه الحالة لا تحصل في كل عملية بيع لعقار، وانما متى ماحصلت تحقق التعارض المشار اليه.

ثالثاً:- هيكلية البحث

وقد اعتمدنا خطةً لبحثنا تقوم على ثلاثة مباحث: أولها خصصناه لبيان مفهوم التعارض في التنفيذ، وقد وزعنا البحث فيه على مطلبين: تناولنا في الاول مضمون تعارض التنفيذ، ووضحنا في الثاني شروط حصول هذا التعارض. أما المبحث الثاني فقد ركزنا فيه البحث حول الحالات التي يجري فيها ترجيح تنفيذ العقد اللاحق دون السابق، مما يولد بالضرورة حصول التعارض بينهما، وذلك في حالتين وزعناها على مطلبين: تكلمنا في الاول منهما عن حالة بيع العقار، وفي الثاني حالة بيع المنقول. وأما المبحث الثالث فقد بحثنا فيه عن الاثر المترتب في حال تعارض التنفيذ، وايضا وزعناه على مطلبين تبعاً للحالات التي تم البحث فيها في المبحث الثاني.

المبحث الاول:- مفهوم تعارض التنفيذ في البيع المتعاقب

وسنحاول ايضاح هذا المفهوم في مطلبين: نخصص الاول منهما لبيان مايتضمنه هذا التعارض، ونفصل في الاخر شروطه ووقف ماسيأتي.

المطلب الاول:- مضمون تعارض التنفيذ في البيع المتعاقب

ان لفظ التعارض في اللغة يشير الى معنى المنع أو الاختلاف، فقد ورد في المعاجم اللغوية (تعارض الرجلان) أي عارض أحدهما الآخر، أو منع أحدهما الآخر^(٢)، وتعارض الخصمان امام القاضي، عارض كل منهما الآخر أي تعارض وأختلف معه^(٣).

وقد ورد في تعريف الاصوليين لهذا المصطلح "ان التعارض هو التناقض أو التناقض، واحيانا التمانع"^(٤) وتعارض التنفيذ بموجب ذلك، يمكن ان يفهم منه على ان تنفيذ أحد العقدين يكون مانعا من تنفيذ الآخر على وجه كلي ينتج عنه أولوية في هذا التنفيذ لأحدهما دون الآخر.

أما البيع المتعاقب، فهو ذلك البيع الذي يقدم فيه البائع على بيع ما يملكه لمشتريين اثنين أو أكثر على التعاقب، فيبيعه للمشتري الاول، ثم قبل ان ينفذ هذا البيع، يبيعه الى مشتري ثانٍ وهكذا. وقد يبدو وضوح الصورة في مسألة تعارض التنفيذ بينهما في كون البيعان قد وقعا على ذات المحل ومن ذات البائع. ومن نافلة القول، ان العقد ماهو الا توافق ارادتين على احداث اثر قانوني، فانه بذلك يتحدد مدى الزامية كل متعاقد بموجب التصرف الذي اقدم عليه بملى ارادته، فلا تكون له القدرة على التحلل منه الا بطريق التوافق ذاته الذي اوجد العقد.

فاذا نشأ هذا العقد صحيحا مستوفيا اركان انعقاده، فالقاعدة، هنا، انه يبدأ ترتيب اثاره فور الانعقاد صحيحا، الا انه من الممكن ان تظهر عقبات تتسلسل من خلالها حالات معينة قد تُمنح الحياة من بعد موتها، فتنهض سببا لعرقلة تطبيق القاعدة التي اشرنا اليها.

فاذا تصرف البائع في عقد البيع، بالمبيع بعقد بيع اخر لاحق في تاريخ انعقاده على العقد الاول، فالمفروض وفقا للقواعد العامة في القانون، ان هذا العقد اللاحق يقع باطلا لوقوعه على محل سبق وان تم التصرف فيه، الا ان بوجود هذه العقبات والتي تم الاشارة اليها، فمن الممكن ان يحيا هذا العقد اللاحق وينشأ مرتبا لاثاره دون العقد الاول، كعقبة تسجيل العقد لانتقال الملكية في العقار، وعقبة حيازة المنقول سندا للملكية.

اذن، لولا تحقق العلة التي من اجلها اصبح العقد اللاحق نافذا، لكان هذا النفاذ من حصة العقد السابق وهو الاول من حيث الحماية لانه الاسبق تاريخا والادعى نفاذا نظرا لما يستوجبه التنفيذ في العقود من ابراز لمبدأ حسن النية.

وخلاصة القول، ان منشأ هذا التعارض في التنفيذ يرجع الى البائع ذاته والذي قام بالتصرف بالمبيع في اكثر من عقد واحد، وبالتالي حصول المانع من التنفيذ لاحد العقدتين، يسعفه في ذلك النصوص القانونية التي تبيح هذا الامر لتحقيق حالات معينة سنوليها بالبحث تباعاً.

^٢ - المنجد في اللغة والاعلام، ص ٤٩٨.

^٣ - القاموس المحيط، ص ٣٥٧.

^٤ - انظر: لطفي بن محمد الزغير، التعارض في الحديث، منشور على الموقع الالكتروني: www.books.google.iq.

المطلب الثاني:- شروط حصول التعارض في التنفيذ

ان الاعتداد بإمكانية تنفيذ البيع الذي يعقب البيع الاول، وبالتالي تعارضه معه، يتطلب توافر شروط معينة للقول بها، وهذه الاخيرة مما تنقسم على قسمين: شروط عامة يقتضيها نفاذ التصرف عموماً، واخرى خاصة للقول بوقوع التعارض خصوصاً.

وعلى هذا سنحاول بيان هذين القسمين من الشروط في فرعين وكما يأتي.

الفرع الاول: الشروط العامة لنفاذ التصرف

وتتلخص هذه الشروط في اثنين: اولهما كون المتصرف مالكا لما يتصرف به، وثانيهما كونه مؤهلاً لاتيان ذلك التصرف^(٥). وسنقوم بايضاح هذين الشرطين تباعاً.

اولاً:- ملكية المتصرف لما يتصرف به

ويقصد بالملكية، في هذا الشأن، تلك التي تكون تامة، اي التي تمنح صاحبها السلطات المميزة لهذا الحق، وهي الاستعمال والاستغلال والتصرف. وقد ورد هذا المفهوم في م(١٠٤٨) من القانون المدني العراقي، والتي جاء فيها:- "الملك التام من شأنه ان يتصرف به المالك تصرفاً مطلقاً فيما يملكه عيناً ومنفعة واستغلالاً...."^(٦).

وعلى هذا يفترض لكي يعد التصرف نافذاً، ان يكون المتصرف مالكا للشيء محل التصرف، اي بتعبير اوضح، جامعا لسلطات المالك بين يديه^(٧)، واهمها سلطة التصرف، فاذا لم يكن مالكا كان يكون صاحب حق انتفاع او مستأجر او مرتحن، فلا يعد التصرف، حينئذ، نافذاً، لان أياً من هؤلاء ليس بمالك. ومع هذا يعد التصرف نافذاً، اذا كان المتصرف ليس بمالك وانما صاحب ولاية، والاخيرة هي سلطة شرعية بها ينعقد العقد وينفذ، وهي اما اصلية اي يتناول الانسان امور نفسه، او نيابية اي يتولى الشخص امور غيره، كالوكيل والولي والوصي وغيرهم^(٨). فاذا كان المتصرف وكيلاً عن المالك، صح تصرفه وعد نافذاً، اذ لا إشكال اذا كان التصرف يدخل في حدود الوكالة الممنوحة له، اما اذا كان التصرف تجاوزاً لحدودها فلا ينفذ التصرف في مواجهة المالك (الموكل) الا باجازته. ويتضح من هذا، ان التصرف لم يكن نافذاً لانه لم يصدر من مالك، ولا صاحب ولاية عنه.

ثانياً:- اهلية المتصرف

والمقصود بالاهلية، هنا، هي اهلية الاداء، وهذه الاخيرة ماهي الا صلاحية الشخص لاستعمال الحق^(٩)، او صلاحيته لصدور التصرف القانوني عنه على وجه يعتد به.

٥- محمدي سليمان، نفاذ العقد، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق بن عكنون، جامعة الجزائر، ٢٠٠٤، ص ١٠.

٦- قريب من هذا المعنى: م (٨٠٢) من القانون المدني المصري، وم (٥٤٤) من القانون المدني الفرنسي.

٧- محمد طه البشير، غني حسون طه، الحقوق العينية الاصلية، ج ١، مكتبة العاتك، القاهرة، بلا سنة طبع، ص ٤٢.

٨- رائد العبادي، عقد البيع بين الشريعة والقانون، بحث منشور على الموقع الالكتروني: <http://ar.jurispedia.org/index/>

٩- انظر: د. السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج ١، دار احياء التراث، بيروت، بلا سنة طبع، ص ٢٦٨.

والاصل ان هذه الاهلية يتمتع بها كل شخص مالم تسلب منه، او يُحد منها^(١٠)، ويجري ذلك وفق احكام القانون، فالشخص الذي تكون له اهلية الاداء، يكون له اجراء التصرفات القانونية سواء ماكان منها نافعاً محضاً، او دائراً بين النفع والضرر، اما ماكان منها ضاراً محضاً فلا يجوز اتيانها الا ممن اكتملت اهليته. ومايعنينا هنا، هي التصرفات الدائرة بين النفع والضرر، فهي اما ان تكون اعمال ادارة، وهي التي ترمي الى مجرد استغلال الشيء، ومن امثالها عقد الایجار، وان تكون اعمال تصرف، وهي التي تبتغي تقرير حق عيني للغير على الشيء، كعقد البيع، وهذه الاخيرة يفترض فيمن يمارسها، كمال الاهلية، اي بلوغ السن القانوني^(١١)، مع العقل، اي عدم وجود عارض للاهلية ممكن ان يحد منها او ينفيها. وعوداً على بدء، نشير الى انه ما دام التعاقد في اطار موضوع بحثنا، هو البيع، فيفترض ان يكون المتعاقد كامل اهلية الاداء، ليكون بإمكانه ممارسة اعمال التصرف، وبالتالي امكانية القول بنفاذ العقد المتعاقب، فاذا لم يكن للمتعاقد، ذلك، فان عقده لا يكون نافذاً وانما يكون موقوفاً على اجازة الولي.

وهناك من الفقه^(١٢) من يضيف شرطاً آخر لنفاذ التصرف، يتلخص بانتفاء وجود حق لغير البائع على المبيع، ويعدون التصرف موقوفاً غير نافذ في حالة وجود مثل هذا الحق، كما في بيع الراهن للمرهون، او بيع المؤجر للمأجور على الرغم من صدور البيع من مالك، ذي اهلية، ويستلزم هنا استحصال اجازة المرتهن او المستأجر لنفاذ العقد. الا اننا لا نرى، مع من ذهب الى ذلك^(١٣)، رجاحة هذا الرأي، اي ان البيع هنا، يعد نافذاً غير موقوف، لان المرتهن او المستأجر ليس بمالك لكي يصدر اجازة للعقد في حال عده موقوفاً على الاجازة.

الفرع الثاني:- الشروط الخاصة لوقوع التعارض في التنفيذ

وتتمثل هذه بشرطين، الاول يظهر في كون العقد الذي يتعارض التنفيذ بسببه، لاحقاً في تاريخ انعقاده للعقد السابق، واما الثاني فيتمثل في كون هذا العقد منصبا على ذات المحل الذي تم التعاقد عليه سابقاً، وبشيء من الایجاز، سنحاول بيان هذين الشرطين تباعاً.

اولاً:- ان يكون العقد الذي يؤدي الى تعارض التنفيذ، لاحقاً في تاريخ انعقاده للعقد السابق

العقد ما هو الا تصرف قانوني تتجه فيه الارادة الى احداث أثرٍ يعتد به القانون، وهذا التصرف يفترض فيه تطابق ارادتي العاقدین، اي اقتران الایجاب بالقبول، والعقد قد يكون رضائياً، اي يكفي لانعقاده تراضي المتعاقدين، فهذا الاخير (اي التراضي) هو عماد العقد، ومتى ما تحقق انعقد العقد وتحدد تاريخ انعقاده بلحظة التطابق بين الایجاب والقبول، وقد يكون العقد شكلياً لا رضائياً، اي لا يكفي تراضي المتعاقدين لاكتمال انعقاده، بل يتطلب فوق ذلك اتباع الشكلية التي نص عليها القانون بخصوصه، وبدون هذه

١٠- انظر م (٩٣) من القانون المدني العراقي النافذ "كل شخص اهل للتعاقد مالم يقرر القانون عدم اهليته او يحد منها"، قريب منها م (١٠٩) من القانون المدني المصري.

١١- م (١٠٦) مدني عراقي، م (٤٤) مدني مصري.

١٢- انظر د. عبد الرزاق السنهوري، مصادر الحق، ج٤، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا سنة طبع، ص١٢٨.

١٣- انظر د. مصطفى الزرقا، عقد البيع، ط٢، دار القلم، دمشق، ٢٠١٠، ص٢٥، د. خميس خضر، العقود المدنية الكبيرة-

البيع والتأمين والایجار- ط٢، ١٩٨٤، ص٣٠٢. ومن الفقه الفرنسي: PLANIOL, RIPERT ET BOULANGER, Traite de droit civil francais, II ed, 1949, p.38.

الاخيرة، لا ينعقد العقد ويكون معدوم الوجود، وعلى هذا، يتحدد تاريخ انعقاد العقد الشكلي، من لحظة افراغه في قالب الشكلي الخاص به. وفي اطار موضوع بحثنا، يتحدد تاريخ انعقاد العقدين بحسب ما اذا كان كلاهما رضائيا ام شكليا، فينعقد العقد السابق من لحظة تطابق الارادتين ان كان رضائيا، ومن لحظة اتيان الشكلية القانونية، ان كان شكليا، ثم يتلوو العقد الذي يعقبه في الانعقاد، الا ان ما ينفذ منهما، وعلى وفق ما سئري لاحقا، هو الاخير وليس الاول، ولعلة نوردتها في موضعها.

ثانيا:- ان ينصب العقدان على ذات المحل

محل العقد هو ما ينصب عليه التعاقد ويظهر فيه اثر العقد^(١٤)، اي هو الشيء الذي يتعاقد عليه الطرفان، وهو قد يكون عينا، او منفعة. اما محل الالتزام، فهو ما يلتزم به المدين^(١٥) وهو قد يكون عملا يؤديه، او يمتنع عنه، او تسليما لشيء. وبصرف النظر، عن اختلافات الفقه بشأن المحل^(١٦)، وفيما اذا كان محل العقد هو ذاته محل الالتزام، ام مختلفا عنه، فما يعيننا هنا، وبخصوص موضوع بحثنا، نذكر وكما نوهنا سابقا، بانه اذا وقع أكثر من تعاقد على ذات المحل، فان ما يصح، وفقا للاصل العام، هو العقد الاول، اي السابق، وتبطل باقي العقود التي تعقبه، وذلك لان اثر التصرف قانونا يظهر بكامل نتائجه في العقد الاول، فتصبح باقي العقود لا نتيجة منها لاستنفاد الاثر القانوني في الاول منها. الا انه، ولعلة معينة، لا يبطل العقد اللاحق، بل يصح كالعقد السابق، لا بل أكثر من ذلك، فانه يكون نافذا دون العقد السابق. ولذا، ففي الحالة مدار البحث، ولاجل القول بتعارض التنفيذ، يشترط ان ينصب كلا العقدين، على ذات المحل، ليكون احدهما نافذا والاخر غير ذلك.

المبحث الثاني:- الحالات التي يجري فيها تعارض التنفيذ

بعد ان اھينا البحث في الشروط التي يقتضيها حصول التعارض في التنفيذ، يجدر بنا في هذا الموضوع تحديد الحالات التي يظهر فيها بوضوح حصول ذلك، وما دمنا قد حددنا في مقدمة البحث اطار تلك الحالات بعقد البيع، فسنحاول تفصيل المسائل المتعلقة به في صورتين للبيع تتمثل اولاهما ببيع العقار، وثانيها بيع المنقول، وهذا ما سيجري عليه البحث في المطلبين الاتيين.

المطلب الاول: بيع العقار

لم تتفق التشريعات القانونية في حكم التصرفات العينية الواردة على العقار، واهمها البيع، فمنها من اعتبرت هذه التصرفات شكلية يتطلب لاكمال انعقادها تسجيل التصرف في الدائرة المختصة بالتسجيل، ومنها من اكتفى برضائية العقد فلم يتطلب اية شكلية لانعقاده، وانما تطلبها لانتقال ملكية العقار. ومن الطبيعي ان يختلف اثر التصرف ببيع العقار لاكثر من مشتر واحد مع اختلاف الموقف للتشريعات المذكورة. وعلى هذا، سنحاول ايضا هذا الاختلاف في الفرعين الاتيين.

^{١٤} - لزيادة الايضاح بخصوص محل انظر: د. عبد المجيد الحكيم، عبد الباقي البكري، محمد طه البشير، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي، ج١، مصادر الالتزام، بغداد، بلا سنة طبع، ص٩٥.

^{١٥} - د. امجد محمد منصور، النظرية العامة للالتزامات - مصادر الالتزام -، دار الثقافة، الاردن، ٢٠٠٣، ص١٢٢.

^{١٦} - للمزيد، انظر د. السنهوري، الوسيط، ج٤، مرجع سابق، ص ١٩٠، محمد حسن قاسم، الموجز في عقد البيع، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ١٩٩٦، ص١٥٢، انظر كذلك في الفقه الفرنسي: AUBRY et RAU, Traite de droit civil, francais, 5 ed, paris, 1951, p.43.

الفرع الاول:- بيع العقار لاكثر من مشترٍ في التشريعات التي تعتبر البيع شكلياً

وفي مقدمة هذه التشريعات، العراقي، حيث نص القانون المدني العراقي النافذ على عدم انعقاد بيع العقار مالم يسجل في الدائرة المختصة^(١٧)، كما ان العقد الناقل للملكية عقار لا يعد منعقداً مالم تراعى فيه الشكلية القانونية^(١٨)، اضافة الى قانون التسجيل العقاري فهو ايضا قد نص على ذات المعنى^(١٩).

وعليه فان بيع العقار، هنا، لا ينعقد قبل مراعاة الشكلية المقررة قانوناً وهي تسجيل البيع لدى دائرة التسجيل العقاري المختصة، وبالتالي ليست هنالك من قيمة قانونية لاتفاق الطرفين على البيع لافتقار التصرف لركن رابع من اركانه ما زال غير مكتمل. وما يستتبع هذا، هو عدم امكان أي من طرفيه اجبار الاخر على تنفيذ الالتزامات التي تنشأ عن هذا العقد، لانه ببساطة عقدٌ ينقصه احد اركان انعقاده.

ومن ثم، فان قيام البائع بالتصرف بالعقار بالبيع لمشتري ثانٍ بادر الى تسجيله، يعد عقداً منعقداً توافرت فيه الشكلية المطلوبة، فيصح هذا العقد الثاني ويصبح نافذاً دون العقد الاول، لان الاخير، في منظور القانون، ليس بعقد اولاً، ومع بقاء الملكية للبائع وحرية في التصرف الاخر ثانياً، فالملكية، هنا، تنتقل الى من تم تسجيل عقده واكتمال اجراءات انعقاده.

ومن مجمل ما طرح، يمكن القول بان الافتراض الذي انطلق منه البحث، وهو وقوع تعارض في التنفيذ، لا ينطبق والحالة المعروضة، لان الافتراض المذكور، يضع في اعتباره، صحة العقدين السابق واللاحق، مع نفاذ الاخير دون الاول.

اما الحالة، هنا، فلا يكون فيها العقد السابق صحيحاً، لكونه غير مكتمل الاركان، وبالتالي بطلانه مطلقاً، ومن ثم فلا تعارض في التنفيذ.

الفرع الثاني:- البيع لاكثر من مشترٍ في التشريعات التي تعتبر البيع رضائياً.

ومن امثلة تلك التشريعات، التشريع المصري والفرنسي، ونفترض، هنا، ابتداءً، وكما نوهنا في مقدمة بحثنا، انعقاد البيع الاول صحيحاً ونقصد بالاول، اي الاسبق منهما زمنياً، وهذا يعني ان البائع حينما ابرم العقد المذكور، كان مالكاً للمبيع، وهو بموجب حق ملكيته هذا، يستطيع التصرف قانوناً به. فاذا كان العقد مما ينقل الملكية بمجرد الانعقاد صحيحاً، فتكون ملكية المبيع قد انتقلت الى المشتري بموجب هذا العقد، ونقصد به العقد الاول (السابق)، وواضح، هنا، بان التصرف الذي يعقب هذا، يكون معه غير نافذ، لانه انما جاء من شخص لا يملك التصرف به.

هذا، على فرض انتقال الملكية بمجرد الانعقاد، الا ان هذا الامر لا يكون بذلك الوضوح في حال تراخي انتقال الملكية بعد الانعقاد^(٢٠)، اي حين تنفيذ الالتزامات الناشئة عن العقد، وهذا يعني بقاء البائع مالكا

^{١٧} - انظر نص م (٥٠٨) من القانون المدني العراقي والتي تذهب الى ان "بيع العقار لا ينعقد الا اذا سجل في الدائرة المختصة واستوفى الشكل الذي نص عليه القانون".

^{١٨} - م (١٢٦) مدني عراقي "والعقد الناقل للملكية عقار لا ينعقد الا اذا روعيت فيه الطريقة المقررة قانوناً".

^{١٩} - انظر م (٢/٣) من قانون التسجيل العقاري رقم ٤٣ لسنة ١٩٧١، والتي ذهبت الى: "لا ينعقد التصرف العقاري الا بالتسجيل في دائرة التسجيل العقاري".

^{٢٠} - انظر: عبد المنعم محيي جواد، كسب الملكية العقارية بالتصرف القانوني (العقد والارادة المنفردة)، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ١٥٨.

للمبيع حتى بعد الانعقاد، والمقصود بتلك الالتزامات هو تسجيل العقد لدى الدائرة المختصة^(٢١)، وهذا ما نجد صداه في التشريع المدني المصري، إذ أن عقد بيع العقار لا تنتقل الملكية فيه لابين المتعاقدين ولا في مواجهة الغير، ما لم يتم تسجيله في الدائرة المختصة، فالعقد، هنا، لا يولد اثرا عينيا، وإنما التزاما بالتسجيل يقع على عاتق البائع^(٢٢).

إذن، فإن عقد البيع تترتب عليه كافة التزاماته باكتمال انعقاده صحيحا، باستثناء الملكية، فإنها لا تنتقل الا بالتسجيل، وهذا يعني ان البائع يبقى مالكا للمبيع حتى بعد انعقاد العقد، وبالتالي امكانية التصرف به تصرفاً آخر لمشتري ثانٍ، والذي قد يقوم بتسجيل عقده اللاحق فتنتقل اليه الملكية دون المشتري الاول (صاحب العقد السابق) والذي تراخى في تسجيل عقده.

ومن هنا، فإنه يفضل المتصرف اليه (المشتري الثاني) على المشتري الاول، في حال تم تسجيل التصرف^(٢٣) وبالتالي يصبح عقد البيع اللاحق نافذا بسبب سبق تسجيله، دون العقد السابق ولا يكون ذا تأثير هنا بشكل خاص، حسن أو سوء نية المشتري بالعقد اللاحق، إذ إن أسبقية التسجيل، هي المعيار في نفاذ العقد، وهذا ما سار عليه القضاء المصري في عدة قرارات صدرت عنه^(٢٤).

المطلب الثاني: بيع المنقول

لا يخضع عقد بيع المنقول، كقاعدة عامة، لاجراءات التسجيل كما مر بنا في بيع العقار، إذ أن الأخير، ولأهميته، أخضعته التشريعات المختلفة لهذه العملية التي تتيح للمتصرف اليه (المشتري) امكانية التحري والاستعلام عن ملكية البائع لهذا العقار، وبالتالي اقدمه على التعاقد معه، اما المنقول، فهو لا يخضع^(٢٥)، كما قدمنا، لهذه الاجراءات نظراً لسرعة تداوله من جهة، وقلة اهميته مقارنةً بالعقار، من جهة أخرى، الا ان هذا الامر، قد يدفع ببائع المنقول الى بيعه مرة ثانية لمشتري ثانٍ، وتسليمه المنقول، دون المشتري الاول، فلمن تنتقل ملكية المنقول في هذه الحالة؟

يمكن القول، هنا، بأن التصرف الثاني المتمثل ببيع المنقول لمشتري ثانٍ، مع تسليمه هذا المنقول، يؤدي الى نتيجة تتمثل بتطبيق قاعدة (الحيازة في المنقول سند الملكية) حيث يصبح المشتري الثاني، مالكا للمنقول عن طريقها، الا ان هذه القاعدة، رغم فاعليتها في التطبيق، الا انها تتطلب توافر شروط معينة لامكانية

^{٢١} - انظر بخصوص نظام الشهر في العقارات: LATROUS BACHIR, cours de droit civil, surettes et publicite : fonciere, office des publications universitaires, Alger, 1984, p.116.

^{٢٢} - انظر تعريف القانون المدني المصري النافذ لعقد البيع في م (٤١٨) منه بالقول "عقد يلتزم به البائع ان ينقل للمشتري ملكية شئ او حقا ماليا اخر في مقابل ثمن نقدي"، اي انه جعل انتقال الملكية التزاما يقع على عاتق البائع. وفي نفس الخصوص انظر م (١٥٨٢) من القانون المدني الفرنسي.

^{٢٣} - د. جميل الشرفاوي، البيع والمقايضة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٧٢، وكذلك د. سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني، ج ٣، مج ١، العقود المسماة، عقد البيع، بلا مكان طبع، ١٩٩٠، ص ٦٩٨.

^{٢٤} - انظر النقض الصادر في ١٩٦٦/٢/٢٥، والذي قضى ب: (ان مناط المفاضلة بين المشتريين في حالة التزامهم هو السبق في التسجيل، ويفضل من سبق ولو كان متواطفا مع البائع على الاضرار بحقوق الغير)، والنقض الصادر في ١٩٥٤/٥/١٣ والذي ذهب الى انه: (اساس المفاضلة عند التزام بين المشتريين لعقار واحد من مالكا واحدا، هو السبق في التسجيل ولو كان المشتري الثاني يعلم بوجود البيع الاول، ولو كان متواطفا مع البائع). اشار اليهما: د. محمد السعيد رشدي، شرح احكام عقد البيع في ضوء الفقه والقضاء، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٣٩.

^{٢٥} - باستثناء بعض المنقولات والتي لأهميتها إرتأت التشريعات اخضاعها لنظام شبيه بنظام التسجيل في العقارات، مثل الطائرات والسفن والسيارات والمكائن الزراعية وغيرها.

تمسك المشتري الثاني بانتقال الملكية اليه. وعلى هذا سنحاول ابراز هذه الشروط في الفرع الاول الآتي، ثم ايضاح ما يستتبعه من نفاذ العقد الثاني في بيع المنقول، في الفرع الثاني.

الفرع الاول:- شروط قاعدة الحيابة في المنقول

وتتمثل هذه بثلاثة:- السبب الصحيح، حسن النية، إضافة الى شرط التسليم (الحيابة)، وسنحاول بشئ من الاجياز، ايضاح ما تتضمنه هذه الشروط الثلاثة، وكما يأتي.

اولا: السبب الصحيح:

ويقصد به التصرف القانوني الذي يصدر عن شخص لا يعد صاحبا للحق المراد كسبه بالحيابة، ويؤدي الى نقل هذا الحق كما لو صدر من صاحبه^(٢٦). وواضح من هذا، انه يشترط في السبب الصحيح ان يكون تصرفا قانونيا، وهو ينطبق على التصرف الثاني من قبل البائع، وان كان قد تصرف به سابقاً لمشتري سابق. كما يشترط فيه ان يكون هذا التصرف صادرا من غير صاحب الحق، وفي هذا نقول، بان التصرف اللاحق صدر من غير ذلك، لان القواعد والاحكام العامة للقانون المدني تشير الى انتقال ملكية المنقول المعين بالذات بمجرد انعقاد العقد^(٢٧)، اي ان ملكية المنقول انتقلت للمشتري الاول بموجب العقد السابق، فجاء تصرف البائع بالعقد الثاني، تصرفا من غير صاحب الحق، ويبدو ان علة هذا الشرط تظهر في ان التصرف لو كان صادرا من صاحب الحق فيه، لكان كافيا لنقل الحق، دون ان يتطلب سببا صحيحا لنقله.

ثانيا: حسن النية:

والمقصود بهذا الشرط من شروط القاعدة، مدار البحث، هو افتراض وجود قدر من الامانة في المعاملات بين الافراد^(٢٨)، ويعد المتصرف اليه حسن النية اذا كان يعتقد انه يتلقى الحق عن مالك، او انه كان يجهل انه يعتدي على حق الغير^(٢٩)، ويفترض ان يكون هذا المتصرف اليه، حسن النية من وقت بدء الحيابة والذي يتجسد بتسليم المنقول^(٣٠).

ثالثا: تسليم المنقول (الحيابة)

وهو في اعتقادنا، الشرط الجوهرى لقاعدة حيابة المنقول، اذ ان الحيابة تمنح صاحبها مظهر المالك امام الافراد، فتلعب دورا في استقرار التعامل. ويشترط في هذا المقام، ان يتم تسليم المنقول ماديا الى المتصرف اليه، ولا يكفي التسليم الحكمي، كأن يكون المتصرف اليه قد ابقى المنقول في حيابة البائع على سبيل

٢٦- انظر د. محمد ليبب شنب، موجز في الحقوق العينية الاصلية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٦٤، د. ياسين محمد الجبوري، المبسوط في شرح القانون المدني، ج١، مصادر الحقوق الشخصية، مج١، نظرية العقد، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٢، ص ٢١١.

٢٧- انظر نص م (٥٣١) من القانون المدني العراقي والتي تذهب الى انه: "اذا كان المبيع عينا معينة بالذات او كان قد بيع جزافا، نقل البيع من تلقاء نفسه ملكية المبيع...."، قريب منه نص م (٢٠٤) من القانون المدني المصري.

٢٨- د. عبد النعم فرج الصدة، حق الملكية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٦٨٤.

٢٩- د. محمد عبد اللطيف، الحيابة واثارها في التقنين المدني المصري، القاهرة، ١٩٥١، ص ٣٣٠.

٣٠- د. محمد طه البشير، د. غني حسون طه، مصدر سابق، ص ٢٥٣.

الايجار او الوديعة او غير ذلك، كما لا يكفي، على رأي بعض الفقه^(٣١)، التسليم الرمزي، كان يستلم المتصرف اليه، سند البضاعة دون البضاعة ذاتها.

الفرع الثاني: حصول التعارض في تنفيذ بيع المنقول

نوهنا، فيما سبق، بان انتقال ملكية المنقول، وبالاخص اذا كان معيناً تعييناً ذاتياً، تتم بمجرد ابرام عقد البيع، فيصبح المشتري هو المالك من لحظة اتمام ابرام العقد، الا ان هذا الامر قد يتعطل بموجب قاعدة الحياة، اي انه اذا تصرف بائع المنقول ببيعه لمشتري ثان، وقام بتسليمه المنقول، فبإمكان الاخير الاحتجاج بملكيته للمنقول، طبقاً لتلك القاعدة -اذا ما توافرت شروط إعمالها- رغم ان التصرف الذي انتقل به المنقول اليه، لم يصدر من مالك. ومن الواضح، ان هدف هذه القاعدة، هو حماية المتصرف اليه حسن النية والذي يقدم على التعامل مع البائع دون علم منه بسبق تصرف الاخير مسبقاً به لمشتري سابق اذن، تسلم او حيازة المنقول من قبل المشتري الثاني، جعل النفاذ من نصيب العقد الثاني لا الاول^(٣٢)، رغم انتقال الملكية الى المشتري في العقد الأول.

المبحث الثالث:- أثر تعارض التنفيذ في البيع المتعاقب

بعد ان أوضحنا الحالات التي تظهر فيها بوضوح فكرة تعارض التنفيذ، سنحاول في هذا الموضع من البحث بيان الأثر الذي يترتب على هذا التعارض، وذلك من خلال ماسيأتي البحث فيه في المطلبين الاتيين.

المطلب الاول: اثر تعارض التنفيذ في عقد بيع العقار

لاحظنا بان التشريعات المدنية التي اعتدت برضائية عقد بيع العقار^(٣٣)، لم تشترط التسجيل كركن لانعقاده، وانما التزاما يقع على عاتق البائع، وبالتالي فان تصرف البائع بالعقار بعقد بيع ثانٍ مع قيامه بالتسجيل للمشتري الثاني، يؤدي الى ان يكون هذا العقد الثاني هو النافذ^(٣٤)، وبصرف النظر عن حسن أو سوء نية هذا المشتري، حيث يذهب الرأي الغالب في الفقه^(٣٥) والقضاء المصري^(٣٦) الى ان للتسجيل حجية مطلقة، لذلك يفضل عقد المشتري الثاني دون البحث في حسن أو سوء نيته.

٣١- انظر د. شاكور ناصر حيدر، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، الحقوق العينية الاصلية، ج٢، بغداد، ١٩٥٩، ص١٧٠٧، د. محي الدين اسماعيل، الحقوق العينية الاصلية والتبعية، المغرب، بلا سنة طبع، ص٣٨٠.

٣٢- انظر نص م (١٤١) من القانون المدني الفرنسي والتي تذهب الى انه "اذا كان الشيء الذي التزم احد باعطائه او تسليمه الى شخصين على التوالي منقولاً، فان ايا منهما يجوز المنقول حيازة حقيقية يفضل ويبقى مالكا حتى لو كان سنده لاحقا في التاريخ، بشرط ان تكون حيازته بحسن نية".

٣٣- ومنها التشريعين المصري والفرنسي.

٣٤- انظر قرار لمحكمة النقض المصرية برقم ١٤٩٩ وتاريخ ١٩٨٢/٤/٢٩: (الملكية لا تنتقل من البائع الى المشتري الا بالتسجيل)، منشور لدى فتيحة قرة، مجموعة المبادئ القانونية التي قررتها محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥، ص٥٣٤.

٣٥- انظر د. اسماعيل غانم، الوحي في عقد البيع، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٧٥، د. جميل الشرفاوي، مصدر سابق، ص١٨٦، د. منصور مصطفى منصور، مذكرات في القانون المدني، العقود المسماة، البيع والمقايضة والايجار، مصر، ١٩٥٦، ص١٢٦.

٣٦- انظر قرار لمحكمة النقض المصرية: (الملكية تنتقل بالتسجيل ولو نسب الى المشتري الذي بادر بالتسجيل، التدليس او التواطؤ مع البائع، طالما انه قد تعاقد مع مالك حقيقي لا يشوب سند ملكيته عيب يطله). نقلا عن: عبد المعص الشريبي، الموسوعة الشاملة لاحكام محكمة النقض، القاهرة الحديثة للطباعة، بلا سنة طبع، ص٦٠٢.

اذن، فعلاقة البائع بالمشتري الثاني ستكون محكومة بعقد البيع الثاني (النافذ) والذي تكون اثاره ملزمة بين الطرفين، فيلتزم كلاهما بالالتزامات المقررة بموجب هذا العقد من تسليم للمبيع، وضمان للتعرض والاستحقاق والعيوب التي من الممكن ان تظهر فيه، اضافة الى دفع الثمن والمصاريف الاخرى.

اما المشتري في العقد الاول، فلا يكون أمامه سوى مطالبة البائع بالتعويض عن الأضرار التي لحقت به جراء قيام الاخير ببيع العقار الى مشتري ثانٍ سجل عقده، حيث لا يكون بإمكانه ان يطالبه بالتنفيذ العيني لعدم نفاذ عقده بسبب عدم تسجيله^(٣٧).

اذن تتحقق المسؤولية العقدية في جانب البائع تجاه المشتري في العقد الأول بما تتضمنه من اركان تتمثل بالخطأ والضرر وعلاقة السببية بينهما، وسنسلط الضوء بشئ من الاجياز على كل منها وفق ما يأتي.

الفرع الاول:- خطأ البائع

ويتمثل هذا الخطأ في جانب البائع بقيامه بالتصرف بالمبيع بعقد آخر بعد انعقاد العقد الاول، وقيامه بالتسجيل لمصلحة المشتري في العقد الآخر، بحيث أدى نتيجة تصرفه هذا الى جعل النفاذ من نصيب العقد الاخير دون قيامه بتنفيذ الالتزامات الناشئة عن العقد السابق، وأهمها التسجيل لصالح المشتري الاول وتسليمه المبيع (العقار)، وهذه كلها التزامات بتحقيق نتيجة لم يسع الى تحقيقها البائع مما جعله في مركز مرتكب الخطأ العقدي^(٣٨).

الفرع الثاني:- ضرر المشتري الاول

والضرر هو الاذى الذي يصيب الدائن في حق من حقوقه او مصلحة مالية مشروعة له^(٣٩)، ويشترط فيه ان يكون محققاً ومباشراً ومتوقفاً وقت العقد، الا اذا كان قد صدر عن المدين غش او خطأ جسيم، فيجوز التعويض حتى عن الضرر غير المتوقع^(٤٠). ويتحقق الضرر في جانب المشتري في العقد الاول نتيجة الخسارة التي لحقت به جراء عدم نفاذ عقده بسبب خطأ البائع، اضافة الى المكسب الذي كان يترجى تحقيقه لو دخل عقده حيز النفاذ، ويبدو واضحاً ان خطأ البائع الذي أدى الى الحاق الضرر بالمشتري، هنا،

^{٣٧} - انظر م (٣/٩) من قانون الشهر العقاري المصري رقم ١١٤ لسنة ١٩٤٦: "ولا يكون للتصرفات غير المسجلة من الاثر سوى الالتزامات الشخصية بين ذوي الشأن"، وانظر كذلك ما ذهبت اليه المذكرة الايضاحية للمشروع التمهيدي للقانون المدني المصري بالقول: (أثر المشروع في بيان ما يترتب على ضمان الاستحقاق ان يلتزم الحل الذي قبله القواعد العامة. ف ضمان الاستحقاق التزام في ذمة البائع قد ينشأ من عقد البيع، واذا طالب المشتري به قامت مطالبته على اساس هذا العقد. ومعنى ذلك ان ضمان الاستحقاق بمعناه الدقيق لا يتصور قيامه الا من قيام عقد البيع، والمشتري في رجوعه بال ضمان على البائع انما يطلب منه تنفيذ التزامه بنقل ملكية المبيع، ولما كان المبيع قد استحق واستحال بذلك التنفيذ العيني للالتزام، فلم يبق امام المشتري الا ان يطالب بتنفيذ الالتزام عن طريق التعويض). راجع مجموعة الاعمال التحضيرية، ص ٩٥، انظر كذلك بنفس الخصوص من الفقه الفرنسي: COLIN et CAPITANT, Traité de droit civil, T.2, paris, 1959, no.908.

^{٣٨} - انظر مفصلاً في اركان المسؤولية، د. حسن علي الذنون، شرح القانون المدني العراقي، احكام الالتزام، بغداد، ١٩٥٢، ص ٣٠ وما بعدها.

^{٣٩} - د. سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني، ج ٢، مج ٢، الفعل الضار، مصر، ١٩٨٧، ص ١٣٣، وانظر كذلك د. حسن علي الذنون، المبسوط في المسؤولية المدنية (الضرر)، بغداد، ١٩٩١، ص ١٥٨.

^{٤٠} - انظر نص م (١٦٩) من القانون المدني العراقي، وم (٢٢١) من القانون المدني المصري.

لا يعدو ان يكون إما غشاً او خطأ جسيماً^(٤١)، لعلمه بان عليه تنفيذ الالتزامات التي انشأها عقد المشتري الاول، ولم يقم بذلك، ولذا فانه يكون ملزماً بتعويض هذا المشتري حتى عن الضرر غير المتوقع وقت التعاقد.

الفرع الثالث: - علاقة السببية

وهي تعني ان الضرر كان نتيجة طبيعية للخطأ المرتكب من قبل المدين، اي ان ضرر المشتري بالعقد الأول والمتمثل بعدم نفاذ عقده، كان نتيجة خطأ البائع في عدم قيامه بتنفيذ التزاماته التي رتبها هذا العقد.

المطلب الثاني: أثر تعارض التنفيذ في بيع المنقول

تطرقنا سابقاً، عند بحثنا لهذه الحالة من ضمن الحالات التي يظهر فيها بوضوح أثر الفكرة مدار البحث، وهي تعارض التنفيذ، الى ان تمسك المشتري الثاني (صاحب العقد اللاحق) بقاعدة الحيابة في المنقول مع توافر شروطها وتسلمه المنقول، يجعل منه مالكا له على الرغم من ان التصرف الذي انتقلت به الملكية لم يكن تصرفاً من مالك، لان الملكية يفترض انها قد انتقلت الى المشتري الاول (صاحب العقد السابق) بموجب عقد البيع الاول^(٤٢).

فاذا اردنا بيان ما يترتب من اثر في حال نفاذ العقد الثاني، يجدر بنا بيانه في مواجهة كل من المشتري الاول والمشتري الثاني والذي اصبح المالك بمقتضى القاعدة المذكورة.

الفرع الاول: - اثر النفاذ في مواجهة المشتري الثاني

ان اهم اثر يرتبه النفاذ هنا، هو اكتساب المشتري بالعقد الثاني ملكية المنقول، وما تحوله هذه الاخيرة من سلطات يحق بها للمالك استعماله واستغلاله والتصرف فيه بكافة أوجه التصرفات القانونية والمادية، ولا يستطيع المشتري الاول الاحتجاج عليه بالملكية لانه لا توجد علاقة مباشرة بينهما أولاً، ولأن فاعلية قاعدة الحيابة في المنقول، اقوى أثراً من قاعدة انتقال ملكية المنقول المعين بالذات بمجرد انعقاد العقد، وعليه يفترض ان يؤدي المشتري الثاني الثمن الى البائع وفق ما يحمله عقد البيع من التزامات تقع على عاتق المشتري، كما يلتزم البائع تجاهه بضمان التعرض في حال وقع عليه تعرض من قبل الغير كما يلزم ايضاً بضمان الاستحقاق وضمان العيوب الخفية، ووفق ما جاءت به القواعد الخاصة في عقد البيع^(٤٣).

^{٤١} - رغم ان هنالك اختلافاً بين مفهوم كل من الغش والخطأ الجسيم، اذ ان الاول يعني الامتناع عمداً عن تنفيذ الالتزام الناشئ عن العقد، او هو ارادة الاخلال بالالتزام، بينما لايعني الخطأ الجسيم سوى سوء النية لدى المدين، الا ان كليهما يرتبان اثر التعويض عن الضرر غير المتوقع وقت العقد. انظر د. محمود جمال الدين زكي، اتفاقات المسؤولية، القاهرة، ١٩٦١، ص ٥٣.

^{٤٢} - د. توفيق حسن فرج، عقد البيع والمقايضة، الاسكندرية، ١٩٧٠، ص ١٨٤.

^{٤٣} - انظر المواد (٥٤٩ و ٥٥٠) من القانون المدني العراقي، والمواد (٤٣٩ و ٤٤٣) من القانون المدني المصري، وم (١٦٣٠) من القانون المدني الفرنسي.

الفرع الثاني:- اثر النفاذ في مواجهة المشتري الاول

رغم كونه المالك الذي يفترض ان ملكية المنقول قد انتقلت اليه بعقد البيع الاول (السابق)، الا انه لا يستطيع معارضة المشتري الثاني (اللاحق) في ملكيته له، لان الاخير هو من استلم حيازة المنقول المادية، والتي تعد الشرط الجوهرى لقاعدة الحيازة في المنقول، كما ذكرنا، وعن طريقها انتقلت الملكية اليه^(٤٤). اذن لا يملك المشتري الاول، لضمان حقه، سوى الرجوع على البائع بالتعويض عن الضرر الذي اصابه نتيجة تعارض التنفيذ بين العقدتين، وعدم تنفيذ البائع لالتزاماته المقررة بموجب عقد البيع الاول، ولقيامه بتسليم المنقول الى المشتري الثاني مما أدى الى ان يكون العقد الثاني هو النافذ، علاوةً على الزام البائع بارجاع ثمن المنقول الى المشتري الاول، ان كان قد تسلمه منه، نظراً لعدم استحقاقه، تطبيقاً لنظرية الكسب دون سبب.

الخاتمة

بعد ان أضحينا، وبمجدٍ من الله، بحثنا الموسوم "تعارض التنفيذ في البيع المتعاقب"، لنا في خاتمته بعض التوقف لتحليل جانباً مما تم البحث فيه من مواضع قانونية وقواعد لها المنزلة الكبرى في عالم القانون، نضمناها فيما يأتي:

أولاً:- من خلال ماتم البحث فيه، رأينا بانه اذا أنصب عقدان على محل واحد، احدهما سابق وآخر لاحق، فالاصل العام ان ما يتم تنفيذه منهما هو السابق، لان اثاره من وجهة نظر القانون والواقع، هي التي تشابكت مع هذا المحل، وأما العقد اللاحق فهو لقيمة له، لانه في مركز المنافس الذي لافائدة منه. الا اننا وجدنا، مع هذا، بانه في حالات استثنائية، مايصبح نافذا منهما ومن ثم تنفيذه أولاً، هو العقد اللاحق دون السابق، ولغاية او علة أجدر بالاعتماد من تلك التي على اساسها ينفذ العقد السابق.

ثانياً:- بينا من خلال طرحنا للحالات التي يجري فيها تنفيذ العقد الثاني، وتحديداً حالة بيع العقار، ما بين التشريعات القانونية المدنية من اختلاف في مسألة الاعتداد برضائية او شكلية عقد البيع المنصب على عقار، ومن وجهة نظرنا ان موقف القانون المدني العراقي في اعتبار هذا العقد شكلياً، هو الاصول والأدعى اثراً في حماية المشتري، حيث ان هذا العقد، وقبل تسجيله في الدائرة المختصة، لا يعد عقداً مكتمل الاركان وبالتالي فلا وجود له ولا يمكن الادعاء به، وهذا مما يوفر حماية للمشتري الثاني في عدم تعرض المشتري الاول له لمطالبته بحقوق لا علم له بها، ولذا فان الحالة الاستثنائية لتنفيذ العقد الثاني ومن ثم نشوء حالة تعارض في التنفيذ، والمتمثلة ببيع العقار لوجودها في القانون العراقي، وهذا على خلاف الموقف في القانونين المصري والفرنسي، واللذين يعلان من هذا العقد رضائياً، وماتسجيله في الدائرة المختصة الا التزاماً لنقل الملكية او لنفاذ العقد في مواجهة الغير، وهو ما فتح الباب لتطبيق الحالة الاستثنائية مدار البحث. ثالثاً:- اما بالنسبة لقاعدة الحيازة في المنقول سند الملكية، فمن الواضح انها قد تأسست على لمسة من الظلم القانوني المبرر، والذي يبدو في حرمان المشتري الاول للمنقول من ملكيته على الرغم من ان انتقلها

^{٤٤} - انظر نص م (١/١٦٣) من القانون المدني العراقي والتي تذهب الى: "من حاز وهو حسن النية منقولاً او سنداً لحامله مستنداً في حيازته الى سبب صحيح، فلا تسمع عليه دعوى الملك من احد"، وقريب منه نص م (١/٩٧٦) من القانون المدني المصري، وكذلك م (٢٢٧٩) من القانون المدني الفرنسي.

اليه بادئ الامر، بموجب قاعدة انتقال ملكية المنقول المعين بالذات بمجرد انعقاد العقد، الا ان حيازة المنقول وبما انها قد سلمت الى المشتري الثاني، فقد ظهر امام الكافة بمظهر المالك له، وبغية استقرار الاوضاع الواقعية للمعاملات بين الافراد، جرى هذا الحكم. وحيث ان هذه القاعدة ماكانت لتلقى فاعلية، في الحالة مدار البحث، لولا قيام البائع بالتصرف لأكثر من مشتري مع تسليم الحيازة للمشتري الثاني، فينبغي هنا، محاسبته حساب المتصرف بغش، وبالتالي يتاح للمشتري الاول (المتضرر من هذا التصرف) مطالبة البائع بتعويضه عن الضرر المتحقق نتيجة عدم استفادته من انتقال الملكية اليه والتي عطلتها قاعدة الحيازة المذكورة، اضافة الى تعويضه عن الضرر الذي اصابه نتيجة غش البائع، وهذا الامر متروك لتقدير القضاء. وبالتالي فأن قاعدة الحيازة في المنقول، تبدو مما يحصل في رحابها، تعارض التنفيذ بمجال واسع.

قائمة المصادر

أولاً:- المصادر القانونية باللغة العربية

١. د. اسماعيل غانم، الوجيز في عقد البيع، القاهرة، ١٩٦٣.
٢. د. امجد محمد منصور، النظرية العامة للالتزامات - مصادر الالتزام -، دار الثقافة، الاردن، ٢٠٠٣.
٣. د. توفيق حسن فرج، عقد البيع والمقايضة، الاسكندرية، ١٩٧٠.
٤. د. جميل الشرفاوي، البيع والمقايضة، القاهرة، ١٩٦٦.
٥. د. حسن علي الذنون، شرح القانون المدني العراقي، احكام الالتزام، بغداد، ١٩٥٢.
٦. —، المبسوط في المسؤولية المدنية (الضرر)، بغداد، ١٩٩١.
٧. د. خميس خضر، العقود المدنية الكبيرة - البيع والتأمين والايجار - ط ٢، ١٩٨٤.
٨. رائد العبادي، عقد البيع بين الشريعة والقانون، بحث منشور على الموقع الالكتروني: <http://index/ar.jurispedia.org>
٩. د. سليمان مرقس، الوافي في شرح القانون المدني، ج ٣، مج ١، العقود المسماة، عقد البيع، بلا مكان طبع، ١٩٩٠.
١٠. —، الوافي في شرح القانون المدني، ج ٢، مج ٢، الفعل الضار، مصر، ١٩٨٧.
١١. د. شاكر ناصر حيدر، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، الحقوق العينية الاصلية، ج ٢، بغداد، ١٩٥٩.
١٢. د. السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، ج ١، دار احياء التراث، بيروت، بلا سنة طبع.
١٣. —، مصادر الحق في الفقه الاسلامي، ج ٤، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا سنة طبع.
١٤. د. عبد المجيد الحكيم، عبد الباقي البكري، محمد طه البشير، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي، ج ١، مصادر الالتزام، بغداد، بلا سنة طبع.
١٥. عبد المنعم الشرييني، الموسوعة الشاملة لاحكام محكمة النقض، القاهرة الحديثة للطباعة، بلا سنة طبع.
١٦. د. عبد المنعم فرج الصدة، حق الملكية، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٤.

١٧. عبد المنعم يحيى جواد، كسب الملكية العقارية بالتصرف القانوني (العقد والارادة المفردة)، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٨٣.
١٨. فتيحة قرة، مجموعة المبادئ القانونية التي قررتها محكمة النقض المصرية، الدائرة المدنية، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥.
١٩. محمد حسن قاسم، الموجز في عقد البيع، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ١٩٩٦.
٢٠. د. محمد السعيد رشدي، شرح احكام عقد البيع في ضوء الفقه والقضاء، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.
٢١. محمد طه البشير، غني حسون طه، الحقوق العينية الاصلية، ج ١، مكتبة العاتك، القاهرة، بلا سنة طبع.
٢٢. د. محمد لبيب شنب، موجز في الحقوق العينية الاصلية، القاهرة، ١٩٧٤.
٢٣. د. محمد عبد اللطيف، الحياة واثارها في التقنين المدني المصري، القاهرة، ١٩٥١.
٢٤. د. محمود جمال الدين زكي، اتفاقات المسؤولية، القاهرة، ١٩٦١.
٢٥. د. محمدي سليمان، نفاذ العقد، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق بن عكنون، جامعة الجزائر، ٢٠٠٤.
٢٦. د. محي الدين اسماعيل، الحقوق العينية الاصلية والتبعية، المغرب، بلا سنة طبع.
٢٧. د. مصطفى الزرقا، عقد البيع، ط ٢، دار القلم، دمشق، ٢٠١٠.
٢٨. د. منصور مصطفى منصور، مذكرات في القانون المدني، العقود المسماة، البيع والمقايضة والايجار، مصر، ١٩٥٦.
٢٩. د. نبيل مهدي زوين، مدى سرعان أثر العقد للدائن العادي، بحث منشور على الموقع الالكتروني: www.law.uokufa.edu.iq
٣٠. د. ياسين محمد الجبوري، المبسوط في شرح القانون المدني، ج ١، مصادر الحقوق الشخصية، مج ١، نظرية العقد، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠٢.

ثانياً:- المصادر القانونية باللغة الفرنسية

- 1- AUBRY et RAU, Traite de droit civil francais, 5 ed, paris, 1951.
- 2- COLIN et CAPITANT, Traite de droit civil, T.2, paris, 1959.
- 3- LATROUS BACHIR, cours de droit civil, surettes et publicite fonciere, office des publications universitaires, Alger, 1984.
- 4- PLANIOL, RIPERT ET BOULANGER, Traite elementaire de droit civil francais, II ed, 1949.

التصوف الافلاطوني اتحاد ام تسامي؟

The Platonic Sufism: Union or Sublimation

م.د حسين هادي ^(١) Lect. Hussein Hadi

الملخص

ما أراد افلاطون حمله عشقه لسقراط أن يتخفى به، ويمنحه ذاته وهويته، ويتلاشى هو في نسبه وفي دمه، عن تلك الهوامش التي لم تنالها شاعرية أفلاطون، حاول البعض ان يبحث عن سقراط، ما قبل الافلاطوني، يجد أن يجد هفوة او حيزاً يكتشف سقراط مختبئاً فيه. لاجل ذلك كتب هذا البحث. الكلمات المفتاحية: سقراط، افلاطون، الحب.

Abstract

Plato's adoration of Socrates lead him to hide behind his character. Plato bestowed his identity and self on Socrates while he maintained flesh and blood for himself. Some attempted to look for Socrates in between Plato's lines, hoping to discover Socrates. This study aims at revealing it.

Keywords: Plato, Socrates, Love.

المقدمة

منذ أيام الدراسة الأولية في قسم الفلسفة شغلتنا مسألة قلّما أشارت إليها توارخ الفلسفة العامة: كيف نستطيع أن نميّز ونستخلص شخصية وفلسفة سقراط عن تأثيرات أفلاطون التي طبع بها فكر وفلسفة وشخص سقراط الحقيقي!

^١ - جامعة بغداد/ كلية الآداب.

كيف زَيَّف أفلاطون حقيقة سقراط؟. لماذا تحدّث بالنيابة عنه وألبسه أفكاره ومعتقداته، وأرسى قواعد فلسفته؟. أسئلة كثيرة ترددت في أذهاننا وقتذاك ومازالت غيرها تعاود الظهور كلما سنحت لها الفرصة بذلك.

ما هو عام في سير أكثر العظماء إن لم يكن كلهم، أن نجد هناك من يتحدث باسمهم، ويتكلّم على ألسنتهم، ويمنحهم أفكاره ومعتقداته، يلبسهم إقنعتة، ويضفي عليهم سمات عصره وزمنه وعقائده. يذيعهم في فكره ومقالاته.

هل كان العظماء -إذن- دُمى وأشباح يحركها مخرج بارع بيديه، وهو يستتر بعيداً عن الأعين وراء الستار؟. هل كان العظماء مجرد أقنعة يتحرّك الممثلون فوق خشبة المسرح؟. هل حقّاً كانوا ضلالاً تنعكس على الجدران، ويراهها الناس حقيقةً- كما تصوّر ذلك أفلاطون في كهفه؟. كم من الأحاديث والمقالات والأقاصيص وضعها المخرجون والقصاصون ونسبوها إلى العظماء!! وهل كان العظماء أشباحاً ودُمى وضلالاً تنعكس على الجدار؟

تلك هي قصة سقراط إذن، ومازاد في الطين بلّة، أنّ مخرجنا الذي تخبأ وراء النصّ، أفلاطون الحكيم، كان شاعراً غنائياً عظيماً. ومن النادر أن تبقى الحقيقة بين يدي الشاعر، حقيقةً. إنّ في جميع الأحوال لن تبقى حقيقة، ستدوب، وتتموّج، وتنصهر، وتنكسر على ضفاف الشعر.

وفي المحاورات التي أبدعها قلم أفلاطون، لم تعد لسقراط ضفاف أو حدود، تضع حدود هويته التاريخية، وتمنعه من أن ينسكب قطرة إثر قطر في دم أفلاطون وفكره.

ذاك ما أَرادَه أفلاطون بالضبط. حمله عشقه لسقراط أن يتخفّى به، ويمنحه ذاته وهويته، ويتلاشى هو في نسبه وفي دمه.

عن تلك الهوامش التي لم تنالها شاعرية أفلاطون، حاول البعض أن يبحث عن سقراط، ماقبل الإفلاطوني، يجد أن يجد هفوة أو حيّزاً يكتشف سقراط محتبئاً فيه. لأجلّ ذلك كتبت هذا البحث، عسى أن يقرأه طالب علم أو معرفة، مع التقدير.

كيف نجد سقراط؟

إنّ الدعوة التي نجدُها في فلسفة سقراط والتي ترشدنا إلى حياة الاعتدال والوسطية، قد نالت رضا وموافقة الكثير من الفلاسفة والمفكرين، وأسست لقاعدة ذهبية ومعيّار عمليّاتي لتقييم الأهواء، وتبصير الغرائز. وبها يمكن تثبيت الذات على ركائز عميقة وسط بحر متحرك من الرمال.

النقطة الأساسية التي نطلق منها كي نعثر على المعالم التي تشكّل جوهر وحقيقة الذات التي نبحت عنها في صخب الحواس.

نبدأ من هنا أولاً، أي أن نجد أنفسنا، التائهة في الأهواء والرغبات، وأن نعثر على أنفسنا المضطربة بفوضى التغيرات التي تنهمر حولنا مثل ماء النهر والذي لا يتوقف تيّاره أبداً.

دون أن نجد لآ نفسنا مكاناً هادئاً ومطمئناً، لن نستطيع أن نعلم شيئاً مما يتحرّك حولنا، ولن نفهم شيئاً حتى لو إمتلكنا العالم كلّهُ.

الدعوة التي نهض بها سقراط، في جوهرها دعوةٌ لإكتشاف الذات، وإستعادة العقل قبل أن يتحوّل إلى أداة إستثمار بيد فئات المستثمرين والمستعبدين لذات الإنسان. لا بد أن يكون لدينا ثابتاً نسبياً -على الأقل- من خلاله نرى العالم. وأن نتحرر من سيولة الأحداث، وإنغمارات السطوح، وتآكل الجروف تحت أقدامنا وتساقطها المتتابع؛ ذلك هو الشرط الرئيسي لحياة الإعتدال، ونهضة التعقل، بما يولد من شعور إتجاه ذاتنا وإتجاه العالم الذي نحن مسؤولون عنه أيضاً. إنّ الرؤية الرئيسية التي ينطلق منها سقراط في فهم ووعي الشعور بالحب الذي يربطنا بالآخرين إرتباطاً مصيرياً -وفقاً لنظرية الإعتدال- تبدو واضحة في قدرة الإرادة المستبصرة على فرملة الشهوات والتحكّم بإضطراب الأهواء وعصفها.

لم تكن دعوة سقراط تحمل في طياتها أيّ هاجس ديني أو عقائدي، بل كانت دعوة حرّة ليقظة العقل، وإستعادة المعقول الفلسفي من أوهام الأقوال الشائعة، وتثبيت نواة راسخة للعقل، في كلّ إختيارتنا القادمة بما فيها خيارتنا العاطفية في الحب إتجاه الآخرين، التي تنجذب إليهم أنفسهم بما فيهم من قوّة جاذبية وأسر.

تطوي فكرة سقراط في حياة الإعتدال والوسطية على أساسيات المباديء العامة للنحلة الفيثاغورية والتي ظلّ سقراط وقتاً لها في السرّ والعلن. تلك المباديء التي لا تتيح لإتباعها حياة البذخ والإسراف والإنغماس، بل تفرض عليهم قيماً جديدة، وأخلاقاً سلوكية ملتزمة، يجهلها اليونان، وتتنكر لها قيمهم الإجتماعية والطبقية المستعبدة لرفاههم.

فقد إتبع فيثاغورس (عاش في القرن السادس قبل الميلاد) المعلّم الأول لسقراط وإتباعه من الفلاسفة المشائين، تعليمات صارمة تفرض على تلاميذه من كلا الجنسين مشروطيات الحياة الفاضلة، والتي عادة ما تكتفي بالضرورات القصوى التي يتطلبها إستمرار الحياة في داخلنا.

قيم الفلسفة الفيثاغورية التي أصبحت أساساً رئيسياً في بنود مدرسة كروتونا التي أسسها فيثاغورس (جنوب إيطاليا)، كانت شروطاً صارمة لتحقيق نهضة أخلاقية وإصلاحية وفلسفية جادة في بلاد اليونان؛ من هنا فقد إنتخب فيثاغورس أتباعه من الأقوياء من أصحاب الإرادة والشكيمة العالية من الجنسين كليهما، والذين كان لهم الإستعداد لرفض قيم وسلوكيات حياة الرذيلة والكذب والشهوة المتفشية في عموم بلاد اليونان.

نجد أنّ حياة الجسد وما تترتب عليه حياة الشهوة والرغبة، تتفق -تماماً- مع ميول الطبيعة داخل أنفسنا؛ ذلك أنها تنبع من صميم حركة وإخدار الطبيعة بذاتها، والتي سرعان ما تجرفنا معها بواسطة تيّارها الصادمة والعنيفة، وبما تملئه علينا حياة الدعة والشهوة، وبما تغرينا به أنانياتنا البدائية الجشعة.

الفلسفة التي جاء بها فيثاغورس من الشرق وهو يتجول متغرباً في مصر وبابل والهند والتي أمضى فيها أكثر سنوات عمره ليتعلم بها، لم تكن تلك الفلسفة إلّا دعوة منظمة لوقف وحجز تدهور حركة الطبيعة الشهوانية داخل المجتمع اليوناني، وداخل أنفسنا، ولم تكن في حقيقتها: ((إلّا حركة إصلاحية كبرى،

يقضي بواسطتها على الشلل الذي أصاب التفكير اليوناني... خصوصاً بعد سقوط المدن اليونانية تحت السيطرة الفارسية^(٢).

الفلسفة هي فن الإرادة القادر على كبح شهواتنا، وفضح أساليب الأنا داخل أنفسنا. الفلسفة هي سدٌ حاجز ومانع، لتدهور قيمنا الأخلاقية، وإصلاح ذواتنا الشهوانية. فالدعوة التي بشر بها سقراط في ساحات أثينا وأنديتها، كانت دعوة -أيضاً- لإصلاح مفهوم الحب، وتحرير الجسد من قيود وعبودية الشهوة السدومية.

عند سقراط وأسلافه الفيثاغوريين، لم يعد الحب لذة منعسة في الجسد، ومتشبهة بامتلاك الجسد الجميل، كما هو الحال عند أبيقورس أو عند غيره من الشهوانيين المنغمسين، وبالضد من تلك العقيدة الأبيقورية، لا يعني مفهوم الحب عند سقراط إلا برزخاً من برازخ التسامي والتعالى على نداءات وخورات الطبيعة داخلنا.

الحب الذي طلبه سقراط في فلسفته، قوة التسامي، والتشامخ والقطيعة مع الطبيعة التي تجذبنا بقوة وإصرار إلى مراكز التساقط والجذب والتدهور.

يبدو سقراط مصراً على مقاومة نداءات الجسد السدومي الشهواني، الذي لا يلبث، يحيك لنا شباك الإغراءات بما يقدمه لنا من فتنة الجسد، وإغراءات الشهوة، وإستغاثات الأنا الجامحة في إمتلاك الجسد الجميل.

لقد أدرك سقراط بحكمته الفيثاغورية أن الرغبة الجامحة لا تعني في نهاية المطاف إلا إستنفاد طاقة الحياة الثمينة وتبديدها، وما يترتب على ذلك من موت القلب وبلادة العقل، وهشاشة الحواس.

يمكن أن نجد أساسيات الدعوة إلى الاعتدال والتبصر في جذور فكرة النفس عند الفيثاغوريين، هناك تبدو دعوة سقراط واضحة وجليّة، ف: ((النفس حقيقة إلهية مستقلة عن الجسد كلّ الإستقلال، بل تعدّ وجودها فيه بمثابة سجن تحاول الخلاص منه. ويذكر أفلاطون هذه النظرية في محاوره فيدون وينسبها إلى سيمياس الطبيي تلميذ فيلولاوس. ومؤدى هذه النظرية، أن النفس أشبه بنغم القيثارة، لأن الجسم بمثابة القيثارة، فيه من الحرارة والبرودة ما في أوتار القيثارة من غليظ ورفيع الأصوات ومن توازن هذه الأضداد يحدث النغم، فأن أضل التوازن بينها تلاشى النغم وأصاب النفس الموت حتى قبل أن يبلى الجسد^(٣).

طغيان إحدى العناصر التي تشكل مكونات النفس الأساسية ينتهي بفشل النفس، وإضطراب في وظائفها الكلية وبالتالي إنخداها أن تنجز غايتها في وجودها الأرضي في الحياة العاقلة والراشدة.

وفكرة توازن عناصر النفس قد ترجع في جذورها إلى الطبيب الفيثاغوري أبقرات الكيوسي وهو صاحب فكرة توازن عناصر البدن وإستقامتها كي تستقيم صحة البدن والنفس.

وسقراط ما قبل الإفلاطوني آمن بها وتفاى لتطبيقاً العملية في ميدان الصحة الأخلاقية. وكان هو بالذات إنموذجاً عملياً لإستيعابها في سلوكه اليومي، فلم نره مسرفاً في شراب أو أكل أو لهو، ولم نجده

٢- د. مصطفى غالب، فيثاغورس، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧ م، ص ٤٧.

٣- د. أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار فباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨ م، ص ٨٠.

مستغرقاً في شهوة أو مmazحة، بل كان نموذجاً للإعتدال في أقواله أو أفعاله. كان وفيّاً لتعاليم فيثاغورس الخالدة.

((إنّ الإنسان العادل والنقي والخيّر هو صديق الألهة، والرجل الظالم والسيء... عكس ذلك بالمطلق. والرجال كلّهم ممثلون بالأمال... إنّ الأخيار كونهم أصدقاء الألهة، يمتلكون الصورة الحقيقية... والأشرار يمتلكون الصورة الزائفة... يمتلكون الملدّات مرسومة في أوهامهم وتخيلاتهم... والأشرار يفرحون بالملدّات الزائفة))^(٤).

هذا ما كان يؤكّد عليه سقراط دائماً: ((إنّ المعتدلين يكبحون جماح شهواتهم، متبعين قول الإنسان الحكيم... لكن الإفراط في اللذة يسيطر على عقول الأغبياء، ويصبح الأغبياء والفاسقون والعبيثون مجانين، ويجعلهم الإفراط في اللذة يصرخون عالياً...))^(٥).

فمن أين تأتي لليونان أولئك المنهمكون بحياة الغرائز والشهوات، والمحبون للحرب، النهمون بعشق الجسد، من أين تأتي لهم أن يصيحوا السمع لسقراط، وهو يدعوهم لحياة الفضيلة، وينشر بينهم عقيدة العقل، ويتحدث لهم بلغة الفلسفة التي لا تتلاءم مع طبائعهم وغرائزهم البحرية الجامحة؟. إنّ الروح التي تحدّث بها سقراط، إعتقد أكثر أهل اليونان إنّها لغة الوحي، قد ألقته الألهة على لسان سقراط، أو لعلّها روح غريبة أصابت سقراط، وجعلته يتكلّم بمقالات لم يألّفها اليونان من قبل، مع ذلك لا يمكن لسقراط أو لأيّ فيلسوف آخر يدعو الناس للتعقل ونبد الشهوات التي إعتاد عليها القوم، أن ينجو بنفسه.

ذلك يفسر لنا لماذا إضطهدت أثينا سقراط وقادته إلى محاكمة فاشية باطلة حكمت عليه بالموت؟. وهو أيضاً ما يلقي بالضوء على المصير المأساوي الذي آلت إليه مدرسة فيثاغورس في كروتونا، وكيف إنتهى مصير مدرسة الحكمة الأولى في بلاد اليونان بالحرق والقتل والتشريد. وكان فيثاغورس قد أدرك بجنكته المصير الذي يترتب عليه، فهاجر متخفياً قبل أن يقتله القوم: ((أما أتباعه الذين بقوا في كروتونا فقد راحوا ضحية مؤامرة دبرها فيلون وحزبه حيث أحرقوهم أحياء وهم مجتمعون في منزل ميلو milo الرياضي، فماتوا جميعاً بإستثناء أرخبوس وليسس التارنتي الذين فرّوا إلى طيبة بالقرب من أثينا))^(٦).

ومن قبل كان فيثاغورس قد هجر وطنه في جزيرة ساموس، أقصى الشرق من بلاد اليونان: ((فراراً من طغيان بوليقراتيس (٥٣٥ - ٥١٥ ق. م)، أو ربّما خوفاً من غزو الفرس، أو لعلّه يكون قد نُفي من البلاد كما كانت العادة في ذلك الزمان بالنسبة للمفكرين الأحرار))^(٧).

٤- أفلاطون، محاورات أفلاطون، محاكمة سقراط، ترجمها عن النص اليوناني، د. عزّت قربي، دارقباء للطباعة والنشر، ط ٢، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٢٠٠، ص ٢٦٩.

٥- أفلاطون، المحاورات، فيلبوس، ص ٣٣٩.

٦- د. مصطفى سامي النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج ١، دارقباء للطباعة والنشر، القاهرة أ ١٩٩٨ م، ص ١٥٣.

٧- مصطفى سامي النشار، مصدره السابق، ص ١٥٠.

لا ريب أن أفكار وشخصية سقراط قد أثارت الريبة في نفوس الطبقات العليا في المجتمع اليوناني، ومنذ ذلك الحين أخذت تعد العدة للنيل منه، أما سقراط فقد مضى لغرضه غير مبالٍ بمخصومه الذين أخذوا يزدادون حنقاً به.

إنَّ أفكار هذا الرجل التي تدعو إلى الحكمة والتعقل والتبصّر ونبد الشهوات، وتدعو من طرف خفي إلى العدل وإنصاف الضعفاء والمسحوقين، غير مرحبٍ بها -تماماً- لدى الطبقات الاجتماعية المتنفة، والتي تؤمن بالقوّة، وتمجّد الشهوة، وتبارك الرذيلة والظلم، التي تعدّها من سمات الرجل القوي. وتلك القيم قد توارثها المجتمع اليوناني عن القبائل الدوريّة المتوحشة والمحبة لسفك الدم.

فليس غريباً وفقاً لتلك الحقائق أن يواجه سقراط تهماً خطيرة، في نتائجها. ومن جملة تلك التهم، أهانة آلهة أثينا، وعبادة آلهة جديدة لا يعرفها اليونان، وإزدراء قواعد الدين وقيمه العليا.

((إننا لانجد إشارة عند أرسطوفانيز (في مسرحية السحب) إلى الدايمون السقراطي... الذي يتمثل له على شكل هاتف باطني، والذي يشير إليه الإدعاء حينما يضيف إتهاماً ثالثاً، وهو إحلال آلهة جديدة محل آلهة أثينا... إنّ سقراط... وباء خطير ينبغي التخلص منه بأي ثمن. وهذا يؤكّد قول سقراط: عندما قلت لكم من قبل إنّ كثيرين يكون لي أحقاداً عميقة فإعلموا إني قلت لكم الحقيقة))^(٨).

سقراط لم يكن مبالياً بتلك التهم الباطلة التي لا أساس لها من الصحة، وكلّ دعوته تستند إلى إنصاف الطبقات الدنيا والتي أراد لها أن تنال تعليماً مساوياً لغيرها؛ هذا ماوجده ملائماً في دعوات السوفسطائية الجريئة في النزول بالفلسفة من برجها العالي إلى الشعب.

لم يعد مقبولاً ولا مناسباً، أن تبقى الفلسفة حكراً وراثياً على أبناء الطبقات العليا، أو النخبة الاجتماعية النبيلة. كما أن محاولة فيثاغورس تعليم شريحة أو نخبة محددة تخضع لقواعد نخلة فلسفية صارمة، قد مضى زمنه أيضاً؛ لذا فمنذ البدء إكتشف سقراط الروح الثورية التي إنطوت عليه الدعوة السوفسطائية في تعليم الجماهير أحاديث الفلسفة وفن الخطاب.

لقد استمر سقراط في تعليم أهل أثينا مبادئ الفلسفة التي وجد أنّها كافية لتهديب الطباع، وترويض الغرائز، وإيقاظ العقل من سباته الذي طال ليله. وبالفعل بدأ حشد كبير من مختلف أصقاع اليونان يقصدون أثينا لكي يستمعوا لمبادئ المعلم الأول الذي ألهم فن القول، وحكمة الآلهة.

ومما له دلالة كبيرة هنا أن نلاحظ أن أكثر تلامذة سقراط ليسوا من أبناء وطنه أثينا، بل هم أجانب عليها، إستقطبهم سقراط بحكمته.

وفي محاوره فيدون: ((يذكر أفلاطون بضعة عشر نفرًا ممن حضروا يوم إعدام سقراط. وهم خاصة تلاميذه أو حلقته، ومعظمهم من الأجانب عن أثينا، وفيهم أفقليدس الميغاري. ومن هؤلاء الأصحاب من أنشأ مدارساً أخلاقية فيما بعد مثل أنتنستيس وأرستيبوس، واتجهت وجهة أخلاقية محضة. وكان بينهم سميّاس وقبيّيس وميدوناس وهم فيثاغوريون وتلاميذ فيلولاوس المشهور... ولم يكدهم ينفذ حكم الإعدام في سقراط حتى هجر أفلاطون أثينا))^(٩).

^٨ - أفلاطون، محاكمة سقراط، ص ٨٢.

^٩ - د. أحمد فؤاد الأهواني، أفلاطون، دار المعارف، ط ٤، القاهرة، ص ٣٥.

إننا نستطرد بإيراد تلك النصوص والتي قد تحملنا بعيداً عن الغرض؛ لكي نبين أن الدرس الفلسفي كان درساً وسيبقى درساً، غير مرغوب فيه ليس لدى اليونان وحسب، بل لدى جميع البلدان على حدّ سواء.

فالسطة مهما تكن طبيعتها حتى وإن كانت من طبيعة ديمقراطية، فإنّها لا تحبذ الفلسفة؛ فهي تريد أن يبقى الناس رهن أشعارها، ورهن لطاعتها. وإثارة قضايا الوعي في عقول ومدارك العامة، أمرٌ ليس محمود العواقب، ولا مأمون الجوانب والنتائج.

الجماهير لا يمكن إيقاظها بالوعي الفلسفي أو تسيرها به؛ ذلك ما يشكّل خطراً في بناء أي مجتمع، وبالتالي يهدد بقاء أي سلطة. والنظم الاجتماعية والسياسية، تنهض وتتشدّد أركانها بواسطة نظم القوّة، وما تفرضه من قوانين الطاعة والإنقياد. ومن طبيعة السلطة أن تتحالف مع طبقات رجال الدين الذين يقدمون أكبر الخدمات للسلطات السياسية والاجتماعية بما يمتلكون من قدرات فذة في تخدير عقول الجماهير وتذويبها بواسطة قوّة وتأثير الأسطورة.

يبدو لي أن سقراط لم يكن يدرك كلّ ذلك، ولم يحط به علماً أو وعياً في ذلك الزمن المبكر من تاريخ الوعي الفلسفي الناشئ في بلاد اليونان، وبالتالي فإنّه لم يلمح الخطر الحقيقي المحدق به، على الرغم من أنّه يعلم جيداً ما حلّ بروتوغوراس (القرن الخامس قبل الميلاد) من مصير بائس على يدّ أهل أثينا، وكيف أحرقت كتبه علناً، وكيف ولّى هرباً، حتى أدركه الموت غرقاً في عرض البحر!!.

تلك الدروس لم تكن كافية لثني سقراط عن عزمه، ولم تكن كافية لكسر قوّة إرادته وتصميمه. تلك إرادة المفكر الحرّ الذي لا يخشى الضغوط ولا يهاب الأخطار. وقد مضى لهدفه: ((يعارض المجتمع كلّ وكلّ سلطاته الدينية... ومن هنا كان لا بد من إصطدامه بالسلطة السياسية؛ لأن الدين من شأن الدولة نفسها))^(١٠).

إنّ ما اكتشفه سقراط في أثينا، وأولاه كامل عزمه، أن يتحدّث مع الناس البسطاء الذين يلتقي بهم في الميادين العامة والمناسبات. تعلّم ذلك النهج الجديد من السوفسطائيين الذين كانوا يجيبون شوارع أثينا، ويلقون بمواعظهم لكلّ من يرغب بذلك.

والسوفسطائيون أوّل من فتح أبواب الفلسفة أمام الجماهير الراغبة في التعليم، وأباح الدرس الفلسفة للجميع، بالرغم من معارضة بيروقراطية الفلاسفة النبلاء آنذاك.

لا يمكن للفلسفة أن تبقى حكرّاً بعد اليوم على النخبة المتعلّمة فقط. إنّ وظيفة الفلسفة الحقّة، تبصير الناس بالحق، وتهذيبهم بالعلم والأخلاق الفاضلة. يجب أن لا تبقى الكلمة التي تحمل بذور الحكمة، أسيرة اللفائف والمداد والمدونات. الحوار هو أصلح المناهج لنشر الكلمة الحرة والمؤثرة في النفوس التي تتلقاها.

والكلمة هي الحوار بين العقول، والمقابلة بين النفوس لتوليد الحق من نفوس الرجال. والفلسفة منذ ذلك اليوم هي مفرز إجتماعي، حوار، وجدلي بناء.

١٠- أفلاطون، محاكمة سقراط، ص ٢٠.

كان سقراط: ((سوفسطائياً أصيلاً... ولا غرو فقد كان تلميذاً لبروتوغراس وبرودقيوس، وعلى الأخص لجورجورياس... ومن الطريف أنه كان يُطلق لفظ سوفسطائي على سقراط وتلاميذه ومنهم أفلاطون))^(١١).

لقد ولد سقراط فقيراً، وفي أدنى مراتب السلم الاجتماعي، فلم يكن نبياً كأفلاطون. والده كان نجاراً، ووالدته كانت قابلة للنساء، أما هو فلم يكن إلا جندياً مخلصاً لوطنه، محباً للفقراء من أبناء شعبه. وقد عقد العزم منذ البدء أن يتلقى الدرس الفلسفي من مناشئته الأصلية.

ولا بد أن الفلسفة إختمرت في ذهنه بواسطة تلك الأسئلة المضمرة التي ظلت عالقة في خلدته منذ طفولته، وهو يرى ذلك التمايز الطبقي الذي يجعل من بعض أبناء وطنه نبلاء ومكرمين، كسالى ومترفين يتسكعون في الأندية والخمّارات، ينالون كل ما يرغبون به من ترف ورغد عيش، دون أن يبذلوا جهداً يذكر، وبعد كل تلك العطالة الأخلاقية والفكرية، والإسترخاء، يلاحظ أن حكومات وطنه، لا تلبث حتى تكرم هؤلاء وتعني بهم، وتخصّصهم بكلّ الخيرات والمناصب السيادية.

كان يتسأل من أين جاء ذلك التمايز الهرمي الذي يجعل من بعض الأفراد آلهة، ويسحق ويهمش آخرين، يسحقهم حتى النهاية دون أدنى رحمة؟

قدره - إذن - أن يكون سوفسطائياً، متجولاً في الأسواق يعرض آراءه وإحتجاجته المكرّسة بالفلسفة، يلتصق بالفقراء والمعوزين، معزياً لهم.

سقراط الحكيم الذي إنتخبته الآلهة بنداها الصادقة في معبد دلفي ليكون رسول الحكمة والكلمة الصادقة إلى أبناء وطنه جميعاً، يسير حافي القدمين في صقيع أثينا البارد والمثلج؛ في ذلك عزاء وأي عزاء يؤاسي به الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم. وفي ذلك صرخة إحتجاج ضد أولئك المترفين والمتخمين بلذائذ الجسد السدومية.

ذلك ما يعطي لنا تفسيراً مقنعاً، لماذا أراد سقراط أن يتعرّض لزيّف أولئك الأوغاد الذين يدعون إمتلاك الحقيقة، أولئك النبلاء الذين إنتفخت أوداجهم غروراً بأنسابهم وطبقاتهم وأحسابهم ومراكزهم الاجتماعية، وبما يحملون على صدورهم من تكريم إجتماعي. لكن سقراط أصرّ أن يخلع عنهم أقنعة الكذب والزيّف، ويسلخ عن طبائعهم الدنيئة جلود الوهم الذي تاهوا به فخراً، وحسبوه شرفاً لهم دون الآخرين.

لقد أدرك سقراط -تماماً- أنّ الشهبانيين والمترفين لا يمكن أن ينالوا طعم الحقيقة، أو يبلغوا رتبة الحب النبيل؛ ذلك أنّهم ليسوا نبلاء كما يدعون، بل هم عبيد لشهوة الجسد السدومي النازف. لا يمكن لمن استنزف قواه الأخلاقية والفكرية، أن يبلغ رتبة الحاسة النبيلة، التي تتجرّد بعاطفة الحب النبيلة عن ممازجة الشهوة، ومخالطة الرغبة المحرّمة.

وبحكم إلتئامهم الطبقيّة المسرفة فمن الراجح أن يكونوا قد اسأؤوا فهم الحب أو تفسيره، تفسيراً سويّاً.

من العسير جداً إن لم يكن مستحيلاً، أن نستخلص حقيقة سقراط السوفسطائي وأرائه، في المحاورات الإفلاطونية. فسقراط الحقيقي لم يدون حرفاً واحداً، ولم يكن مهتماً أصلاً بتدوين أرائه، ولم يترك أثراً يعتد به لتمييز آثار هويته الأصلية؛ وهذا مهد السبيل أمام تلامذته أن يكتبوا عنه أو يخلدوه بما تشتهي أنفسهم.

من الناحية العملية من غير الممكن أن نفرّد شخصية وأراء سقراط عن آراء وفلسفة أفلاطون؛ هذا أمر عسير جداً أو قلّ مستحيلاً. غير أنّ الكثير من الباحثين قد تلمسوا أكثر من دليل أو قرينة، أنّ أمراً ما، في فلسفة سقراط وأرائه قد تمّ تغييره أو تزيفه على يد أفلاطون.

فأولاً: إنّ شخصية سقراط وبيئته الاجتماعية التي نشأ فيها وترقى، تختلف اختلافاً جذرياً عن البيئة الاجتماعية التي نشأ وترعرع فيها أفلاطون؛ هذا بالضرورة يؤدي إلى اختلاف الرؤى والأهداف والغايات لدى الرجلين؛ فكلّ منهما ينتمي إلى طبقة اجتماعية، ووسط اجتماعي مختلف ومتناقض. فلا بد أن تكون الأولويات مختلفة أيضاً إن لم تكن متناقضة.

ثانياً: إن سقراط لم يكن مؤمناً بتدوين وكتابة مقالاته الفلسفية، بل كان يلقي ذلك شفاهاً على تلامذته، وما دونه أفلاطون في محاوراته عن سقراط، لم يكن إلّا تأليفاً أدبياً فنياً لاحقاً، اجتهد فيه بفكره وميوله وجهده ورغبته وذاكرته، حتى لا يشتهبه أحد اليوم أنّ ماورد عن سقراط في المحاورات، ليست أقوالاً لسقراط، ولا آراءً له، بل كانت نتاجاً إفلاطونياً، جملةً وتفصيلاً.

فسقراط في تلك المحاورات ليس أكثر من دمية يحركها أفلاطون من وراء الستار، ويضع على لسانها الأحاديث التي تسعفه بها الذاكرة، وحتى لو فرضنا أنّها نصوص لسقراط حقيقية، فأين نحن من تأويلها، أو تفسيرها، أو تشذيبها...؟ وهذا ما حصل في تراث أكثر العظماء، مراراً وتكراراً، سواء وضعوا كتباً خاصة بهم أو لم يضعوا.

ثالثاً: اختلاف الصور والأراء التي وصلتنا عن سقراط وتباينها، تبايناً كبيراً بمقدار الاختلاف والتباين بين تلامذة سقراط أنفسهم، الذين كتبوا في أرائه أو فلسفته، أو إستلهموا تأثيرات سيرته.

فالمذهب الذي وضعه إنتستينيس الإثيني أو الكلبي (ت ٣٦٦ ق. م)، بوحى مباشر من سقراط تختلف اختلافاً جذرياً عمّا تحدّث به أفلاطون.

فسقراط كما إستوحى سيرته تلميذه إنتستينيس، يبدو زاهداً في الدنيا، متشرداً، فقيراً مدقعاً، لا رغبة له في متع الدنيا، يعيش كفافاً، معرضاً عن مخالطة السفهاء، فضلاً عن محادثتهم.

وكان إنتستينيس قد: ((إنضم إلى حلقة سقراط، فأخذ عنه إكبار حياة الفضيلة وعدم المبالاة بالألم. وكانت فلسفته الخلقية تقوم على تقرير أن الفضيلة قابلة للتعلّم والتعليم، وأنّها كافية في تبليغ صاحبها السعادة، لأن من يمتلكها لا يحتاج إلى شيء من خارج))^(١٢).

ومن ناحية أخرى نجد أكثر الكلبيين: ((رفضوا اقتناء بيوت أو أي مكان للسكن، وأخذوا يتجولون أشبه بالآفاقين والشحاذين...))^(١٣).

^{١٢} - ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم، ط١، بيروت / لبنان، ١٩٩١، ص ١٥٢.

^{١٣} - وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٣٨.

فكرة الحب عند أفلاطون:

لم يكن أفلاطون مشرقاً وهو يطرح علاقة السبيادس ذلك الفتى الوسيم بسقراط. كان أسلوبه غامضاً، معتماً، خجولاً. لم نعرف ماذا يريد أن يقول أفلاطون. كما أننا لا نستطيع أن نفسر تلك العلاقة الشاذة قبل أن نبذل جهداً تأويلياً كبيراً - كما فعل أفلاطون، لكن ذلك لن يكون إلا تلميحاً أجوفاً، لنصّ تفوح منه رائحة العلمة.

يقول الدكتور علي الوردي: ((الظاهر أن أفلاطون أراد أن يستغل إسم سقراط في سبيل مصلحته الخاصة. وربما حاول أن يتخذ مقتل سقراط ذريعة للقضاء على السفسطة والديمقراطية اللتين كانتا من ألد أعدائه))^(١٤). ولكن ما علاقة ذلك بفكرة الحب، لماذا حاول أفلاطون تزييف تلك الفكرة، ماهي مصلحته من وراء ذلك؟.

يقول الوردي: ((كان أفلاطون مصاباً بالإنحراف الجنسي... لم يتزوج طيلة حياته... ويختل لي أن سقراط كان يكافح الإنحراف الجنسي بين قومه))^(١٥).

الفرق بين الرجلين - حسب إعتقاد الوردي - فرقاً بين الطبيب الذي يسعى لتشخيص ومعالجة المرض، وبين المريض الذي يجد أعضاراً لمرضه، ويبحث عن تبريرات واهية لكي يستمر بعبادته السيئة والمختلة. للنظر حقيقة الحب الذي يدعونا إليه أفلاطون، وكيف ينتكس أفلاطون على عقبيه ليرتد إلى بهيميته السدومية النازفة. نصغي إليه وهو يقول: ((لا يكون كل نوع من أنواع المحبة، ولا كل حب نبيلاً، بل ذلك الذي يلهم الرجال كي يحبوا بنبل فقط. إنَّ الحب الذي يكون من ذرية أفروديت... هو مشاع بالضرورة، ويحرك الأحقر من الرجال، فيتخطى حبهم، حب النساء إلى حب الشباب، ويغرقون بالجسد بدلاً من الروح...))^(١٦).

فأفلاطون كان مريضاً، وجوهر مرضه، يرتد إلى طبيعة طبقة الإجتماعية المتفسخة التي تمارس الرذال والموبقات، كأثما طبائع إعتيادية. وقد أخذ أفلاطون على عاتقه مسؤولية توفير غطاء نظري وفلسفي، لإنحلال سدومي مزمن، إستغل فيه فلسفة سقراط ذاتها.

فأفلاطون كان المنظر الأهم لغريزة الإيروس السدومي النازف، والذي هو خاصية شبه ملازمة لطبقة النبلاء والأثرياء المترفين، أو لمن يحل محلهم من الشهبانيين والعبيثيين.

يتحدّث افلاطون في محاوره سيمبوزيوم أو المأدبة، عن الحب، بعد إعادة توزيع النص توزيعاً سمفونياً ماهراً، عن طريق تحفيظه وممازجته بالمطلق الفيثاغوري - الأورفي.

يقول على لسان سقراط: ((إنّ دوتيميا كانت معلمتي في الحب... برهنت لي أنّ الحب لم يكن جيلاً ولا خيراً، بل وسطاً بين ذلك. وقالت لي أنّ الحب هو نفس عظيمة، وهو توسط بين الإلهي والفاني... يربط العالم كله معاً... إنّ الحب فيلسوف أو محب للحكمة. وكونه محباً للحكمة فإنّه وسط بين العالم

١٤- د. علي الوردي، مهزلة العقل البشري، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٥م، ص ٢٠٧.

١٥- المصدر نفسه، ص ٢١٠ - ٢١١.

١٦- أفلاطون، (سيمبوزيوم)، ص ١١١.

والجاهل... فإنني سأعلمك بأنّ الهدف المائل... هو الولاء في الجمال، سواء أكان هذا الجمال في الروح أو في الجسد^(١٧).

دوتما الملاك التي أهتمت سقراط فن الحب أخبرته أنّ الولادة تبدأ في الجمال. أي في الرغبة في إمتلاك الجسد الجميل والإستحواذ عليه. لكنّ أفلاطون يحاول بمعجزة أورفية أن لا يتوقف عند الرغبة في الجسد، بل لا بد لنا من تجاوز عقبة الجسد، بأجنحة إستعارها من سقراط. هناك في الأعالي يمكن أن نلتقي بسرّ الجمال الذي لا يفنى.

إنّ أفلاطون يحاول أن يمزج بين قضيتين مختلفتين مزجاً شعرياً، فالولاء للجمال، حسب إعتقاده، يمكن أن يكون ولأجل الجمال الجسد، أو جمال الروح، على حدّ سواء، لا فرق بينهما، مع إنّهما قضيتان متباعدتان، كما لا يخفى ذلك. ليس بالضرورة أن يكون جمال الروح، جمال للجسد، ولا يصح العكس أيضاً.

جمال الجسد أمرٌ يتعلّق بالحواس، وكثيراً ما يكون فخاً تنصبه الطبيعة لنا لحكمة الولادة والبقاء. ولا نجد له علاقة بجمال الروح أو سموها.

من المستبعد أن ينسجم ذلك الإعتقاد مع المبدأ الفيثاغوري، والذي هو صميم في الإعتقاد السقراطي أساساً.

علينا أن ندقق النظر فيما يقول أفلاطون، فإنّه كثيراً ما يستخدم لغة شعريّة مرّتة وخصبة، تذيب التناقضات، وتقرّب ماهو بعيد. يقول أفلاطون: ((إنّ الذي يصعد من هذه الأشياء الأرضية تحت تأثير الحب الحقيقي، يبدأ من الجمال الأرضي ويرتفع لأجل الجمال الآخر... ومن كلّ الأشكال الجسدية الجميلة يرتقي إلى الممارسات الجميلة... لكن ماذا إذا كان لدى الإنسان عيون لترى الجمال الحقيقي فسيرى الجمال الإلهي... الجمال الّلامدنس بالتلوّث الجسدي))^(١٨).

يعتقد أفلاطون أنّه من الممكن بواسطة الجدل الصاعد أن ندرج من الجمال الجسدي وصولاً إلى الجمال الإلهي.

واضح لكلّ عاقل أنّ رؤية أفلاطون في الحب لا يمكن أن تكون سليمة أو صائبة، إنّهُ فقط شاعر، يموّه في الألفاظ، ويخيّل في العبارات، لكنّه في كلّ الأحوال لا يتحمّل مسؤولية ما يقول.

فالقضية هنا لا تتعلق بجدل فلسفي صاعد أو نازل، بل هي تتعلق بوجود مشكلة عملية لها صلة بنتائج عشق الجسد ذاته.

الجسد لا بد أن يقودنا إلى مركز جاذبيته، ويسقطنا في شباك قوّة شدّه، عاجلاً كان ذلك أم أجلاً، ليس للجسد الأرضي من وظيفة أخرى غير كثافة الشدّ والجذب والولادة.

أفلاطون يخادع ذاته، ويرتدي قناع سقراط. إنّهُ يريد أن يمضي قدماً بشفاعة الجسد ووساطته ليقف عند شفق الحب الخالد.

١٧- أفلاطون، المحاورات، مجلد ٤، ص ١١٦.

١٨- أفلاطون، المحاورات (سيمبوزيوم)، ص ١١٩ وايضاً امام عبد الفتاح امام افلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، ط ٢، سنة ١٩٩٦، ص ٧٥.

واضح تماماً -بالنسبة لنا- أننا أمام طريقتين لا يمكن أن يستمرا معاً، إذا ما رغبتا بولوج العتبة العذرية للحب. وهنا لا بد لنا من قطع صلتنا بالجسد الأرضي أو الشهواني، قطيعة لا صلة بعدها قط.

بتلك القطيعة العذرية -إن صحّ التعبير- نكون بلغنا الغاية التي نجد عندها منهج سقراط الحقيقي. سقراط يبدأ -إذن- بنفي الجسد الأرضي، وجذم الصلة به، وخلع قيود عبوديته الشهوانية أولاً وثانياً وثالثاً؛ إذ لا توجد أماناً أيّ فرصة مهما كانت صغيرة، كي تسمو بعدها نفوسنا، وتعلق بأهداب الشفق الإلهي، طالما نحن متعلقون بكثافة الجسد الأرضي، منقادون لإغوائته السدومية.

ثمة فلسفتان متنازعتان ومتناقضتان لم يفلح أفلاطون في ردم الهوة الغائرة بينهما، وهما ينتميان لعاطفتين متغايرتين إحداهما تنزع نزوعاً صوفياً للمطلق، والأخرى تتناقل إلى مركزية الجسد. إننا مهما بذلنا من جهد لتعقيل كثافة الأيروس، وحملناه على الاعتدال -كما يفترض أفلاطون- لن ننجي من وراء ذلك غير خيبة الأمل. إذ لا توجد حدود معترف بها لمعيار الاعتدال، إذ ليس للحب معيار للاعتدال، فهو ليس بالقضية الكمية؛ بالتالي فنحن في جميع الأحوال منساقون وراء طبائعنا، التي تميل إلى الانحدار نحو مراكز التثاقل، وهذا أمرٌ معقول تماماً.

لن تكون هناك أيّ حدود للاعتدال أو الوسطية في أفعال الطبيعة، سنخضع فقط لميولنا الغرائزية، ولن نتوقف حتى نكتفي أو نمتليء. ننحدر مع تجوعنا حتى يسكت عنا الجوع، ويرتوي العطش. ولن يكون هناك أيّ فرصة سانحة لكي نتسامى، أو نعتق من قبضة ميولنا الجسدية... هناك سلسلة دوافع وإحتياجات ورغبات، تنجذب لإشباعتها.

في الطبيعة توق ورغبة جامحة، وإمتلاك وإنجذاب وتكاثر في الجسد، وهكذا تتناسخ الشهوة في داخلنا دون إنقطاع، تتكرر دون نهاية. ومن المستبعد -تماماً- عبور برزخ الجسد، عبر ممارسات الجسد نفسه -كما يتوهم أفلاطون - لا بد أن تكون لدينا إرادة لإفحام القطيعة إلى صلب الطبيعة. هناك هوة عميقة وغائرة في كنه الوجود. تلك الهوة السحيقة لا يمكن تجاوزها بواسطة التلوث الجسدي -كما يطلق عليه أفلاطون، بل لا بد من زج إرادة اللوغوس، أو إرادة الحرمان أو القطيعة، في صلب الرغبة.

من العبث أن يتسامى الحب إلى شفق عذري بدون تدخل اللوغوس الإلهي الذي يصادر متعة الجسد، ويمنع الرغبة أن تتماهى فيه.

ومن المستحيل إكتشاف الذات أو التعرّف على الماهية المتعالية للحب دون وجود المطلق ذاته، ودون أن ندخل في علاقة باللا محدد أو اللازماني. وقضية إكتشاف الذات وتعلقها بمبدأ الحب المتسامي، ليست قضية ماورائية، بل هي قضية كيف تتحقق الذات في الوجود؟. كيف تعبر عن نفسها؟. كيف تقاوم الشر؟. كيف تنتصر على الشهوة؟. كيف تنتفى وتتطهر من أثام الجسد، وأرجاس الشهوة؟.

الخاتمة:

**من العسير بمكان أن نميّز بين شخصية وفكر سقراط عن فكر وشخصية أفلاطون. فسقراط في تواريخ الفلسفة كلّها هو ما نعرث عليه في المحاورات كتبها أفلاطون. ومن المستحيل تقريباً أن نقف على الحدود الفاصلة بين الفيلسوفين.

****** تكاد تكون شخصية سقراط وفلسفته هي ذاته شخصية أفلاطون وفلسفته، بالرغم من أننا واثقون بوجود فوارق فاصلة وحاسمة بين الفيلسوفين؛ وذلك بحكم اختلافهما الاجتماعي والطبقي. فأفلاطون إرستقراطي، نبيل، مترف وغني، لا يعبأ بالفقراء والجماهير المسحوقة من أبناء وطنه، وهو إضافة لذلك يحتقر العبيد والمسحوقين. وبالضد من ذلك، فإنَّ سقراط ينحدر من طبقة إجتماعية بائسة وفقيرة، وهو قريب جدًا في فكره وأماله وتطلعاته من آمال الفقراء والمسحوقين والمهمشين.

****** لم يكن أفلاطون يؤمن بالعشق الذي يربط الرجل بالمرأة، ويعتبره عشقاً للعبيد والعامه. وهو يكنَّ أشدَّ الولاء والإخلاص للحبِّ الذي يقع بين رجل وآخر من جنسه. وهنا يجد أفلاطون ضالته في عشق يبدو أنه سمة ملازمة لآثام طبقته الإجتماعية المترفة والمتعالية. ونحن نجد سقراط يمارس حياته الإجتماعية الطبيعية في بيت وزوجة وبنين. وسقراط ليس من دعاة الحبِّ السدومي، بل لم يكن من دعاة حبِّ وعشق الجسد أصلاً.

****** موضوع الحبِّ عند أفلاطون يبدأ بالحواس، وينهض من عشق الجسد الجميل، ثمَّ يتدرج بمنهج جدلي صاعد حتى يرتقي شرفة الحب العقلي والروحي ينصحنا. والحب عند أفلاطون متعة حسية وجسدية، ثمَّ بعد أن تمتلئ ينصحنا أفلاطون أن نعتدل ونقتصد، ونتطلع للحب الحقيقي الذي في الأعالي حيث يبقى الحبِّ خالداً هناك.

****** يرى سقراط أن الحب الحقيقي لا يكون حقيقياً خالصاً دون ألم ومعاناة وكفاح. ودون أن نمتلك إرادة وقوة في حجب الشهوات وتطهير الحواس من عوائل الجسد، لا يمكن لنا أن نرى ضياء الشفق، أو أن نتذوق طعم العشق العذري أو الإلهي، الذي يصبو إليه سقراط بواسطة منهج القطيعة الكلية مع الرغبة في الجسد.

لا فرصة للحب الإلهي دون أن تكون هناك قطيعة مع الرغبة في الجسد.

المصادر والمراجع

١. د. مصطفى غالب، فيثاغورس، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧ م.
٢. د. أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨ م.
٣. أفلاطون، محاورات أفلاطون، محاكمة سقراط، ترجمها عن النص اليوناني، د. عزت قرني، دارقباة للطباعة والنشر، ط٢، القاهرة، ٢٠٠١ م.
٤. أفلاطون، المحاورات، فيلبوس.
٥. د. مصطفى سامي النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج١، دارقباة للطباعة والنشر، القاهرة أ ١٩٩٨ م.
٦. د. أحمد فؤاد الأهواني، أفلاطون، دار المعارف، ط٤، القاهرة.
٧. ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم، ط١، بيروت / لبنان، ١٩٩١.
٨. وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٨٤.

٩. د. علي الوردي، مهزلة العقل البشري، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٥ م.
١٠. امام عبد الفتاح امام افلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، ط٢، سنة ١٩٩٦.

موقف الإسلام من الإعلان في فلسفة السيّاحة

Islam position from the advertising in the philosophy of tourism

م.م حقي إسماعيل غافل^(١) Assist. Lect. Haqi Ismaeel Ghafil

الملخص

تعد السياحة من الظواهر الإنسانية التي نشأة منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها فهي قديمة قدم الحياة، فالسياحة سابقاً كانت تقتصر على السفر لغرض التجارة أو لغرض البحث عن العلم والمعرفة ووسيلة للتعارف، وفي وقتنا الحاضر فقد أصبحت السياحة علماً له أصوله وفوائده أما اليوم فقد حث الإسلام عليها كما استنبط الفقهاء الضوابط الشرعية لها ليتجنب المسلمون شرها وينتفعوا بخيرها، لذا كثر الحديث عنها وصارت كثير من دول العالم تهتم بها، وأصبحت وسائل الإعلام تغري الناس بالسياحة عن طريق الإعلانات المغرية فقد وضع الإسلام للسياحة وللإعلان السياحي ضوابط ووجب على دراسة تلك الضوابط الشرعية.

والمتتبع للإعلانات السياحية اليوم يجد أنه قد احتوى الكثير منها المخالفات الشرعية باشتغالها على الصور غير الأخلاقية والكذب والغش والخداع والتدليس والطعن في السلع والخدمات من أجل المنافسة، لذا كان من الواجب وضع ضوابط لهذا النشاط ليكون عملاً مشروعاً لتسكن اليه النفوس، ويكون بعيداً كل البعد عن كل ما هو محرم في الشرع الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الإعلان لغة، الإعلان اصطلاحاً، الإعلان شرعاً، السياحة لغة، السياحة اصطلاحاً، فلسفة السياحة.

^١ - جامعة أهل البيت - ع/إ - كلية العلوم الإسلامية.

Abstract

Tourism is considered one of the human phenomena which has been established since the creation of the earth and the creatures on it. So it is as old as life is.

Tourism was limited to travelling for the purpose of trade or in search of science and knowledge. It is also a means of acquaintance.

In our current time, tourism has become a science with all its principles and benefits. Today, we notice that even our religion, Islam, has been encouraging it and religious scholars of jurisprudence have deduced legitimate regulations for it so that Moslems can avoid its bad aspects, if any and make use of its good aspects.

Therefore, talks, conversations and discussions have increased about it and many countries of the world pay good attention and care of it. Means of information and news media began to tempt people to arrange themselves for tourism and adverts and announced that studying those legitimate regulations is an obligation. Today the followers of tourism adverts find out that many impolite photos, untrue facts, cheating, fraud and deception. These adverts also tell false information about some commodities and services. All these happen for the sake of competition and services.

All these happen for the sake of competition.

Therefore it has become a duty to set up regulations to this activity in order to be a legit work in which people can find safety and confidence. It must also void of any illegitimate and taboo in Islam.

المقدمة

أصبح الإعلان السياحي يشكل نمطاً مهماً في السياحة كونه يُعد وسيلة ترويجية لانفاق السلع المختلفة، في واقعنا المعاصر، مستغلة كل الوسائل الحديثة من مجلات ودوريات وإذاعات مرئية وغير مرئية وانتشرت وغيرها، ولكل من هذه الاعلانات فلسفتها الخاصة بها، فمنها ما يراعي الضوابط الشرعية في اعلاناته، والبعض الآخر لا يهتم من ذلك إلا الكسب المادي، وللإسلام موقف من الإعلان السياحي كونه يؤدي دوراً مهماً في السياحة الإسلامية لتوفير جو الراحة النفسية مع بعث مناخ الطمأنينة في داخل الفرد والمجتمع المسلم من خلال عملية الإعلان الشرعي، وذلك بإشاعة ثقافة الترفيه والتسلية المشروعة إذا استخدم بالصورة الصحيحة لذلك اهتمت به كثير من دول العالم الإسلامي، والبعض من الاعلانات تسلط الضوء مثلاً على برنامج الحج والعمرة المفردة وزيارة الأماكن المقدسة للأنبياء والأولياء الصالحين وغيرها، وفي الوقت نفسه هناك اعلانات تسيء للإسلام ولا ترتبط به بأي صلة مثل الاعلانات الاباحية والترويج للمخدرات أو الخمر أو ظهور نساء عاريات... وما سوى ذلك، من خلال ذلك جاءت الأدلة الشرعية بإباحة وجواز هذا الأمر ضمن ضوابط محددة، فإذا خرج الأمر عن ضوابطه أصبح محرماً وخارجاً عن طريق الشرع ومن

هذه الأدلة ما ورد في النصوص القرآنية والسنة النبوية، ونحن بدورنا في هذا البحث نسلط الضوء على الإعلان وأهم الضوابط الشرعية له وان نلتزم بما عند تصميم تلك الاعلانات. ومن هذا المنطلق قسم البحث على مبحثين: المبحث الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإعلان والسياحة، وتضمن المبحث الثاني السياحة في الإسلام، وختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: إشكالية البحث

تبرز اشكالية البحث من خلال ما تثيره الإعلانات في المؤسسات السياحية، على الرغم من وجود بعض التشريعات والقواعد في المؤسسات السياحية إلا أن غياب الوعي بخطورة الإعلان السياحي وكثير من القائمين على صناعة الإعلان غير مؤهلين علمياً ومهنياً لممارسة الإعلان بمفهومه الإسلامي في الترويج للسلع والخدمات في المؤسسات السياحية.

ثانياً: أهمية الموضوع وسبب اختياره

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

١. تسليط الضوء على السياحة في الإسلام كونها تستهوي اليها النفوس البشرية، وبالتالي فإن الكثير من السياح يمارسون السياحة من أجل الترفيه عن النفس واشباع غرائزهم والابتعاد عن الشريعة الإسلامية.
٢. توضيح بيان موقف الإسلام من السياحة والإعلان السياحي وبرامج تسويقهما وإظهار أهم الضوابط التي لا بد أن تراعى عند تصميم الإعلانات السياحية.
٣. تنوع وسائل الترفيه في الوقت الحاضر إذ أصبح الكثير منها يهدد المجتمعات بالانحلال والسقوط والذيلة.
٤. ولعل السبب في اختيار الموضوع هو ندرة الدراسات الحديثة التي تطرقت حول موضوع موقف الإسلام من الإعلان والتفريق بين الإعلان الشرعي والإعلان غير الشرعي والمحرم.

ثالثاً: هدف البحث

١. يهدف البحث إلى تسليط الضوء على السياحة ومشروعيتها وضوابطها في الإسلام والأهداف السامية التي من أجلها شرع الله عز وجل السياحة.
٢. التعرف على موقف الإسلام من الإعلان السياحي الناجح والشرعي وهو الذي يسعى لنشر ثقافة الدين مع السلع والخدمات قبل أن يكون محاولةً للترويج أو التسويق أو البيع بهدف جلب الأرباح وزيادتها.

المبحث الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للإعلان والسياسة

المطلب الأول: الإعلان في المفهوم اللغوي والاصطلاحي

أولاً: الإعلان في اللغة

جاء الإعلان في اللغة بعدة معانٍ متقاربة ومنها: "المجاهرة، على الأمر يُعلن عُلوً، ويعلن، وعَلَنَ عَلَنًا وعَلانيةً فيهما، إذا شاع وظهر، واعتلن، وعَلَنَهُ وأعلن به"^(٢).

تفيد المادة اللغوية للفظ الإعلان (أعلن، يعلن، إعلاناً) بمعنى: (أظهر، أظهر، جَهَرَ) مصدرها من لفظ: (العلانية) أي بمعنى (الإظهار، الإظهار، الجهر)^(٣).

ووردت كلمة إعلان في قواميس اللغة بمعانٍ عديدة ففي القاموس المحيط الإعلانُ المُهاجرة والمُعانة إذا أعلن كل واحد لصاحبه ما في نفسه، يقال: عَلَنَ الأمرُ يَعْلُنُ عُلوً ويعلن وعَلَنَ يَعْلُنُ عَلَنًا وعَلانيةً فيهما إذا شاع وظهر^(٤). وجميع هذه التعاريف تشير إلى الذبوع والانتشار.

ثانياً: الإعلان في الاصطلاح

الإعلان اصطلاحاً: "المجاهرة، ويلاحظ فيه قصد الشيوع والانتشار، والفقهاء يستعملون كلمة إعلان في ما استعملها فيه أهل اللغة، بمعنى المبالغة في الإظهار"^(٥).

وفي منظور عدد من الكتاب والباحثين يعرف بأنه الذي يقدم رسائل إعلانية مرئية أو مسموعة، إلى الجمهور لإغرائه بشراء خدمة أو سلعة مقابل أجر مدفوع، أو بتعبير آخر، كل نشاط يقوم بنشر المعلومات والبيانات على السلع والخدمات والمنشآت بقصد إثارة بعيده للمستهلكين للتعرف على حاجاتهم وعلى كيفية اتباعها، ومن أجل مساعدة المنتجين لإكتساب عملاء جدد عبر تعريف هؤلاء العملاء المرتقبين على السلع والخدمات^(٦).

ومن جانب آخر عرف الإعلان بأنه عملية اتصالية تستهدف أحداث أثر محدد يتمثل في إقناع الجمهور المستهدف من المعلن، ودفعه إلى سلوك يقدم فيه على الشراء أو التعامل مع الخدمة المعلن عنها^(٧). وعرف كذلك بأنه الوسيلة غير الشخصية يدفع عنها قبال الهدف منها تقديم الأفكار والخدمات والسلع وترويجها بواسطة جهة معلومة مقابل أجر معلوم^(٨).

٢- جمال الدين، محمد بن مكرم، ابن منظور أبو الفضل، لسان العرب، مادة (عَلَن)، ج ١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص ٢٨٨.

٣- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، مادة (عَلَن)، ٨م، ط ١، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٣٨٠.

٤- ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: أبو الوفاء نصر الهورني، مادة علن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧، ج ١، ص ١٥٦٩.

٥- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الموسوعة الفقهية، ج ٥، ط ٢، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٢٦١.

٦- خالد بن عبد الرحمن آل دغيم، الإعلام السياحي وتنمية السياحة الوطنية، ط ١، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٤، ص ٦٤.

٧- صفوة العالم، عملية الاتصال الإعلاني، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٩٨، ص ١٩.

٨- سامي عبد القادر سعيد، التسويق والمبيعات في صناعة السياحة والفنادق، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٨، ص ١٣٥.

ومن خلال التعاريف السابقة يمكن التعرف على أن الإعلان يشتمل على مجموعة من الخصائص المميزة له من بينها:

١. انه وسيلة اتصال غير شخصية تتم بين المعلن والجمهور المعلن اليه، ويختلف باختلاف السلع أو الخدمات المعلن عنها.
٢. ان المعلن يهدف من رسالته العلنية التي يقدمها عبر وسائل النشر المختلفة إلى إحداث التأثير والإقناع الإيجابي لحث المستهلك على اقتناء سلعته أو خدماته التي يعلن عنها.
٣. إن تحقيق المعلن لأهدافه المرجوة يعتمد على مجموعة اعتبارات ويأتي على رأسها الوسيلة الإعلانية المختارة لإذاعة أو نشر الرسالة الإعلانية من خلالها، وان اختيار إحداها بشكل خاطئ سيؤدي إلى ردود فعل سلبية.
٤. إن أحد السمات المميزة للإعلان عن غيره من الأنشطة الأخرى مثل الدعاية تكمن في أن المعلن يفسح عن شخصيته وصفته ونشاطه معزراً ذلك ببيانات ومعلومات تفصيلية تفيد المستهلك عند اتخاذ قرار الشراء.

ثالثاً: نشأة الإعلان التاريخي وتطوره

يرجع تاريخ الإعلان إلى آلاف السنين قبل الميلاد، حيث ذكر ان أول إعلان كتب كان إعلان مصري مسجل على قطعة من ورق البردي، يرجع تاريخه إلى ألف سنة قبل الميلاد، كتبها أمير مصري يعلن فيها عن مكافأة لمن يرد له عبده الذي هرب. وهذه القطعة محفوظة بالمتحف البريطاني بلندن^(٩).

كما ان الملوك البابليين أعطوا أهمية خاصة للإعلان عن أعمالهم، فكانوا يدونون الحروب والأعمال التي يقوم بها كل ملك على الألواح الطينية ويحفظونها أو يعلقونها في أماكن العبادة، وقد قام حمورابي بتنفيذ أول شريعة قانونية للعلاقات الإنسانية، وكانت إعلاناً منه إلى الجمهور عن استتباب الأمن والعدالة^(١٠).

وقد تطور الإعلان بعد ظهور المطبعة التي انتجت الصحافة، الوسيلة الإعلامية الأولى التي سخرت إمكانياتها في خدمة الإعلان، ثم تجاوزها إلى استخدام وسائل اتصال أخرى، كالراديو، والتلفزيون والانترنت والسينما ولوحات الطرق، إضافة إلى ذلك المطبوعات من مجلات ودوريات، والإعلان ليس وليد اليوم، بل ولد مع المدنية، ثم سايرها في نموها خلال الأجيال، ومنذ أن تعلم الإنسان تبادل البضائع كان يقوم بالإعلان عنها، حتى يجعل الناس يقبلون على ما لديه من فائض السلع ويعلمون مزاياها، ومن ثم كان الإعلان بالحديث والكلام أو بعرض السلع أمراً معروفاً منذ العصور القديمة، وشهد القرن التاسع عشر تقدماً في الإعلانات الصحفية نتيجة تطور الثورة الصناعية التي زادت من الانتاج زيادة كبيرة كان لا بد أن تكون مصحوبة باستنباط الوسائل اللازمة لتصريف هذه المنتجات، وقد أسهم في هذه الحركة انتشار المجلات والصحف اليومية زهيدة الثمن وانتشار التعليم وارتفاع مستواه^(١١)، لكن يعد القرن العشرين وخاصة النصف الثاني منه

٩- خالد بن عبد الرحمن آل دغيم، الإعلام السياحي وتنمية السياحة الوطنية، مصدر سابق، ص ٦٤.

١٠- عبد الجبار مندبل، الإعلان بين النظرية والتطبيق، دار البارودي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص ١١.

١١- فداء حسين أبو دبة، خلود بدر غيث، تصميم الإعلان والترويج الالكتروني، ط ١، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩، ص ١٧.

فترة خصبة في عمر الإعلان، التي شهدت تطوره بشكل ملحوظ أصبح الإعلان رئيساً في التجارة وإدارة الأعمال^(١٢)، "وواكبت اتساع استخداماته واستحداث وسائله وتقنياته بشكل كبير، ويساعد تتبعها على استخلاص مدى ما طرأ على الإعلان من تطورات ومدى تأثيره وتأثيره في المتغيرات المحيطة به حتى أصبح علماً وفناً يدرس في كثير من المعاهد والكليات"^(١٣).

رابعاً: أهداف الإعلان

تتبع أهداف الإعلان عادة من الأهداف التي تبغى الجهة المعلنة الوصول إليها، وبما ان مقاصد المعلنين متعددة الأغراض، فمن الطبيعي أن يكون للإعلان عدة أهداف منها:

- أ- الدعوة للسفر، (فأنت مدعو معنا للسفر حيث الجمال والمتعة)؟ والدعوة هنا تولد الاستجابة حيث انه كثير ما يستجيب الأفراد الدعوات حتى ولو كانت باهظة التكاليف.
- ب- (البحث عن المتعة والاستمتاع والراحة والجمال) وهو هنا يخاطب جملة دوافع ونوازع بشرية متأصلة في النفس البشرية.
- ت- (التسويق والبحث عن الإثارة وحب المعرفة لكل عجيب وغريب وغير مألوف) ومن هنا تنجح سياحة السفر في البلاد البعيدة حيث العجائب وكذلك سياحة الغوص في أعماق البحار والمحيطات على سبيل المثال.
- ث- مخاطبة الشعور الكامن في النفس البشرية بشأن المرضى حيث أرض الذكريات، أرض الأجداد أرض الخير والبركة والأيام المجيدة، أرض البطولة والنداء.
- ج- اثاره النوازع الدينية للتقرب إلى الله، وكذا لمحو الذنوب والمعاصي والتبرك بالأماكن المقدسة^(١٤). ولقد جاءت الأدلة الشرعية بإباحة وجواز الإعلان ضمن ضوابط محددة، فإذا خرج الأمر عن ضوابطه أصبح ممنوعاً وخارج إطار الشرع، من خلال ذلك يجب أن تتوفر مجموعة من الخصائص في الإعلان السياحي ومن أهمها ما يلي:
- أن يكون رسالته متجانسة مع عادات وتقاليده وتاريخ وقيم وعادات المجتمع الذي تخاطبه.
- أن يعتمد على الحقائق والبيانات الصادقة المعبرة فعلاً وواقعياً عن الخدمات التي ستقدمها شركة السياحة خلال البرنامج السياحي المعلن عنه بدون أي مبالغة أو أي تظليل.
- أن يعبر ما يتضمنه من (المحفزات السياحية) وعناصر الجذب السياحي التي تجذب السياح وتدفعهم لزيارة دولة معينة وتزيد من انفاقهم، ويشمل هذا ما يلي:
- الخدمات السياحية التي سوف يتضمنها البرنامج السياحي بالفعل.
- مستوى الخدمة التي سوف تقدم وفقاً لدرجات الجودة المتفق عليها عالمياً.
- التسهيلات التي تتيحها شركات السياحة والسفر للسائح.

١٢- د. مصطفى يوسف كافي، دراسات في الإعلام والإعلان السياحي، ط١، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان،

٢٠١٥، ص ١٢٧.

١٣- منى الحديدي، الإعلان، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ١٩٩٩، ص ١٩.

١٤- بشير العلاق وآخرون، الترويج والإعلان التجاري أسس ونظريات، تطبيقات مدخل شامل، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م، ص ١٣٥.

- وصف دقيق لحالة الموانئ والمطارات والسكك الحديدية وحالة الطرق.
- المعالم السياحية التي سيتم زيارتها. والمناخ وظروف الطقس السائدة خلال فترة البرنامج.
- النشاط الثقافي والسياحي للأهالي خلال فترة البرنامج.
- الإعلان وسيلة من وسائل الانتشار. وهذا يعطي فرصة لوصول الرسالة إلى عدد كبير من السياح في السوق السياحية المطلوبة.
- هو وسيلة ذات قدرات تعبيرية كبيرة فالإمكانيات الفنية التي يتيحها الإعلان والمتوفرة لدى وسائل الإعلان تعطى الفرصة للمنظمة السياحية لتقول ما تريد عن منتجاتها بشكل جميل من خلال الاستخدام الجميل للطباعة والصوت واللون مما يحقق الجاذبية والتأثير على السياح في السوق السياحية المطلوبة^(١٥).

المطلب الثاني: السياحة في المفهوم اللغوي والاصطلاحي

أولاً: السياحة لغة

لفظة السياحة في اللغة العربية تعني الضرب في الأرض ومنها يسبح الماء وسيحان الماء يعني جريانه. وساح في الأرض يسبح سياحة وسيوحاً وسَيَحاً وسَيَحَاناً أي: ذهب؛ وفي الحديث: (لا سياحة في الإسلام) أراد بالسياحة مفارقة الأمصار والذهاب في الأرض، وأصله من سَيَح الماء الجاري؛ وقال ابن الأثير: أراد مفارقة الأمصار، وسكنى البراري، وترك شهود الجمعة والجماعات^(١٦).

أما في اللغات الأجنبية، فإن لفظة السياحة لفظة حديثة، حيث لم يشع استعمالها إلا أثناء القرن الثامن عشر، إذ استخدمت كلمة (Tour) للتعبير عن الرحلة التي يقوم بها كل شاب إنكليزي مهذب في أوروبا، لغرض إتمام تعليمه ثم تطور المصطلح بتسمية الشباب الإنكليز الذين كانوا يقومون بهذه الرحلة باسم (Tourists)^(١٧) ثم استخدمت الكلمة بعد ذلك في فرنسا للتعبير عن كل شخص كان يقوم برحلة ما لتحقيق متعة شخصية. واستعارت لغات أخرى عديدة بدورها كلمتي سائح وسياحة (Tourism) من اللغة الفرنسية بمعناها الضيق المقنن على رحلة مجردة من غرض اكتساب المال و بقصد المتعة أو الراحة أو العناية بالصحة^(١٨).

ثانياً: السياحة اصطلاحاً

تعني: التجوال في البلاد للتنزه، أو التفرج، أو غير ذلك؛ حيث كانت تُطلق أيضاً على بعض الزهاد والمتصوفين الذين كانوا يتركون ديارهم ويسبحون في الأرض تفرغاً للعبادة، فهو سائح، جمع سائح وسائحون، والعامة تقول سَوَاح^(١٩).

١٥- محسن أحمد الخضير، التسويق السياحي مدخل اقتصادي متكامل، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩م، ص ١٦٨.
 ١٦- د. محمد فريد عبد الله، السياحة عند العرب تراث وحضارة، ط ١، ج ١، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٢٩.
 ١٧- د. نعيم الظاهر وسراب اليأس، مبادئ السياحة، ط ١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١م، ص ٢٨.
 ١٨- د. كامل محمود، السياحة الحديثة علماً وتطبيقاً، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٦.
 ١٩- محمد فريد عبد الله، السياحة عند العرب تراث وحضارة، مصدر سابق، ص ٢٩.

ثالثاً: نشأة السياحة وتطورها التاريخي

تعود نشأة السياحة إلى بداية الحياة الإنسانية على الكرة الأرضية، حيث كان البشر بحاجة إلى الترحال لأغراض عديدة، سواء أكانت لتأمين الطعام أو أماكن للسكن، أو بحثاً عن أناس للقاء معهم تحقيقاً لغرض اجتماعي^(٢٠)، وقد مرت السياحة بعدة مراحل تاريخية لتطورها وهي كالآتي:

١. السفر في العصور البدائية الأولى: وهو عصر ما قبل التاريخ أي المرحلة التي عاش فيها الإنسان قبل ظهور الكتابة والتي سميت بالعصور الحجرية، واتسمت هذه المرحلة بعدم وجود للحكومات والدول والجيوش والقوانين والأنظمة والنقود وغيرها، وكذلك اتسمت هذه المرحلة بعدم وجود الملكية الفردية وعدم تكامل الوازع الديني، حيث كان الإنسان آنذاك يعيش حياة بدائية مشاعرة، أما بالنسبة لظاهرة التنقل والسفر، فقد كانت موجودة في هذه المرحلة^(٢١).

٢. سياحة القرون الوسطى: تبدأ هذه المرحلة من سقوط الامبراطورية الرومانية عام (٣٩٥م) حتى القرن الخامس ومن المعروف أن الامبراطورية الرومانية تُعد آخر امبراطورية في العصور القديمة وكانت آنذاك مركز إشعاع ثقافي وفكري وتجاري وكان لها الأثر الأكبر في تطور حركة الأسفار، بعد ذلك انتقلت التجارة إلى الدولة البيزنطية وشهدت العصور الوسطى تطوراً في النقل البحري الأوربي وكذلك ظهور الدولة الإسلامية كقوة منافسة وامتدادها إلى بيزنطة عاصمة البيزنطيين وكذلك امتدادا في أوروبا وآسيا وإفريقيا جعل منها دولة ذات إشعاع فكري تطورت خلالها الأسفار بهدف الحج إلى بيت المقدس ومكة المكرمة واشتهار عدد من الرحالة العرب أمثال ابن بطوطة وابن جبير والمسعودي والبلاذري، حيث كان (ابن بطوطة) مثلاً للرحالة والسائح فقد بدأت سياحاته في سنّ الحادية والعشرين واستمر بها (٢٨) سنة شملت الجزائر وتونس ومصر والشام ثم الحجاز والقرم وروسيا وإيران والهند والصين، ثم بعد عودته سافر إلى الاندلس والسودان، وقد دون ذلك في كتابه الشهير (تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)^(٢٢).

٣. الثورة الصناعية: وفترتها (١٧٥٠-١٨٥٠) حيث بدأت نواة السياحة الجماهيرية الموجودة حالياً، وقد تخللت الفترة المذكورة الكثير من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية المهمة مثل الهجرة من الريف إلى المدينة بغية العمل في المؤسسات الصناعية والعيش في الحياة الحضرية، كما أوجدت الثورة الصناعية طبقة اجتماعية وسطى، وازداد وقت الفراغ باستخدام الآلة، فازداد الطلب على السفر من أجل الراحة والاستجمام بشكل بدأ فيه نمط الرحلة الكبرى ينحسر، كما انتشر نمط النزهة اليوم ورحلات

٢٠- د. مصطفى عبد القادر، دور الإعلان في التسويق السياحي دراسة مقارنة، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣، ص٣٨.

٢١- أ. د. مثنى طه الحوري، أ. م. إسماعيل محمد علي الدباغ، مبادئ السفر والسياحة، ط١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠١، ص١٥.

٢٢- د. مرزوك عايد القعيد، د. بركات كامل النمر وآخرون، مبادئ السياحة، ط١، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠١، ص١١.

الترويج عن النفس السياحة الشعبية ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأ العمال يحصلون على إجازة سنوية، وبدل أن يقضوا عطلتهم في المدن والمناطق المتوسطة^(٢٣).

٤. السياحة في العصر الحديث:^(٢٤) تبلور مفهوم السياحة وتطور في هذه المرحلة، كذلك تنوعت أهدافها وتزايدت أعداد السياح بشكل كبير، وامتازت حركت السفر بمختلف وسائل النقل البري والبحري والجوي بكثافة كبيرة لم تشهدها من قبل، وظهرت سياحة المشاهد والاستجمام إلى جانب أنواع السياحات الأخرى، وأيضاً شهدت السياحة في العصر الحديث تطور المؤسسات السياحية والخدمات السياحية وتنوعها، وساهمت الثورات الزراعية والصناعية وما تبعها من تطورات وتحولات تكنولوجية واقتصادية أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في سرعة تطور وانتشار السياحة وحركة السفر وذلك من خلال العوامل التالية:

١. تحسن مستويات التعليم وارتفاعه، وتنامي الرغبة في الإطلاع والتعلم نتيجة لزيادة الوعي لدى السكان بمختلف طبقاتهم وشرائعهم.
٢. التقدم السريع في مجال المواصلات والاتصالات بأنواعها المختلفة.
٣. تزايد أعداد السكان وارتفاع نسبة التحضر في كثير من دول العالم.
٤. تحسين مستويات المعيشة ونوعية الحياة في معظم دول العالم نتيجة لزيادة ارتفاع معدلات دخول الأفراد ونصيبهم من الناتج القومي.
٥. التحولات الاقتصادية والتقنية المتسارعة وما ينجم عنها من تسارع في حركة التجارة والسفر.
٦. التنمية الاقتصادية السريعة والكثيفة أدت إلى زيادة كبيرة في معدلات السفر لأغراض التجارة والأعمال.
٧. تنظيم وتسهيل إجراءات السفر والجمارك على الحدود بين الدول.
٨. الوعي البيئي وتزايد معدلات النمو السكاني.

المبحث الثاني: السياحة في الإسلام

المطلب الأول: فلسفة السياحة في الإسلام

أولى الإسلام عناية خاصة بالسياحة، وقد حثَّ القرآن الكريم في كثير من آياته على السياحة والتفكير والتدبر في قوله تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢٥). هي دعوى إلى تأدية فريضة الحج مما يتطلب السفر والانتقال من مكان إلى آخر للكثير من المسلمين ويتطابق هذا الفعل مع مفاهيم السياحة الحديثة ويطلق على هذا النمط من السفر بالسياحة الدينية، وفي سورة أخرى إشارة أخرى يمكن لنا الاستفادة منها حيث ورد قوله تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا

٢٣- صلاح الدين خربوطلي، السياحة صناعة العصر مكوناتها -ظواهرها- آفاقها، ط١، دار حازم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ٢٠٠٢، ص٢١.

٢٤- د. عثمان محمد غنيم، م. بنيتا نبيل سعد، التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص١٩-٢١.

٢٥- الحج (٢٧)

فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ^(٢٦)، والظاهر من هذه الآية هو الدعوى للنظر في اثار السابقين وما حدث معهم من قصص ليعتبر الانسان ويمكن الاستفادة من هذا المعنى بالدعوة للسفر من اجل النظر الى المواقع التاريخية والتفكر بها وهذا ما يطلق عليه بالسياحة التاريخية في العصر الحديث، وكذلك ورد في سورة أخرى قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾^(٢٧)، وقوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢٨)، وهناك من السيرة ما يشير الى السفر والتنقل حيث نقل الشيخ الطوسي في الآداب الدينية ما رواه عن العترة النبوية قال: إذا أردت الرحيل فصل ركعتين وادعُ الله بالحفظ والكلاءة وودع الموضع وأهله فإن لكل موضع أهلاً من الملائكة، وقل السلام على ملائكة الله الحافظين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته^(٢٩).

ولقد نعى النبي - ﷺ - عن السائح في الأرض بقصد الرهبانية من خلال الحديث الذي رواه علي ابن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر - عليه السلام - قال: سألته عن الرجل المسلم هل يصلح أن يسير في الأرض أو يترهب في بيت لا يخرج منه؟ قال: لا.

ويبدو أنَّ السياحة الرهبانية قد عرفت قبل الإسلام، ولما أراد بعض المسلمين ممارستها رفض النبي - ﷺ - ذلك وعمل على مواجهتها، انطلاقاً من رفض مبدأ التهريب والانقطاع عن الحياة، لذا نراه - ﷺ - يؤكد تارة على أن سياحة امته في الجهاد كما مر، وطوراً: بأنَّ سياحة امته لزوم المساجد وانتظار الصلاة^(٣٠). وروي عن النبي محمد - ﷺ - أنه عند الرجوع من السفر يقول دعاء السفر ويضيف (آيُتُونَ، تَأْتُونَ، غَائِبُونَ، لِرَبَّنَا حَامِدُونَ)، وهناك جملة من الآيات الشريعات تبين المقصود من السير والسياحة، لذلك فالسياحة من منظور إسلامي طالما لا تتعارض أهدافها مع مبادئ الشريعة الإسلامية، فإنه لا خلاف على ذلك، فالإسلام يواكب التطور المفيد ويعانق الحضارة النافعة، ويواخي المدنية الراشدة، بل أنه يربط الجيل المسلم بأجداده وتاريخه، وتربية أبناء الأمة على التواصل النافع والاستفادة من معطيات العصر، فالسياحة في الإسلام مبنية على أساس التعامل السليم مع الآخرين وإظهار مبدأ المحبة والتعايش السلمي بين بني البشر بصرف النظر عن اختلاف المذاهب والأديان^(٣١).

أولاً: الضوابط الإسلامية للسياحة

لقد وضع الإسلام ضوابط للسياحة أهمها: التقيد بمنهج الشرع، وتوجيهاته، وأدلتها، والالتزام بالواجبات الدينية، كإقامة الصلاة، وأداء الزكاة، وإسداء النصح؛ ومنها عدم ترك واجب ديني كترية الأولاد، والإنفاق على المرأة، أو الوالدة، وإضاعة المال، وعدم الوقوع في الحرام، أو الطريق الذي يؤدي إليه، وعدم الإسراف

٢٦- العمران (١٣٧)

٢٧- الروم (٤٢)

٢٨- العنكبوت (٢٠)

٢٩- الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ط ٢، ج ٨، مؤسسة آل البيت - عليه السلام - لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ص ٢٤٠.

٣٠- الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٥٥.

٣١- علي بن فائز الجحيمي وآخرون، الأمن السياحي، ط ١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ٢٠٠٤، ص ٣٧.

في المباح، والابتعاد عن المبالغة في ممارسة الحق الشخصي، مثل: الإسراف في النفقات، والمصروفات، وكذلك هدر الأوقات، وعدم المبالغة في الترفيه، واللعب، والتراخي في الترف، أو الملاهي، وعدم الاستخفاف بقيمة الوقت، كما وضع الإسلام للسياحة بعض القواعد التي عَدَّها إطاراً إسلامياً، ومستنداً دينياً، ومن هذه القواعد قاعدة "دفع المفسد مقدم على جلب المصالح"، فإذا علم السائح أنَّه سيرتكب بعض الذنوب، أو يقع في المحظورات، فعليه أن لا يتردَّد في تركها، وإن كانت ستجلب له بعض المصالح، كمصلحة التعارف مع الآخرين، أو مصلحة جلب بعض السلع^(٣٢).

وبالتالي، فإنَّ للسياحة في المفهوم الإسلامي آداباً وسنناً، يُستحسن للسياح اتِّباعها؛ ولعلَّ أهمُّها ما ورد في الشريعة الإسلامية المباركة من أحكام وآداب للمسافر (السائح) وهي:

١- تصدَّق المسافر قبل الخروج، ولو بما تيسر، وأن يقول: "اللهم إني اشتريت بهذه الصدقة سلامتي، وسلامة سفري، وما معي، اللهم احفظني، وأحفظ ما معي، وسلِّمني، وسلِّم ما معي، وبلغني، وبلغ ما معي، ببلاغك الحسن الجميل"^(٣٣).

٢- يُستحب للمسافر العُسل قبل السفر، وأن يدعو بدعاء الاغتسال.

٣- يستحب الصلاة ركعتين، وأن يطلب من الله الخير في الإقدام على أي عمل، ويقرأ آية الكرسي، ويصلي على النبي -ﷺ- وأن يقول: "اللهم إني أستودعك اليوم نفسي، وأهلي، ومالي، وولدي، ومن كان معي بسبيل، الشاهد منهم والغائب".

٤- يُستحب للمسافر أن يأخذ معه شيئاً من تربة الإمام الحسين -عليه السلام- للتبرك بها.

٥- يستحب التسمية عند السفر.

٦- يستحب للمسافر مساعدة أصحابه في السفر، كما جاء في حديث النبي محمد -ﷺ-: "سيد القوم خادهم في السفر"^(٣٤).

٧- أن يُحسِّن المسافر أخلاقه في السفر، ويتزَيَّن بالحلم. وأن يقرأ عندما يركب وسائل النقل هذا الدعاء: "سبحان الذي سَخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين".

وفي رواية أخرى يُقال عند الركوب: "الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعَلَّمنا القرآن، ومنَّ علينا بمحمد -ﷺ-، سبحان الذي سَخَّر لنا هذا، وما كنَّا له مقرنين، وإنَّا إلى ربِّنا لمنقلبون، والحمد لله ربِّ العالمين، اللَّهُمَّ أنتَ الحامل على الظهر، والمستعان على الأمر، وأنتَ الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، والمال، والولد، اللَّهُمَّ أنتَ عضدي وناظري"^(٣٥).

٣٢- أ. زيد منير عبوي، السياحة في الوطن العربي، "دراسة لأهم المواقع العربية"، ط١، دار الراية للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، ٢٠٠٨م، ص٣٧-٣٨.

٣٣- العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ط٢، ج٩٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، ص١٠٣.

٣٤- ينظر: آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، فقه السياحة والسفر، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، ص٢٤-٢٥.

٣٥- الشيخ محمد بن يعقوب أبو جعفر الكليني، فروع الكافي، ج٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٨٤.

ثانياً: موقف الإسلام من الإنفاق على السياحة

تعد السياحة نوعاً من أنواع التجارة وموقف الإسلام من الإنفاق يأتي ضمن رؤيته الاقتصادية لها، وتنطلق نظرة الإسلام إلى التجارة في دعوته إلى التاجر بالتحلي بالصدق والعفة والأمانة، ونهى عن الغش وسوء الاستغلال وغيرها من الصفاء المذمومة، التي تحول الإنسان إلى صورة شوهاء، لها هم لها إلا كسب المال واكتنازه^(٣٦).

لقد أوجب الإسلام على المسلم عدم إنفاق أمواله على السياحة المحرمة، ومخالفة أحكام الشريعة الإسلامية، وعلى سبيل المثال لا يجوز الذهاب إلى المسارح والسينما وأماكن الاصطياف التي فيها العري وكشف العورات لمشاهدة ما يخالف الشريعة الإسلامية، ولا يشتري التماثيل والتصاوير المحرمة شرعاً، ومن جانب آخر يجب الالتزام بالأولويات الإسلامية عند الإنفاق على الترويح والتي تتمثل في الضروريات والحاجيات والتحسينات، ولا يجوز للمسلم على الإسراف في الإنفاق على الترويح حتى لا يكون من المسرفين المبذرين، فإذا التزم الفرد ورب الأسرة بهذه الضوابط الإسلامية كان ترويجه حلالاً أثيب على ذلك^(٣٧).

وقد أخبر سبحانه أن من أنفق ماله في معصية الله فقد صار أخاً للشياطين لمشاجته لهم في الشر وهي غابة في المذمة فإنه لا أشر من الشيطان أو لأن الشياطين هم الذين يأمرهم بالشر والفساد وإنفاق المال في معصية الله فصاروا اخواناً لهم لطاعتهم لهم^(٣٨).

المطلب الثاني: الضوابط الشرعية للإعلان السياحي

ومن أهم التعليمات الأخلاقية والمسؤولية الاجتماعية للإعلان التي يتوجب على المعلن والمكاتب الإعلانية في البلد، التأكد من أن اعلاناتهم لا تتخطى المعايير الأخلاقية والاجتماعية، حيث ان هناك بعض الرسائل الاعلانية يمنع نشرها وهي^(٣٩):

١. إذا تضمن الإعلان ما يسيء بصورة مباشرة أو غير مباشرة للمفاهيم والقيم والاعتبارات الدينية والوطنية والاجتماعية.
٢. الإشارات التي يفهم منها الإهانة أو الاستهزاء أو التقليل من شأن الآخرين، وكذلك تلك التي تسيء إلى الشعوب أو الأجناس أو الطوائف.
٣. الإعلانات التي تشكل إساءة إلى العلاقات الأسرية أو الزواج.
٤. الإعلانات عن الخمر والسكائر.
٥. إعلانات الحفلات الباذخة وكل مظاهر الترف في المناسبات الاجتماعية، لما لها من آثار سيئة على المجتمع في ظل ظروف الحصار.
٦. الإعلانات التي تظهر العنف أو الرعب أو الجريمة.

٣٦- د. مصطفى عبد القادر، دور الإعلان في التسويق السياحي، مصدر سابق، ص ٨٤.

٣٧- حسين شحاته، اقتصاديات الترويج في المنهج الإسلامي، مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد (١٩٧) السنة السابعة عشرة، أغسطس، ١٩٩٧، ص ٣٤.

٣٨- الزنجشيري، الكشف، ط ١، ج ٢، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٩٩٨، ص ٤٤٦.

٣٩- ينظر: د. كريم مشط الموسوي، أخلاقيات الإعلان، ط ١، دار ومكتبة البصائر، بيروت، لبنان، ٢٠١١، ص ١٠٧.

٧. الإعلانات التي تثير الغرائز وتشكل إساءة للأخلاق والآداب العامة.
٨. الإعلانات التي تظهر حالات التنجيم وقراءة الكف والشعوذة والسحر.
٩. الإعلانات التي تتاجر بالشعارات الوطنية للأنشطة الخاصة، بهدف تحقيق أرباح كاستخدام مفردات كسراً للحصار.
١٠. عدم التوسع بنشر الإعلانات التجارية في الصحف اليومية.
١١. الحرص على أن تكون اللغة العربية في الإعلان سليمة وخالية من الغموض.
١٢. استخدام وسائل الاتصال المباحة شرعاً من مقروءة ومسموعة ومرئية، وتجنب وسائل الإعلام التي تقوم بتسويق بعض الأماكن المشبوهة، وخصوصاً تجنب الإعلانات غير الاخلاقية التي تنشر في وتعرض في بعض وسائل الاتصال والسيوشال ميديا.
١٣. إن الإعلان السياحي الملتزم بالشريعة الإسلامية هو الذي يسعى لنشر مبادئ وتعاليم وثقافة الدين الإسلامي، مع الخدمات أو السلع أو الأهداف المرجوة منه.
١٤. اتباع الصدق في الإعلان السياحي وتجنب الكذب على السياح وخداعهم كأن يعلن عن زيارة منطقة معينة دون الالتزام بما موجود في الإعلان.
١٥. إبراز شخصية المعلن في الإعلان السياحي، حيث تفيد المعلومات عن طبيعة المعلن وحالته ووضعيته، سواء أكان مؤسسة أو شخص، أو دولة.
١٦. يتعين على الإعلان السياحي إدراك حجم المسؤولية الفنية والتقنية الإخراجية الملقاة على عاتقه، فنياً وشرعياً، لأن كل مستخدم للفن يصبغه بصبغته، فمن واجب الإعلان السياحي الإسلامي تسخير لخدمة الإسلام والمسلمين.
١٧. ينبغي على الإعلان السياحي الاضطلاع بدور المعرف للمسلمين على البلدان السياحية، وأماكن السياحة فيها من دون الحاح عليهم، فهو لا يجذب الجمهور نحوه بالاستثارة أو بالإغراء بل مضمونه التعليمي والتعريف والتربوي المهم والمفيد^(٤٠).

النتائج والتوصيات

من خلال ما تقدم في متن البحث اظهرت جملة من النتائج والتوصيات أهما ما يأتي:

أولاً: النتائج

١. تبين أن السياحة مستحبة تراد لعدة أمور منها طلب العلم والمعرفة والترويح عن النفس ما لم يخالطها فساد أو إفساد.
٢. تأثر الكثير من السياح عند السفر تأثراً سلبياً، حيث تتأثر أخلاقه ويضعف تطبيق الدين في أسفاره، ويقل التمسك بعادات المجتمع الذي تربى فيه السائح، وقد يتنازل عن بعض مبادئه ومنطلقاته في الحياة بسبب تعايشه مع مجتمع جديد لغرض السياحة.

٣. السياحة في الإسلام نوع من أنواع العبادات ان كان القصد منها خيراً وفي بعض الأحيان قد تكون واجبة إذا انحصر طلب العلم أو تعليمه بها لأن طلب العلم وتعليمه واجب وكذلك نهى عن السياحة الفاسدة وأكد على السياحة الصالحة.
٤. يعد الإعلان الإسلامي نشاطاً اتصالياً غير شخصي وابتداعاً فنياً مشروعاً يعتمد على الوضوح في عرض المنتج السياحي مع الإفصاح عن طبيعة المنتج حتى يستقبلها السائح وهو مرتاح البال بشرط أن لا يدعو إلى حرام.
٥. تتمثل ضوابط الاعلانات في عدم الاعلان عن المحرمات، إلا يكون في الإعلان ما يثير الغرائز والشهوات، وان لا تتعارض مع عقيدة المسلم، وان لا يكون في الإعلان ذم لسلع الآخرين.

ثانياً: التوصيات

- توصل البحث إلى العديد من التوصيات أهمها:
١. عدم الترويج للسياحة الجنسية أو الخليعة أو الترويج لشرب الخمر والزنا والفجور والقمار المصادم لقواطع الفواحش المحرمة شرعاً في الإعلان السياحي.
 ٢. عدم الاكتثار من تبذير المال وانفاقه فيما لا نفع فيه، وضياع المال والوقت والجهد في غير نفع.
 ٣. عدم السفر لأجل ما هو محرم كالسفر لحضور المهرجانات السينمائية والمهرجانات الغنائية أو لأجل غير ذلك من المحرمات الشرعية في السياحة.
 ٤. ضرورة ملء الساحة الإعلامية والإعلانية بمادة الإعلان الإسلامي المتكامل مثال على ذلك الإعلان عن مواسم الحج وتبادل السلع المادية المواكبة لموسم الحج.
 ٥. وضع قوانين وأنظمة للإعلانات السياحية وفق ضوابط شرعية محددة لا يمكن تجاهلها، حيث تظهر للعيان المخالفات الشرعية واضحة في الإعلانات المعروضة في الوسائل الإعلانية المختلفة ومواقع التواصل الاجتماعي.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

أولاً: الكتب

١. بشير العلاق وآخرون، الترويج والإعلان التجاري أسس ونظريات، تطبيقات مدخل شامل، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م.
٢. جمال الدين، محمد بن مكرم، ابن منظور أبو الفضل، لسان العرب، مادة (عَلَن)، ج ١٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.
٣. خالد بن عبد الرحمن آل دغيم، الإعلام السياحي وتنمية السياحة الوطنية، ط ١، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٤.
٤. الزمخشري، الكشاف، ط ١، ج ٢، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٩٩٨.

٥. زيد منير عبوي، السياحة في الوطن العربي، "دراسة لأهم المواقع العربيّة"، ط ١، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠٠٨م.
٦. سامي عبد القادر سعيد، التسويق والمبيعات في صناعة السياحة والفنادق، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٨.
٧. صفوة العالم، عملية الاتصال الإعلاني، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٩٨.
٨. صلاح الدين خربوطلي، السياحة صناعة العصر مكوّناتها-ظواهرها-آفاقها، ط ١، دار حازم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ٢٠٠٢.
٩. الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، مؤسسة تحقيقات ونشر معارف أهل البيت-عليه السلام-، قم، إيران.
١٠. عبد الجبار منديل، الإعلان بين النظرية والتطبيق، دار البارودي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.
١١. عثمان محمد غنيم، بنيتا نبيل سعد، التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل، ط ١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٩.
١٢. علي بن فائز الجحيمي وآخرون، الأمن السياحي، ط ١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ٢٠٠٤.
١٣. فداء حسين أبو ديسة، خلود بدر غيث، تصميم الإعلان والترويج الإلكتروني، ط ١، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.
١٤. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: أبو الوفاء نصر الهورني، مادة علن، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.
١٥. كامل محمود، السياحة الحديثة علما وتطبيقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
١٦. كريم مشط الموسوي، أخلاقيات الإعلان، ط ١، دار ومكتبة البصائر، بيروت، لبنان، ٢٠١١.
١٧. مثنى طه الحوري، إسماعيل محمد علي الدباغ، مبادئ السفر والسياحة، ط ١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠١.
١٨. محسن أحمد الخضير، التسويق السياحي مدخل اقتصادي متكامل، مكتبة مدبولي، ١٩٨٩م.
١٩. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ط ٢، ج ٩٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨.
٢٠. محمد بن يعقوب أبو جعفر الكليني، فروع الكافي، ج ٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، ٢٠٠٥م.
٢١. محمد تقي المدرسي، فقه السياحة والسفر، ط ١، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
٢٢. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٩، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.

٢٣. محمد فريد عبد الله، السياحة عند العرب تراث وحضارة، ط ١، ج ١، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢٤. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، مادة (عَلَن)، م ٨، ط ١، دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.
٢٥. مرزوك عايد القعيد، بركات كامل النمر وآخرون، مبادئ السياحة، ط ١، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠١م.
٢٦. مصطفى عبد القادر، دور الإعلان في التسويق السياحي دراسة مقارنة، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.
٢٧. مصطفى يوسف كافي، دراسات في الإعلام والإعلان السياحي، ط ١، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.
٢٨. منى الحديدي، الإعلان، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ١٩٩٩.
٢٩. الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ط ٢، ج ٨ و ج ١٦، مؤسسة آل البيت - (عليه السلام) - لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.
٣٠. نعيم الظاهر وسراب اليأس، مبادئ السياحة، ط ١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١م.

ثانياً: المجلات والدوريات

١. حسين شحاته، اقتصاديات الترويج في المنهج الإسلامي، مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد (١٩٧) السنة السابعة عشرة، أغسطس، ١٩٩٧.
٢. حسين محمد فهم، أدب الرحلات، مجلة سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٣٨، الكويت، ١٩٨٣.
٣. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الموسوعة الفقهية، ج ٥، ط ٢، الكويت، ١٩٨٦م.
٤. يحيى النجار، دالة استثمار صناعة السياحة، مجلة البحوث الاقتصادية، المجلد الثاني عشر، العددان الأول والثاني، ٢٠٠١م.

ثالثاً: المصادر الأجنبية

- 1- Gee, Chuck Y. "International Tourism: A Global Perspective" - W.T.O. - Madrid 2nd Edition, 1999 p 5.

الصفقة في التوجه السياسي للرئيس الامريكي دونالد ترامب تجاه دول الخليج العربية

*The deal In the political direction of US President
Donald Trump Towards the Gulf States*

م. مؤيد جبار حسن^(١) Lect. Muayed Jabbar Hassan

الملخص

الصفقة مفهوم تجاري اقتصادي ارتبط في الثقافة السياسية الامريكية، وبشكل واضح لدى ترامب، مع الجانب السياسي، ليشكل حالة من تبادل المنافع الاقتصادية والسياسية في آن واحد لما فيه مصلحة الاطراف المتبادلة تلك.

وفي بحثنا هذا سنركز على مفهوم مثير للجدل، و الذي نعتقد انه يحكم التوجه والعمل السياسي للرئيس ترامب، الا وهو مفهوم الصفقة. وسنحاول التعرف عليه عن قرب وتحليل مآلاته الفكرية والعملية على توجه الرئيس الامريكي في صنع القرار الداخلي والخارجي.

ومن ناحية هيكلية البحث، وضعنا ثلاثة مباحث، الاول منها: الصفقة في السياسة الامريكية، وفيه مطلبين المطلب الاول: ماهية الصفقة السياسية، والثاني: الصفقة في الحياة الامريكية. اما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: السياسة الامريكية تجاه دول الخليج العربية: وفيه مطلبين، الاول: تجاه المملكة العربية السعودية، والثاني: تجاه باقي دول الخليج العربية. اما المبحث الثالث فيركز الضوء على: الصفقة في التوجه السياسي لترامب، وفيه المطلب الاول: في فكر ترامب ونهج، والمطلب الثاني: في سياسته الداخلية والخارجية. ثم خاتمة البحث ومصادره.

الكلمات المفتاحية: الصفقة السياسية، دونالد ترامب، دول الخليج العربية.

^١ - مركز الدراسات الاستراتيجية/جامعة كربلاء.

Abstract

The deal is an economic trade concept that has been linked to the political culture of the United States, and clearly Trump, with the political side, to form a state of mutual economic and political benefits at the same time for the benefit of those parties.

In our research, we will focus on a controversial concept, which we believe governs the direction and political action of President Trump, the concept is the deal. And we will try to identify it closely and analyze its intellectual and practical mechanisms on the direction of the US president in internal and external decision-making.

In terms of the structure of the research, we put three questions, the first of which: the deal in US politics, and the first requirement: what is the political deal, and the second: the deal in American life. The third topic focuses on: the deal in the political direction of Trump, and the first requirement: the first is the policy of the Gulf states, In Trump's thought and approach, and the second demand: in his internal and external policy. Then the conclusion and sources of research.

المقدمة

لا يخفى على احد، مهما كان مستواه العلمي والثقافي، ما للولايات المتحدة من اهمية على مستوى دول العالم، وأهم مؤسسة داخل تلك الدولة هي الرئاسة، بعد امريكا بلداً ذو نظام رئاسي، حيث يمتلك الاخير صلاحيات كبيرة في صنع القرار والسياسة الداخلية والخارجية.

وبسبب الاخفاقات التي واكبت مدة رئاسة اوباما، عاقب الشعب الامريكي تلك الحقبة المثالية بالتوجه وبقوة نحو ما يريد فعلاً وما يتحرك داخل نفسه من رغبات واماني، فكان دونالد ترامب، بما يمثله من ظاهرة فكرية، خيارهم الاكيد، رغم كل الانتقادات الداخلية والخارجية، فالشعب قال كلمته.

دونالد ترامب الرئيس بعقلية التاجر وصاحب المال ومدير الشركات العملاقة، وقبل توليه المنصب وحتى ترشحه له، أظهر بجلاء منظومته الفكرية القائمة على اساس الربح والخسارة. والتاجر الناجح من يستطيع ان يبرم صفقات مربحة مع الاخرين، لتعاضد موارده ويزداد شهرة.

وفي بحثنا هذا سنركز على مفهوم مثير للجدل، و الذي نعتقد انه يحكم التوجه والعمل السياسي للرئيس ترامب، الا وهو مفهوم الصفقة. وسنحاول التعرف عليه عن قرب وتحليل مآلاته الفكرية والعملية على توجه الرئيس الامريكي في صنع القرار الداخلي والخارجي.

ومن ناحية هيكليّة البحث، وضعنا ثلاثة مباحث، الاول منها: الصفقة في السياسة الامريكية، وفيه مطلبين المطلب الاول: ماهية الصفقة السياسية، والثاني: الصفقة في الحياة الامريكية. اما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان: السياسة الامريكية تجاه دول الخليج العربية: وفيه مطلبين، الاول: تجاه المملكة العربية السعودية، والثاني: تجاه باقي دول الخليج العربية. اما المبحث الثالث فيركز الضوء على: الصفقة في التوجه

السياسي لترامب، وفيه المطلب الاول: في فكر ترامب ونهجه، والمطلب الثاني: في سياسته الداخلية والخارجية. ثم خاتمة ومصادر البحث.

المبحث الاول: الصفقة في السياسة الامريكية

كُتِبَ الكثير من البحوث والدراسات والكتب عن السياسة الامريكية، والخارجية منها على وجه الخصوص. وتلونت كل مجموعة من تلك المؤلفات بصيغة خاصة حسب كل رئيس وحقبته الخاصة به. ومن هنا سنركز على حقبة الرئيس الامريكي موضوع الدراسة دونالد ترامب، وتقضي معنى الصفقة التي أصبحت نهجه السياسي والصفة المميزة لعهد.

المطلب الاول: ماهية الصفقة السياسية

الصفقة لغة: أسم المرة من الصفق، وهو الضرب باليد على اليد الاخرى او على يد شخص اخر عند البيع. وقد كانت عادة العرب إذا وجب البيع ضرب أحد المتبايعين يده على يد صاحبه. ثم استعملت الصفقة بمعنى عقد البيع نفسه في العرف وفي الاصطلاح الفقهي أيضا إذا تم وكمل.^(٢) وفي كشاف اصطلاحات الفنون: الصفقة في اللغة ضرب اليد على اليد عند البيع او البيعة، وشرعا هي العقد نفسه. وفي النهاية: الصفقة المرة من البيع، او هو التبايع لأن المتبايعين يضع احدهما يده في يد الاخر عند البيع. وفي حديث أبي هريرة: "ألهامهم الصفق بالأسواق" أي التبايع. وصفق له بالبيع، ضرب يده على يده. وذلك عند وجوب البيع.^(٣)

الصفقة (Transaction Affaire) يعرفها الاستاذ محمد جبر بمعاملة البيع او الشراء، وتطلق الصفقة على التعامل بسعر منخفض. ويطلق الفقهاء الصفقة على العقد.^(٤)

هذا عن الصفقة كمفهوم تجاري يحاكي تعامل الناس السلي في ما بينهم، لكن ما هو حال هذا المفهوم ان اقترن بالسياسة، والتي هي بالتالي لا مناص من الوقوع تحت طائلتها.

فالمواطن يتعامل مع السياسة عند تصريف أمور الدولة، المدينة، المدرسة، والشركة والنقابة والحزب السياسي.... وغير ذلك كثير من منظمات عديدة أخرى. فالسياسة هي حقيقة من حقائق الوجود الانساني لا يمكن تجنبها، فكل فرد يجد نفسه مشتركا بطريقة ما، في لحظة ما، في شكل ما من أشكال النظم السياسية.^(٥)

اما مفهوم السياسة فله تعريفات كثيرة، فهو طريقة يمكننا من خلالها ان نفهم وننظم شؤوننا الاجتماعية، وهي الوسائل التي يستطيع من خلالها بعض الافراد والجماعات السيطرة على الوضع أكثر من الاخرين،

٢- نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار القلم، ط١، دمشق-سوريا، ٢٠٠٨، ص٢٧٩.

٣- احمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجليل، بيروت - لبنان، ١٩٨١، ص ٢٥٤.

٤- محمد جبر الافقي، معجم المصطلحات التجارية الشرعية والنظامية، سلسلة اصدارات الكرسي، الرياض-السعودية، هـ١٤٣١، ص٣٩.

٥- روبرت أ.دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة علا ابو زيد، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ط٥، القاهرة-مصر، ١٩٩٣، ص٧.

الصفقة في التوجه السياسي للرئيس الامريكى دونالد ترامب تجاه دول الخليج العربية وهو مفهوم نستخدمه كجزء من النماذج والاطر الذهنية التي نفسر من خلالها او نحاول ان نفهم العالم من حولنا.^(٦)

ساس- سياسة الدواب: قام عليها وراضها/ و- القوم: دبرهم وتولى امرهم/ و- الامر: قام به، فهو سائس ساسة وسواس/ ويقال فلان مجرب قد ساس وسييس عليه أي أدب و أدب. وسوس فلان امر القوم: ملك عليهم. أساسه الناس: أي رأسه. الساس: السائس. السياسة: استصلاح الخلق بارشادهم الى الطريق المنجي في العاجل او الاجل/ فن الحكم وادارة اعمال الدولة الداخلية والخارجية؛ ومنها السياسة الداخلية والسياسة الخارجية.^(٧)

والسياسة في القانون الدستوري، ترتدي معان مختلفة: فن حكم الحاضرة(الدولة) بقصد بلوغ ما يعتبر كأنه الغاية العليا للمجتمع، علم حكم الدول، طريقة الحكم (يقال مثلا، سياسة لبرالية، سياسة سلطوية، سياسة رجعية) مجموع الشؤون العامة(مثلا السياسة الداخلية، السياسة الخارجية، سياسة الاستخدام، الخ).^(٨)

انه لامر إشكالي فعلا تعريف المفاهيم في الحقول المعرفية العلمية كالفيزياء والكيمياء، لكن لو قمت بذلك، فمن غير المحتمل ان تتهم مباشرة بالفشل في فهم المشكلة؛ أي: الافتقار للموضوعية العلمية او الادلاء بافتراضات غير مضمونة، كما هي حال الكاتب في مجال السياسة. وإحدى المشاكل ترتبط بما إذا كنا نتحدث عن السياسة بوصفها نشاطا إنسانيا ام بوصفها نشاطا اكاديميا؟^(٩)

استعملت كلمة (سياسة) بمعنى (إدارة) (Administration) عندما أتبعته باسم موضوع، وذكرت بميدان نشاط ما: (كسياسة النقل) و (سياسة صناعة السيارات) و (سياسة الطاقة) و (سياسة جهاز العاملين) إلخ... في هذه الحالات، نذكر من خلال هذا التعبير الوجود الموضوعي لمشكلة يطرحها على الناس الواقع الطبيعي او الاجتماعي. ونسمي (سياسة) مجموعة الاهداف المحددة، والوسائل المستخدمة في هذا الميدان، مع الاخذ بالحسبان الامكانيات التي يعرضها والاكراهات التي يفرضها.^(١٠)

ويعرف باتريك هـ. اونيل السياسة بأنها الصراع ضمن أي مجموعة على النفوذ الذي يمنح فردا او اكثر القدرة على اتخاذ قرارات نيابة عن المجموعة. وقد تتراوح هذه المجموعة من مؤسسة صغيرة الى دولة بأسرها او سكان الكرة الارضية برمتها. فالسياسة تتواجد في أي مكان توجد فيه مؤسسة وسلطة.^(١١)

ولكن التعريف الحديث يشمل حكم الدول والمجتمعات الانسانية الاخرى، وكلمة الحكم تعني عندئذ، في كل جماعة من الجماعات، السلطة المنظمة ومؤسسات القيادة والاكراه. ان الاختصاصيين يتجادلون في

٦- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، دار الكتب العربية، القاهرة-مصر، ص٢٤٦.

٧- المنجد في اللغة والادب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، ط١٩٦، بيروت-لبنان، ص٣٦٢.

٨- احمد سيفان، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠٠٤، ص٢١٤.

٩- ستيفن د. تانسي و نايجل جاكسون، أساسيات علم السياسة، ترجمة محيي الدين حميدي، دار الفرقد، ط١، دمشق-سوريا، ٢٠١٦، ص٢٨.

١٠- جان ماري دانكان، علم السياسة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت-لبنان، ١٩٩٧، ص٢٦.

١١- باتريك هـ. اونيل، مبادئ علم السياسة المقارن، ترجمة باسل جبيلي، دار الفرقد، ط١، دمشق-سوريا، ٢٠١٢، ص١٣.

هذا. فبعضهم ما يزال يرى ان السياسة هي علم الدولة من حيث ان الدولة هي السلطة المنظمة في الجماعة القومية. ولكن أكثر الباحثين يرون ان السياسة هي علم السلطة المنظمة في الجماعات الانسانية كافة.^(١٢) ومن ما تقدم، يمكن القول ان الصفقة السياسية هي الفعل السياسي أستنسخت الياته وطرائقه من الفعل التجاري، بمعنى اخر، الصفقة التي تقترن بالسياسة يسعى اطرافها الى تحقيق اعلى الارباح في مقابل ادنى الخسائر. وهنا يتشابه التاجر الناجح مع السياسي الناجح عدا ان الثاني يحكم الدولة التي تعمل بها شركة الاول.

المطلب الثاني: الصفقة في الحياة الامريكية

الصفقة قيمة مجتمعية في المجتمع الامريكي، يمكن ان نلاحظها في قطاعات الحياة المختلفة، كالتجارة والقانون والسياسة وغيرها.

فمثلا في قطاع القانون، المساومة على الاعتراف بالولايات المتحدة شائعة جدا. يتم تسوية الغالبية العظمى من القضايا الجنائية في الولايات المتحدة من خلال اتفاق الإقرار بالذنب بدلاً من المحاكمة أمام هيئة محلفين. كما ازدادت وتيرتها - حيث ارتفعت من ٨٤٪ من الحالات الفدرالية في عام ١٩٨٤ إلى ٩٤٪ بحلول عام ٢٠٠١. وتخضع المساومات المتعلقة بالموافقة على الاعتراف بموافقة المحكمة، وقواعد الولايات المختلفة والاختصاصات القضائية.^(١٣)

من شأن قراءة الصفقة أن تكون لها نتيجة غريبة تتمثل في منح المدعي العام سلطة تقديرية لا يمكن فرضها، إما لفرض أو تخفيف الحكم المعز من خلال اختيار توجيه الاتهام ومحاكمة المدعى عليه سواء في محاكمات منفصلة أو بموجب لائحة اتهام واحدة متعددة الأطراف.^(١٤) وتساعد المساومة تلك على توفير الوقت وتكاليف المحاكمات من خلال السماح للمدعي العام بالحصول على اعترافات بالذنب في القضايا التي قد تذهب للمحاكمة. يجب أن يوافق القاضي على صفقة الإقرار قبل قبول الطلب. ويجادل منتقدو المساومة على الاعتراف بأنه قد يتم استخدام القوة لاستخراج الاعترافات على جرائم لم يرتكبها المدعى عليهم، وأنه يؤدي إلى إطلاق سراح الجناة الخطرين في وقت مبكر للغاية.^(١٥)

اما في الجانب السياسي، فيبرز على السطح تساؤل حول وجود الصفقة في زمن الادارات التي سبقت ادارة ترامب، وهل كان استخدامها منتشر كما هو الان في عهد الرئيس الحالي؟

وستتناول بالبحث الرئيس السابق بوش الابن والرئيس السابق اوباما، لكي نقارن بين حقبتين من الحكم الذي اختلفت فيه توجهات الرجلين ومدى تأثيرهما الايجابي والسلبي على بلديهما والعالم كذلك.

١- بوش الابن: هو ابن الرئيس الأميركي الواحد والأربعين جورج هربرت ووكر بوش، وهو ثاني ابن رئيس يتقلد الرئاسة الأميركية، بعد أن سبقه إلى ذلك الرئيس الأميركي السادس جون كوينسي آدمز ابن ثاني رؤساء أميركا جون آدمز.

^{١٢} - موريس دوفرجه، مدخل الى علم السياسة، ترجمة سامي الدروبي و جمال الاتاسي، دار دمشق للطباعة، دمشق-سوريا، ص٧. Wikipedia, Plea bargaining in the United States, https://en.wikipedia.org/wiki/Plea_bargaining_in_the_United_States.

^{١٤} - DEAL v. UNITED STATES, <https://caselaw.findlaw.com/us-supreme-court/508/129.html>.

^{١٥} - Plea Bargain Law and Legal Definition, <https://definitions.uslegal.com/p/plea-bargain/>

بوش الابن ٢٠٠٠-٢٠٠٨ ينتمي للمدرسة الواقعية، احتلت في مرحلة حكمه دولتان وهما العراق وأفغانستان وعانى الاقتصاد الاميركي جدا جراء هذه الافعال.^(١٦)

تعرضت الولايات المتحدة الأميركية في عهده (٢٠٠١/٩/١١) إلى أكبر هجوم في تاريخها حيث تم تفجير برج مركز التجارة العالمي وجزء من مبنى البنتاغون. وأسفرت هذه الانفجارات عن مقتل قرابة أربعة آلاف أميركي. واتهمت إدارة بوش تنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن. ومن ثم وجهت آلتها العسكرية إلى أفغانستان الأمر الذي أحدث دمارا وقتلا هائلين. بعدها وضعت إدارة بوش عدة منظمات عربية وإسلامية إضافة إلى دولتين هما العراق وإيران ضمن قائمة الإرهاب التي أعلنتها إدارة بوش. ويأخذ بعض المحللين على إدارة بوش عدم تمييزها بين أعمال المقاومة لتحرير الأرض والعمليات الإرهابية كما ينتقدون موقفه الداعم لإسرائيل في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت في أيلول ٢٠٠٠ ولا تزال أحداثها جارية حتى الآن.^(١٧)

قبل أحداث 11 ايلول 2001 بدت الإستراتيجية الأميركية في عهد جورج بوش الابن متأثرة بشكل كبير بما جاء به مشروع القرن الأميركي حيث ركزت مبادؤه على إبقاء تفوق الولايات المتحدة الأميركية و ذلك بمنع ارتفاع أي قوة عظمى منافسة، كما كان على الولايات المتحدة الأميركية استغلال الفرصة الفريدة في تمتعها بكل عناصر القوة لتجسيد ذلك و العمل على احتفاظها بالهيمنة العسكرية لعقود قادمة، و ذلك باستغلال الثروة الحاصلة في الشؤون العسكرية و إبقاء التفوق الاستراتيجي النووي، بالإضافة إلى هذه الأهداف، فالاستراتيجية الأميركية لا تهمل مضمونها القيمي الذي يسعى دائما لنشر القيم الأميركية و حمايتها عبر العالم كالديمقراطية و حقوق الإنسان و حرية السوق.^(١٨)

١-١ سياسته الخارجية

بعد تولي جورج بوش الابن الادارة الاميركية مع بداية الالفية الثالثة والذي احاط نفسه بمجموعة من المحافظين الجدد وتبنى سياستهم، فقد اسهمت الادارة الجديدة بتغيير السياسة الخارجية، واعتمادها على مبدأ القوة مستخدمة سياسة الضربة الاستباقية ضد الجماعات الارهابية، بدلا من سياسة الردع والاحتواء التي كانت النهج الذي سلكته الولايات المتحدة في سياستها السابقة.^(١٩)

تعرضت الولايات المتحدة الأميركية في عهد بوش الابن إلى أكبر هجوم في تاريخها حيث تم تفجير برج مركز التجارة العالمي وجزء من مبنى البنتاغون. واتهمت إدارة بوش تنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة

^{١٦} علي اغوان، تحليل السياسة الخارجية الاميركية في عهد خمس رؤساء، مركز النهريين للدراسات الاستراتيجية، الرابط: <https://www.alnahrain.iq/post/113>.

^{١٧} جورج دبليو بوش: الرئيس الثالث والأربعون، شبكة الجزيرة، الرابط: <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/691dc7bb-e272-4386-9df6-92209657f3fb>

^{١٨} - قاسم اسماء امينة، التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الاميركية تجاه ايران وانعكاساتها على دول المنطقة، رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي بو نعمة خميس مليانة/ كلية الحقوق والعلوم السياسية، حزيران ٢٠١٥، الجزائر، ص ٥٢.

^{١٩} - مازن احمد صدقي العقيلي، السياسة الخارجية الاميركية بين التغيير والاستمرارية في عهد ادارتي جورج بوش الابن وباراك اوباما، مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية، مج ١٧، العدد ٣، تموز ٢٠١٦.

بن لادن بالوقوف وراء الهجوم، ومن ثم وجهت آلتها العسكرية إلى أفغانستان الأمر الذي أحدث دماراً وقتلاً كبيرين رغم أنه لم تثبت عن طريق لجنة تحكيم دولية محايدة مسؤولية تنظيم القاعدة عن الهجوم.^(٢٠)

٢-١ سياسته الداخلية

الامن الداخلي: فعلى المستوى الامني؛ وفي أعقاب هجمات ١١ أيلول، اقترحت إدارة بوش ووافق الكونغرس، على سلسلة من القوانين التي قيل أنها ضرورية لمقاضاة "الحرب على الإرهاب". وشملت هذه مجموعة واسعة من برامج المراقبة، التي تعرض بعضها لانتقادات لاذعة من جماعات الحريات المدنية لتجاوزها على بعض الحريات المدنية داخل امريكا وخارجها.

المبادرات القائمة على الإيمان: في أوائل عام ٢٠٠١، عمل الرئيس بوش مع الجمهوريين في الكونغرس لإقرار تشريع يغير الطريقة التي تنظم بها الحكومة الفيدرالية، وتخضع للضرائب وتمول المؤسسات الخيرية والمبادرات غير الربحية التي تديرها المنظمات الدينية. على الرغم من أنه قبل التشريع كان من الممكن لهذه المنظمات أن تتلقى مساعدة فيدرالية، إلا أن التشريع الجديد قد أزال متطلبات الإبلاغ، والتي تطلبت من المنظمات فصل وظائفها الخيرية عن وظائفها الدينية. كما أنشأ بوش مكتب البيت الأبيض للمبادرات الدينية والمبادرات الإيمانية.

الناحية الاقتصادية: وفقاً للمكتب الوطني للبحوث الاقتصادية، عانى الاقتصاد من ركود استمر من آذار ٢٠٠١ إلى تشرين الثاني ٢٠٠١. خلال إدارة بوش، نما الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي بمعدل سنوي متوسط قدره ٢,٥ ٪. ظل التضخم في ظل بوش بالقرب من أدنى مستوياته التاريخية عند نحو ٢-٣ ٪ في السنة. وأدى الركود وانخفاض بعض الأسعار إلى القلق بشأن الانكماش من منتصف عام ٢٠٠١ إلى أواخر عام ٢٠٠٣. وتشمل المشاكل طويلة الأجل عدم كفاية الاستثمار في البنية التحتية الاقتصادية، وارتفاع تكاليف العلاج والتقاعد السريع لسكان مسنين، وعجز كبير في الميزان التجاري والميزانية.

الرعاية الصحية: في تموز ٢٠٠٢، قطع بوش التمويل الأمريكي لصندوق الأمم المتحدة للسكان. ذكر بوش أن صندوق الأمم المتحدة للسكان دعم عمليات الإجهاض والتعقيم القسري في جمهورية الصين الشعبية. وقع الرئيس على قانون الرعاية الطبية لعام ٢٠٠٣، الذي أضاف توفير الأدوية إلى Medicare (الولايات المتحدة)، وحظر على الحكومة الفيدرالية التفاوض على خصومات مع شركات الأدوية. وقع بوش على قانون حظر الإجهاض الجزئي في عام ٢٠٠٣، بعد أن أعلن عن هدفه "لتعزيز ثقافة الحياة".

وأخيراً يمكن القول ان جورج بوش استخدم الكثير من التكتيكات والاستراتيجيات في حياته السياسية لكن لم يكن من بينها الصفقة السياسية، ليس بشكل واضح تكلم عنه الخبراء والباحثين.

٢- باراك أوباما واسمه الكامل باراك حسين أوباما الابن؛ هو الرئيس الرابع والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية من ٢٠ / كانون الثاني / ٢٠٠٩ وحتى ٢٠ / كانون الثاني / ٢٠١٧، وأول رئيس من أصول أفريقية يصل للبيت الأبيض. حقق انتصاراً ساحقاً على خصمه جون ماكين وذلك بفوزه في بعض معاقل الجمهوريين.

٢٠- جورج بوش(الأبن).. الحرب على الإرهاب، موقع الجزيرة الاخباري، الرابط:
<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/9bd2e82e-d37b-4512-8eb3-90feabae9e7>

وسنركز هنا على مدة رئاسة أوباما، بعدها التي سبقت الرئاسة الحالية، كذلك لأنها تناقض بشكل كبير التوجه الحالي، لكن هناك من يرى أنها مهدت لظهور وبروز الظاهرة الترابمية على السطح في الولايات المتحدة.

٢-١ سياسته الخارجية

لقد تبني أوباما استراتيجية تدفع باتجاه التراجع عن البعد الدولي، وكانت أفعاله وأقواله ناقدة للاستراتيجيات التي انتهجتها الإدارات الأمريكية السابقة، وقام بتعزيز توجهات الأمريكيين الداعية إلى تقليص دور الولايات المتحدة في المسرح الدولي، وتضييق نطاق المصالح الأمريكية في الخارج.^(٢١) ويشير الدكتور حميد شهاب أحمد إلى أن أوباما حاول إعادة ثقة العالم بالولايات المتحدة بعد أن ورث تركة ثقيلة من الإدارة السابقة، وبالفعل تحسنت صورة الولايات المتحدة بعد انتخاب أوباما رئيساً لها كونه جاء من وسط الناس وليس من القمة السياسية والاجتماعية، إضافة إلى أصوله الإسلامية والأفريقية، كما أن انتخابه كان بمثابة المسمار الأخير في نعش التمييز العنصري الذي ساد قروناً في تاريخ الولايات المتحدة.^(٢٢)

إن اعتلاء أوباما الحكم جاء في لحظة انحسار نفوذ أمريكا دولياً، فمهمة أوباما صعبة تتمثل في الظهور بمظهر القوي في ظل موارد أقل، وتحسين صورة أمريكا في العالم دون الظهور بصورة الضعيف، فأوباما مقيد في حركته بقبوله لبعض السياسات البرغماتية التي تفرضها عليه محدودية موارد أمريكا من ناحية و رغبة في الحفاظ على هيمنتها ونفوذها من ناحية أخرى، وخاصة وأن وصوله تزامن مع تدهور صورة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم.^(٢٣)

فُبال ذلك كانت اختيارات أوباما تشير إلى توجهات مختلفة، ورغم أن قائمة فريقه للسياسة الخارجية ضمت وجوهاً عملت سابقاً في إدارة الرئيس كلينتون فإنها كانت من الوجوه التي عُرفت بتصادمها مع سياسات الإدارة آنذاك وسجلت في أوقات لاحقة نزاهة سياسية لافتة. غير أن أكثر ما يلفت الانتباه في قائمة أوباما هو اختياره مستشاره الرئيسي في السياسة الخارجية زبغنيو بريجنسكي الذي برز في السنوات الأخيرة كصوت بالغ الحيوية، بالرغم من أنه وجه تقليدي في أوساط خبراء السياسة الخارجية في واشنطن منذ كان "مستشاراً للأمن القومي" للرئيس جيمي كارتر.^(٢٤)

ويضع الاستاذ محمد ماضي ثلاث قضايا فشل فيها أوباما خلال فترة رئاسته:

أولاً: فيما يتعلق بالعلاقة مع العالم الإسلامي، حين بالغ في وعوده في خطابه الشهير بالقاهرة واكتشف كيف أن كثيراً من تلك الوعود اصطدمت بثوابت السياسة الخارجية الأمريكية، مما تسبب في كثير من الإحباط، كما ظهر في استطلاعات الرأي في عدد من الدول الإسلامية.

²¹ - Robert Kagan, The twilight of the liberal world order, The Brookings Institution, Tuesday, January 24, 2017, www.brookings.edu/research/the-twilight-of-the-liberal-world-order/.

²² - حميد شهاب أحمد، توجهات السياسة الخارجية للرئيس الأمريكي أوباما، ندوة بعنوان "السياسة الخارجية الأمريكية في عهد أوباما"، فرع الدراسات الدولية / كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد، ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٩، ص ٦.

²³ - قاسم أسماء أمينة، مصدر سابق، ص ٥٥.

²⁴ - طارق الكحلوي، السياسة الخارجية في عهد أوباما عصر الواقعيين الجدد، موقع الجزيرة، الرابط: <https://goo.gl/PsLvsB>.

ثانياً: مع أنه بادر في أول فترته الرئاسية بتعيين السيناتور جورج ميتشل مبعوثاً خاصاً لعملية السلام في الشرق الأوسط، فإنه لم يفلح في زحزحة المفاوضات من عثرتها، وواجه صعوبات جمّة في تأمين مساندة الكونغرس لرؤيته لحل الدولتين، وظهر ضعيفا في مواجهة تنانياهو.

ثالثاً: واجه إخفاقاً واضحاً في إعادة صياغة العلاقات الأمريكية- الروسية، والتعامل مع الملف النووي الإيراني، ولم ينجح في استمالة الصين للتعاون مع الولايات المتحدة فيما يتعلق بالقضايا الإقليمية والدولية^(٢٥).

ويرى العميد ناجي ملاعب تقليص دور البنتاغون في عهد الرئيس أوباما في قُبال إعادة بناء ما أسماه الحصن الدبلوماسي، إذ لوحظ التزام إدارة أوباما باستبدال القوة الصلبة بالقوة الذكية، لم يقدم للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة سوى مجموعة غير مترابطة وغير فعالة وغير متماسكة من السياسات.^(٢٦)

لكن ما الذي قدمه باراك أوباما للعرب؟ فمثلاً بخصوص انتشار قوات بلاده العسكرية في العراق وأفغانستان، تمكن من تقليص أعدادها على نحو كبير، وإن كان الانسحاب العسكري الكامل منها لم يتم. واضطرت واشنطن، بحكم نشاط تنظيمي القاعدة وتنظيم داعش لاحقاً على أراضي البلدين، إلى الإبقاء على الدعم العسكري الاستخباراتي واللوجستي لحكومتَي البلدين على الأرض حتى اليوم.

وإذا كان أوباما قد فشل في الوفاء بتعهده في إغلاق سجن غوانتانامو حيث يقبع حوالي ١٥٠ معتقلاً بين جدرانها إلى اليوم فقد تمكنت محادثات بلاده من الوصول إلى أسامة بن لادن، زعيم تنظيم القاعدة وقتله في مخبئه في باكستان، وإلقاء جثته في البحر في أكبر "إنجاز" تفخر به إدارته على ما تسميه رأس الإرهاب. وبخصوص القضية الفلسطينية لم يسجل تاريخ أوباما أي اختراق على الإطلاق في حلحلة الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين ولم تتمكن إدارته من إقناع حكومات الاحتلال المتعاقبة، على مدى السنوات الماضية، بوقف توسيع رقعة الاستيطان في الأراضي المحتلة. وبدأ أوباما، الذي أبدى حماساً لإحلال السلام في الشرق الأوسط في مستهل عهده، عاجزاً منذ منتصف ولايته الأولى عن تحريك ملف السلام في الشرق الأوسط^(٢٧).

ويصنف الدكتور مثنى علي حسين ثلاثة مستويات للتغيير في السياسة الخارجية الأمريكية في عهد أوباما:

المستوى الأول: التغيير الظاهري ويتعلق بالقضايا التي يختلف فيها مع الإدارة السابقة للرئيس بوش الابن كالقضية العراقية التي لم يخرج فيها في الواقع العملي عن سياسة الإدارة السابقة، كالانسحاب من العراق. المستوى الثاني: التغيير الاستراتيجي ويتعلق بقضايا العلاقات الاستراتيجية مع القوى الكبرى، كروسيا والصين، وكذلك في الشأن الإيراني وخصوصاً الملف النووي، إذ يود أوباما فتح الباب باتجاه عملية التعاون والحوار حتى وإن كان مستشاروه غير متأكدين من نجاحها.

^{٢٥} - محمد ماضي، السياسة الخارجية الأمريكية خلال الفترة الأولى لإدارة الرئيس أوباما، موقع القناة السويسرية، الرابط: <https://goo.gl/HG8RGh>

^{٢٦} - ناجي ملاعب، في عهد أوباما دور البنتاغون في السياسة الخارجية الأمريكية، موقع الأمن والدفاع العربي، الرابط: <http://sdarabia.com/?p=43919>

^{٢٧} - ما الذي جناه العرب من رئاسة أوباما، موقع قناة BBC، الرابط: <http://www.bbc.com/arabic/interactivity-38577517>

ثالثاً: التغيير الإعلامي ويتعلق باستغلال مستشاري أوباما لصغر سنه وكارزميته وأصوله الإفريقية والإسلامية لتعديل صورة الولايات المتحدة السيئة في الخارج، لاسيما بعد سياسات بوش الابن السابقة، وترتبط بذلك رحلات أوباما للخارج، إذ تمكنت إدارة أوباما من اتخاذ بعض الخطوات على صعيد السياسة الخارجية منها إعلان أوباما إغلاق معسكر غوانتانامو.^(٢٨)

كانت الادارة الامريكية في عهد اوباما ترى ان مصالح الولايات المتحدة مهددة بسبب الحروب والصراعات الداخلية وعليها التدخل المباشر في هذه الحروب، وان اي وساطة خارجية لن تنجح ما لم يرافقتها تدخل خارجي يجعل جميع اطراف الصراع متعادلين في القوة، مع محاولة إيجاد تمثيل نسبي توافقي وعادل في المناصب السياسية لمختلف الاطراف بعد انتهاء هذه الصراعات من اجل خلق حالة الاستقرار والامن، وان تكون الوساطة الخارجية بقيادة امريكية لا سيما ان التحديات الراهية التي تواجه منطقة الشرق الاوسط تمضي نحو التعقيد وتحتاج الى حلول غير تقليدية من جانب الادارة الامريكية.^(٢٩)

٢-٢ سياسته الداخلية

يرى ديفيد روثكوف، المسؤول السابق في إدارة كلينتون، أن أسلوب أوباما السياسي يتبع "أسلوب العزف على الكمان": أي أنك تمسك بالسلطة بيدك اليسرى، لكنك تلعبها باليمنى. لقد وصل أوباما إلى السلطة ويأمل في الاحتفاظ بالسلطة في الكونجرس من خلال دعم اليسار بينما يحكم بوضوح كوسط معتدل محلياً ومحافظاً دولياً. تشير تعيينات أوباما إلى كل من سياسته الخارجية وفرقه الاقتصادية إلى أنه ليس ليبرالياً بالطريقة التي يفهم بها عادة في هذا البلد.^(٣٠)

ويقارن استاذ العلوم السياسية في كلية رودس ميشيل نيلسون بين اوباما ورؤساء سابقين كروزفلت ١٩٣٣، وريغان ١٩٨١، وهو يواجه مشكلات كبيرة، حيث اضطر أوباما لمعالجة أزمة اقتصادية كبرى بمجرد أن استلم السلطة، إذ البنوك الرائدة والمؤسسات المالية الأخرى في البلاد تواجه خطر الانهيار الوشيك. توقف الاقتصاد عن النمو وكان يعاني من نزيف وظائف، مع معدل البطالة يقترب من ١٠ في المئة. وحتى قبل أن يؤدي اليمين الدستورية، كان أوباما قد أيد برنامج الرئيس جورج بوش للإغاثة من المشاريع المتعثرة (TARP)، وهي مبادرة بقيمة ٧٠٠ مليار دولار لإنقاذ البنوك الكبرى في البلاد عن طريق إقراض أموال كافية لإبقائها قادرة على الوفاء بالتزامات.^(٣١)

ومن الانجازات التي تحسب لفترة الرئيس اوباما قانون "الرعاية الصحية بأسعار معقولة" (Obama care)، حيث يعد أهم إنجاز لنظام الرعاية الصحية منذ العام ١٩٦٥، أي منذ إقرار تشريع يسهل حصول المسنين على العلاج، كما يعد أهم إنجازات أوباما بولايته الأولى على الإطلاق. وحتى عام ٢٠١٠، ظلت

^{٢٨} - مثنى علي حسين المهدي، السياسة الخارجية الأمريكية في عهد أوباما، ندوة بعنوان "السياسة الخارجية الأمريكية في عهد أوباما"، فرع الدراسات الدولية / كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد، ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٩، ص ٨.
^{٢٩} - تقرير (الامن والنظام العام)، المجلس الاطلسي ومعهد بركنز، الدوحة-قطر، شباط ٢٠١٦، الرابط: www.washington.Atlantic.com.

³⁰ - Obama's Domestic Policies, Solidarity organization, web: <https://solidarity-us.org/obamaworkingpaper/obamaworkingpaper3/>.

³¹ - Michael Nelson, BARACK OBAMA: DOMESTIC AFFAIRS, Miller Center/ University of Virginia, web: <https://millercenter.org/president/obama/domestic-affairs>.

الولايات المتحدة الدولة الوحيدة بين الدول المصنعة والمتطورة التي لا توفر رعاية صحية شاملة لمواطنيها، تاركة المجال للقيام بذلك لشركات خاصة. ويهدف القانون لتوفير التأمين الطبي لنحو ٩٥% من سكان أمريكا بحلول ٢٠١٩، بشكل أسهل وأقل تكليفاً.^(٣٢)

الاولامية كما يصفها د. عبد الحسين شعبان فهي وإن بدت استمراراً للاستراتيجية الأميركية بخطوطها العامة، إلا أنها وتحت ضغط الفشل في العراق والأزمة المالية والاقتصادية، انكفأت وحاولت عدم التورط بإرسال قوات عسكرية إلى الخارج. فهل يمكن أن نقول إن ترامب حتى قبل أن يصبح رئيساً جاء ونظريته معه؟ فما بالك لو أصبحت سياسته رسمية؟^(٣٣) وهذا ما حصل بالفعل، فكان ان جاء الأخير ومعه فكرته في الصفقة السياسية.

المبحث الثاني: السياسة الامريكية تجاه دول الخليج العربية

ان منطقة الخليج كانت على امتداد تاريخها الحديث والمعاصر هدفاً للاطماع الاجنبية والاقليمية بدءاً من الاستعمار البرتغالي والسيطرة البريطانية والمنافسات الاقليمية والدولية. وعلى الرغم من استقلال دول الخليج العربية، فقد كان عليها -ولا تزال- مواجهة قدر كبير من التحديات العالمية والاقليمية. ولعل المسألة الملحة التي تواجه تلك الدول في وقتنا الحاضر هي البحث عن الصيغة المثلى التي تحفظ لها أمنها واستقرارها، وتضمن لها استقلالها وثرواتها.^(٣٤)

تعود بداية العلاقات الأمريكية مع الخليج العربي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكان النشاط التجاري أبرز ما يميز المصالح الأمريكية خلال القرن التاسع عشر، أضعفت الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) النشاط التجاري الأمريكي في منطقة الخليج العربي، ولم يظهر النشاط الأمريكي مرة أخرى في مياه الخليج إلا في سنة ١٨٧٩، لقد جاء النشاط التبشيري متمشياً مع متطلبات المصالح الأمريكية المتنامية في الخليج العربي، وكان خطوة تمهيدية لعدم هذه المصالح وما يعقبها من نفوذ سياسي أمريكي في المنطقة، وليس غمة شك في أن مثل هذا الهدف لا يمكن تحقيقه دون توثيق أو أواصر العلاقة مع سكان المنطقة وإبراز الوجه المشرق للتبشير، وأنتهى الصراع بين المستعمر البريطاني والمستثمر الأمريكي بالتوقيع على اتفاقية الخط الأحمر في (٣١ تموز ١٩٢٨) حصلت فيها المصالح الأمريكية الممثلة بشركة أئمان الأدنى على (٧٥ و ٢٣%) من أسهم شركة النفط التركية (شركة نفط العراق). وفي مناطق الخليج العربي، حصلت شركة ستاندر أويل أوف كاليفورنيا في عام ١٩٢٨ على امتيازات النفط في البحرين، وهكذا استطاعت الولايات المتحدة، نتيجة لجهودها المتواصلة في الحصول على الامتيازات فأصبح للمصالح الأمريكية (٧٥ و ٢٣%) من أسهم شركة نفط العراق و (٥٠%) من أسهم شركة نفط الكويت و (١٠٠%) من أسهم امتيازات نفط السعودية والبحرين وحصلت على امتيازات نفطية في قطر ودبي والشارقة ورأس الخيمة وأبو ظبي

^{٣٢} - هناء كلحوت، أقره أوباما وألغاه ترامب.. ما هو القانون الذي بدأ به الرئيسان؟، موقع الخليج اونلاين، الرابط: <http://goo.gl/uyavJo>.

^{٣٣} - عبد الحسين شعبان، الترامبية مجاهدة الارهاب بمثله، موقع اورنت نيوز، الرابط: <http://cutt.us/vC8z3>.

^{٣٤} - جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج ٥، دار الفكر العربي، ط ١، مدينة نصر-مصر، ١٩٩٦، ص ٤.

الصفقة في التوجه السياسي للرئيس الأمريكي دونالد ترامب تجاه دول الخليج العربية وعجمان وعمان، إلا أنه لم يتم اكتشاف النفط في أي من هذه المناطق حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية.^(٣٥)

تغيرت الرؤية الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية مع توالي السنين واختلاف الاحداث، والتي من ابرزها زوال القطب السوفيتي المنافس وتربع واشنطن قطب اوحده بين باقي القوى العظمى الاخرى. فكان الخليج العربي، مثلاً، ذا اهمية كبيرة بفعل الثروات التي يتمتع بها والموقع الجغرافي المهم والقرب من دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل).

المطلب الاول: تجاه السعودية

ان منطقة الخليج إحدى أهم المناطق في التفكير الاستراتيجي الأمريكي، فكانت الجناح الجنوبي للحزام الذي شكله الغرب لتطويق الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة، ومنها أعلن الرئيس الأمريكي بوش الأب تدشين نظام عالمي جديد تقوده الولايات المتحدة.^(٣٦) وتحتل السعودية مكانة الرأس في تلك التشكيلة المختلفة من الدول، التي تختلف فيها نظم الحكم بين ملكية وأمارة وسلطنة، كذلك البنى الاجتماعية والاقتصادية للشعوب الخليجية التي يظهر عليها التباين، رغم الشبه الظاهري، فالسعودية أكبر دولة في الشرق الأوسط وتقع تحديداً في الجنوب الغربي من قارة آسيا يحدها من الشمال العراق والأردن وتحدها الكويت من الشمال الشرقي، ومن الشرق تحدها كل من قطر والإمارات العربية المتحدة بالإضافة إلى البحرين التي ترتبط بالسعودية من خلال جسر الملك فهد الواقع على الخليج العربي، ومن الجنوب تحدها اليمن، وعمان من الجنوب الشرقي، كما يحدها البحر الأحمر من جهة الغرب وتشكل الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية إذ تبلغ مساحتها حوالي مليوني كيلومتر مربع.^(٣٧)

فضلاً عن تمتع المملكة بالثروة النفطية، فهي تمتلك موقعاً استراتيجياً مطلاً على المنافذ البحرية والبرية، بالإضافة إلى مكانة المملكة الدينية المميزة بوجود قبلة المسلمين وقبر الرسول محمد ﷺ - على أراضيها. وخلال الحرب العالمية الثانية وانغماس الولايات المتحدة الأمريكية بأحداثها وتطوراتها، حظيت المملكة العربية السعودية باهتمام يكاد يكون استثنائياً ولعل مبعث ذلك الاهتمام يعود إلى سببين رئيسيين، يشكل النفط عاملهما المشترك.

السبب الاول: المخاوف التي ابدتها الشركات النفطية الأمريكية من مواصلة الجانب البريطاني للدعم المالي المباشر للمملكة السعودية وانعكاسات ذلك الدعم، وما يشكله من انفراد وهيمنة بريطانية، على حساب المصالح الأمريكية.

السبب الثاني: القلق الناجم ازاء التقارير الواردة من الادارة الأمريكية والتنبؤات التي اوردها المسؤولون عن الصناعة النفطية حول قرب نفاذ احتياطي النفط الأمريكي.^(٣٨)

^{٣٥} - ستار علك الطفيلي، محاضرات تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، كلية التربية الاساسية /جامعة بابل، الرابط: <http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=11&lcid=41423>.

^{٣٦} - محمد كريم كاظم، دول الخليج العربي والاستقرار الأمني في العراق، مجلة دراسات دولية، كلية العلوم السياسية /جامعة النهرين، العدد ٤٢، ٢٠٠٩، ص ٦٨.

^{٣٧} - الهيئة العامة للإحصاء، معلومات عن المملكة العربية السعودية، الرابط: <https://www.stats.gov.sa/ar/4025>.

^{٣٨} - محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار اسامة للنشر، عمان-الأردن، ٢٠٠٥، ص ٨٢٥.

منذ وصول الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما إلى كرسي الرئاسة عام ٢٠٠٩، دخلت العلاقات السعودية الأمريكية مرحلة البرود، وربما التوتر، على غير عاداتها، وكان حرص الرئيس أوباما على التقارب مع إيران وإنهاء الحظر عليها، أهم مسببات ذلك الفتور، بالإضافة إلى تراجع الاحتياج الأمريكي إلى السعودية.

إن العلاقات السعودية الأمريكية قائمة على ملفين متلازمين إذا تراجع أحدهما تراجع الآخر، وإذا تراجعاً معاً ففترت العلاقات بين البلدين: الأول ملف الطاقة (النفط)؛ وقد مثّل هذا الملف أهمية كبيرة في توطيد العلاقة خلال سبعة عقود مضت، ولكن قلّت أهميته بالنسبة إلى الإدارة الأمريكية بعد أن وضعت يدها على نفط العراق، إضافة إلى اكتشافها للنفط الصخري. أما الملف الثاني فهو ملف (الأمن والحرب على الإرهاب)، وهنا تبدو المصلحة متبادلة أيضاً؛ إذ تؤمّن الولايات المتحدة منطقة الخليج وبقية حدود المملكة من أي خطر دولي ضدها، وكذلك الوقوف إلى جانب المملكة في المحافل الدولية.^(٣٩)

لكن مع الرئيس الحالي ترامب تغيرت الأمور تماماً، فخلال حملته الانتخابية كان يؤكد ضرورة دفع ممالك الخليج ثمن الحماية الأمريكية لهم، وبعد توليه الحكم قام بالفعل بتحقيق تلك الرغبات والوعود الانتخابية. ففي ٢٠/٢٠١٧، زار الرئيس الأمريكي الرياض، ووقع خلالها اتفاقيات مشتركة قيمتها ٢٨٠ مليار دولار، بالإضافة إلى ١١٠ مليار دولار صفقات سلاح.^(٤٠)

وللرئيس ترامب الكثير من المواقف (المعلنة) تجاه السعودية منها ما أطلقه قبيل حملته الانتخابية الصاخبة، ومنها ما أعلن عنه عندما فاز بكرسي البيت الأبيض. وجلها يتمحور حول فكرة أساسية ما برح الرئيس ترامب يرددّها وهي أن الزمن الذي تقوم فيه بلاده بحماية الحلفاء في العالم بشكل عام والخليج العربي الغني بشكل خاص قد ولى، ومن يرغب في نيل الحماية الأمريكية عليه أن يدفع استحقاقات ذلك أولاً. إذ قال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، في خطاب ألقاه أمام حشد بولاية آيوا الأمريكية، إن إيران كانت ستسيطر على الشرق الأوسط في غضون ١٢ دقيقة قبل أن يتسلم الرئاسة، غير أنّها تكافح للبقاء الآن. وأشار ترامب، للمرة الرابعة على التوالي، إلى أن على المملكة العربية السعودية أن تدفع المال مقابل حماية أمريكا لها، قائلاً "إن كنا سنحميك يجب أن تدفع".^(٤١)

مما سبق نلاحظ، أن السياسة الأمريكية تجاه الخليج العربي اختلفت وتنوعت بحسب الإدارات التي توالّت على البيت الأبيض. ففي حين عد الرئيس جورج بوش السعودية حليفاً مهماً في مواجهة خطر صدام حسين، كان أوباما مختلفاً وتقرب إلى القوة المنافسة على الشاطئ الآخر للخليج، ومن ثم جاء ترامب بعقليته التجارية ليعود بالاهتمام الأمريكي لتلك المنطقة لكن بشروط والتزامات على العرب الاثراء يجب دفعها إلى الولايات المتحدة لكي تحميهم من المخاطر المحيطة بهم ويستمر ملكهم مستقبلاً.

^{٣٩} - العلاقات السعودية الأمريكية بعد قانون جاستا، تقدير موقف، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، الرابط: <https://fikercenter.com/position-papers/saudi-u-s-relations-post-jasta-law>.

^{٤٠} - تصريحات ترامب المعادية للسعودية، موقع سبوتنك، الرابط: <https://bit.ly/2HJGLG7>.

^{٤١} - خطاب مصور للرئيس ترامب، يوتيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=BWYENjbiCkw>.

المطلب الثاني: تجاه باقي دول الخليج العربية

حيث توزعت الاهتمامات الاميركية على تلك الدول حسب حاجاتها الى الثروات ومصادر الطاقة. ومن بين تلك الدول الصغيرة والثرية سنتناول قطر ثم الامارات.

العلاقات الاميركية القطرية:

دولة قطر شبه جزيرة عرضها ١٠٠ كيلومتر تقريباً وتمتد لمسافة ٢٠٠ كيلومتر داخل الخليج العربي. وتشمل أراضيها أيضاً عدة جزر في الخليج. تتصل حدودها الجنوبية برأ بالمملكة العربية السعودية، وتجاور الحدود البحرية كل من الإمارات العربية المتحدة والبحرين وإيران. تتكون معظم أراضيها من سطح صخري مُنبسط تُغطيه الرمال والحصى، ونتيجة لذلك تقام معظم المشروعات التنموية على طول الساحل.^(٤٢) أقامت الولايات المتحدة علاقات دبلوماسية مع قطر في عام ١٩٧٢ بعد استقلالها عن المملكة المتحدة. العلاقات الثنائية قوية، حيث تنسق الولايات المتحدة وقطر عن كثب حول مجموعة واسعة من القضايا الإقليمية والعالمية. بعدها شريكاً قيماً للولايات المتحدة، لعبت قطر دوراً مؤثراً في المنطقة. وتعاون الولايات المتحدة وقطر أيضاً في مجال الأمن في منطقة الخليج العربي. كما تستضيف قطر المقر الرئيسي ل القيادة المركزية الاميركية، وقد دعمت الدوحة منظمة حلف شمال الأطلسي والعمليات العسكرية الاميركية في المنطقة. كما تمثل قطر نقطة انطلاق رئيسة لعمليات الطيران ضد داعش في سوريا والعراق. وترحب الولايات المتحدة بالمثلثات من الطلاب القطريين في الولايات المتحدة كل عام، ولدى ست من كبريات الجامعات الاميركية فروعا في قطر.^(٤٣)

وفي تلك البلاد اكبر قاعدة جوية اميركية هي قاعدة (العديد) الجوية. لكن رغم ذلك كانت تصريحات الرئيس ترامب حول الدوحة تؤكد أن دولة قطر كان لديها تاريخ في تمويل الإرهاب وعلى مستويات عالية، داعياً إياها ودول المنطقة الأخرى بفعل المزيد لوقف دعم الإرهابيين.^(٤٤) وهذا يظهر تحولا في العلاقات الثنائية ومنعظفا خطيرا في وتيرة التعاون المشترك. لكن هذا لا يلغي صفقات السلاح الاميركي لقطر التي تقدر بأكثر من عشرين مليار دولار.

العلاقات الاميركية الاماراتية:

دولة الإمارات العربية المتحدة اتحاد يضم ٧ إمارات خليجية. وتمكنت دولة الإمارات منذ تأسيسها عام ١٩٧١ من تطوير نفسها بحيث تحولت من بلد منعزل إلى واحد من أهم المراكز الاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط. وتعد دولة الإمارات، بالرغم من خلفيتها وطبيعتها مجتمعتها المحافظة، واحدة من أكثر بلدان الخليج تحورا، إذ يتم فيها التعامل مع الثقافات والمعتقدات الوافدة بقدر من التسامح.^(٤٥)

^{٤٢} - حكومة قطر الالكترونية، موقع حكومي قطري، الرابط: <https://bit.ly/2BeOtWd>.

^{٤٣} - موقع الحكومة الاميركية، الرابط: <https://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/5437.htm>.

^{٤٤} - تصريح للرئيس ترامب، اليوتيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=3v8R5AqyKiE>.

^{٤٥} - شبكة BBC العربية، الرابط: <http://www.bbc.com/arabic/middleeast-39105625>.

بدأت العلاقات الإماراتية - الأمريكية عام ١٩٧١ أي منذ قيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث كانت النواة الأولى لهذه العلاقة إعلان أمريكا الاعتراف بالاتحاد، ثم تسارعت وتيرة العلاقات لتصبح الولايات المتحدة ثالث دولة تقيم علاقات دبلوماسية رسمية مع الإمارات.

وأكدت سفارة الإمارات في واشنطن أن دولة الإمارات والولايات المتحدة تشتركان في الحفاظ على الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط وفي العالم، وعلى مدى السنوات الـ ٢٥ الماضية تعاونت الإمارات والقوات الأميركية على ستة محاور من التحالفات العسكرية، بدءاً من حرب الخليج الأولى إلى كوسوفو وأفغانستان وليبيا والمعركة الحالية ضد (داعش)^(٤٦).

خلال سنة ١٩٨١، وبعد عقد من استقلال دولة الإمارات العربية المتحدة، توجه محمد بن زايد آل نهيان، الذي أصبح لاحقاً ولي عهد أبوظبي، إلى واشنطن وفي جعبته الكثير من الطموحات الكبيرة المتعلقة بشراء طائرات مقاتلة أمريكية، من شأنها أن تعزز القدرات العسكرية للبلد النفطي وتحولها إلى قوة عالمية. وفي هذا الإطار، قال دبلوماسي أمريكي سابق إن الأمير شعر أنه منبؤ، حيث لم يتعرف أحد في البداية على هذا الطفل^(٤٧).

ويبدو أن المال الخليجي كان له تدخلات واضحة في السياسة الأمريكية قبيل انتخاب ترامب وبعده، لدرجة أن الاتهامات وصلت إلى أن ملايين الدولارات دفعت لصالح معاهد الدراسات والتفكير الأمريكية لدعم الرؤية الخليجية والإماراتية بالخصوص، معهد الشرق الأوسط نموذجاً.^(٤٨)

كان بعض أقرب المقربين من دونالد ترامب على استعداد لتبادل معلومات داخلية خاصة حول تعيينات حكومة الولايات المتحدة مع يوسف العتيبي، السفير الإماراتي في واشنطن، بحسب ما تكشف عنه مجموعة جديدة من رسائل الإيميل المسربة. بل لقد حصل السفير العتيبي على تعهدات من مستشاري الرئيس المنتخب بأنهم سيسعون لصون مصالح حكومة بلاده ووضعها على رأس أولويات سياسة الإدارة الجديدة في الشرق الأوسط. وتكشف رسائل الإيميل عن أن العلاقة بين الإماراتيين وبطانة الرئيس وأقرب مقربيه كانت قد ترسخت في وقت مبكر سابق عما كان يظنه كثير من الناس^(٤٩).

هناك يقين راسخ لدى إدارة ترامب أن الممالك الخليجية الثرية ضعيفة وهشة من الداخل والخارج، رغم حمى مبيعات الأسلحة التي تعتري أمرائها. وانما رغم ما تبدو عليه من حياة التطور والتكنولوجيا، لازالت تحيا بقوة العصبية وحد السيف، ولم تخرج من ربة البداوة والهمجية. لذلك هم بحاجة إلى رضا واشنطن

^{٤٦} - مصطفى خليفة، الامارات وامريكا علاقات حيوية وشراكة استراتيجية، مجلة البيان، الرابط: <https://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports/2017-05-15-1.2947478>

⁴⁷ - Kareem Fahim and Missy Ryan, The UAE's hunt for its enemies is challenging its alliance with the United States, Washington post, https://www.washingtonpost.com/world/middle_east/uaes-drive-for-regional-influence-tests-its-military-alliance-with-the-united-states/2017/08/03/448683ee-6bd2-11e7-abbc-a53480672286_story.html?noredirect=on&utm_term=.a63b70dd6433

⁴⁸ - Ryan Grim, GULF GOVERNMENT GAVE SECRET \$20 MILLION GIFT TO D.C. THINK TANK, The intercept, <https://theintercept.com/2017/08/09/gulf-government-gave-secret-20-million-gift-to-d-c-think-tank/>

⁴⁹ - David Hearst, Revealed: How Trump confidant was ready to share inside information with UAE, middle east eye, <https://www.middleeasteye.net/news/donald-trump-campaign-and-uae-emails-yousef-otaiba-tom-barrack-reveal-sharing-information-2016-election-saudi-9/11-1631521788>

ليضفي لهم ولانظمتهم المصدقية والاطمئنان والاستمرارية والبقاء في بيئة الشرق الاوسط الخطرة. حتى وان كان الثمن مليارات اخرى من الدولارات، تدفع الى الادارة الامريكية، فهم على استعداد للدخول في هكذا صفقات مع ترامب، وعن طيب خاطر.

المبحث الثالث: الصفقة في التوجه السياسي لترامب

الصفقة مفهوم تجاري اقتصادي ارتبط في الثقافة السياسية الأمريكية، وبشكل واضح لدى ترامب، مع الجانب السياسي، ليشكل حالة من تبادل المنافع الاقتصادية والسياسية في آن واحد لما فيه مصلحة الاطراف المتبادلة تلك.

المطلب الاول: في فكر ترامب ونهجه

دونالد جون ترامب هو الرئيس الخامس والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية والحالي منذ ٢٠ / كانون الثاني / ٢٠١٧، وهو أيضًا رجل أعمال وملياردير أمريكي، وشخصية تلفزيونية ومؤلف أمريكي ورئيس منظمة ترامب، والتي يقع مقرها في نيويورك في الولايات المتحدة.

اذا يشير الكاتب والاعلامي صالح ابو ناصر الى ان السياسة الخارجية الأمريكية منذ بداية عهد الرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب تتسم بالتوترية للأزمات السياسية في منطقة الشرق الأوسط، بخلاف السياسة السابقة التي سارت عليها إدارة الرئيس السابق باريك أوباما التي ركزت على القوة الذكية في تحقيق مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، وعلى العوامل الناعمة في الحفاظ عليها عبر أدواتها الموجودة في المنطقة^(٥٠).

أحتل مفهوم الصفقة حيزا كبيرا في حياة ونشأة وتفكير وتوجه دونالد ترامب قبل وبعد توليه المنصب، حتى ان من بين مؤلفاته كتاب بعنوان " الصفقة". وهذا ما يعطي تصورا عن شخصية ترامب ولاسيما في ملف السياسة الخارجية، وان الاستراتيجية المفضلة لحل الصراع سوف يتركز على مفهوم الصفقة في التعامل مع قضايا السياسة الخارجية، وبالتالي سيكون حجم فاعلية الولايات المتحدة في قضايا العالم بمقدار ما يحقق النفع الايجابي الاقتصادي الرقمي الواضح^(٥١).

تبني المرشح ترامب خلال حملته الانتخابية خطابا شعبويا صارخا، معاديا لأمريكا الليبرالية، وللطبقة السياسية التقليدية، وللمهاجرين، وللمسلمين، وللمواطنين وغير المواطنين من أصول لاتينية؛ وكان واضحا أنه جعل الناخب الأبيض ومخاوفه من الحاضر والمستقبل في مقدمة أولوياته. وحتى داخل مؤسسة الحزب الجمهوري، الذي خاض ترامب الانتخابات باسمه، لم يكن وُد سابق بين المرشح ترامب وقادة الحزب في الكونغرس ولجنة الحزب القومية والرؤساء الجمهوريين السابقين.

على هذا المستوى ظهر اتجاه فكري يدعى الترابمية، من الواضح أنه ليست أيديولوجية بقدر ما هي عقيدة شخصية. ويتم إبقاؤها متماسكة معاً بطرق كثيرة، بواسطة بعض المواقف السياسية والمبادئ الأيديولوجية - القومية المتطرفة، والحصارية العنصرية، وكراهية المسلمين، والكيانية البيضاء، إلخ- لكنها تصبح

٥٠- صالح ابو ناصر، ملامح السياسة الخارجية الأمريكية الانية تجاه الشرق الاوسط، موقع نون بوست، الرابط: <http://www.noonpost.org/content/21929>.

٥١- ياسر عبد الحسين، السياسة الخارجية الأمريكية في عهد ترامب، مجلة البحوث الاستراتيجية، دورية تصدر عن مركز بلادي للدراسات الاستراتيجية، العدد ١٤، آذار ٢٠١٧، ص ٢٥.

قوة فاعلة من خلال قوة كلمات ترامب. وبقدر ما قد يبدو ذلك غريباً، فإن هذه الكلمات تحمل قدراً هائلاً من الوزن والتأثير^(٥٢).

والترامية كما يراها الاستاذ حسن منيمنة (سياسي وصحفي لبناني) هي بنية عقائدية تتجاوز الشخص وتقوم على ثلاثة أسس:

١. استهداف الفئات المستضعفة والمثيرة لتوّها للريبة، كالمهاجرين الوافدين والأقليات الدينية، وتحميلها تعسفياً مسؤولية تردي الأوضاع والعمل على إقصائها.
 ٢. الطعن والتجريح بالخصوم والنقاد وإهانتهم.
 ٣. التركيز على شخص «الرجل القوي» وتعظيمه، في إثارته للخوف والغضب، ووعوده بأنه هو القادر على حل المشاكل عند إيلائه الثقة، وإعادة صياغته للتاريخ واستهتاره بالحقائق، وتمنّعه عن الاعتذار أو الإقرار بالأخطاء مهما عظمت، واستخفافه بالحاجة إلى المنطق والإقناع، وإخضاعه للنساء فيما هو يدعي تعظيمهن، واحتقاره للمؤسسات العامة كالحاكم ما لم تدعن له، وتقديمه العصبية المحلية على النظم العالمية وعلى احترام سائر الدول، وإثارته وتبريره للعنف في الميادين العامة^(٥٣).
- في كتابه "Trump: The Art of the Deal" أوضح فلسفته الاعلامية بكل صراحة، وهي نتاج تفكير ثلاثة رجال أثروا فيه وفي البيئة الاعلامية الفريدة التي سادت نيويورك خلال سبعينات وثمانينات القرن العشرين، وهم: والده فريد والمتعهد ويليام زاكيدورف ومحاميه روي كوهين^(٥٤).
- في مقدمة كتابه هذا يقول: "لا افعل ذلك مقابل المال. لدي ما يكفي، أكثر بكثير مما سأحتاج إليه. أفعلها للقيام بذلك. الصفقات هي في الخاص. أشخاص آخرون يرسمون بشكل جميل على قماش أو يكتبون الشعر الرائع. أنا أحب صنع الصفقات، وأفضل الصفقات الكبيرة. هذه هي الطريقة التي أحقق بها الاهداف. يفاجأ معظم الناس من الطريقة التي أعمل بها. ألعها بأسلوب سلس. أنا لا أحمل حقيقة. أنا حاول عدم جدولة الكثير من الاجتماعات. أترك باب منزلي مفتوحاً. لا يمكنك أن تكون مبدعاً أو تدير المشاريع إذا كان لديك الكثير من البنى. أنا أفضل أن آتي إلى العمل كل يوم فقط انظر ماذا يستجد"^(٥٥).

المطلب الثاني: في سياسته الداخلية والخارجية

سنتناول نبذة عن السياسة الخارجية والداخلية للرئيس ترامب، مع ملاحظة ان مدة رئاسته لم تنتهِ بعد، وامكانية ان تحدث التغييرات على نهجه وانجازاته وارد جدا.

٢-١ سياسته الخارجية

وتتركز قضاياها عند الرئيس ترامب، حول الاتي:

^{٥٢} - إيريك دريستر، الترامية الخطر الحقيقي ليس دونالد ترامب، ترجمة: علاء الدين ابو زينة، موقع العرب والعالم، الرابط: <http://cutt.us/ZhvRG>

^{٥٣} - حسن منيمنة، الترامية الفاشية الصاعدة في الولايات المتحدة، موقع صحيفة الحياة، الرابط: <http://cutt.us/f2rlQ>

^{٥٤} - مايكل كراش ومارك فيشر، ترامب بلا قناع، ترجمة: ابتسام بن خضراء، دار الساقي، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠١٧، ص ١٥٦.

^{٥٥} - Donald J. Trump, The Art of the Deal, The Random House Publishing Group, New York, 1987, pp12.

- الوجود العسكري الأمريكي في أفغانستان.
- الجدار الحدودي مع المكسيك.
- أساليب تعذيب السجناء الارهابيين.
- الموقف من حلف الناتو.
- التعامل مع الصين.
- الانسحاب من اتفاقية المناخ.
- الانسحاب من رابطة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا).
- العلاقة مع كوبا.
- نقل السفارة الأمريكية من تل ابيب الى القدس.

اتجهت العديد من التحليلات حول الشأن الأمريكي إلى اعتبار فوز ترامب على هيلاري كلينتون بمثابة إنذار أطلقه الناخب الأمريكي صوب المؤسسات الأمريكية، أو بالأحرى المؤسسة الحزبية التي أفرخت سياسة الولايات المتحدة، ورؤسائها على مر العصور. واعتبر الناخب الأمريكي أن كلينتون تمثل الوجه الأسوأ لتلك المؤسسة بعكس ترامب الذي برز ككائنٍ عليها؛ حيث خدمت كلينتون كموظفة في البنتاغون، وكسيدة أولى لمدة ثماني سنوات في عهد بيل كلينتون، وصوتت لصالح حرب العراق ٢٠٠٣ عندما كانت عضوًا في الكونغرس، بالإضافة إلى عملها كوزير للخارجية في عهد الرئيس باراك أوباما. عزز خطاب ترامب الشعبي من الانطباعات السلبية حول خبرة كلينتون داخل المؤسسات المختلفة؛ حيث ارتكز خطابه على أخطاء من سبقوه في البيت الأبيض، فضلاً عن تركيزه على المصالح الأمريكية الداخلية متنصلاً من كافة الالتزامات التي تقرها المؤسسات الأمريكية كالعلاقة مع دول الخليج، والاتحاد الأوروبي بالإضافة إلى العلاقات المتوازنة مع الصين وروسيا، وكذلك المبادئ التي تدعيها السياسة الأمريكية فيما يتعلق بحقوق الإنسان، ونشر الحريات السياسية والمدنية بالعالم.^(٥٦)

التغير في السياسة الخارجية في عهد ترامب اثار منظمات حقوق الانسان. فقد أدلى مسؤولون أمريكيون كبار مؤخراً بتعليقات حول الشرق الأوسط تعزز المخاوف من أن إدارة ترامب ستتجاهل إلى حد كبير قضايا حقوق الإنسان، التي كانت تُعدُّ منذ زمن طويل مهمة للسياسة الخارجية الأمريكية. وهذا ما ظهر جلياً في خطب وكلمات وزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون و نائب الرئيس مايك بنس، فانتقاء الخطاب هو من الأهمية بمكان. فالقادة في جميع أنحاء العالم يأخذون بكلام دونالد ترامب وقيادته العليا. وبعد أكثر من عام على دخول ترامب الرئاسة، يضرب اثنان من كبار صنّاع السياسة الخارجية عرض الحائط بالقيم والحقوق ذاتها التي اعتبرتها الولايات المتحدة منذ فترة طويلة تصب في صلب مصلحتها^(٥٧).

ان ترامب لم يكن الوحيد من بين مرشحي رئاسة الولايات المتحدة في عام ٢٠١٦ بطرحه فكرة تضيق نطاق المصالح الأمريكية، وتقليل اعباء الدور القيادي للولايات المتحدة في النظام الدولي. إذ ان اطروحة

^{٥٦} - محمود جمال عبد العال، ما بين سندان المؤسسة ومطرقة الفردانية: السياسة الخارجية الأمريكية في عهد ترامب، المركز العربي للبحوث والدراسات، الرابط: <http://www.acrsseg.org/40724>.

^{٥٧} - اليسا ايبستن، بعد عام على رئاسة ترامب، مسؤولون كبار في إدارته انتقائيون في مجال حقوق الإنسان، منظمة حقوق الانسان، الرابط: <https://www.hrw.org/ar/news/2018/01/25/314201>.

(أمريكا أولا) لم تكن فكرة مفرغة بل لها العديد من المؤيدين في المجال الأكاديمي الأمريكي، وتدعو هذه الأطروحة إلى النظر إلى المصالح الأمريكية من منظور ضيق، ووقف دعم هيكلية التحالفات الدولية، أو الحد من طموحات القوى الكبرى الباحثة عن النفوذ والهيمنة، وعدم التمسك بالقيم الليبرالية للنظام الدولي، ورفض التضحية بالمصالح قصيرة المدى، في المجال التجاري على سبيل المثال مقابل المصالح طويلة المدى التي تتمخض عن الحفاظ على النظام الاقتصادي الحر.^(٥٨)

إن دونالد ترامب يمارس السياسة من منطق الصفقة، وتحديدًا حيال دول الخليج العربي التي قال عنها في حملاته الانتخابية إن عليها أن تسدد مقابل الحماية الأمنية. وتحديدًا دول الخليج والسعودية على وجه الخصوص، وبالتالي من الضروري عليها أن تدفع وإن كان بشكل غير مباشر عبر صفقات الأسلحة الأمريكية والتعاون في مجال الطاقة والاقتصاد.^(٥٩)

الإدارة الأمريكية الجديدة اعتمدت مبدأ الصفقة في تعاملها مع القضايا الأكثر إلحاحًا حول العالم، ومنها:

١. ملف الطاقة النووية الإيراني: ويعد من أبرز القضايا التي ظهر فيه التوجه الخاص بالرئيس الأمريكي في موضوع الصفقة، قضية الاتفاق النووي مع طهران. حيث أقدم ترامب على الانسحاب من الاتفاق أولاً، ومن ثمة فرض عقوبات اقتصادية على دفعتين، لخنق الاقتصاد الإيراني. ومن ثمة أظهر توجهها يصب في اتجاه إبرام صفقة جديدة مع إيران، على شروط جديدة غير تلك التي أبرمتها إدارة أوباما السابقة.

وهذا ما أشار إليه الخبير في الشؤون الدولية، عبد المعطي حجازي، إن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب "يسعى بالتأكيد إلى إبرام صفقة مع إيران". إذ إنَّ ترامب ألف عدة كتب بعده خبيراً في صفقات العقارات وصاحب نشاط تجاري كبير وناجح، ومن أراد أن يفهم سلوك الرئيس ترامب في مثل هذه الأزمات، عليه أن يقرأ كتاب "فن الصفقة" (عبارة عن سيرة ذاتية كتبت عام ١٩٨٧)، لأن هذا الكتاب هو ما يفعله ترامب الآن بالضبط (مع إيران).^(٦٠)

٢. القضية الفلسطينية: وتبقى "الصفقة" الأبرز، التي تثير تكهنات كثيرة ولم تعلن كافة تفاصيلها رسمياً، هي تلك التي توصف بأنها "صفقة القرن"، وتتعلق بالصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والتي تبنتها إدارة ترامب، وسبقتها بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل.^(٦١)

٣. صفقات السلاح الخليجية: وأبرزها ذهبت إلى المملكة العربية السعودية، وقطر، والإمارات.

٤. دول شرق آسيا (الصين وكوريا الشمالية): ففي مجال المنافسة التجارية، وخلال الزيارة التي قام بها ترامب للصين قال الرئيس الأمريكي "إنه أبرم في الصين عقوداً تجارية بقيمة إجمالية تبلغ ٢٥٣،٤

⁵⁸ - Robert Kagan, The twilight of the liberal world order, The Brookings Institution, Tuesday, January 24, 2017, www.brookings.edu/research/the-twilight-of-the-liberal-world-order/.

^{٥٩} - علي فارس حميد واخرون، قمة الرياض وهم القوة ومحنة المواجهة، مجلة أبحاث استراتيجية، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، العدد ١٥٥، بغداد-العراق، آب/٢٠١٧، ص ١٢.

^{٦٠} - "شفرة ترامب" تكشف هدفه الحقيقي في أزمة إيران، تقرير مصور، موقع سبوتنك عربي، الرابط: <https://goo.gl/YP6Jjn>

^{٦١} - أمير رواش، صفقات ترامب في الشرق الأوسط، موقع BBC، الرابط: <http://www.bbc.com/arabic/middleeast->

مليار دولار". كما جرى توقيع اتفاق أميركي-صيني لاستثمار ما يصل إلى ٤٣ مليار دولار لاستخراج الغاز الطبيعي من ألاسكا. من جهة أخرى، أكد ترامب أنه لا يلوم الصين على فائضها في الميزان التجاري مع الولايات المتحدة، محملاً المسؤولية عن هذا الاختلال إلى الإدارات الأميركية السابقة.

ومن ما ذكر سابقاً، يبدو ان ترامب قد عقد صفقات متنوعة المردود، فمنها ذات مردود مالي محض كالصفقات مع دول الخليج العربي، ومنها ذات مردود سياسي كالاتفاق مع الصين رغم وجود الجنبه المالية فيه، ومنها ذات مردود أمني كالاتفاق مع كوريا الشمالية.

٢-٢ سياسته الداخلية

واغلبها تتمحور حول النقاط التي كانت وعوداً انتخابية وتحقق بعضها بعد فوز ترامب والبعض الآخر لم يتم تحقيقه، وهي كالآتي:

- تخفيض الضرائب على المواطنين والشركات
- بناء البنية التحتية الامريكية
- حظر دخول مسلمي ست دول الى امريكا
- الغاء قانون الرعاية الصحية (اوباماكير)
- ترحيل المهاجرين غير الشرعيين

من التحديات التي تطرق لها ترامب حال تسنمه منصب رئيس الولايات المتحدة الامريكية واعتماده استراتيجية تتمحور حول فكرة مفادها (امريكا اولاً) وبرز ملامحها:

١. تحديات اقتصادية داخلية تتمثل بإعادة بناء اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية.
٢. حماية الحدود وإعادة توظيف الأمريكيين الى البلاد.

٣. المحافظة على القوة الامريكية العسكرية بما يسمح بحماية هذه المصالح الحيوية.^(٦٢)

ومع تحسن في الوضع الاقتصادي الامريكي، على أثر خفض الضرائب على الشركات من ٣٥% الى ٢١% مما دفع بعضها الى زيادة استثمارها في السوق الداخلي، كشركة أبل التي اعلنت انها ستستثمر ٣٠ مليار دولار وخلق ٢٠ ألف وظيفة. وتعد خطة الإصلاح الضريبي التي وقعها ترامب في ٢٢ كانون الأول إنجازاً تشريعياً تاريخياً له، إذ يمنح القانون الجديد تخفيضات ضريبية للأفراد والشركات. ودخل القانون حيز التنفيذ في الأول من كانون الثاني / ٢٠١٨، وهو أكبر تعديل ضريبي يتم اعتماده منذ القانون الذي أقر عام ١٩٨٦ خلال فترة رئاسة رونالد ريغن^(٦٣).

كما نلاحظ فشل الرئيس ترامب في الغاء قانون الرعاية الصحية (اوباماكير) واستبداله باخر (ترامب.كير)، مع وجود معارضة له في الكونغرس، وهذا في حد ذاته فشل سياسي كبير. وفي حين ان

^{٦٢} - علي حسين حميد، امريكا والنااتو بعد ترامب، مجلة ابحاث استراتيجية، مركز بلادي للدراسات والابحاث، العدد ١، بغداد- العراق، اذار ٢٠١٧، ص ٨٨.

^{٦٣} - عام في السلطة.. هذه أبرز القرارات والمواقف الداخلية لترامب، موقع قناة الحرة، الرابط: www.alhurra.com/a/donald-trump-first-year/414042.html.

النواب الديمقراطيون في الكونجرس قد اعترفوا بعيوب المشروع، الا انهم رفضوا أي محاولة لإلغائه، مع ابداء استعدادهم لقبول ادخال تعديلات عليه، وأوضحوا أن دوافع ترامب بالدرجة الأولى هي القضاء علي ابرز تركة لسلفه باراك اوباما، وانه لا يملك بديل لمشروع يوفر تأمين صحي لأكثر من عشرين مليون مواطن أمريكي لم تكن إمكانياتهم المادية او طبيعة الأمراض المصابين بها تسمح لهم بشراء تأمين صحي من الشركات العاملة في هذا المجال.^(٦٤)

وفي قضية الهجرة غير الشرعية، انتهج ترامب سياسة عدم التسامح، عبر جملة اجراءات، منها نشر ١٥ الف جندي على الحدود مع المكسيك لمنع قوافل المهاجرين من الدخول الى الولايات المتحدة.

الخاتمة

شكل الرئيس دونالد ترامب ظاهرة سياسية، غير تقليدية، ليس فقط في الولايات المتحدة، البلد الذي انتخبه رئيساً، لكن لدى العالم اجمع.

بعيدا عن مظهره الخارجي، وتصرفاته غير البرتوكولية، أعتمد ترامب على مبدأ الصفقة في جميع توجهاته السياسية، ناقلا خبرته في مجال التجارة الى البيت الابيض الذي يدير منه الولايات المتحدة الامريكية. الصفقة التي تعني في ابسط تعاريفها المبادلة التجارية للسلع والخدمات، اعتمدها الرئيس ترامب كأسلوب سياسي أساسي في سياسة بلاده الداخلية والخارجية. فكان يعقد الصفقات مع الجميع، لتحقيق غاياته واهدافه.

لذا كانت الصفقة اسلوباً سياسياً من اساليب الرئيس الرئيسة في سياسته الداخلية والخارجية، والاحيرة ما يهمننا في بحثنا، إذ سعى ترامب لاستغلال حاجة دول الخليج العربية الى الحماية والدعم الأمريكي من اجل بقاء شرعية أنظمتها دوليا وتقويتها أمام شعوبها ايضا. فكانت صفقات السلاح الامريكية-الخليجية وسيلة ترامب لتعزيز الاقتصاد الأمريكي وانهاشه بدفقات مالية ضخمة، تعمل كجبرعات مقوية لسوق العمل وتخفيض نسب البطالة الداخلية، وتعزيز مكانة شركات السلاح الداعمة لمؤسسة الرئاسة الامريكية. بالاضافة الى بسط النفوذ الأمريكي في منطقة الخليج اكثر فاكثر عبر التبعية في تسليح الجيوش العربية هناك.

وكل ما ذكر من منافع لأمريكا في النهاية يصب في صالح مؤشرات رضا الجماهير الامريكية التي ستذهب لانتخاب ترامب وتحدد له الولاية مرة اخرى، لانه حقق ما عجز عنه غيره من رؤساء سابقين. ان الصفقة أسلوب حياة في أمريكا ويدخل في مجالات مختلفة كالتجارة والاقتصاد، بل حتى في تطبيق القانون وعمل الشرطة. أي انه ليس بمستغرب على المجتمع هناك، لكن المستغرب ان يستخدمه أكبر رأس في الدولة كتوجه سياسي يميزه عن باقي من حكموا الولايات المتحدة الامريكية منذ تأسيسها الى الان.

المصادر

١. نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار القلم، ط ١، دمشق- سوريا، ٢٠٠٨.

^{٦٤} - سعيد عكاشة، السياسة الداخلية لدونالد ترامب، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، الرابط: <http://acpss.ahram.org.eg/News/5663.aspx>

٢. احمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجليل، بيروت- لبنان، ١٩٨١.
٣. محمد جبر الالفلي، معجم المصطلحات التجارية الشرعية والنظامية، سلسلة اصدارات الكرسي ٩، الرياض-السعودية، ١٤٣١هـ.
٤. روبرت أ.دال، التحليل السياسي الحديث، ترجمة علا ابو زيد، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ط٥، القاهرة-مصر، ١٩٩٣.
٥. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، دار الكتب العربية، القاهرة-مصر.
٦. المنجد في اللغة والادب والعلوم، المطبعة الكاوليكية، ط١٩، بيروت-لبنان.
٧. احمد سعيقان، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠٠٤.
٨. ستيفن د. تانسي و نايجل جاكسون، أساسيات علم السياسة، ترجمة محيي الدين حميدي، دار الفرقد، ط١، دمشق-سوريا، ٢٠١٦.
٩. جان ماري دانكان، علم السياسة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت-لبنان، ١٩٩٧.
١٠. باتريك هـ اونيل، مبادئ علم السياسة المقارن، ترجمة باسل جبيلي، دار الفرقد، ط١، دمشق-سوريا، ٢٠١٢.
١١. موريس دوفرجه، مدخل الى علم السياسة، ترجمة سامي الدروبي و جمال الاتاسي، دار دمشق للطباعة، دمشق-سوريا.
١٢. علي اغوان، تحليل السياسة الخارجية الامريكية في عهد خمس رؤساء، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، الرابط: <https://www.alnahrain.iq/post/113>.
١٣. جورج دبليو بوش: الرئيس الثالث والأربعون، شبكة الجزيرة، الرابط: <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/691dc7bb-e272-4386-9df6-92209657f3fb>.
١٤. قاسم اسماء امينة، التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الامريكية تجاه ايران وانعكاساتها على دول المنطقة، رسالة ماجستير، جامعة الجليلي بو نعامة خميس مليانة /كلية الحقوق والعلوم السياسية، حزيران ٢٠١٥، الجزائر.
١٥. مازن احمد صدقي العقيلي، السياسة الخارجية الامريكية بين التغيير والاستمرارية في عهد ادارتي جورج بوش الابن وباراك اوياما، مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية، مج١٧، العدد ٣، تموز ٢٠١٦.
١٦. جورج بوش (الأبن).. الحرب على الإرهاب، موقع الجزيرة الاخباري، الرابط: <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/9bd2e82e-d37b-4512-8eb3-90feabaea9e7>.

Robert Kagan, The twilight of the liberal world order, The Brookings Institution, Tuesday, January 24, 2017, www.brookings.edu/research/the-twilight-of-the-liberal-world-order/.

١٨. حميد شهاب احمد، توجهات السياسة الخارجية للرئيس الامريكي اوباما، ندوة بعنوان "السياسة الخارجية الامريكية في عهد اوباما"، فرع الدراسات الدولية /كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد، ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٩.

١٩. قاسم اسماء امينة، التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الامريكية تجاه ايران وانعكاساتها على دول المنطقة، رسالة ماجستير، جامعة الجليلي بو نعامة خميس مليانة /كلية الحقوق والعلوم السياسية، حزيران ٢٠١٥، الجزائر.

٢٠. طارق الكحلاوي، السياسة الخارجية في عهد اوباما عصر الواقعيين الجدد، موقع الجزيرة، الرابط: <https://goo.gl/PsLvsB>.

٢١. محمد ماضي، السياسة الخارجية الامريكية خلال الفترة الاولى لادارة الرئيس اوباما، موقع القناة السويسرية، الرابط: <https://goo.gl/HG8RGh>.

٢٢. ناجي ملاعب، في عهد اوباما دور البنتاغون في السياسة الخارجية الامريكية، موقع الامن والدفاع العربي، الرابط: <http://sदारabia.com/?p=43919>.

٢٣. ما الذي جناه العرب من رئاسة أوباما، موقع قناة BBC، الرابط: <http://www.bbc.com/arabic/interactivity-38577517>.

٢٤. مثنى علي حسين المهداوي، السياسة الخارجية الامريكية في عهد اوباما، ندوة بعنوان "السياسة الخارجية الامريكية في عهد اوباما"، فرع الدراسات الدولية /كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد، ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٩، ص ٨.

٢٥. تقرير (الامن والنظام العام)، المجلس الاطلسي ومعهد بركنز، الدوحة-قطر، شباط/٢٠١٦، الرابط: www.washington.Atlantic.com.

٢٦. Obama's Domestic Policies, Solidarity organization, web: <https://solidarity-us.org/obamaworkingpaper/obamaworkingpaper3/>.

٢٧. Michael Nelson, BARACK OBAMA: DOMESTIC AFFAIRS, Miller Center/ University of Virginia, web: <https://millercenter.org/president/obama/domestic-affairs>.

٢٨. هناء كلكوت، أقره أوباما وألغاه ترامب.. ما هو القانون الذي بدأ به الرئيسان؟، موقع الخليج اونلاين، الرابط: <https://goo.gl/uyavJo>.

٢٩. عبد الحسين شعبان، الترابية مجاهدة الارهاب بمثله، موقع اورنت نيوز، الرابط: <http://cutt.us/vC8z3>.

٣٠. جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج ٥، دار الفكر العربي، ط ١، مدينته نصر-مصر، ١٩٩٦.

٣١. ستار علك الطفيلي، محاضرات تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، كلية التربية الاساسية /جامعة بابل، بابِل، الــــراــــبــــط: <http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=11&lcid=41423>

٣٢. محمد كريم كاظم، دول الخليج العربي والاستقرار الامني في العراق، مجلة دراسات دولية، كلية العلوم السياسية /جامعة النهريين، العدد ٤٢، ٢٠٠٩.

٣٣. الهيئة العامة للإحصاء، معلومات عن المملكة العربية السعودية، الرابط: <https://www.stats.gov.sa/ar/4025>.

٣٤. محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار اسامة للنشر، عمان-الاردن، ٢٠٠٥.

٣٥. العلاقات السعودية الأمريكية بعد قانون جاستا، تقدير موقف، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، الرابط: <https://fikercenter.com/position-papers/saudi-u-s-relations-:post-jasta-law>.

٣٦. تصريجات ترامب المعادية للسعودية، موقع سبوتنك، الرابط: <https://bit.ly/2HJGLG7>.

٣٧. خطاب مصور للرئيس ترامب، يوتيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=BWyENjbiCkw>.

٣٨. موقع حكومي قطري، الرابط: <https://bit.ly/2BeOtWd>.

٣٩. موقع الحكومة الأمريكية، الرابط: <https://www.state.gov/r/pa/ei/bgn/5437.htm>.

٤٠. تصريح للرئيس ترامب، اليوتيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=3v8R5AqyKiE>.

٤١. شبكة BBC العربية، الرابط: <http://www.bbc.com/arabic/middleeast-39105625>.

٤٢. مصطفى خليفة، الامارات وامريكا علاقات حيوية وشراكة استراتيجية، مجلة البيان، الرابط: <https://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports/2017-05-15-1.2947478>.

٤٣. Kareem Fahim and Missy Ryan, The UAE's hunt for its enemies is challenging its alliance with the United States, Washington post, https://www.washingtonpost.com/world/middle_east/uaes-drive-for-regional-influence-tests-its-military-alliance-with-the-united-states/2017/08/03/448683ee-6bd2-11e7-abbc-a53480672286_story.html?noredirect=on&utm_term=.a63b70dd6433.

٤٤. Ryan Grim, GULF GOVERNMENT GAVE SECRET \$20 MILLION GIFT TO D.C. THINK TANK, The intercept,

- <https://theintercept.com/2017/08/09/gulf-government-gave-secret-20-million-gift-to-d-c-think-tank/>
٤٥. David Hearst, Revealed: How Trump confidant was ready to share inside information with UAE, middle east eye, <https://www.middleeasteye.net/news/donald-trump-campaign-and-uae-emails-yousef-otaiba-tom-barrack-reveal-sharing-information-2016-election-saudi-9/11-1631521788>
٤٦. صالح ابو ناصر، ملامح السياسة الخارجية الامريكية الانية تجاه الشرق الاوسط، موقع نون بوست، الرابط: <http://www.noonpost.org/content/21929>
٤٧. ياسر عبد الحسين، السياسة الخارجية الامريكية في عهد ترامب، مجلة ابحاث استراتيجية، دورية تصدر عن مركز بلادي للدراسات الاستراتيجية، العدد ١٤٤، آذار ٢٠١٧.
٤٨. ايريك دريستر، الترابية الخطر الحقيقي ليس دونالد ترامب، ترجمة: علاء الدين ابو زينة، موقع العرب والعالم، الرابط: <http://cutt.us/ZhvRG>
٤٩. حسن منيمنة، الترابية الفاشية الصاعدة في الولايات المتحدة، موقع صحيفة الحياة، الرابط: <http://cutt.us/f2rlQ>
٥٠. مايكل كرانش ومارك فيشر، ترامب بلا قناع، ترجمة: ابتسام بن خضراء، دار الساقى، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠١٧.
٥١. Donald J. Trump, The Art of the Deal, The Random House Publishing Group, New York, 1987, pp12.
٥٢. محمود جمال عبد العال، ما بين سندان المؤسسية ومطرقة الفردانية: السياسة الخارجية الأمريكية في عهد ترامب، المركز العربي للبحوث والدراسات، الرابط: <http://www.acrseg.org/40724>
٥٣. اليسا ايبستن، بعد عام على رئاسة ترامب، مسؤولون كبار في إدارته انتقائيون في مجال حقوق الإنسان، منظمة حقوق الإنسان، الرابط: <https://www.hrw.org/ar/news/2018/01/25/314201>
٥٤. Robert Kagan, The twilight of the liberal world order, The Brookings Institution, Tuesday, January 24, 2017, www.brookings.edu/research/the-twilight-of-the-liberal-world-order/
٥٥. علي حسين حميد، امريكا والناتو بعد ترامب، مجلة ابحاث استراتيجية، مركز بلادي للدراسات والابحاث، العدد ١٤٤، بغداد-العراق، آذار ٢٠١٧.
٥٦. عام في السلطة.. هذه أبرز القرارات والمواقف الداخلية لترامب، موقع قناة الحرة، الرابط: www.alhurra.com/a/donald-trump-first-year/414042.html

٥٧. سعيد عكاشة، السياسة الداخلية لدونالد ترامب، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، الرابط: <http://acpss.ahram.org.eg/News/5663.aspx>.
٥٨. علي فارس حميد وآخرون، قمة الرياض وهم القوة ومحنة المواجهة، مجلة ابحاث استراتيجية، مركز بلادي للدراسات والابحاث الاستراتيجية، العدد ١٥٥، بغداد-العراق، آب/٢٠١٧.
٥٩. "شفرة ترامب" تكشف هدفه الحقيقي في أزمة إيران، تقرير مصور، موقع سبوتنك عربي، الرابط: <https://goo.gl/YP6Jjn>.
٦٠. أمير رواش، صفقات ترامب في الشرق الاوسط، موقع BBC، الرابط: <http://www.bbc.com/arabic/middleeast-42713218>.

تقييم أداء المصارف الإسلامية العراقية باستخدام نموذج PATROL

The Performance Assessment of Iraqi Islamic Banks Using PATROL Model

زينه ضياء عبد علي^(١) Zeena Dh. Abed Ali

أ.م.د. احمد كاظم بريس^(٢) Assist. Prof. Ahmed K. Brais

المستخلص

يهدف البحث الى تقييم اداء المصارف الاسلامية العراقية الذي يعد من اهم المواضيع التي شغلت الباحثين لما لهذه المصارف من دور بارز في الاقتصاد حيث لا يمكن تجاهل الدور الذي يلعبه الجهاز المصرفي بصورة عامة والمصارف الاسلامية بصورة خاصة على الرغم من حداثتها لكنها اثبتت حضورها مقارنة بالمصارف التقليدية. استخدم البحث واحداً من اهم النماذج الحديثة لتقييم اداء المصارف وهو نموذج (PATROL) الذي تم استخدامه لأول مرة في ايطاليا (1993) واهم مكونات النموذج (كفاية رأس المال و الربحية و جودة الائتمان و التنظيم والسيولة) حيث سيتم تقييم اداء المصارف الاسلامية ومعرفة سلامة موقف كل مصرف حسب مرتبته و يتم تقييم كل من المكونات الخمسة للمصارف على مقياس من (1) إلى (5) تصنيف (1) يشير إلى أفضل اداء للمصرف وتصنيف (5) يدل على أسوأ اداء ويستند هذا التصنيف إلى المعلومات النوعية والكمية المتاحة ويعتبر تقييمها ضرورة ملحة لغرض تأهيلها للمنافسة. اهم الاستنتاجات التي توصلت اليها الدراسة ضعف في بعض المؤشرات (جودة الائتمان والتنظيم) والتركيز على المراجعة وقلة استخدام الادوات الاخرى كالمشاركة والمضاربة اما اهم التوصيات تقليل القيود المفروضة على المصارف الاسلامية ونشر تقييم الاداء السنوي للمصارف الاسلامية لتعطي صورة واضحة لدى الزبائن عن مستوى المصرف بين المصارف الاخرى واستخدام ادوات حديثة لمواكبة الوضع الاقتصادي الراهن. الكلمات المفتاحية: المصارف الإسلامية، تقييم الأداء، نموذج PATROL.

^١ - جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

^٢ - جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

Abstract

The study aims to evaluate the performance of Islamic banks in Iraq, which is one of the most important topics that occupied the researchers because of the prominent role played in the economy in spite of their novelty but proved their presence compared to conventional banks. The study uses one of the most important modern models for assessing the performance of banks, the *PATROL* model that was first used in Italy (1993). The main components of the model (capital adequacy, profitability, credit quality, Organization and liquidity) Each bank is rated according to its rank. Each of the five components of banks is evaluated on a scale of (1) to (5), (1) indicates the best performance of the bank, and (5) indicates the worst performance. This classification is based on the qualitative and quantitative information available. The main conclusions of the study are weakness in some indicators (credit quality and Organization), the focus on Murabaha and the lack of use of other instruments such as participation and speculation. The most important recommendations are reducing the restrictions imposed on Islamic banks and publishing the annual performance evaluation of Islamic banks to give a clear picture among customers about the level of the bank among other banks And the use of modern tools to cope with the current economic situation.

Keywords: Islamic Banks, Performance Assessment, *PATROL* Model.

المقدمة

تمثل المصارف عصب الاقتصاد، ومحركه الأساس اذ تعمل المصارف التقليدية على أساس مبدأ الفائدة، في حين أن المصارف الإسلامية تعمل بدون فوائد استناد على مبدأ المشاركة في الربح والخسارة أثناء القيام بالأعمال التجارية ويلعب القطاع المصرفي دوراً حيوياً في التنمية الاقتصادية يتكون القطاع المصرفي حالياً من نوعين أساسيين من المصارف - أحدهما النظام المصرفي التقليدي والآخر هو النظام المصرفي الإسلامي. بجانب هذين الشكليين الأساسيين للنظام المصرفي، هناك نظام مصرفي مختلط يضم المصارف التجارية المملوكة للدولة والمصارف التجارية الخاصة والأجنبية ومن أجل سلامة المصارف وتشخيص نقاط القوة والضعف يجب تقييم ادائها لتطويرها ومنح الثقة للزبائن ومن أهم النماذج الحديثة التي استخدم في بحثنا نموذج (*PATROL*) الذي يتضمن أهم المعايير (كفاية رأس المال و الربحية وجودة الائتمان والتنظيم والسيولة).

المبحث الأول: منهجية الدراسة

أولاً: مشكلة البحث

على الرغم من الدور البارز الذي يلعبه القطاع المصرفي في تنمية وإنعاش ورفاهية الاقتصادات العالمية كافة سواء كانت متقدمة ام نامية، الا انه لم يحتل موقعه الريادي في تنمية الاقتصاد العراقي لحد الان، وعلى راس ذلك المصارف الإسلامية التي تمارس عملها طبقاً للشريعة الإسلامية.

ان جزء مهما من أسباب عدم ممارسة المصارف المذكورة لدورها الريادي في الاقتصاد العراقي هو عدم ثقة المواطنين بمستوى أدائها، وهذا الامر ناتج عن الافتقار الى الافصاح والشفافية في التعبير عن حقيقة اداء المصرف وهذا بدوره يؤثر على التعاملين مع المصارف بشكل خاص وعلى النمو الاقتصادي بشكل عام، الامر الذي دفع المهتمون الى وضع اكثر من طريقة لتقييم أداء المصارف وإتاحة هذا التقييم للجمهور بهدف اطلاعهم على حقيقة أداء القطاع المصرفي، وبالتالي مساعدتهم في اتخاذ قرارات الاقتراض او الإيداع او الاستثمار في تلك المصارف، ومن بين النماذج الحديثة لتقييم أداء المصارف نموذج PATROL. ومن خلال النموذج المذكور تسعى الدراسة الحالية الى الإجابة عن التساؤلات التالية:

١. هل تحقق المصارف العراقية الإسلامية نسبة الملاءة المالية المطلوبة؟

٢. هل تحقق المصارف العراقية الإسلامية ارباحاً كافية؟

٣. هل تؤثر مخاطر الائتمان على اداء المصارف الإسلامية؟

٤. هل تمتلك المصارف الإسلامية إدارة مصرفية كفؤة؟

٥. هل تمتلك المصارف الإسلامية السيولة الكافية؟

ثانياً: فرضيات البحث

تنطلق الدراسة الحالية من فرضية رئيسة وهي (لا تمتلك المصارف الإسلامية عينة الدراسة مؤشرات أداء جيدة وفقاً لنموذج PATROL)، ولقد تفرعت عن الفرضية الرئيسية (٥) فرضيات فرعية وهي:

١. لا تمتلك المصارف الإسلامية نسب كفاية رأس المال جيدة لتحقيق الملاءة المالية بضوء نموذج

PATROL.

٢. لا تمتلك المصارف الإسلامية قدرة جيدة على تحقيق الربحية بضوء نموذج PATRO.

٣. لا تحتاط المصارف الإسلامية بشكل جيد من المخاطرة الائتمانية بضوء نموذج PATRO.

٤. لا تمتلك المصارف الإسلامية إدارة كفؤة بضوء نموذج PATROL.

٥. لا تمتلك المصارف الإسلامية سيولة كافية بضوء نموذج PATROL.

ثالثاً: أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من خلال النقاط الآتية:

١. تسليط الضوء على تقييم اداء المصارف الإسلامية التي نمت بشكل سريع، كونها تلي متطلبات

الشريعة الإسلامية.

٢. تسليط الضوء على أسلوب حديث من أساليب تقييم أداء المصارف وهو أسلوب PATROL،

حيث يتميز هذا النموذج بقلة البحوث التي تناولته بالشرح والتحليل وخاصة العربية منها.

٣. اول دراسة عراقية تقييم أداء عينة من المصارف الإسلامية العراقية باستخدام نموذج PATROL.

رابعاً: اهداف البحث

يهدف هذا البحث الى تحقيق ما يلي:

١. تقييم بعض مؤشرات الأداء للمصارف الإسلامية العراقية.

٢. الوقوف على أهم النماذج المستخدمة في قياس وتقييم أداء المصارف الإسلامية ومعرفة درجة ترتيبه كل حسب أداء.

٣. تحديد العوامل المؤثرة التي تحد من التقييم الكلي الاداء المصارف الإسلامية على ضوء نموذج *PATROL*.

٤. تقديم التوصيات اللازمة للنهوض بمستوى أداء المصارف الإسلامية العراقية.

خامساً: عينة البحث

شملت الدراسة عينة من المصارف الإسلامية في العراق تم تقييم بعض مؤشرات الأداء فيها خلال سلسلة زمنية امتدت لمدة سبع سنوات من (٢٠١١ - ٢٠١٧).

سادساً: الأساليب الرياضية والإحصائية

بالإضافة الى الأساليب الرياضية المستخدمة لغرض احتساب قيم نموذج *PATROL*، استخدم الباحثان الوسط الحسابي لغرض المقارنة بين أداء المصارف عينة الدراسة سواء على مستوى سنوات الدراسة او على مستوى المصرف الواحد.

سابعاً: اسباب اختيار الموضوع

اختيار نموذج *PATROL* لكونه من النماذج الحديثة وغير المستخدمة في تقييم أداء المصارف الإسلامية ويتميز بسلاسة في تطبيقه وفهمه وبمتملك خمسة معايير مهمة في القطاع المصرفي يستند اليها ومن خلالها يمكن معرفة تصنيف المصرف.

المبحث الثاني: الإطار النظري

اولاً: مفهوم المصارف الإسلامية

برزت المصارف الإسلامية على مدار العقود الأربعة الماضية وشهدت نمواً ملحوظاً من حيث أعداد المصارف الإسلامية التي تم إنشاؤها في جميع أنحاء العالم. أن هذا التوسع يشير الى تطور الصيرفية الإسلامية وحدوث تغييرات كبيرة في الصناعة المالية، وتزايد اعداد المشاركين الجدد في المصرف الإسلامي اليوم. إن السبب في رغبة الزبائن الانضمام إلى هذه الصناعة يرجع بشكل أساسي إلى تشغيل أنشطة مصرفية خالية من أي عنصر محظور في الفقه الشرعي الإسلامي مثل الربا والغرار. و تهدف الى تقاسم الربح و الخسارة لتعزيز العدالة والإنصاف (Waemustafa, 2013:67).

ولقد وردت عدة مفاهيم للمصارف الإسلامية يمكن توضيحها من خلال عدة تعاريف فقد عرفه (العجلوني، ٢٠١٠: ١١٠) ((مؤسسة مصرفية لتجميع الاموال وتوظيفها ضمن الشريعة الإسلامية لكي يخدم بناء مجتمع إسلامي، وتحقيق العدالة ووضع المال في المسار الصحيح)). وعرفها (الحواري وحساني، ٢٠١١: ١٦٣) بانها ((منظمات اسلامية تعمل على بناء الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي ومنحهم الفرص للعمل من اجل النهوض على اسس ملتزمة بالشريعة الاسلامية)). وكذلك عرفت بانها ((مؤسسة مالية

واستثمارية وتنموية واجتماعية تستمد منطقتها العقائدي من الشريعة الإسلامية)) (Cihak,&Hesse,2010:2).

إذا كانت المصارف التقليدية تعتمد في عملها على جذب ودائع المدخرين من خلال تقديم مغريات عديدة أهمها سعر الفائدة ومن خلاله نستطيع تجميع المدخرات من الوحدات التي تفيض لديها الاموال ثم تمنحها الى جهات تقل لديها الاموال مقابل سعر فائدة. نجد ان المصارف الإسلامية تقدم خدماتها بشكل يتوافق مع الشريعة الإسلامية، حيث تعتمد المصارف الإسلامية على صيغ الاستثمار الآتية:

أ- المشاركة:

تعد المشاركة احد أنشطة الاستثمار الهامة للمصارف الإسلامية، تعني المشاركة لغة الشركة هي الاختلاط او الامتزاج اي مخالطة الشريكين (الوادي وسمحان، ١٩٣: ٢٠٠٩). ان كلمة (مشاركة) تعني شراكة تتشارك بالربح والخسارة وفي إطار المشاركة، يساهم المصرف والزبون بشكل مشترك في تكوين رأس المال بالإضافة إلى الخبرة الإدارية والخدمات الأساسية الأخرى بنسب متفق عليها يتم تقاسم الربح أو الخسارة وفقاً للعقد المتفق عليه (Khan et al:163).

ب- المراجعة:

المراجعة هي احد أنواع المعاملات المالية الإسلامية تتضمن بائعاً ومشترياً ومقرضاً وكلمة مراجعة تعني في الواقع "الربح"، مشتقة لغوياً من الربح بمعنى الفرق بين كلفة السلعة وسعر بيعها وهي في الأساس عقد بيع مع ربح معلوم ويشترط أن يكون رأس المال معلوماً والعقد خالي من الربا حيث يستطيع ان يحصل الزبائن على السلع من خلال المصرف وتعد المراجعة أكثر أساليب التمويل الإسلامي شيوعاً وشعبية، وهي تقنية تستخدمها المصارف الإسلامية في جميع أنحاء العالم. وقد وجد أن ٨٠٪ من العمليات المالية للمصارف الإسلامية تنتمي إلى فئة المراجعة وهي أحد مصادر التمويل المتاحة لشراء المعدات من مصرف إسلامي تحت عقد مراجعة يقوم المصرف بشرائه نيابة عنه (Almohana,2017:86-98) (Iqbal&Mirakhor,2011:83).

ت- المضاربة:

المضاربة شكل من أشكال الشراكة حيث يساهم الطرف الاول برأس المال والطرف الآخر يكرس رأس المال البشري المتمثل بالأفراد العاملين في المصرف للقيام بالنشاط التجاري من أجل المنفعة المتبادلة، يأخذ كل طرف نسبة متفق عليها من الربح و إذا تكبد مشروع المضاربة خسائر، فإن الممول يتحمل جميع الخسائر المالية، في حين لا يتلقى الطرف الإداري أي مكافأة لجهوده، يدعى الممول أيضاً باسم "المستثمر" (Khan& Bhatti ,2008 :45).

ث- الاستصناع:

المعنى الحرفي لكلمة الاستصناع هو "التصنيع". هذا النوع من التمويل عادة ما يبيع سلعة غير موجودة في وقت التعاقد. و يركز الاستصناع للتمويل على مشاريع البنية التحتية الكبيرة، مثل تصنيع الطائرات وبناء محطات الطاقة. أذ يخبر العميل المصرف عزمه على شراء سلعة لابد من تصنيعها أو تجميعها بمواصفات معينة

بسرر محدء بعء ذلك یررم العمل والمصرف عقد استصناع؁ یرسم للمصرف بعقء مع طرف ثالث لتصنيع السلعة التي وافقوا علیها وتسليم هذه السلعة إلى العمل فی وقت معین وبسرر محدء یمكن للعمل الدفع للمصرف علی الفور أو علی عدة أقساط. (12: 2015) (Alsolami).

ج- الاجارة (التأجير)

الاجارة لغة مشتقة من الأجر وهو بمعنى العوض وبیعنی تملیک للمنفعة بتعویض وفقا لشروط العقد (النجار؁ ٢٠٠٩: ١١١) هذا یعنی قرض قطعة معينة من الممتلكات؁ ومضمونها هو أن لا تستهلك من قبل استخدامها وبعبارة أخرى؁ هو هدية الانتفاع من الممتلكات أو السلع التي لا تستهلك عند الاستخدام (Ismal, 2013: 79)؁ و أن الاجارة مشروعة استنادا الى قوله تعالى ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ (القران الکریم؁ سورة الکهف: ٧٧) یمكن لعقد الإجارة أن یقدم للمستأجر خيار شراء الأصل فی نهاية فترة الإيجار عن طریق هدية أو مقابل عوض؁ أو بالأقساط من مبلغ محدء خلال فترة الإيجار.

د- السلم

السلم لغة هو التقدیم والتسليم؁ وأسلم بمعنى اسلف بمعنى قدم وسلم وهي البیع الذي یتم فيه تسليم الثمن فی وقت ابرام العقد ویؤجل تسليم السلعة المحددة والموصوفة بدقة الى وقت لاحق یكون محدء فی العقد. (الشمري؁ ٢٠٠٨: ٤٨). أن السلم هو البیع الذي یتم تأجيل التسليم فيه حتی موعد محدء فی المستقبل ویتم استخدامه للمنتجات الزراعية و الصناعية من أجل الامثال للشريعة؁ یجب أن یحدد عقد السلم نوعية المنتج للتسليم؁ ویجب أن یتم السداد فی الوقت الذي تم فيه إبرام العقد. (Khan, 2003: 28-29) يدفع المشتري للبائع الثمن الكامل المتفاوض علیه للمنتج الذي وعد البائع بتسليمه فی تاریخ مستقبلي. (الدفع المسبق؁ التسليم الموجل) (Čihák & Hesse, 2008: 22)

ثانيا: مفهوم تقييم الاداء وماهية الاداء المالي

إن استقراء التاريخ یوضح أن عملية تقييم الاداء قديمة منذ قدم الانسان ذاته. وهذه العملية هي عنصر مهم من عناصر أي عملية ادارية ناجحة؁ ومن خلالها تحدد النتائج والدلائل التي یمكن أن توضح عملية التطور والاصلاح. وان الاهتمام بعملية تقييم الاداء ودقة اساليبه وموضوعية مؤشرات وحرصها علی التصحيح استنادا للنتائج یمكن وصفها بأنها الدلیل علی جدية الجهود وصقل الارادة لوضع عملية التنمية علی بداية الطريق؁ كما یعبر نظام تقييم الاداء عن نضج المجتمع وعقلانيته فی تيسير شؤونه (النجار؁ ٢٠١٠: ٣٨٩-٣٩٣).

وقد تطور موضوع تقييم الأداء ومفهومه فی الوحدات الاقتصادية بمرور الايام بسبب التطور الحاصل فی الهيكل التنظيمي والإنتاجي للوحدات الاقتصادية ذاتها أو للصناعة بصورة عامة من خلال البداية البسيطة والمتمثلة بالرقابة الشخصية من قبل اصحاب المنظمات علی العاملين للتأكد من سلامة تنفيذهم للأعمال الموكلة إليهم وتم تطورت هذه الفكرة وأصبحت أكثر توسعا بتطور الوحدات الاقتصادية ونموها من جهة وتطور العلوم والتقنية من جهة أخرى. (المولى؁ ٢٠٠٨: ٧)

إن تقييم الأداء يهدف الى التحقق من أن الأهداف المنشودة للمؤسسات المالية والمصرفية يتم تحقيقها من خلال استخدام طرق تجريبية مختلفة ويُعدّ تقييم الأداء جزءاً من إجراءات الرقابة، وهو طريقة لقياس إنجازات المنظمة بناءً على الأهداف المخطط لها. وقد زاد الاهتمام بعملية تقييم الأداء لما تبرزه من نتائج تعبر عن مدى نجاح المنظمات في تنفيذ الخطط والبرامج المحددة من قبل الإدارات العليا في المنظمات، حيث يعد المردود المتمثل في الربح أساساً لكل عمل معبراً عن الأداء الجيد. (Szczepanowicz, 2011:99).

ومما ينبغي الإشارة إليه أن عملية التقييم ليس الغرض منها التشهير وزرع الرعب وتعطيل الاعمال وأنما الهدف منها العكس من ذلك وهو ظهور حقيقة نتائج الاداء والتعرف على عقباته لكي يتم التخلص هذه العقبات من اجل المؤسسة ومن اجل الافراد المتعاملين معها والعاملين فيها بالإضافة الى المصلحة العامة. (النجار، ٢٠١٠:٤١٧)

ويمكن تعريف عملية تقييم الاداء بأنها الخطوة الاخيرة لكل عملية، ومن خلالها يتم مقارنة النتائج مع المعايير المناسبة وبذلك تكون الادارة استنتاجات عن اداء المنظمة في ضوء التقييم (العامري، ٢٠١٠:١٢٠)، ويرى المولى تقييم بأنه عملية تحديد درجة النجاح في انجاز أهداف التي تم اعتمادها مسبقاً (المولى، ٢٠٠٨: ٧) وهناك من يرى انه تقييم مدى نجاح الادارة في تحقيق عوائد عالية متوازنة مع مخاطر مقبولة لتوازن بين العوائد المرتفعة والمخاطر المقبولة. (Jordan & Miller Jr, 2009:414) اما (القرشي) فقد عرف تقييم الاداء بأنه تحديد نقاط القوة ونقاط الضعف و يساهم هذا التشخيص في تخطيط قرارات ادارة الموجودات والمطلوبات للمصرف. (قرشي، ٢٠٠٤: ٩٠).

ثالثاً: اهداف تقييم الاداء

إنَّ الهدف الاساسي من تقييم الاداء بشكل عام هو معرفة أن الاداء الحقيقي للمنظمة يسير وفقاً لما هو مخطط له من اجل النمو والتطور (Karkoulia, 2002:31-32) وتحقيق عملية تقييم الاداء جملة من الاهداف تم طرحها من قبل الباحثين اهمها ماييلي: (الحيدري، ٢٠٠٨: ٦١) (Nelson&Quick, 2015:92) (مسعودي، ٢٠١٥: ٢٩).

١. المقارنة بين اداء المصرف والمصارف الأخرى ضمن القطاع نفسه أو قطاعات مختلفة لأصلاح الادارة العليا بالجوانب الايجابية ومدى امكانية الاستفادة من الخطة وتطبيقها للارتقاء بالمصرف في رفع مستوى أدائه.

٢. كشف وتشخيص المشاكل الادارية والتنظيمية التي تحدث داخل المصارف، إذ تتكفل هذه النتائج التحليلية الكشف عن بعض العيوب الادارية والتنظيمية.

٣. تنشيط الاجهزة الرقابية على أداء عمل المصارف عن طريق المعلومات التي تقدمها تقارير الأداء، مما يتيح للقائمين على المصرف ومتخذي القرار التحقق من كفاءة عالية وانجازها لأهدافها المرسومة، وتحقيق اكبر العوائد اوبقل تكلفة ممكنة.

رابعاً: أهمية تقييم الأداء

ان تقييم الاداء يعد عنصراً هاماً جداً ويجب تطويره من قبل المؤسسات ويعد عملية أساسية من العمليات الادارية في المؤسسة ولاتقل أهمية عن العمليات الاخرى كأخذ القرار وبناء فرق العمل، ولاتستطيع أي مؤسسة مهما كان نوعها اهمال عملية التقييم (الخفاجي وياغي، ٢٠١٤: ٤١) لكونها تعمل على قياس مدى النجاح الذي تحقّقه في مختلف المجالات والسعي للوصول الى الاهداف (الصباغ، ١٩٨١: ١١).

وتكمن أهمية تقييم الاداء في مايلي:

- ١- يساعد في معرفة احتياجات العملاء لوسائل الاستثمار اذا كانت هذه الصيغة تلبي احتياجاتهم فمن خلالها يعمل المصرف على التوسع.
- ٢- يساعد في إيجاد نوع من المنافسة بين المراكز المختلفة في المصرف مما يساعد في تحسين مستوى الاداء فيه.

٣- يكشف تقييم الأداء عن التطور الذي تحقّقه المصارف في عملها نحو الأفضل أو الأسوأ من خلال نتائج الأداء الحقيقي في المصرف زمانياً من مدة إلى أخرى ومكانياً بالمصارف المماثلة الأخرى.

٤- تنشأ روح التنافس بين المصارف ويتم تحفيز الادارات لتحسين أدائهم.

٥- يساهم تقييم الأداء للحصول على نظام سليم وفعال.

٦- يساعد تقييم الأداء على تحديد المركز الاستراتيجي للمصارف وبيان ضمن أي بيئة يعمل فيها ومن ثم تحديد التغييرات لغرض تحسين المركز التنافسي.

٧- يوفر تقييم الأداء معلومات قيمة عن قرارات، فإن تقييم الأداء يخدم كأساس لسياسات العمل المناسبة. (عاصي: ١٧٧) (زغود، ٢٠١٥: ٤٦) (تريعة، ٢٠١٥: ٢١) (الحسيني والدوري، ٢٠٠٨: ٢٣٢) (Moyal & Iyengar, 2016:3).

خامساً: نموذج *PATROL*

قدم البنك المركزي الايطالي في عام ١٩٩٣ نظام تصنيف داخلي جديد يسمى نظام *PATROL* يعد أداة رقابية خارجية لإعطاء صورة واضحة لصحة المصارف المالية وتقديم الدعم في تحديد أولويات استخدام الموارد الإشرافية لتحديد وقت اختبارات الموقع. نظراً لعدم وجود تفويض محدد لإجراء الفحوصات الدورية في الموقع للمؤسسات المصرفية في إيطاليا، الا بعد اخضاع المصارف الى التقييم خارج الموقع بأستخدام *PATROL* في إيطاليا بالنسبة للمؤسسات المصرفية حيث لا يوجد أي توجيه للاختبارات الدورية في الموقع بحيث يتم تعيين مصارفها على تصنيف *PATROL* على أساس المعلومات المتاحة للتحليل و الاشراف من بيانات التقارير التنظيمية الشهرية ونصف السنوية والسنوية التي يتلقاها مصرف إيطاليا وأن المكونات الخمسة الـ *PATROL* هي كفاية رأس المال والربحية والجودة الائتمانية والتنظيم (الإدارة) والسيولة. (Mulugeta, 2016:15)

سادسا: معايير او مكونات نموذج PATROL

١- كفاية رأس المال Capital adequacy

كفاية رأس المال هو تحديد مستوى رأس المال الذي يسمح به المصرف للحفاظ عليه من الخسائر المحتملة الناجمة عن المخاطر المحتملة والامتثال لمستوى ملاءة مقبول. يتبع مبدأ كفاية رأس المال التوجهات الرئيسية لأدارة المخاطر. يتطلب تنفيذ هذا المبدأ تقييم جميع المخاطر لجعلها قابلة للمقارنة مع القاعدة الرأسمالية للمصرف وتعديل رأس المال إلى مستوى يتوافق مع تقييم المخاطر، مما يعني تحديد مستوى "الاحتمال" لمخاطر تجاوز الخسائر، وهو خطر يجب أن يظل منخفضاً جداً حتى يكون مقبولاً. (20:2015, Bessis) ويحتسب:

$$\text{كفاية رأس المال} = \frac{\text{رأس المال الاساس} + \text{رأس المال المساند}}{\text{الاصول المرجحة بالمخاطر}} \quad (\text{الربيعي والراضي، ١١٠:٢٠١١-١١١})$$

٢- السيولة liquidity:

تمثل السيولة عنصر الحماية والامان للمصارف وتحافظ على قدرة الجهاز المصرفي على تلبية طلبات الائتمان في اي وقت وتسمح السيولة للوفاء بالالتزامات المتوقعة وغير المتوقعة (Banks, 2005:3) وهي قدرة المؤسسة على دفع التزاماتها عند استحقاقها (Casu et al, 2006:486) ويمكن تعريف سيولة المصرف على أنها القدرة على تلبية الاحتياجات النقدية المتوقعة وغير المتوقعة (الطارئة). تنشأ الاحتياجات النقدية من سحب الودائع، واستحقاقات الالتزامات ومدفوعات القروض (Machiraju, 2008:187).

الموجودات السائلة

$$\text{وتحتسب بالاتي السيولة} = \frac{\text{الودائع تحت الطلب}}{\text{الموجودات السائلة}} \quad (\text{Rose, 1999: 141})$$

الودائع تحت الطلب

٣- الربحية (profitability):

تمثل الربحية الاعمال النهائية للجهود المبذولة وكافة الانشطة المقدمة من المصرف وهي تعد المقياس الكلي للأداء المالي (لطفي، ٢٠٠٧: ٩٨) وأن تحسين الربحية هو الطريقة الأكثر فعالية للإدارة و النمو في الأرباح يوفر زيادة حقوق المساهمين. وبالقدر نفسه من النمو السريع في الموجودات، يمكن للمصرف أن يقوي رأس المال. (Machiraju, 2008:127) وأن المقياس الأساسي لربحية المصارف هو العائد على الأصول (ROA) (Gulal et, 2011:70)

صافي الارباح

$$\text{العائد على الاصول} = \frac{\text{صافي الارباح}}{\text{اجمالي الموجودات}} \times 100\% \quad (\text{Mishkin\& Eakins, 2012:411})$$

اجمالي الموجودات

٤- جودة الائتمان credit quality

وهي احتمالية عدم التزام عملاء المصرف المقترضين بالوفاء بالتزاماتهم تجاه المصرف، وذلك عند استحقاق هذه الالتزامات أو عدم السداد حسب ما متفق عليه، اذ تعد هذه المخاطر مرتبطة بالطرف

المقابل في العقد من حيث قدرته على سداد إلتزاماته تجاه المصرف في الوقت المحدد. (عنانزه و عثمان، ٢٠١٥: ٢٠١٣) يتم قياس جودة الائتمان حسب الآتي:

الديون المشكوك في تحصيلها/ إجمالي القروض (Cannata & Quagliariello, 2004:14)

٥- التنظيم organization:

يحتاج اي عمل تنظيمي الى تطوير الخطوات المتبعة فيه، وتعد أهم الطرق لتغيير وضع المنظمة هو تقديم وظائف نادرة ومتطورة تواكب التغيير وتعد الموارد البشرية مصدر قوة للمصارف وتكمن مقدرتها المتميزة في قدرة العاملين وخبرتهم ومهارتهم التي تجعل المؤسسات تتنافس من خلال تطوير العاملين وأيجاد وسائل لتحفيزهم (العززي، ٢٠١٧: ٦٠٦ - ٦٠٨) ويمكن تعريف التنظيم بأنه تحليل الاداء التنظيمي لتشخيص درجة الكفاءة والوصول الى استراتيجيات التطوير لكي تصل المنظمة الى المستوى المطلوب. وأن التنظيم يعد وظيفة ادارية المهدف منها بناء مايعرف بالهيكل التنظيمي (المرجوشي، ٢٠٠٨: ٥٠-٥١).

$$\text{معدل كفاءة التنظيم} = \frac{\text{اجمالي المصاريف التشغيلية}}{\text{اجمالي الايرادات التشغيلية}} \quad (\text{Rose :176,1999})$$

المبحث الثالث: الاطار العملي والتحليلي

يتناول هذا المبحث تحليل نتائج عناصر نموذج *PATROL* (كفاية رأس المال - جودة الائتمان - التنظيم او الادارة - الربحية - السيولة)، لعينة من المصارف الإسلامية العراقية.

اولا:المصرف الوطني الاسلامي:

تأسس المصرف كشركة مساهمة خاصة بموجب اجازة التأسيس المرقمة م.ش 26073 بتاريخ 2005/5/5 برأسمال قدره 25 مليار دينار واستمر في الزيادة الى أن وصل 251 مليار دينار حالياً، وبلغ عدد فروع لغاية سنة 2017 (6) فروع.

١. كفاية رأس المال

يبين الجدول رقم (١) ان الوسط الحسابي لكفاية رأس المال في المصرف الوطني الإسلامي كان ((٢٤,٧١٪)) ويلاحظ تباين نسب كفاية رأس المال للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٣) بلغت ((٣٠٪)) وهي اعلى من النسبة المحددة في قانون المصارف العراقية ومقررات لجنة بازل. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١١) اذ بلغت ((١٥٪)) وهي أيضا اعلى من النسبة المحددة في قانون المصارف العراقية ومقررات لجنة بازل ان ذلك يدل بشكل عام الى تبني المصرف لسياسة مجازفة في استثمار موجوداته فهو يميل الى الدخول باستثمارات تتميز بمخاطرة.

وان ارتفاع نسبة كفاية رأس المال لسنة ٢٠١٢ ((١٦,٠٠٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((١٥,٠٠٪)) وهي اقل من الوسط الحسابي بفارق ((٨,٧١٪)) وفي سنة ٢٠١٣ ارتفعت كفاية رأس المال بنسبة بلغت ((٣٠,٠٠٪)) وهي ضعف سنة ٢٠١١ واعلى من الوسط الحسابي بفارق ((٥,٢٪)) وتمثل هذه الزيادة هناك نمو في رأس مال المصرف حيث تمت زيادة رأس مال المصرف من ((١٥٠) الى (٢٥١)) مليار دينار واما في سنة ٢٠١٤ فقد انخفضت الى ((٢٤,٠٠٪)) وهي نسبة مقارنة الى الوسط

الحسابي وفي سنة ٢٠١٥ فقد ارتفعت النسبة الى ((٢٨,٠٠٪)) وهي اكبر من الوسط الحسابي وفي ٢٠١٦ فقد انخفضت الى ((٢٦,٠٠٪)) اما في ٢٠١٧ فقد ارتفعت الى ((٣٤,٠٠٪)) وهي اعلى نسبة سجلها المصرف الوطني الاسلامي خلال السنوات واکبر من المتوسط ب ((٩,٢٩٪)) وعلى الرغم من التابین في النسب للمصرف الا انها جميعها ملتزمة بالنسبة المقررة من قبل البنك المركزي وهي ادنى حد ((١٢٪)) للمصارف وجميعها تجاوزت هذه النسب المحددة وتمثل هذه الزيادة هناك نمو في رأس مال المصرف وتمثل هذه النسب ملاءة مالية جيدة للمصرف وحصلت على تصنيف ١ حسب جدول التصنيفات رقم (١) في الملحق لجميع السنوات لان جميع النسب اكبر او تساوي ((١٥٪)) وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL).

٢. الربحية

من الجدول (١) ادناه نجد ان الوسط الحسابي للربحية في المصرف الوطني الإسلامي كان ((٣,٩٥٪)) ويلاحظ تباين نسب الربحية للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٢) بلغت ((٥,١٠٪)) وهي اعلى من النسبة المحددة في جدول التصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١١) اذ بلغت ((٢,٣١٪)) وهي أيضا اعلى من النسبة المحددة في الجدول ان ذلك يدل بشكل عام الى تبني المصرف لسياسة استثمار موجوداته فهو يميل الى الدخول باستثمارات تتميز بمخاطرة كبيرة لتحقيق الارباح وعدم تجميد الاموال. وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة الربحية لسنة ٢٠١٢ ((٥,١٠٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((٢,٣١٪)) وهي اعلى من الوسط الحسابي بفارق ((١,١٥٪)) وفي سنة ٢٠١٣ فقد انخفضت الى ((٤,٨٦٪)) واعلى من المتوسط ب ((٥,٩١٪)) واما في سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((٥,٠٥٪)) وفي سنة ٢٠١٥ فأخفضت نسبة الربحية ((٣,٧٦٪)) وهي اقل من المتوسط بنسبة قليلة ((٠,١٩٪)) وفي سنة ٢٠١٦ فقد انخفضت الى ((٣,٣٢٪)) وهي اقل من الوسط الحسابي بنسبة ((٠,٦٣٪)) و في ٢٠١٧ فقد انخفضت الى ((٣,٢٦٪)) وهي اقل من المتوسط ب ((٠,٦٩٪)) يتضح أن (ROA) شهد تذبذب اذ بلغ اعلى معدل في سنة ٢٠١٣ وبعدها بدأ ت نسبة الربحية بالانخفاض على الرغم من ارتفاع صافي الارباح ولكن هنالك زيادة في الموجودات كانت اكبر من الزيادة الحاصلة في صافي الارباح المتحققة هنا يتطلب من المصرف استثمار الاموال وتوظيفها في موجودات تحقق اعلى العوائد مع مراعاة المخاطر المصاحبة لهذه الاستثمارات والسعي الى تعظيم الاستثمار من خلال استخدام الادوات الاسلامية وعلى الرغم من التابین في النسب للمصرف الا انها جميعها ملتزمة بالنسبة المقررة في جدول التصنيف للمصارف وجميعها تجاوزت هذه النسب المحددة وتمثل هذه النسب أن المصرف حقق ارباح جيدة وحصلت على تصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) لجميع السنوات لان جميع النسب اكبر من ١٪.

٣. جودة الائتمان

من الجدول (١) ادناه نجد ان الوسط الحسابي لجودة الائتمان في المصرف الوطني الإسلامي كان ((٣,٣٤٪)) ويلاحظ تباين نسب جودة الائتمان للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة

(٢٠١٧) بلغت ((٤,٨٩٪)) وهي اقل من النسبة المحددة في جدول التصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١١) اذ بلغت ((١,٣٦٪)) وهي أيضا اقل من النسبة المحددة وأن ذلك يدل على أن المصرف لم يخصص مبالغ كافية للديون المشكوك في تحصيلها مقابل القروض الممنوحة. وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة جودة الائتمان لسنة ٢٠١٢ ((٢,١٢٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((١,٣٦٪)) وهي اقل من الوسط الحسابي بفارق ((١,٢٢٪)) وفي سنة ٢٠١٣ ارتفعت جودة الائتمان بنسبة بلغت ((٣,٤٤٪)) واعلى من المتوسط بفارق قليل جدا وفي سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((٣,٣٩٪)) وهي اكبر من الوسط الحسابي بنسبة ((٠,٠٥٪)) وفي سنة ٢٠١٥ فقد ارتفعت نسبة جودة الائتمان ((٣,٥٣٪)) وهي اكبر من الوسط الحسابي بفارق قليل جدا ((٠,١٩٪)) وفي سنة ٢٠١٦ ارتفعت النسبة الى ((٤,٦٤٪)) وهي اكبر من الوسط الحسابي وفي ٢٠١٧ بلغت نسبة جودة الائتمان ((٤,٨٩٪)) ونجد ان نسبة الارتفاع طفيفة جدا ولم تبلغ النسبة المطلوبة وأن جميع النسب لم تعطي امان للخسائر التي ممكن أن يتعرض لها المصرف وهذا دليل على أن المصرف لم يخصص مبالغ غير كافية مقابل ما تمنحه من قروض وتعد جودة الائتمان من النسب المهمة خوفا من عدم سداد العميل وتولد مخاطر ائتمان وحصل المصرف على التصنيف (٥) وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) لجميع السنوات و هذا دليل على ان ادارة القروض تتبع سياسة غير مرضية مما يستدعي اهتمام من قبل السلطات المختصة، لتحسين مستوى ادارة القروض و ادارة المخاطر من قبل الادارة.

٤. التنظيم

من الجدول (١) ادناه نجد ان الوسط الحسابي للتنظيم في المصرف الوطني الإسلامي كان ((٣٣,٧٣٪)) ويلاحظ تباين نسب التنظيم للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١١) بلغت ((٦٤,٧٢٪)) وحصلت على اقل تصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١٣) اذ بلغت ((٢٣,٩٧٪)) وهي تمثل افضل نسبة ويعد المصرف افضل تنظيميا. وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ انخفاض نسبة التنظيم لسنة ٢٠١٢ ((٢٤,١٦٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((٦٤,٧٢٪)) واقل من الوسط الحسابي وتعد افضل تنظيميا وحصل على تصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) لان الادارة استطاعت ان تحقق ايرادات بأقل المصاريف وفي سنة ٢٠١٣ فقد انخفضت الى ((٢٣,٩٧٪)) واقل من الوسط الحسابي بفارق ((٩,٧٦٪)) و في سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((٣١,٠٩٪)) وهي اصغر من الوسط الحسابي بنسبة ((٢,٦٥٪)) وحصل المصرف على تصنيف ٣ اما ٢٠١٥ فقد ارتفعت نسبة التنظيم ((٣٢,٩٨٪)) وهي اقل من المتوسط وفي ٢٠١٦ ارتفعت ((٣٥,١٠٪)) وهي اعلى من المتوسط وفي ٢٠١٧ انخفضت نسبة التنظيم ((٢٤,١٣٪)) كان تنظيمها في ٢٠١٧ افضل من ٢٠١٦ ونجد ان نسبة التذبذب طفيفة وكان تنظيم المصرف لسنتي ٢٠١٢ و ٢٠١٣ افضل من ٢٠١١ وتراجع تنظيمها في ٢٠١٤ و ٢٠١٥ و ٢٠١٦ لم تحقق الايرادات المطلوبة بأقل المصاريف ولكن ٢٠١٧ حققت النسبة المطلوبة وحصلت على تنظيم جيد بتصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL).

٥. السيولة

من الجدول (١) ادناه نجد ان الوسط الحسابي للسيولة في المصرف الوطني الإسلامي كان ((٧٩,٥٠%)) ولاحظ تباين نسب السيولة للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٦) بلغت ((٩٩,٤٨%)) وحصلت على اقل تصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١٥) اذ بلغت ((٥٨,٩٥%)) وهي تمثل افضل نسبة ويعد المصرف افضل سيولة.

وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة السيولة لسنة ٢٠١٢ ((٧٧,٠٨%)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((٩٨,٨٠%)) واقل من الوسط الحسابي وتعد افضل وحصلت على تصنيف ٤ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) وفي سنة ٢٠١٣ فقد انخفضت الى ((٦٣,٦٣%)) واقل من المتوسط بفارق ((١٥,٨٧%)) وفي سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((٨٣,٤٢%)) وهي اعلى من المتوسط اما ٢٠١٥ فقد انخفضت نسبة السيولة الى ((٥٨,٩٥%)) وهي اقل من المتوسط وحصلت على تصنيف ٢ وهي افضل سنة حققت نسبة معقولة مقارنة بالسنوات السابقة وفي ٢٠١٦ ارتفعت نسبة السيولة ((٩٩,٤٨%)) وهي اعلى من المتوسط وفي ٢٠١٧ انخفضت نسبة السيولة ((٧٥,١٣%)) وان نسبة السيولة للمصرف للسنوات المبحوثة ليس بالمستوى والسبب في ارتفاع السيولة النقدية الموجودة لدى المصرف والمصارف الاخرى مقابل انخفاض حجم الايداع على خلاف السنوات الاخرى والتي شهدت انخفاضاً في حجم الاموال مقابل الارتفاع في حجم الإيداع، بالرغم من ذلك فان انخفاض معدل الاموال السائلة لدى المصرف يسهم في استغلال السيولة النقدية في موجودات مربحة وعلى العكس من ذلك ان ارتفاع السيولة النقدية لتحقيق الامان للمودعين لكن يجب ان تكون بحدود معقولة اذ ان بقاء هذه الاموال من دون استغلال سوف يعكس نتائج سلبية على ايراد المصرف لذا يجب على المصرف السعي للاستفادة من هذه الاموال. الجدول (١) يوضح مؤشرات نموذج PATROL للمصرف الوطني الاسلامي للمدة (٢٠١١-٢٠١٧)

المؤشرات السنوات	كفاية رأس المال	الربحية	جودة الائتمان	التنظيم	السيولة
2011	15.00%	2.31%	1.36%	64.72%	98.80%
التصنيف	1	1	5	5	5
2012	16.00%	5.10%	2.12%	24.16%	77.08%
التصنيف	1	1	5	1	4
2013	30.00%	4.86%	3.44%	23.97%	63.63%
التصنيف	1	1	5	1	3
2014	24.00%	5.05%	3.39%	31.09%	83.42%
التصنيف	1	1	5	3	5
2015	28.00%	3.76%	3.53%	32.98%	58.95%
التصنيف	1	1	5	3	2

99.48%	35.10%	4.64%	3.32%	26.00%	2016
5	3	5	1	1	التصنيف
75.13%	24.13%	4.89%	3.26%	34.00%	2017
4	1	5	1	1	التصنيف
79.50%	33.73%	3.34%	3.95%	24.71%	الوسط الحسابي

المصدر: من أعداد الباحثين اعتماداً على الميزانية العمومية للمصرف

ثانياً: المصرف العراقي الاسلامي

تأسس المصرف العراقي الاسلامي للاستثمار والتنمية بموجب شهادة التأسيس المرقمة م.ش/٥٠١١ في ١٩٩٢/١٢/٢٩ الصادرة من دائرة التسجيل وياشر المصرف اعماله بعد حصوله على اجازة من قبل المصرف المركزي العراقي بموجب كتابهم المرقم ت س /٣٨٩٣/٩ في ١٩٩٣/٣/١٤ ومارس نشاطه في ١٩٩٣/٤/٢٤ وقام المصرف بزيادة رأسماله عدة مرات الى أن وصل الى (٢٥٠) مليار دينار وبلغ عدد الفروع لغاية ٢٠١٧ (١٤) فرعاً منتشرة في المحافظات وثلاثة في بغداد.

١. كفاية رأس المال

من الجدول (٢) ادناه نجد ان الوسط الحسابي لكفاية رأس المال في المصرف العراقي الإسلامي كان ((٧٣,٠٥%))، ويلاحظ تباین نسب كفاية رأس المال للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٧) بلغت ((١٢٩,٦٩%)) وهي اعلى من النسبة المحددة في قانون المصارف العراقية ومقررات لجنة بازل فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١١) اذ بلغت ((٣٣,٠٠%)) وهي أيضا اعلى من النسبة المحددة في قانون المصارف العراقية ومقررات لجنة بازل. ان ذلك يدل بشكل عام الى تبني المصرف لسياسة محافظة في استثمار موجوداته فهو يميل الى عدم الدخول باستثمارات تتميز بمخاطرة.

وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة كفاية رأس المال لسنة ٢٠١٢ ((٣٣,٨٠%)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((٣٣,٠٠%)) وهي اقل من الوسط الحسابي بفارق ((٣٩,٢٥%)) وفي سنة ٢٠١٣ ارتفعت كفاية رأس المال بنسبة بلغت ((٤٧,٨٤%)) وهي اعلى من الوسط الحسابي ((٢٥,٢١%)) اما في سنة ٢٠١٤ فقد شهدت ارتفاعاً كبيراً مقارنة بالسنوات السابقة حيث بلغت ((٧٠,٤٧%)) وتمثل هذه الزيادة هناك نمو في رأس مال المصرف حيث تمت زيادة رأس مال المصرف من (٢٠٢ الى ٢٥٠) مليار دينار وهي نسبة مقارنة الى المتوسط الحسابي بفارق بسيط ((٢,٥٨%)) وفي سنة ٢٠١٥ فقد ارتفعت النسبة الى ((٨٤,٥٣%)) وهي اكبر من الوسط الحسابي وفي ٢٠١٦ فقد ارتفعت الى ((١١٢,٠٣%)) اما في ٢٠١٧ فقد ارتفعت الى ((١٢٩,٦٩%)) وهي اعلى نسبة سجلها المصرف العراقي الاسلامي خلال السنوات واکبر من المتوسط بـ((٥٦,٦٤%)) وعلى الرغم من التباين في النسب للمصرف الا انها جميعها ملتزمة بالنسبة المقررة من قبل البنك المركزي وهي ادنى حد ((١٢%)) للمصارف وجميعها تجاوزت هذه النسب المحددة وتمثل هذه الزيادة هناك نمو في رأس مال المصرف وتمثل هذه النسب

ملءة مالية جيدة للمصرف وحصلت على تصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) لجميع السنوات لان جميع النسب اكبر او تساوي ((١٥٪)).

٢. الربحية

من الجدول (٢) ادناه نجد ان الوسط الحسابي للربحية في المصرف العراقي الإسلامي كان ((٣,٠٠٪))، ويلاحظ تباين نسب الربحية للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٣) بلغت ((٥,٧٨٪)) وهي اعلى من النسبة المحددة في جدول التصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١٤) اذ بلغت ((١,٣٤٪)) وهي أيضا اعلى من النسبة المحددة في جدول التصنيف ان ذلك يدل بشكل عام الى تبني المصرف لسياسة استثمار موجوداته فهو يميل الى الدخول باستثمارات تتميز بمخاطرة قليلة لتحقيق الارباح معتدلة.

وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة الربحية لسنة ٢٠١٢ ((٥,٧١٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((٥٢,٥٢٪)) وهي اعلى من الوسط الحسابي بفارق ب ((٢,٧١٪)) وفي سنة ٢٠١٣ ارتفعت الربحية بنسبة بلغت ((٥,٧٨٪)) وهي اعلى من الوسط الحسابي اما في سنة ٢٠١٤ فقد انخفضت الى ((١,٣٤٪)) وهي اقل من المتوسط بنسبة ((١,٦٧٪)) وفي سنة ٢٠١٥ فقد ارتفعت نسبة الربحية الى ((١,٦٠٪)) وهي اقل من المتوسط وفي سنة ٢٠١٦ انخفضت الى ((١,٥٦٪)) وهي اقل من المتوسط واستمر الانخفاض في الربحية حيث بلغت في سنة ٢٠١٧ نسبة ((١,٥١٪)) وهي اقل من المتوسط بفارق ((١,٤٩٪)) يتضح أن (ROA) شهد تذبذب اذ بلغ اعلى نسبة في سنة ٢٠١٣ وبعدها بدأت نسبة الربحية بالانخفاض على الرغم من ارتفاع الارباح ولكن هنالك زيادة في الموجودات كانت اكبر من الزيادة الحاصلة في صافي الارباح المتحققة هنا يتطلب من المصرف استثمار الاموال وتوظيفها لتحقيق اعلى العوائد مع مراعاة المخاطر المصاحبة لهذه الاستثمارات والسعي الى تعظيم الاستثمار من خلال استخدام الادوات الاسلامية وعلى الرغم من التباين في النسب للمصرف الا انها جميعها ملتزمة بالنسبة المقررة في جدول التصنيف وجميعها تجاوزت هذه النسب المحددة وتمثل هذه النسب أن المصرف حقق ارباحاً وحصلت على تصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) لجميع السنوات لان جميع النسب اكبر من ((١٪)).

٣. جودة الائتمان

من الجدول (٢) ادناه نجد ان الوسط الحسابي لجودة الائتمان في المصرف العراقي الإسلامي كان ((٦,٢٨٪))، ويلاحظ تباين نسب جودة الائتمان للمصرف المذكور فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٢) بلغت ((١٠,٠٥٪)) وهي اقل من النسبة المحددة في جدول التصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١٣) اذ بلغت ((٢,٣٤٪)) وهي أيضا اقل من النسبة المحددة وأن ذلك يدل على أن المصرف لم يخصص مبالغ كافية للديون المشكوك في تحصيلها مقابل القروض الممنوحة.

وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة جودة الائتمان لسنة ٢٠١٢ ((١٠,٠٥٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((٥٥,٧٧٪)) وهي اكبر من الوسط الحسابي بفارق ((٣,٧٧٪)) وفي سنة ٢٠١٣ انخفضت جودة الائتمان ((٢,٣٤٪)) واقل من المتوسط بفارق ((٣,٩٤٪)) في سنة ٢٠١٤ فقد

ارتفعت الى ((٥,٠٧٪)) وهي اقل من المتوسط بنسبة ((١,٢١٪)) اما في ٢٠١٥ فقد انخفضت نسبة جودة الائتمان ((٤,٩٣٪)) واقل من المتوسط وفي ٢٠١٦ ارتفعت ((٦,٦٥٪)) وهي اعلى من المتوسط وفي ٢٠١٧ بلغت نسبة جودة الائتمان ((٩,١٥٪)) ونجد ان نسبة الارتفاع طفيفة جدا ولم تبلغ النسبة المطلوبة وأن جميع النسب لم تعط اماناً للخسائر التي ممكن أن يتعرض لها المصرف وهذا دليل على أن المصرف لم يخصص مبالغ كافية مقابل ماتمنحه من قروض وتعد جودة الائتمان من النسب المهمة خوفا من عدم سداد العميل وتولد مخاطر ائتمان وحصل المصرف على التصنيف (٥) لجميع السنوات وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) وهذا دليل على ان ادارة القروض تتبع سياسة غير مرضية مما يستدعي اهتمام من قبل السلطات المختصة، لتحسين مستوى ادارة القروض و ادارة المخاطر من قبل الادارة.

٤. التنظيم

من الجدول (٢) ادناه نجد ان الوسط الحسابي للتنظيم في المصرف العراقي الإسلامي كان ((٤٧,٤٨٪))، ويلاحظ تباين نسب التنظيم للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٤) بلغت ((٦٠,٩١٪)) وحصلت على اقل تصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١١) اذ بلغت ((٢٢,٦١٪)) وهي تمثل افضل نسبة ويعد المصرف افضل تنظيميا.

وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة التنظيم لسنة ٢٠١٢ ((٣٤,١١٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((٢٢,٦١٪)) واقل من الوسط الحسابي وتعد افضل تنظيما سنة ٢٠١١ من سنة ٢٠١٢ وحصل على تصنيف ١ لان الادارة استطاعت ان تحقق ايرادات بأقل المصاريف بينما سنة ٢٠١٢ حصلت على تصنيف ٣ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) وفي سنة ٢٠١٣ فقد ارتفعت الى ((٥٥,٠٢٪)) واقل من المتوسط بفارق ((٧,٥٤٪)) في سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((٦٠,٩١٪)) وهي اعلى من الوسط الحسابي بنسبة ((١٣,٤٣٪)) اما ٢٠١٥ فقد انخفضت نسبة التنظيم ((٤٧,٤١٪)) وهي اقل من الوسط الحسابي بنسبة قليلة جدا لكن لم تحقق المستوى المطلوب من التنظيم وفي ٢٠١٦ ارتفعت ((٥٣,٥١٪)) وهي اعلى من الوسط الحسابي وفي ٢٠١٧ ارتفعت نسبة التنظيم ((٥٨,٧٨٪)) وان نسبة تنظيم المصرف للسنوات المبحوثة ليس بالمستوى المطلوب لم تحقق الايراد المطلوب بأقل المصاريف ماعدا ٢٠١١ حققت النسبة المطلوبة وحصلت على تنظيم جيد بتصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) وبعدها اصبح تنظيمها تنازلي.

٥. السيولة

من الجدول (٢) ادناه نجد ان الوسط الحسابي للسيولة في المصرف العراقي الإسلامي كان ((١٥٣,٧٤٪))، ويلاحظ تباين نسب السيولة للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٧) بلغت ((٢٥٠,٧٧٪)) وحصلت على اقل تصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١١) اذ بلغت ((١٥,٤٧٪)) وهي تمثل افضل من النسبة سابقة الذكر ويعد المصرف افضل سيولة ولكن لم يحقق المستوى المطلوب للتصنيف، النسبتين حصلت على تصنيف ٥ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL).

وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة السيولة لسنة ٢٠١٢ ((١١٩,٨٩%)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((١١٥,٤٧%)) واعلى من الوسط الحسابي وفي سنة ٢٠١٣ فقد ارتفعت الى ((١٢٣,٢٤%)) وقل من الوسط الحسابي بفارق ((٣٠,٤٩%)) وفي سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((١٤٠,٨٠%)) وهي اقل من الوسط الحسابي اما ٢٠١٥ فقد انخفضت نسبة السيولة الى ((١٣٤,٤٦%)) وهي اقل من المتوسط وفي ٢٠١٦ ارتفعت نسبة السيولة ((١٩١,٥٣%)) وهي اعلى من المتوسط وفي ٢٠١٧ ارتفعت نسبة السيولة ((٢٥٠,٧%)) وهي اعلى نسبة خلال السنوات المبحوثة للمصرف وبفارق عن المتوسط بنسبة ((٩٧,٠٣%)) وان نسبة السيولة للمصرف للسنوات المبحوثة ليس بالمستوى المطلوب والسبب في ارتفاع السيولة هو زيادة النقدية الموجودة لدى المصرف والمصارف الاخرى مقابل انخفاض حجم الايداع، والمصرف لم يسهم في استغلال السيولة النقدية في موجودات مربحة وان ارتفاع السيولة النقدية لتحقيق الامان للمودعين لكن يجب ان تكون محدود معقولة اذ ان بقاء هذه الاموال من دون استغلال سوف يعكس نتائج سلبية على ايراد المصرف ولذا يجب من المصرف السعي الى الاستفادة من هذه الاموال.

الجدول (٢) يوضح مؤشرات نموذج PATROL للمصرف العراقي الاسلامي للمدة (٢٠١١-٢٠١٧)

المؤشرات السنوات	كفاية رأس المال	الربحية	جودة الائتمان	التنظيم	السيولة
2011	33.00%	3.52%	5.77%	22.61%	115.47%
التصنيف	1	1	5	1	5
2012	33.80%	5.71%	10.05%	34.11%	119.89%
التصنيف	1	1	5	3	5
2013	47.84%	5.78%	2.34%	55.02%	123.24%
التصنيف	1	1	5	5	5
2014	70.47%	1.34%	5.07%	60.91%	140.80%
التصنيف	1	1	5	5	5
2015	84.53%	1.60%	4.93%	47.41%	134.46%
التصنيف	1	1	5	5	5
2016	112.03%	1.56%	6.65%	53.51%	191.53%
التصنيف	1	1	5	5	5
2017	129.69%	1.51%	9.15%	58.78%	250.77%
التصنيف	1	1	5	5	5
الوسط الحسابي	73.05%	3.00%	6.28%	47.48%	153.74%

المصدر: من أعداد الباحثان اعتماداً على الميزانية العمومية للمصرف.

ثالثاً: مصرف ايلاف الاسلامي

اسس المصرف باسم (مصرف البركة للاستثمار والتمويل) بموجب شهادة التأسيس الصادرة عن تسجيل الشركات رقم (7788) في 2001/3/18 برأسمال قدره 2 مليار دينار وبعد صدور اجازة ممارسة الصيرفة من البنك المركزي العراقي المرقمة 884/3/9 بتاريخ 2007/5/30 وصدر قرار تسجيل الشركات المتضمن التعديلات التالية على عقد التأسيس وبلغ عدد فروع المصرف لغاية 2017 (16) فرعاً منتشرة في المحافظات ستة منها في بغداد تم تعديل اسم المصرف من (مصرف البركة للاستثمار والتمويل) الى (مصرف ايلاف الإسلامي - شركة مساهمة خاصة).

١ - كفاية رأس

من الجدول (٣) ادناه نجد ان الوسط الحسابي لكفاية رأس المال في مصرف ايلاف الإسلامي لسنة كان ((٥٢,٧١٪))، ويلاحظ تباين نسب كفاية رأس المال للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٧) بلغت ((٨٧,٠٠٪)) وهي اعلى من النسبة المحددة في قانون المصارف العراقية ومقررات لجنة بازل. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١١) اذ بلغت ((١٨,٠٠٪)) وهي أيضاً اعلى من النسبة المحددة في قانون المصارف العراقية ومقررات لجنة بازل. ان ذلك يدل بشكل عام الى تبني المصرف لسياسة محافظة في استثمار موجوداته فهو يميل الى الدخول باستثمارات تتميز بمخاطرة معتدلة.

وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة كفاية رأس المال لسنة ٢٠١٢ ((٣٨,٠٠٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((١٨,٠٠٪)) وهي اقل من الوسط الحسابي بفارق ((١٤,٧١٪)) وفي سنة ٢٠١٣ لم تتغير نسبة كفاية رأس المال بقى المصرف محافظاً عليها واما في سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((٥١,٠٠٪)) وهي نسبة مقارنة الى الوسط الحسابي بفارق طفيف ((١,٧١٪)) وفي سنة ٢٠١٥ فقد ارتفعت النسبة الى ((٦٨,٠٠٪)) وتمثل هذه الزيادة هناك نمو في رأس مال المصرف حيث تمت زيادة رأس مال المصرف من ((١٠٢ الى ٢٥٠)) مليار دينار وهي اكبر من الوسط الحسابي وفي ٢٠١٦ فقد ارتفعت الى ((٦٩,٠٠٪)) اما في ٢٠١٧ فقد ارتفعت الى ((٨٧,٠٠٪)) وهي اعلى نسبة سجلها مصرف ايلاف الاسلامي خلال السنوات واكبر من المتوسط ب((٣٤,٢٩٪)) وعلى الرغم من التباين في النسب للمصرف الا انها جميعها ملتزمة بالنسبة المقررة من قبل البنك المركزي وهي ادنى حد ((١٢٪)) للمصارف وجميعها تجاوزت هذه النسب المحددة وتمثل هذه الزيادة هناك نمو في رأس مال المصرف وتمثل هذه النسب ملاءة مالية جيدة للمصرف وحصلت على تصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) لجميع السنوات لان جميع النسب اكبر او تساوي ((١٥٪)).

٢ - الربحية

يبين الجدول رقم (٣) ان الوسط الحسابي للربحية في مصرف ايلاف الإسلامي كان ((٣,٠٠٪))، ويلاحظ تباين نسب الربحية للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١١) بلغت ((٥٥,٦٦٪)) وهي اعلى من النسبة المحددة في جدول التصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١٥)

اذ بلغت ((٠,٠٦%)) وهي اقل من النسبة المحددة في الجدول ان ذلك يدل بشكل عام الى تبني المصرف لسياسة غير مستقرة فهو يميل الى الدخول باستثمارات تتميز بمخاطرة منخفضة جدا وتعد الادارة محافظة. وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ انخفاض نسبة الربحية لسنة ٢٠١٢ ((٢,٦٨%)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((٥,٦٦%)) وهي اعلى من الوسط الحسابي بفارق ((٠,٦٨%)) وفي سنة ٢٠١٣ انخفضت الربحية بنسبة بلغت ((٢,٣٦%)) وهي واعلى من الوسط الحسابي و في سنة ٢٠١٤ فقد انخفضت الى ((١,٦٥%)) وهي اقل من المتوسط بنسبة ((٠,٣٥%)) على الرغم من التباين بالنسب وانخفاضها الا انها حصلت على تصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) اما ٢٠١٥ فقد انخفضت نسبة الربحية ((٠,٠٦%)) واقل من المتوسط ب ((١,٩٤%)) ودليل واضح على انخفاض الارباح المتحققة وضعف الادارة في توظيفها موجوداتها وحصل على تصنيف ٥ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) في هذه السنة وفي ٢٠١٦ فقد ارتفعت نسبة الربحية بلغت ١,٠٦% وهي اقل من المتوسط وفي سنة ٢٠١٧ فقد انخفضت الى ((٠,٥٣%)) وهي اقل من المتوسط ب ((١,٤٧%)) وحصل المصرف على تصنيف ٣ حسب رتب التصنيف ومن خلال التباين في النسب نجد أن المصرف بحاجة الى تطوير اعماله الاستثمارية وتوظيف موجوداته بصورة مربحة للحصول على نسب ربحية مرضية يتضح أن (ROA) شهد تذبذب اذ بلغ اعلى معدل في سنة ٢٠١١ وبعدها بدأت نسبة الربحية بالانخفاض على الرغم من ارتفاع الارباح ولكن هنالك زيادة في الموجودات كانت اكبر من الزيادة الحاصلة في صافي الارباح المتحققة ولكن سنة ٢٠١٥ شهدت انخفاضا في مستوى الارباح المتحققة هنا يتطلب من المصرف استثمار الاموال وتوظيفها في موجودات تحقق اعلى العوائد مع مراعاة المخاطر المصاحبة لهذه الاستثمارات والسعي الى تعظيم الارباح من خلال استخدام الادوات الاسلامية

٣- جودة الائتمان

من الجدول (٣) ادناه نجد ان الوسط الحسابي لجودة الائتمان في مصرف ايلاف الإسلامي كان ((١٦,٢٠%))، ويلاحظ تباين نسب جودة الائتمان للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٥) بلغت ((٣٧,٩٧%)) وحصلت على تصنيف ٣ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١٣) اذ بلغت ((٠,٥٨%)) وهي اقل من النسبة المحددة وأن ذلك يدل على أن المصرف لم يخصص مبالغ كافية للديون المشكوك في تحصيلها مقابل القروض الممنوحة. وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة جودة الائتمان لسنة ((١٧,١٩%)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((١١,٨٤%)) وهي اكبر من الوسط الحسابي ب ((١,٠٠%)) وفي سنة ٢٠١٣ فقد انخفضت الى ((٠,٥٨%)) واقل من المتوسط بفارق ((١٥,٦٢%)) وفي سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((٣١,٦٢%)) وهي اكبر من الوسط الحسابي بنسبة ((١٥,٤٢%)) اما في سنة ٢٠١٥ فقد ارتفعت نسبة جودة الائتمان ((٣٧,٩٧%)) واعلى من الوسط الحسابي وحصلت على تصنيف ٣ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) وفي سنة ٢٠١٦ انخفضت ((٦,٨٨%)) وهي اقل من الوسط الحسابي وفي سنة ٢٠١٧ بلغت نسبة جودة الائتمان ((٧,٣٠%)) ونجد ان نسبة الارتفاع طفيفة جدا ولم تبلغ النسبة المطلوبة وأن جميع النسب لم تعط اماناً للخسائر التي ممكن أن تتعرض لها المصارف وهذا دليل على أن المصرف لم

يخصص مبالغ كافية مقابل ماتمنحه من قروض وتعد جودة الائتمان من النسب المهمة خوفا من عدم سداد العميل وتولد مخاطر ائتمان وحصل المصرف على التصنيف (٥) لجميع السنوات ماعدا ٢٠١٥ فقد حصلت على تصنيف ٣ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL) وهذا دليل على ان ادارة القروض تتبع سياسة غير مرضية مما يستدعي اهتمام من قبل السلطات المختصة، لتحسين مستوى ادارة القروض و ادارة المخاطر من قبل الادارة.

٤- التنظيم

من الجدول (٣) ادناه نجد ان الوسط الحسابي للتنظيم في مصرف ايلاف الإسلامي كان ((٥٤,٤١٪))، ويلاحظ تباين نسب التنظيم للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة سنة (٢٠١٥) بلغت ((٩٤,٣٦٪)) وحصلت على اقل تصنيف. فيما كانت اقل نسبة خلال عام (٢٠١١) اذ بلغت ((١٧,٢٩٪)) وهي تمثل افضل نسبة ويعد المصرف افضل تنظيميا.

وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة التنظيم لسنة ٢٠١٢ ((٣١,٢٩٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((١٧,٢٩٪)) واقل من الوسط الحسابي وتعد افضل تنظيميا سنة ٢٠١١ من سنة ٢٠١٢ وحصل على تصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي ((PATROL)) لان الادارة استطاعت ان تحقق ايرادات بأقل المصاريف بينما سنة ٢٠١٢ حصلت على تصنيف ٢ وفي سنة ٢٠١٣ فقد ارتفعت الى ((٤٠,٩٤٪)) واقل من المتوسط بفارق ((١٣,٤٧٪)) في سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((٦١,٥٧٪)) وهي اقل من المتوسط اما ٢٠١٥ فقد ارتفعت نسبة التنظيم ((٩٤,٣٦٪)) وهي اعلى من المتوسط وفي ٢٠١٦ انخفضت نسبة التنظيم ((٥٧,٢٥٪)) وهي اعلى من المتوسط وفي ٢٠١٧ ارتفعت نسبة التنظيم ((٧٨,١٤٪)) وان نسبة تنظيم للمصرف للسنوات المبحوثة ليس بالمستوى المطلوب لم تحقق الايراد المطلوب بأقل المصاريف ماعدا ٢٠١١ حققت النسبة المطلوبة وحصلت على تنظيم جيد بتصنيف ١ وفق نموذج التقييم المصرفي ((PATROL)) وبعدها اصبح تنظيمها تنازليا.

٥- السيولة

من الجدول (٣) ادناه نجد ان الوسط الحسابي للسيولة في مصرف ايلاف الإسلامي كان ((١٧٤,١٨٪))، ويلاحظ تباين نسب السيولة للمصرف المذكور، فقد حقق المصرف اعلى نسبة بسنة (٢٠١٧) بلغت ((٢٦٧,١٦٪)) وحصلت على اقل تصنيف. فيما كانت اقل نسبة لسنة (٢٠١٣) اذ بلغت ((١١٢,٩٣٪)) وهي تمثل افضل من النسبة السابقة المذكور يعد المصرف افضل سيولة ولكن لم يحقق المستوى المطلوب من التصنيف النسبتين حصلت على تصنيف ٥ وفق نموذج التقييم المصرفي (PATROL). وعلى المستوى التفصيلي نلاحظ ارتفاع نسبة السيولة ((١٩٤,٧٠٪)) مقارنة بسنة ٢٠١١ كانت ((١٤٩,٦٢٪)) واعلى من الوسط الحسابي اما في سنة ٢٠١٣ فقد انخفضت الى ((١١٢,٩٣٪)) واقل من المتوسط بفارق ((٦١,٢٤٪)) وفي سنة ٢٠١٤ فقد ارتفعت الى ((١٥٥,٧٦٪)) وهي اقل من الوسط الحسابي وفي سنة ٢٠١٥ فقد ارتفعت نسبة السيولة الى ((١٥٦,٩٤٪)) وهي اقل من الوسط الحسابي وفي سنة ٢٠١٦ ارتفعت نسبة السيولة ((١٨٢,١٣٪)) وهي اعلى من الوسط الحسابي وفي

٢٠١٧ ارتفعت نسبة السيولة ((٢٦٧,١٦%)) وهي اعلى نسبة خلال السنوات المبحوثة للمصرف وبفارق عن المتوسط بنسبة ((٩٧,٠٣%)) وان نسبة السيولة للمصرف للسنوات المبحوثة ليس بالمستوى المطلوب والسبب في ارتفاع السيولة زيادة النقدية الموجودة لدى المصرف والمصارف الاخرى مقابل انخفاض حجم الایداع والمصرف لم يسهم في استغلال السيولة النقدية في موجودات مربحة وان ارتفاع السيولة النقدية لتحقيق الامان للمودعين لكن يجب ان تكون بحدود معقولة اذ ان بقاء هذه الاموال من دون استغلال سوف يعكس نتائج سلبية على ايراد المصرف ولذا يجب من المصرف السعي الى الاستفادة من هذه الأموال.

الجدول (٣) يوضح مؤشرات نموذج PATROL لمصرف ايلاف الاسلامي للمدة (٢٠١١-٢٠١٧)

المؤشرات السنوات	كفاية رأس المال	الربحية	جودة الائتمان	التنظيم	السيولة
2011	18.00%	5.66%	11.84%	17.29%	149.62%
التصنيف	1	1	5	1	5
2012	38.00%	2.68%	17.19%	31.29%	194.70%
التصنيف	1	1	5	2	5
2013	38.00%	2.36%	0.58%	40.94%	112.93%
التصنيف	1	1	5	4	5
2014	51.00%	1.65%	31.62%	61.57%	155.76%
التصنيف	1	1	4	5	5
2015	68.00%	0.06%	37.97%	94.36%	156.94%
التصنيف	1	5	3	5	5
2016	69.00%	1.06%	6.88%	57.25%	182.13%
التصنيف	1	1	5	5	5
2017	87.00%	0.53%	7.30%	78.14%	267.16%
التصنيف	1	3	5	5	5
الوسط الحسابي	52.71%	2.00%	16.20%	54.41%	174.18%

المصدر: من أعداد الباحثين اعتماداً على الميزانية العمومية للمصرف

الجدول (٤) التصنيف النهائي للمصارف العراقية الاسلامية للمدة من (٢٠١١-٢٠١٧)

السنوات المصارف	2011	2012	2013	2014	2015	2016	2017	الوسط الحسابي	الترتيب
المصرف الوطني الاسلامي	17	12	11	15	12	15	12	13.43	1
المصرف العراقي	13	15	17	17	17	17	17	16.14	2

الاسلامي									
مصرف ايلاف الاسلامي	13	14	16	16	19	17	19	16.29	3

المصدر: من أعداد الباحثين اعتماداً على الجداول اعلاه

من خلال الجدول (٤) يوضح التصنيف للمصارف وفق نموذج (PATROL) تبين أن افضل اداء مصرف اسلامي للمصرف الوطني الاسلامي لحصوله المرتبة الاولى مقارنة ببقية المصارف العراقية سجل افضل اداء وتميز بسياسة واضحة على مدى سبع سنوات لان تصنيفه حصل على (١٣,٤٣) للسنوات المبحوثة وهذا يعني ان المصرف ملتزم بالضوابط والنسب المفروضة من قبل البنك المركزي وعمل الادارة المتواصل للوصول الى احداث التقنيات وتطوير الانظمة وجاء ثانيا المصرف العراقي الاسلامي من حيث الاداء وجاء ثالثا مصرف ايلاف الاسلامي من حيث الاداء بفارق (٢,٨٦) عن مصرف الوطني الاسلامي الذي حصل المرتبة الاولى.

الاستنتاجات

- ١- المصارف الاسلامية نشأت حديثاً لأنها نجحت من خلال المشاركة بالربح والخسارة مما يشجع العديد من المصارف التقليدية والمؤسسات المالية الأخرى على البدء باستخدام تقنيات التمويل الإسلامي في تسيير أعمالهم، ولا سيما في التعامل مع العملاء المسلمين أو في المناطق ذات الأغلبية المسلمة.
- ٢- إنَّ أهم ما يميز المصارف الاسلامية في عملها هو الابتعاد عن الربا والعمل وفق مبدأ المشاركة في الربح والخسارة.
- ٣- نلاحظ اغلب المصارف لم تعط تقييماً دقيقاً وواضحاً للزبائن من خلال التقارير - المنشورة للمصارف و أن تقييم اداء المصارف الاسلامية يعطي فكرة للزبائن عن مستوى المصارف وهذا يجعل الزبون اكثر اطمئنانا للتعامل مع المصارف التي تحصل على افضل اداء لتلبية احتياجاتها وتقديم افضل الخدمات لها.
- ٤- تعين المصارف الاسلامية لجنة شرعية من اجل سلامة المعاملات المصرفية.
- ٥- ارتفاع نسب كفاية رأس المال للمصارف العراقية بنسب تجاوزت النسبة المقررة بشكل كبير حيث بلغت اعلى نسبة للمصرف العراقي الإسلامي (١٢٩,٦٩%) لسنة ٢٠١٧ وهذا يعني تجميد للأموال بسبب عدم استقرار الوضع الاقتصادي للبلد بسبب الظروف السياسية.
- ٦- ارتفاع نسب السيولة في المصارف الاسلامية العراقية وهذا يعني عدم استثمار الاموال لدى المصارف ادى الى ارتفاع هذه النسب.
- ٧- نلاحظ أن المصارف الاسلامية لم تخصص مبالغ كافية للديون المشكوك في تحصيلها لذلك نجد أن نسبة جودة الائتمان منخفضة ولم تحقق التصنيف المطلوب وبالمقابل سوف يؤثر سلباً على ارباح المصرف.

التوصيات

- ١- السعي لتطوير أنظمة الرقابة وتقييم أداء خاصة بالمصارف الاسلامية مع الاستفادة من انظمة الانذار المبكر كنموذج PATROL.
- ٢- يجب أن يقوم البنك المركزي بتقديم الدعم للمصارف الاسلامية وتخفيف بعض القيود من أجل خدمة المجتمع ومساعدة ذوي الدخل المحدود بعيدا عن الربا.
- ٣- من اجل تطوير المصارف الاسلامية يجب عليها أن تستفاد من الدراسات والتجارب للمصارف الاسلامية في بعض الدول.
- ٤- نشر الوعي للمتعاملين وغير المتعاملين عن طبيعة العمل المصرفي الاسلامي من اجل كسب اكبر شريحة سواء اصحاب الاموال او اصحاب الاحتياجات من الاستفادة من اصحاب الاموال واستثمارها ومنحها للذين بحاجة اليها وهذا يساعد في النمو الاقتصادي وتحقيق الهدف الاجتماعي وتحريك الاموال وعدم تجميدها.
- ٥- التأكيد على نشر تقييم الاداء السنوي للمصارف الاسلامية لتكون صورة واضحة لدى الزبائن عن مستوى المصرف من بين المصارف الاخرى ومنح الثقة للمتعاملين معهم وخلق روح المنافسة بين المصارف الاسلامية نفسها والمصارف التجارية للحفاظ على زبائنهم.
- ٦- التركيز على اداة التمويل (السلم) لها فوائد اقتصادية من أهمها مساعدة المزارعين بتمويلهم وتمويل اصحاب الحرف من اجل شراء السلع التي وهذا التمويل يساعد في تحسين وتطوير انتاجهم وهذا يؤثر على النمو الاقتصادي.

المصادر

أولاً: المصادر العربية

- ١- الحسيني، فلاح حسن عداي و الدوري، مؤيد عبد الرحمن عبد الله "إدارة البنوك- مدخل كمي واستراتيجي معاصر" ط٤، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ٢٠٠٨.
- ٢- الحوراني، أكرم محمود و حساني، عبد الرزاق حسن "النقود والمصارف" منشورات جامعة دمشق-سوريا، ٢٠١١.
- ٣- الحيدري، حنان عبد الباقي مصطفى "تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي لشركة العامة للسمنت العراقية للمدة (١٩٩٦-٢٠٠٥)" رسالة مقدمة مجلس كلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير، ٢٠٠٨.
- ٤- الخفاجي، نعمة عباس وياغي، احسان محمد ضمين "استخدام بطاقة الأداء المتوازن في قياس أداء المصارف التجارية -منظور متعدد الابعاد-" دار الايام للنشر والتوزيع، عمان الأردن- ٢٠١٤.
- ٥- الربيعي، حاكم محسن و راضي، حمد عبد الحسين "حوكمة البنوك وأثرها في الأداء والمخاطرة" ط١، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠١١.

- ٦- الشمري، صادق راشد "عمليات التمويل والاستثمار في الصناعة المصرفية الإسلامية" ط١، مطبعة الفرج، بغداد- العراق، ٢٠٠٨.
- ٧- الصباغ، زهير "الادارة بالاهداف كاسلوب جديد لتقييم الاداء"، التنمية الادارية، مجلة المركز القومي للاستشارات والتطوير الاداري، ١٩٨١.
- ٨- العامري، محمد علي ابراهيم "الادارة المالية" جامعة بغداد، ٢٠٠١.
- ٩- العجلوني، محمد محمود "البنوك الاسلامية احكامها ومبادئها وتطبيقاتها المصرفية"، ط ٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن، ٢٠١٠.
- ١٠- العنزي، سعد علي حمود "السلوك التنظيمي انعكاسات السلوكيات الوظيفية للعاملين في أداء المنظمات" ط١، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٧.
- ١١- المرجوشي، أيمن محمود سامح "تقييم الأداء المؤسسي في المنظمات العامة الدولية" ط١، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠٠٨.
- ١٢- المولى، حافظ جاسم عرب "تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي للشركة العامة لصناعة الأدوية في نينوى للمدة (٢٠٠٢-٢٠٠٧) دراسة تحليلية مقارنة" رسالة مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد جامعة الموصل، ٢٠٠٨.
- ١٣- الموسوي، امير علي خليل والدهان، جنان مهدي شهيد والجبوري، هدير خيون عاشور "استخدام انموج CAMELS كأداة لقياس السلامة المصرفية" المجلة العراقية للعلوم الادارية، المجلد ١٤، العدد ٥٨، ص ١٨٥.
- ١٤- النجار، اخلاص باقر "المصارف الاسلامية"، ط ١، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر جامعة البصرة، ٢٠٠٩.
- ١٥- النجار، يحيى غني "تقييم المشروعات تحليل معايير ومؤشرات دراسات الجدوى وتقييم كفاءة الأداء" ط١، دار دجلة وعمان، الاردن، ٢٠١٠.
- ١٦- الوادي، محمود حسين وسمحان، حسين محمد، "المصارف الاسلامية الأسس النظرية والتطبيقات العملية" ط٣، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الاردن، ٢٠٠٩.
- ١٧- تريعة، حنان "أهمية نظام CAMELS في تقييم أداء البنوك الجزائرية- دراسة حالة البنك الخارجي الجزائري (2010-2013) رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، ٢٠١٥.
- ١٨- عنانزة، عز الدين نايف و عثمان، محمد داود "تقييم مدى كفاءة ادارة مخاطر الائتمان في البنوك الاسلامية الاردنية" مجلة دورية نصف سنوية، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة البصرة، ٢٠١٣.
- ١٩- قريشي، محمد جموعي، "تقييم أداء المؤسسات المصرفية- دراسة حالة لمجموعة من البنوك الجزائرية -خلال الفترة ١٩٩٤-٢٠٠٠"، مجلة الباحث، العدد ٣- ٢٠٠٤.

٢٠- مسعودي، سناء " تقييم الأداء المالي للبنوك التجارية دراسة حالة وكالتي BNA و CPA بالوادي للفترة (٢٠٠٩-٢٠١٢)" رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، ٢٠١٥.

ثانيا: المصادر الاجنبية

1. Almohana, Mohammad "Legal Risks Faced By Investors in Dealing with Islamic Financial Transactions and Mitigation Actions/Strategies to Keep Off Legal Risks: The Case of Murabaha Transaction" Degree of Doctor of Philosophy in Law, University of Exeter, 2017.
2. Alsolami, Majdi "A Stochastic model for Diminishing Musharakah Finance in Saudi Banks" master thesis, New Mexico Institute of Mining and Technology, 2015.
3. Bessis, Joël "Risk Management in Banking" 4 th ed, John Wiley & Sons, Ltd, 2015.
4. Casu, Barbara & Girardone, Claudia & Molyneux, Philip "Introduction to Banking" 1ed, Ft Prentice Hall, 2006.
5. Cannata, Francesco & Quagliariello, Mario "Market and Supervisory Information: Some Evidence From Italian Banks" Department of Economics and Related Studies University of York Heslington York, YO10 5DD, 2004.
6. Çihak, Martin, & Heiko Hesse "Islamic banks and financial stability an empirical analysis", International monetary fund, USA, 2010.
7. Gul, Sehrish & Irshad, Faiza & Zaman, Khalid "Factors Affecting Bank Profitability in Pakistan" the Romanian Economic Journal, 2011.
8. Iqbal, Zamir, & Mirakor, Abbas " An introduction to Islamic finance theory and practice" 2ed, John Wiley & Sons (Asia) Pte. Ltd, 2011.
9. Ismal Rifki, "The Islamic gracious monetary instruments: a theoretical approach " Economics Department, University of Indonesia, Emerald Group, 2013
10. Jordan Bradford D. & Miller Jr. Thomas W "Fundamentals of Investments valuation and management" 5ed McGraw-Hill/Irwin, 2009.
11. Khan, M. Mansoor, & M. Ishaq Bhatti "developments in Islamic banking (the case of Pakistan)", 1st edition, palgrave macmillan, Great Britain, 2008.
12. Khan, Muhammad Akram "Islamic Economics and Finance" 2nd ed, Routledge 29 West 35th Street, New York, NY 10001, 2003
13. Karkouljian, Silva Krikor " Performance Appraisal in Higher Education " thesis Submitted for the degree of Doctor of Education at the University of Leicester, 2002.

14. Khan, Mohammad Saif Noman&Hassan, M. Kabir& Shahid, Abdullah Ibneyy" Banking Behavior of Islamic Bank Customers in Bangladesh" Institute of Business Administration,University of Dhaka, Dhaka Bngladesh.
15. Rose, Peters, " Commercial Bank Management ", Mc-Graw Hill,, Irwin 1999.
16. Moyal, Swapnil& Iyengar, Vijaylaxmi " Performance Appraisal in Banks: A Study" ISSN 2394-0409; DOI: 10.16962/Eapjhrmob/issn.2394-0409; Volume 3 Issue 1,2016.
17. Mishkin,Frederic S. & Eakins Stanley G." Financial Markets and Institution " 7 th ed, prentice Hall,2012.
18. Mulugeta, Tadios"A Comparative Study on the Financial Performance of Commercial Banks in Ethiopia - An Application of CAMEL Model"MSc Thesis submitted to School of commerce of Addis Ababa University in partial fulfillment of the requirement for award of the degree of Master Science in Project Management. Addis Ababa, University,2016.
19. Machiraju,H.R." Modern Commercial Banking" New Age International,Ltd, publisher, 2008.
20. Nelson,Debra & Quick, James," Orgb Organizational Behavior" student ed., cengage. learning,Texas,USA.,2015.
21. Szczepanowicz, Andrzej Dominik " Unconventional Banking in A Conventional Environment: Islamic Banking and Finance in the USA", Georgetown University, Washington, Phd, thesis, March 17, 2011.
22. Waemustafa, Waeibrorheem "The Emergence of Islamic Banking: Development, Trends, and Challenges, IOSR Journal of Business and Management (IOSR-JBM ISSN: 2278-487X. Volume 7, Issue 2, PP 67-71,2013

الملحق

درجة التصنيف					مكونات أتمودج PATROL
5	4	3	2	1	
$\geq 6.99\%$	$7.99-7\%$	-8 11.99%	-12 14.99%	$\leq 15\%$	كفاية رأس المال

جودة الائتمان	$\leq 76\%$	50-75%	35-49%	21-34%	$\geq 20\%$
التنظيم	$\geq 25\%$	30-26%	38-31%	45-39%	$\leq 46\%$
الربحية	$\leq 1\%$	0.9-0.8%	-0.35 0.7%	-0.24 0.34%	$\geq 0.24\%$
السيولة	$\geq 55\%$	62-56%	68-63%	80-69%	$\leq 81\%$

الجدول التصنيف رقم (١)

المصدر/ الموسوي، امير علي خليل والدهان، جنان مهدي شهيد والجبوري، هدير خيون
عاشور "استخدام انموج CAMELS كأداة لقياس السلامة المصرفية" المجلة العراقية للعلوم الإدارية، المجلد ٤١،
العدد ٥٨، ص ١٨٥.

**تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي
لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء"**

*The Effect of the Awareness of the Organizational
Picture on the Functional Integration (An Analytical
study of the Views of a sample of Personnel of sports
and Youth Directorate-Karbala)*

أ.د. ميثاق هاتف الفتلاوي^(١) Prof. Mithaq Hatif Al-Fatlawi
محمد كامل غانم الكناني^(٢) Mohammad K. Ghanim Al-Kinani

الملخص

يهدف هذا البحث الى بيان تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي وذلك بالإعتماد على آراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء من خلال إستخدام منهج البحث التحليلي. إذ تم توزيع (١٧٥) إستبانة على موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء المقدسة، تم إسترجاع (١٦٩) إستبانة إستبانة وكان منها (١٦٦) إستبانة صالحة للتحليل الإحصائي وبمعدل إستجابة (٩٤,٩). وبعد إجراء التحليل الإحصائي للبيانات الذي تم بإستخدام مجموعة من الأساليب الإحصائية المتوفرة في البرنامجين الإحصائيين (SPSS v.23) و (AMOS v.20) أظهرت نتائج التحليل الإحصائي لإستجابات عينة البحث من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء أن لديهم قناعة بعدم إستبدال وظيفتهم الحالية بوظيفة أخرى. كما توصل البحث الى مجموعة من التوصيات اهمها، تكثيف الإهتمام بتوفير بيئة عمل صالحة يستطيع الموظف من خلالها التعبير عن أفكاره ومعتقداته بكل حرية مثل الأخذ بأفكار الموظف حول طرق تنفيذ العمل والتعامل بصورة أكثر حداثة مع البرامج المقترحة لتطوير عمل الشباب.

الكلمات المفتاحية: الصورة التنظيمية المدركة، الإنغراز الوظيفي.

١ - جامعة كربلاء/كلية الإدارة والإقتصاد.

٢ - جامعة كربلاء/كلية الإدارة والإقتصاد.

Abstract

The aim of this study is to demonstrate the effect of the perceived organizational image on job embeddedness by relying on the opinions of a sample of the staff of the Karbala Youth and Sports Directorate through the use of analytical research methodology. A total of (175) questionnaires were distributed to the employees of the Directorate of Youth and Sports of Karbala. A total of (169) questionnaires were retrieved, 166 of which were valid for statistical analysis and 94.9% response rate. After statistical analysis of the data using a set of statistical methods available in the statistical programs (SPSS v.23) and (AMOSv.20), the results of the statistical analysis of the responses of the research sample showed that the employees of the Directorate of Youth and sports Karbala The research also reached a number of recommendations. The most important of these is the intensification of interest in providing a good working environment through which the employee can freely express his ideas and beliefs, such as taking the employee's ideas about ways to implement the work and dealing more recently with the proposed programs for the development of youth work.

المبحث الأول: الإطار المنهجي للبحث

أولاً: مشكلة البحث

حاز مفهوم الصورة التنظيمية المدركة على إهتمام كبير من قبل إدارة المنظمات وذلك لأهمية هذا المفهوم في تعزيز ما يحمله الأفراد خارج وداخل المنظمة من معتقدات وأفكار حول المنظمة وعملها ومخرجاتها بصورة عامة، إذ إنّ الصورة التنظيمية المدركة الإيجابية يكون لها بالغ الأثر في تطوير أداء العاملين وزيادة إندفاعهم نحو العمل وتعزيز حالات الرضا الوظيفي للعاملين وشكل هذا الاهتمام دافعاً للخوض فيه وزيادة تمسك الأفراد بوظائفهم والمنظمات العاملين بها (Polat,2009:12-15).

كما أوضحت الأدبيات المتعلقة بالمتغيرات الى وجود جدل معرفي يتعلق بتحديد كيفية تشكل الصورة التنظيمية المدركة وتأثيرها بين من يرى بأن سلوكيات الأفراد خارج المنظمة هي الجزء الفعال في تشكيلها (Umphress et.al.,2003:202) وبين من يرى أن الصورة التنظيمية المدركة هي إنعكاس كلي عن المنظمة بشكل عام (Polat,2009:12). كما ان أغلب البحوث التي أطلع عليها الباحثان استهدفت متغير الصورة التنظيمية المدركة كمتغير وسيط (ضمن المنطق الإحصائي والعلمي يعد المتغير المستقل والمتغير الوسيط متغيرات مستقلة) مما شكل دافعاً للباحثين لإختيار الصورة التنظيمية المدركة كمتغير مستقل لقياس تأثيراته على الإنغراز الوظيفي.

وقد قام الباحثان بطرح مجموعة من التساؤلات التي تعكس بمجملها الإحاطة المطلوبة بواقع البحث أعلاه وهي كما يأتي:

١- ما مستوى إدراك عينة البحث للصورة التنظيمية لمديرية شباب ورياضة كربلاء؟

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء"

- ٢- ما مستوى الإنغراز الوظيفي لدى عينة البحث في مديرية شباب ورياضة كربلاء؟
- ٣- هل تسهم الصورة التنظيمية المدركة في تعزيز الإنغراز الوظيفي من وجهة نظر عينة البحث؟

ثانياً: أهداف البحث

يهدف البحث وبشكل رئيسي الى بيان تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي على عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء. ويمكن تحديد مجموعة من الأهداف الأخرى التي يسعى البحث الى تحقيقها وهي كما يأتي:

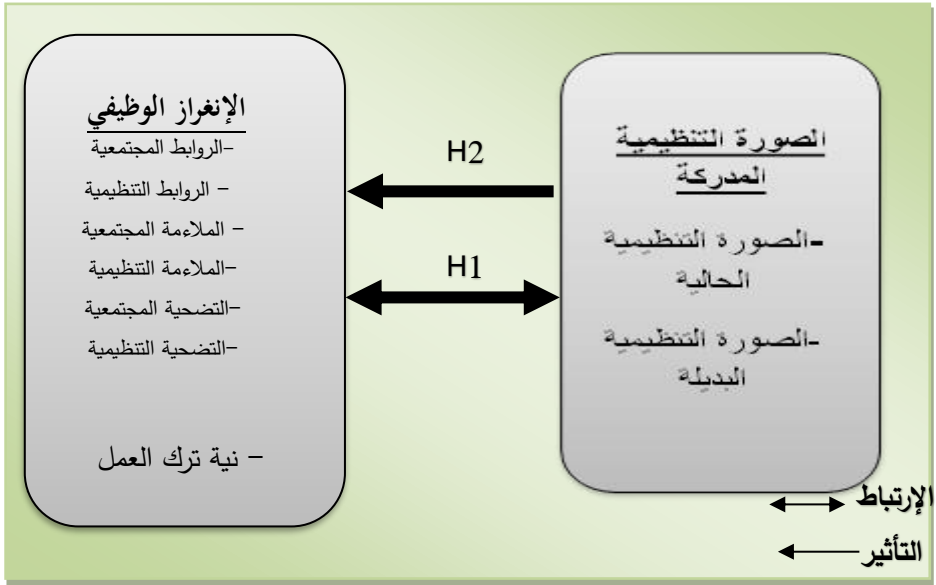
١. تحديد مستوى إدراك الصورة التنظيمية بأبعادها (الصورة التنظيمية الحالية، الصورة التنظيمية البديلة) لمديرية شباب ورياضة كربلاء المقدسة.
٢. تحديد مستوى الإنغراز الوظيفي بكافة أبعاده (الروابط المجتمعية، الروابط التنظيمية، الملاءمة المجتمعية، الملاءمة التنظيمية، التضحية المجتمعية، التضحية التنظيمية) لدى عينة البحث في مديرية شباب ورياضة كربلاء.
٣. تحديد مساهمة الصورة التنظيمية المدركة في الإنغراز الوظيفي من وجهة نظر عينة البحث.

ثالثاً: أهمية البحث

تتمحور أهمية البحث فيما يأتي:

١. تتجلى أهمية البحث من خلال الأهمية الفكرية لمتغيرات البحث والتي تعد من المفاهيم المهمة وذات تأثير على كثير من مجريات عمل المنظمة. إذ يسهم ادراك الموظفين للصورة التنظيمية في تحسين الأداء، فضلاً عن زيادة الرضا الوظيفي، والالتزام التنظيمي (Torres&Perez,2017:124). كما يساعد توافر متغير الإنغراز الوظيفي في الحفاظ على العاملين داخل المنظمة من ذوي الخبرات والقدرات المهارية فضلاً عن تعزيزه لقدرة المنظمة في تنمية رأس المال الفكري في المنظمة والحفاظ عليه. إذ يشكل ذلك ميزة تنافسية للمنظمة ويحقق هدفها في الحفاظ على العاملين (Harman et al.,2009:19).
٢. كما تبين أهمية البحث من خلال سعيه لردم الفجوة المعرفية فيما يتعلق بالعلاقات بين متغيرات البحث (الصورة التنظيمية المدركة، الإنغراز الوظيفي).
٣. يُعد هذا البحث مساهمة متواضعة في مساعدة الباحثين في المستقبل عند تناولهم أحد متغيرات البحث في البحوث المستقبلية.
٤. يُعدُّ هذا البحث الأول من نوعه الذي أختار مديرية شباب ورياضة كربلاء مجتمع وعينة له، إذ لم يسبق لأي بحث آخر إختيار هذه المديرية ميداناً للتطبيق العملي.

رابعاً: المخطط الفرضي للبحث



شكل (١) المخطط الفرضي للبحث

خامساً: فرضيات البحث

يقوم البحث على فرضيتين رئيسيتين وهما:

١- الفرضية الرئيسة الأولى (H1)

(H0) لا توجد علاقة إرتباط ذات دلالة إحصائية بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي.

(H1) توجد علاقة إرتباط ذات دلالة إحصائية بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي.

وتتفرع من هذه الفرضية فرضيتان فرعيتان هما:

أ- (H0) لا توجد علاقة إرتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز

الوظيفي بأبعاده في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. (H1) توجد علاقة إرتباط موجبة

ذات دلالة إحصائية بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز الوظيفي بأبعاده في مديرية شباب

وررياضة كربلاء عينة البحث.

ب- (H0) لا توجد علاقة إرتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز

الوظيفي بأبعاده في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. (H1) توجد علاقة إرتباط موجبة

ذات دلالة إحصائية بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي بأبعاده في مديرية شباب

وررياضة كربلاء عينة البحث.

٢- الفرضية الرئيسة الثانية (H2)

(H0) لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي.

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء"

(H1) توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي.

وتتفرع من هذه الفرضية فرضيتان فرعيتان هما:

أ- (H0) لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبُعد الصورة التنظيمية الحالية في زيادة الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. (H1) توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبُعد الصورة التنظيمية الحالية في زيادة الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث.

ب- (H0) لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبُعد الصورة التنظيمية البديلة في زيادة الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. (H1) توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبُعد الصورة التنظيمية البديلة في زيادة الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث.

سادساً: مجتمع البحث وعينته

شملت عينة البحث عدداً من الموظفين في مديرية شباب ورياضة كربلاء المقدسة أذ بلغت عينة البحث (١٧٥) موظفاً من مختلف المستويات الإدارية في المديرية الذي يبلغ عدد الموظفين الكلي (٣٢٠) موظف وإستناداً الى الجداول الإحصائية (Krejcie&Morgan, 1970:607-610) والخاص بتحديد حجم العينة لمجتمع معروف كانت النتيجة أن حجم العينة (١٧٥) عنصراً لمجتمع يتكون من (٣٢٠) عنصراً. إذ قام الباحث بتوزيع (١٧٥) إستبانة على الموظفين في مقر مديرية شباب ورياضة كربلاء والمنتديات الشبابية التابعة لها وقد تم إسترجاع (١٦٩) استبانة وبعد تدقيق الإستبانات المسترجعة تم استبعاد (٣) إستبانات وذلك لعدم صلاحيتها للتحليل الإحصائي وعليه يكون عدد الإستبانات الصالحة للتحليل الإحصائي (١٦٦) إستبانة من أصل (١٧٥) استبانة.

سابعاً: الحدود المكانية والزمانية للبحث

تمثلت حدود البحث في النقاط الآتية:

١- الحدود المكانية: إذ كانت الحدود المكانية للبحث هي مقر مديرية شباب ورياضة كربلاء والمنتديات الشبابية التابعة لها في مركز مدينة كربلاء المقدسة وقضاء الحر وقضاء الهندية وقضاء الحسينية وقضاء عين التمر وناحية الخيرات.

٢- الحدود الزمانية: وهي المدة الزمنية التي استغرقها الباحث في إجراء البحث النظرية والبحث العملية المتمثلة بتوزيع الإستبانات على عينة البحث وإسترجاعها وتدقيقها والحصول على النتائج والتي امتدت من ٢٠١٨/١١/١٣ ولغاية ٢٠١٩/٣/٢٠.

المبحث الثاني: الإطار النظري للبحث

أولاً: مفهوم الصورة التنظيمية المدركة

تعتبر الصورة عن أفكار الأشخاص بخصوص كائن أو شخص أو منظمة (Okay, 2000). وان هذه الأفكار إما أن تكون إيجابية أو تكون سلبية أذ تتشكل في عقل الفرد بعد فترة طويلة من الزمن والتفاعل

مع عناصر النظام (Dichter, 1985). ويصف (Moffitt, 1994) الصورة كمفهوم يتطور من خلال العوامل الشخصية والبيئية والثقافية والتنظيمية عبر التاريخ (Polat, 2011: 257). إذ تعد الصورة التنظيمية المدركة أمراً في غاية الأهمية بالنسبة للمنظمة وذلك لما تعكسه عن طبيعة العلاقات الداخلية للمنظمة من خلال تفاعل العاملين مع بعضهم البعض وتفاعلهم مع الإدارة من أجل تحقيق أهدافهم التي يرغبون في تحقيقها والتي تتفق مع أهداف الإدارة، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الصورة التنظيمية المدركة تتمتع بأهمية كبيرة كونها تمثل آراء ومعتقدات الأفراد خارج المنظمة عن المنظمة وبالتالي فإن العمل التنظيمي المستمر من أجل تعزيز وتحسين الصورة التنظيمية يكون له بالغ الأثر الإيجابي في تعزيز الموقع التنافسي للمنظمة بين المنظمات المنافسة لها في الصناعة نفسها (Dutton et al., 1994: 240). والجدول (١) يستعرض بعض التعاريف الخاصة بالصورة التنظيمية المدركة التي تقدم بها بعض الكتاب وحسب الأسبقية الزمنية.

جدول (١) بعض تعاريف الصورة التنظيمية المدركة

ت	السنة	التعريف	المصدر
١	١٩٩٤	الإدراك، الذي يشمل المعتقدات والمواقف والانطباعات المتعلقة بالسلوك والجوانب ذات الصلة بالمنظمة	Treadwell and Harrison, 1994: 66
٢	٢٠٠٠	تصورات من جانب المطلعين على كيفية نظر الأشخاص خارج المنظمة إلى المنظمة	Bromley, 2000: 240
٣	٢٠٠٧	السمعة التنظيمية التي يحتفظ بها الأفراد خارج المنظمة عن المنظمة والمعلومات التي يمتلكها الأفراد العاملين داخل المنظمة	O'Neill & Gaither, 2007: 442
٤	٢٠١٤	بناء معقد يقوم على مفهوم أن الأفراد في المنظمة يقومون بإجراء تقييم مميز عن خصائصها.	Günelan & Ceylan, 2014: 138
٥	٢٠١٧	التصورات التي يحملها الأفراد داخل وخارج المنظمة عن المنظمة والتي تتضمن انطباعات يحملها (الموظفون والمدراء) الذين هم داخل المنظمة و (الزبائن والموردون) الذين هم خارج المنظمة	Perez&Torres, 2017: 126

المصدر: إعداد الباحثين بإعتماد ادبيات الموضوع

ثانياً: أهمية الصورة التنظيمية المدركة

لطالما اعتبرت الصورة التنظيمية المدركة وسيلة المنظمات للتواصل مع القيم والأهداف الأساسية لأعضاء المنظمة الداخليين وجمهورها الخارجي، وعلى الرغم من أن الصورة التنظيمية تؤثر على العديد من العمليات التجارية المختلفة للمنظمة (Braddy et al., 2008: 2996). ولا يقتصر دور وأهمية الصورة التنظيمية المدركة للمنظمة عند هذا الحد بل هناك الكثير من المجالات التي يمكن أن تؤثر بها الصورة التنظيمية المدركة ويمكن ادراج هذه المجالات بالنقاط الآتية:

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنعزاز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء"

١. تؤثر الصورة التنظيمية المدركة على العديد من المخرجات التنظيمية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر إذ تؤثر الصورة التنظيمية الإيجابية على جودة سمعة ومكانة وجاذبية المنظمة بشكل إيجابي. علاوة على ذلك، تؤثر الصورة التنظيمية المدركة على بعض المتغيرات المتعلقة بالموظفين (Polat,2009:12).
٢. إنَّ الموظفين الذين لديهم صورة أكثر إيجابية من المرجح أن يُعرّفوا أنفسهم مع المنظمة أكثر وأن هناك علاقة إيجابية هامة بين الصورة التنظيمية المدركة الإيجابية وسلوك الأفراد التنظيمي الإيجابي. وبالتالي، تقل احتمالية أن يكون لدى الموظفين ذوي الصور الإيجابية المدركة نوايا دوران (Dukerich et al., 2002:522).
٣. تأتي أهمية إدراك الصورة التنظيمية المدركة في قدرة تأثيرها على أداء موظفي المنظمة وسلوكيات ومواقف أصحاب المصلحة الخارجيين وأن الإنطباع الأول الذي تتركه المنظمات على المستهلكين فعال للغاية في تكوين ادراك الصورة وأنه حاسم في خلق صورة إيجابية نحو المنظمة (Collins & Stevens, 2001:6).
٤. الصورة التنظيمية المدركة لا تساهم في تحقيق النجاح فقط، بل وتحافظ على ذلك النجاح (Rüyam,2017:57).
٥. تعد الصورة التنظيمية المدركة مورداً مهماً في السباق التنافسي وتساعد الصورة التنظيمية الإيجابية على جذب الزبائن إلى المنظمة (Flavian et al., 2005:448).

ثالثاً: أبعاد الصورة التنظيمية المدركة

(Oswald,1995) بتقديم نموذج لقياس الصورة التنظيمية المدركة وكان هذا النموذج يتكون من (١٣) فقرة لقياس أبعاد هذا المتغير التي ركز فيها على التقييم الذاتي ووجهات نظر الموظفين الشخصية إتجاه المنظمة وحدد (Oswald) أبعاد الصورة التنظيمية المدركة ببعدين وهما (الصورة التنظيمية الحالية والتي تم تعريفها على إنها كيف ينظر الموظفون داخل المنظمة الى المنظمة وكذلك نظر الأفراد خارج المنظمة لها) والتي تم قياسها ب (٦) فقرات، و (الصورة التنظيمية البديلة والتي تم تعريفها على أنها الصورة التي ينظر إليها الموظفون للعمل في مكان بديل آخر غير المنظمة التي يعملون بها حالياً) إذ تم قياسها ب(٧) فقرات. و تم اعتماد مقياس من خمس درجات وقد تم توزيع الدرجات من (١-٥) درجة حسب نوع الإجابة (١- غير موافق بقوة -٢ غير موافق -٣ محايد -٤ موافق -٥ موافق بقوة) (Gadto&Zion,2014:208) وفيما يلي إستعراض لأبعاد الصورة التنظيمية المدركة وحسب النموذج الذي تم إعداده من قبل الباحثين (Oswald,1995).

١. الصورة التنظيمية الحالية: هي مجموعة من الآراء والأفكار والمعتقدات التي يحملها أعضاء المنظمة الحاليين و الأفراد الذين هم خارج المنظمة وكذلك تصوراتهم عن المنظمة والتي تمثل واقع حال المنظمة في الوقت الحاضر. حيث تكتسب الصورة التنظيمية الحالية أهمية كبيرة بالنسبة لمنظمات الأعمال كون المنظمات التي تتمتع بصورة تنظيمية حالية جيدة تحظى بقوة تنافسية قادرة على جذب أصحاب المصالح الجيدين الذين يكون لهم الدور الكبير في المحافظة على المنظمة وضمان بقائها وإستمرارها رغم قوة المنافسة مع المنظمات الأخرى. هذا من جانب ومن جانب آخر فأن الصورة

التنظيمية الحالية الجيدة تساعد وتساند المنظمة في عملية الإحتفاظ بالموظفين وعدم تفكيرهم في مغادرة المنظمة. وبالتالي تتجنب المنظمة تحمل التكاليف العالية من عملية ترك الموظفين لوظائفهم ومغادرة المنظمة سواء كانت هذه التكاليف منظورة والتي تتمثل بالخسائر المادية المترتبة عن مغادرة الموظفين أو تكاليف غير منظورة والتي تتمثل بإنخفاض الروح المعنوية للعاملين المستمرين بالعمل وعدم تماسك مجموعات العمل بسبب مغادرة بعض اعضاء المجموعة وتركهم للمنظمة (Dutton&Dukerich,1995:526).

٢. الصورة التنظيمية البديلة: هي كل ما يتعلق بما يحمله الأفراد العاملين في المنظمة من أفكار وآراء ومعتقدات حول طبيعة العمل في منظمة أخرى غير التي يعملون بها في الوقت الحاضر. إذ كان للتطور التكنولوجي الهائل في مجال عمل منظمات الأعمال وكذلك إحتدام شدة المنافسة بين منظمات الأعمال من أجل الإستحواذ على المواهب بالغ الأثر في نمو وتعزيز الصورة التنظيمية البديلة عند الأفراد العاملين في المنظمة، كون هذه التصورات تبقى ملازمة للعاملين في المنظمة حتى وأن كانوا يتمتعون بدرجة عالية من الرضا الوظيفي في وظائفهم، بسبب سقف طموح الأفراد العاملين يبقى مرتفعاً في ظل هذا التطور التكنولوجي الهائل وإنعكاساته على منظمات الأعمال (Godto&Zion,2014:206).

رابعاً: مفهوم الإنغراز الوظيفي

تُشير كلمة (الإنغراز) في اللغة العربية الى معنى الفعل (غَرَزَ) وعلى نحو غَرَزَ الرمح في الأرضِ وَغَرَزَ أي أدخل الرمح في الشيء الآخر (أنيس و آخرون، ٢٠٠٤: ٣٦٩). أما في أدبيات علم الإدارة يعرف الإنغراز الوظيفي على أنه مجموعة العوامل التي من شأنها أن تؤثر في قرار الموظف بمغادرة المنظمة أو البقاء بها (Mitchell et al.,2001:1104).

مباشر بالعديد من العوامل الجوهرية المؤثرة في البيئة التنظيمية، ويكون إرتباطه إرتباطاً مباشراً في أنشطة المنظمة. إذ إنَّ نظرية الإنغراز الوظيفي تركز على عملية المحافظة على العاملين وضمان عدم تركهم العمل ومغادرة المنظمة، وقد تطورت هذه النظرية وبشكل سريع بالنظر للمتغيرات التي تحصل في بيئة الأعمال ولتشمل نموذج الدوران الطوعي وهذا المفهوم حديث نسبياً في أدبيات إدارة الأعمال. اذ يكون إرتباطه بشكل مباشر في عمل المنظمة وكذلك يساعد في تحقيق تفوق تنافسي مما يجعلها أكثر إستقرار ويعطيها القوة في تقدير الإحتياجات المستقبلية من القوى العاملة (Shahriari,2011:11).

والجدول (٢) يوضح بعض التعاريف التي أدلى بها عدد من الكتاب فيما يخص موضوع الإنغراز الوظيفي وحسب الأسبقية الزمنية.

جدول (٢) بعض تعاريف الإنغراز الوظيفي

ت	السنة	التعريف	المصدر
١	٢٠٠١	أحد الأساليب التي تفسر عدم ترك الأفراد لعملهم حتى وأن توفرت فرصة أخرى لهم للعمل في مكان آخر	Mitchel et al., 2001:1102

Lee et al.,2004:711	٢٠٠٤	٢	بُنية مفاهيمية تتعلق في الإحتفاظ بالعامل بالشكل الذي يعكس قراراته للمشاركة بصورة مباشرة في القضايا المرتبطة بالوظيفة وخارج الوظيفة
Croft et al.,2010:1	٢٠١٠	٣	كل نشاط من أنشطة المنظمة الذي يهدف الى الإستجابة لمتطلبات العاملين والعمل على إبقائهم داخل المنظمة وعدم ترك العمل فيها
Nafei,2015:55	٢٠١٥	٤	المشاركة الإجتماعية داخل المنظمة من قبل الموظف مع وجود التأثيرات البيئية والإجتماعية التي تكون لها تأثير على المنظمة بمرور الوقت
Arif,2018:37	٢٠١٨	٥	كل من محددات الوظائف الداخلية والخارجية المرتبطة بدوران الموظفين

المصدر: إعداد الباحثين بالإعتماد على أدبيات الموضوع

خامساً: أهمية الإنغراز الوظيفي

يمكن لنا ان ندرج أهمية الإنغراز الوظيفي في النقاط الآتية:

١- تكمن أهمية الإنغراز الوظيفي في قدرة المنظمة على وضع البرامج التي تعزز من إمكانية المنظمة في زيادة تمسك الموظفين الذي يعملون لديها بوظائفهم وعدم التفكير في ترك العمل، (Takawira,2012:24).

٢- تزداد أهمية الإنغراز الوظيفي من خلال تحيئة الموظفين الجدد بالشكل الذي يخلق لديهم ردود أفعال ايجابية حول الوظيفة والمنظمة (Kaseri et al.,2012:362-361).

٣- تسعى نظرية الإنغراز الوظيفي في التركيز على العوامل التي من شأنها ان تساعد وتشجع العاملين في البقاء وعدم ترك العمل في المنظمة والمغادرة الى منظمات أخرى وذلك لتجنب التكاليف التي تتحملها المنظمة في حالة مغادرة العاملين منها فقد تكون هذه التكاليف ملموسة أو غير ملموسة (الفتلاوي، ٢٠١٤:١٢٩).

٤- يساعد الإنغراز الوظيفي في تقوية وتنمية مبادئ الإلتزام التنظيمي وذلك من خلال برامج التدريب للعاملين والعمل على تحديد الأهداف وتقديم النصح والمشورة عند الضرورة (Fletcher,2005:26-27).

سادساً: أبعاد الإنغراز الوظيفي

كان مفهوم الإنغراز قد سبق إستخدامه في كتب علم الاجتماع والاقتصاد لوصف القوة الإجتماعية في هيكل الأنشطة الإقتصادية للوحدات الإجتماعية الفردية وغيرها (Uzzi, 1997; Shepard et al., 1997). في حين أكد (Baum,1992) إنَّ عمق مشاركة الجهات الفاعلة في الاقتصاد في الهيكلية العلائقية ستحدد مستوى إنغرازها في بنيتها الإجتماعية. إذ يمثل مفهوم الإنغراز الوظيفي مجموعة واسعة من القوى

التي قد تؤثر على ارتباط الموظف بالمنظمة التي يعمل بها (Mitchell et al., ٢٠٠١). إذ إن (Mitchell) وزملاءه اقترحوا أن سياق المنظمة والمجتمع التي ينتمي الأفراد إليها، تولد قوى من شأنها أن تؤثر على الأفراد ليصبحوا عالقين مع بيئتهم وهذا ما سيؤدي بدوره إلى تبني الأفراد قرار البقاء مع المنظمة والوظيفة التي يعملون بها (wijayant, 2004: 337-338). وقد قام (Mitchell et al., ٢٠٠١) بتصنيف تلك القوى التي من سياق المنظمة والمجتمع إلى ستة أبعاد والتي تمثل مجموعها ابعاد الإنغراز الوظيفي وفيما مياأتي شرح لكل بعد من هذه الأبعاد:

١- الروابط المجتمعية: أكد (Mitchell et al., ٢٠٠١) أن الروابط مع المجتمع تمثل العلاقات الفردية وغير الرسمية للأفراد مع مجتمعهم. إذ تمثل هذه العلاقات مجموعة من شبكات التواصل الاجتماعية والنفسية والمالية التي تشمل العائلة والمجتمع والمجموعات من غير العاملين والعلاقات العاطفية أيضاً، فكلما زادت هذه الروابط زاد تمسك الأفراد في وظائفهم الحالية ومنظمتهم العاملين بها (wijayant, 2004: 338).

٢- الروابط التنظيمية: تمثل علاقات الأفراد الرسمية وغير الرسمية مع أفراد آخرين في التنظيم. كما يؤكد (Mitchell et al., ٢٠٠١) أن الأفراد الذين عملوا لوقت أطول في التنظيم، فإنهم يميلون إلى وجود عدد من الاتصالات مع أفراد آخرين (زميل في العمل). وقد أظهرت الدراسات في الإلتزام التنظيمي أن الإلتزام قد يتطور من الضغوط المعيارية الناشئة عن عملية التنشئة الاجتماعية التي يمر بها الموظف، (Meyer et al. 1993). وأضاف (Dyne et al., 1994) مقترحاً أن الموظفين الذين كانوا مع منظماتهم في الوظائف لفترة طويلة كان لديهم معدلات الإنغراز العالية.

٣- الملاءمة المجتمعية: تمثل توافقاً وراحة الموظف مع بيئته كما تشير ايضاً الى نظرة الموظف في كيفية ملائمة المجتمع مع البيئة المحيطة (Mitchell et al., 2001). وإن البيئة والمجتمع قادران على خلق معانٍ جديدة للأفراد الذين من وقت لآخر سيعززون إرتباط الفرد بهما وكلما كان التوافق والرفاهية أفضل مع المجتمع، كلما زادت احتمالية شعور الموظف بأنه مرتبط بمنظمته التي يعمل بها (Kobrin&Vaske, 2001: 17).

٤- الملاءمة التنظيمية: يركز هذا المفهوم على تحقيق التناسب بين القيم الشخصية وخطط الموظف المستقبلية وبين ما تتطلبه الوظيفة والثقافة التنظيمية للمنظمة. بالإضافة الى ذلك يجب أن تكون هناك ملاءمة بين الموظفين أنفسهم. فعلى سبيل المثال مكان العمل ووسائل الراحة والثقافة التي تؤمن بها المنظمة لها تأثير بالغ على الأفراد وعلى القرارات المتعلقة بهم، فعندما يشعر الأفراد بأنهم جزء من العمل وأن الوظائف التي يعملون فيها تتناسب مع قدراتهم ومهاراتهم وما يؤمنون به من قيم شخصية وخطط مستقبلية للعمل وأن ثقافة المنظمة هي جزء لا يتجزأ من الثقافة العامة للمجتمع فإن الموظفين في هذه الحالة سيكون لديهم إستقرار أكثر داخل المنظمة وعدم التفكير في تركها مستقبلاً (Shahriari, 2011: 12).

٥- التضحية المجتمعية: تمثل التضحية المجتمعية المنافع المادية والنفسية المتحققة من خلال كون الفرد عضواً في المجتمع والتي قد يتم فقدان تلك المنافع إذا ترك الفرد الوظيفة أو المنظمة. إذ يصبح

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء"

إتخاذ قرار المغادرة من مجتمع جذاب وآمن وجددير بالاحترام قراراً صعباً (Mitchell et al., 2001). لأنه قد يفقد الفرد الدعم المجتمعي الشديد والعلاقات الشخصية المريحة والتواصل الاجتماعي اللطيف. وكلما ازدادت التضحية المجتمعية التي يمكن أن يقدمها الموظف في حالة مغادرة المنظمة كلما زاد تمسكه في العمل داخل منظّمته الحالية والمحافضة على وظيفته (wijayant,2004:339).

٦ - التضحية التنظيمية: تمثل التضحية التنظيمية، التضحيات المرتبطة بالمنظمة من الفوائد المادية والنفسية المتحققة من خلال العمل مع المنظمة الحالية والتي قد يتم فقدان تلك الفوائد إذا ترك الموظف الوظيفة أو المنظمة (Mitchell et al. 2001). وقد أشار (Feldman & Bolino, 1998) أن الأفراد يتعرضون لخسائر عديدة في حالة ترك العمل في المنظمة مثل عدم اليقين بشأن الحصول على وظيفة جديدة، عدم إستقرار الدخل، خسارة مشاريع مثيرة للاهتمام، وكذلك خسارة علاقة جيدة مع زملاء العمل. فكلما ازدادت حالات فقدان التي يتعرض لها الموظف عند ترك وظيفته أو منظّمته الحالية، كلما زاد ارتباطه بالمنظمة (wijayant,2004:338).

المبحث الثالث: الإطار العملي للبحث

أولاً: ترميز متغيرات البحث ووصفها

تم ترميز متغيرات البحث الرئيسية والفرعية وحسب ما موضح في الجدول (٣)

جدول (3) الترميز والتوصيف

ت	المتغير	البعد الفرعي	عدد العبارات	الرمز	المصدر
1	الصورة التنظيمية المدركة Image	١. الصورة التنظيمية الحالية	6	Image1	Oswald, 1996
		٢. الصورة التنظيمية البديلة	6	Image2	
2	الإنغراز الوظيفي Embed	١. الملاءمة التنظيمية	5	ORG	Mitchell et al., 2001
		٢. الملاءمة المجتمعية	4	CO	
		٣. الروابط التنظيمية	3	Relo	
		٤. الروابط المجتمعية	3	Relc	
		٥. التضحية التنظيمية	4	Sero	
		٦. التضحية المجتمعية	3	Serc	

المصدر: اعداد الباحثين باعتماد ادبيات المواضيع

ثانياً: اختبار أداة قياس البحث

١. صدق أداة قياس البحث

أ. الصدق الظاهري لأداة القياس وصدق المحتوى

يقوم الصدق الظاهري على فكرة مدى ملائمة الاختبار لما يراد ان يقاس به، وعلى من يطبق ومدى علاقته بالبُعد الذي يقيسه الاختبار، اما صدق المحتوى فهو يتعلق بمدى تمثيل الاختبار للميادين او المجالات المختلفة التي يقيسها، بحيث يكون هناك توازن في قياس تلك الميادين المختلفة ولهذا يصبح منطقياً ان يكون محتوى الاختبار صادقاً ما دام يشتمل على جميع عناصر القدرة المطلوب قياسها، وكلا الاختبارين يتم فحصهما من خلال عملية عرض الإستبانة (أداة القياس) على المحكمين (الخبراء في مجال اختصاص البحث)، اذ قام الباحثان بعرض أداة البحث في صورتها الأولية على عدد من المحكمين المتخصصين في مجال ادارة الأعمال.

ب. الصدق البنائي التوكيدي لأداة القياس

بهدف ان يتحقق الباحثان من الصدق البنائي التوكيدي لأداة القياس استخدم الباحثان اسلوب التحليل العاملي التوكيدي (CFA) وبعد هذا التحليل أحد تطبيقات نمذجة المعادلة الهيكلية (Structural Equation Modeling).. واعتمد في تطبيق هذا الاسلوب على البرنامج الاحصائي (Amos. V.20). وكما موضح في الجدول (4). جدول (4)

مؤشرات وقاعدة جودة المطابقة لنمذجة المعادلة الهيكلية

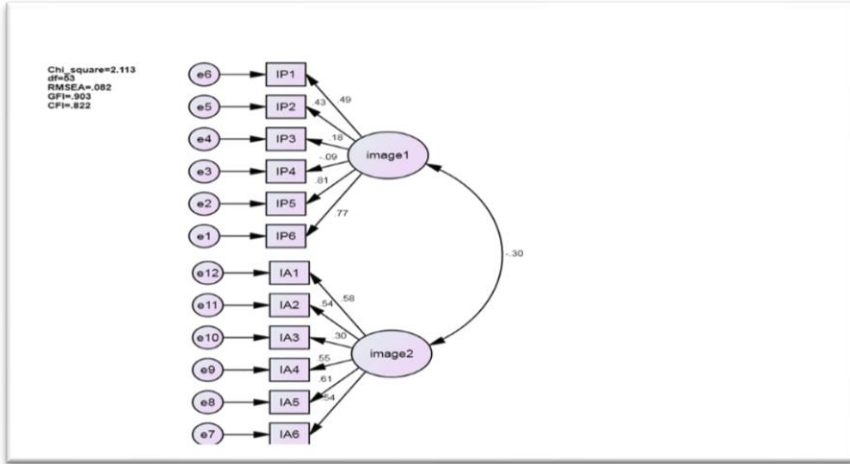
ت	المؤشرات	قاعدة جودة المطابقة
١-	النسبة بين قيم χ^2 ودرجات الحرية df	اقل من 5
٢-	Goodness of Fit Index (GFI) حسن المطابقة	اكبر من 0.90
٣-	Normed Fit Index (NFI) مؤشر المطابقة المعياري	اكبر من 0.90
٤-	Comparative Fit Index (CFI) مؤشر المطابقة المقارن	اكبر من 0.95
٥-	مؤشر جذر متوسط مربع الخطأ التقريبي: Root Mean Square Error of Approximation (RMSEA)	بين 0.08-0.05

Source: Hair, J.F., Black, W.C., Babin, B.J., & Anderson, R.E. (2010). (Multivariate Data Analysis) 7th ed., Prentice Hall, Upper Saddle.

أولاً: الصدق البنائي التوكيدي لمقياس الصورة التنظيمية المدركة:

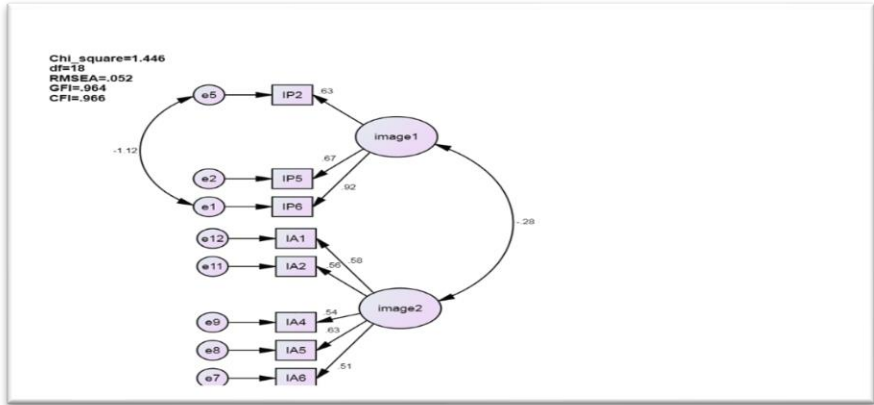
تُشير مؤشرات جودة المطابقة الظاهرة في اسفل الشكل (٢) الى عدم صحة افتراض أن الـ (12) عبارة تقيس بنية (الصورة التنظيمية المدركة من خلال بعدها الصورة التنظيمية الحالية والصورة التنظيمية البديلة). كما يتبين من خلال الأوزان الانحدارية المعيارية الظاهرة على الأسهم التي تربط المتغيرات الكامنة (المتغيرات التي تكون غير قابلة للقياس) مع كل فقرة من فقرات المقياس، والتي تعرف بمعاملات الصدق يظهر ان

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء" هناك بعض الفقرات حصلت على معاملات إنحدارية اقل من (0.50) وهي غير مقبولة احصائياً (Costello&Osborne,2005). وتلك الفقرات هي (IP1,IP2,IP3,IP4,IA3).



شكل (٢) الصدق البنائي التوكيدي لمقياس الصورة التنظيمية المدركة

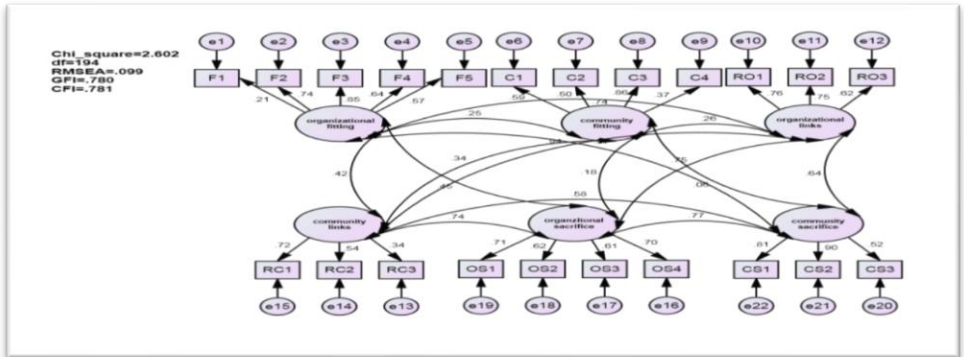
وهنا امام الباحثين اجراءان ممكن العمل بهما الأول حذف الفقرات الأقل تشبعاً وملاحظة مدى الفرق في زيادة تشبعات الفقرات الأخرى والطريقة الثانية هي محاولة رسم علاقة تباين بين فقرتين من خلال الاسترشاد بـ (Modification Indices) لتحديد أي فقرتين ممكن إرتباطهما يزيد من تشبعات الفقرات في النموذج المختبر وبعد عدة محاولات تم التوصل الى مؤشرات جودة مطابقة ملائمة تثبت الصدق البنائي للمتغير وبعده (8) فقرات للبعدين (الصورة التنظيمية الحالية والصورة التنظيمية البديلة) وكما يوضحها الشكل (٣) أي بعبارة أخرى ان الأسهم الخارجة من المتغيرات الكامنة (الصورة التنظيمية الحالية، والصورة التنظيمية المدركة) حصلت على معاملات صدق اعلى من الحد الادنى للقيمة المقبولة (0.5) لثبات الصدق البنائي التوكيدي للعبارات المرتبطة بها. اما لغرض التأكد من ان هذه الفقرات تقيس متغير ذو بعدين (متعدد الأبعاد Multidimensions) فان مؤشرات جودة المطابقة الموجود في اسفل الشكل (3) تشير من خلال مقارنتها مع الجدول (5) (مؤشرات وقاعدة جودة المطابقة لمعادلة النمذجة الهيكلية) بان هذه الفقرات (8) تقيس بعدين وليس بعداً واحداً لان قيم هذه المؤشرات مطابقة لقواعد معادلة النمذجة الهيكلية. وهذا يؤكد بان البيانات التي سحبت من عينة البحث مطابقة لنموذج القياس المتمثل هنا بمقياس الصورة التنظيمية المدركة.



شكل (3) الصدق البنائي التوكيدي لمقياس الصورة التنظيمية المدركة

ثانيا: الصدق البنائي التوكيدي لمقياس الإنغراز الوظيفي

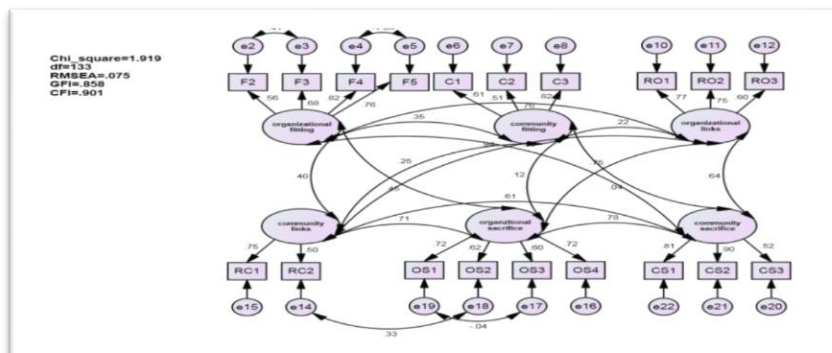
تبين مؤشرات جودة المطابقة الظاهرة في الشكل (4) الى عدم صحة افتراض أن الـ (22) فقرة تقيس بنية الإنغراز الوظيفي وفق لأبعاده الستة: (الملاءمة التنظيمية، والملاءمة المجتمعية، والروابط المجتمعية، والروابط التنظيمية، والتضحية التنظيمية، والتضحية المجتمعية) ووفقاً للأوزان الانحدارية المعيارية الظاهرة على الأسهم التي تربط المتغيرات الكامنة (الأبعاد الرئيسة) مع كل بعد فرعي من ابعاد المقياس، والتي تعرف بمعاملات الصدق يمكن الحكم على عدم صدق بعض تلك الأبعاد الفرعية لان قيمتها اقل من (0.50) وهي غير مقبولة احصائياً. اذ ان تشبعات الفقرات (F1,C4,RC3) كانت اقل من القيمة المطلوبة احصائيا وعليه سيتم حذفها من النموذج.



شكل (4) الصدق البنائي التوكيدي لمتغير الإنغراز الوظيفي

بعد عملية حذف الفقرات التي تقل تشبعاتها عن (0.50). اصبحت تشبعات الفقرات المتبقية جميعها اعلى من النسبة المحددة احصائيا مما يشير الى الحكم على صدق تلك العبارات في التعبير عن الأبعاد التي تنتمي لها، أي ان الأسهم الخارجة من المتغيرات الكامنة (الملاءمة التنظيمية، والملاءمة المجتمعية، والروابط

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء" المجتمعية، والروابط التنظيمية، والتضحية التنظيمية، والتضحية المجتمعية) حصلت على معاملات صدق أعلى من الحد الأدنى للقيمة المقبولة (0.5) لثبات الصدق البنائي التوكيدي للأبعاد الفرعية المرتبطة بها. اما لغرض التأكد من ان هذه الأبعاد الفرعية تقيس متغير ذو ستة أبعاد رئيسة فان مؤشرات جودة المطابقة الموجودة في الشكل (4) تشير من خلال مقارنتها مع الجدول (5) (مؤشرات وقاعدة جودة المطابقة لمعادلة النمذجة الهيكلية) بان هذه الفقرات (19) تقيس ستة ابعاد رئيسة وليس بعداً واحداً لان قيم هذه المؤشرات مطابقة لقواعد نمذجة المعادلة الهيكلية. وهذا يؤكد بان البيانات التي سُحبت من عينة البحث مطابقة لنموذج القياس المتمثل هنا بمقياس الإنغراز الوظيفي.



شكل (٥) الصدق البنائي التوكيدي لمتغير الإنغراز الوظيفي

٢. إتساق أداة القياس وثباتها

أ. الثبات البنائي لأداة القياس

إعتمد الباحثان في قياس الثبات البنائي لأداة القياس الخاصة بالبحث الحالي على إختبار كرونباخ الفا وقد تم حساب معامل الثبات للأداة باستخدام معامل ارتباط الفا كرونباخ الموضح في الجدول (5):

جدول (5) معاملات الثبات لأداة قياس البحث

المتغير	كرونباخ الفا	البعد	كرونباخ الفا
الصورة التنظيمية المدركة	0.73	١. الصورة التنظيمية الحالية	0.68
		٢. الصورة التنظيمية البديلة	0.70
الإنغراز الوظيفي	0.80	١. الملاءمة التنظيمية	0.74
		٢. الملاءمة المجتمعية	0.69
		٣. الروابط التنظيمية	0.75
		٤. الروابط المجتمعية	0.83
		٥. التضحية التنظيمية	0.76
		٦. التضحية المجتمعية	0.78

المصدر: اعداد الباحثين باعتماد مخرجات برنامج Spss. V.23

ويلاحظ من الجدول (5) بأن قيم معامل كرونباخ الفا قد تراوحت بين (0.68-0.83) وهي مقبولة إحصائياً في البحوث الإدارية والسلوكية لأن قيمتها أكبر (0.60) والتي تدل على أن الأداة تتصف بالإتساق والثبات الداخلي.

ثالثاً: عرض نتائج استجابات عينة البحث

١. متغير الصورة التنظيمية المدركة

يشير الجدول (6) الى مخلص الأبعاد لمتغير الصورة التنظيمية المدركة وكذلك المعدل العام للمتغير فيما يخص المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ودرجة الإجابة والأهمية الترتيبية وكما يأتي:

جدول (6) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الإجابة والأهمية الترتيبية للأبعاد الرئيسة لمتغير الصورة التنظيمية المدركة (N= 166)

البعد الرئيسي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الإجابة	الأهمية الترتيبية
الصورة التنظيمية الحالية	3.58	1.210	مرتفع	1
الصورة التنظيمية البديلة	3.50	1.131	مرتفع	2
المعدل العام لمتغير الصورة التنظيمية المدركة	3.53	1.171	مرتفع	

المصدر: اعداد الباحثين باعتماد مخرجات برنامج SPSS. V.23

ويلاحظ من خلال عرض بيانات الجدول أعلاه بأن بُعد الصورة التنظيمية الحالية قد حصل على المرتبة الأولى بدرجة الأهمية الترتيبية في ضوء اجابات عينة البحث اما أقل بُعد فقد كان من نصيب بُعد الصورة التنظيمية البديلة، وجمالاً يتبين أن المتغير المستقل الصورة التنظيمية المدركة قد حقق متوسطاً ضمن مستوى مرتفع وهو مستوى جيد يؤشر انسجام في فهم الصورة التنظيمية للمديرية من قبل عينة البحث متمثلة بالأفراد المستجيبين وأن أبعاده قد تحققت جميعاً في تلك المديرية وضمن مستوى إتفاق مرتفع مما يؤشر لدى الباحثين أن تلك المديرية تعيش صحة وظيفية تؤهلها لإنجاز افضل النتائج، فضلاً عن قدرات موظفيها في النجاح في أكثر من مكان لو اتاحت لهم الفرصة.

٢. متغير الإنغراز الوظيفي

يشير الجدول (7) الى مخلص الأبعاد لمتغير الإنغراز الوظيفي وكذلك المعدل العام للمتغير فيما يخص المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ودرجة الإجابة والأهمية الترتيبية.

جدول (7) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الإجابة والأهمية الترتيبية للأبعاد الرئيسة لمتغير الإنغراز الوظيفي (N= 166)

البعد الرئيسي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الإجابة	الأهمية الترتيبية
الملاءمة التنظيمية	3.80	1.006	مرتفع	2

1	مرتفع جداً	0.861	4.39	الملاءمة المجتمعية
4	معتدل	1.094	3.29	الروابط التنظيمية
3	معتدل	0.981	3.29	الروابط المجتمعية
6	منخفض	1.202	2.50	التضحية التنظيمية
5	منخفض	1.268	2.70	التضحية المجتمعية
	معتدل	1.069	3.33	المعدل العام لمتغير الإنغراز الوظيفي

المصدر: اعداد الباحثين باعتماد مخرجات برنامج Spss. V.23

ويلاحظ من خلال عرض بيانات الجدول أعلاه بأن متغير الإنغراز الوظيفي فيه حقق بُعد الملاءمة المجتمعية المرتبة الأولى بينما حل بُعد الملاءمة التنظيمية بالمرتبة الثانية ثم الروابط المجتمعية ويليهما الروابط التنظيمية ثم التضحية المجتمعية وأخيراً التضحية التنظيمية وإن المتغير بشكل عام وأبعاده حقق مستوى استجابة معتدلاً مما يؤكد تحقق الإنغراز الوظيفي بشكل لا بأس به في المديرية المدروسة وفقاً لإجابات عينة الدراسة.

رابعاً: اختبار فرضيات البحث

١- اختبار الفرضية الرئيسة الأولى (H1):

(H0) لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي.
 (H1) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي.
 لغرض بيان مدى علاقات الارتباط بين المتغير المستقل والمتغير الوسيط استخدم الباحثان اختبار (Pearson) لإختبار الفرضية الرئيسة الأولى المتعلقة بعلاقات الارتباط بين المتغير المستقل (الصورة التنظيمية المدركة) وأبعاده (الصورة التنظيمية الحالية، والصورة التنظيمية المدركة) والمتغير الوسيط (الإنغراز الوظيفي) (الملاءمة التنظيمية، والملاءمة المجتمعية، الروابط التنظيمية، والروابط المجتمعية، والتضحية التنظيمية، والتضحية المجتمعية). إذ يظهر الجدول (9) مصفوفة معاملات الارتباط البسيط (Pearson) بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة وأبعاد الإنغراز الوظيفي. وقبل الخوض في اختبار الفرضيات الفرعية لهذه الفرضية فإن الجدول (9) يشير الى حجم العينة (166) ونوع الإختبار (2-tailed). ومختصر (Sig.) في الجدول يشير الى إختبار معنوية معامل الارتباط من خلال مقارنة قيمة (t) المحسوبة مع الجدولية من غير ان يظهر قيمها. فإذا ظهر وجود علامة (**) على معامل الارتباط فإن هذا يعني بان قيمة (t) المحسوبة أكبر من الجدولية. ويتم الحكم على مقدار قوة معامل الارتباط في ضوء قاعدة (Cohen & Cohen, 1983)، وكما في جدول (8) الآتي:

جدول (٨) قيم ومستويات علاقة الارتباط

ت	قيمة معامل ارتباط	مستوى علاقة الارتباط
1	أقل من (0.10)	علاقة ارتباط منخفضة
2	من (0.10) الى (0.30)	علاقة ارتباط معتدلة
3	أعلى من (0.30)	علاقة ارتباط قوية

المصدر: اعداد الباحثين باعتماد الادبيات

بهدف قبول الفرضية الرئيسية الاولى أعلاه من عدم قبولها قام الباحثان بإختبار قيمة معامل الارتباط البسيط باستخدام إختبار ((Sig. 2-tailed) للوقوف على معنوية العلاقة بين متغير الصورة التنظيمية المدركة (المستقل) ومتغير الإنغراز الوظيفي إذ يشير الجدول (9) الى وجود علاقة إرتباط موجبة ومعنوية بين متغير الصورة التنظيمية المدركة ومتغير الإنغراز الوظيفي، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط البسيط بينهما (**.215). وتشير هذه القيمة الى اعتدالية العلاقة الطردية بين متغير الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي، وإن ما يدعم ذلك معنوية علاقة الارتباط التي ظهرت عند مستوى معنوية (1%) وبدرجة ثقة بلغت (99%) والجدول (10) يوضح تلك العلاقة، إذ يتضح رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة التي تنص على إنه (توجد علاقة إرتباط ذات دلالة احصائية بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي). عند مستوى معنوية (1%) أي إن نتيجة القرار مقبولة بدرجة ثقة قدرها (99%).

جدول (9) مصفوفة معاملات الارتباط بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة وأبعاد الإنغراز الوظيفي

Correlations					
		الصورة التنظيمية الحالية	الصورة التنظيمية البديلة	الصورة التنظيمية المدركة	الإنغراز الوظيفي
الصورة التنظيمية الحالية	Pearson Correlation	1	-.264**	.549**	.591**
	Sig. (2-tailed)		.001	.000	.000
	N	166	166	166	166
الصورة التنظيمية البديلة	Pearson Correlation	-.264**	1	.661**	-.282**
	Sig. (2-tailed)	.001		.000	.000
	N	166	166	166	166
الصورة التنظيمية المدركة	Pearson Correlation	.549**	.661**	1	.215**
	Sig. (2-tailed)	.000	.000		.005
	N	166	166	166	166
الإنغراز الوظيفي	Pearson Correlation	.591**	-.282**	.215**	1
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.005	
	N	166	166	166	166
**. Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).					

المصدر: مخرجات برنامج spss v.23

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء" بناءً على ما تقدم يمكن تفسير علاقة الارتباط بين متغير الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي بوجود علاقة ارتباط طردية معتدلة بين المتغيرين تعكس مدى توافر الصورة التنظيمية المدركة بأبعاده مما يؤثر انعكاساً طردياً بنسبة معتدلة لظهور الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. وتنبثق من الفرضية الرئيسة الفرضيات الفرعية الآتية:-

أ. اختبار الفرضية الفرعية الأولى:

(H0) لا توجد علاقة ارتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز الوظيفي بأبعاده في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. (H1) توجد علاقة ارتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز الوظيفي بأبعاده في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث.

أظهر الجدول (10) وجود علاقة ارتباط موجبة ومعنوية بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز الوظيفي بأبعاده وقد بلغت قيمة معامل الارتباط بمتغير الإنغراز الوظيفي (**591). عند مستوى معنوية بلغ (1%) أي بدرجة ثقة بلغت (99%) وهذا يدل على قوة وإيجابية العلاقة الطردية بينهما. وما يدعم هذه النتيجة هو قيمة ((Sig. (2-tailed) المحسوبة لعلاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز الوظيفي والبالغة (0.000)، إذ تدل هذه النتيجة على معنوية علاقة الارتباط وضمن مستوى ارتباط قوية. في حين بلغت علاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية وأبعاد الإنغراز الوظيفي كما يوضحها الجدول بُعد الملاءمة التنظيمية (**368). عند مستوى معنوية بلغ (1%) أي بدرجة ثقة بلغت (99%) وهي ضمن مستوى ارتباط قوية وهي دالة معنوية وإيجابية، في حين بلغت نسبة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية وبُعد الملاءمة المجتمعية (**273). وبلغت معنوية العلاقة (0.000). أي إنها معنوية عند مستوى (1%) وبمستوى ثقة بلغ (99%) وهي ضمن مستوى ارتباط معتدلة، أما علاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية وبُعد الروابط التنظيمية (**515). وبلغت معنوية العلاقة (0.000). أي إنها معنوية عند مستوى (1%) وبمستوى ثقة بلغ (99%) وهي ضمن مستوى ارتباط قوية، وقد بلغت نسبة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية وبُعد الروابط المجتمعية (**457). وبلغت معنوية العلاقة (0.000). أي إنها معنوية عند مستوى (1%) وبمستوى ثقة بلغ (99%) وهي ضمن مستوى ارتباط قوية، أما علاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية وبُعد التضحية التنظيمية (**429). وبلغت معنوية العلاقة (0.000). أي إنها معنوية عند مستوى (1%) وبمستوى ثقة بلغ (99%) وهي ضمن مستوى ارتباط قوية وأخيراً فأن في نسبة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية وبُعد التضحية المجتمعية (**445). وبلغت معنوية العلاقة (0.000). أي إنها معنوية عند مستوى (1%) وبمستوى ثقة بلغ (99%) وهي ضمن مستوى علاقة ارتباط قوية وتشير النتائج أعلاه الى رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة الفرعية الأولى التي تنص على إنه (توجد علاقة ارتباط موجبة بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز الوظيفي بأبعاده) عند مستوى معنوية (1%) أي إن نتيجة القرار مقبولة بدرجة ثقة قدرها (99%). والجدول التالي يوضح مسارات العلاقة بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية ومتغير الإنغراز الوظيفي بأبعاده الستة وكالاتي:

جدول (10) مسارات العلاقات بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز الوظيفي بأبعاده

مسار العلاقة	معامل الارتباط	Sig	درجة الثقة	مستوى الارتباط	قبول او رفض الفرضية
الإنعزاز الوظيفي ---> الصورة التنظيمية الحالية	.591**	.000	.99	قوية	تدعم الفرضية قبول البديلة ورفض فرضية العدم
الملاءمة التنظيمية ---> الصورة التنظيمية الحالية	.368**	.000	.99	قوية	تدعم الفرضية قبول البديلة ورفض فرضية العدم
الملاءمة المجتمعية ---> الصورة التنظيمية الحالية	.273**	.000	.99	معتدلة	تدعم الفرضية قبول البديلة ورفض فرضية العدم
الروابط التنظيمية ---> الصورة التنظيمية الحالية	.515**	.000	.99	قوية	تدعم الفرضية قبول البديلة ورفض فرضية العدم
الروابط المجتمعية ---> الصورة التنظيمية الحالية	.457**	.000	.99	قوية	تدعم الفرضية قبول البديلة ورفض فرضية العدم
التضحية التنظيمية ---> الصورة التنظيمية الحالية	.429**	.000	.99	قوية	تدعم الفرضية قبول البديلة ورفض فرضية العدم
التضحية المجتمعية ---> الصورة التنظيمية الحالية	.445**	.000	.99	قوية	تدعم الفرضية قبول البديلة ورفض فرضية العدم

المصدر: اعداد الباحثين باعتماد مخرجات برنامج SPSS. V.23

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء" وبناءً على ما تقدم يمكن تفسير علاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز الوظيفي بأبعاده بأنها علاقة ارتباط إيجابية طردية بينهما وتشير الى ان وجود الصورة التنظيمية الحالية في إذهان عينة البحث يساهم في زيادة الإنغراز الوظيفي لديهم من خلال أبعاده.

ب. اختبار الفرضية الفرعية الثانية:

(H0) لا توجد علاقة ارتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي بأبعاده في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. (H1) توجد علاقة ارتباط موجبة ذات دلالة إحصائية بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي بأبعاده في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث.

اظهر الجدول (١١) وجود علاقة ارتباط سالبة ومعنوية بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي بأبعاده وقد بلغت قيمة معامل الارتباط بمتغير الإنغراز الوظيفي ($r = -0.282^{**}$) عند مستوى معنوية بلغ (1%) أي بدرجة ثقة بلغت (99%) وهذا يدل على العلاقة السلبية العكسية بينهما. وما يدعم هذه النتيجة هو قيمة ((Sig. (2-tailed)) المحسوبة لعلاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي والبالغة (0.000)، إذ تدل هذه النتيجة على معنوية علاقة الارتباط وضمن علاقة ارتباط سلبية عكسية. في حين بلغت علاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة وأبعاد الإنغراز الوظيفي كما يوضحها الجدول بُعد الملاءمة التنظيمية ($r = -0.049^{**}$)، وهي علاقة سلبية غير دالة معنويًا، في حين بلغت نسبة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة وبُعد الملاءمة المجتمعية ($r = -0.219^{**}$) وبلغت معنوية العلاقة (0.005) اي إنها معنوية عند مستوى (1%) وبمستوى ثقة بلغ (99%) وهي ضمن مستوى علاقة ارتباط سالبة، اما علاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة وبُعد الروابط التنظيمية ($r = -0.205^{**}$) وبلغت معنوية العلاقة (0.008) اي إنها معنوية عند مستوى (1%) وبمستوى ثقة بلغ (99%) وهي ضمن علاقة ارتباط سالبة، وقد بلغت نسبة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة وبُعد الروابط المجتمعية ($r = -0.212^{**}$) وبلغت معنوية العلاقة (0.000) اي إنها معنوية عند مستوى (1%) وبمستوى ثقة بلغ (99%) وهي ضمن علاقة ارتباط سالبة، اما علاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة وبُعد التضحية التنظيمية ($r = -0.385^{**}$) وبلغت معنوية العلاقة (0.000) اي إنها معنوية عند مستوى (1%) وبمستوى ثقة بلغ (99%) وهي ضمن علاقة ارتباط سالبة وأخيراً فان في نسبة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة وبُعد التضحية المجتمعية ($r = -0.117^{**}$) وهي غير دالة معنويًا وسالبة وتشير النتائج أعلاه الى قبول فرضية العدم ورفض الفرضية البديلة الفرعية الثانية التي تنص على إنه (توجد علاقة ارتباط موجبة بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي بأبعاده) والجدول التالي يوضح مسارات العلاقة بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة ومتغير الإنغراز الوظيفي بأبعاده الستة وكالآتي:

جدول (١١) مسارات العلاقات بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي بأبعاده

مسار العلاقة	معامل الارتباط	Sig	درجة الثقة	مستوى الارتباط	قبول او رفض الفرضية

الإنغراز الوظيفي --- الصورة التنظيمية البديلة	-.282**	.000	.99	سالبة	رفض الفرضية البديلة وقبول فرضية العدم
الملاءمة التنظيمية --- الصورة التنظيمية البديلة	-.049**	.527	-	سالبة	رفض الفرضية البديلة وقبول فرضية العدم
الملاءمة المجتمعية --- الصورة التنظيمية البديلة	-.219**	.005	.99	سالبة	رفض الفرضية البديلة وقبول فرضية العدم
الروابط التنظيمية --- الصورة التنظيمية البديلة	-.205**	.008	.99	سالبة	رفض الفرضية البديلة وقبول فرضية العدم
الروابط المجتمعية --- الصورة التنظيمية البديلة	-.212**	.006	.99	سالبة	رفض الفرضية البديلة وقبول فرضية العدم
التضحية التنظيمية --- الصورة التنظيمية البديلة	-.385**	.000	.99	سالبة	رفض الفرضية البديلة وقبول فرضية العدم
التضحية المجتمعية --- الصورة التنظيمية البديلة	-.117**	.133	-	سالبة	رفض الفرضية البديلة وقبول فرضية العدم

المصدر: اعداد الباحثين باعتماد مخرجات برنامج SPSS. V.23
وبناءً على ما تقدم يمكن تفسير علاقة الارتباط بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي
بأبعاده بأنها علاقة ارتباط سلبية عكسية بينهما وتشير الى ان الافراد عينة البحث لا يرغبون ولا يفكرون
باختيار بديل في الوقت الحاضر عن وظيفتهم.

٢- إختبار الفرضية الرئيسة الثانية

(H0) لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي.
(H1) توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية بين أبعاد الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي.
وعلى النحو الآتي:- يوضح الجدول (١٢) نتائج مقدار الانحدار الخطي البسيط. لغرض تقدير اثر
الصورة التنظيمية المدركة على والإنغراز الوظيفي إذ يتضح ما يأتي:
أولاً:- إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدّر بلغ (7.980) عند مستوى دلالة (0.01). و بناءً عليه
تقبل الفرضية البديلة وترفض فرضية العدم وهذا يعني وجود تأثير ذات دلالة إحصائية معنوية للصورة
التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي وبدرجة ثقة (99%).

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء"

جدول (١٢) قيمة F المحسوبة لعلاقة التأثير بين متغير الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي (N

= 166)

ANOVA ^a						
Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	2.631	1	2.631	7.980	.005 ^b
	Residual	54.078	164	.330		
	Total	56.709	165			
a. Dependent Variable: الإنغراز الوظيفي						
b. Predictors: (Constant), الصورة التنظيمية المدركة						

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23

ثانياً:- يتضح من قيمة معامل التحديد (R^2) البالغة (0.046). يتضح بان الصورة التنظيمية المدركة قادر على تفسير ما نسبته (4.6%) من التغيرات التي تطرأ على الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. أما النسبة البالغة (94.4%) فتعزى إلى مساهمة متغيرات أخرى غير داخلية في أنموذج البحث.

جدول (١٣) قيمة R^2 المحسوبة لعلاقة التأثير بين متغير الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي (N

= 166)

Model Summary				
Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	.215 ^a	.046	.041	.57423
a. Predictors: (Constant), الصورة التنظيمية المدركة				

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23

ثالثاً:- يتضح من خلال قيمة معامل الميل الحدي (β) البالغ (0.310). بان زيادة مستويات توافر الصورة التنظيمية المدركة بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة الإنغراز الوظيفي بنسبة (31%) من وحدة إنحراف معياري واحد إذا تقبل الفرضية.

جدول (14) قيمة B المحسوبة لعلاقة التأثير بين متغير الصورة التنظيمية المدركة والإنغراز الوظيفي (N

= 166)

Coefficients ^a

Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	2.236	.392		5.700	.000
	الصورة التنظيمية المدركة	.310	.110	.215	2.825	.005
a. Dependent Variable: الإنغراز الوظيفي						

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23

ومن الفرضية الرئيسية تنبثق الفرضيات الفرعية الآتية:

أ. الفرضية الفرعية الاولى: -

(H0) لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبُعد الصورة التنظيمية الحالية في زيادة الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. (H1) توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبُعد الصورة التنظيمية الحالية في زيادة الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. وتظهر نتائج الجدول (١٥) ما يأتي:

اولاً: - إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدّر بلغ (87.958) عند مستوى دلالة (0.01). و بناءً عليه ترفض فرضية العدم وتقبل الفرضية البديلة وهذا يعني وجود تأثير ذات دلالة إحصائية معنوية لمتغير الصورة التنظيمية الحالية في الإنغراز الوظيفي وبدرجة ثقة (99%).

جدول (١٥) قيمة F المحسوبة لعلاقة التأثير بين الصورة التنظيمية الحالية وُبعد الإنغراز الوظيفي (N

= 166)

ANOVA ^a						
Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	19.797	1	19.797	87.958	.000 ^b
	Residual	36.912	164	.225		
	Total	56.709	165			
a. Dependent Variable: الإنغراز الوظيفي						
b. Predictors: (Constant), الصورة التنظيمية الحالية						

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23

تأثير الصورة التنظيمية المدركة على الإنغراز الوظيفي "بحث تحليلي لآراء عينة من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء" ثانياً:- يتضح من خلال قيمة معامل التحديد (R^2) البالغة (0.349). بان بُعد الصورة التنظيمية الحالية قادر على تفسير ما نسبته (34.9%) من التغيرات التي تطرأ على المتغير الإنغراز الوظيفي. أما النسبة البالغة (65.1%) فتعزى إلى مساهمة متغيرات أخرى غير داخلية في نموذج البحث.

جدول (١٦) قيمة R^2 المحسوبة لعلاقة التأثير بين بُعد الصورة التنظيمية الحالية ومتغير الإنغراز الوظيفي (166 = N)

Model Summary				
Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	.591 ^a	.349	.345	.47442
a. Predictors: (Constant), الصورة التنظيمية الحالية				

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23

ثالثاً:- يتضح من خلال قيمة معامل الميل الحدي (β) البالغة (0.547). بان زيادة بُعد الصورة التنظيمية الحالية بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة الإنغراز الوظيفي بنسبة (54.7%) من وحدة إنحراف معياري واحد وبما ان علاقة التأثير كانت معنوية وعليه تقبل الفرضية.

جدول (١٧) قيمة B المحسوبة لعلاقة التأثير بين الصورة التنظيمية الحالية والإنغراز الوظيفي (166 = N)

Coefficients ^a						
Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	1.374	.212		6.465	.000
	الصورة التنظيمية الحالية	.547	.058	.591	9.379	.000
a. Dependent Variable: الإنغراز الوظيفي						

المصدر: اعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23

ب. الفرضية الفرعية الثانية:

(H0) لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبُعد الصورة التنظيمية البديلة في زيادة الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. (H1) توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبُعد الصورة التنظيمية البديلة في زيادة الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث.

وتظهر نتائج الجدول (١٨) ما يأتي:

أولاً: - إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدّر بلغ (14.162) عند مستوى دلالة (0.01). و بناءً عليه ترفض فرضية العدم وتقبل الفرضية البديلة وهذا يعني وجود تأثير ذات دلالة إحصائية معنوية لبُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي وبدرجة ثقة (99%).

جدول (١٨) قيمة F المحسوبة لعلاقة التأثير بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي (N = 166)

ANOVA ^a						
Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	4.508	1	4.508	14.162	.000 ^b
	Residual	52.201	164	.318		
	Total	56.709	165			
a. Dependent Variable: الإنغراز الوظيفي						
b. Predictors: (Constant), الصورة التنظيمية البديلة						

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23
 ثانياً: قيمة معامل التحديد (R^2) بلغت (0.079). أي أن بُعد الصورة التنظيمية البديلة يفسر ما نسبته (7.9%) من التغيرات التي تطرأ على بُعد الإنغراز الوظيفي. و النسبة الباقية (92.1%) تسهم بها متغيرات أخرى غير داخلية بالأنموذج.
 جدول (١٩) قيمة R^2 المحسوبة لعلاقة التأثير بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي (N = 166).

Model Summary				
Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	.282 ^a	.079	.074	.56418
a. Predictors: (Constant), الصورة التنظيمية البديلة				

المصدر: اعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23
 ثانياً: - بلغت قيمة معامل الميل الحدي (β) (-.235). أي أن الزيادة بُعد الصورة التنظيمية البديلة بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة عكسية في الإنغراز الوظيفي بنسبة (23.5%) من وحدة إنحراف معياري واحد وان علاقة التأثير كانت معنوية عليه ترفض الفرضية.
 جدول (٢٠) قيمة B المحسوبة لعلاقة التأثير بين بُعد الصورة التنظيمية البديلة والإنغراز الوظيفي (N = 166)

Coefficients ^a

Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	4.159	.223		18.668	.000
	الصورة التنظيمية البديلة	-.235	.062	-.282	-3.763	.000
a. Dependent Variable: الإنغراز الوظيفي						

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج SPSS V. 23

المبحث الرابع: الإستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

١- أظهرت نتائج التحليل الإحصائي لاستجابات عينة البحث من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء أن لديهم قناعة بعدم إستبدال وظيفتهم الحالية بوظيفة أخرى. وأن العمل في مديرية شباب ورياضة كربلاء جيد ولا بأس فيه، فضلاً عن إيمانهم أن مديريتهم تمتلك صورة تنظيمية جيدة في نظر الآخرين.

٢- أشارت نتائج التحليل الإحصائي بأن موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء لهم القدرة العالية على أداء الوظائف في حالة إتاحت لهم الفرصة للعمل في وزارة أخرى، وأنهم قادرون على تأدية المهام المنوطة بهم بكل كفاءة وفاعلية.

٣- وجد البحث أن هناك تلاءماً جيداً بين ما يؤمن به الموظفون والثقافة والقيم السائدة في مديرية شباب ورياضة كربلاء. فضلاً عن إحساس موظفي مديرية الشباب والرياضة بالإحترام والتقدير داخل بيئة العمل التي يعملون بها.

٤- من خلال تحليل إجابات عينة البحث، أظهر موظفو مديرية شباب ورياضة كربلاء أنهم يحملون مشاعر إيجابية عالية إتجاه مكان العيش الخاص بهم، وأنهم يشعرون بأن بيئتهم تعد المنزل الكبير الذي يعيشون به.

٥- وجد البحث أن هناك محددات من قبل مديرية شباب ورياضة كربلاء تضعها أمام تحقيق أهداف الموظفين العاملين لديها وتتمثل هذه المحددات بضعف البرامج التدريبية والتطويرية التي تتبناها مديرية شباب ورياضة كربلاء وكذلك إنعدام برامج الإطلاع على التجارب الناجحة في الدول العربية او الأجنبية فيما يتعلق بعمل منتديات الشباب. وفي الوقت نفسه أن الموظفين مستعدون على بذل

المزيد من الجهد لأداء عملهم وأنهم يشعرون بأن العمل في مديرية شباب ورياضة كربلاء يُشكل عائلة ثانية لهم.

٦- أظهر الوصف الإحصائي الخاص بإجابات أفراد عينة البحث من موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء والمتعلق بالروابط الاجتماعية بأن المكان الذي يعيشون به يُمكنهم من حرية الاعتقاد مما يوفر لهم بيئة سليمة للتفكير والاندماج بالعمل.

٧- وجود علاقة إرتباط طردية ومعتدلة بين متغير الصورة التنظيمية المدركة ومتغير الإنغراز الوظيفي وتعكس هذه العلاقة مدى توافر الصورة التنظيمية المدركة بأبعادها مما يؤثر إنعكاساً طردياً بنسبة معتدلة لظهور الإنغراز الوظيفي في مديرية شباب ورياضة كربلاء عينة البحث. وتعكس هذه العلاقة مدى إدراك الموظفين للصورة التنظيمية لمديرية شباب ورياضة كربلاء وقناعتهم فيها مما ولد لديهم رغبة في الحفاظ على وظائفهم وعدم التفكير في مغادرة المديرية.

ثانياً: التوصيات

١. أهمية العمل الجاد والحديث من قبل مديرية شباب ورياضة كربلاء بضرورة الصيانة والحفاظ على صورتها التنظيمية الحالية لأنها تتميز بالرضا والقبول من قبل موظفي مديرية شباب ورياضة كربلاء.
٢. تعزيز حالات الإحترام والتقدير التي يشعر بها الموظفون في مديرية الشباب والرياضة في بيئة عملهم وذلك من خلال تعزيز حالات الإحترام المتبادل بين الإدارة والموظفين وبين الموظفين أنفسهم وإحترام آراء وتوجهات الموظفين.
٣. ضرورة إعتماد مديرية شباب ورياضة كربلاء نظام ترقية عادل يكون فيه المعيار الأساسي كفاءة الموظف وإلغاء أي دور للتأثيرات الجانبية وغير المهنية في نظام الترقيات.
٤. ضرورة إزالة جميع العوائق والمحددات الإدارية التي فرضتها التعليمات الوزارية السابقة كونها تسبب عرقلة عمل الموظفين في مديرية الشباب والرياضة.
٥. ضرورة قيام مديرية شباب ورياضة كربلاء بإعتماد مخصصات غلاء المعيشة او المخصصات المهنية ضمن مفردات راتب الموظفين.
٦. منح صلاحيات أكبر للمنتديات الشبابية من خلال منحهم حرية الحركة والتعاون مع الجهات الحكومية.

المصادر

أولاً: العربية

أ- الكتب

١. أنيس، إبراهيم و منتصر، عبد الحليم و الصوالحي، عطية و أحمد، محمد خلف، معجم الوسيط، ط ٤، مجمع اللغة العربية-مكتبة الشروق الدولية، مصر، ٢٠٠٤.

ب- المجلات والدوريات

١. الفتلاوي، ميثاق هاتف، (٢٠١٤) دور الإنغراز الوظيفي في تقليل سلوك التهكم التنظيمي للعاملين في المنظمات الصحية (بحث تحليلي في دائرة صحة كربلاء)، المجلة العراقية للعلوم الإدارية- جامعة كربلاء، المجلد ٩، العدد ٣٩.

ثانياً: الأجنبية

A-Journals & Periodicals & Researches

1. Arif, Sadia, Impact of Organizational Justice on Turnover Intentions: Moderating role of Job Embeddedness, SEISENSE Journal of Management, Vol. 1. Issue 2. May 2018.
2. Braddy, P.W., Meade, A.W. and Kroustalis, C.M. (2008), "Online recruiting: the effects of organizational familiarity, website usability, and website attractiveness on viewers' impressions of organizations. Computers in Human Behavior, vol.24, issue6 9,2008.
3. Collins C. J., & Stevens C. K., (2001). Initial organizational images and recruitment: A within-subjects investigation of the factors affecting job choices. Center for Advanced Human Resource Studies,2001.
4. Croft, Andrew & Coggshall, Jane G. & Dolan, Megan & Powers, Elizabeth & Killion, Joellen, (2010),"Job-Embedded Professional Development: What It Is, Who Is Responsible, and How to Get It Done Well", Copyright © 2010 National Comprehensive Center for Teacher Quality, sponsored under government cooperative agreement number S283B050051.
5. Dewberry, chris, Statistical methods for organizational research: Theory and practice, ResearchGate, 2004.
6. Dutton, J. E., Dukerich, J. M., & Harquail, C. V. (1994). Organizational images and member identification. Administrative Science Quarterly, 39, 239-263.
7. Gadot, Eran Vigoda- and Zion, Eyal Ben, Bright Shining Stars: The Mediating Effect of Organizational Image on the Relationship Between Work Variables and Army Officers'Intentions to Leave the Service for a Job in High-Tech Industry, Public Personnel Management, Volume 33, No. 2 Summer 2004.
8. GuNALAN, Mustafa& Ceylan, Adnan, the mediator role of jealousy and turnover intention: A study on health workers, Balikesir University The Journal of Social Sciences Institute, Volume: 17 - Number: 31, June 2014.
9. Kaseri, Ahmad & Zalina, Anim & Ahmad, Abd Razak, (2012),"The Relationship of Job Embeddedness and Occupational Commitment on

- Propensity to Stay Among Contact Centre Outsourcing Employees", Proceedings International Conference of Technology Management, Business and Entrepreneurship, Renaissance Hotel, Melaka, Malaysia 18-19.
10. Lee, T. W., Mitchell, T. R., Sablinski, C. J., Burton, J. P., & Holtom, B. C. (2004). The effects of job embeddedness on organizational citizenship, job performance, volitional absences, and voluntary turnover. *Academy of Management Journal*, 47, 711–722.
 11. Mitchell, T. R., Holtom, B. C., Lee, T. W., Sablinski, C. J., & Erez, M. (2001). Why People Stay: Using Job Embeddedness to Predict Voluntary Turnover. *Academy of Management Journal*, 44, 1102-1121.
 12. Nafei, Wageeh, (2015), "The Role of Psychological Capital on Job Embeddedness and Organizational Cynicism: A Study on Menoufia University Hospitals", *Journal of Management and Sustainability*; Vol. 5, No. 1.
 13. O'Neill, J.L. & Gaither, C.A. (2007). Investigating The Relationship Between The Practice of Pharmaceutical Care, Construed External Image, Organizational Identification, and Job Turnover Intention of Community Pharmacists. *Research in Social and Administrative Pharmacy*, 3, 438-463.
 14. Perez, Juane Patlen & Torres, Edgar Martinez, Evaluation of the organizational image of a university in a higher education institution, *contaduria Administracion*, 62, 2017.
 15. Polat, S. (2009). Yükseköğretim örgütlerinde örgütsel imaj yönetimi: Örgütsel imajın öncülleri ve çıktıları. <http://oc.eab.org.tr/egtconf/pdfkitap/pdf/106.pdf> adresinden 13 Ağustos.
 16. Treadwell, D., & Harrison, T. (1994). Conceptualizing and assessing organizational image: Model, images, commitment, and communication. *Communication Monographs*, 61.
 17. Umphress, Elizabeth, E. & Tihanyi, Laszlo & Bierman, Leonard & Gogus, Celile, Itir, Personal lives? The effects of nonwork behaviors on organizational image, *Organizational Psychology Review*, 3(3), 2013.
 18. Wijayanto, B. Riwi, the effect of job embeddedness on Organizational citizenship behavior: The Mediating Role of Sense of Responsibility, *Gadjah Mada International Journal of Business*, Vol. 6, No. 3, 2004.

B– Thesis and Dissertation

1. Fletcher, Richard E.A., (2005), "Job Embeddedness: A Construct of Organizational and Community Attachment Utilized to Assess Voluntary Turnover", Thesis Presented to the Faculty Department of Systems and

Engineering Management Graduate School of Engineering and Management Air Force Institute of Technology Air University Air Education and Training Command In Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Science in Engineering Management.

2. Shahriari, Safoora, (2011), "Organizational Justice, Job Embeddedness, and Job Outcomes: A Study of Hotel Employees in Iran", Submitted to the Institute of Graduate Studies and Research In Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Science in Tourism Management, Eastern Mediterranean University, Gazimağusa, North Cyprus.
3. Takawira, Ndayiziveyi, (2012), "Job embeddedness, work engagement and turnover intention of staff in a higher education institution", submitted in accordance with the requirements for the degree of Master of Commwece in the subject Industrial and Organizational Psychology at the University of South Africa.

تجارب اندماج المصارف الإسلامية في بلدان مختارة (مقارنة وتحليل)
*Experiences of Islamic banks integration in selected
counties (comparative analysis)*

أ.د طالب حسين فارس^(١) Prof. Talib H. Faris

بان عباس مهدي^(٢) Ban Abbas Mahdi

المستخلص

حقق البنك الإسلامي نجاحات كبيرة في هذا المجال وساعدت هذه النجاحات في تطوير أعماله وسرعة انتشاره، حيث ان البنوك الإسلامية تلتزم بأحكام الشريعة الإسلامية للتعامل مع الاهتمام، ان عمل البنوك الإسلامية ساعد على الحد من البطالة وتشجيع النمو وكذلك تحسين الظروف المعيشية الاجتماعية للأفراد كما أن التكامل المصرفي الذي حدث في البنوك الإسلامية هو صورة لتطور البنوك الإسلامية. الكلمات المفتاحية: الاندماج المصرفي، المصارف الإسلامية.

Abstract

Islamic bank have achieved great successes in the word and have helped these successes in the development of its work and the speed of its spread, as Islamic banks adhere to the provisions of Islamic law is not to deal with interest as the Islamic banks and through their work helps to reduce unemployment and promote growth and also improve conditions of living and social for individuals, As the banking integration that took place in Islamic banks is a picture of the evolution of Islamic banks.

١- كلية إدارة واقتصاد / جامعة كربلاء.

٢- كلية إدارة واقتصاد / جامعة كربلاء.

المقدمة

حققت المصارف الإسلامية حركة تطور متنامية منذ ولادتها الحديثة في منتصف القرن العشرين، بفعل خصائص وسمات أسسها النظرية، وقدرتها على التكيف مع الانظمة المصرفية المختلفة. اذ إنّ طبيعتها المميزة وما يترتب عليها من عناصر قوة وكفاءة اتاح لها مقومات نجاح تجارب التطوير في إدائها الاقتصادي والغني، وكذلك اكسبها القدرة على مواجهه الازمات المالية وظروف عدم الاستقرار الاقتصادي، كما اثبتت الوقائع ذلك في الازمة المالية العالمية ٢٠٠٨، ومن بين اهم التحديات التي افرزتها العولمة امام المصارف هو قدرتها على الاندماج لتحقيق وحدات تحويل بأحجام أكثر فعالية وكفاءة، وهذا ما جعل الاندماج المصرفي من متطلبات التطور المؤسسي المطلوب في المصارف الإسلامية في بيئة الاعمال المعولمة.

مشكلة البحث

تتمثل بالتساؤل الآتي انه في ظل تحديات، العولمة كيف تستطيع المصارف الإسلامية في دول العينة تلبية متطلبات الاندماج المصرفي، وما هي الفرص المتاحة لتحقيق ذلك في ضوء تجارب الاندماج المصرفي في المصارف الإسلامية؟

أهمية البحث

يكتسب البحث أهميته من الإجابات التي تحظى بها المصارف الإسلامية في تحقيقها لميزة الاندماج المصرفي الإسلامي والنتائج المستوحاة من هذا الاندماج وانعكاسه على آلية عمل المصارف الإسلامية وزيادة أرباحها وتقوية مكانتها في اقتصاديات الدولة والسوق المالية الدولية.

هدف البحث

تحديد طبيعة واستدامة الاندماج المصرفي في المصارف الإسلامية في ظل المعطيات الداخلية والخارجية التي تواجهها المصارف الإسلامية ومدى قدرة هذه المصارف على توظيف نتائج الاندماج المصرفي.

فرضية البحث

في ضوء ما هو متاح من امكانية تعزيز متطلبات الاندماج المصرفي للمصارف الإسلامية ومعطيات تجارب الاندماج المصرفي للمصارف العربية والإسلامية ووجود تجارب اندماج ناجحة في المصارف الإسلامية، وهل تمتلك المصارف الإسلامية القدرة على مواكبة الصناعة المصرفية في العالم ومواجهه المنافسة من ناحيه نظامها المصرفي وجودة الخدمات التي تقدمها؟

المبحث الأول: الاطار النظري للاندماج المصرفي في المصارف الإسلامية.

أولاً: مفاهيم الاندماج المصرفي

أصبحت عملية الاندماج المصرفي ظاهرة عالمية تأثرت بها معظم بنوك العالم، باعتبارها أحد النواتج الأساسية للعولمة ولقد شمل الاندماج المصرفي أنواعاً عديدة، سواء تعلق الامر بالاندماج المصرفي من حيث طبيعة نشاط الوحدات المندمجة او من حيث العلاقة بين أطراف الاندماج.

كما أن الاندماج ليس ناجماً عن عمل غير إرادي أو يكون لمجرد الصدفة، بل هناك دوافع ودواعي مؤيدة لعملية الاندماج المصرفي وكل هذا يقع تحت شروط وضوابط ومحددات من أجل إرسائه. ومن منطلق أن قرار الاندماج المصرفي هو قرار استراتيجي، بل هو قرار مصيري، فإنه يخضع لدراسات تحليلية وشاملة ومتكاملة الجوانب والابعاد لوضع التصورات اللازمة لإتمام عملية الاندماج بأفضل صورة ممكنة. فالاندماج بصورة عامة هو (إنشاء شركة جديدة أو مصرف جديد يحل محل المصرفيين القائمين، بحيث يزول كلاهما من الوجود القانوني، ويتكون مصرف جديد تتألف مطلوباته من مطلوبات المصرفيين السابقين كما تتألف الموجودات من كل موجوداتهما أو بعضهما) (٣).

كما تشير عملية الاندماج فيما بين الشركات الى قيام شركة كبيرة بشراء شركة أخرى اصغر منها، وتتفاوض على سعر الشراء وهذا السعر يعد أهم قفزة في هذه العملية، وتسمى الشركة الراغبة او المبادرة بالاندماج (الشركة المقتنية) او الشركة المندمجة بهما، بالشركة المستهدفة (٤).

ثانياً: المصارف الإسلامية ومتطلبات الاندماج المصرفي

تؤثر العولمة الاقتصادية من خلال متغيراتها في الصناعة المصرفية سواء كانت إسلامية أو تقليدية، الامر الذي يجب على المصارف ضرورة مواجهة مثل هذه التغيرات، فالعولمة قد تتيح فرص استخدام صيغ تمويلية إسلامية للمصارف وفتح المصارف الإسلامية فروعاً جديدة في البلدان الاخرى، شرط إعادة صياغتها وزيادة رؤوس الاموال وتنفيذ خطة رصينة للاندماج الذي يحقق مزيداً من الكفاءة والمنافسة وتطوير وتحسين نوعية المنتجات فيها وتطويرها مثلاً اندماج المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية في الخليج باعتباره يضم أكبر تجمع للعمل المصرفي الإسلامي.

وتساءل هنا حول هل تمتلك المصارف الإسلامية القدرة على مواكبة الصناعة المصرفية في العالم ومواجهه المنافسة من ناحيه نظامها المصرفي وجودة الخدمات التي تقدمها؟ مثل إصدار الصكوك المالية التي تعمل على حل مشكلة إدارة السيولة، وتطوير اجهزة الاتصال فيها والنظام التشغيلي، الامر الذي يؤدي الى استمرارها فيها حتى وأن لم تكن فيها الامكانيات المالية والفنية لمجاراة السوق المالية العالمية (٥).

استمرار التغيرات التي تواجه المصارف الإسلامية سواء من الداخل او الخارج او تمس المصارف الإسلامية مباشرة أو غير مباشرة، كذلك دخول المصارف التقليدية لمعترك أساليب العمل المصرفي الإسلامي وفي مجال توسيع أساليب التمويل الإسلامي الامر الذي ادى الى وجود منافسة حقيقية للاستحواذ على حصة المصارف الإسلامية في الاسواق المالية العالمية، لذلك نحن امام تحدي كبير ومخاوف عديدة امام المصارف

٣- عبد الكريم جابر العيسوي، الاندماج والتملك الاقتصادي المصارف أنموذجاً، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الامارات العربية المتحدة، ط ٢٠٠٧، ص ١٣.

4- Weston and Eugene F. Brigham, Managerial Finance, (Holt- Saunders international Editions 6th, New york), Ed. 1977, p.5.

٥- احمد سليمان خصاونة، المصارف الإسلامية- مقررات لجنة بازل-تحديات العولمة- استراتيجية مواجهتها، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العلمي، الاردن، ط ٢٠٠٨، ص ٢١٤.

الإسلامية التي تتسم بصغر رؤوس أموالها ولعدم قدرتها على المنافسة في الأسواق المصرفية الدولية لذلك توجد متطلبات عديدة لا بد من توفرها هي^(٦):

١. وضع استراتيجية عملية لتحديد برامج تهدف الى تحقيق الاندماج في المصارف الإسلامية، اذا ارادت الاستمرار وتطوير ادائها وكفاءتها حتى تتمكن من مواجهة التحديات والتغيرات وبعث الثقة لدى العاملين والمتعاملين في المصارف الإسلامية.

٢. يجب أن تكون قادرة على الدخول والمنافسة على قاعدة صلبة وبدرجة ثقة عالية.

٣. يتطلب اتخاذ بعض الخطوات الضرورية قبل إعادة الهيكلة وزيادة رؤوس أموالها وجميع الاجراءات التي من شأنها ان تحقق خطوة باتجاه الاندماج.

٤. تحقيق الاندماج يؤدي الى وجود كيانات مالية قوية وعملقة قادرة على أن تصمد امام المتغيرات العالمية في القطاع المصرفي والمالي، وهو فرصة للبقاء والنمو، حيث لا مكان للمصارف الصغيرة في عالم مليء بالمخاطر، ويقلل من فرص استمرار تقدمها.

٥. الاندماج يؤدي الى توحيد المعايير المالية والمحاسبية والشرعية المتبعة في المصارف الإسلامية وتطوير المنتجات المالية المتفقة مع فلسفتها بدلاً من التشتت في الاداء وفلسفة الإداء بما أن الشريعة الإسلامية هي المرجع الأول والأخير لجميع هذه المصارف.

٦. إن الموارد المالية والإسلامية المتاحة سواء النشطة منها في المصارف الإسلامية أو العاملة في المصارف التقليدية يجب ان يكون لديها الاستعداد لأساليب التمويل الإسلامي، ولديها القدرة على المساهمة في إنشاء سوق للأوراق المالية الإسلامية وتأسيس صناديق استثمار متنوعة تساهم في تطوير وابتكار المزيد من المنتجات المالية التي تلائم فلسفتها وأحكام الشريعة الإسلامية وإن العامل الآخر لتوفير الموارد المالية هو تحقيق الثقة لدى المتعاملين، مما سيرفع قدرة هذه المصارف على جمع المدخرات سواء التي تبحث عن الربح الحلال أو التي تبحث عن العائد الافضل، مما يوفر بيئة تمويلية وخدمية ذات جودة وكفاءة عالية.

ونستنتج من المتطلبات أعلاه أن تحقيق هذه المتطلبات سيمهد الطريق لتحقيق الاندماج المستهدف والمرجو والوصول الى التكامل بين المصارف الإسلامية، مع مراعاة بعض الخصوصية لبعض المصارف و الناجمة عن طبيعة العلاقة بين المصارف المركزية سواء من جانب السيادة لهذه المصارف او لغياب التشريعات والقوانين المنظمة لعملها ايضاً نلاحظ أن هذه المصارف اي المصارف المركزية تعتبر عملية الاندماج شأنها تنظيمياً داخل النظام المصرفي الوطني وما عدا ذلك يخضع لقوانين وشروط الاستثمار الخارجي، لذا يجب تحقيق وتجاوز هذه الصعوبات لخلق الثقة اللازمة لتحقيق هذه الخطوة حيث ستكون إضافة نوعية متميزة للعمل المصرفي الإسلامي.

ومن المتطلبات الأخرى ايضاً^(٧):

٦- مجلة الصيرفة الإسلامية، المصارف الإسلامية والحاجة الى الاندماج المصرفي، ٢٠١٣، مقالة علمية مأخوذة من الموقع الالكتروني www.islamic banking magazine.org، ص ١.

٧- عبد اللطيف حمزة القراري، المصارف الاستثمارية الإسلامية... النظرية والتطبيق، دار الكتب الوطنية للنشر، ليبيا، ط ١، ص ١٤-١٥.

١. عمليات الاندماج وإعادة الهيكلة بين المصارف الإسلامية حيث جاءت خطوات الاندماج المصرفية و إعادة الهيكلة التنظيمية الإسلامية من اجل تكوين مؤسسات كبيرة وفعالة وقادرة على مواجهة تحديات العولمة مثلما حدث اندماج مصرف البحرين الشامل حيث تكونت عليا اندماج بين مصرف البحرين ومصرف فيصل والشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي وكلاهما يتبعان دار المال الإسلامي وغيرها من الاندماجات الإسلامية.
٢. تطوير الاسواق المالية والمحافظ الاستثمارية وأن أهمية المحافظ الاستثمارية في الصناعة المصرفية للمصارف الإسلامية مهمة جداً، حيث اتجهت غالبيتها نحو تأسيس المحافظ الاستثمارية المحلية وصناديق الاستثمار في الاسهم العالمية، وتوسيع الاسواق وزيادة الخدمات المالية والاستثمارية الذي يؤدي الى زيادة قدرة توظيف السيولة الكبيرة المتوفرة لدى هذه المصارف.
٣. التحول التدريجي نحو الصيرفة الإسلامية، حيث أن اتجاه التحول التدريجي في المصارف التقليدية الى الإسلامية من السمات البارزة، إذ ان هذا التحول الجديد والتطور هو مطلب مستجد يقوي الاتجاه وحاجة المصارف نحو التحول لخدمات المصارف الإسلامية.
٤. تزايد الاهتمامات العلمية بالمصارف الإسلامية حيث لعبت الابحاث العلمية والجامع الفقهية والمؤتمرات دوراً أساسياً وأسهمت بشكل كبير في نهضة وتطور وفعالية الصناعة المصرفية الإسلامية.
٥. الاهتمام بفعالية وأداء هيئات الرقابة الشرعية حيث ادت العديد من القوانين والتشريعات التنظيمية الى زيادة وفعالية وحيوية عضوية هيئات الرقابة والضوابط الشرعية بالمصارف الإسلامية.
٦. دخول المصارف العالمية للتجربة الإسلامية وهي من المتطلبات المهمة في تطور الصناعة المصرفية الإسلامية وتميزها بدور وخصائص وضوابط أحكام الشريعة الإسلامية حيث برهنت التجربة على قدرتها الحضارية وسرعة وسهولة تطبيق العمل على اساس أحكام الشريعة الإسلامية والحصول على نتائج بكفاءة قصوى، إذ يتسم الإسلام بسمو مقاصده وجوهرية إنسانيته وقدرته على التكيف مع العصر وصهر الثقافات للخروج بنموذج لا خلاف فيه.

ثالثاً: فرص الاندماج في المصارف الإسلامية

- ان فرص الاندماج للمصارف الإسلامية تؤدي الى العديد من اليجابيات ومنها^(٨).
- ١- ان الدمج للمصارف الإسلامية يحقق اقتصاديات الحجم الكبير وكذلك يحقق لها تخفيضاً كبيراً في النفقات بسبب زيادة الاندماج وانخفاض وحدة التكلفة.
 - ٢- توسيع القاعدة الرأسمالية وتجميع الموارد المالية والبشرية من مواهب وكفاءات ومهارات مما يساعد على الانطلاق الصحيح والأداء الجيد وتحقيق الاستخدام الامثل للموارد.
 - ٣- تقليل عدد المصارف الإسلامية غير المجدية اقتصادياً والتي لا تساهم عملياً في بناء وتطوير الاقتصاديات المحلية، حيث يُعد استمرارها عبئاً مالياً على البلد التي تعمل فيه.

٨- مدحت الخراشي، اندماج المصارف العربية والخيار الاستراتيجي، إشرافه، ملتقى الفكر المستنير، عالم الاقتصاد، مقالة علمية على الموقع الالكتروني. www.mafoum.com.

٤- كبر حجم المؤسسات المصرفية الإسلامية يساعدها على دخول العالمية بشكل أقوى حيث تتمكن من المنافسة ويساعدها على التوسع وإنشاء شبكة أكبر من الفروع داخل الدول الإسلامية وخارجها ويؤدي الى ربط العديد من اقتصاديات الدول مع المركز الرئيسي لها وكذلك مع اقتصاد بلادها، إذ إنّ الحجم الكبير للمؤسسة المصرفية يساعد على استقطاب العملاء الكبار وأن الصغير لا يستطيع حتى التفكير من الاقتراب، حيث مع كبر حجم المصرف الإسلامي واتساع قاعدته الرأسمالية يمكنه من التعامل مع الشركات والمصارف الكبيرة والمراسلين وتقديم افضل الخدمات المصرفية الإسلامية.

المبحث الثاني: المصارف الإسلامية في بلدان العينة

أولاً: المصارف الإسلامية في فلسطين.

بدأ العمل المصرفي الإسلامي في فلسطين منذ عام (١٩٩٥) ثم وصل عدد المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين الى أربعة مصارف وتمتلك هذه المصارف العديد من الفروع، وكانت بداية تأسيسها الى جانب مؤسسات مالية تعمل وفق احكام ومقاصد الشريعة الإسلامية وهي شركة بيت المال الفلسطيني برأسمال قدرة ١٠ مليون دولار^(٩).

وإنّ معظم المصارف الإسلامية في فلسطين هي مصارف وطنية سوى بنك القاهرة عمان- فرع المعاملات الإسلامية وهو بنك أردني حصل على ترخيص فتح فرع في غزة عام ١٩٩٥ ليكون أول نشاط مصرفي إسلامي في فلسطين^(١٠).

إن المصارف الإسلامية في فلسطين منذ تأسيسها بقيت تعاني من ضعف الملاءة المالية وصغر حجم ودائعها وعدم وجود تشريعات مناسبة لعملها وكذلك كانت تعاني من ضعف ثقة الجمهور بها، وكانت الفرصة الوحيدة المتاحة امامها هي فكرة الاندماج لزيادة رؤوس أموالها والعمل على زيادة ودائعها، وبذلك تستطيع الصمود في الوضع الحرج والصعب التي كانت تمر به^(١١).

١- نشأة البنك الفلسطيني الإسلامي للتنمية والتمويل وتطوره

البنك الإسلامي الفلسطيني للتنمية والتمويل هو شركة مساهمة عامة محدودة تأسس في تاريخ ١٩٩٥/١١/٢٥ وذلك لتغطية الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية في ميدان الخدمات المصرفية وأعمال التمويل والاستثمار المنظمة، التي لا تتعامل بالربا المحرم إسلامياً، و حصل على الموافقة النهائية لمزاولة العمل من سلطة النقد في ١٩٩٦/١٢/٣١، ويعد البنك الفلسطيني الإسلامي من أوائل المصارف التي يتكون منها الجهاز المصرفي في فلسطين برأسمال قدرة ١٠ مليون دولار امريكي منذ بداية تأسيسه وفق أحكام الشريعة الإسلامية في ١٩٩٥ وضوابطها^(١٢).

٩- التقرير السنوي، البنك الفلسطيني الإسلامي، ١٩٩٩، ص ٦.

١٠- بقاء الدين بسام مشتهى، دور المصارف الإسلامية في دفع عجلة الاستثمارات المحلية في فلسطين للفترة ما بين ١٩٩٦-٢٠٠٨، رسالة ماجستير، غزة، ٢٠١١، ص ٥٢.

١١- فؤاد عبد العزيز عيد، الاندماج المصرفي للبنوك الفلسطينية (الضرورات والمحددات)، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة الأزهر، غزة، ٢٠١٢، ص ٧٢.

١٢- التقرير السنوي، البنك الفلسطيني الإسلامي، ٢٠٠٤، ص ١.

٢- تجربة الاندماج مع بنك القاهرة عمان - فرع المعاملات الإسلامية

إنَّ فكرة عملية الدمج لأداره المصرف الفلسطيني الإسلامي مع بنك القاهرة عمان- فرع المعاملات الإسلامية بدأت في تاريخ ١١/١/٢٠٠٤ وفي الشهر الثاني من ٢٠٠٥^(١٣)، واكتمل الاندماج في تاريخ ١٣ ايار وقعت إدارة البنك الفلسطيني الإسلامي اتفاقية مع إدارة بنك القاهرة عمان يتم بموجبها شراء صافي موجودات بنك القاهرة عمان- فرع المعاملات الإسلامية من قبل البنك الفلسطيني الإسلامي بمبلغ وقدره ٣,٢٠٢,٨٠٠ دولار امريكي قابلة للزيادة أو النقصان في فترة ما بين توقيع الاتفاقية وتاريخ النفاذ^(١٤).

٣- تجربة الاندماج مع بنك الأقصى الإسلامي

بنك الأقصى الإسلامي هو بنك فلسطيني تأسس ١٩٩٧ برأسمال قدرة ٢٠ مليون دولار يعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية حصل على قرار المباشرة بالعمل بتاريخ ٢٠ ايلول ١٩٩٧ وعلى موافقة سلطة النقد الفلسطينية بالمباشرة بالعمل في ١٩٩٨ ويمتلك ١٢ فرعاً وكان يتصدر المصارف الإسلامية والعاملة في فلسطين^(١٥)، على الرغم من شعبية البنك إلا انه تعرض للعديد من الصعوبات والتحريض الاسرائيلي لمنع عمله بحجة إنه يدعم الحركات الارهابية^(١٦)، مما أدى الى تجميد أرصدة بنك الأقصى الإسلامي وهو ما جعل إدارة البنك تحول ودائع البنك في الخارج لحساب سلطة النقد الفلسطينية، ما عدا الودائع والاستثمارات السلعية قصيرة الاجل في البحرين بحوالي ١٧ مليون دولار ثم الحجز عليها لاحقاً من قبل البنوك البحرينية بقرار من مؤسسة نقد البحرين بناء على قرار امريكي، مما أدى الى التوجه للاندماج مع البنك الفلسطيني الإسلامي في ٣١/٣/٢٠١٠^(١٧).

ان قبول البنك الإسلامي الفلسطيني للاندماج مع بنك الأقصى الإسلامي هو لزيادة حجم ودائعه بحوالي ٥٢ مليون دولار وهي تمثل حجم ودائع بنك الأقصى الإسلامي اضافة الى شراء محفظة التمويل بقيمة ٢٢ مليون دولار ذات عائد مالي وزيادة الارباح من العائد وكذلك زيادة عدد الفروع والحصول على الخبرات الموجودة في موظفين بنك الأقصى الإسلامي لأنهم يتمتعون بخبرات في مجال البنوك الإسلامية^(١٨).

ثانياً: المصارف الإسلامية في البحرين

١- مصرف البركة البحرين الإسلامي

يعد مصرف البركة البحرين الإسلامي من المؤسسات المالية البحرينية البارزة في مجال الصيرفة الإسلامية، وكانت بداية تأسيسه في ١٩٨٤، وعلى مدى ٣٠ سنة لعب دوراً هاماً في تأسيس البنية التحتية لصناعة

١٣- خلود ربحان، الدمج المصرفي للمصارف العاملة في فلسطين، بحث مقدم الى مؤتمر تنمية وتطوير قطاع غزة بعد الانسحاب الاسرائيلي، ٢٠٠٦، ص ٤٣٣.

١٤- التقرير السنوي للبنك الفلسطيني الإسلامي للتنمية والتمويل، البيانات المالية، ٢٠٠٥، ص ١.

١٥- التقرير السنوي، بنك الأقصى الإسلامي، ٢٠٠٦، ص ١.

١٦- فؤاد عبد العزيز، عيد، سمير مصطفى ابو مدلل، الاندماج المصرفي للبنوك الفلسطينية العامة، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والتداول، المجلد السادس، العدد الثالث، أكتوبر ٢٠١٦، ص ١٨.

١٧- بنك الأقصى الإسلامي، البيانات المالية، ٢٠٠٦، ص ٩- ٢٤.

١٨- بنك الأقصى الإسلامي، البيانات المالية، ٢٠٠٦، ص ٢٩.

المال الإسلامية في البحرين والعالم، والمتمثلة بالمؤسسات المالية المسؤولة عن رفد الصناعة المالية الإسلامية على مستوى العالم، متمثلة بالمعايير الإسلامية المهنية والشرعية، وتوفير المعلومات وإدارة اسواق المال والسيولة، كذلك لعب دوراً كبيراً في الترويج للصناعة المالية الإسلامية، ويتمتع البنك بسمعة طيبة ومكانة كبيرة وسط المجتمع البحريني بشكل خاص والخليجي والعربي والعالمي بوجه عام^(١٩).

إن بنك البركة البحريني من البنوك القائدة في مجال تقديم المنتجات المالية الجديدة وعلى وجه الخصوص في مجال الاستثمار الإسلامي والتجارة الدولية وأيضاً إدارة السيولة وكذلك يتمتع بتقديم معظم صيغ التمويل التي تتبع المعايير الشرعية من مزاولة ومضاربة والمشاركة والمتناقصة والإجارة المنتهية بالتملك وغيرها^(٢٠).

خلال عام ٢٠١٠ قام بنك البركة الإسلامي البحريني في إتمام دمج فروعه في باكستان، التي يعود بداية تاريخ انتشارها الى ١٩٩١ مع فروع مصرف الامارات الإسلامي العالمي (باكستان)، ليتم تأسيس بنك البركة باكستان المحدود بعده شركة تابعة بأغلبية الأسهم لبنك البركة الإسلامي البحريني^(٢١).

بدأ بنك البركة باكستان المحدود أعماله في ٢٩ أكتوبر ٢٠١٠، حيث إن جميع فروع البنك البركة الإسلامي باكستان وبنك الإمارات الإسلامي العالمي تحمل أسم البركة باكستان المحدود، بنك البركة الإسلامي هو مؤسسة مصرفية مسجلة لدى وزارة الصناعة والتجارة البحرينية (سجل تجاري رقم ١٤٤٠٠)، ويملك ترخيصاً صادراً من مصرف البحرين المركزي بممارسة مصرفية التجزئة، كما ان بنك البركة الإسلامي - البحرين هو إحدى وحدات مجموعة البركة المصرفية، وهي شركة مساهمة مدرجة في بورصة البحرين وناسداك دبي ويتمتع بسمعة جيدة على المستوى العالمي والدولي ويعد من أكبر المجموعات المصرفية الإسلامية الدولية من حيث التنوع في الاعمال المصرفية وكذلك التوزيع الجغرافي، حيث تقدم مجموعة من الخدمات المصرفية للأفراد والشركات المتوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية^(٢٢).

في يوليو ٢٠١٢ قام البنك بالاستحواذ على نسبة ٦٠% من الاسهم المصدرة لشركة اتقان كاييتال (مجموعة التوفيق المالية سابقاً)، وفي اكتوبر ٢٠١٥ ارتفعت الحصة الى ٨٣,٧% وشركة اتقان كاييتال (شركة مساهمة محدودة مغلقة) مسجلة في السعودية ومرخصة من قبل هيئة السوق المالية وتتعامل وفق الشريعة الإسلامية، أما في ٢٠١٦ عمل البنك بقبول ودمج بنك برج المحدود في بنك البركة باكستان المحدود وهذا أدى الى إضافة فروع جديدة متكونة من ٧٤ فرع، في أواخر ٢٠١٦ نجح البنك في استحواذ بنك تجزئة محلي إسلامي في باكستان وهو (بنك برج ليمتد) مع الشركة التابعة وهو (بنك البركة باكستان)^(٢٣).

يبلغ رأس المال المصرح به لمجموعة البركة المصرفية (١,٥) مليار دولار امريكي اما حقوق المساهمين نحو (٢,٠) مليار دولار امريكي ومجموعة البركة تتمتع بتوزيع جغرافي واسع متمثلة بوحداتها المصرفية التابعة لها في ١٥ دولة وهم (البنك الإسلامي الأردني، بنك البركة الإسلامي - البحرين، بنك البركة الإسلامي - باكستان، بنك البركة الإسلامي - الجزائر، بنك البركة الإسلامي - السودان، بنك البركة المحدود - جنوب

١٩- التقرير السنوي، مصرف البركة البحريني، ٢٠١٣، ص ١-٥.

٢٠- التقرير السنوي، مصرف البركة البحريني الإسلامي، ٢٠١٤، ص ٥.

٢١- التقرير السنوي، مصرف البركة البحريني الإسلامي، ٢٠١٣، ص ٥.

٢٢- التقرير السنوي، مصرف البركة الإسلامي البحريني، ٢٠١٦، ص ١.

٢٣- التقرير السنوي، المصدر السابق نفسه، ص ٢.

إفريقيا، بنك البركة ش.م.ل/ لبنان، بنك البركة الإسلامي - تونس، بنك البركة الإسلامي - مصر، بنك البركة - سوريا، بنك البركة التركي للمشاركات - تركيا، وفروعه في العراق بالإضافة الى مكتب تمثيلي في اندونيسيا وكتب تمثيلي في ليبيا.

ثالثاً: المصارف الإسلامية في قطر

١- مصرف قطر الإسلامي

نشأ مصرف قطر الإسلامي في ١٩٨٢ ويُعد أول مؤسسة مالية إسلامية في قطر ويخضع لأحكام الشريعة الإسلامية وكذلك تكون جميع المنتجات والعمليات فيه خاضعة لأحكام الشريعة الإسلامية، يتكون حالياً من ٣٢ فرع تغطي المواقع الاستراتيجية والهامة في قطر اذ يستحوذ على نسبة ٤٢,٣% من سوق الصيرفة الإسلامية في البلاد وحصة ١١% من إجمالي السوق المصرفية الإسلامية والتقليدية^(٢٤).

يعد المصرف واحداً من أكبر المصارف الإسلامية في الشرق الاوسط وشمال إفريقيا ويمتلك المصرف حصصاً هامة في مجموعه من المؤسسات المالية والإسلامية في قطر: مصرف كيو إنفست، شركة الجزيرة للتمويل، شركة عقار، شركة ضمان للتأمين الإسلامي "بيمه"، أما المؤسسات التابعة له فهي بالخارج: مصرف المملكة المتحدة في بريطانيا، وبيت التمويل العربي في لبنان، وبنك التمويل الآسيوي في ماليزيا، ومصرف السودان^(٢٥).

يعمل المصرف على تقديم خدماته في السوق المحلية من خلال شبكة الفروع التي يمتلكها المنتشرة في أنحاء قطر، يتبنى المصرف استراتيجية نمو تهدف الى تعزيز مكانته ودوره كمصرف إسلامي قائم ويتمتع بعلاقات قوية مع عملائه، وشركات مهمة مع المجتمعات المحلية، و عمل على زيادة رأسماله خلال السنوات الماضية، وفي ١٠/١٠/٢٠٠٩ قام مصرف قطر الإسلامي بعملية استحواذ على شركة ضمان للتأمين الإسلامي "بيمه" بمبلغ ١٤ مليون دولار، وفي السنة نفسها بتاريخ ١١/١٠/٢٠٠٩ استحواذ على شركة كيو إنفست بمبلغ ٥٠ مليون دولار ليصل رأسماله ٢٠٦٧,٥٦ مليون ريال قطري بنسبة (٥٠%) عن طريق دخول جهاز قطر للاستثمار ووصل في ٢٠١٠ الى ٢١٦٦ مليون ريال قطري عن طريق الجهاز نفسه وقام في ٢٠١١ بزيادة رأسماله الى ٢٣٦٣ مليون ريال قطري بنسبة (١٠٠%) عن طريق جهاز قطر للاستثمار، اما في تاريخ ٢٤/٢/٢٠١٠ قام مصرف قطر الإسلامي شراء حصة جهاز قطر للاستثمار بمبلغ ٢٦٣ مليون دولار، وكذلك قام بشراء حصة جهاز قطر للاستثمار بمبلغ ٥٢٥ مليون دولار في تاريخ ١٧/١/٢٠١١ إما في العام نفسه في ٣/١ قام بشراء حصة كيو إنفست بمبلغ ١٨٠ مليون دولار^(٢٦)، وبتاريخ ٢٤/٢/٢٠١٣ بيت التمويل العربي، حقق المصرف انجازات كثيرة وتطورا ايجابياً في ميزانية المصرف من حيث معدلات النمو بصورة كبيرة في الارباح والموجودات والودائع والتوسع في أنشطة المصرف الاستثمارية والمصرفية من خلال زيادة الفروع وتطوير شبكة الخدمات المصرفية الإلكترونية، وتأسيس

٢٤- التقرير السنوي، مصرف قطر الإسلامي، ٢٠٠٦، ص ٥٥.

٢٥- التقرير السنوي، مصرف قطر الإسلامي ٢٠٠٧، ص ٦-٩.

٢٦- التقرير السنوي، مصرف قطر الإسلامي، ٢٠١٢، ص ١٤-١٨.

الصناديق والمحافظ الاستثمارية، وكذلك سعيها لإيجاد سوق مالية إسلامية تتيح لها التطور والنمو نحو مستقبل أفضل في ظل المنافسة التي افرزتها العولمة المالية^(٢٧).

المبحث الثالث: تحليل المؤشرات للمصارف الإسلامية عينة الدراسة

أولاً: تحليل البيانات المالية للبنك الفلسطيني الإسلامي للفترة (١٩٩٧-٢٠١٧) قبل عملية الاندماج وبعد عملية الاندماج مقيم بالدولار الأمريكي وكذلك لبنك البركة البحرين للفترة (٢٠٠٩-٢٠١٧) قبل الاندماج وبعد الاندماج وايضاً وتجربة مصرف قطر الإسلامي للاستحواذ للفترة (٢٠٠٥-٢٠١٧) قبل الاستحواذ وبعد الاستحواذ.

سوف يتم تحليل البيانات باستخدام مؤشرات تقييم أداء البنك الفلسطيني الإسلامي وأجراء المقارنة اللازمة لمتوسطات مؤشرات الاداء المالي للبنك الفلسطيني الإسلامي حيث نقدم تحليلاً لمؤشرات السيولة.

١- مؤشر السيولة النقدية = (النقد في الصندوق + النقد لدى البنك المركزي + أرصدة سائلة أخرى / الودائع وما في حكمها* ١٠٠)، ويدل ارتفاع هذه النسبة على قدرة المصرف من تأدية واجباته المالية في موعدها، إلا أن ذلك ينعكس سلباً على تحقيق الأرباح وذلك لعدم استخدام هذه الاموال السائلة في استثمارات يمكن أن تدر على المصرف عوائد مالية^(٢٨).

جدول (١) مؤشر السيولة النقدية للبنك الفلسطيني الإسلامي للمدة (١٩٩٧-٢٠١٧). (%)

البنك	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥	٢٠١٦	٢٠١٧	المتوسط
مؤشر السيولة النقدية	٩١,٤٢	٩٩,٤٢	١٣٧,٧٥	١٢٧,٧٨	١٤٤,٢٢	١٦٧,٧٨	٥٤,٩٩	٧١,٧٩	٢٤,٣٠	١٨,٥٠	٤٦,٢٧	٥٩,٧٨	٧٠,٦٨	٥٤,١٧	٤٩,٢٦	٤٣,٩٠	٢٦,٢٩	٢٣,٩٥	٢٤,٩٢	٢٥,٣١	٢٨,٨٥	٣٧,٩١
المتوسط العام									٣٨,٢٣					٣٧,٧١								

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على التقارير السنوية للبنك الفلسطيني الإسلامي للمدة (١٩٩٧-٢٠١٧).

نلاحظ ان المتوسط العام لمؤشر السيولة النقدية في البنك الفلسطيني الإسلامي يبلغ (٣٧,٩١) %*، ومتوسط السيولة النقدية العام قبل الاندماج بلغ (٣٨,٢٣) %، وبعد عملية الاندماج مع بنك القاهرة-

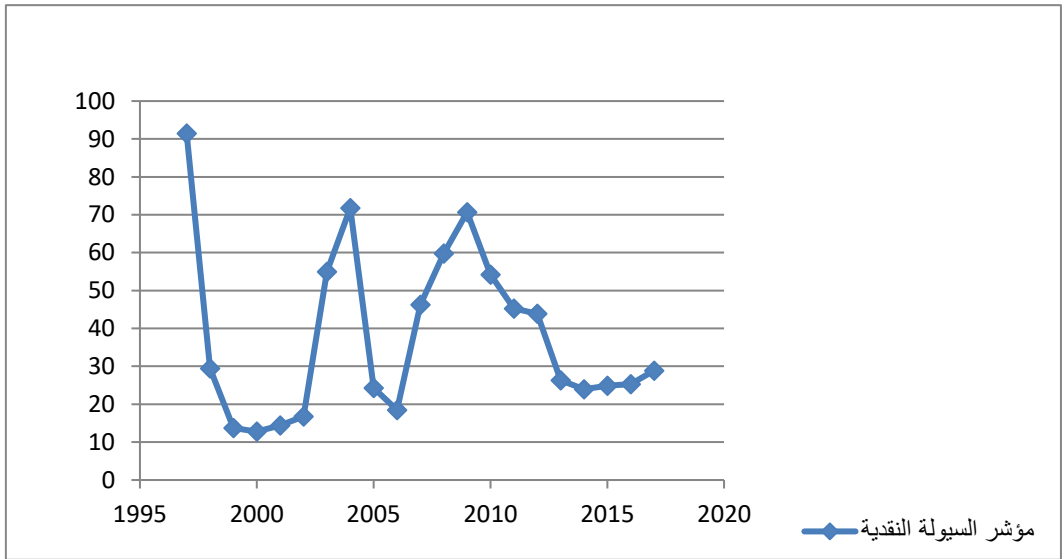
٢٧- التقرير السنوي، مصرف قطر الإسلامي، ٢٠١٧، ص ٣-٥.

٢٨- زاهر صبحي بشناق، تقييم الاداء المالي للبنوك الإسلامية والتقليدية باستخدام المؤشرات المالية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية التجارة، غزة، ٢٠١١، ص ٨٣.

٢٨- ملاحظة: يتم استخراج المتوسطات (المتوسط العام بحسب لكل السنوات واستخراج المتوسط، أما المتوسط العام قبل الاندماج فيحسب من عام (١٩٩٧-٢٠٠٤)، اما المتوسط العام بعد الاندماج فيحسب من عام (٢٠٠٥-٢٠١٧)، ويشمل كلا الاندماجين مع بنك القاهرة عمان - فرع المعاملات الإسلامية وبنك الأقصى الإسلامي).

عمان فرع المعاملات الإسلامية ومع بنك الأقصى الإسلامي بلغ (٣٧,٧١%)، وهو أكبر من المتوسط العام قبل الاندماج ونلاحظ ان هناك تبايناً واضحاً قبل عملية الاندماج وبعد عملية الاندماج اذ بلغت اعلى نسبة في (١٩٩٧) وبلغت (٩١,٤٢%) وسجل أدنى نسبة له في (٢٠٠٠) بلغ (١٢,٧٨%)، مما يشير الى إن البنك الفلسطيني الإسلامي بعد عملية الاندماج يحتفظ بسيولة نقدية عالية لمواجهة عمليات السحب على الودائع، مقارنة بما قبل عملية الاندماج وهذا يؤثر سلباً على قدرة البنك فيما يخص تحقيق الارباح، ويرجع السبب الى الحالة الاقتصادية والسياسية للبلد، ونلاحظ ارتفاعات وانخفاضات في نسبة المؤشر خلال سنوات الدراسة ويرجع السبب الى التخوف الكبير في الساحة المالية خلال هذه السنوات، او بسبب حالة التحولات الاقتصادية والسياسية، مما انعكس في تقليل حجم الاقتراض وتفضيل السيولة بالنسبة للمصرف، وبقي الوضع هكذا متمسكاً بالارتفاع والانخفاض للمؤشر تبعاً للحالة الاقتصادية السياسية للبلد، ورغم الأزمات الاقتصادية والمالية العالمية والتي أدت الى تباطؤ النمو الاقتصادي وانخفاض العائد وانحياز البنوك الكبرى ألا أن البنك الفلسطيني الإسلامي لم يتأثر كثيراً، وكان نشط لعملية الإصلاح الجذرية وتطور الوعي وحقق انجازات مهمة، ورغم الأزمة المالية التي حدثت في ٢٠٠٨ إلا إن البنك لم يتأثر واستطاعت إدارة البنك إدارة موجوداته بصورة فعالة واستطاعت شراء محفظة بنك الأقصى الإسلامي. ٢٠٠٨ إلا إن البنك لم يتأثر واستطاعت إدارة البنك إدارة موجوداته بصورة فعالة واستطاعت شراء محفظة بنك الأقصى الإسلامي.

شكل (١) مؤشر السيولة النقدية للبنك الفلسطيني الإسلامي للمدة (١٩٩٧-٢٠١٧).



المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على الجدول (١).

ثانياً: مؤشر السيولة لبنك البركة البحريني الإسلامي للفترة (٢٠٠٩ - ٢٠١٧) قبل الاندماج وبعد الاندماج مقيم بالدولار الأمريكي.

جدول (٢): تحليل مؤشرات السيولة لمصرف البركة البحريني الإسلامي للمدة (٢٠٠٩ - ٢٠١٧) قبل الاندماج وبعد عملية الاندماج مقيم بالدولار الأمريكي.

١- مؤشر السيولة النقدية:

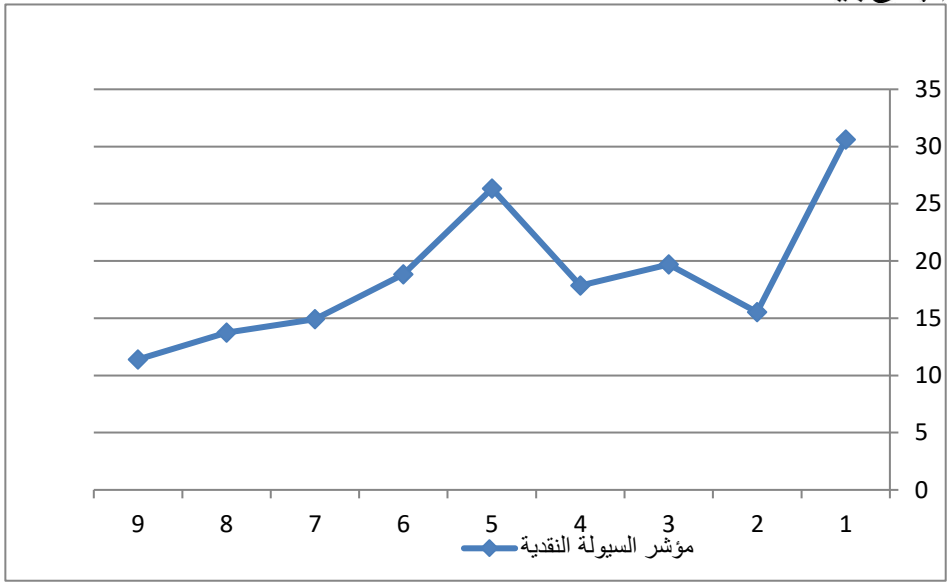
جدول (٢) مؤشر السيولة النقدية لبنك البركة البحريني الإسلامي للمدة (٢٠٠٩ - ٢٠١٧). (%)

السنة	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥	٢٠١٦	٢٠١٧	المتوسط العام
مؤشر السيولة النقدية	٣٠,٦١	١٥,٥٤	١٩,٧٠	١٧,٨٦	٢٦,٣٢	١٨,٨٣	١٤,٩٠	١٣,٧٥	١١,٤٠	١٨,٧٧
المتوسط	١٨,٧٧	١٧,٢٩								

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على التقارير السنوية لبنك البركة البحريني الإسلامي للمدة (٢٠٠٩ - ٢٠١٧).

إنَّ التذبذبات في مؤشر السيولة النقدية يرجع الى الاوضاع الاقتصادية في البلد، وان المتوسط العام لمؤشر السيولة النقدية لمصرف البركة البحريني الإسلامي قبل عملية الاندماج بلغ (١٨,٧٧%)، اما المتوسط بعد عملية الاندماج بلغ (١٧,٢٩%)، وهناك تقارب واضح في نسب السيولة النقدية وان البنك يحتفظ بسيولة نقدية عالية لمواجهة عمليات السحب على الودائع، كما حقق تزايداً في الارباح والودائع وارتفعت موجودات البنك بعد عملية الاندماج، مع إنه حقق خسارة في ٢٠٠٩ اما في السنوات اللاحقة فقد حقق تطوراً ملحوظاً في ادائه^(٢٩).

شكل (٢): مؤشر السيولة النقدية لبنك البركة البحريني الإسلامي.



المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على جدول (٢)
ثالثاً: مصرف قطر الإسلامي للفترة (٢٠١٧ - ٢٠٠٥) قبل الاستحواذ وبعد الاستحواذ مقيم بالريال القطري.

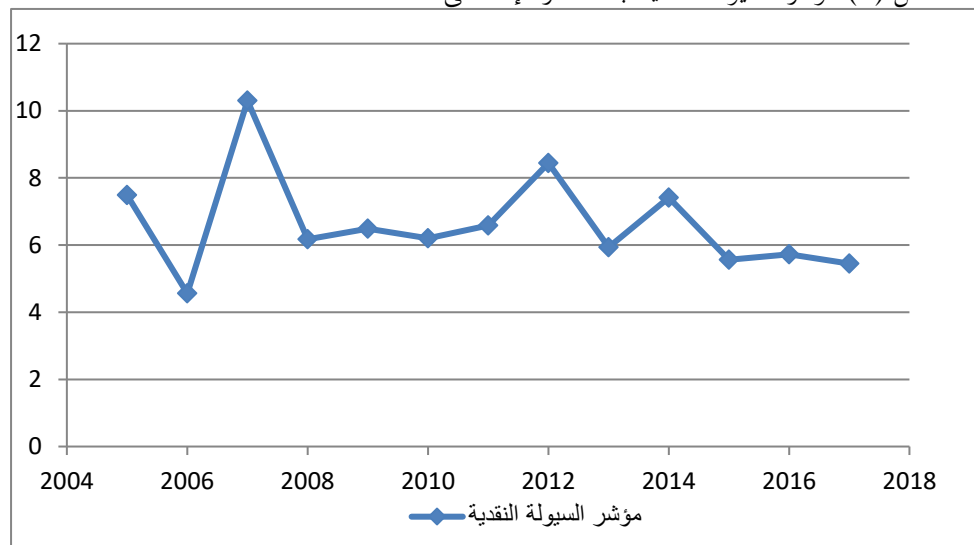
جدول (٣) تحليل المؤشرات المالية لمصرف قطر الإسلامي قبل عملية الاستحواذ وبعد عملية الاستحواذ للفترة (٢٠١٧ - ٢٠٠٥)، مقيم بالريال القطري.

جدول (٣) مؤشر السيولة النقدية لمصرف قطر الإسلامي للمدة (٢٠١٧ - ٢٠٠٥). (%)

السنة	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥	٢٠١٦	٢٠١٧	المتوسط
السيولة النقدية	٧,٤٩	٤,٥٦	١,٣٠	٢,١٧	٢,٤٩	٢,٢٠	٢,٥٨	٨,٤٤	٥,٩٤	٧,٤١	٥,٥٦	٥,٧٣	٥,٤٥	
المتوسط قبل الاستحواذ وبعد الاستحواذ				٧,١٣	٢,٤٩									٢,٢٤

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على التقارير السنوية لمصرف قطر الإسلامي لسنوات متعددة.
نلاحظ من البيانات أعلاه إن المتوسط العام لمؤشر السيولة النقدية بلغ (٦,٦٤%)، أما المتوسط العام للمؤشر قبل عملية الاستحواذ بلغ (٧,١٣%)، أما بعد عملية الاستحواذ بلغ (٦,٤٢%)، فأن المؤشر قبل الاستحواذ كان أكبر وهذا يعني ان مصرف قطر الإسلامي يحتفظ بسيولة نقدية لمواجهة عمليات السحب على الودائع مقارنة بعد الاستحواذ وهذا يؤثر سلباً على قدرة البنك على تحقيق الارباح.

شكل (٣) مؤشر السيولة النقدية لبنك قطر الإسلامي.



المصدر: من أعداد الباحثة بالاعتماد على الجدول (٣).

٢- مؤشرات الربحية:

وتعد من المؤشرات المهمة والتي تشير الى مدى نجاح إدارة المصرف في توليد الأرباح من الودائع التي يحصل عليها من الزبائن وكذلك يقيس العائد الذي يحققه المصرف والذي يدل على كفاءة قرارات الاستثمار والتشغيل في المصرف، ويدل على توليد الأرباح من أمواله المتاحة والمتمثلة بحق الملكية والودائع وهي كالتالي^(٣٠):

أ- نسبة صافي الأرباح الى إجمالي الإيرادات = صافي الأرباح بعد الضرائب ÷ إجمالي الإيرادات.

ب- معدل العائد على الودائع = صافي الأرباح بعد الضرائب ÷ إجمالي الودائع.

ج- معدل العائد على حق الملكية = صافي الأرباح بعد الضرائب على حق الملكية.

د- معدل العائد على الموارد = صافي الأرباح بعد الضرائب ÷ إجمالي الودائع + حق الملكية.

و- معدل العائد على إجمالي الموجودات = صافي الأرباح بعد الضرائب ÷ إجمالي الموجودات.

جدول (4) مؤشرات الربحية للبنك الفلسطيني الإسلامي قبل عملية الاندماج وبعد عملية الاندماج

للمدة (١٩٩٧-٢٠١٧)، مقيم بالدولار الأمريكي. (%)

السنوات	نسبة صافي الربح الى	المتوسط العام قبل الاندماج	معدل العائد على الودائع	المتوسط العام قبل الاندماج	معدل العائد على الموارد	المتوسط العام قبل الاندماج	معدل العائد على الموجودات	المتوسط العام قبل الاندماج	معدل العائد على الودائع

٣٠- بلال نوري سعيد الكروي، تقييم ربحية المصارف باستخدام مؤشرات السيولة- دراسة مقارنة بين مصري الرشيد والرافدين، المجلة العراقية للعلوم الادارية، جامعة كربلاء، العدد الرابع والعشرون، ٢٠٠٦، ص١٤.

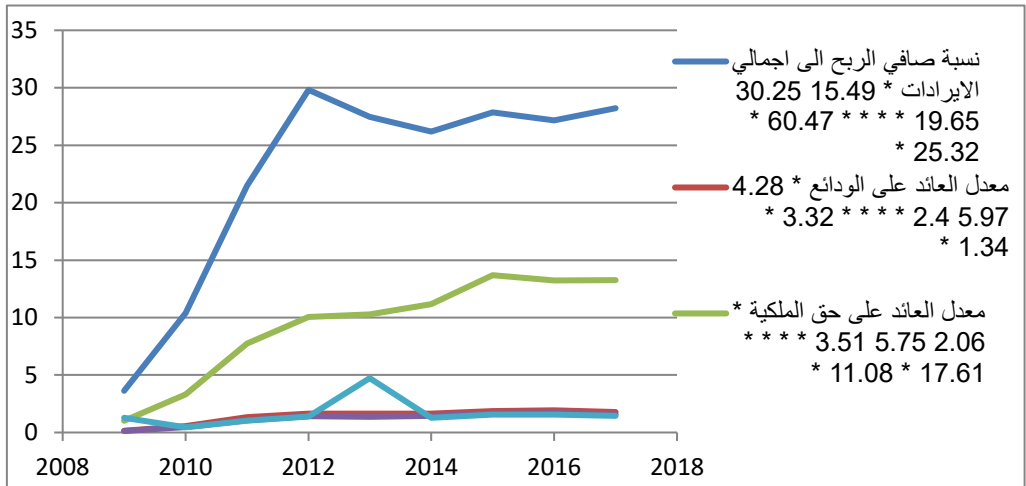
ويعد الاندماج		ويعد الاندماج		ويعد الاندماج	حق الملكية	ويعد الاندماج		ويعد الاندماج	اجمالي الايرادات	
	*		*		*		*		*	1997
	1.34		1.38		2.06		4.28		15.49	1998
	2.64		2.78		5.75		5.97		30.25	1999
	1.36		1.42		3.51		2.40		19.65	2000
	*		*		*		*		*	2001
	*		*		*		*		*	2002
	*		*		*		*		*	2003
١,٧٨	*	١,٨٦	*		*	٤,٢٣	*	٢١,٨٠	*	2004
	2.68		2.79	٣,٧٧	17.61		3.32		60.47	2005
	*		*		*		*		*	2006
	1.14		1.19		11.08		1.34		25.32	2007
	*		*		*		*		*	2008
	1.27		0.13		1.02		0.15		3.63	2009
١,٦٨	0.45	١,٣٤	0.47	١٠,٢٢	3.32	١,٥٧	0.55	٢٦,١٨	10.38	2010
	1.03		1.05		7.75		1.34		21.47	2011
	1.38		1.42		10.06		1.65		29.82	2012
	4.73		1.35		10.28		1.63		27.46	2013
	1.27		1.44		11.16		1.65		26.19	2014
	1.55		1.64		13.69		1.87		27.85	2015
	1.56		1.69		13.22		1.93		27.15	2016
	1.44		1.58		13.26		1.79		28.22	2017
١,٧٠		١,٤٥		٨,٨٤		٢,١٣		٢٥,٢٤		المتوسط العام الكلي

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على التقارير السنوية للبنك الفلسطيني الإسلامي للمدة (١٩٩٧-٢٠١٧).

*- تعني ان المصرف حقق خسارة في هذه السنة.

إنَّ تذبذب قيم مؤشرات الربحية يرجع الى الوضع الاقتصادي والسياسي غير المستقر في فلسطين، والضغوطات التي يمارسها الاحتلال الاسرائيلي، وتأثير ذلك على الحركة التجارية وزيادة التكلفة، ورغم ذلك فإن البنك حقق أرباحاً بعد عملية الاندماج، مما يعني بأنه يتمتع بكفاءة الأداء المالي بالنظر الى تحقيق معدلات اكبر من الأرباح بالنسبة لأجمالي الإيرادات، حيث شهد البنك قفزات نوعية متعددة وتحولاً وتطوراً كمّاً ونوعاً وتخطية للأزمة المالية وحقق أرباحاً كبيرة، إذ بلغ المتوسط العام لمعدل صافي الربح الى إجمالي الإيرادات (٢٥,٢٤%) ويبلغ المتوسط العام للمؤشر قبل عملية الاندماج (اي دمج البنك الفلسطيني الإسلامي مع بنك القاهرة عمان- فرع المعاملات الإسلامية) (٢١,٨٠%) أما بعد عملية الاندماج (اي دمج البنك الفلسطيني الإسلامي مع بنك القاهرة عمان- فرع المعاملات الإسلامية ومع بنك الأقصى الإسلامي) بلغ (٢٦,١٨%)، أما بالنسبة لمعدل العائد على الودائع فإنه حقق ارتفاعاً في قيمة الودائع بعد عملية الاندماج مع بنك الأقصى الإسلامي وبنك القاهرة عمان - فرع المعاملات الإسلامية فكان المتوسط العام لمعدل صافي الارباح الى إجمالي الودائع بلغ (٢,١٣%)، أما متوسط العام لمعدل العائد على الودائع قبل عملية الاندماج فبلغ (٤,٢٣%) اما بعد عملية الاندماج فبلغ (١,٥٧%)، اما المتوسط العام لمعدل العائد على حق الملكية بلغ (٨,٨٤%) وقبل الاندماج كان المتوسط العام (٣,٧٧%) واصبح المتوسط بعد عملية الاندماج (١٠,٢٢%)، وهذا يشير الى كفاءة قرارات الاستثمار لأمواله في تحقيق العائد المطلوب الذي تطمح إليه إدارة المصرف بعد عملية الاندماج، ونلاحظ زيادة الودائع بعد عملية الاندماج مما يتطلب من إدارة البنك الفلسطيني الإسلامي استثمار هذه الودائع لتحقيق المزيد من الارباح، وأن البنك حقق زيادة بالأرباح باستثناء (٢٠٠٨، ٢٠٠٦، ٢٠٠٤، ٢٠٠٣، ٢٠٠٢، ٢٠٠١، ١٩٩٧) بسبب تراكم مخصصات ديون وفقاً لتعليمات سلطة النقد بسبب عدم انتظام وتأخر صرف موظفي القطاع العام خلال العام المذكور^(٣١)، وفي (٢٠٠٥) بعد عملية الاندماج مع بنك القاهرة- عمان فرع المعاملات الإسلامية حقق البنك زيادة في الارباح بمقدار (٣,٢٧٢,٩٧٩) مليون دولار امريكي عن الاعوام السابقة، وفي (٢٠٠٧) استمرت الزيادة (٢,٥٠٧,٨٨١) عن العام السابق نتيجة التوسع بالأعمال المصرفية، أما (٢٠٠٨) فقد حقق البنك خسائر متراكمة وفي (٢٠١٠) اتخذ البنك خطوة الاستحواذ على بنك الأقصى الإسلامي ودمج الفروع الجديدة للبنك المذكور، فقد استمرت زيادة وتيرة الارباح والودائع بشكل تدريجي، أما المتوسط العام لمعدل العائد على الموارد فقد بلغ (١,٤٥%) وان المتوسط للمعدل قبل الاندماج كان (١,٨٦%) واصبح بعد عملية الاندماج (١,٣٤%) ويدل على قدرة البنك الفلسطيني الإسلامي في تحقيق الارباح من خلال تشغيل موارد الذاتية والخارجية، أما المتوسط العام لمعدل العائد على إجمالي الموجودات بلغ (١,٧٠%) وكان قبل الاندماج (١,٧٨%) واصبح بعد عملية الاندماج (١,٦٨%) ويدل على كفاءة البنك الفلسطيني الإسلامي في استخدام الاصول في تحقيق الارباح.

شكل (٤) مؤشرات الربحية للبنك الفلسطيني الإسلامي للمدة (١٩٩٧-٢٠١٧).



المصدر: من أعداد الباحثة بالاعتماد على الجدول (٤).

من خلال بيانات الجدول (٥) يمكن تحليل مؤشرات الربحية لبنك البركة البحريني الإسلامي قبل عملية الاندماج وبعد عملية الاندماج للمدة (٢٠١٧-٢٠٠٩) مقيم بالدولار الأمريكي.

جدول (٥): تحليل مؤشرات الربحية لبنك البركة البحريني الإسلامي للمدة (٢٠١٧-٢٠٠٩). (%)

المتوسط العام الكلي	٢٠١٧	٢٠١٦	٢٠١٥	٢٠١٤	٢٠١٣	٢٠١٢	٢٠١١	٢٠١٠	٢٠٠٩	السنة
١١,٥٦	٧,٢٣	٣,٢٨	١٠,٤٩	٤,١٦	٢,١٠	٢٦,٥٣	٦,٠٣	٣٢,٦٦	(خسارة)*	نسبة صافي الربح الى اجمالي
٠,٣١	٠,٢٨	٠,١١	٠,٣٨	٠,١٣	٠,٠٨	٠,٨٧	٠,٢٠	٠,٤١	*	معدل العائد على الودائع
٤٣,٢	٢,٨٢	١,١١	٣,٤٦	١,٢٢	٠,٥٦	٦,٢٩	١,٤٥	٢,٥٠	*	معدل العائد على حق الملكية
٠,٢٧	٠,٢٦	٠,١٠	٠,٣٤	٠,١٢	٠,٠٧	٠,٧٧	٠,١٨	٠,٣٥	*	معدل العائد على الموارد
٠,٢٦	٠,٢٤	٠,١٠	٠,٣٢	٠,١١	٠,٠٦	٠,٧٥	٠,١٦	٠,٣٤	*	معدل العائد على اجمالي الموجودات

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على التقارير السنوية لبنك البركة البحريني الإسلامي للمدة (٢٠١٧-٢٠٠٩).

تشير مؤشرات الربحية الى زيادة الارباح بعد عملية اندماج فروع باكستان مع بنك الامارات الإسلامي وإن المتوسط العام لمؤشر صافي الارباح الى إجمالي الإيرادات بلغ (١١,٥٦%)، أما المتوسط العام لمعدل العائد على الودائع فقد بلغ (٠,٣١%)، والمتوسط العام لمؤشر معدل العائد على حق الملكية فبلغ (٢,٤٣%)، وايضاً المتوسط العام لمعدل العائد على الموارد بلغ (٠,٢٧%)، وكذلك المتوسط العام لمعدل العائد على إجمالي الموجودات بلغ (٠,٢٦%)، وعلى الرغم من الاحداث والتقلبات والاضطرابات السياسية والاجتماعية في المنطقة والبيئة التشغيلية الصعبة الا إن البنك استطاع في ٢٠١٢ استحواذ على حصة

ملكية بنسبة ٦٠% في بنك إيتقان كاييتال وإن الارتفاعات والانخفاضات في مؤشرات الربحية بسبب الوضع الاقتصادي في المنطقة وايضا في ٢٠١٦ نجح البنك بعملية استحواذ ناجحة على برج بنك المحدود وتتميز ٢٠١٦ بوضع صعب بالنسبة للاقتصاد العالمي، إلا إنه لم يؤثر على بنك البركة البحرين الإسلامي، وإن بنك البركة البحرين الإسلامي يتمتع بكفاءة الاداء المالي بالنظر الى تحقيق أرباح بالنسبة لإجمالي الإيرادات، وكذلك تحقيق عوائد صافية خلال هذه الفترة واستمرت بالتذبذب نتيجة للوضع الاقتصادي العام الذي مرت به دولة البحرين والاقتصاد العالمي، فقد زادت ارباح البنك وكذلك الإيرادات والودائع في السنوات اللاحقة لعملية الاندماج، ولم يتأثر بنك البركة الإسلامي البحرين بالأزمة المالية ٢٠٠٨، ورغم إن ٢٠١٦ كان عام صعباً بالنسبة للاقتصاد العالمي نتيجة جمود حركة التجارة العالمية وتباطؤ الاستثمارات واستمرار حالة عدم التيقن في السياسات، فإن البنك لم يتأثر كثيراً بسبب ان الحكومة البحرينية عملت على مشاريع البنية الاساسية وزيادة حركة السياحة وعودة الحياة الى قطاع الانشاء وقطاع الخدمات المالية الذي أدى الى ارتفاع التنمية العام للبلد (٣٢).

شكل رقم (٥) مؤشرات الربحية لبنك البركة البحريني الإسلامي للمدة (٢٠٠٩-٢٠١٧). المصدر: من



إعداد الباحثة بالاعتماد على الجدول (٥).

جدول (٦) تحليل مؤشرات الربحية لبنك قطر الإسلامي قبل الاستحواذ وبعد الاستحواذ

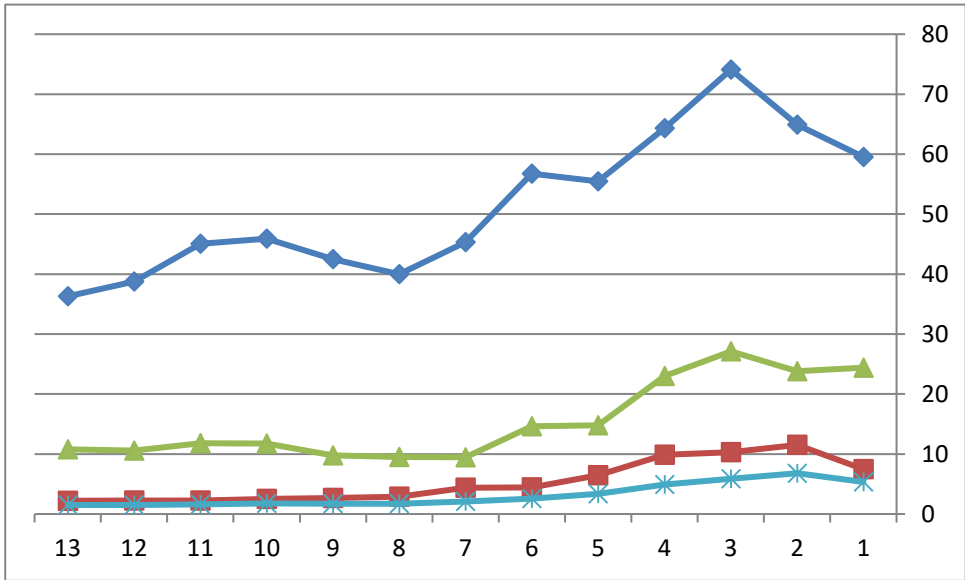
للمدة (٢٠٠٥-٢٠١٧). (%)

السنة	صافي الربح الى إجمالي الإيرادات	المتوسط العام قبل الاستحواذ
٢٠٠٥	٥٩,٥٠	
٢٠٠٦	٦٤,٩٢	
٢٠٠٧	٧٤,٠٩	
٢٠٠٨	٦٤,٣٠	٦٥,٧٠
٢٠٠٩	٥٥,٤٧	
٢٠١٠	٥٦,٧٤	
٢٠١١	٤٥,٣٢	
٢٠١٢	٣٩,٩٨	
٢٠١٣	٤٢,٤٧	
٢٠١٤	٤٥,٩٣	٤٥,٠٠
٢٠١٥	٤٥,٠٤	
٢٠١٦	٣٨,٧٤	
٢٠١٧	٣٦,٣٠	
المتوسط العام	٥١,٤٤	

معدل العائد على الودائع	المتوسط العام قبل الاستحواذ وبعد الاستحواذ	معدل العائد على حق الملكية	المتوسط العام قبل الاستحواذ وبعد الاستحواذ	معدل العائد على الموارد	المتوسط العام قبل الاستحواذ وبعد الاستحواذ	معدل العائد على إجمالي الموجودات	المتوسط العام قبل الاستحواذ وبعد الاستحواذ
٧,٤٥		٢٤,٣٩		٥,٧٠		٥,٣٥	
١١,٥٢		٢٣,٧٩		٧,٧٦		٦,٨٠	
١٠,٢٩		٢٧,١٢		٧,٤٦		٥,٨٨	
٩,٩٠	٩,٧٩	٢٣,٠٠	٢٤,٨٥	٦,٩٢	٦,٩٦	٤,٩٠	٥,٧٣
٦,٤٦		١٤,٧٩		٤,٤٩		٣,٣٩	
٤,٤١		١٤,٦٣		٣,٣٩		٢,٥٧	
٤,٣٦		٩,٤٦		٢,٩٩		٢,٠٨	
٢,٨٨		٩,٥١		٢,٢١		١,٧٠	
٢,٦٥		٩,٧٧		٢,٠٩		١,٧٣	
٢,٥١	٣,٣١	١١,٧٧	١١,٤٣	٢,٠٧	٢,٥٢	١,٧٤	١,٩٨
٢,٢٢		١١,٨٣		١,٨٧		١,٥٩	
٢,٢٢		١٠,٥٥		١,٨٣		١,٥١	
٢,٢١		١٠,٧٨		١,٨٣		١,٥٠	
	٥,٣١		١٥,٤٨		٣,٨٩		٣,٢١

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على التقارير السنوية لمصرف قطر الإسلامي لسنوات متعددة. نلاحظ من المؤشرات اعلاه إن المتوسط العام لمؤشر نسبة صافي الارباح الى إجمالي الإيرادات بلغ(٥١,٤٤%)، وان النسبة قبل عملية الاستحواذ كانت (٦٥,٧٠%)، واصبحت بعد عملية الاستحواذ(٤٥,٠٠%)، اما المتوسط العام لمعدل العائد على الودائع فبلغ(٥,٣١%)، اما النسبة قبل الاستحواذ(٩,٧٩%) وبعد عملية الاستحواذ(٣,٣١%)، اما المتوسط العام لمعدل العائد على حق الملكية بلغ(١٥,٤٨%)، اما النسبة قبل الاستحواذ بلغت(٢٤,٥٨%)، وبعد عملية الاستحواذ بلغت(١١,٤٣%)، والمتوسط العام لمعدل العائد على الموارد فبلغ(٣,٨٩%) وكات قبل

الاستحواذ(٦,٩٦%) واصبح بعد الاستحواذ(٢,٥٢%) والمتوسط العام لمعدل العائد على إجمالي الموجودات(٣,١٣%) وكان قبل الاستحواذ(٥,٧٣%) وبعد عملية الاستحواذ بلغ(١,٩٨%)، وهذا يدل على إن البنك يتمتع بكفاءة الإداء المالي بالنظر الى تحقيق معدلات اكبر من الارباح بالنسبة لإجمالي الإيرادات وارتفاع العائد وقدرة البنك على استخدام موارد الذاتية لتحقيق الارباح وخلال اعوام الدراسة ارتفعت حجم الودائع وزيادة الارباح وعلى الرغم من الظروف المالية العالمية في ٢٠٠٨ إلا إن المصرف حقق نمواً إيجابياً استمراراً لما حققه في السنوات السابقة وحقق معدلات نمو قياسية غير مسبقة في مسيرته التي تمتد لأكثر من ربع قرن وكذلك حقق نمواً كبيراً في حقوق المساهمين وفي إيرادات الانشطة التمويلية. شكل(٦) مؤشرات الربحية لبنك قطر الإسلامي للمدة (٢٠٠٥-٢٠١٧).



المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على الجدول(٦).

نستنتج إن تجربة البنك الفلسطيني الإسلامي في الاندماج ناجحة في التقييم العام، إذ ارتفعت موجودات البنك وحجم ودائعه وتوفر حجم أكبر من السيولة مع زيادة أرباح البنك، التي ترتبت عليها زيادة ربحية المصرف وزيادة قدرة البنك على المنافسة، وذلك من خلال تنويع الخدمات المصرفية التي يقدمها المصرف وإيجاد صيغ مصرفية لم يكن يعتمد عليها قبل عملية الاندماج، والتركيز على التأجير التمويلي وزيادة عدد عملائه، وكذلك زيادة عدد فروع البنك الفلسطيني الإسلامي حيث كان له فروع وزادت بعد عملية الاندماج إلى ١٤ فرع، وكذلك تجربة بنك البركة البحريني الإسلامي ونجاح استحواذ بنك قطر الإسلامي.

الاستنتاجات والتوصيات

تم التوصل الى الاستنتاجات الآتية:

١. هناك ضرورة ملحة لتحقيق الاندماج المصرفي بين المصارف الاسلامية العراقية، لان الاندماج المصرفي يخدم تكوين كيانات بنكية قوية وملائمة لمتطلبات العولمة الاقتصادية، إذ إنَّ الاندماج المصرفي هو أحد

المتغيرات المصرفية العالمية المهمة اليوم، مع تسارع وتيرة التحرر المالي، وبعد الاندماج المصرفي الحل الأهم لتحدي المنافسة الصعبة في ميدان المصرفية العالمية، لذا يسعى البنك المركزي لإيجاد بنوك فاعلة وقادرة على تلبية متطلبات التصنيفات العالمية مثل لجنة بازل، و تكمن أهمية الاندماج المصرفي بما ينجم عنه من تجميع الموارد، و الإمكانيات، بما يعزز من القدرة التنافسية، وليعمل على زيادة رؤوس أموال البنوك وودائعها وتسهيلاتها، و يرقى مستوى جودة خدماتها، بما يخدم زيادة معدل نمو الربح، والتقليل من مخاطرها المالية والتشغيلية.

٢. هناك أهمية متوسطة للمتاح من المتطلبات لتحقيق الاندماج المصرفي بين المصارف الإسلامية العراقية، و هذه المتطلبات أساسية في تكوين كيانات بنكية قوية وملائمة لمتطلبات العولمة الاقتصادية.

٣. هناك مدى مرتفع من التحديات التي تواجه الاندماج المصرفي للمصارف الإسلامية العراقية، مثل؛ صعوبة تقدير فرص الاندماج المصرفي لدى أصحاب حقوق الملكية و حملة الأسهم، و اختلاف النظم الداخلية وتفاوت المركز المالي وقصور اللوائح والتشريعات وصعوبات الاندماج مع مصارف إسلامية أجنبية و عدم الاستقرار السياسي وضعف البيئة الاقتصادية وعدم توفير البنك المركزي الدعم الكافي لعملية الاندماج المصرفي وغياب الثقافة المصرفية الداعمة لعملية الاندماج المصرفي وعدم وجود تجارب ناجحة للانندماج المصرفي في العراق.

٤. إنّ المصارف الإسلامية من المؤسسات المالية التي تطبق أحكام الشريعة الإسلامية، ولاقت اهتماماً كبيراً من قبل الباحثين وهي مؤسسات مالية مصرفية تقوم بتجميع الموارد والخدمات وتوظيفها في قطاعات اقتصادية مختلفة.

٥. من حيث طبيعة عملها فإن المصارف الإسلامية تختلف عن المصارف التقليدية، حيث أن المصارف الإسلامية لا تتعامل بالربا وتعدده محرماً وتخضع للرقابة الشرعية على عكس المصارف التقليدية، وتتميز المصارف الإسلامية بالصدق والشفافية وابتعادها عن الفوائد المصرفية في آلية عملها، وهذا كان أهم سبب في ظهورها في البلدان العربية.

التوصيات:

١- تشجيع انتشار المصارف الإسلامية التي تعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية والعدل والمساواة في آلية عملها وكذلك تشجيع الاندماج المصرفي بين المصارف الإسلامية.

٢- اعتماد صيغ مختلفة من التي تستخدمها المصارف الإسلامية مثل المضاربة والاستصناع وغيرها من الصيغ، لكي تزيد من الاستقرار المالي لمواجهة التحديات التي تتعرض لها المصارف الإسلامية.

٣- هناك ضرورة ملحة لتأهيل الكادر المصرفي الإسلامي شرعياً واقتصادياً وتدريبه على دراسات الجدوى الاقتصادية وتقييم المشاريع من أجل تقديم أفضل خدماته وأدواته الاستثمارية والاقتصادية والاجتماعية من أجل تحقيق الرفاه الاقتصادي.

٤- هناك ضرورة اقتصادية لدمج المصارف الإسلامية في العراق فيما بينها لأن الاندماج يحقق أهداف النمو والتطوير ويقوي مركزها المالي.

٥- يجب الاستفادة من التجارب العالمية والعربية للاندماج في المصارف الاسلامية ومحاولة تطبيقها بما يناسب واقع اقتصاد العراق، وتكوين مجموعات مصرفية تقدم مجموعة من الخدمات المصرفية للمجتمع.

المصادر

أولاً: الكتب

- ١- العيساوي، عبد الكريم جابر، الاندماج والتملك الاقتصاديان المصارف انموذجاً، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الامارات العربية المتحدة، ط ١، ٢٠٠٧.
- ٢- القراري، عبد اللطيف حمزة، المصارف الاستثمارية الإسلامية... النظرية والتطبيق، دار الكتب الوطنية للنشر، ليبيا، ط ١، ٢٠١١.
- ٣- خصاونة، احمد سليمان، المصارف الإسلامية، دار اريد عالم الكتاب الحديث، الاردن، ط ١، ٢٠٠٧.

ثانياً: المجلات والدوريات

١. الكروي، بلال سعيد، تقييم ربحية المصارف باستخدام مؤشرات السيولة- دراسة مقارنة بين مصرفي الرشيد والرافدين، المجلة العراقية للعلوم الادارية، جامعة كربلاء، العدد الرابع والعشرين، ٢٠٠٦.
٢. اريخان، خلود، الدمج المصرفي للمصارف العاملة في فلسطين، بحث مقدم الى مؤتمر تنمية وتطوير قطاع غزة بعد الانسحاب الاسرائيلي، ٢٠٠٦.
٣. عيد ومدلل، فؤاد عبد العزيز وعبد سمير مصطفى، الاندماج المصرفي للبنوك الفلسطينية العامة، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والتداول، المجلد السادس، العدد الثالث، ٢٠١٦.
4. weston and Eugene Brigham,, manageria finance,, (Holt-Saunders intemational Editions 6th), new york, Ed. 1977.

ثالثاً: الرسائل والإطاريح

١. بشناق، زاهر صبحي، تقييم الإداء المالي للبنوك الإسلامية والتقليدية باستخدام المؤشرات المالية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية التجارة، غزة، ٢٠١١.
٢. عيد، فؤاد عبد العزيز، الاندماج المصرفي للبنوك الفلسطينية(الضرورات والمحددات)، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة الازهر، غزة، ٢٠١٢.
٣. مشتهى، بهاء الدين، المصارف الإسلامية في دفع عجلة الاستثمارات المحلية في فلسطين للفترة ما بين ١٩٩٦ - ٢٠٠٨، رسالة ماجستير، غزة، ٢٠١١.

رابعاً: التقارير

١. التقرير السنوي للبنك الفلسطيني الإسلامي للتنمية والتمويل، البيانات المالية، ١٩٩٦.
٢. التقرير السنوي للبنك الفلسطيني الإسلامي للتنمية والتمويل، البيانات المالية، ٢٠٠٥.
٣. التقرير السنوي، بنك الأقصى الإسلامي، ٢٠٠٦.

٤. التقرير السنوي، بنك الاقصى الإسلامي، ٢٠٠٨.
٥. التقرير السنوي، مصرف البركة البحرين الإسلامي، ٢٠١٣.
٦. التقرير السنوي، مصرف البركة البحرين الإسلامي، ٢٠١٤.
٧. التقرير السنوي، مصرف البركة البحرين الإسلامي، ٢٠١٦.
٨. التقرير السنوي، مصرف قطر الإسلامي، ٢٠٠٦.
٩. التقرير السنوي، مصرف قطر الإسلامي، ٢٠٠٧.
١٠. التقرير السنوي، مصرف قطر الإسلامي، ٢٠١٢.
١١. التقرير السنوي، مصرف قطر الإسلامي، ٢٠١٧.

خامساً: المواقع الإلكترونية

١. مجلة الصيرفة الإسلامية، المصارف الإسلامية والحاجة الى الاندماج المصرفي، ٢٠١٣، مقالة علمية مأخوذة من الموقع الالكتروني www.islamicbankingmagazine.org.
٢. مدحت الخراشي، اندماج المصارف العربية والخيار الاستراتيجي، إشرافه، ملتقى الفكر المستنير، عالم الاقتصاد، مقالة علمية على الموقع الالكتروني www.mafoom.com.

تقييم الأداء لمعمل اسمنت بابل للمدة ٢٠١٦-٢٠١٧

Performance evaluation of Babil Cement Factory for the period 2017-2016

م.د. سلطان جاسم النصراوي^(١)
M. Dr. Sultan Jassim Al Nasrawi
افراح علي حميد المعموري^(٢)
Afrah Ali Hamid Al Mamouri

المخلص

تحتل الدراسات المتعلقة بتقييم الأداء الاقتصادي بأهمية كبيرة لدى الباحثين الدارسين، إذ إنها توضح التقدم والتطور الذي يتحقق في الصناعة بشكل عام او المنشأة بشكل خاص، من خلال مقارنة ما تم انجازه خلال السنوات السابقة ومقارنته مع السنوات الحالية ورفع الخطط المستقبلية.

إن معمل إسمنت بابل الذي يقع ما بين مركز قضاء المسيب وناحية سدة الهندية ويعود إداريا إلى ناحية سدة الهندية التابعة لمحافظة بابل هو احد معامل الشركة العامة للإسمنت الجنوبية التابعة لوزارة الصناعة والمعادن، إذ ينتج معمل سمّنت سدة الهندية نوعين من الاسمنت، الإسمنت العادي والمقاوم ويستخدم المعمل لإنتاج هذين النوعين من الإسمنت بالطريقة الرطبة، وكان في السنوات السابقة يجهز المواطنون وشركات ومعامل القطاع الخاص في تلك المحافظات. وقد اتضح من خلال البحث إن هذا المعمل يعاني من انحرافات في الأداء الاقتصادي وهي: انخفاض كميات الانتاج، وارتفاع التكاليف، وعدم بلوغ الطاقات الانتاجية. ومن ثمّ عدم الاستغلال الامثل للموارد الاقتصادية المتاحة وعليه فأُن البحث قد حاول تقييم الأداء الاقتصادي لهذا المعمل خلال المدة ٢٠١٦-٢٠١٧.

الكلمات المفتاحية: تقييم الأداء، معمل اسمنت بابل.

^١ - جامعة كربلاء/كلية الادارة والاقتصاد.

^٢ - جامعة كربلاء/كلية الادارة والاقتصاد.

Abstract

Studies on economic performance assessment are of great importance to researchers, as they illustrate the progress and development of the industry in general or in particular, by comparing what has been achieved in previous years, comparing it with current years and raising future plans. Babil Cement Factory, located between the center of Musayyib and Siddh district of India, is administratively returned to Sada al-Hindi district of Babil province. It is one of the factories of the General Company for Southern Cement under the Ministry of Industry and Minerals. The cement factory produces two types of cement, For the production of these two types of cement in the wet way, and was in previous years to equip citizens and companies and laboratories of the private sector in those provinces. It has been shown through the research that this plant suffers from deviations in economic performance: low production quantities, high costs, lack of production capacity and then lack of optimal exploitation of economic resources available and therefore the research has tried to assess the economic performance of this plant during the period 2017-2016.

المقدمة Introduction:

يُعد تقييم الاداء الاقتصادي للصناعة بشكل عام والشركات بشكل خاص من أهم الوسائل والآليات اللازمة للتدقيق ومراجعة أداء الشركات على اختلاف وظائفها وأهدافها، وبذلك فإن الوصول إلى نتيجة نهائية لأداء أي شركة يعد أمراً مهماً للغاية للوقوف على مدى نجاح الشركة وتشخيص مواطن الضعف التي تعاني منها والتحديات التي تعترض سير تطورها بغية وضع استراتيجية للارتقاء بواقع الشركة سواء كانت مملوكة للدولة أو للقطاع الخاص، وذلك إن عملية تقييم الأداء تعطي صورة عن أداء الوحدات الاقتصادية وفعاليتها وقدرتها على تحقيق الأهداف المرجوة من إنشائها، ومن ثم ترشيد القرار الاقتصادي الواجب أن يتخذه المعنيون بتلك الوحدات الاقتصادية سواء كانوا حكومات أو أفراد المجتمع المستفيدين من الخدمة أو السلعة المقدمة أو المساهمين والمستثمرين في تلك الوحدة الاقتصادية، ويسعى البحث إلى تقييم الاداء الاقتصادي لغرض الوقوف ورفع تقييم الأداء الاقتصادي للشركة العامة لصناعة السمّنت الجنوبية لمعمل اسمنت بابل، لغرض الوقوف على واقع الأداء الاقتصادي لمعمل اسمنت بابل للمدة (٢٠١٦-٢٠١٧)، ورفع الاستراتيجيات المناسبة من اجل النهوض والارتقاء بواقع معمل اسمنت بابل.

مشكلة البحث:

بالرغم من الأهمية التي يتمتع بها الاسمنت ودوره في توفير احتياجات البلد من هذه الحاجة اللازمة لعملية الانتاج ومن ثم تتحول مشكلة البحث في ضعف اداء معمل اسمنت بابل وعدم قدرته مواجهة التطورات وسد احتياجات البلد على الرغم من توفير المستلزمات المادية والبشرية والطبيعية.

هدف البحث:

- يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:
- ١- الوقوف على مستوى أداء معمل إسمنت بابل والتأكد من اداء استخدامه للموارد الاقتصادية المتاحة على النحو الأمثل.
 - ٢- دراسة واقع المعمل وبيان مدى تأثير التكاليف وعلاقتها بالإيرادات وصولاً إلى تحقيق الأرباح.
 - ٣- استخدام معايير تقييم الأداء الاقتصادي للخروج بنتائج تسمح بمعرفة مواطن القوة والضعف في أداء المعمل وتقضي أسباب الانحرافات من أجل تصحيح مسار العمل ورفع الأداء الاقتصادي في المعمل.

فرضية البحث:

إن الإمكانيات الداخلية والظروف الخارجية لمعمل إسمنت بابل تساعد على الاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية المتاحة والطاقات الإنتاجية المتوفرة بالشكل الذي يساعده على تخطي الانحرافات الموجودة في التقييم الأداء الاقتصادي.

مصادر البيانات:

- اعتمدت هذه الدراسة للحصول على البيانات والمعلومات على المصادر الآتية:
- ١- المصادر العربية والدوريات وبعض المصادر الأجنبية.
 - ٢- الحسابات الختامية وتقارير الإنتاج لمعمل إسمنت بابل.
 - ٣- كشوفات وتقارير الشركة العامة للإسمنت العراقية.
 - ٤- الدراسة الميدانية والمقابلات الشخصية مع ذوي الاختصاص في معمل إسمنت بابل.

المبحث الاول: الإطار النظري لتقييم الاداء الاقتصادي

تصدّرت عملية تقييم الأداء الاقتصادي مكانة مهمة على جميع المستويات سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم إدارية، إذ تكمن أهميتها في قدرتها على بيان مدى مطابقة الأهداف المرسومة والمخطط لها مع ما تم إنجازه من أهداف عبر عمر المشروع الاقتصادي مع تحديد مدى الانحراف بينهما وأسبابه وتقديم الاقتراحات اللازمة لمعالجته، وبالرغم من تطابق النظرة العامة لعملية تقييم الأداء إلا أنها تختلف في طرائق ووسائل قيامها حسب كل نشاط وفلسفة القائم عليها، ولتوضيح جوانب الإطار النظري للتقييم الأداء الاقتصادي سنتطرق في هذا المبحث إلى مفهوم وأهمية وأهداف تقييم الأداء الاقتصادي وأسس ووظائفه وغيرها وعلى النحو الآتي:

اولا: التقييم الاقتصادي: المفهوم، الأهمية، الأهداف، الوظائف

لقد تنوعت وتعددت التعاريف المتعلقة بتقييم الأداء الاقتصادي فمنهم من يرى:

أنه ((جميع العمليات التي ترمي إلى حساب مستوى العلاقة بين الموارد المتاحة وكفاءة استغلالها مع دراسة تطوير تلك العلاقة خلال مدة زمنية محددة عن طريق إجراء المقارنات بين المخطط له والمنفذ من الأهداف استناداً إلى مقاييس معينة))^(٣).

لذا فإن تقييم الأداء الاقتصادي على انه شكل من أشكال الرقابة، يركز على تحليل النتائج التي تتم التوصل إليها من خلال الجهود المبذولة على مختلف المستويات، بهدف الوقوف على تحقيق أهداف وحدات الأعمال في استخدام الموارد المتاحة أفضل استخدام وترشيد الإدارة في إعداد الخطط المستقبلية^(٤). وعُرف أيضاً بأنه ((الأداة التي تستخدم للتعرف على نشاط المشروع بهدف قياس النتائج المتحققة ومقارنتها بالأهداف المرسومة مسبقاً))^(٥)؛ كما عُرف تقييم الأداء الاقتصادي بأنه ((مجموعة من الإجراءات والنسب والمؤشرات والمعايير التي تستخدم في تحديد قيمة وبيان مدى تحقيق الأهداف التي أنشئ المشروع من أجله أي بعبارة أخرى مقدار ما يحققه من العوائد))^(٦).

إن تقييم الأداء الاقتصادي تعني مجموعة الدراسات التي تهدف إلى التعرف على مدى قدرة وكفاءة الوحدة الاقتصادية من إدارة نشاطها في مختلف جوانبه الإداري والانتاجي والتقني والتسويقي... الخ، وخلال مدة زمنية محددة ومدى قدرتها في تحويل المدخلات إلى مخرجات بالتنوع والكمية والجودة المطلوبة واتباع الأساليب الأكثر انتاجاً وتطوراً في مجال عملها^(٧).

في حين عرفها البعض الآخر على أنها ((أداة تستخدم للتعرف على نشاط المشروع، مستهدفاً قياس النتائج المتحققة ومقارنتها بالأهداف المخططة مسبقاً، بغية التعرف على الانحرافات وتحديد أسبابها مع تحديد الوسائل الكفيلة بمعالجتها)) وهذا يعني أن جوهر عملية تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي تتمثل بالمقارنة بين ما هو متحقق فعلاً وما هو مستهدف وخلال مدة زمنية معينة وهي في العادة سنة واحدة^(٨). إن تقييم الأداء الاقتصادي هي عملية رقابية أدائية للحكم على مدى فعالية ونجاح موضوع الأداء سواء أكان عنصراً واحداً أم عدة عناصر^(٩).

٣- محمود أحمد حسين، قياس كفاءة أداء مستشفيات صلاح الدين باستخدام أسلوب (تحليل البيانات التطويقي- دراسة حالة)، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة تكريت، المجلد ٥، العدد ١٤، ٢٠٠٩، ص ٢١٠.

٤- حمزة محمود الزبيدي، التحليل المالي لأغراض تقييم الأداء والتنبؤ بالفشل، مؤسسة الورق للنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص ٩١-٩٢.

٥- مجيد عبد جعفر الكرخي، تقويم كفاءة الأداء في الوحدات الاقتصادية، ط ١، دار الكتب للطباعة، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٣٩.

٦- كريم نجم خلف الاسدي، "تقويم أداء نشاط قطاع الخدمات البلدية في محافظة بغداد- بلدية الكرادة"، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة سانت كلمينتس، بغداد، ٢٠١٠، ص ١٣.

٧- ثائر محمود رشيد العاني وعلي وهيب عبد الله، تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي لشركة دياي العامة للصناعات الكهربائية للمدة ٢٠٠٠-٢٠١٠، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، المجلد ٢٠، العدد ٧٥، ٢٠١٤، ص ٢٤٤.

٨- كاظم جاسم العيسوي، دراسات الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات تحليل نظري وتطبيقي، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط ٢، عمان، ٢٠٠٥، ص ٢٤٨.

٩- مشعل جهز المطيري، تحليل وتقييم الأداء المالي لمؤسسة البترول الكويتية، جامعة الشرق الأوسط، بدون دار طبع، ٢٠١١، ص ١٠.

ثانياً: أهمية تقييم الأداء الاقتصادي (the importance of assessing economic performance)

لتقييم الأداء الاقتصادي أهمية كبيرة، من أجل تحديد النشاط الاقتصادي للوحدات الانتاجية خلال مدة زمنية معينة، وكيفية الوصول إلى النتائج المتحققة له، وتبرز أهمية تقييم الأداء الاقتصادي في النواحي الآتية (١٠):

١- إن عملية تقييم الأداء الاقتصادي تظهر مدى اسهام الشركة في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال تحقيق أكبر قدر من الانتاج وبتكلفة منخفضة والتخلص من الهدر في الموارد والمال والجهد والوقت.

٢- تُظهر عملية تقييم الأداء الاقتصادي التطور الذي حققته الشركة أو الوحدة الانتاجية في مسيرتها نحو الافضل أو التحول نحو الأسوء وذلك عن طريق نتائج الأداء الفعلي زمنياً في المنشأة من مدة لأخرى ومكانياً بالوحدات والمنشآت المماثلة.

٣- التحقق من معايير الجودة للإنتاج، ومدى مطابقة الإنتاج للمواصفات المطلوبة والمحددة مسبقاً (١١).

٤- توضح عملية تقييم الأداء العلاقات التبادلية بين الأقسام والفروع المختلفة إذ تساعد العملية على التحقق من قيام تلك الأقسام والفروع بوظائفها بأفضل كفاءة ممكنة.

٥- ترتبط أهمية تقييم الأداء ارتباطاً وثيقاً بالتخطيط وعلى كافة المستويات، سواء على مستوى الفروع أو الأقسام، أو على مستوى المشروع أو القطاع أو الاقتصاد القومي (١٢).

٦- ضمان أفضل وسيلة لسير العملية الإنتاجية الصناعية وإنجاز الإنتاج في الوقت المحدد (١٣).

٧- تؤدي عملية التقييم الى توجيه أشرف الادارة العليا وتحقيق التنسيق بين مختلف أوجه النشاط من إنتاج وتسويق وتمويل وتوظيف وتدريب بحيث تصبح الإدارة أكثر انتاجية (١٤).

ثالثاً: اهداف تقييم الأداء الاقتصادي (Objectives of economic performance assessment)

يسعى تقييم الأداء الاقتصادي إلى تحقيق جملة من الاهداف منها (١٥):

أ- الوقوف على مستوى إنجاز الوحدة الاقتصادية للوظائف المكلفة بأدائها مقارنة بتلك الوظائف المدرجة في خططها الإنتاجية.

١٠- سيد محمد جبارة، تصميم نظام لتقويم الأداء بالمصارف التجارية في ضوء مخرجات نظم المعلومات الحاسبية، دراسة تطبيقية في مصرف الرشيد، رسالة ماجستير في المحاسبة، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٢، ص ١٧.

١١- كاظم جاسم العيسوي، الاقتصاد الإداري، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن، عمان، ٢٠٠٨، ص ٢٥١.

١٢- كاظم جاسم العيسوي، دراسات الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات تحليل نظري تقريبي، المصدر السابق، ص ٢٤٩.

١٣- يونس علي احمد، تقييم النشاط الاقتصادي لمعمل الجص الفني في بازيان السليمانية للفترة ١٩٩٩-٢٠٠٩، مجلة العلوم الاقتصادية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة السليمانية، العدد ٢٧، المجلد السابع، ٢٠١١، ص ٧.

١٤- زياد خلف خليل الجبوري، تقويم كفاءة الاداء للشركة العامة لصناعة الادوية والمستلزمات الطبية SDI للفترة ١٩٨٠-١٩٩٩، رسالة ماجستير، مقدمة الى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص ٤٥.

١٥- مجيد عبد جعفر الكرخي، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.

- ب- الكشف عن مواصلة الخلل والضعف في نشاط الوحدة الاقتصادية وأجراء تحليل شامل لها وبيان مسبباتها وذلك بهدف وضع الحلول اللازمة لها وتصحيحها وارشاد المنفذين الى وسائل تلاقيها مستقبلاً.
- ج- تحديد مسؤولية كل مركز او قسم في الوحدة الاقتصادية عن مواطن الخلل والضعف في النشاط الذي يصطلح به وذلك من خلال قياس انتاجية كل قسم من اقسام العملية الانتاجية وتحديد انجازاته سلباً او ايجاباً الامر الذي من شأنه خلق منافسة بين الاقسام باتجاه رفع مستوى اداء الوحدة.
- د- الوقوف على مدى كفاءة استخدام الموارد المتاحة بطريقة رشيدة تحقق عائداً اكبر بتكاليف اقل بنوعية جيدة.

هـ- تحقيق تقييم شامل للأداء الاقتصادي على مستوى الاقتصاد الوطني وذلك بالاعتماد على نتائج التقييم الادائي لكل مشروع.

رابعاً: وظائف تقييم الأداء الاقتصادي (economic performance assessment functions)

- أن عملية تقييم الأداء الاقتصادي تُمكن الوحدات الاقتصادية من القيام بعدد من الوظائف الأساسية والمهمة أبرزها ما يأتي^(١٦):
- أ- متابعة تنفيذ الأهداف للوحدة الإنتاجية.
- ب- ممارسة الوظيفة الرقابية على نشاطات المنشأة المختلفة.
- ج- التعرف على مدى تحقيق المشروع للأهداف المحددة مقدماً، الأمر الذي يتطلب متابعة تنفيذ الأهداف المحددة للوحدة الإنتاجية كمّاً ونوعاً وضمن الخطة المرسومة ولمدة المحددة لها، ويتم ذلك بالاستناد إلى البيانات والمعلومات المتوفرة عن سير النشاط.
- د- تحديد مراكز المسؤولية وكفاءة أدائها من الاستخدام الفعال للموارد المتاحة وفعاليتها في تخفيض التكلفة بقدر المستطاع^(١٧).
- هـ- مقارنة الكلفة الفعلية مع الكلفة القياسية.
- و- مقارنة الإنتاج الفعلي بالإنتاج المخطط أو بالطاقة التصميمية لمدة زمنية مختلفة^(١٨).

المبحث الثاني: مؤشرات (معايير) تقييم الاداء الاقتصادي

يعتمد نجاح مهمة تقييم الأداء الاقتصادي على دقة وملاءمة المؤشرات والمعايير وعلى قابليتها على القياس والاحتساب لتؤدي الغرض المطلوب. وهناك عدد كبير من المؤشرات العامة التي يمكن الاستعانة بها في تقييم الأداء في الوحدات الإنتاجية.

^{١٦} مدحت القرشي، الاقتصاد الصناعي، دار وائل للنشر، ط٢، عمان، ٢٠٠٥، ص٢٥٠.

^{١٧} شاكر حمود صلال جبر العبيدي، تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي لمعمل اسمنت كبيسة للمدة ١٩٩٦-٢٠٠٩، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الادارة والاقتصاد في جامعة الانبار، ٢٠١٠، ص٦٣.

^{١٨} حامد عبيد حداد، تقييم كفاءة الأداء في الشركة العامة للصناعات الجلدية في العراق للمدة من ٢٠٠٠-٢٠٠٩ (دراسة ميدانية)، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة بغداد، المجلد ٢٠، العدد ٧٥، السنة ٢٠١٤، ص٣٥٦.

١- مفهوم المعيار والمؤشر (The concept of benchmark and indicator)

لو تفقدنا الأدبيات الاقتصادية، لوجدناها تقدم لنا هدفاً واحداً للمعيار والمؤشر عند تحليل قيم المتغيرات، إلا أنَّ هناك الكثير من الباحثين من يميّز بينها بوصف المعيار بأنه يمثل الأداء أو الإنجاز أو النتيجة التي يفترض تحقيقها للوحدة الاقتصادية في ظل ظروفها وإمكاناتها. أما المؤشر فيظهر له كدلالة تؤشر وتقدم فكرة عن مستوى الأداء أو النشاط الذي تقوم بقياسه، مثل مؤشرات الإنتاج والإنتاجية والقيمة المضافة^(١٩). يرى البعض ان المعايير هي ((دلالات تؤشر مستوى كفاءة النشاط الذي تقوم بقياسه و يمكن أن تكون وصفية أو قيمة)) و تحتاج عملية التقييم إلى معايير كأدوات قياس لتنفيذ العملية المذكورة. إذ ان نجاح العملية يعتمد على صحة و دقة هذه المعايير وعلى قابليتها للقياس والحساب. وهناك أنواع كثيرة من المعايير التي يمكن استخدامها في عملية التقييم، اذ هناك المعايير الفنية و الاقتصادية المالية و الإدارية و الرئيسة و الفرعية. مما يؤدي إلى اختلاف أهميتها النسبية للمشروع و اختلاف إمكانية كل معيار في تطبيقه فبعضها يتعلق بأهداف اجتماعية و أخرى تتعلق بأهداف مالية^(٢٠).

في حين يعرفهما ديوان الرقابة المالية في جمهورية العراق، بأنَّ ((المعيار هو أساس يوضع لأغراض القياس والمقارنة، بوصفه نموذجاً لما يجب أن يكون)). أما ((المؤشر فهو مجموعة من الدلالات التي تؤشر النشاط الذي تقوم بقياسه أو تقييم أدائه))^(٢١).

كما يعرف المعيار على انه ((هو رقم محدد لعنصر معين محسوباً على أساس تجارب الماضي والأحوال الحاضرة وتقدير ما سيحدث في المستقبل، أو أنه ميزان وضع لمقياس جودة الأداء وكفاءته وفعاليتيه))^(٢٢)، أما المؤشر فيعرف ((إنه الوسيلة التي يقاس من خلالها مدى تحقيق المنشأة لأهدافها أو النتائج المرغوبة لديها))^(٢٣).

ويمكن تعريف معايير ومؤشرات الأداء كذلك بأنها (الدلالات التي تؤشر المعلومات للإدارة بصحة المسارات المتخذة فهي وسيلة للرقابة الفعالة وهي أيضاً وسيلة للتخطيط حيث تزود المخطط بكل المعلومات اللازمة عن مدى وفعالية أية خطة من الخطط المتعددة حيث يتم القيام بالتعديل اللازم وتحسين الأداء)^(٢٤).

وتجدر الإشارة، إلى أن عملية تقييم الوحدات الاقتصادية تتطلب معايير تركز على ما يأتي^(٢٥):

١) قياس مساهمة الوحدة الاقتصادية في إنجاز الأهداف الاستراتيجية المعتمدة للتنمية الاقتصادية الشاملة.

١٩- عادل محمد الحسون، مؤشرات ومعايير رقابة وتقييم الأداء على قطاع التشييد، ديوان الرقابة المالية، بغداد، ١٩٩٠، ص٩.
٢٠- صفوان محمد شوقي حسام الدين البكري، التقييم الاقتصادي- المالي لمزرعة البيوت الزجاجية في النهروان (دراسة في تحديد الاستخدام الأمثل للموارد المزرعة)، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة المستنصرية، ٢٠٠٥، ص١٦.
٢١- ديوان الرقابة المالية: دليل المصطلحات الرقابية، جمهورية العراق، بغداد، ١٩٩٠، ص٨٥.

22- Calvin Enger, Managerial Accounting, Richard D. Irwin, Illinois, 1987, p.310.

23- Australian National Audit Office, Performance Auditing, sydney, June, 1992, p.76.

٢٤- حامد عبيد حداد، المصدر السابق، ص٣٥٧.

٢٥- احمد عبد الله سلمان الوائلي، اختيار مؤشرات ومعايير تقييم الأداء الاقتصادي المالي (دراسة تطبيقية في شركة صناعة الاصباغ الحديثة /قطاع مختلط)، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص٣٢.

٢) تقدير الآثار المالية المباشرة وغير المباشرة للوحدة الاقتصادية على وفق أسعار معدلة على عموم الاقتصاد.

٢- أنواع معايير تقييم الأداء الاقتصادي (Types of economic performance evaluation criteria)

هناك العديد من المعايير التي يمكن توضيح أهم أنواعها وفق التصنيفات الآتية^(٢٦):

١- المعايير الكلية والمعايير الجزئية:- تخص المعايير الكلية في بحث العلاقة بين المخرجات وبين جميع عناصر الإنتاج التي استخدمت في الحصول عليها، أما المعايير الجزئية فتهتم بالعلاقة بين المخرجات وبين كل عنصر على انفراد من عناصر الإنتاج.

٢- المعايير الإجمالية والمعايير الصافية:- الإجمالية تهتم بالقيم الإجمالية للمتغيرات الإنتاجية والمالية والاقتصادية في الوحدة، أما المعايير الصافية فتهتم بالقيم الصافية أي بعد طرح الخصومات وأجور النقل وغيرها، أو بالقيمة المضافة بدلا من الإنتاج الإجمالي.

٣- المعايير القيمية والمعايير المادية:- المعايير القيمية تستخدم قيمة المتغيرات مقاسه بعملة محددة، أما المعايير المادية فتستخدم كمية المتغيرات مثل طن من الإسمنت أو متر من القماش أو ساعة من العمل.

٤- المعايير الكمية والمعايير الوصفية:- تستخدم المعايير الكمية البيانات والمعلومات والأرقام في قياس حجم النشاط وتناسبه مع الأنشطة الأخرى، أما المعايير الوصفية فإنها تعتمد الوصف والقياسات الاعتيادية بسبب صعوبة قياس الحالة، كصعوبة قياس رضا العمال، أو العلاقة الإنسانية بين الرؤساء والموظفين.

وهناك العديد من المعايير التي بالإمكان استخدامها في تطبيق البيانات وبناءً على ذلك تم تحديد بعض المعايير الملائمة مع طبيعة النشاط الاقتصادي للشركة العامة للسمنت العراقية ومن هذه (المعايير) هي^(٢٧).

١) معيار الطاقة الإنتاجية productivity criterion.

٢) معيار الإنتاجية Productivity Criterion.

٣) معيار القيمة المضافة Added Value Criterion.

وسوف يتم تناول هذه المعايير وطرق حساب كالآتي:

١- معيار الطاقة الإنتاجية (productivity criterion)

تعد الانتاجية من المواضيع الحيوية التي تلقي اهتماماً متزايداً في الجوانب الاقتصادية كافة، يمثل هذا المعيار العلاقة بين الإنتاج وكمية الموارد المستخدمة في العملية الإنتاجية وتعرف الطاقة الإنتاجية بأنها (القدرة الإنتاجية المتوفرة في المشروع بما في ذلك القائمة والمستحدثة والمستبعدة وضمن إطار أسلوب إنتاجي معين ومن خلال مدة زمنية معينة)^(٢٨).

^{٢٦}- شروق عباس مرزا، تقييم الأداء للمشاريع الصناعية النسيجية في واسط، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة واسط، ٢٠١٢، ص ٢٨.

^{٢٧}- حنان عبد الباقي مصطفى الحيدري، تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي للشركة العامة للإسمنت العراقية للمدة (١٩٩٦-٢٠٠٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ٧٠.

^{٢٨}- شروق عباس مرزا، المصدر السابق، ص ٣٠.

ويمكن تعريف الطاقة الإنتاجية بالمعنى العام (بأنها قدرة نظام التصنيع أو نظام الخدمة لإنتاج كمية من المخرجات خلال مدة زمنية معينة) ^(٢٩). كما تعرف الطاقة الإنتاجية أيضاً (التي تعبر عن كمية الإنتاج الفعلي الذي تم الحصول عليه من السلع والخدمات وخلال مدة زمنية معينة بالاعتماد على الطاقة التصميمية والطاقة المتاحة في الوحدة الاقتصادية) ^(٣٠).

وتقوم الطاقة الإنتاجية في المشروع على جانبين هما ^(٣١):

أ- جانب الكفاءة الإنتاجية، ويعني تحقيق أقصى إنتاج ممكن من الموارد المتاحة خلال فترة زمنية معينة ضمن أسلوب انتاجي معين.

ب- جانب الكفاءة الاقتصادية، ويعني مطابقة الكفاءة الفنية لرغبات المجتمع لتحقيق أقصى اشباع ممكن. وبأدنى مستويات نفقات الوحدات المنتجة.

ولابد من الإشارة الى اهم العوامل التي تساهم في تحديد الطاقة الإنتاجية في الوحدة الاقتصادية أهمها ^(٣٢):

١- كمية مدخلات الانتاج المتاحة.

٢- اسلوب الانتاج المستخدم.:

٣- كفاءة الاستخدام للمستلزمات الاساسية في العملية الإنتاجية.

وتتباين مستويات وأنماط الطاقة الإنتاجية حسب نوع النشاط الاقتصادي وطبيعته والظروف المحيطة به، ومن أجل إعطاء صورة واضحة عن هذا المعيار، فإنه لابد من التعرض أو التعرف على أنواع الطاقات الإنتاجية وهي ^(٣٣):

أ) الطاقة الإنتاجية التصميمية (Production designed capacity)

وهي تلك الطاقة التي تحدد من المنشأ المنتج للمكانن والآلات في ظل توفر جميع مقومات عملية الإنتاج. أو بمعنى أن الطاقة الإنتاجية التصميمية تعني أعلى إنتاج يمكن أن يحققه الوحدة الإنتاجية بأقصى سرعة وبدون انقطاع أي تمثل استغلال الإمكانات البشرية والمادية استغلالاً تاماً بنسبة (١٠٠٪) ^(٣٤).

ب) الطاقة الإنتاجية الفعلية (Actual Capacity)

وهي كمية السلع والخدمات التي يتم إنتاجها خلال مدة زمنية معينة وتتراوح ما بين (٧٥-٨٥٪) من الطاقة النظرية، وتتأثر الطاقة الإنتاجية الفعلية بمجموعة من العوامل غير المتوقعة الحدوث المعرقة لسير

²⁹- Evans, R. James, Applied Production and Operations management, fourth Edition, U.S.A: west publishing company, 1993, p 189.

^{٣٠}- محمد أزهري السماك وآخرون، أساسيات الاقتصاد الصناعي، جامعة الموصل، مديرية مطبعة الجامعة، ١٩٨٤، ص ٤٦٢.

^{٣١}- يحيى غني النجار، تقييم المشروعات تحليل معايير ومؤشرات دراسات الجدوى وتقييم كفاءة الأداء، بغداد، ط١، ٢٠١٠، ص ٤٣١.

^{٣٢}- عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، طلال محمود كدواي، تقييم المشاريع الاقتصادية دراسة في تحليل الجدوى الاقتصادية وكفاءة الأداء، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٩، ص ٢١٥-٢١٦.

^{٣٣}- كاظم جاسم العيساوي دراسات الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات تحليل نظري وتطبيقي، المصدر السابق، ص ٢٥٦.

^{٣٤}- الويس عبوش هدايا وآخرون، "استخدام بعض المعايير في تقويم كفاءة الأداء في الشركة العامة لصناعة الأسمدة الشمالية"، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، جامعة تكريت كلية الإدارة والاقتصاد، المجلد (٥)، العدد (١٤)، ٢٠٠٩، ص ٧٩.

العملية الإنتاجية وهي عوامل تخص ظروف النتاج داخل الوحدة الاقتصادية أو عوامل خارجية كالطلب والتسوق وظروف بيئية واجتماعية أخرى^(٣٥).

ج) الطاقة الإنتاجية المخططة (Production Planned capacity)

وهي الطاقة المستهدف إنتاجها على وفق الظروف والإمكانات الفعلية للمشروع المعدة في الخطة الإنتاجية ضمن الخطة الاقتصادية للنشاط الواحد أو للقطاع الصناعي ككل^(٣٦).

د) الطاقة الإنتاجية القصوى (Maximum production Capacity)

وهي الطاقة المحددة خلال مدة زمنية معينة، وفقا لمواصفات عوامل الإنتاج،^(٣٧) والعوامل المساعدة كالصيانة وباقي المتطلبات بشكل مستمر وفي ظل سلامة الشروط الفنية والأخرى وتقاس الطاقة الإنتاجية القصوى لكل مرحلة بغض النظر عن تناسق القدرات الإنتاجية للمراحل السابقة أو اللاحقة. هذا يعني قياس الطاقة الإنتاجية القصوى للوحدة الإنتاجية بغية تحديد مواطن الاختناقات في العملية الإنتاجية مما يترتب على ذلك ضياع الطاقة المتاحة لدى المشروع لتحقيق الإنتاج النهائي على أفضل صورة ممكنة^(٣٨).

هـ) الطاقة الإنتاجية المتاحة (Available capacity)

يعني بما أن يعمل خط الإنتاج في أفضل الظروف، مع توافر كل مقومات عملية الإنتاج من مهارة، وجودة في المواد الأولية، والصيانة الجيدة للمكائن مع الأخذ بنظر الاعتبار التوقفات المبرجة^(٣٩). ومن خلال معرفة الطاقات الإنتاجية السابقة يمكننا احتساب مؤشرات النسب الآتية^(٤٠):

$$(١) \text{ نسبة الانتفاع} = \frac{\text{الطاقة الإنتاجية الفعلية}}{\text{الطاقة الإنتاجية التصميمية}} \times ١٠٠$$

إذ يعبر هذا المؤشر عن مدى إفادة المشروع من الطاقة التصميمية المتوفرة من خلال الاستغلال للموارد بشكل يقلل الهدر والضياع.

$$(٢) \text{ نسبة التنفيذ} = \frac{\text{الطاقة الإنتاجية الفعلية}}{\text{الطاقة الإنتاجية المخططة}} \times ١٠٠$$

وهو مؤشر يعبر عن مدى تنفيذ الخطة الإنتاجية الموضوعية وتظهر أعلى تنفيذ تم تخطيطه للعملية الإنتاجية خلال مدة زمنية محددة.

$$(٣) \text{ نسبة التشغيل} = \frac{\text{الطاقة الإنتاجية المخططة}}{\text{الطاقة الإنتاجية التصميمية}} \times ١٠٠$$

^{٣٥} عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، طلال محمود كذاوي، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

^{٣٦} طاهر جاسب مكي البعاج، تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي لمعمل إسمنت البصرة دراسة تطبيقية للمدة ١٩٩٩-٢٠١٠ رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة البصرة، ٢٠١٢، ص ١٨.

^{٣٧} كاظم جاسم العيساوي، الاقتصاد الإداري، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

^{٣٨} يوحنا عبد آل آدم، د. سلمان الوزلي، دراسة الجدوى الاقتصادية وتقييم كفاءة أداء المنظمات، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثانية، عمان، ٢٠٠٥، ص ٢٢٦.

^{٣٩} الويس عبوش هدايا واخرون، المصدر السابق، ص ٧٩.

^{٤٠} - رجاء رشيد عبد الستار، تقويم كفاءة الأداء من خلال معيار العائد دراسة حالة خاصة في الشركة العامة لصناعة البطاريات، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، جامعة بغداد، العدد ١٩، ٢٠٠٩، ص ٩٠.

وهو مؤشر يعبر عن مدى الانحراف في الطاقة المخططة عن الطاقة التصميمية والمتاحة ومدى قدرة القائمين على التخطيط للمشروع من الاستفادة من الطاقة التصميمية او المتاحة ووضعها في حساباته عند التخطيط مدة زمنية معينة.

$$(٤) \text{ نسبة الاستغلال} = \frac{\text{الطاقة الانتاجية المتاحة}}{\text{الطاقة الإنتاجية التصميمية}} \times ١٠٠$$

وهو مؤشر يعبر عن مدى ابتعاد الطاقة الانتاجية المتاحة عن الطاقة التصميمية وعن مدى جدية الجهة المختصة في احتساب الطاقة المتاحة في ضوء الطاقة التصميمية^(٤١).

٢- معيار الإنتاجية (Productivity Criterion)

يعكس معيار الانتاجية مدى كفاءة في استغلال الموارد الاقتصادية لأنه يمثل العلاقة بين الانتاج

أ- الإنتاجية الكلية (Overall Productivity)

وتعني الإنتاجية لجميع عناصر الانتاج المستخدمة في العملية الانتاجية ويمكن التعبير عنها بالصيغة التالية^(٤٢):

$$\text{الإنتاجية الكلية} = \frac{\text{المخرجات}}{\text{المدخلات}} \text{ أو } \frac{\text{قيمة أو كمية الانتاج}}{\text{مجموع عناصر الانتاج}} \text{ أو } \frac{\text{قيمة أو كمية الانتاج}}{\text{العمل + راس المال + المواد}}$$

ب- الإنتاجية الجزئية (partial productivity)

وتعني الإنتاجية لعنصر واحد من عناصر الإنتاج ويمكن التعبير عنها بالصيغة التالية:

$$\text{الإنتاجية الجزئية} = \frac{\text{المخرجات}}{\text{المدخلات}} \text{ أو } \frac{\text{المخرجات}}{\text{عنصر واحد من عناصر الانتاج}} = \frac{\text{المخرجات}}{\text{عنصر العمل أو راس المال أو عنصر المواد}}$$

ان المعيار الأكثر شيوعا واستخداما من بين تلك المعايير هو معيار إنتاجية العمل خاصة عندما يكون الهدف هو تقييم الأداء، إذ ان هذا المعيار لا يعبر عن كفاءة استخدام عنصر العمل، بل يمتد ليشمل التعبير عن كفاءة عناصر الإنتاج المستخدمة.

ويمكن التعبير عنها بالصيغة الآتية^(٤٣):

$$\text{إنتاجية العمل} = \frac{\text{كمية أو قيمة الانتاج}}{\text{عدد العاملين أو ساعات العمل المبذولة}}$$

أما لقياس كفاءة عنصر العمل فيمكن استخدام الصيغة الآتية:

$$\text{كفاءة عنصر العمل} = \frac{\text{عدد العاملين}}{\text{كمية الإنتاج الفعلية}}$$

^{٤١} - الويس عبوش هدايا وآخرون، المصدر السابق، ص ٧٩.

^{٤٢} - كاظم جاسم العيساوي، دراسات الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات، المصدر السابق، ص ٢٦١.

^{٤٣} - رواء طارق رشاد النعيمي، تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي للشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية في العراق للمدة ٢٠٠٣ - ٢٠٠٧، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد، ٢٠١٠، ص ٢٧.

وكذلك صعوبة فصل أثر عناصر الإنتاج على الانتاجية وتوليفة المنتج لاختلاف الموارد الداخلة في العملية الإنتاجية، لعدم تجانس وتمائل المنتجات يصعب استخدام تكلفة تلك العناصر ومعدلات التحويل النمطية. لذا لا بد من تطبيق الأسس المحاسبية في احتساب المؤشرات بصورة كلفة كل عنصر وعلاقتها بكلفة الإنتاج والعائد مما يخفف من أثر هذه الصعوبات. فيما يأتي أهم المعادلات المستخدمة لقياس هذه العناصر^(٤٤):

$$\text{أ- إنتاجية رأس المال} = \left(\frac{\text{المخرجات}}{\text{رأس المال المستثمر}} \right)$$

$$\text{ب- إنتاجية الاجر} = \left(\frac{\text{قيمة الانتاج}}{\text{اجمالي الرواتب و الاجور}} \right)$$

٣- معيار القيمة المضافة (Added Value Criterion)

وهي مجموعة من المؤشرات الاقتصادية المهمة التي تعبر عن القيمة التي أضافها المشروع الإنتاجي على المواد الأولية والخامات التي استخدمتها في العملية الإنتاجية والمصدرة لها من المشاريع الأخرى وذلك؛ لغرض تحويلها إلى منتجات ذات قيمة أعلى وقدرة أكبر على الإشباع وبالنتيجة فالقيمة المضافة ((بأنها القيمة الإنتاجية التي خلقها المشروع وأسهم بها مع غيره من المشروعات في خلق الإنتاج القومي))^(٤٥). ويمكن التمييز بين نوعين من القيمة المضافة وهي^(٤٦):

أ- القيمة المضافة الاجمالية (Total Added Value)

((بأنها عبارة عن القيمة التي تضاف الى قيمة السلع الوسيطة كنتيجة للعملية الإنتاجية، وهي تساوي قيمة الانتاج الاجمالي مطروحا منه قيمة مستلزمات الانتاج)).

القيمة المضافة الاجمالية = (قيمة الإنتاج - قيمة مستلزمات الانتاج).

ب- القيمة المضافة الصافية (Net Added Value)

هي عبارة عن القيمة المضافة الاجمالية بعد استبعاد الاندثارات منها. وتحسب وفق الصيغة الآتية:

القيمة المضافة الصافية = (القيمة المضافة الاجمالية - الاندثارات)

المبحث الثالث: قياس الاداء الاقتصادي لمعمل اسمنت بابل

١- نبذة مختصرة عن معمل اسمنت بابل (السدة سابقا):

يقوم معمل اسمنت بابل (السدة سابقا) بإنتاج مادة الاسمنت وهي مادة ناعمة الملمس لها القابلية على التصلب والتجمد في وجود الماء. وتعد صناعة الإسمنت صناعة أساسية، إذ انها تسهم في تكوين رأس المال

^{٤٤} - يوحنا عبد ال ادم وسليمان اللوزي، المصدر السابق، ص ٢٣٠ و ٢٣١.

^{٤٥} - شقيري نوري موسى واسامة عزمي سلام، دراسة الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات الاستثمارية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٢٤٣.

^{٤٦} - عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، طلال محمود كداوي، المصدر السابق، ص ٢٥١-٢٥٢.

الثابت كالمنشآت الصناعية والابنية، وأنشاء الجسور، وبناء الطرق ومشاريع الري الضخمة كالسدود والخزانات للسيطرة على مياه الري وتوليد الطاقة الكهربائية.

ويقع معمل سمنت السدة في موقع متوسط ما بين مركز قضاء المسيب وناحية سدة الهندية ويعود إداريا الى ناحية سدة الهندية التابعة لمحافظة بابل. اختير المعمل في ضوء عوامل موقعيه اهمها قرية من المواد الأولية المتمثلة بأحجار الكلس والجبس المتوفرة في محافظة كربلاء وضمن مسافات قريبة من المعمل، فضلاً عن وقوعه على طرق النقل البرية المتمثلة بالطرق المعبدة (طريق مسيب - محاويل - طريق مسيب - ابي غرق، طريق مسيب - كربلاء) وبجوار سكة حديد بغداد - بصرة) الى جانب اسواق محافظات كربلاء وبغداد والقادسية ومحافظة بابل نفسها.

تأسس المعمل من شركة كروب الألمانية عام ١٩٥٣ وبرأس مال قدره (٢ مليون دينار) وعلى مساحة قدرها (٤٣ دونم)، غير أنه لم يبدأ بالإنتاج الفعلي الا في عام ١٩٥٧ وبطاقة إنتاجية قدرها (١٢٠) ألف طن سنوياً، وقد زيدت طاقته الإنتاجية بعد أجراء سلسلة من التحسينات وبخاصة بعد قرارات التأميم الصادرة عام ١٩٦٤، إذ بلغت طاقته الإنتاجية (٢١٠) ألف طن عام ١٩٨٠، كذلك يقوم معمل سمنت سدة الهندية بإنتاج نوعين من الإسمنت العادي والمقاوم ويستخدم المعمل لإنتاج هذين النوعين من الإسمنت الطريقة الرطبة^(٤٧).

تحول المعمل الى القطاع العام بعد صدور قانون التأميم رقم ٧٤ لسنة ١٩٦٤ إذ أصبح المعمل يحمل اسماً جديداً هو معمل سمنت السدة وتم إلحاقه بالشركة العامة للإسمنت العراقية. وأستمر العمل بالإنتاج أذ زاد انتاجه من (٢٠٠) ألف طن عام ١٩٦٤ الى (٢٣٥٠٢٤) طن عام ١٩٧٩، ويعمل على إنتاج السمنت العادي والسمنت المقاوم للأملح.

٢- قياس معايير تقييم الاداء الاقتصادي

ان عملية تقييم الأداء الاقتصادي تعد مقياساً لقدرة الشركة الاقتصادية او الوحدة الإنتاجية على تحقيق الأهداف المحددة لها مسبقاً وذلك من خلال جملة من المعايير والمؤشرات الخاصة بتلك العملية، فضلاً عن ذلك الوقوف على كفاءة الشركة الاقتصادية في أداء أنشطتها من خلال معايير ومؤشرات خاصة.

أولاً: معايير الطاقات الإنتاجية Productivity

نسبة الانتفاع

توضح هذه النسبة العلاقة بين الطاقة الإنتاجية الفعلية والتصميمية أي مدى الانتفاع من الطاقة التصميمية والعلاقة هي:

$$\text{أ- نسبة الانتفاع} = \frac{\text{الطاقة الإنتاجية الفعلية 2016}}{\text{الطاقة الإنتاجية التصميمية 2016}} \times 100 = 201.6$$

$$= 100 \times \frac{69,688}{198,000}$$

^{٤٧} - مقابلة أجرتها الباحثة مع مدير قسم الإدارة في معمل إسمنت بابل ١٣-١١-٢٠١٨، مدير الحسابات فلاح.

$$= 35,19\%$$

$$\text{ب- نسبة الانتفاع } 2017 = \frac{\text{الطاقة الإنتاجية الفعلية } 2017}{\text{الطاقة الإنتاجية التصميمية } 2017} \times 100$$

$$= \frac{43,747,250}{198,000} \times 100$$

$$= 22,09\%$$

إذ يلاحظ أن الطاقة الفعلية لعام ٢٠١٦ قد بلغت (٦٩,٦٨٨) طن ونسبة انتفاع بلغت (٣٥,١٩%) وهي نسبة مرتفعة، وانخفضت هذه النسبة في عام ٢٠١٧ إذ بلغت (٢٢,٠٩%). إن الانخفاض الكبير في نسبة الانتفاع في عام ٢٠١٧ يعود إلى سوء الوضع الأمني ونقص مادة الوقود ونقص الطاقة الكهربائية أضف إلى ذلك تقادم المعمل وعدم إجراء أي عملية تأهيل للخطوط الإنتاجية وان الطاقة الإنتاجية التصميمية ما زالت ثابتة من الناحية النظرية وان الخطوط الإنتاجية في أحسن ظروف لها حالياً لا يمكن أن تنتج هذه الكمية.

نسبة التشغيل

وهي العلاقة بين الطاقة الإنتاجية المخططة والطاقة الإنتاجية التصميمية ويتم الحصول عليها وفقاً للصيغة الآتية:

$$\text{أ- نسبة التشغيل } 2016 = \frac{\text{الطاقة الإنتاجية المخططة}}{\text{الطاقة الإنتاجية التصميمية}} \times 100$$

$$= \frac{570,600}{198,000} \times 100$$

$$= 288,18\%$$

$$\text{ب- نسبة التشغيل } 2017 = \frac{\text{الطاقة الإنتاجية المخططة}}{\text{الطاقة الإنتاجية التصميمية}} \times 100$$

$$= \frac{790,488}{198,000} \times 100$$

$$= 399,23\%$$

ويوضح الجدول الآتي مؤشر الطاقة الإنتاجية لمعمل اسمنت بابل للمدة ٢٠١٦-٢٠١٧.

جدول (١) الطاقات الإنتاجية لمعمل اسمنت بابل للفترة (٢٠١٦-٢٠١٧).

٢٠١٧	٢٠١٦	السنوات القيمة
١٩٨,٠٠٠	١٩٨,٠٠٠	الطاقة التصميمية
٧٩٠,٤٨٨	٥٧٠,٦٠٠	الطاقة المخططة
٤٣,٧٤٧	٦٩,٦٨٨	الطاقة الإنتاجية الفعلية

١٧٨,٠٠٠	١٧٨,٠٠٠	الطاقة المتاحة
٢٢,٠٩	٣٥,١٩	نسبة الانتفاع%
٣٩٩,٢٣	٢٨٨,١٨	نسبة التشغيل%
٥,٥٣	١٢,٢	نسبة التنفيذ%
٨٩,٨	٨٩,٨	نسبة الاستغلال%
٢٧٢,٤	٤٤٦,٠٣٥	قيمة الانتاج
١٦٨,١٤٨	٣٠١,٥٧	الانتاجية الكلية
٥٣٤	٤٩٢	عدد العاملين
٣٧٥,٩٧٣	٢٦٤,٢٩٥	الاجور الرواتب
٢٦٣,٥٢٤	٥٦٢,٨٣٧	المواد الاولية
١٧١,٣٧٣	١٧١,٣٧٣	راس المال
٣٩,٣١١	١١٤,٩٢	انتاجية الدينار
٢٦١,٢٧٩	١٤٤,٠٦٥	اجمالي مستلزمات الانتاج
٨,١٨٥	٨,١٠١	الموجودات الثابتة

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات قسم الانتاج في معمل سمنت بابل.
من خلال الجدول (١) يتضح أن الطاقة الإنتاجية التصميمية اتسمت بالثبات النسب خلال عامي ٢٠١٦ و٢٠١٧، إذ بلغت (١٩٨,٠٠٠) طن. في حين أن الطاقة الإنتاجية المخططة في عام ٢٠١٦ إذ بلغت (٥٧٠,٦٠٠) طن وبنسبة تشغيل بلغت (٢٨٨,١٨%) وهي نسبة تعد منخفضة بسبب انخفاض الطاقة المخططة، إذ بلغت نسبة التشغيل في عام ٢٠١٧ (٣٩٩,٢٣%). وهي أعلى نسبة تشغيل خلال عام ٢٠١٧ وبطاقة تخطيطية بلغت (٧٩٠,٤٨٨) طن وذلك سبب رفع الطاقة التخطيطية.

نسبة التنفيذ

وهي العلاقة بين الطاقة الإنتاجية الفعلية والطاقة الإنتاجية المخططة ويتم الحصول عليها وفقاً للصيغة الآتية:

$$أ- \text{نسبة التنفيذ } ٢٠١٦ = \frac{\text{الطاقة الانتاجية الفعلية 2016}}{\text{الطاقة الانتاجية المخططة 2016}} \times ١٠٠$$

$$= \frac{٦٩,٦٨٨}{٥٧٠,٦٠٠} \times ١٠٠$$

$$= ١٢,٢\%$$

$$ب- \text{نسبة التنفيذ } ٢٠١٧ = \frac{\text{الطاقة الانتاجية الفعلية 2017}}{\text{الطاقة الانتاجية المخططة 2017}} \times ١٠٠$$

$$= \frac{٤٣,٧٤٧}{٧٩٠,٤٨٨} \times ١٠٠$$

$$= ٥,٥٣\%$$

ومن الجدول (٨) يتبين أن الطاقة الإنتاجية الفعلية إذ بلغت (٦٩,٦٨٨) طن سنوياً. وأن الطاقة الإنتاجية المخططة في عام ٢٠١٦ بلغت (٥٧٠,٦٠٠) طن ونسبة تنفيذ بلغت (١٢,٢%). وأن الطاقة الإنتاجية الفعلية حيث بلغت (٤٣,٧٤٧) طن سنوياً. وأن الطاقة الإنتاجية المخططة في عام ٢٠١٧ بلغت (٧٩٠,٤٨٨) طن ونسبة تنفيذ بلغت (٥,٥٣%).

نسبة الاستغلال

يتم الحصول على هذه النسبة أو المعيار وفق الصيغة الآتية:

$$\text{نسبة الاستغلال} = \frac{\text{الطاقة الانتاجية المتاحة}}{\text{الطاقة الانتاجية التصميمية}} \times 100$$

$$= 100 \times \frac{178,000}{198,000} = 89,8\%$$

يلاحظ من الجدول (٨) الخاص ببيانات معمل اسمنت بابل أن الطاقة المتاحة بلغت (١٧٨,٠٠٠) طن سنوياً خلال عامي ٢٠١٦ و٢٠١٧ وأن الطاقة التصميمية بلغت (١٩٨,٠٠٠) طن سنوياً خلال عامي ٢٠١٦ و٢٠١٧ إذ بلغت نحو ٨٩,٨ خلال المدة ٢٠١٦ و٢٠١٧ وهي نسبة جيدة.

ثانياً: معيار الإنتاجية Productivity Criterion

يقيس هذا المعيار إنتاجية عناصر الإنتاج أي يوضح قيمة الإنتاج الناتجة عن استخدام وحدة نقدية واحدة من قيمة عناصر الإنتاج^(٤٨). وأهم مؤشرات معيار الإنتاجية هي:

١- الإنتاجية الكلية (Total Productivity)

التي يتم بموجبها قياس العلاقة بين كافة عناصر الانتاج ومستلزماته المستخدمة في العمليات الإنتاجية، والانتاج المتحقق من العمليات الإنتاجية التي يقوم بها مشروع الأعمال، أي أن القياس يتم باستخدام العلاقة بين كافة مدخلات العمليات الإنتاجية، وكافة مخرجات هذه العمليات، وبالتالي الإنتاجية الكلية يمكن قياسها من خلال الصيغة الآتية^(٤٩):

$$\text{أ- الإنتاجية الكلية } ٢٠١٦ = \left(\frac{\text{قيمة الانتاج}}{\text{قيمة عوامل الانتاج}} \right)$$

$$= \frac{46,035}{1.479} = 30,157$$

$$\text{ب- الإنتاجية الكلية } ٢٠١٧ = \left(\frac{\text{قيمة الانتاج}}{\text{قيمة عوامل الانتاج}} \right)$$

$$= \frac{272.4}{1.620} = 168,148$$

^{٤٨} - شاكر حمود صلال جبر العبيدي، المصدر السابق، ص ١٢٣.

^{٤٩} - فليح حسن خلف، اساسيات دراسة الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط ١، الاردن، ٢٠١٢، ص ٣١٠.

٢- الإنتاجية الجزئية (Partial Productivity)

التي يتم بموجبها قياس العلاقة بين مخرجات العملية الإنتاجية، أي الإنتاج الكلي، بين كل عنصر من عناصر الانتاج ومستلزماته المستخدمة في العملية الانتاجية (٥٠).

أولاً- إنتاجية العامل Factor productivity

يمكن قياس إنتاجية العمل من خلال الصيغة الآتية:

$$\text{أ- إنتاجية العامل} = \frac{\text{كمية أو قيمة الإنتاج}}{\text{عدد العاملين}} = ٢٠١٦$$

$$= \frac{٤٤٦,٠٣٥}{٤٩٢} = ٠,٩٠٦$$

$$\text{ب- إنتاجية العامل} = \frac{\text{كمية أو قيمة الإنتاج}}{\text{عدد العاملين}} = ٢٠١٧$$

$$= \frac{٢٧٢,٤}{٥٣٤} = ٠,٥١٠$$

ثانياً- إنتاجية الأجر Pay productivity

ويحسب وفق الصيغة الآتية:

$$\text{أ- إنتاجية الاجر} = \frac{\text{قيمة الانتاج}}{\text{اجمالي الرواتب و الاجور}} = ٢٠١٦$$

$$= \frac{٤٤٦,٠٣٥}{٢٦٤,٢٩٥}$$

$$= ١,٦٨٧$$

$$\text{ب- إنتاجية الاجر} = \frac{\text{قيمة الانتاج}}{\text{اجمالي الرواتب و الاجور}} = ٢٠١٧$$

$$= \frac{٢٧٢,٤}{٣٧٥,٩٧٣}$$

$$= ٠,٧٢٤$$

ثالثاً- إنتاجية رأس المال Capital productivity

ويحسب وفق الصيغة الآتية:

٥٠- فليح حسن خلف، المصادر السابق، ص ٣١٢.

$$١- إنتاجية رأس المال ٢٠١٦ = \left(\frac{\text{قيمة الإنتاج}}{\text{رأس المال}} \right)$$

$$= \frac{٤٤٦,٠٣٥}{١٧١,٣٧٣} = ٢,٦٠٢$$

$$٢- إنتاجية رأس المال ٢٠١٧ = \left(\frac{\text{قيمة الإنتاج}}{\text{رأس المال}} \right)$$

$$= \frac{٢٧٢,٤}{١٧١,٣٧٣} = ١,٥٨$$

٣- معيار القيمة المضافة (Gross Added Value)

ويمكن حساب القيمة المضافة من خلال المعادلة التالية:

أ- القيمة المضافة ٢٠١٦ = قيمة الانتاج - قيمة مستلزمات الانتاج

$$= ٣٠١,٩٧ - ١٤٤,٠٦٥ = ١٥٧,٩٠٥$$

ب- القيمة المضافة ٢٠١٧ = قيمة الانتاج - قيمة مستلزمات الانتاج

$$= ١١,١٢١ - ٢٦١,٢٧٩ = -٢٥٠,١٥٨$$

النتائج والتوصيات

اولاً: الاستنتاجات

١- حقق المعمل من الوصول إلى رفع نسبة الانتفاع عالية في عام ٢٠١٦ (٣٥,١٩) إذ استطاع استغلال كامل الطاقة الانتاجية.

٢- نستنتج من خلال احتساب معيار الإنتاجية الكلية بان هناك ارتفاع مستوى الإنتاجية الكلية (٣٠١,٥٧) مليون دينار عراقي في عام ٢٠١٦ اي حقق زيادة بمقدار (٠,٥٧) دينار عراقي ان هذا الارتفاع في الانتاجية الكلية له اسبابه التي اهمها ارتفاع اسعار المكائن والمعدات المستخدمة في العملية الانتاجية فضلاً عن الرواتب والاجور التي في تزايد مستمر.

٣- من خلال احتساب معيار إنتاجية الاجر نستنتج هناك ارتفاع في عام ٢٠١٦ لتصل الى (١,٦٨٧) مليون دينار عراقي.

٤- حقق معمل اسمنت بابل معدلاً جيداً للعائد على رأس المال في عام ٢٠١٦ (٢,٦٠٢).

ثانياً: التوصيات

١- ضرورة قيام إدارة معمل اسمنت بابل باستغلال الطاقة الإنتاجية بصورة أفضل للحيلولة دون هدر في الموارد المتاحة وذلك من خلال تنفيذ برنامج شامل لتحديث الأقسام الإنتاجية في المعمل.

٢- ضرورة إجراء عملية تقييم الأداء الاقتصادي بشكل شامل ودوري وبالتعاون مع الجهات المختصة بذلك، من أجل تحديد الانحرافات والتعديلات التي طرأت على المشروع وعلى استثماراته وآثارها على الأداء الاقتصادي والاجتماعي للمشروع.

- ٣- الاهتمام بالبحث والتطوير؛ لأن ذلك سيساعد إدارة المعمل على زيادة الإنتاج وتحسين نوعيته من خلال تطوير التكنولوجيا المحلية وتحسين وسائل الإنتاج.
- ٤- مواكبة التطورات التكنولوجية في عملية التصنيع العالمية للوقوف بوجهة المنافسة الدولية.

المصادر

أولاً: الكتب العربية

- ١- ال ادم، يوحنا عبد و اللوزي، سليمان، دراسة الجدوى الاقتصادية وتقييم كفاءة أداء المنظمات، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثانية، عمان، ٢٠٠٥.
- ٢- الزبيدي، حمزة محمود، التحليل المالي لأغراض تقييم الأداء والتنبؤ بالفشل، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط٢، عمان، ٢٠١٠.
- ٣- السماك، محمد أزهر واخرون، أساسيات الاقتصاد الصناعي، جامعة الموصل، مديرية مطبعة الجامعة، ١٩٨٤.
- ٤- العيساوي، كاظم جاسم، دراسات الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات تحليل نظري وتطبيقي، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط٢، عمان، ٢٠٠٥.
- ٥- العيساوي، كاظم جاسم، الاقتصاد الإداري، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، عمان، ٢٠٠٨.
- ٦- القرشي، مدحت، الاقتصاد الصناعي، دار وائل للنشر، ط٢، عمان، ٢٠٠٥، ص ٢٥٠.
- ٧- الكرخي، مجيد عبد جعفر، تقييم كفاءة الأداء في الوحدات الاقتصادية، ط١، دار الكتب للطباعة، بغداد، ٢٠٠٠.
- ٨- المطيري، مشعل جهز، تحليل وتقييم الأداء المالي لمؤسسة البترول الكويتية، جامعة الشرق الأوسط، بدون دارالطبع، ٢٠١١.
- ٩- النجار، يحيى غني، تقييم المشروعات تحليل معايير ومؤشرات دراسات الجدوى وتقييم كفاءة الأداء، بغداد، ط١، ٢٠١٠.
- ١٠- خلف، فليح حسن، اساسيات دراسة الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، الاردن، ٢٠١٢.
- ١١- عبد الكريم، عبد العزيز مصطفى، كدواي، طلال محمود، تقييم المشاريع الاقتصادية دراسة في تحليل الجدوى الاقتصادية وكفاءة الاداء، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٩.
- ١٢- موسى، شقيري نوري و سلام، اسامة عزمي، دراسة الجدوى الاقتصادية وتقييم المشروعات الاستثمارية، دار المسيرة للنشر و التوزيع والطباعة، عمان، ط ١، ٢٠٠٩.

ثانياً: البحوث والمجلات المنشورة

١٣- احمد، يونس علي، تقييم النشاط الاقتصادي لمعمل الجص الفني في بازيان السليمانية للفترة ١٩٩٩-٢٠٠٩، مجلة العلوم الاقتصادية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة السليمانية، العدد ٢٧، المجلد السابع، ٢٠١٠.

١٤- الحسون، عادل محمد، مؤشرات ومعايير رقابة وتقييم الأداء على قطاع التشييد، ديوان الرقابة المالية، بغداد، ١٩٩٠.

١٥- العاني، ثائر محمود رشيد و عبد الله، علي وهيب، تقييم كفاءة الاداء الاقتصادي لشركة دياي العامة للصناعات الكهربائية للمدة ٢٠٠٠-٢٠١٠، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، المجلد ٢٠، العدد ٧٥، ٢٠١٤.

١٦- حسين، محمود احمد، قياس كفاءة أداء مستشفيات صلاح الدين باستخدام اسلوب (تحليل البيانات التطويقي-دراسة حالة)، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة تكريت، المجلد ٥، العدد ١٤، ٢٠٠٩.

١٧- حداد، حامد عبيد، تقييم كفاءة الأداء في الشركة العامة للصناعات الجلدية في العراق للمدة من ٢٠٠٠-٢٠٠٩ (دراسة ميدانية)، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة بغداد، المجلد ٢٠، العدد ٧٥، السنة ٢٠١٤.

١٨- ديوان الرقابة المالية: دليل المصطلحات الرقابية، جمهورية العراق، بغداد، ١٩٩٠.

١٩- عبد الستار، رجاء رشيد، تقويم كفاءة الأداء من خلال معيار العائد دراسة حالة خاصة في الشركة العامة لصناعة البطاريات، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، جامعة بغداد، العدد ١٩، ٢٠٠٩.

٢٠- هدايا، الويس عبوش واخرون، "استخدام بعض المعايير في تقويم كفاءة الأداء في الشركة العامة لصناعة الأسمدة الشمالية"، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، جامعة تكريت كلية الإدارة والاقتصاد، المجلد (٥)، العدد (١٤)، ٢٠٠٩.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح

٢١- الاسدي، كريم نجم خلف، "تقويم أداء نشاط قطاع الخدمات البلدية في محافظة بغداد -بلدية الكرادة"، اطروحة دكتوراه، مقدمة الى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة سانت كلمينتس، بغداد، ٢٠١٠.

٢٢- البعاج، طاهر جاسب مكّي، تقييم كفاءة الاداء الاقتصادي لمعمل إسمنت البصرة دراسة تطبيقية للمدة ١٩٩٩-٢٠١٠، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الادارة والاقتصاد في جامعة البصرة، ٢٠١٢.

٢٣- البكري، صفوان محمد، التقييم الاقتصادي- المالي للشركة العامة لصناعة البطاريات للمدة (١٩٩٢ - ٢٠٠٢)، رسالة ماجستير، مقدمة الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

٢٤- الجبوري، زياد خلف خليل، تقييم كفاءة الاداء للشركة العامة لصناعة الادوية والمستلزمات الطبية SDI للمدة ١٩٨٠-١٩٩٩، رسالة ماجستير، مقدمة الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

٢٥- الحيدري، حنان عبد الباقي مصطفى، تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي للشركة العامة للإسمنت العراقية للمدة (١٩٩٦-٢٠٠٥)، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ٢٠٠٨.

٢٦- العبيدي، شاکر حمود صلال جبر، تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي لمعمل اسمنت كبيسة للمدة ١٩٩٦-٢٠٠٩، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الادارة والاقتصاد في جامعة الانبار، ٢٠١٠.

٢٧- النعيمي، رواء طارق رشاد، تقييم كفاءة الأداء الاقتصادي للشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية في العراق للمدة ٢٠٠٣-٢٠٠٧، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد، ٢٠١٠.

٢٨- الوائلي، احمد عبد الله سلمان، اختيار مؤشرات ومعايير تقييم الأداء الاقتصادي المالي (دراسة تطبيقية في شركة صناعة الاصباغ الحديثة / قطاع مختلط)، رسالة ماجستير، مقدمة الى مجلس كلية الادارة والاقتصاد في جامعة بغداد، ٢٠٠٣.

٢٩- جبارة، سيد محمد، تصميم نظام لتقويم الأداء بالمصارف التجارية في ضوء مخرجات نظم المعلومات المحاسبية، دراسة تطبيقية في مصرف الرشيد، رسالة ماجستير في المحاسبة، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٢.

٣٠- مرزا، شروق عباس، تقييم الأداء للمشاريع الصناعية النسيجية في واسط، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كلية الادارة والاقتصاد، جامعة واسط، ٢٠١٢.

رابعاً: المقابلات:

٣١- مقابلة اجرتها الباحثة مع مدير قسم الإدارة في معمل اسمنت بابل.

٣٢- مقابلة اجرتها الباحثة مع مدير قسم الانتاج في معمل اسمنت بابل.

خامساً: المصادر الاجنبية

33- Australian National Audit Office, Performance Auditing, sydney, June, 1992.

34- Calvin Enger, Managerial Accounting, Richard D. Irwin, Illinois, 1987.

35- Evans, R. James, Applied Production and Operations management, fourth Edition, U.S.A: west publishing company, 1993.

**انتهاك العقد النفسي وتأثيره على تهكم الزبون -دراسة تحليلية لأراء
عينة من زبائن شركة آسيا سيل للاتصالات اللاسلكية-**

*Psychological contract violation and its effect on
customer's cynicism: An analytical study of the views of
a sample of subscribers' Asia Cell Telecommunications
Company*

أ.م.د. حسين علي عبد الرسول^(١)

Assist. Prof. Hussein Ali Abed-Al-Rassool

صفا أمجد أكرم الغانمي^(٢) Safa A. Akram Al-Ghanimi

المستخلص

تهدف الدراسة الحالية لمعرفة مدى انعكاس ظاهرة انتهاك العقد النفسي على تهكم الزبون. وركزت الدراسة على مشكلة أساسية حاولت من خلالها معرفة مستوى إدراك الزبائن لانتهاك العقد النفسي، وتأثيره على تهكم الزبائن. وتم اختيار زبائن شركة آسيا سيل في منطقة الفرات الأوسط كمجتمع للدراسة، واختيرت عينة من (254) مشترك تم اختبار فرضية الدراسة الرئيسية عليهما والتي تنص على انه تنعكس ظاهرة انتهاك العقد النفسي على نية على تهكم الزبائن. وتم اختبار الفرضيات بعد تحليل بيانات الدراسة التي اعتمدت على مقياس تجريبية من الدراسات السابقة، ووظفت بعد الأدوات والأساليب الإحصائية وفق برنامج (spss.ver.23) وتوصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات كان من أهمها إن المشاعر السلبية التي غالبا ما تعترى الزبائن نتيجة انتهاك الشركة لالتزاماتها بالوعود التي قطعتها بالتهكم على الشركة. وفي ضوء ذلك قدمت الدراسة مجموعة من التوصيات كان من أهمها ضرورة العمل على تحسين صورة الشركة

^١ - كلية الإدارة والاقتصاد/جامعة القادسية.

^٢ - كلية الإدارة والاقتصاد/جامعة القادسية.

وخلق انطباعات ايجابية من خلال الايفاء بوعودها التي قطعتها في الرسالة الترويجية والتسويقية، والسعي لتلبية احتياجات الزبائن ورغباتهم الخاصة لخلق الرضا والقبول التام بما يمنع الزبائن من التهمك على الشركة. الكلمات المفتاحية: انتهاك العقد النفسي، تهكم الزبون.

Abstract

The present study aims to determine the extent to which the phenomenon of violation of the psychological contract is reflected on customer's cynicism. The study focused on a fundamental problem in which tried to determine the level of customer perceived of violation of the psychological contract, and its effect on customer's cynicism.

Asia cell customers were selected in the Middle Euphrates region as a study population. A sample of 254 subscribers was selected. The study hypothesis was chosen, which states that the phenomenon of violating the contract is reflected in the switching intent through the customer's cynicism. The hypotheses were tested after the analysis of the study data which was based on the trial scale of the previous studies, and was used after the statistical tools and methods according to the program spss.ver.

The study concluded with a number of conclusions, the most important of which is that the negative emotions that customers often feel as a result of the company's violation of its promises made may lead them to customer's cynicism.

A number of recommendations were made. The most important of these was the need to improve the image of the company and create positive impressions by fulfilling its promises made in the promotional message and marketing, and seeking to meet the needs of customers and their own desires to create satisfaction and full acceptance to prevent customers from Well.

Keywords: Violation of the psychological contract, cynicism of the customer.

المقدمة

تهدف الدراسة الحالية الى تقديم إطار شامل لالتقاط طبيعة التوقعات حوله شركة آسيا سيل وعلى هذا الأساس سوف تركز الدراسة الحالية على الزبون نفسه، وما الذي يجعل الزبون يشعر بقلّة او عدم ميوله الى الاستثمار العاطفي او سلوكي في علاقته مع الشركة، وبذلك سوف يؤدي ذلك الى انسحاب الزبون ليقبل من مستويات الضرر المحتملة في المستقبل بحيث تعد خطوة معرفية نهائية في عملية صنع القرار حيث يعد سلوكاً فعلياً أي أنها ظاهرة ديناميكية وليس كيان ثابت.

ينتهك العقد النفسي من قبل الزبون عندما لا تفي الشركة باحتياجات الزبائن خاصة في المراحل الاولى من تعامل الزبون مع الشركة، حيث تنشأ سلوكيات معينة. حيث تضمنت الدراسة الحالية متغيرين، اذ

===== انتهاك العقد النفسي وتأثيره على تحكم الزبون -دراسة تحليلية لأراء عينة من زبائن شركة آسيا سيل للاتصالات اللاسلكية- يتضمن المتغير الاول انتهاك العقد النفسي، اما المتغير الثاني فانه يبين تحكم الزبون، كما تم اختيار عينة من زبائن شركة آسيا سيل في منطقة الفرات الأوسط كمجتمع للدراسة فقد بلغت العينة (254) زبون. وعلاوة على ذلك فان الدراسة الحالية تحول اختبار تساؤل مهم وهو هل توجد علاقة ارتباط وتأثير بين انتهاك العقد النفسي و تحكم الزبائن على الشركة؟

والإجابة عن التساؤل أعلاه فقد قسمت الدراسة الحالية على محاور، خصص الأول منها (منهجية الدراسة) تشمل منهجية الدراسة (بمشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها وفرضياتها والأساليب الاحصائية) اما المحور الثاني فقد خصص للتأثير نظري ومفاهيمي لكل من (انتهاك العقد النفسي) و (تحكم الزبون) اما المبحث الثالث فقد خصص للجانب العملي للدراسة (الفحص الاولي لمدى صدق المقياس وثباتها) و (الوصف الاحصائي) و اختبار نموذج العلاقة والتأثير بين متغيرات الدراسة) اما المحور الرابع (الاستنتاجات والتوصيات).

المحور الأول: منهجية الدراسة

أولاً: مشكلة الدراسة:

تتفق معظم البحوث والدراسات التسويقية المعاصرة إن الهدف الأساسي من أي نشاط تسويقي هو بناء علاقة رصينة مع الزبائن تقوم على الرضا والولاء وذلك لخلق حواجز دخول للمنافسين وتوفير قاعدة تدعم المنظمة من خلال الدعاية الشفوية التي يمارسها الزبائن لتحسين صورة الشركة أمام الآخرين. ولعل صناعة الاتصالات اللاسلكية من أكثر الصناعات الخدمية التي تسعى لتحقيق ذلك الهدف، نظراً لما تشهده من تطورات تكنولوجية وتنافسية واجتماعية واقتصادية جعلت فيها محوراً تنافسياً يجذب الكثير من الاستثمارات والايادات، والسوق العراقية في مجال الاتصالات أصبحت سوقاً واعدة ومربحة بحسب خصوصية المستهلك العراقي الباحث عن التغيير في ضوء ما يتاح له من خيارات متنوعة وسهلة جعلته اللاعب الحقيقي. إي أن خيارات التحول من مزود خدمة اتصال لآخر لم تكن صعبة في البيئة التسويقية المحلية نظراً لتشابه الخدمات المقدمة من جانب وكثرة الخيارات المتاحة من جانب آخر. لذا فان التزام الشركات المقدمة للخدمة أصبح أمر مهم وضروري لضمان ثقة المستهلك وديمومة العلاقة معه. وعليه فان الدراسة الحالية تحاول التركيز على قضية جوهرية من خلال طرح التساؤل الآتي: "هل ان انتهاك العقد النفسي يؤثر على تحكم الزبائن؟".

وتبين من هذا التساؤل التساؤلات الفرعية الآتية:

١. ما مستوى إدراك العينة لانتهاك العقد النفسي؟
٢. ما مستوى تحكم الزبون على الشركة؟
٣. هل هناك علاقة ارتباط معنوي بين انتهاك العقد النفسي و تحكم الزبون على الشركة؟
٤. هل توجد علاقة تأثير معنوي بين انتهاك العقد النفسي و تحكم الزبون على الشركة؟

ثانياً: أهمية الدراسة

أ- أهمية النظرية: تتضح الأهمية النظرية للدراسة في ضوء المتغيرات التي تناولتها بالبحث التطبيقي، وذلك لتوضيح وتفسير آخر الاسهامات العلمية (التطبيقية والنظرية) في مجال ادارة التسويق وسلوك المستهلك حول الابعاد الاتية:

١. انتهاك العقد النفسي والذي يعد من المتغيرات المهمة في مجال سلوك المستهلك، اذ تم تناوله في مجال السلوك التنظيمي بشكل عام وقد اتضح بين الدراسات بضرورة البحث في هذا المتغير في مجال التسويق وسلوك المستهلك.
 ٢. التركيز على عنصر جوهري وهو تحكم الزبون والذي اصبح يمثل مكانة خاصة في ادبيات علاقات الزبون والتسويق بالعلاقات وخصوصاً تلك الدراسات التي تؤكد على العائد على الاستثمار في علاقات الزبون.
 ٣. كما يمثل الموضوع أهمية خاصة نتيجة افتقار الدراسات المحلية والعربية لمثل هذه المتغيرات، والربط بينهما في اطار موحد وهو ما تخلو منه حتى الدراسات الاجنبية حسب الاطلاع الباحث.
- ب- الأهمية التطبيقية: تنبثق الأهمية التطبيقية من الدور المهم لقطاع الاتصالات اللاسلكية في الجانب الاقتصادي والخدمي وكما هذا القطاع الاكثر نمواً بين القطاعات الاخرى خصوصاً مع بروز ظاهرة الانفجار التكنولوجي الذي يشهده العالم.

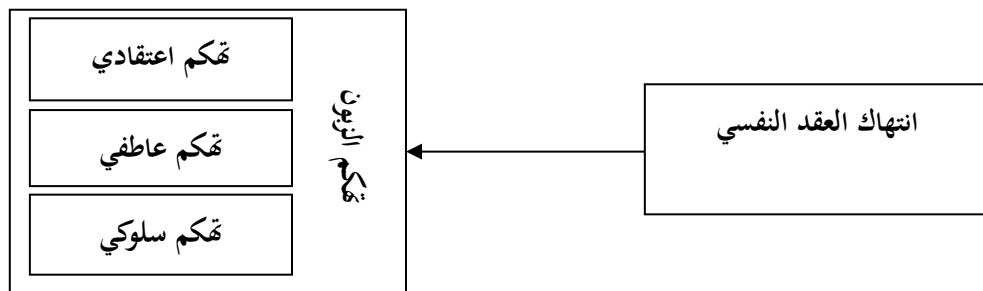
ثالثاً: اهداف الدراسة

- تهدف الدراسة الحالية بشكل رئيسي لتحديد اثر انتهاك العقد النفسي على نية التحول وتنبثق منه مجموعة من الأهداف الفرعية وهي على النحو الاتي:
١. تحليل مستوى ادراك العينة لانتهاك العقد النفسي من قبل الشركة.
 ٢. التحقق من مستوى تحكم الزبون على الشركة.
 ٣. تحديد تأثير انتهاك العقد النفسي على تحكم الزبون على الشركة.
 ٤. تقديم اطار نظري وتطبيقي يفيد الباحثين والممارسين على مستوى المتغيرات المبحوثة.

رابعاً: المخطط الفرضي للدراسة وفرضياتها

١. مخطط الدراسة الفرضي:

على ضوء مشكلة الدراسة وأهدافها تم بناء أنموذج للدراسة للتوضيح طبيعة التأثير والعلاقة بين متغيرات الدراسة، حيث ان انتهاك العقد النفسي يؤثر على نية التحول وكما هو موضح في الشكل(١)



الشكل (١) المخطط الفرضي للدراسة

٢. فرضيات الدراسة:

من اجل تحقيق اهداف الدراسة واختبار نموذجها الفرضي، اعتمدت الدراسة على فرضية اساسية مفادها "تنعكس ظاهرة انتهاك العقد النفسي على تحكم الزبون" تنبثق منها الفرضيات الآتية:

١-٢ - لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين انتهاك العقد النفسي و تحكم الزبون.

٢-٢ - لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين انتهاك العقد النفسي و تحكم الزبون.

خامساً: الاساليب الاحصائية

لجأ الباحث الى استخدام عدد من الاساليب الاحصائية المناسبة بقصد تحليل اجابات عينة الدراسة وكما هي موضحة في الجدول (2)

جدول (2) الاساليب الاحصائية

الغرض	التحليل الاحصائي	البرنامج المستخدم او المعادلة او الطريقة
تحديد حجم العينة	طريقة الجداول	Sekaran, 1982
	التحليل العاملي الاستكشافي	Spss. v.25
صدق المقياس وثباته	الثبات البنائي الإستبانه	معامل ارتباط ألفا كرونباخ
	ثبات فقرات الإستبانه	الارتباط الفقرات بالمتغير وارتباط الفقرات بالبعد
الوصف الإحصائي	الوسط الحسابي	Spss. v.25
	الانحراف المعياري والنسبة المئوية والاشكال	Spss. v.25
اختبار الفرضيات	معامل الارتباط البسيط	Spss. v.25
	معامل الإنحدار	Amos

سادساً: وصف مجتمع الدراسة ومبررات اختياره

إن اختيار ميدان الدراسة من المراحل المهمة في البحث العلمي، إذ تعتمد دقة النتائج على الاختيار المناسب لميدان الدراسة، ومدى انسجامه مع متغيرات الدراسة. تأسست شركة اسيا سيل في سنة 1999 على يد رجل الاعمال فاروق مصطفى رسول وفي 2007 اصبح لدى الشركة العديد من الانشطة من ضمنها خدمة الزبائن بشكل مميز، حيث تم ادراج شركة اسيا سيل كأول شركة اتصالات في السوق، وإنها تعد المورد الرئيسي للخدمات في العراق، حيث حققت تغطية شاملة لكافة اجزائه، حيث انها تقدم الخدمة في جميع محافظات العراق الثمانية عشر، وان ما بين فترة 2014-2017 اطلقت خدمة الجيل الثالث G3 حيث تشكل حوالي 99 % من قاعدة مشتركيها وكذلك تتضمن عروض خطوط الدفع المسبق لتناسب مع قطاعات مختلفة من السوق.

احتلت شركة اسيا سيل المرتبة الاولى في سوق الاتصالات وإنها تعكس حقيقة بأنها جديرة بالثقة للزبائن، وكذلك تتوفر لدى شركة اسيا سيل مراكز تقديم الخدمات للزبائن بصورة متطورة على مدار 24 ساعة على كافة ايام الاسبوع لخدمة وتلبية احتياجات وطلبات الزبائن. وعلى هذا الأساس وقع الاختيار على شركة اسيا سيل للاتصالات المتنقلة في العراق لتمثل مجتمع الدراسة لعدة اسباب الاتي:

١. هذه الشركة من اكبر الشركات المنافسة في السوق المحلية.
٢. انها تساهم بشكل كبير في زيادة النمو الاقتصادي على ما تجنيه من الارباح وما تقدمه من استثمارات كبيرة وواعدة، فهي توفر فرص عمل من جانب وتسهم في تشجيع الاستثمار من جانب آخر.
٣. وان مجتمع الدراسة يتلاءم مع متغيرات الدراسة وطبيعتها، كما ان الشركة ابدت استعدادها للتعاون في تقديم بيانات تفصيلية عن طبيعة عمل الشركة.

سابعاً: عينة الدراسة ووصفها

تمثل عينة الدراسة جزء من المجتمع وقد اختيرت عينة اختصاراً للوقت والجهد التي تبذلها الباحثة في جميع المعلومات وصعوبة الوصول لجميع المجتمع، فقد اختارت الباحثة عينة عشوائية من المجتمع الأصلي. وتم تحديد حجم العينة وفق مدخل (Sakaren, 1982) والذي يوظف جداول خاصة في تحديد حجم العينة بشكل مباشر، وينص هذا المدخل بأن المجتمع إذا كان أكبر من (100) يجب أن يكون حجم العينة (250) مشاهدة.

لذا حاولت الدراسة الحصول على (300) استبانة، تم استخدام (Google Drive) كخدمات تخزين سحابي مقدم من شركة (Google). و تسمح خدمة (Google Drive) في انشاء وتعديل وتخزين الملفات حيث انها امانة في عدم الوصول اليها ألا من قبل المالك، يتم استخدام (Google Drive) على حساب (Google) عن طريق كتابة البريد الالكتروني Gamil ثم بعد الدخول على (Google Drive) نضغط على انشاء وبعد ذلك نقوم بإدخال الاسئلة وبعد الانتهاء من تصميم الاستبانة نستطيع بعد ذلك نشر على وسائل التواصل الاجتماعي. ويمكن توضيح الخصائص الديمغرافية للعينة كما هو موضح في الجدول (2):

جدول (2) وصف عينة الدراسة

ت	المتغيرات	الفئات المستهدفة	التكرار	النسبة
١	النوع الاجتماعي	ذكور	139	54,7 %
		اناث	115	45,3 %
		المجموع	254	100 %
2	الفئة العمرية	من 30 فما دون	96	37 %
		31-40	67	26.4 %
		41-50	55	21.7 %
		51-60	36	14.2 %
		المجموع	254	100 %
3	التحصيل العلمي	دراسات عليا	81	31.9 %
		بكالوريوس	90	35.4 %
		دبلوم	47	18.4 %
		اعدادية فاقل	36	14.2 %
		المجموع	254	100 %
4	طبيعة الخدمات	جيده	162	63.8 %
		سيئة	92	36.2 %
		المجموع	254	100 %

ويلاحظ من الجدول(2) ما يأتي:

أ- النوع الاجتماعي: ان الفئة المستهدفة الاكثر من مجموع الافراد الباحثين هي الذكور وتقدر ب (55 %) في حين تقدر نسبة الاناث (45 %)، مما يدل على ان كان توزيع الاستبانة على المجتمع الدراسي وبنسبة تقارب بين الذكور والاناث.

ب- الفئة العمرية: ان الفئة المستهدفة الاكثر من مجموع الافراد الباحثين هي من (30 فأقل) وتقدر ب(38 %) في حين تقدر نسبة اقل (26 %) أي الفئة بين (31-40) ثم تأتي الفئة اقل بين (41-50)، والتي تمثل نسبة (22 %) ثم الفئة الاخيرة (14 %)، أي الفئة (51-60)، من خلال الاجابات نرى اكثر فئة تتعامل مع الشركة هي فئة الشباب مما يدل على انها تلبي احتياجات الشريحة الاكبر في المجتمع وبالتالي تعكس قدرة الشركة المبحوثة على تسليط الضوء على الفئة الاكبر وبالتالي تصبح سهولة تلبية الاحتياجات وتقديم عروض اكثر.

ت- التحصيل العلمي: ان الفئة المستهدفة الاكثر من مجموع الافراد الباحثين هي من فئة البكالوريوس والتي تقدر ب(35 %) ثم تليها فئة (32 %) اي فئة الدراسات العليا ثم تأتي فئة (19 %) وهي فئة الدبلوم ثم الفئة الاخيرة 14 % اي الفئة الاعدادية فاقل، بما ان الشركة تلبي احتياجات الشباب فان تحصيلهم

العلمي بكالوريوس اي يمتلكون القدرة على فهم فقرات الاستبانه مما يعكس ايجابيا على اجاباتهم وبالتالي على النتائج.

ج- طبيعة الخدمات: تشكل طبيعة الخدمات ان النسبة الاعلى جيدة تقدر ب (64 %) اما النسبة الاقل تقدر ب (36 %) اي سيئة، عينة الدراسة ترى انها افضل في طبيعة الخدمات. نسبة الزبائن الذين يرون ان الشركة لا تلبي متطلبات الزبائن تقدر (40 %) اما نسبة الزبائن الذين يرون ان الشركة تلبي متطلباتهم تقدر (29 %) اما الزبائن الذين يرون انها بإمكان تلبية توقعاتهم تقدر ب (31 %) وهذا يعني ان النسبة الاعلى هي ان الشركة لا تلبي توقعاتهم، ان الشركة تمتلك المهارة والمعرفة باحتياجات الزبائن لكنها لا تلبي متطلباتهم.

المحور الثاني: التأصيل النظري والفكري للدراسة

اولا: نشأة مفهوم العقد النفسي وتطوره

على الرغم من أن العقد النفسي كمصطلح قد ظهر في بداية الستينيات عندما قدمه Argyris في عام (1960) على انه يمثل الفهم المشترك بين الطرفين اتجاه ما ينبغي ان يقوم به الطرف الاخر، إلا ان الباحثين يرجعون الفضل في ولادة العقد النفسي كفكرة الى ثلاثينيات القرن الماضي، حين قدم Bernards في عام (1938) نظرية التوازن النسبي التي افترض فيها ان استمرار مشاركة الافراد في المنظمة مرهون بما تقدمه لهم من مكافآت كافية، ووفقاً لأفكار (Bernards) أن العلاقة النفسية بين الافراد وأرباب العمل يكون في تطور دائم نتيجة لعملية التبادل التعاونية فيما بينهم، وان الفرد هو عنصر استراتيجي للمنظمة، لذا يمكن للمنظمة ان تعظم مساهمة الفرد الانتاجية والتعاونية من خلال تقديمها الاغراءات والمكافآت المادية والمعنوية، وفي بداية الستينيات من القرن الماضي قدم الباحثون مصطلح العقد النفسي كمعنى لتحديد الفهم الضمني بين الطرفين حوله قضية معينة، اذ لاحظ (Bird,2005:150) بان العاملين يحافظوا على معدلات انتاج عالٍ وشكوى اقل في حال كون المنظمات تحترم قواعد العمل التي تحافظ على اجر عادل ومعاملة عادلة.

ويلاحظ ان المرحلة الاولى من مراحل العقد النفسي ركزت على اهمية فهم منظور العاملين ومنظور المنظمات، وكذلك اكدت على مناقشة كيف يمكن للمنظمات التعبير عن العقد النفسي من خلال ثقافتها، وقد وصف العقد النفسي في البحوث المعاصرة بانه سمة مميزة في تحديد موقعة على مستوى الفرد، حيث اتخذ من العقد النفسي كنموذج ذهني للتبادل بما يساهم به الفرد في تلك العلاقة بدلا من التبادل المتفق عليه بين المنظمات والعاملين (Biriling,2008:17).

اما (Malhota al,2017:150) قدم العقد النفسي للزبون على انه ايمان الزبائن بالالتزامات المتبادلة بين الطرفين، اي انه مجموعة مفترضة من الالتزامات المتبادلة بين الطرفين، اذ يعد العقد النفسي نظاماً من المعتقدات يتضمن الاداء المتوقع للمنظمة من جهة ومن الجانب الاخر استجابة الزبائن (Hazrati,2017:2) وقد وصف (Searle,2013:8) اطار لصياغة العقد النفسي على انه معتقدات تتعلق بتبادل الالتزامات ضمن العلاقة القائمة بين المنظمات والزبائن وقد تكون مشتركة او غير مشتركة مع الاخرين، ويعتمد تطور العقد النفسي للزبون على عوامل مختلفة تعزز من اعتقاده بوجود علاقة تبادلية، وكلما كانت الوعود

===== انتهاك العقد النفسي وتأثيره على تحكم الزبون -دراسة تحليلية لأراء عينة من زبائن شركة آسيا سبل للاتصالات اللاسلكية-
والتوقعات المتبادلة أكثر وضوحاً، كلما زاد إيمان الزبون بالوفاء بالالتزامات وتكون العقود النفسية مع المنظمات أكثر رصانة.

ويتشكل العقد النفسي للزبائن عندما يياشر الزبائن بطلب الخدمة من المنظمة، فانهم يرمون عقداً نفسياً غير مكتوب وكنتيجة لهذا العلاقة التي تشكلت بين الطرفين تستقر في اذهان الزبائن توقعات يطالبون المنظمة بتحقيقها (Kagaari,2014:21) كما يؤكد (Zottoli,2003:3) أن العقد النفسي للزبون بأنه "حالة ذاتية تتضمن تفسيرات داخلية غير موثقة يمكن اللجوء اليها وقد تختلف هذه التفسيرات من زبون لآخر" وبذلك فان العقد النفسي يوضح الطريقة التي تفسر سبب التغير في العلاقة بين الطرفين وتؤثر على سلوكهم ويكون للوسط الثقافي والاجتماعي والأخلاقي دور في ذلك (Perera,2016:238).

١. انتهاك العقد النفسي

يعد انتهاك العقد النفسي أمراً شائعاً، إذ إن العديد من الافراد قادرون على تشخيص الحالات التي لم تلتزم المنظمة فيها بالإيفاء بوعودها يؤدي الى نكث في شروط وبنود العقد كما أنه اشار Grimmer et al (2007:156) إلى ان التزام المنظمة بإنجاز الوعود المرتبطة بهم اي في حين ان الوفاء يدل على درجة الجدية في الالتزام بتنفيذ العقد، من جهة أخرى يعد انتهاك العقد النفسي تجربة عاطفية تنجم عن عملية تفسير معرفي يؤكد على حدوث حالة الانتهاك تتمثل بنكث المنظمة بالوعود التي حددتها بالعقد وعدم الإيفاء بالالتزامات المستحقة، والتنافر اي التناقض في تصورات الزبائن تجاه المنظمة بشأن طبيعة الالتزامات المتبادلة.

عندما يواجه الزبائن انتهاكاً في عقودهم النفسية، فان رضاهم عن خدمات المنظمة قد يتراجع لعدة اسباب ناتجة من التناقض بين ما يتوقعه الزبائن والأداء الفعلي للمنظمة، ومن المفترض ان ينجم عن هذا الانتهاكات تداعيات قد تؤثر على سلوك الزبائن نحو الاستجابة للمحاولات التنظيمية الخاصة عند ما يشعر الزبائن بظلم كبير نتيجة فشل منظمة في تحقيق اهدافها مما يؤدي الى انهاء علاقتهم بالمنظمة (Srilatha,2010:277). ويعرف انتهاك العقد النفسي بأنه مزيج من مشاعر خيبة الأمل والغضب، والمرارة والاستياء، والسخط والتي تنبثق من اعتقاد الزبون بأنه قد تعرض للخيانة او سوء المعاملة من قبل المنظمة (Hanal,2011:7084).

وكذلك عرف (Jiawei al,2013:978) انتهاك العقد النفسي بأنه "تجربة نفسية ذاتية عندما يدرك الزبائن بان المنظمة لم تفِ بالوعود وانه قد تعرض للخداع".

كما يشير انتهاك العقد النفسي الى الاستجابة العاطفية الشديدة التي قد تركز حسب حالة الخرق المدرك بعد ان يعاني الضحية من الغضب والاستياء (Xavier,2014:3) وعلاوة على ذلك ان انتهاك العقد النفسي يؤدي الى المشاعر السلبية كالغضب والشعور بالخيانة التي غالباً ما تعتري الزبائن عندما يعتقدون ان منظمتهم قد فشلت في الوفاء بواحد او أكثر من التزاماتها (Okabe,2018:242).

كما يحدث انتهاك العقد النفسي عندما ينفسخ او ينتهك العقد الضمني غير المكتوب بين المنظمات والزبائن (Armstrong al,2012:5163). ونتيجة لانتهاك العقد النفسي تصبح العلاقة محسوبة وتعاملية بحجة ويعتمد تأثيرها على طول سلسلة الزبائن على قوة انتهاك المدرك (Pate at el,2003:559) اذ ينجم

عن انتهاك العقد النفسي آثاراً مختلفة أي ان انتهاك العقد النفسي للمعاملة يختلف عن انتهاك العقد النفسي للعلاقة، في حالة انتهاك العقد النفسي للمعاملة يلجأ الزبائن الى سلوكيات سلبية مثل الكلام الشفهي السلبي بحق المنظمة والقاء اللوم على المنظمة عند فشل الخدمة (Wen,2017:4)، اما انتهاك في العقد النفسي للعلاقة يعكس اعتقاد الزبائن بان المنظمة فشلت في ضمان العلاقة المستقبلية المستقرة ولفترة طويلة الاجل (Yanal,2013:488).

ولسوء الحظ ينظر الى انتهاك العقد النفسي من منظور الضحية والمتفرج اي انه يعمل كآلية تفسيرية في جوهرها بالمعتقدات الضمنية التي لم تحققها المنظمات (Notelaers et al,2018:4).

وقد حدد (Malone al,2000:159) ثلاثة مصادر لانتهاك العقد النفسي وكالاتي:

١. انتهاك غير مقصود: اي ادراكات الزبائن المختلفة تجاه المنظمات الخاصة بتقديم الخدمات عند رغبة الزبائن الحفاظ على العلاقة.

٢. تعطيل العقد: عندما تفشل المنظمة في الوفاء بوعودها تجاه الزبائن.

٣. ظروف العقد: اي رغبة الزبائن في الحفاظ على العلاقة مع المنظمات، لكن مدى الظلم المدرك يؤدي الى انتهاك في العقد النفسي.

وعندما ينتهك العقد النفسي، من المرجح ان تكون استجابات الزبائن اكثر حدة مما عليه في حالة انتهاك التوقعات التي لم تتحقق (Omaral,2017:5). اما ردود الافعال المحتملة عن انتهاك العقد النفسي فقد حددها (Steven X,2008:940) بالاتي:

١. الصوت: من خلال التعبير عن التفسير الزبون مشاعره السلبية بشأن انتهاك لعقد.

٢. الخروج: غالباً ما يكون التحول هو الملاذ الاخير عندما يحدث انتهاك العقد النفسي.

٣. الصمت: يعكس شكل من اشكال عدم استجابة اظهار استجابة من قبل الزبون على امل ان يكون تحسين من قبل المنظمات.

٤. الاهمال: فهو الاهمال السلبي ويعد الاكثر استخداماً من قبل الزبائن التي تعوزهم قنوات صوتية.

ثانياً: تهكم الزبائن

على مدى سنوات طويلة لم يتم التركيز على تهكم الزبائن كظاهرة تسويقية تعززها العوامل الاقتصادية والاجتماعية، ولكن مع زيادة حدة المنافسة وازدياد الوعي بين صفوف الزبائن بأهمية الخدمات المرافقة جعل المعنى المعاصر للتهكم تأثيراً واضحاً لا يمكن إغفاله أو تجاوزه، فقد عرف تهكم الزبون بأنه "مواقف الزبون التي تتشكل من خلال عملية وصف غير واقعي للتوقعات التي تؤدي الى خيبة الأمل والشعور بالتخلي والشعور بالظلم، والشعور بالخيانة (Helm,2004:345).

كذلك عرف تهكم الزبون (Mills,2005:90) بأنه الشعور بالتلاعب أو الانتهاك الأخلاقي واستغلال الزبائن، أي انه مواقف الزبائن الناتجة من اكتساب المعلومات، والذي يتشكل عندما لا تلبى المنظمة توقعات الزبائن مما يولد خيبة الأمل و الشعور بالخداع والخيانة.

ويؤكد (Helm, 2015:516) إن فكرة التهكم نابعة من الوعود الفارغة والمظاهر الكاذبة التي هي عنصر حاسم لجميع مفاهيم التهكم على الرغم من التوقعات غير الواقعية.

===== انتهاك العقد النفسي وتأثيره على تهكم الزبون -دراسة تحليلية لأراء عينة من زبائن شركة آسيا سبل للاتصالات اللاسلكية- ومن الملاحظ بان تهكم الزبون يمكن إن يظهر على انه موقف سلبي تجاه المنظمة تتشكل منه معتقدات سلبية تجاهها مثل الاعتقاد بعدم قدرة المنظمة على تحقيق العدالة والمساواة، كما يظهر التهكم على شكل مشاعر سلبية وعواطف ذاتية تقلق موقف الفرد تجاه منظمة، والصورة المتألفة للتهكم وتكون سلوكية من خلال انتقادات الفرد المستمرة للمنظمة (Thamgas et al,2018:16).

ولعل تلك المكونات تدفع الزبائن الى سوء التصرف تجاه المنظمة والعاملين فيها، وتقلل من الجهود الحقيقية التي يبذلها العاملون وعدم الاهتمام بمصلحة المنظمة ومكانتها، بل وحتى تدفعهم الى سلوكيات غير الاخلاقية مثل السرقة والاستغلال والتسكع والتشهير على اخطاء العاملين (Evans et al,2011:84) كما يؤكد (Bomme et al,2005:736) قد يأخذ التهكم اشكالاً متعددة مثل نشر الدعايات السلبية على المنظمات، وحتى النظرات ذات المغزى والاذلال وادانة، الضحك او الازدراء وبهذا الطريقة يسخر الزبائن الذين يتبنون سلوكيات متهكمة من أهداف المنظمات التي يتعاملون معها (Polat,2013:1484) وقد حدد (Gummesson,1991:60) أهمية التهكم في ضوء الأتي:

١. الأهمية على مستوى المنظمة: لا تستطيع منظمات الاعمال البقاء والنمو دون الاعتماد على الوعود والسمعة لأنه مصدر مهم لبقاء المنظمات وتنافسها، لذا فان مبادرات التهكم قد تضر سمعة المنظمة وصورتها في المجتمع.

٢. الأهمية على المستوى الاقتصادي: ان بناء علاقات طويلة الاجل والاحتفاظ بالزبائن الحاليين يحدد الارباح المستقبلية، فان تهكم الزبون قد يسبب خسائر مادية كبيرة للمنظمة والتي تكون ناتجة من انسحاب الزبون وتحويله الى منظمة اخرى منافسة، كما قد يؤثر على الزبائن الاخرين ويقلل من فاعلية البرنامج الترويجي.

٣. الأهمية على المستوى الاجتماعي: يتم التعامل مع الزبائن في حال الخدمات وجها لوجه، ان اهم الاهداف التي تسعى المنظمات الى تحقيقها هو تزويد الزبائن بالمعلومات الضرورية المتصلة بالخدمة التي يتم التعامل مع الخدمات وجها لوجه على عكس في حال تقديم المنتجات فأنها لا تكون على تماس مع الزبون.

كما يؤكد (Bertilsson,2015:2) على الرؤية النفسية والادراكية للتهكم مستند على النظرة الفلسفية المعاصرة للتهكم كونه ظاهرة يحركها ادراك الزبون وانعكاسها على افكار الزبائن، مما يعني بأنه ليس حقيقة مجردة بل دافع يسوده التلاعب بوحي الزبون مما يدفعه للتدمير والانتقاد والتقييم السلبي للأشياء في البيئة المحيطة والمدركة. وان الانفعالات والشك في دوافع الزبائن قد تنشأ بمرور الوقت في ضوء التناقض او عدم التطابق بين توقعات الزبون (الحالة المرغوبة) ومقدم الخدمة (المنظمة) مما يعني بان تهكم الزبون يمثل الحالة الذاتية الناتجة من حوكمة الذات لأنه ينتج بين متناقضي اول عندما ينظر للتهكم كحالة ومورد نفسي ايجابي من خلال محاولات الخداع التسويقي اما الثاني من جهة اخرى كمورد سلبي (Odou,2010:1799).

وتتفق العديد من الدراسات والبحوث ومنها دراسات (shahzad &Mohmood,2012) (Cakici,et al,2015)(Nafei,2013) على ان ابعاد التهكم التنظيمي يمكن ان تتحدد بثلاثة ابعاد وفق

الآتي:

١. التهكم الاعتقادي

ينظر الى هذا البعد كونه عاملاً مهماً في خلق مشاعر سلبية تجاه المنظمة تدفعهم لتوليد مواقف تهكم ضدها (Polat,2013:1484). ولعل مواقف التهكم هذه تدفع البعض من الزبائن الى تعميق الصورة بينهم وبين المنظمة وتحفز سلوكيات التهكم بشكل مباشر ليعبر عنها الزبون بصورة عدم الاحترام او الاحتقار والغضب والانزعاج بل والشعور بالأحراج عند التعامل مع المنظمة (Turner,2001:123).

كما يؤكد (Sak,2018:3) ان هذا البعد حرج جدا للزبون كونه يؤثر على المكانة الاجتماعية بينه وبين المنظمة لأنه يجعل الزبون يشعر بالازدراء والاشمئزاز والاضطراب عندما يفكر بالمنظمة وصورتها وان ما يميز هذا البعد كونه بنية مفاهيم لبنائها الاساسي تقوم على مصاديق متعددة مثل الشعور بعدم الاحترام، والحنج و انعدام الأمانة والاحباط النفسي، وكل تلك المصاديق تدفع الزبون لتوليد صورة سلبية عن المنظمة تقوم على عدم النزاهة والانتهازية وسلوكيات الخداع وعدم وجود معايير عامة تحكم المنظمة كالإخلاص والصدق والانصاف والتفاوض في التصرفات (Nafel,2013:132) لذلك يؤكد (Yildirim 2017:3) ان البعد الاعتقادي للتهكم يرتبط بشكل وثيق بعواطف الزبون ومشاعره السلبية المتركمة مثل الغضب والسخط والقلق الدائم، واستمرار هذه المشاعر يولد ردود فعل عاطفية قوية تنطوي على الازدراء والشعور بخيبة الامل والذل في التعامل مع المنظمة والسخط منها، بل قد يصل الامر للشعور بالعار نتيجة التعامل مع هذه المنظمة والتشكيك بالمنظمة وتفسيراتها تقوم على نوايا سيئة تجنبا لخلق كل تصرف او سلوك تقوم به المنظمة (Sarıkay al,2017:31).

٢. تهكم العاطفي

يرسخ البعد العاطفي بناء على معتقدات الزبون بان المنظمة تفتقر الى المصادقية، وفي ضوء هذا البعد فان الزبائن لا يثقون بالإعلانات والحملات الترويجية للمنظمة ويشككون بها دائما ولا يأخذونها على محمل الجد ويعتقدون ان المنظمة تحتال عليهم وتكيد لهم من اجل تحقيق مصالحها الذاتية دون الاخذ بالاعتبار حاجاتهم ورغباتهم الحقيقية (Polat,2013:1484).

ومن الملاحظ ان البعد العاطفي يجمد الخوافز النفسية تجاه المنظمة ويدفعهم للتحويل ويخل بالالتزاماتها تجاه المنظمة ويؤثر على الثقة (Brandes & das,2008:233) وقد يدفعهم لا بداء سلوكيات عدائية ومعاكسة للرضا ولأخلاقية وينتج التهكم العاطفي بصورة مباشرة عندما يشعر الزبون بالإجحاف وعدم العدالة من قبل المنظمة خصوصا عندما يكشف انها تقوم بالخداع التسويقي وتضلل المعلومات الترويجية التي تقدمها (Yildirim,2017:3). وذلك ما يهز ثقة الزبون بكل رسائل المنظمة واتصالاتها التسويقية (Sak,2018:3) علاوة على ذلك يولد التهكم العاطفي شعور الزبون بانتهازية المنظمة وعدم نزاهتها وضعف التزاماتها بالوعود المقدمة مسبقا ويفسر كل ذلك على اسس لأخلاقية (Sari Kay al,2017:31). كما يعبر البعد العاطفي للتهكم عن عدم إيمان الزبون بقدرات المنظمة وقيمتها ورسالتها ورؤيتها، ويبقى في بوتقة الشك والافكار السلبية إتيانها، مما يجعلهم يشعرون دوما بعدم العدالة، وسوء نية المنظمة تجاههم ومحاولاتهم الدائمة لتحقيق الربح ومصلحتها الذاتية على حسابهم دون الاخذ باعتبار حاجاتهم ورغباتهم الحقيقية (Eagly & chaiken,1993:131).

٣. التهكم السلوكي

يعد هذا البعد المفتاح والمظهر لاهم للتهكم ضد المنظمة (Turner,2001:123) فقد ينطوي على سلوكيات سلبية تقوم على مواقف واعتقادات متجذرة في نفسية الزبون تجعله يتذمر من اي سلوك تقدمه المنظمة (Yildirim,2017:3). كما يظهر تحكم السلوكي بصورة سلوكية عدائية ومضرة بالمنظمة وتدفق الى الانتقادات الهدامة التي تسعى للمنظمة، ويبدأ بنشر الدعاية السلبية ضدها (Hag high et al,2011:123). وفي بعض الاحيان يذهب الباحثون الى تفسير التهكم اللفظي المبني على المشاعر والمواقف السلبية في نطاق تحكم السلوكي (Sak,2018:3). فقد اكد (Kasalak,2014:102) في دراسته ان الزبون المتهم يضمن ميولاً خاصة لسلوكيات سلبية ناتجة عن توقعات الفرد تجاه وعود المنظمة، فقد يلجأ الزبائن المتهمون الى الانتقاد والسخرية واستخدام التعابير الساخرة على المنظمة وعلامتها التجارية (Sarikay al,2017:31). كما يحاولون انتقاد الزبائن الاخرين الذين يتعاملون مع المنظمة وعلامتها ويسخرون منها (Deanet al,1998:341). وعلى الرغم من ذلك فان الرؤية التسويقية للتهكم تعتمد على فهم المنظمة وادراكها لأخلاقيات الزبون وهي وجهة نظر معاصرة في فهم تحليل ظاهرة التهكم كونها مسألة معتمدة على تفسير البنية الاجتماعية للأفراد والجماعات وادراكهم لطبيعة الصراعات في مجتمعهم وكيفية تفسيرها او التعبير عنها مرئياً او شفوياً وكتائياً بين اي مجموعة استهلاكية (Koukkanen etal,2016:226). كما يؤكد (Bertilsson,2015:2) على الرؤية النفسية والادراكية للتهكم مستند الى النظرة الفلسفية المعاصرة للتهكم كونه ظاهرة يحركها ادراك الفرد وانعكاسها على افكار الافراد مما يعني بانه ليس حقيقة مجردة بل دافع يعتمد على التلاعب بوحي الفرد من اجل ابداء التذمر والانتقاد والتقييم السلبي للأشياء في البيئة المحيطة والمدركة ويلاحظ ان الانفعالات والشك في دوافع الزبون قد تنشأ بمرور الوقت في ضوء التناقض او عدم التطابق بين توقعات الزبون والخدمة المستلمة.

المحور الثالث: الجانب العملي

أولاً: اختبار أداة القياس والوصف الإحصائي لإجابات العينة:

أعتمد الدراسة على مؤشرات صدق التقارب وصدق التمايز ومعامل الثبات (الفأكرونباخ، والمعامل الثبات المركب) في تحديد مصداقية المقياس وصلاحيته وثباته (أنظر الجدول (3))، ومدى وجود إختلاف بين الإبعاد الخاصة بمتغيرات الدراسة، وكذلك مدى تقارب وتشابه الفقرات المكونة للبعد نفسه، أي أن فقرات المقياس أو أبعاده تسعى إلى قياس البنية المفاهيمية نفسها.

وقد تراوحت قيم معامل كرونباخ الفا بين (0.79-0.89) وهي مقبولة إحصائياً في البحوث الإدارية والسلوكية لان قيمتها اكبر (0.75)، والتي تدل على ان المقاييس تتصف بالاتساق الداخلي. أما معامل الثبات المركب فإن القيمة المقبولة له مساوية أو أكبر من (0.70)، ومن الملاحظ إن جميع الفقرات تجاوزت ذلك المقدار. مما يعني إن المقياس يتسم بالثبات و الإتساق.

كما تبين من الجدول (3) بأن جميع قيم (t) للتشبعات المعيارية الخاصة بكل فقرة من فقرات المقاييس كانت معنوية عند مستوى (0.01)، مما يدل على تحقق أحد مؤشرات صدق التقارب. ويمثل الحد الأدنى

المقبول للتباين المستخرج للمقياس مقدار (0.5)، إذ ظهر بأن جميع المقاييس قد حصلت على تباين أعلى من الحد المقبول.

جدول (3) نتائج اختبار مقياس الدراسة والوصف الإحصائي لإجابات العينة

فقرات المتغير	M	SD	FL	t-value
انتهاك العقد النفسى $AVE=0.611$; $\alpha=0.79$; $CR=0.73$ المعدل العام للوسط الحسابي (3.33) المعدل العام للانحراف المعياري (0.82) الرمز (PCV) المصدر (Robinson& Morrison,2000)				
PCV1	3.93	0.78	.70	31.71**
PCV2	2.97	0.82	.81	14.65*
PCV3	3.09	0.91	.72	28.72**
PCV4	3.13	0.88	.91	19.88*
PCV5	3.67	0.83	.83	12.62*
PCV6	٢٢3.	0.73	.73	13.68*
PCV7	٣١3.	0.82	.90	16.98*
التهكم الاعتقادي $AVE=0.654$; $\alpha=0.80$; $CR=0.79$ المعدل العام للوسط الحسابي (3.13) المعدل العام للانحراف المعياري (0.97) المصدر (Branded et al.,1999)				
CBL1	3.3	.93	.91	19.88*
CBL2	3.19	.98	.91	19.88*
CBL3	3	.99	.83	12.62*
CBL4	3.15	.94	.73	13.68*
CBL5	3.3	.93	.90	16.98*
التهكم العاطفى $AVE=0.642$; $\alpha=0.84$; $CR=0.82$ المعدل العام للوسط الحسابي (2.21) المعدل العام للانحراف المعياري (1.1) المصدر (Branded et al.,1999)				
CEM1	3.3	.99	.83	17.93*
CEM2	3.12	.97	.82	38.70 *
CEM3	3.1	1.4	.84	19.72*
CEM4	3	.94	.70	28.72**
CEM5	3.2	1.2	.81	19.88*
التهكم السلوكى $AVE=0.681$; $\alpha=0.74$; $CR=0.81$ المعدل العام للوسط الحسابي (3.19) المعدل العام للانحراف المعياري (1.01) المصدر (Branded et al.,1999)				
CBH1	3.2	.98	.86	21.22**
CBH2	3.31	.89	.92	15.91*

23.18*	.74	1.2	3.11	CBH3
19.88*	.83	1.1	3.15	CBH4
X ² = 352, df=89 NFI=.95; CFI=.93; GFI=.91; RMSEA=.075				

المصدر: من أعداد الباحث بالاعتماد على نتائج الحاسبة
أما فيما يتعلق بوصف إجابات العينة حول فقرات الإستبانة فقد كانت على النحو الآتي:

١ - انتهاك العقد النفسي

يشير الجدول (3) الى المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وأدنى وأقصى إجابة ومستوى الإجابة والأهمية النسبية لاستجابات الأفراد عينة البحث اتجاه بعد انتهاك العقد النفسي. إذ يلاحظ في هذا الجدول بان الفقرة (1) الخاصة (غالباً ما تخلف الشركة التي أتعامل معها وعودها التي كنت أتوقع تنجزها إتجاهي) قد حصلت على أعلى المتوسطات الحسابية فقد بلغ (3.93).

وبانحراف معياري (78). مما يعني تناسق وتناغم إجابات عينة البحث اتجاه هذه الفقرة، وضمن مستوى إجابة "مرتفع". في حين حصلت الفقرة (2) الخاصة (هناك نسبة قليلة من المنافع الملموسة التي حصلت عليها من الشركة نسبة الى ما هي متوقعة) على ادنى المتوسطات الحسابية بلغ (2.97) وبانحراف معياري بلغ (82). مما يعني انسجام إجابات الأفراد عينة البحث وضمن مستوى إجابة "معتدل"، أما الفقرتين (7،5) على التوالي فقد كانت بوسط حسابي (3.22،3.67) وبانحراف معياري (83،.82). على التوالي، مما يعني وجود إحساس لدى العينة بأنها تعرضت للخداع التسويقي من قبل الشركة، وتشعر بالإحباط و القلق تجاه تصرفات الشركة وممارستها التسويقية.

ووفقاً لما تقدم، فإن المعدل العام لبعء انتهاك العقد النفسي بلغ (3.33) وبانحراف معياري عام بلغ (82)، ويشير ذلك الى وجود إتفاق من قبل العينة على إن الشركة لم تفلح (من وجهة نظر العينة) في رسم انطباعي إيجابي حول قدرتها في الوفاء بوعودها للعينة وتلبية توقعاتهم المستقبلية.

٢ - بعد الإعتقاد:

يظهر الجدول (3) النتائج الخاصة بالعينة المبحوثة إتجاه متغير تحكم الزبون (بعد الإعتقاد)، إذ بلغ الوسط الحسابي (3.81) وبانحراف معياري (.97). وقد حصلت الفقرة (١) الخاصة ب(أعتقد بان الشركة تقدم وعوداً بخدمات معينة (شيء معين) وتقدم خدمات (أشياء أخرى) على أعلى المتوسطات الحسابية وبمقدار (3.27) وانحراف معياري (.99). بينما حصلت الفقرة (٤) الخاصة ب(أرى تشابهاً ضئيلاً بين الوعود التي تقدمها الشركة وبين ما تقدمه فعلاً للأسواق) على أدنى متوسط حسابي وبمقدار (3.15) وانحراف معياري (.94).

ومن خلال النتائج أعلاه للفقرة (٥) يتبين انخفاض مستوى الاتفاق بين أفراد العينة حول وجود اعتقاد العينة بأن الشركة تفتقد للمصداقية والنزاهة، أما الفقرة (2) أظهرت نتائجها أن هناك إتفاقاً فوق الوسط من قبل أفراد العينة حول سياسات التسويق في الشركة وأهدافها العامة واستراتيجياتها نحو السوق لا توجد بينها قواسم مشتركة.

٣- البعد العاطفي

تشير النتائج الواردة في الجدول (3) الخاصة اتجاهات عينة الدراسة حول متغير تهكم الزبون (البعد العاطفي)، وقد بلغ الوسط الحسابي لهذا البعد (2.21) وبانحراف معياري (1.17). إذ حصلت الفقرة (1) والخاصة ب(اشعر الاستياء- اشعر بالرضا) على وسط حسابي مقداره (2.42) وانحراف معياري بلغ (0.99). مما يعني إن العينة تحمل مشاعر الإستياء بشكل واضح، أما الفقرة (٤) الخاصة ب(اشعر بالتوتر- اشعر بالهدوء) كان وسطها الحسابي (3) بانحراف معياري (0.94).

في حين إن الفقرات (2،3،5) كانت أوساطها الحسابية تتراوح بين (3.1،3.12،3.2) وبانحراف معياري (1.2،1.4،0.97)، ومن خلال نتائج الوصف الواردة يمكن القول بوجود إتفاق بين العينة بالشعور ب(الضجر و القلق و التشاؤم) في ضوء تعاملها مع الشركة وخدماتها.

٤- بعد السلوك

يظهر من خلال الجدول (3) الوسط الحسابي لبعد التهكم السلوكي (3.19) وبانحراف معياري مقداره (1.01)، مما يعني وجود توافق بين العينة على ممارسة سلوكيات تهكمية تجاه الشركة. وفي ضوء ما سبق يمكن تفصيل إجابات العينة حول فقرات التهكم السلوكي، إذ يتبين إن الفقرة (2) كان وسطها الحسابي (3.31) و بانحراف معياري (0.89)، مما يعني إرتفاع نظرات الإستياء والضجر حول منتجات الشركة وعودها التي يتبادلها زبائن الشركة فيما بينهم. كما بلغ الوسط الحسابي للفقرة (1) (2.3) وبانحراف معياري (0.98) وذلك يؤكد تضرر العينة لأصدقائهم حول عروض الشركة و تصرفاتها في السوق. أما الفقرتين (3،4) فقد بلغ وسطهما الحسابي (3.15،3.11) وبانحراف معياري (1.1،2.1)، وهذا يعني ارتفاع مستوى الانتقادات والسخرية التي يمارسها الزبائن ضد الشركة و مبادراتها وطبيعة الخدمات التي تقدمها لهم.

جدول (4) الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومستوى الإجابة والأهمية النسبية لأبعاد التهكم

(N=254)

ت	العبارة	M	S.D.	الأهمية النسبية
1	التهكم الاعتقادي	3.81	.97	1
2	التهكم العاطفي	3.14	1.1	3
3	التهكم السلوكي	3.19	1.01	2
	المعدل العام	3.16	1.02	

ووفقاً لما تقدم ومن خلال بيانات الجدول (4) تبين بأن بعد الإعتقاد قد حصل على المرتبة الأولى ضمن مستوى إجابة مرتفع من وجهة نظر العينة وبوسط حسابي (3.81) وانحراف معياري بلغ (0.97)، أما بعد التهكم السلوكي فقد جاء بالمرتبة الثانية بوسط حسابي بلغ (3.19) وانحراف معياري (1.01)، وكان أدنى وسط حسابي لبعد التهكم العاطفي للزبائن بمقدار (3.14) وانحراف معياري بلغ (1.1). وبشكل عام كان الوسط الحسابي لمتغير تهكم الزبون (3.16) بانحراف معياري عام بلغ (1.02).

ثانياً: اختبار الفرضيات

١- اختبار فرضية الارتباط والتي تنص على إنه " لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين انتهاك العقد النفسي وتهمك الزبون بأبعاده".

تشير البيانات الظاهرة في الجدول (5) الى وجود علاقة ارتباط إيجابية ذات دلالة معنوية عند مستوى معنوية (1%) بين انتهاك العقد النفسي وتهمك الزبون، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط البسيط بينهما (0.63) وتشير هذه القيمة إلى قوة العلاقة بينهما، إذ تصنف بأنها علاقة ارتباط إيجابية قوية، و يعني ذلك إن عدم قدرة الشركة على توليد انطباع إيجابي لدى الزبائن بالإيفاء بوعودها مرتبط بالتهمك على الشركة و النيل من سمعتها أمام الآخرين. والذي ينتج عن موقف سلبي.

تجاه الشركة ناتج عن الاعتقاد أن الشركة تفتقد للثقة في تعاملاتها ووجود عواطف سلبية مما يولد ميل نحو الاستخفاف والانتقاد للشركة.

جدول (5) قيم معامل الارتباط بين انتهاك العقد النفسي وتهمك الزبون

العلاقة	Pearson Correlation	N	Sig. (2-tailed)
انتهاك العقد النفسي - وتهمك الزبون	0.63**	254	0.000

** Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed)

وتنبثق من الفرضية الرئيسية الأولى الفرضيات الفرعية الآتية:

أ. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين انتهاك العقد النفسي و بعد الاعتقاد.

يظهر من النتائج الإحصائية الواردة في الجدول (6)، وجود علاقة ارتباط إيجابية معتدلة دالة إحصائياً بين انتهاك العقد النفسي و بعد الاعتقاد، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط البسيط بينهما (0.46) وتشير هذه القيمة وفقاً لتصنيف قوة الارتباط إلى علاقة ارتباط إيجابية معتدلة، و يعني ذلك اعتقاد الزبون بأنه لم يحصل على كل الأشياء التي وعدته بها الشركة لقاء النفقات والتكاليف التي خصصها لشراء الخدمات منها يولد اعتقاد بان الشركة لا تنسم بالمصادقية في وعودها و لا يمكنها أن تحقق كل متطلبات الزبون.

جدول (6) قيم معاملات الارتباط بين انتهاك العقد النفسي و بعد الاعتقاد

العلاقة	Pearson Correlation	N	Sig. (2-tailed)
انتهاك العقد النفسي - بعد الاعتقاد	0.46**	254	0.000
انتهاك العقد النفسي - البعد العاطفي.	0.541*	254	0.034
انتهاك العقد النفسي - البعد السلوكي	0.557**	254	0.000

** Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

ب. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين انتهاك العقد النفسي و البعد العاطفي.

كم تشير النتائج الإحصائية الواردة في الجدول (6) وجود علاقة ارتباط إيجابية قوية ودالة إحصائية بين انتهاك العقد النفسي و البعد العاطفي، إذ بُلغَت قيمة مُعامل الارتباط البسيط بينهما (0.541) وتشير هذه القيمة إلى العلاقة الإيجابية المعتدلة وبمستوى معنوية بلغ (1%)، ما يؤشر الى وجود ترابط بين المشاعر السلبية لدى زبائن الشركة حول قدرتها في الإيفاء بوعودها و بين شعورهم بالقلق في استمرار التعامل مع الشركة والضجر من تكرار الخدمات التي تقدمها الشركة لهم.

ج. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين انتهاك العقد النفسي و البعد السلوكي.

و تشير النتائج الواردة في الجدول (6) الى وجود علاقة ارتباط إيجابية معتدلة دالة إحصائية عند مستوى معنوية (1%) بين انتهاك العقد النفسي و البعد السلوكي، إذ بُلغَت قيمة مُعامل الارتباط البسيط بينهما (0.557) وتشير هذه القيمة إلى قوة العلاقة بينهما وهي ضمن مستوى (علاقة ارتباط قوية موجبة) عند مستوى معنوية (1%)، مما يعني إن المشاعر السلبية المتولدة عن الاعتقاد بأن الشركة لن تفي بوعودها و إلتزاماتها تجاههم ستجعل الزبائن يمارسون سلوكيات سلبية مثل الشكوى والتذمر عن عروض الشركة و تصرفاتها في السوق.

في ضوء النتائج السابقة والمتعلقة باختبار علاقة الارتباط بين انتهاك العقد النفسي وأبعاد تهكم الزبون نلاحظ عدم تحقيق فرضية العدم مما يعني وجود علاقة ارتباط بين انتهاك العقد النفسي وأبعاد تهكم الزبون.

٢- اختبار فرضية التأثير

تتعلق هذه الفقرة بمعرفة علاقة التأثير بين المتغير المستقل (انتهاك العقد النفسي)، والمتغير التابع (تهكم الزبون بأبعاده) إذ يعرض هذا المبحث إمكانية التحقق من صحة فرضيات الدراسة المتعلقة بعلاقات التأثير بين متغيرات الدراسة و التي تم صياغتها استنادا إلى مشكلة الدراسة.

وسوف تعتمد الدراسة الحالية على نمذجة المعادلة الهيكلية باستخدام برنامج (AMOS v.23) لبناء نموذج يوضح طبيعة العلاقة بين المتغيرات ومقارنة بعضها ببعض لغرض اكتشاف التأثير و معنويته من خلال إستخراج معاملات التأثير المباشرة وغير المباشرة وتحليل مستوى النسبة الحرجة (C.R) والحدود الدنيا والعليا للتأثير للقيمة المقدرة للتأثير غير المباشر ومن ثم احتسابها والحكم على معنوياتها.

ويتم الحكم على معنوية النموذج كلما كانت قيم النسبة الحرجة (C.R) أكبر من ($1.96 \pm$) في حالة التأثير المباشر، وكانت قيمة (P-Value) اصغر من مستوى الدلالة (5%). أما في معنوية التأثير غير المباشر فيتم تحديدها من خلال الإعتماد على مستوى القيم المعنوية (Sig) في عمود المعنوية، فكلما كانت قيمة (Sig) أقل من مستوى الدلالة (5%) كلما دل على إن معامل التأثير المعياري أو اللامعاري هو ذو دلالة إحصائية (Byrne, 2010:86).

توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين انتهاك العقد النفسي وتهكم الزبون بأبعاده. وقد تم بناء نموذج يوضح طبيعة التأثير المحتمل لانتهاك العقد النفسي على أبعاد تهكم الزبون، ويظهر أن النموذج النهائي للتأثير المباشر لانتهاك العقد النفسي في بتهكم الزبون بأبعاده كما هو موضح في الجدول (7).

جدول (7) نتائج اختبار فرضيات الانحدار بين انتهاك العقد النفسي وتهكم الزبون بأبعاده

مسارات الإنحدار	معلمة الانحدار β	إحصاءه اختبار المعلمة T	الخطأ المعياري SE	النسبة الدرجة C.R	معنوية المعلمة Sig.	معامل التفسير R ²	إحصاءه اختبار النموذج F	معنوية النموذج P
انتهاك العقد النفسي - --< بعد الاعتقاد	.362	3.892	.085	2.65	.000	.650	91.41	.000
انتهاك العقد النفسي - --< بعد العاطفي	.329	4.324	.044	3.98	.000			
انتهاك العقد النفسي - --< بعد السلوكي	.311	3.221	.051	2.99	.000			
مؤشرات جودة المطابقة								
χ ² (211) = 1230.11 (p<0.01); CFI = 0.91; NFI = 0.922; GFI = 0.911; RMSEA = 0.052								

يلاحظ من نتائج الواردة في الجدول (7) إن انتهاك العقد النفسي له تأثير معنوي على تحكم الزبون بأبعاده، فقد بلغت القوة التفسيرية للنموذج في ضوء معامل التحديد أو التفسير ($R^2 = .65$)، والذي كان تاماً وبمعنوية إحصائية كذلك ($P = .000$)، وهذا يعكس مقدار التباين (65%) الذي يفسره انتهاك العقد النفسي من تباين في تحكم الزبون على الشركة والباقي من نسبة التباين (35%) تخضع بالتأكيد لعوامل أخرى لم يتضمنها النموذج وهي خارج نطاق البحث الحالي.

وبشكل أكثر تفصيلاً، نلاحظ إن تأثير انتهاك العقد النفسي على بعد الاعتقاد كان بدلالة معامل بيتا المعيارية ($\beta = .362, P = .000$)، وتأثير على البعد العاطفي بدلالة معامل بيتا المعيارية ($\beta = .329, P = .000$)، في كان تأثير على البعد السلوكي بدلالة معامل بيتا المعيارية ($\beta = .311, P = .000$).

وبناءً على ما سبق فإن المشاعر السلبية التي غالبا ما تعتري الزبائن عندما يعتقدون إن منظمتهم قد فشلت في الوفاء بواحد أو أكثر من إلتزاماتها قد تدفعهم الى إظهار موقف سلبي تجاه الشركة ناتج عن الاعتقاد أن الشركة تفتقد للثقة في تعاملاتها، كما تولد لديهم حالة من التوتر والضجر في التعامل معها و ينتقدون انتقد عروض الشركة ووعودها وما تقدمه من خدمات في السوق.

في ضوء النتائج السابقة والمتعلقة باختبار تأثير بين انتهاك العقد النفسي وأبعاد تهكم الزبون نلاحظ عدم تحقيق فرضية العدم مما يعني وجود تأثير بين انتهاك العقد النفسي وأبعاد تهكم الزبون.

المحور الرابع: الإستنتاجات والتوصيات

أولاً: الإستنتاجات:

- ١- ان الشركة المبحوثة لم تفلح في رسم انطباع ايجابي حول قدرتها بالوفاء بوعودها للعينة وتلبية توقعاتها المستقبلية وان الاستجابات العينة بوجود شعور بأنها تعرضت للخداع التسويقي وتشعر بالإحباط والقلق تجاه تصرفات الشركة وممارساتها التسويقية ومما يعني ان الشركة المبحوثة لا تستطيع اقناع الزبائن بما يتعلق بالخدمات المقدمة وتعمل على تقليل الدوافع التي تنعكس على مستوى متدنٍ حوله الإلتزامات الشركة المبحوثة باتجاه رغباته ومصالحه الشخصية متناسين مصالح الزبائن.
- ٢- ارتفاع مستوى الانتقادات والسخرية التي يمارسها الزبائن ضد الشركة المبحوثة ومبادراتها وطبيعة الخدمات التي تقدمها لهم وهو عبارة عن احساس متأرجح للزبون بالإحباط من الاحباط بسيط الى خيانة تظهر من الاعتقاد بأنة شركة قد كسرت وعودها بالخدمة المقدمة وذلك من خلال الاتي:
 - أ. ضعف اعتقاد العينة بان الشركة المبحوثة تتسم بالمصداقية والعدالة بالخدمات المقدمة، لذا فان الأفعال السلبية من قبل المنظمة من السهولة ان يميزها او يدركها الزبون وبالتالي فان الشركة المبحوثة لم تستجيب الى توقعات الزبائن
 - ب. وجود شعور لدى الزبائن بالضجر والقلق والتشاؤم عند تعاملها مع خدمات الشركة المبحوثة وإنها مجموعة من التوقعات العقلية التي تخلق بواسطة الزبائن حوله التزامات الشركة المبحوثة والتي تشير الى حالة وجدانية وعاطفية تذهب الى ما بعد حالة ادراك والالتزام بالوعود مما يعني ان الشركة المبحوثة لم تُبالِ حوله مشاعر الزبائن ولا تسعى الى محاولة معالجة الفشل
- ٣- إن المشاعر السلبية التي غالبا ما تعتري الزبائن نتيجة شعور العينة بأن الشركة انتهكت التزاماتها تجاه الوعود التي قطعتها للسوق والزبائن قد تفرز نوايا مستقبلية بالتحول الى شركة أخرى ومحاولة تبديل شركة الاتصال الحالية عند الحاجة الى خدمات اتصال مستقبلية و يعني ذلك إن المشاعر السلبية التي غالبا ما تعتري الزبائن نتيجة شعور العينة بأن الشركة انتهكت التزاماتها تجاه الوعود التي قطعتها للسوق والزبائن، مما تظهر نوايا مستقبلية بالتحول الى شركة أخرى ومحاولة تبديل شركة الاتصال الحالية عند الحاجة الى خدمات اتصال مستقبلية.

ثانياً: التوصيات

على ضوء الاستنتاجات فقد توصل المبحث الحالي الى عرض ابرز التوصيات التي من شأنها معالجة ما توصلت اليها دراستنا وكذلك المقترحات كالأتي:-

١. العمل على تعزيز صورة الشركة وخلق انطباعات ايجابية من خلال الايفاء بوعودها التي قطعتها في الرسالة الترويجية والتسويقية وذلك في ضوء الاتي:-

أ- عدم المبالغة في الوعود المقدمة للزبون والالتزام بمصداقية الرسالة الترويجية

ب- بث رسالة ترويجية واضحة ومفهومة من قبل الزبون

ت- الالتزام برسالة الشركة واهدافها

ث- دراسة مستوى التطابق بين الاداء المتوقع والاداء الحقيقي لخدمات الشركة

٢. تحسين علاقة الشركة مع زبائنهم من خلال دراسة ومتابعة نواياهم لادامة العلاقة مع الشركة وذلك وضوء الاتي:-

أ- توظيف برامج تحليل ربحية الزبون ومعرفة حصة كل شريحة من الزبائن من مشتريات الشركة وتوجيه برامج خاصة شريحة في ضوء مستوى ربحيتهم

ب- التركيز على خلق برامج علاقات الزبون وبرامج ولاء خاص من اتقان تزييف المستمر للزبائن نحو المنافسين في ضوء حزم مالية واجتماعية وهيكلية تقلل او تحد من تحول الزبون

ت- خلق حواجز اصعب تمنع الزبون من التحول مثل حواجز كلفومية و علاقاتية وتكنولوجية

٣. توظيف جاهزية بعض الشرائح من الزبائن لتكون اداة اتصال تسويقية وترويجية فاعلة، فهي اداة مجانية موثوقة من قبل الزبائن الآخرين وهذا يتطلب توفير حواجز مالية ومادية للزبائن الموالين

٤. السعي لتلبية احتياجات الزبائن ورغباتهم الخاصة لخلق حالة الرضا والقناعة وذلك يتطلب ما يأتي:-

أ- اجراء مسوحات مستمرة للزبائن لمعرفة شكواهم وتزويدهم بدراسة مقترحاتهم لتطوير خدمات الشركة

ب- تعزيز ثقة الزبون بمجودة خدمات الشركة من خلال الايفاء بوعودها والتطابق بين الاداء المتوقع والحقيقي

٥. تطبيق فلسفة التحسين المستمر من خلال اشتراك الزبون وفتح قنوات اتصال مباشرة معه، وتطبيق مبدأ الزبون دائماً على حق، وتوظيف تقنية نشر وظيفة الجودة وصوت الزبون للتحقق وبدقة من متطلبات الزبون الواقعية من خلال الهاتف النقال.

المصادر

A. Books

1. Armstrong Deborah J & Riemenschneider Cynthia K.2012 (What Influences IT Professional Psychological Contract Violation?) 45th Hawaii International Conference on System Sciences:p5163

2. Bailing Julian & Cooper Cary L, 2008 (Organizational Behavior) British Library:p17-35.
3. Searle Sean, 2013 (Psychological contract in relation to individualism and collectivism at an organisational and an individual level).:p8.

B. Journals & Periodicals & Researches

1. Bertilsson Jon,2015 (The cynicism of consumer morality) Consumption Markets& Culture,: p2-5.
2. Bird Robert,2005 (Employment as arelational contract) U.PA Journal of Labor and employment Law (Vol.8:1):p150-153
3. Brandes P, Castro SL, James MSL, Martinez AD, Matherly TA, Ferris GR, Hochwarter WA (2008). The interactive effects of job insecurity and organizational cynicism on work effort following a layoff. J. Leadersh. Organ. Stud. 14(3)p:233-247
4. Dean, J. W., Brandes, P., & Dharwadkar, R. (1998). Organizational cynicism. Academy of Management Review, 23, 341–352.
5. Grimmer Martin & Oddy Matthew, 2007 (Violation of the Psychological Contract: The Mediating Effect of Relational Versus Transactional Beliefs) Australian Journal of Management, Vol. 32, No. 1 June 2007, © The Australian Graduate School of Management: p154-156.
6. Gummesson, E. (1991) 'Marketing Revisited: The crucial Role of the Part-time Marketers', European Journal of Marketing, Vol.25, No.2, pp 60-67.
7. Han heesup,hyun sunghyup,2012 (Conspicuousness of product use as amoderator variable)Journal of Hospitality & Tourism Research, Vol. 37, No. 3 303-329:p311-312
8. Helm, Amanda 2004 (Cynics and Skeptics: Consumer Dispositional Trust) Labovitz School of Business & Economics, University of Minnesota Duluth,, Volume 31, © 2004 P345 - 346.
9. Jiawci Tang & Lin Yang, 2013 (A Research on the Effect of Service Firms' psychological contract violation on Customers' behavior):p978.
10. Kagaari James 2014 (Psychological Contract Violation Management and Organizationa Citizenship Behaviours in Selected Commercial Banks in Kampala District) Global Journal of HUMAN-SOCIAL SCIENCE: A Arts & Humanities —Psychology Volume 14 Issue:21.
11. Kumar Dhakshayani, 2014 (Customer switching behavior in retail banking industry of India) Journal of Innovative Research and Solution Volume - Issue No.1:p160-161.

23. Sarikaya Mehtap & Kok Sabahat Bayrak, 2017 (The Relationship Between Psychological Contract Breach and Organizational Cynicism) European Scientific Journal:p130.
24. Srilatha & Joshy Lishin Moothery,2010 (Psychological contract violation and its impact on intention to quit: A study of employees of public sector and old generation private sector banks in India) Asian Journal of management Reseagement Research Volume Issue:p277-279.
25. Thomas Nobin & Gupta Sonakshi, 2018 (Organizational cynicism -what every manager needs to know) Development and Learning in Organizations: An International Journal, Vol. 32:p16-17
26. Wen Chih, 2017 "Psychological contract violation: impact on perceived justice and behavioral intention among consumers", International Journal of Conflict Management, Vol. 28 Iss 1 p4-5.
27. Yildirim Ali Acaray Seda, (2017), "The impact of personality traits on organizational cynicism In the education sector", World Journal of Entrepreneurship, Management and Sustainable Development, Vol. 13 ISSN 1: p3-4.

C. Thesis and Dissertation

1. Evans W. Randy & Goodman Joseph M. & Davis Walter D., 2011(The Impact of Perceived Corporate Citizenship on Organizational Cynicism, OCB, and Employee Deviance) Human Pet:finmemtc, 24:p79-97
2. Han ying & yi song he &chen xi,2011 (from psychological contract breach to violation):p7084.
3. Hazrati, 2017 (Psychological Contract Breach and Affective Commitment in Banking Sector: The Mediation Effect of Psychological Contract Violation and Trust) University of Payamnoor, Iran, Arabian Journal of Business and Management:p 4-7.
4. Helm, Amanda E.& Richins, Marsha L. & Moulard, Julie Guidry, 2015 (Consumer cynicism: Developing a scale to measure underlying attitudes influencing marketplace shaping and withdrawal behaviors: Consumer Cynicism: Developing a Scale) International Journal of Consumer Studies: p515 - 524: p516.
5. Mills, & Keil, 2005. The Development of Cynicism. Psychological Science, 16 (5), 385-90.
6. Odou Philippe & Pechpeyrou Pauline, 2010 (Consumer cynicism From resistance to anti-consumption in a disenchanted world?):p1799-1805.
7. Okabe Noriko, 2018 (Interaction of Psychological Contract Violation and Emotional Labour: Recovery of Organizational Trust and Job Satisfaction):p241-244.

8. Srivastava Kavita & Sharma Narendra K.,2013 (Service Quality, Corporate Brand Image, and Switching Behavior: The Mediating Role of Customer Satisfaction and Repurchase Intention) *Services Marketing Quarterly*,:p279-280.
9. Turner, James H. and Valentine, Sean R. (2001). "Cynicism as a Fundamental Dimension Of Moral Decision- Making: A Scale Development", *Journal of Business Ethics*.. 34(2): 123-136
10. Xavier Isabel Maria & Jepsen Denise Mary, 2014 (The Impact of Specific Job Stressors on Psychological Contract Breach and Violation) *Human Factors and Ergonomics in Manufacturing & Service Industries*:p3.
11. Yan shimel &zhu yaodong,2013 (Lmpact of psychological contract violation on interpersonal trust during mergers and acquisitions)social behavior and personality,41(3):p488
12. Zottoli Michael, 2003 (Understanding the process through which breaches of the Psychology contract influence feeling of Psychology contract violation: an analysis incorporating causal, responsibility, and blame attributions) *The Ohio State University*: p3.

D. -Internet:

1. Argyris, C., (1960). Understanding Organizational Behavior. Homewood, IL: Dorsey
2. Eagly, Alice H. and Chaiken, Shelly (1993). The Psychology of Attitudes, Fort Worth, TX: Harcourt Brace Jovanovich

**بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب
دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية**

*Constructing the optimal investment portfolio under the
single index model for Sharp “Analytical study in the
Amman Stock Exchange”*

حيدر ناصر حسين الميالي^(١) Haider N. Hussein Al-Mayali
أ.د. عباس كاظم الدعيمي^(٢) Prof. Abbass K. Al-Daami

الملخص

تركز هذا الدراسة على بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في سوق عمان للأوراق المالية من خلال استخدام نموذج المؤشر الواحد لشارب، اذ ان بناء المحفظة الاستثمارية أصبحت عملية معقدة بشكل متزايد في السنوات الأخيرة، وكما هو معروف يتوقع المستثمرون تحقيق أقصى العوائد مع تخفيض حجم المخاطرة على استثماراتهم، اذ ان التوليفة المثلى من المحفظة هي تلك التي تحقق اعلى العوائد عند مستوى معين من المخاطرة لذلك فإن المستثمر يحتاج الى المعرفة الصحيحة بتحليل الأوراق المالية ونظرية المحفظة بهدف اتخاذ القرار الاستثماري الصحيح، ويُعد ماركويتز هو الرائد في نظرية المحفظة الحديثة وأول من قدم نموذجاً رياضياً في بناء المحفظة وتنويعها، نظرية المحفظة الحديثة هي نظرية مالية تعنى بالقرارات المالية الرشيدة من خلال عملية الموازنة بين العائد والمخاطرة وجوهر هذه النظرية يدور حول اثر التنويع الكفوء في تخفيض المخاطرة، وقد حاول وليام شارب تبسيط الافتراضات الرئيسية لماركويتز من خلال تطوير تكتيك اخر سمي بنموذج المؤشر الواحد يتاح للاستخدام عندما يكون حجم الاستثمار كبيراً، اذ يرتبط ادخال او ادراج أي ورقة مالية للمحفظة المثلى من خلال نسبة العائد الفائض الى بيتاه او من خلال استخدام ما يسمى بحد القطع اذ يتم ادراج الأوراق المالية التي تكون اعلى من حد القطع ويتم ترتيبها من الأعلى الى الأدنى ثم يتم احتساب

١- كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة كربلاء.

٢- كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة وارث الأنبياء.

بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية

النسبة المثوية للاستثمار في كل ورقة مالية على أساس الاوزان المخصصة لكل سهم من الأسهم المدرجة في المحفظة، وقد تكونت عينة الدراسة من ٤١ سهم من الأسهم المدرجة في سوق عمان للأوراق المالية للفترة من ١ يناير ٢٠١٠ الى ٣٠ ديسمبر ٢٠١٧، وقد توصلت هذه الدراسة الى العديد من الاستنتاجات أهمها الكفاءة العالية لنموذج المؤشر الواحد في بناء المحافظ المثلى إضافة الى القدرة على تحسين خصائص وأداء المحفظة المثلى بالمقارنة مع المحفظة المرجعية، اما اهم التوصيات فتتمثل بتوجيه جميع المستثمرين الراغبين في بناء المحفظة الاستثمارية المثلى الى استخدام نموذج المؤشر الواحد في بناء المحفظة الاستثمارية المثلى لأنه ييسر عملية بناء المحفظة الاستثمارية المثلى بشكل كبير إضافة الى الأداء الأفضل للمحافظ لهذه النموذج مقارنة مع المحافظ الاخرى.

الكلمات المفتاحية: المحفظة الاستثمارية المثلى، نموذج المؤشر الواحد لشارب، سوق عمان للأوراق المالية.

Abstract

This study focuses on construction an optimal investment portfolio on the Amman Stock Exchange through the use of Sharpe Single index model. The construction of the investment portfolio has become increasingly complex in recent years, Investors are expected to achieve maximum returns while reducing the risk on their investments, As the optimal combination of the portfolio is the one that achieve the highest returns at a certain level of risk so the investor needs the right knowledge of securities analysis and portfolio theory in order to make the right investment decision, Markowitz is the pioneer in modern portfolio theory (MPT) and the first to introduce a mathematical model in portfolio construction and diversification. Modern portfolio theory is a financial theory that addresses rational financial decisions through the process of balancing returns and risk. The essence of this theory revolves around the effect of efficient diversification in reducing risk, Sharpe simplifies the main assumptions of Markowitz by developing another tactic called a Single index model that is available for use when the volume of investment is large, The insertion or inclusion of as the introduction or inclusion of any securities of the optimal portfolio is linked to the excess return to Betas through the use supposedly cut off, as the securities that are above the cut limit are listed and arranged from top to bottom and the percentage of investment is calculated in each sheet The study sample consisted of 41 shares of shares listed on the Amman Stock Exchange for the period from 1 January 2010 to 30 December 2017, The main findings of this study are the high efficiency of the single indicator model in the optimal portfolio construction, as well as the ability to improve the portfolio's optimal characteristics and performance compared to the reference portfolio. The main recommendations are to guide all investors

who wish to build the optimal investment portfolio to use the single index model in construction the optimal investment portfolio because it simplifies the process of building the optimal investment portfolio in addition to the best performance of the portfolios of this model compared to other portfolios.

المقدمة

المحفظة الاستثمارية هي عبارة عن مجموعة من الأصول الفردية او الأوراق المالية او مزيج منها، ونظرية المحفظة هي نظرية معيارية تعنى بالقرارات المالية الرشيدة من حيث كيفية الموازنة بين العائد المخاطرة عند الاستثمار في الأصول المختلفة او الأوراق المالية المعرضة للمخاطر، اذ ان الهدف الرئيسي للمحفظة الاستثمارية هو تقليل حجم المخاطر عن طريق الاستثمار في مجموعة من الأصول المختلفة والمحافظة المنوعة تنوعا جيدا بهدف الحصول على اعلى معدل للعائد المتوقع عند مستوى معين من المخاطر او العكس، ان عملية اتخاذ القرار الرشيد المتعلق بالاستثمار يتطلب تحليل الأوراق المالية ودراسة عملية إدارة المحفظة الاستثمارية بشكل مفصل، ويُعدُّ ماركويتز عام ١٩٥٢ اول من طرح مفهوم المحفظة الاستثمارية عن طريق الاستثمار في مجموعة من الأصول او الأوراق المالية وما يسمى بالتنوع، وأظهر ماركويتز أن التباين في معدل العائد يُعدُّ مقياسًا لمخاطر المحفظة في ظل مجموعة مختلفة من الافتراضات، وتوصل ماركويتز الى كيفية حساب التباين في المحفظة، الا ان نموذج ماركويتز يعاني من صعوبات عديدة ابرزها الحجم الكبير الذي يتطلبه من المدخلات إضافة الى مشاكل تتعلق بحل مشكلة البرمجة التريبية وعدم قدرة النموذج على التنبؤ بعلاوة المخاطرة للأوراق المالية، تم إجراء العديد من الدراسات والبحوث لتطوير نموذج مؤشر بسيط لبناء المحافظ الاستثمارية و يُعد وليام شارب هو من بين العديد من الذين حاولوا تبسيط نموذج ماركويتز وطوروا مؤشر شارب الذي يقلل بشكل كبير من البيانات والمتطلبات الحسابية، و يفترض نموذج المؤشر الواحد أن تقلبات في قيمة الأسهم بالنسبة للأسهم الأخرى لا تعتمد على خصائص هاتين الأوراق المالية وانما هناك عامل واحد مؤثر على قيمة الأسهم وهو عامل السوق وان قيم الأسهم تستجيب بسرعة الى التغيرات التي تحدث في السوق و يعد مؤشر السوق ممثلا صادقا للتغيرات المختلفة التي تحدث في البيئة السوقية.

المحور الأول: منهجية الدراسة

أولا: مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة بالتساؤلات الرئيسية الآتية:

١. هل ان نموذج المؤشر الواحد قادر فعلا على تبسيط إجراءات بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في سوق عمان للأوراق المالية.
٢. هل يمكن تحسين خصائص وأداء المحفظة المثلى اذ تم بناؤها وفقا لنموذج المؤشر الواحد لشارب.
٣. هل ان المحفظة المثلى تحقق أفضل مبادلة بين العائد والمخاطرة مقارنة مع المحفظة المرجعية او محفظة السوق.

ثانياً: أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة من خلال تقديم نموذج يساعد مختلف المستثمرين في بناء المحفظة الاستثمارية المثلى، اذ وكما هو معروف فان المستثمر يتعرض الى العديد من المشاكل والمعوقات التي تعترضه خلال عملية اختيار تركيبة الأسهم او الأوراق المالية الداخلة الى تركيبة المحفظة المثلى إضافة الى عدم القدرة على تحديد نسب الاستثمار المثلى لكل سهم من مجموعة الأسهم المتاحة للاستثمار، ويقوم نموذج المؤشر الواحد على تبسيط هذه الإجراءات بشكل كبير ويساعد المستثمرين على اختلاف مستوياتهم في اختيار المحفظة التي تتناسب واحتياجاتهم وتم اجراء هذا البحث لأثبات انه من خلال استخدام نموذج المؤشر الواحد يستطيع المستثمرون بناء المحفظة المثلى والتي تحقق اقصى العوائد عند مستوى معين من المخاطر.

ثالثاً: اهداف الدراسة

١. تقديم دراسة مفصلة عن قدرة وكفاءة نموذج المؤشر الواحد لشارب في بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في سوق عمان للأوراق المالية.
٢. حساب العائد المتوقع والانحراف المعياري والالفا والبيتا والمخاطرة النظامية وغير النظامية لجميع الأسهم عينة الدراسة الحالية في سوق عمان للأوراق المالية.
٣. تحديد الأوراق المالية ذات الأداء الجيد في السوق وبناء المحفظة المثلى بالاعتماد على هذه الأوراق واستبعاد الأسهم ذات الأداء المنخفض.
٤. حساب معدل القطع الذي يعد المعيار الأهم في تحديد تركيبة الأسهم المؤهلة للدخول للمحفظة المثلى والأسهم التي يتم استبعادها.

رابعاً: فرضيات الدراسة

١. ان نموذج المؤشر الواحد قادر فعلاً على تبسيط مدخلات وإجراءات بناء المحفظة المثلى للمستثمرين في سوق عمان للأوراق المالية.
٢. يمكن تحسين خصائص وأداء المحفظة المثلى اذ تم بناؤها وفقاً لنموذج المؤشر الواحد.
٣. ان المحفظة المثلى تحقق أفضل مبادلة بين العائد والمخاطرة ونسب الأداء لشارب مقارنة مع المحفظة المرجعية.

خامساً: مدة وبيانات الدراسة

لغرض تحقيق اهداف البحث فقد تم الاستعانة بقيم أسعار الاغلاقات الشهرية لمؤشر سوق عمان للأوراق المالية وأسعار الاغلاقات للشركات عينة الدراسة في سوق عمان للأوراق المالية للفترة من يناير/ ٢٠١٠ الى ديسمبر/ ٢٠١٧.

سادساً: مجتمع عينة الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة الحالية من جميع الشركات المدرجة في سوق عمان للأوراق المالية، اما عينة الدراسة فقد تكونت من الشركات الأكثر تداولاً والاعلى من حيث القيمة السوقية وحسب متطلبات الدراسة الحالية اذ تم اختيار ٤١ سهم مدرج في سوق عمان وحسب الجدول الآتي:

جدول (١) عينة سوق عمان للأوراق المالية

الرمز	اسم الشركة	ت
القطاع المالي		
ARBK	العربي	1
THBK	الإسكان	2
JOKB	الأردني الكويتي	3
JOIB	الإسلامية الأردني	4
INVB	البنك الاستثماري	5
CABK	بنك القاهرة عمان	6
BOJX	بنك الأردن	7
FINS	الأولى للتأمين	8
TIIC	التأمين الإسلامية	9
AIUI	الاتحاد العربي	10
UINV	الاتحاد للاستثمارات	11
FRST	الأردن الأولى	12
AFIN	العربية	13
AAFI	الأمين	14
UCFI	المتحدة	15
JOMC	الأردنية للاستشارات	16
ULDC	تطوير الأراضي	17
SPIC	التجمعات الاستثمارية	18
MEET	ميثاق	19
REAL	الشرق العربي	20
JNTH	التجمعات لخدمات التغذية	21
قطاع الخدمات		
ZARA	زارة للاستثمار	٢٢
MDTR	البحر المتوسط	23
MALL	الدولية للفنادق والأسواق	24

AIHO	العربية الدولية	25
RJAL	الملكية الأردنية	26
SITT	السلام للنقل	27
JETT	النقلات السياحة	28
RUMM	ر.م للنقل والاستثمار	29
JDFS	الأسواق الحرة	30
SIJC	الاستثمارات المتخصصة	31
قطاع الصناعة		
JPHM	الأردن الدوائية	32
HPIC	الحياة الدوائية	33
MBED	العربية للمبيدات	34
IPCH	البتروكيماويات	35
UMIC	العالمية للزيوت	36
JODA	الالبان الأردنية	37
APOT	البوتاس العربية	38
JOPH	الفوسفات	39
JOCM	الاسمنت	40
AALU	الالمنيوم / ارال	41

المصدر: من اعداد الباحث.

المحور الثاني: الإطار النظري للدراسة:

أولاً: الامتداد التاريخي للمحفظة الاستثمارية:

ان عملية التخصيص الأمثل للأصول المالية وغير المالية تعد من اهم القضايا في العصر الحديث، وقد كان الاقتصادي الأمريكي هاري ماركويتز (Harry Markowitz) في عام 1952 اول من اقترح النظرية الكمية من اختيار وإدارة المحافظ الاستثمارية من خلال نشر بحثه بعنوان اختيار المحفظة لأول مرة في مجلة التمويل المالي (Chen,et.al,2013:285)، اذ يعد عام 1952 هو بداية ظهور مفهوم المحفظة الاستثمارية ويعد هاري ماركويتز الرائد والمنظر الأول لنظرية المحفظة من خلال وصفه العلاقة بين العائد والمخاطرة (Witt&Dobbins,1979:5) (Chau Li,et.al, 2014:37)، وكان أهم جانب في نموذج ماركويتز هو وصفه لأثر تنوع المحفظة على عدد الأوراق المالية داخل المحفظة وعلاقتها المتباينة، وفي وقت لاحق قام ماركويتز بتوسيع هذه النتائج بشكل كبير مع نشر كتابه اختيار المحفظة والتنوع الكفوء عام 1959 وبعد

حوالي 30 عام حصل ماركويتز على جائزه نوبل في المالية والاقتصاد لمساهمته الكبيرة في مجالات الاقتصاد وتمويل الشركات (Benninga, 2008:236)، كما وأظهر كيف يمكن للمستثمر أن يقلل من الانحراف المعياري لعوائد المحفظة عن طريق اختيار الأسهم التي لا تتحرك معا بالضبط عن طريق التنويع لكن ماركويتز لم يتوقف عند هذا الحد، اذ ذهب إلى العمل على المبادئ الأساسية لبناء المحفظة، هذه المبادئ هي الأساس للكثير مما تمت كتابته حول العلاقة بين المخاطر والعائد (Meyers, 2003:187)، ومن ثم قام (Tobin 1958) بتطوير نظرية المحفظة من خلال امكانية المستثمرين تحقيق بعض العوائد دون التعرض لأي مخاطرة من خلال الاستثمار في الأصول قصيرة الأجل من الدرجة الأولى مثل سندات الخزانة وبالتالي فإن أي أصل يستحقه يوفر عائداً متوقعاً على الأقل أعلى من معدل المخاطرة، وسوف يرغب المستثمر في تعظيم العائد المتوقع ودون التعرض للمخاطر (Bernstein, 2014:19)، ولقد تم توسيع أساس هذه النظرية بشكل كبير في وقت لاحق من قبل زميل ماركويتز الفائز بجائزة نوبل وليام شارب الذي اشتهر على نطاق واسع بعمله في عام 1964 حول نموذج تسعير الأصول الرأسمالية (CAPM) (Fama & French, 2004:26)، (Lee & Junior, 2018:346)، اذ يعد نموذج تسعير الموجودات الرأسمالية (CAPM) نظرية مهمة للموازنة بين العائد والمخاطرة وتمكين المستثمرين من تقييم الأوراق المالية بشكل أكثر موضوعية استناداً الى المخاطر النظامية وتقدم (Sharpe, 1964) بشكل كبير بمفاهيم (Efficient Frontier و Capital Market Line) في اشتقاقه من (CAPM) (Laubscher, 2002:133)، وفي وقت لاحق فاز (Sharpe) بجائزة نوبل في الاقتصاد عن مساهماته الأساسية للمحفظة الاستثمارية، وطور من بعده هذه النظرية كل من (John Lintner 1965)، (Jan Mossin 1966)، ويتبع عرض (CAPM) مصادر مثل (Hamada 1969 & Rubinstein 1973) من خلال تطوير نموذج تسعير الموجودات الرأسمالية (CAPM) (McDonald, 2003:6)، اذ اصبح هذا النموذج يستخدم لتقييم الاستثمارات في الأوراق المالية من خلال عملية الموازنة بين العائد والمخاطرة (Mangram, 2013:5)، وفيما بعد تم تطوير تكتيك آخر سمي بنموذج المؤشر الواحد والذي يستخدم عندما يتاح الاستثمار بالأوراق المالية بأعداد كبيرة (Locke, 1986:239).

ثم قام كل من (Ross 1976 and Huberman 1982) بتطوير نموذج (CAPM) اذ ان نموذج تسعير الموجودات الرأسمالية يعتمد بشكل اساسي على محفظة السوق او كما يطلق عليه نموذج العامل الواحد (Galagedera, 2007:824)، اما نموذج التسعير المرجح فانه يعتمد بالإضافة الى محفظة السوق على عوامل عديدة (اسعار الفائدة، التضخم، اسعار الصرف. الخ) أخرى تؤثر على عائد ومخاطرة الأوراق المالية (Ross, 1976:341) (Rásonyi, 2004:109).

ثانياً: نظريات المحفظة الاستثمارية

١. نظرية المحفظة التقليدية Traditional Portfolio Theory

تقوم النظرية التقليدية للمحفظة الاستثمارية في تنويع المحفظة الاستثمارية عن طريق القيام بجمع تشكيلة واسعة وكبيرة من الأوراق المالية المختلفة من الأسهم والسندات والأوراق المالية الأخرى من القطاعات الاقتصادية المختلفة مع التركيز على القطاعات التي تحقق عوائد مرتفعة ويكون أداؤها جيداً وتكون سيولتها

بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية مرتفعة ومخاطرها منخفضة (Gitman et, al,2011;181)، ولعل المقولة المشهورة لا تضع البيض كله في سلة واحد أبرز تجسيداً لنظرية المحفظة التقليدية، وتفسير هذه المقولة يرجع إلى أن عملية الاستثمار في القطاعات الاقتصادية المختلفة يجعل الاستثمارات تتعرض إلى مؤشرات اقتصادية مختلفة، فإذا كان أداء بعض القطاعات ضعيفاً سيعوض الأداء الجيد للقطاعات الأخرى الأفضل حالاً وبالتالي فإن عائد المحفظة سيظهر تقلباً أقل بمرور الوقت (Gangadhar & Bahn,2006:311)، ويطلق على هذا الأسلوب بالأسلوب الساذج إذ إنه لا يبين العلاقة بين الأسهم بقدر ما يعطي اهتماماً إلى زيادة العدد الممكن منها (Van Horne & Wachowicz,2009;104).

٢. نظرية المحفظة الحديثة Modern Portfolio Theory

وتمثل المساهمة الرئيسية لنظرية المحفظة الحديثة في إدارة المحافظ في كونها تمثل الإطار المنتظم لعملية الاختيار الرشيد للمحافظ من خلال عملية الموازنة بين العوائد والمخاطر المتوقعة (Alrabadi 2007:2)، وتُعدُّ نظرية المحفظة الحديثة ثورة حقيقية في مجال التمويل، تطورت هذه النظرية بين عامي ١٩٥٣ و ١٩٧٢، إذ وفرت هذه النظرية أطراً متطوراً لإدارة محافظ الأوراق المالية عن طريق فوائد التنوع وكفاءة الأسواق المالية والعلاقة بين العائد والمخاطرة (Michel,et,al:2015:1)(Lydenberg.2016:56)، وقد ساهمت نظرية المحفظة الحديثة مساهمة كبيرة في عملية إدارة الاستثمار، إذ إن السماح للمدراء بتحديد المخاطر والعائد المتوقع للمحفظة الاستثمارية قد وفر التكامل العلمي والموضوعي للفن الموضوعي لإدارة الاستثمار والمحافظ الاستثمارية، والأهم من ذلك في حين كان التركيز في إدارة المحافظ في وقت واحد على خطر الأصول الفردية، فقد حولت نظرية اختيار المحفظة التركيز إلى مخاطر المحفظة بأكملها (Brown, 2009:20)، تُظهر هذه النظرية أنه من الممكن الجمع بين الأصول الخطرة وبناء محفظة تعكس مكوناتها عوائدها المتوقعة، ولكن مع انخفاض مخاطرها إلى حد كبير، وبعبارة أخرى من الممكن إنشاء محفظة تكون مخاطرها أصغر من مجموع كل اجزائها الفردية. (Elton & Gruber, 2000:28).

اقترح ماركويتز نظرية المحفظة الحديثة، والتي تنص على أنه من خلال اختيار مجموعة من الأصول للاستثمار فيها، إذ يمكن للمستثمر الحصول على عوائد أعلى بنفس القدر من المخاطرة، كما اقترح طريقة التباين- المتوسط التي يمكن استخدامها لتعظيم مشكلة اختيار المحفظة (Aranha&Iba,2007:196) ان الإطار المهم الذي يركز عليه ماركويتز (Markowitz 1952) هو كيفية وصف عدد الأوراق المالية داخل المحفظة من خلال التنوع للحد من المخاطر وعلاقات التباين المشترك بين هذه الأوراق (Mendes & Marques 2012:451)، ويقوم نموذج ماركويتز على أساس أن القرارات الاستثمارية للمستثمرين واختيار الأصول المالية يركز على العائد المتوقع والانحراف المعياري، أي أن المستثمر يختار المحفظة الخاصة به على أساس عملية المبادلة بين المعلمتين أي كل من العائد المتوقع والانحراف المعياري (Lawson& Pike, 1979:43) (Elton&Gruber,1997:1744)، ويبنى نموذج ماركويتز على عدد من الافتراضات تتعلق بسلوك المستثمرين أهمها: (West, 2004:3-4) (Reilly&Brown,2012: 183) أ- ينظر المستثمرون لكل بديل استثماري على أنه توزيع احتمالي للعوائد المتوقعة خلال فترة الاحتفاظ.

ب- المستثمرون عقلانيون ويتصرفون بطريقة تعظم مستوى العائد عند درجة معينة من المخاطرة والعكس صحيح.

ج- يزيد المستثمرون من المنفعة المتوقعة لفترة واحدة، اذ تظهر منحنيات المنفعة الخاصة بالمستثمرين تناقص في المنفعة الحدية للثروة.

د- يقدر المستثمرون مخاطر المحفظة على أساس تقلبات العوائد المتوقعة.

هـ- قرارات المستثمرين تعتمد فقط على العائد والمخاطر المتوقعة، لذا فإن منحنيات المنفعة هي دالة على العائد المتوقع والتغير المتوقع (أو الانحراف المعياري) للعائدات فقط.

و- بالنسبة لمستوى مخاطرة معينة، يفضل المستثمرون عوائد أعلى لخفض المخاطر. وبالمثل، بالنسبة لمستوى معين من العائد المتوقع، يفضل المستثمرون مخاطر أقل (Gao&Li,2013:745).

ثالثا: تحليل المحفظة الاستثمارية:

أ- العائد والمخاطرة للمحفظة portfolio Risk& Return

١- عائد المحفظة Portfolio return

يحسب معدل العائد للمحفظة على أساس المعدل الموزون للعوائد المتوقعة لمكوناتها الفردية وحسب المعادلة الاتية (Qi et.al, 2010:21) (deLlano-Paz et al. 2017:638):

$$E(R_p) = \sum_{i=1}^n w_i E(R_i)$$

w_i = وزن الموجود i في المحفظة. R_i = عائد الموجود i في المحفظة.

٢- مخاطرة المحفظة Portfolio Risk

ان معيار الوسط - التباين في نموذج ماركويتز هو ابرز مقاييس المخاطرة في ظل نظرية المحفظة الحديثة، اذ يمكن قياس مخاطرة المحفظة عن طريق المعادلة الاتية (Garcia et al. 2017:13): (Scala et al. 2019:156):

$$\sigma_p^2 = \sum_{j=1}^n w_j^2 \sigma_j^2 + \sum_{i=1}^n \sum_{j=1}^n w_i w_j cov_{ij}$$

اذ ان:

σ_p^2 = تباين المحفظة. w_i = وزن كل موجود داخل المحفظة.

σ_i = التباين الخاص بالموجود. cov_{ij} = التباين المشترك بين الأوراق المالية (i و j)

ويسحب التباين المشترك في ظل نموذج ماركويتز بطريقتين الأولى عن طريق البيانات التاريخية وفق المعادلة الاتية (Berk&Demarzo,2014:٣٥٤):

$$cov_{ij} = \frac{\sum (R_i - \bar{R})(R_j - \bar{R})}{n - 1}$$

بناء المحفظة الاستثمارية المتلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية
اما الطريقة الثانية اذا كانت البيانات احتمالية فيحسب التباين المشترك وفق المعادلة الاتية:
(Parrino,2012:220)

$$Cov_{ij} = \sum (R_i - \bar{R}_i)(R_j - \bar{R}_j) \times P_i$$

Cov_{ij} = التباين المشترك بين الأوراق المالية (i) و (j).
 R_i = العائد الفعلي للموجود (i). $\bar{R}_i$ = متوسط العائد المتحقق للموجود (i).
 R_j = العائد الفعلي للموجود (j). $\bar{R}_j$ = متوسط العائد المتحقق للموجود (j).
 P_i = احتمالية حدوث العائد.

وهناك طريقة أخرى لحساب التباين او معامل الاختلاف بعد استخراج معامل الارتباط وفق المعادلة
الاتية: (Mahabadi et al. 2018:9) (Meyers,2003:169)

$$Cov_{ij} = \sigma_i \sigma_j \rho_{ij}$$

$\sigma_i \sigma_j$ = الانحراف المعياري للسهم (i) و (j).
 ρ_{ij} = معامل الارتباط للسهم (i) و (j).
اما معامل الارتباط في نموذج ماركويتز الذي يقوم بحساب درجة الارتباط بين خيارين من الاستثمار
فيسحب وفق الصيغة الاتية: (Qureshi & Paydar,2012:50) (Malz,2011:76)

$$\rho_{ij} = \frac{Cov_{ij}}{\sigma_i \sigma_j}$$

اذ ان:

$$\sigma_i \sigma_j = \text{الانحراف المعياري للسهم (i) و (j)}$$

$$Cov_{ij} = \text{التباين المشترك بين الأوراق المالية (i) و (j)}$$

رابعاً: الانتقادات الموجهة الى نموذج ماركويتز:

هناك مجموعة من الانتقادات التي تم توجيهها الى نموذج ماركويتز ترجع الى الصعوبة والتعقيد في التطبيق
وبناء المحافظ منها (Elton, et, al., 1976:1341):

١- يحتاج الى عدد كبير من المدخلات، وصعوبة تقدير جودة البيانات المتعلقة بالمدخلات وخاصة
مصفوفة التباين المشترك، اذ يتطلب حساب التباين المشترك لكل زوج من الأوراق المالية.
٢- يحتاج الى وقت وتكلفة كبيرة بهدف الوصول الى المحفظة الكفوءة (صعوبة حل مشكلة البرمجة
الخطية).

٣- صعوبة في تثقيف المستثمرين ومدراء المحافظ خاصة فيما يتعلق بعملية المبادلة بين العائد والمخاطرة
والتي يتم التعبير عنها بالتباين المشترك والعوائد والانحراف المعياري، ان جوهر نظرية المحفظة ليس بجديد،
ويعود اصول هذه النظرية الى عام 1952 عندما قام ماركويتز بنشر مقالته الرائدة ومن ثم كتابه اللاحق عام
1958 اي ان نظرية المحفظة قد تجاوز عمرها 50 عام، والقارئ قد يسأل ما الذي حصل منذ تقديم وتطوير

النظرية، بالإضافة الى ذلك إذا كان لديك معرفة بالممارسات الفعلية للمؤسسات المالية، فقد تتساءل لماذا استغرقت هذه النظرية وقتاً طويلاً لاستخدامها من قبل المؤسسات المالية؟ ترتبط الإجابات عن هذين السؤالين ارتباطاً وثيقاً، وقد ركزت معظم البحوث على إدارة المحافظ في السنوات الـ 50 الماضية على طرق لتنفيذ النظرية الأساسية، كانت العديد من التطبيقات في التنفيذ حديثة العهد، وبفضل هذه المساهمات الجديدة فقط أصبحت نظرية المحفظة قابلة للتطبيق بسهولة على إدارة المحافظ الكفوة (Elton, et, al., 2014:126) لقد كان هناك اثنان من المداخل في الأدبيات لحل أول هذه المشاكل كان أحد استخدام نموذج المؤشر الواحد بهدف الوصول الى التباين المشترك، والثاني هو افتراض وجود تركيبة بسيطة لمصفوفة التباين المشترك على وجه الخصوص، تم إثبات أن جميع الارتباطات المشتركة هي نفسها تؤدي وظيفة ممتازة للتنبؤ بمشاكل الارتباطات في المستقبل (Elton, et, al., 1976:1341).

خامساً: نموذج المؤشر الواحد The Single-Index Model

قام كل من (Elton & Gruber & Padberg: EGP) بتبسيط عملية بناء المحافظ من خلال تطوير معايير بسيطة لاختيار المحفظة التي لا تقوم على استخدام البرمجة التربيعية، إذ تسمح قواعد قرارهم البسيطة بأن يحددوا بسهولة الأوراق المالية التي يجب تضمينها في المحفظة وكمية الاستثمار في كل منها (Chen & Brown, 1983:1087) يفترض نموذج المؤشر الواحد أن الحركة المشتركة بين الأسهم ترجع إلى التأثير المشترك الوحيد لأداء السوق (Nandan & Srivastava, 2017:74)، وبالتالي يمكن الحصول على مقياس هذا المؤشر من خلال ربط عائد الأسهم بالعائد على مؤشر سوق الأسهم (Ali, 2008:5) وقد اقترح وليام شارب نموذج المؤشر الواحد والذي يقوم على أساس المراقبة المستمرة للمؤشرات السوقية لأسعار الاسهم على سبيل المثال (S&P500) فعندما يرتفع السوق (والذي يتم قياسه من قبل أي من مؤشرات سوق الأسهم المتاحة على نطاق واسع)، فإن معظم الأسهم تميل إلى الزيادة في السعر، وعندما تنخفض السوق تميل معظم الأسهم إلى الانخفاض في السعر، هذا يشير إلى أن أحد الأسباب التي قد تكون مرتبطة بعائدات الأوراق المالية هو الاستجابة المشتركة لتغيرات السوق (Toma & Fulga, 2018:4)، ويمكن الحصول على مقياس مفيد لهذه العلاقة من خلال ربط العائد على الأسهم بالعائد على مؤشر سوق الأوراق المالية (Singh & Gautam: 2014:111)، ولعل أهم ميزة في نموذج المؤشر الواحد هو الإطار الذي يوفره لتحليل الاقتصاد الكلي والأوراق المالية في إعداد قائمة المدخلات التي تُعد بالغة الأهمية لفعالية المحفظة المثلى، إذ يتطلب نموذج ماركوفيتز تقديرات لعلاوة المخاطر لكل الأوراق المالية، و يعتمد تقدير العائد المتوقع على كل من توقعات الاقتصاد الكلي وتوقعات الشركات الفردية، ولكن إذا قام العديد من المحللين المختلفين بإجراء تحليل للأوراق المالية لمؤسسة كبيرة مثل شركة صناديق الاستثمار المشترك، فإن النتيجة المحتملة هي عدم التطابق في التوقعات الاقتصادية الكلية التي تكمن جزئياً في توقعات العائدات عبر الأوراق المالية، إضافة الى ذلك فإن الافتراضات الأساسية لمخاطر ومؤشرات السوق غالباً ما تكون غير واضحة في تحليل الأوراق المالية الفردية، ينشئ نموذج المؤشر الواحد إطاراً يفصل بين هذين المصدرين المختلفين تماماً لتغير

$$\bar{R}_i = \alpha_i + \beta_i \bar{R}_m$$

بناء المحفظة الاستثمارية المتلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية العائد ويجعل من السهل ضمان التطابق بين المحللين، وفقا لنموذج المؤشر الواحد فانه يمكن كتابة العائد المتوقع للأوراق المالية: (Mary& Rathika,2015:90)

اذ ان:

$$R_i = \text{العائد على الورقة المالية في الفترة } (t)$$

$$\alpha_i = \text{العائد الاضافي للورقة غير المرتبط بالسوق وهو متغير عشوائي.}$$

$$\beta_i = \text{الميل، درجة حساسية الورقة المالية تجاه التغيرات في السوق.}$$

$$R_m = \text{العائد على مؤشر السوق في الفترة } (t)$$

وبحسب المعادلة السابقة فان عائد السهم يقسم على قسمين، جزء يرجع الى السوق ومرتبطة به، وجزء اخر مستقل عن السوق، ولنفترض ان (α_i) يرمز الى القيمة المتوقعة (α_i) ، و (e_i) يرمز الى القيمة العشوائية (غير المؤكدة) ل (α_i) ، لذلك:

$$\alpha_i = \alpha_i + e_i$$

اذ إن (e_i) له قيمة صفر، والانحراف المعياري ل (σ_{e_i}) الذي يقيس عدم التأكد بشأن عوائد الاوراق المالية، يمكن كتابة المعادلة السابقة لعائد الورقة المالية الذي يرتبط بمؤشر السوق حسب المعادلة الاتية: (DuPlessis,2009:39)(Bilbao et al., 2007:829)

$$R_i = \alpha_i + \beta_i R_m + e_i$$

وفي ظل نموذج المؤشر الواحد يمكن حساب العائد المتوقع والانحراف المعياري والتباين الكلي وفق الصيغ الرياضية الاتية: (Sharpe,et.al,1999:198-199)(Schlueter & Sievers 2014:9)

$$\bar{R}_i = \alpha_i + \beta_i \bar{R}_m$$

اما تباين عائد الورقة المالية وفق نموذج المؤشر الواحد فيمكن حسابه (Hwang,et.al, 2012:92):

$$\sigma_i^2 = \beta_i^2 \sigma_m^2 + \sigma_{e_i}^2$$

اما التباين المشترك بين عوائد الورقتين (i) و (j) (Toma & Fulga, 2018:4):

$$\text{cov}(r_i, r_j) = \beta_i \beta_j \sigma_m^2$$

اما معامل الارتباط في ظل نموذج المؤشر الواحد: (Rosdiana,2012:41)

$$\text{corr}(r_i, r_j) = \frac{\beta_i \beta_j \sigma_m^2}{\sigma_i^2 \sigma_j^2} = \frac{\beta_i \sigma_m^2 \beta_j \sigma_m^2}{\sigma_i \sigma_m \sigma_j \sigma_m}$$

ووفقا لنموذج المؤشر الواحد فان العائد المتوقع يتكون من جزئين، الاول هو الجزء المرتبط بالشركة (α_i) ، اما الجزء الثاني فهو مرتبط بالسوق $(\beta_i R_m)$ ، وكذلك الحال بالنسبة للمخاطرة فهي ايضا تتكون من جزئين الاول مرتبط بالشركة (σ_{e_i}) ، والثاني الجزء المرتبط بالسوق $(\beta_i^2 \sigma_m^2)$ ، كما ان التباين المشترك يعتمد فقط على مخاطرة السوق، وهذا يعني ان نموذج المؤشر الواحد ينص على ان تحركات الاوراق المالية فيما بينها تستجيب للتحركات والتغيرات في الاسواق.

سادساً: نموذج المؤشر الواحد والتنويع Diversification

يرمز الى بيتا المحفظة بالرمز (Bp) وهي عبارة عن المتوسط الموزون لقيم بيتا الفردية للأوراق المالية (β_{iS})، لذلك فان بيتا المحفظة تحسب: (Vishwanath,2007:100)

$$\beta_p = \sum_{i=1}^N X_i \beta_i$$

وكذلك الحال بالنسبة الى الفا المحفظة (α_p) فيمكن ان تحسب حسب الاتي: (Bhansali:2011,238)

$$\alpha_p = \sum_{i=1}^N X_i \alpha_i$$

وفي ظل نموذج المؤشر الواحد يمكن حساب العائد المتوقع والانحراف المعياري للمحفظة وفق الصيغة الاتية: (Amenc& Le Sourd,2003:87) (Grover& Lavin,2007:63)

$$\bar{R}_p = \alpha_p + \beta_p \bar{R}_m$$

اما تبين المحفظة وفق نموذج المؤشر الواحد فيمكن حسابه: (Brown // (Quiry, et.al,2009:403) (2000,243)

$$\sigma_p^2 = \beta_p^2 \sigma_m^2 + \sum_{i=1}^N x_i^2 \sigma_{ei}^2$$

$$\sigma_p^2 = \beta_p^2 \sigma_m^2 + \frac{1}{N} \sum_{i=1}^N \frac{1}{N} x_i^2 \sigma_{ei}^2$$

سابعاً: خطوات تحديد الاسهم الداخلة في المحفظة:

1- حساب العائد والمخاطرة للأوراق المالية وفق نموذج المؤشر الواحد وحسب المعادلة رقم (٩) و (١٠) وكما موضح ادناه:

$$\bar{R}_i = \alpha_i + \beta_i \bar{R}_m$$

$$\sigma_i^2 = \beta_i^2 \sigma_m^2 + \sigma_{ei}^2$$

2- الخطوة الثانية تقوم على اساس ترتيب الاوراق المالية من الاعلى الى الاسفل عن طريق نسبة العائد الاضافي الى بيتاه (β) ويطلق على هذه النسبة نسبة ترينور (Treynor) وتقوم هذه النسبة بقياس مرغوبة كل سهم للإدخال في المحفظة: (Jordan & Miller,2009:415)

$$Treynor\ ratio = \frac{R_i - RF}{\beta_i}$$

3- الخطوة الثالثة بعد ان يتم ترتيب الاوراق المالية من اعلى الى اسفل يتم تحديد معدل القطع (cut-off) ويتم ذلك عن طريق مقارنة نسبة العائد الفائض الى بيتاه مع القيم التراكمية وبعدها يتم تحديد الاسهم

بناء المحفظة الاستثمارية المتلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية الداخلة في المحفظة في حال البيع القصير غير مسموح فيه وبحسب وفق الصيغة الآتية: (Tirtana, 2009: 23) (Loviscek, 2015: 1205).

$$C_i = \frac{\sigma_m^2 \sum_{j=1}^i \frac{(R_i - RF)\beta_i}{\sigma_{ei}^2}}{1 + \sigma_m^2 \sum_{j=1}^i \frac{\beta_i^2}{\sigma_{ei}^2}}$$

اذ ان:

C_i = معدل القطع، σ_m^2 = تباين عائد السوق الاوراق المالية

σ_{ei}^2 = تباين عائد الورقة المالية، R_i = معدل عائد الورقة المالية

4- الخطوة الرابعة: تتمثل في تحديد الوزن لكل ورقة مالية ووفقا للصيغة الآتية (Mehta, 2015: 5)

$$W_i = \frac{Z_i}{\sum Z_i}$$

Z_i = وزن الورقة المالية في المحفظة

W_i = الوزن النسبي للورقة المالية المدرجة في المحفظة.

اما قيمة Z فيمكن حسابها وفق المعادلة الآتية (Kamal, 2012: 34):

$$Z_i = \frac{\beta_i}{\sigma_{ei}^2} \left(\frac{\bar{R}_i - RF}{\beta_i} \right) - C^*$$

المحور الثالث: الجانب العملي

أولاً: تحليل معدلات العائد والمخاطرة للشركات عينة الدراسة الحالية:

بين الجدول (٢) سلسلة من العائد المتوقع والانحراف المعياري والتباين والالفا والبيتا والمخاطرة الخاصة، ونلاحظ من الجدول ان اعلى معدل للعائد المتوقع كان في شركة الأسواق الحرة اذ بلغ (0.01307) وهذا يعني الحركة التصاعدية لاسهم هذه الشركة، اما ادنى معدل للعائد المتوقع كان في شركة الاستثمارات المتخصصة اذ بلغ (-0.02862) وهذا يعني الحركة التنازلية لاسهم الشركة، اما في ما يتعلق بالانحراف المعياري فقد بلغت اعلى قيمة له في شركة التجمعات لخدمات التغذية اذ بلغت (0.26349)، اما أدنى معدل للانحراف المعياري كان في شركة الإسكان اذ بلغ (0.02965) وعند المقارنة مع الانحراف المعياري للسوق البالغ (0.024) ويعني ذلك المخاطرة الكلية للشركات في كلتا الحالتين كانت مرتفعة، اما في ما يتعلق بالألفا فقد كانت اعلى قيمة لها في شركة الأسواق الحرة اذ بلغت (0.013458) وهذا يعني ان القيمة الحقيقية لهذه الشركة اكبر من القيمة السوقية وتعد هذه الأسهم من وجهة نظر المستثمرين اسهماً رابحة، اما ادنى قيمة للألفا فقد كانت في شركة الاستثمارات المتخصصة اذ بلغت (-0.02821) وهي قيمة سالبة

وهذا يعني ان القيمة السوقية لهذه الأسهم اكبر من القيمة الحقيقية وتعد من الأسهم الخاسرة، اما في ما يتعلق في البيت فقد كانت اعلى قيمة لها في شركة التجمعات الاستثمارية اذ بلغت (3.06632) وهذا يعني ان حركة الأسهم اكثر تقلباً من حركة السوق، اما ادنى قيمة للبيتا فقد كانت في سهم شركة الحياة الدوائية اذ بلغت (-0.2055) ويعني ذلك ان حركة الأسهم اقل تقلباً من السوق، اما المخاطرة الخاصة بالشركة فقد كانت اعلى قيمة لها في سهم شركة التجمعات لخدمات التغذية اذ بلغت (0.06743)، اما ادنى مخاطرة خاصة كانت في شركة الإسكان اذ بلغت (0.00088) وعند المقارنة مع تباين السوق الذي بلغ (0.00058) نجد ان التباين غير المرتبط بتحركات السوق في كلتا الحالتين مرتفع وحسب الجدول الآتي:

ت	القطاع	الشركة	Ri	Bi	σ^2_i	A	β	σ^2_{ei}
		السوق	-	0.024	0.00058			
			0.00182					
1		العربي	-	0.05197	0.0027	-0.00567	1.31257	0.00171
			0.00807					
2		الإسكان	0.00164	0.02965	0.00088	0.00173	0.05242	0.00088
			7					
3		الأردني الكويتي	-	0.04676	0.00219	0.00077	0.89177	0.00173
			0.00086					
4		الإسلامي الأردني	0.00147	0.05771	0.00333	0.00335	1.03166	0.00272
5		الاستثماري	0.00021	0.05474	0.003	0.00100	0.43647	0.00289
			2					
6		القاهرة عمان	-0.0052	0.06726	0.00452	-0.00326	1.06096	0.00388
7	القطاع المالي	الأردن	0.00347	0.0614	0.00377	0.00404	0.31604	0.00371
			7					
8		الأولى للتأمين	-	0.05797	0.00336	-0.00365	0.38369	0.00328
			0.00435					
9		التأمين الإسلامية	-	0.05456	0.00298	-0.0026	0.63213	0.00275
			0.00375					
10		الاتحاد العربي	-	0.13238	0.01752	0.00061	0.62972	0.0173
			0.00053			9		
11		الاتحاد للاستثمارات	-	0.12664	0.01604	0.00040	2.08128	0.01354
			0.00339			6		
12		الأردن الأولى	0.0039	0.06842	0.00468	0.00529	0.7635	0.00435
			6					
13		العربية	-	0.0692	0.00479	-0.00763	1.53209	0.00344
			0.01042					

بناء المحفظة الاستثمارية المتلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية

0.00244	1.32795	-0.00751	0.00346	0.05879	-	الأمين	14
					0.00993		
0.00977	1.07089	-0.0133	0.01043	0.10212	-	المتحدة	15
					0.01525		
0.00506	0.6073	0.00268	0.00527	0.07259	0.00158	الأردنية	16
		8					
0.00926	1.28892	0.00472	0.01022	0.10108	0.00238	تطوير الأراضي	17
		8					
0.06327	3.06632	-0.01075	0.06868	0.26207	-	التجمعات الاستثمارية	18
					0.01634		
0.00418	0.32065	0.00714	0.00424	0.06513	0.00656	ميثاق	19
0.03434	1.3335	0.00105	0.03537	0.18806	-	الشرق العربي	20
		9			0.00137		
0.06743	1.862	-0.00794	0.06942	0.26349	-	التجمعات لخدمات التغذية	21
					0.01133		
0.01228	1.04771	-0.0014	0.01318	0.09486	-	المتوسط	
					0.00331		
0.01455	0.7461	-0.0107	0.01487	0.12194	-	زارة للاستثمار	22
					0.01206		
0.00114	0.2305	0.00317	0.00117	0.03422	0.00275	البحر المتوسط	23
		5					
0.00128	0.62106	-0.00186	0.0015	0.03871	-0.003	الدولية للفنادق والأسواق	24
0.00367	0.33797	-0.00407	0.00373	0.06108	-	العربية الدولية	25
					0.00468		
0.01041	2.08646	-0.01212	0.01292	0.11367	-	الملكية الأردنية	26
					0.01593		
0.0051	0.09546	-0.01077	0.00511	0.07148	-	السلام للنقل	27
					0.01094		
0.00228	0.43552	0.00036	0.00239	0.04886	-	النقل والسياحة	28
					0.00043		
0.00569	0.25864	-0.00653	0.00572	0.07566	-0.007	ر.م للنقل والاستثمار	29
0.00399	0.211	0.01345	0.00402	0.06337	0.01307	الأسواق الحرة	30
		8					
0.0282	0.22581	-0.02821	0.02823	0.16803	-	الاستثمارات المتخصصة	31
					0.02862		

0.00763	0.52485	-0.00573	0.00797	0.0797	-	المتوسط	
					0.00668		
0.00575	0.63207	-0.01075	0.00598	0.07733	-	الأردن	32
					0.01191	الدوائية	
0.00747	-0.2055	0.00426	0.00749	0.08655	0.00464	الحياة	33
		8				الدوائية	
0.00135	0.23169	0.00119	0.00139	0.03722	0.00077	العربية	34
						للمبيدات	
0.00863	1.08297	0.0024	0.0093	0.09646	0.00043	البتروكيماويات	35
						يات	
0.00465	0.42275	0.00784	0.00475	0.06891	0.00707	العالمية	36
		6				للزيوت	
0.01167	0.31372	0.00475	0.01173	0.10828	0.00419	الالبان	37
		9				الأردنية	قطاع الصناعة
0.00508	1.32758	-0.00555	0.0061	0.0781	-	البوتاس	38
					0.00797	العربية	
0.00577	1.41216	-0.01778	0.00692	0.08318	-	الفوسفات	39
					0.02036		
0.01052	1.16169	-0.01631	0.0113	0.10628	-	الاسمنت	40
					0.01843		
0.00488	-0.0694	0.00360	0.00489	0.0699	0.00373	الالمنيوم	41
		4				ارل	
0.00658	0.63097	-0.00263	0.00698	0.08122	-	المتوسط	
					0.00378		

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية.

وبين الجدول (٢) متوسطات العائد المتوقع والانحراف المعياري والتباين الكلي والافا والبيتا والمخاطرة الخاصة على مستوى القطاعات الاقتصادية المبحوثة، ونلاحظ من الجدول ان اعلى متوسط للعائد المتوقع كان في قطاع الاستثمار المالي اذ بلغ (-0.00331) وهو متوسط سالب ويعني ذلك انخفاضاً في مستويات النشاط الاقتصادي في قطاع الاستثمار المالي في سوق عمان للأوراق المالية، اما ادنى متوسط للعائد المتوقع كان في قطاع الخدمات اذ بلغ (-0.00668) وهو أيضاً متوسط سالب وهذا يعني انخفاضاً في مستويات النشاط الاقتصادي في قطاع الخدمات، اما الانحراف المعياري فقد كانت اعلى قيمة في قطاع الاستثمار المالي وهذا يعني زيادة المخاطرة الكلية في هذا القطاع، اما ادنى متوسط للانحراف المعياري فقد كانت في قطاع الخدمات (0.079703) و عند المقارنة مع الانحراف المعياري للسوق البالغ (0.024) وهذا يعني أيضاً ارتفاعاً في المخاطرة الكلية في قطاع الخدمات، اما الالفاف فقد كانت اعلى قيمة لها في قطاع الاستثمار المالي اذ بلغت (-0.0014)، اما ادنى متوسط للالفاف فقد كانت (-0.00573) وفي كلتا الحالتين قيمة الالفاف سالبة وهذا يعني ان القيمة الحقيقية لاسهم هذه القطاعات اقل من القيمة السوقية وهي اسهم خاسرة ويجب

بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية بيعها، اما البيتّا فقد كانت اعلى قيمة لها في قطاع الاستثمار المالي اذ بلغت (1.047706) وهذا يعني ان حركة هذا القطاع اعلى من حركة السوق، اما ادنى قيمة للبيتّا فقد كانت في قطاع الخدمات اذ بلغت (0.52485) وهذا يعني ان حركة الأسهم لهذا القطاع أبطأ من حركة السوق، اما المخاطرة الخاصة فقد كانت في كلتا الحالتين هي اعلى من تباين السوق الذي بلغت قيمته (0.000576).

ثانياً: بناء المحفظة الاستثمارية المثلى:

تم ترشيح جميع الأسهم المشار إليها في عينة الدراسة في بناء المحفظة الاستثمارية المثلى وكما موضح ادناه في الجدول (٢) وحسب الآتي:

جدول (٣) معدلات العائد المتوقع والخالي من المخاطرة ونسب البيتّا للشركات عينة الدراسة

σ_{ei}^2	β_i	$R_i - RF$	RF	R_i	CAMPANY	STOCK
0.004883	-0.06945	-0.02798	0.031708	0.003731	الالمنيوم -ارل	41
0.007467	-0.20548	-0.02707	0.031708	0.004642	الحياة الدوائية	18
0.063267	3.066316	-0.04805	0.031708	-0.01634	التجمعات الاستثمارية	24
0.013542	2.081279	-0.0351	0.031708	-0.00339	الاتحاد	11
0.00926	1.288924	-0.02933	0.031708	0.002378	تطوير الأراضي	23
0.010414	2.086459	-0.04764	0.031708	-0.01593	الملكية الأردنية	28
0.067427	1.862	-0.04304	0.031708	-0.01133	التجمعات لخدمات التغذية	27
0.034342	1.333499	-0.03308	0.031708	-0.00137	الشرق العربي	26
0.003436	1.532086	-0.04213	0.031708	-0.01042	العربية	13
0.008629	1.082971	-0.03128	0.031708	0.000425	البتروكيميائيات الإسلامي	35
0.002717	1.031655	-0.03024	0.031708	0.001469	الأردني	4
0.005084	1.327585	-0.03968	0.031708	-0.00797	البوتاس العربية	38
0.001708	1.312571	-0.03978	0.031708	-0.00807	العربي	1
0.002441	1.32795	-0.04164	0.031708	-0.00993	الأمين	14
0.003875	1.06096	-0.0369	0.031708	-0.0052	القاهرة عمان	6
0.004346	0.763505	-0.02781	0.031708	0.003903	الأولى	12
0.001728	0.891772	-0.03256	0.031708	-0.00086	الارني الكويتي	3
0.00577	1.412165	-0.05207	0.031708	-0.02036	الفوسفات	39
0.010519	1.161693	-0.05014	0.031708	-0.01843	الاسمنت	40
0.009769	1.070895	-0.04696	0.031708	-0.01525	المتحدة	15
0.005057	0.607296	-0.03013	0.031708	0.00158	الأردنية	16
0.017295	0.629725	-0.03224	0.031708	-0.00053	الاتحاد العربي	10
0.001277	0.621058	-0.0347	0.031708	-0.003	الدولية للفنادق والاسواق	21

0.002746	0.632131	-0.03546	0.031708	-0.00375	التأمين الإسلامية	9
0.004645	0.422747	-0.02463	0.031708	0.007075	العالمية للزيوت	36
0.01455	0.746097	-0.04376	0.031708	-0.01206	زارة للاستثمار	19
0.005749	0.632075	-0.04362	0.031708	-0.01191	الأردن الدوائية	17
0.002886	0.436466	-0.0315	0.031708	0.000206	الاستثماري	5
0.002278	0.435518	-0.03214	0.031708	-0.00043	النقلات السياحية	30
0.004183	0.32065	-0.02515	0.031708	0.006555	ميثاق	25
0.011668	0.31372	-0.02752	0.031708	0.004187	الالبان الأردنية	37
0.00399	0.211001	-0.01864	0.031708	0.013073	الأسواق الحرة	32
0.003712	0.316044	-0.02824	0.031708	0.00347	الأردن	7
0.003276	0.383692	-0.03606	0.031708	-0.00435	الأولى للتأمين	8
0.003665	0.337972	-0.03639	0.031708	-0.00468	العربية الدولية	22
0.00114	0.230495	-0.02895	0.031708	0.002755	البحر المتوسط	20
0.001354	0.231691	-0.03094	0.031708	0.000768	العربية للمبيدات	34
0.005686	0.258637	-0.03871	0.031708	-0.007	ر.م للنقل والاستثمار	31
0.028204	0.225806	-0.06033	0.031708	-0.02862	الاستثمارات المتخصصة	33
0.005104	0.095457	-0.04265	0.031708	-0.01094	السلام للنقل	29
0.000877	0.052416	-0.03007	0.031708	0.001641	الإسكان	2

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية.

يبين الجدول (٣) معدلات العائد المتوقع للأسهم الفردية عينة الدراسة ومعدلات العائد على حوالات الخزينة في سوق عمان للأوراق المالية والبيتا والمخاطرة الخاصة للأسهم الفردية اذ من خلال هذا الجدول يتم ترتيب الأسهم تنازلياً من الأعلى الى الأدنى من خلال مؤشر ترينور والذي يحدد مرغوبة كل سهم للإدخال الى المحفظة المثلى وكما موضح ادناه في الجدول (٤).

جدول (٤) المحفظة المثلى واوزانها وفق معيار حد القطع لاسهم الشركات عينة الدراسة

الرقم	الخطوات	1	2	3	4
STOCK	CAMPANY	$\frac{(R_i - RF)}{\beta_i}$	$\frac{(R_i - RF)\beta_i}{\sigma^2_{ei}}$	$\Sigma[2]$	$[3] * \sigma^2_m$
41	الالمنيوم -ارل	0.402871154	0.39790312	0.39790312	0.000229208
18	الحياة الدوائية	0.131718531	0.744786323	1.142689443	0.000658235
24	التجمعات الاستثمارية	-0.015671246	-2.328953104	-1.186263661	-0.000683336
11	الاتحاد	-0.016863669	-5.394137562	-6.580401223	-0.003790576
23	تطوير الأراضي	-0.022755794	-4.082562372	-10.66296359	-0.006142297
28	الملكية الأردنية	-0.022830759	-9.544234621	-20.20719822	-0.011640161
27	التجمعات لخدمات التغذية	-0.023114634	-1.1885299	-21.39572812	-0.012324802

26	الشرق العربي	-0.0248075	-1.284514566	-22.68024268	-0.013064734
13	العربية	-0.027499388	-18.78531611	-41.4655588	-0.023885833
35	البتروكيمياويات	-0.02888624	-3.92609189	-45.39165069	-0.02614742
4	الإسلامي الأردني	-0.029311613	-11.48095801	-56.87260869	-0.032760915
38	البوتاس العربية	-0.029886443	-10.3614135	-67.23402219	-0.038729507
1	العربي	-0.030304297	-30.56734234	-97.80136453	-0.056337528
14	الأمين	-0.031353857	-22.65296275	-120.4543273	-0.069386548
6	القاهرة عمان	-0.034783144	-10.10304706	-130.5573743	-0.07520631
12	الأولى	-0.036417768	-4.884627776	-135.4420021	-0.078020053
3	الأردني الكويتي	-0.036516978	-16.8025697	-152.2445718	-0.08769901
39	الفوسفات	-0.036869104	-12.74208343	-164.9866553	-0.095038964
40	الاسمنت	-0.043161332	-5.537558275	-170.5242135	-0.098228821
15	المتحدة	-0.043850194	-5.147787687	-175.6720012	-0.101194154
16	الأردنية	-0.049610327	-3.618203791	-179.290205	-0.103278385
10	الاتحاد العربي	-0.051193723	-1.173778283	-180.4639833	-0.103954529
21	الدولية للفنادق والأسواق	-0.055880242	-16.88469961	-197.3486829	-0.113680796
9	التأمين الإسلامية	-0.05609874	-8.162897663	-205.5115806	-0.118382954
36	العالمية للزيوت	-0.058270309	-2.241718079	-207.7532986	-0.119674274
19	زارة للاستثمار	-0.058658582	-2.244206631	-209.9975053	-0.120967028
17	الأردن الدوائية	-0.069003068	-4.795148979	-214.7926543	-0.123729227
5	الاستثماري	-0.072175011	-4.763424636	-219.5560789	-0.126473152
30	الثقلات السياحة	-0.073802486	-6.145156318	-225.7012352	-0.130013009
25	ميثاق	-0.078443822	-1.928082781	-227.629318	-0.131123663
37	الالبان الأردنية	-0.087725266	-0.739945726	-228.3692637	-0.131549901
32	الأسواق الحرة	-0.088318031	-0.985499631	-229.3547633	-0.132117589
7	الأردن	-0.089348094	-2.404047955	-231.7588113	-0.133502417
8	الأولى للتأمين	-0.093968856	-4.223365206	-235.9821765	-0.135935246
22	العربية الدولية	-0.107678248	-3.355599481	-239.337776	-0.137868206
20	البحر المتوسط	-0.125614637	-5.852952799	-245.1907288	-0.141239743
34	العربية للمبيدات	-0.133542348	-5.293677532	-250.4844063	-0.144289115
31	ر.م للنقل والاستثمار	-0.149677535	-1.760780614	-252.2451869	-0.145303395
33	الاستثمارات المتخصصة	-0.267156903	-0.482975411	-252.7281623	-0.145581609
29	السلام للنقل	-0.446828789	-0.797693049	-253.5258554	-0.146041112
2	الإسكان	-0.573622121	-1.796536006	-255.3223914	-0.147075989

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية.

10	9	8	7	6	5
w_i	Z_i	$C_i \left[\frac{4}{7} \right]$	$[6] * \sigma^2 m + 1$	$\Sigma [5]$	$\frac{\beta 2i}{\sigma^2 e i}$
0.613319505	-5.720383529	0.000229078	1.000568937	0.98766843	0.98766843
0.386680495	-3.606539035	0.000655726	1.003826086	6.642046111	5.654377681
0	0	-0.00062724	1.089433247	155.2551889	148.6131428
0	0	-0.002976059	1.273689752	475.1225691	319.8673803
0	0	-0.004460521	1.377035762	654.5301717	179.4076026
0	0	-0.007194854	1.617845272	1072.572982	418.0428103
0	0	-0.007481072	1.647464652	1123.991918	51.41893588
0	0	-0.007789185	1.677291606	1175.771201	51.7792832
0	0	-0.011534621	2.070794882	1858.888806	683.1176045
0	0	-0.012166753	2.149087772	1994.80445	135.9156443
0	0	-0.013795726	2.374714886	2386.490779	391.6863289
0	0	-0.015043951	2.57442389	2733.183537	346.6927586
0	0	-0.017853958	3.155464304	3741.863667	1008.68013
0	0	-0.01942703	3.571649774	4464.357326	722.4936584
0	0	-0.020114204	3.738965367	4754.815459	290.4581336
0	0	-0.020444284	3.816228271	4888.943059	134.1276001
0	0	-0.021488104	4.081281895	5349.073399	460.1303402
0	0	-0.022203481	4.280363315	5694.67668	345.6032802
0	0	-0.0225592	4.354268745	5822.975738	128.2990588
0	0	-0.022884804	4.42189292	5940.370606	117.3948674
0	0	-0.023136332	4.463904964	6013.303077	72.93247155
0	0	-0.023219101	4.477112513	6036.231245	22.92816785
0	0	-0.024441343	4.651168088	6338.389918	302.1586725
0	0	-0.025001746	4.734987405	6483.899383	145.5094655
0	0	-0.025156726	4.757148262	6522.370401	38.47101738
0	0	-0.025311215	4.77918687	6560.629195	38.25879456
0	0	-0.025674135	4.819216961	6630.121018	69.4918225
0	0	-0.026038098	4.857234615	6696.11927	65.99825266
0	0	-0.026505147	4.905198551	6779.384166	83.26489598
0	0	-0.026654634	4.919357135	6803.96332	24.57915401
0	0	-0.026714893	4.924215924	6812.398128	8.434807437
0	0	-0.026795201	4.930643688	6823.55666	11.15853266
0	0	-0.026991217	4.946142939	6850.463199	26.90653871
0	0	-0.027339974	4.972032672	6895.407507	44.94430792

0	0	-0.027628988	4.989983935	6926.570714	31.16320651
0	0	-0.028153217	5.016824253	6973.165226	46.5945128
0	0	-0.028630731	5.039658745	7012.805667	39.6404408
0	0	-0.028793275	5.046435183	7024.569494	11.76382691
0	0	-0.028842454	5.047476569	7026.377328	1.807834294
0	0	-0.028927596	5.048504934	7028.16256	1.78523199
0	0	-0.029122176	5.050309044	7031.294476	3.131915492

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية.

وقد تم بناء المحفظة المثلى من الأسهم العادية بالاعتماد على نتائج التحليل الاحصائي في الجدول رقم (٤) ومن خلال استخدام أنموذج التدرج البسيط (Simple Ranking) في استخراج الاوزان للمحفظة المثلى من خلال نموذج شارب وحسب الخطوات الاتية^(٣):-

الخطوة الأولى: ترتيب الأسهم تنازليا من خلال مؤشر ترينور $(R_i - R_F / \beta_i)$ ولكل سهم وقد وضعت في العمود (١) من الجدول (٤).

الخطوة الثانية: بعد ترتيب الأسهم تنازليا من خلال مؤشر ترينور حسب الصيغة $(R_i - R_F) \beta / \sigma^2_{ei}$ ووضعت في العمود (٢) من الجدول السابق.

الخطوة الثالثة: جمعت القيم في العمود (٢) تراكميا ووضعت النتائج بالعمود في الجدول (٣) وحسب الصيغة الرياضية $(\sum (R_i - R_F)) \beta / \sigma^2_{ei}$.

الخطوة الرابعة: ضربت القيم العمود (٣) ولكل سهم في الجدول بقيم تباين محفظة السوق والبالغ (0.000576) ووضعت في الجدول رقم (٤).

الخطوة الخامسة: حسبت الصيغة $(\beta^2 / \sigma^2_{ei})$ لكل سهم ووضعت في العمود رقم (٥).
الخطوة السادسة: جمعت قيم العمود (٥) تراكميا وقد وضعت النتائج في العمود (٦) وفق الصيغة $(\sum \beta^2 / \sigma^2_{ei})$.

الخطوة السابعة: ضربت قيم العمود (٥) بقيم تباين محفظة السوق (0.000576) ثم اضيف واحد صحيح لكل ناتج من النواتج ووضعت في العمود رقم (٧).

الخطوة الثامنة: ان الخطوة الثامنة قد اختصت بحساب حد القطع (Cut off-Rate) وذلك من خلال قسمة القيم الظاهرة في العمود (٤) على القيم الظاهرة في العمود (٧) إزاء كل سهم من الأسهم، وقد وضعت النتائج في العمود رقم (٨)، والغرض من ذلك هو مقارنة قيم العمود الظاهرة في العمود (٨) مع العمود (١) في الجدول رقم (٤) واذا كانت النتائج في حد القطع (C_i) في العمود (٨) لسهم معين اقل من القيم في العمود (١) فأن هذا السهم سيكون ضمن مكونات المحفظة، ونلاحظ من الجدول ان قيمة (C_i) لشركة الاننيوم-ارل والبالغة (0.000229078) هي اقل من نسبة ترينور في العمود (1) لذلك فقد تم ادراجها في المحفظة المثلى. وقد كانت قيمة (C_i) لشركة التجمعات الاستثمارية والبالغة (-0.00062724)

٣- ان هذه الخطوات والإجراءات ماهي الا تبسيط لحد القطع (C_i) .

هي أكبر من نسبة ترينور في العمود (١) والبالغة (0.015671246-) وعليه فأن إجراءات نموذج المؤشر الواحد او نموذج التدرج البسيط لا تتضمن شركة التجمعات الاستثمارية في المحفظة المثلى.

الخطوة التاسعة: يقع حد القطع الأمثل (Optimal Cut – off Rate) او (C*) في العمود رقم (٨) امام السهم الأخير الذي تضمنته المحفظة المثلى في شركة الحياة الدوائية والبالغ (0.000656)، ومن خلال حد القطع الأمثل حسب قيمة (Z).

الخطوة العاشرة: تم حساب الوزن الأمثل لكل سهم من الاسهم الداخلة في تركيبة المحفظة المثلى من خلال جمع قيم (Z) للأسهم المرشحة أولاً، ثم إيجاد نسب الاستثمار المثلى لكل سهم من خلال قسمة قيم (Z) لكل سهم على مجموع قيم (Z).

وبالاعتماد على الخطوات السابقة والإجراءات الواردة في الجدول (٣) ومن خلال استخدام نموذج المؤشر الواحد في بناء المحفظة المثلى فقد تم ترشيح سهم شركة الألمنيوم -ارل وسهم شركة الحياة الدوائية للدخول الى المحفظة المثلى فقط من بين ٤١ سهم في حالة عدم السماح بالبيع القصير وقد تم استخراج الازان المثلى بالاعتماد على نموذج شارب وبعد ترجيح الازان المثلى لكل من بيتا الأسهم الداخلة للمحفظة المثلى والمخاطرة الخاصة والالفا فقد تم الحصول على النتائج الآتية:

RP	0.00409031	معدل العائد المتوقع
SYSTEMATIC	8.73129E-06	المخاطرة النظامية
UNSYSTEMATIC	0.00057604	المخاطرة اللانظامية
VARIANCE	0.000584772	التباين الكلي
SD	0.024182051	الانحراف المعياري
R/R	0.169146509	مؤشر العائد على المخاطرة
SHARPE	-1.142081778	نسبة شارب

ثالثاً: ملخص بناء المحفظة المثلى في سوق عمان للأوراق المالية

بالاعتماد على الإجراءات السابقة في بناء المحفظة المثلى ومن خلال استخدام ٤١ سهم في بناء المحفظة المثلى فقد تم ترشيح سهم شركة الألمنيوم - ارل وسهم شركة الحياة الدوائية فقط للدخول للمحفظة المثلى من بين الـ ٤١ فقط وهذا يظهر بشكل جلي حجم التبسيط الكبير الذي قام به نموذج المؤشر الواحد والفرق بين هذا النموذج مع نموذج ماركويتز اذ كما هو معروف فأنا نحتاج الى دراسة وتحليل واستخراج معدلات العائد والمخاطرة و معاملات الارتباط والاوزان لكل سهم من الأسهم عينة الدراسة وهذا يحتاج الى وقت وجهد وتكلفة كبيرة في ظل نموذج ماركويتز مقارنة مع نموذج المؤشر الواحد الذي اقتصر بناء المحفظة المثلى فقط على سهم شركة الألمنيوم - ارل وسهم شركة الحياة الدوائية وهذا يؤكد صحة الفرضية الأولى التي تنص على قدرة نموذج المؤشر الواحد على تبسيط إجراءات بناء المحفظة المثلى، وفيما يتعلق بخصائص العائد والمخاطرة ونسبة الأداء ومن خلال النتائج الظاهرة في الجدول (٥) الذي بين ملخص بناء المحفظة المثلى والمحفظة المرجعية في سوق عمان للأوراق المالية، اذ بلغ معدل العائد المتوقع للمحفظة المثلى

بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية (0.0041) وهو معدل موجب بالمقارنة مع معدل العائد للمحفظة المرجعية او محفظة السوق الذي بلغ (-0.0018) وهو معدل سالب وهذا يعني تفوق المحفظة المثلى على المحفظة المرجعية في سوق عمان للأوراق المالية من خلال معدل العائد، اما المخاطرة الكلية فقد بلغت للمحفظة المثلى التي تم بناؤها وفق نموذج المؤشر الواحد (نموذج شارب) فقد بلغت (0.0242) مقارنة مع محفظة السوق اذ بلغت المخاطرة الكلية لها (0.024) ونلاحظ من خلال النتائج تساوي المحفظة المثلى مع المحفظة المرجعية في المخاطرة الكلية على الرغم من تفوق المحفظة المثلى على المحفظة المرجعية من خلال معدل العائد وهذا يعني ان المحفظة المثلى قد حققت افضل مبادلة بين العائد المتوقع والمخاطرة ومن خلال العديد من الدراسات السابقة فهذه النتائج نادرة الحدوث بالمقارنة مع المحفظة المرجعية، اذ ومن خلال استخدام مؤشر العائد الى المخاطرة والذي يبين عملية المبادلة بين العائد والمخاطرة والذي بلغ للمحفظة المثلى (0.16915) وهو معدل موجب مقارنة مع المحفظة المرجعية الذي بلغ (-0.076) وهو معدل سالب ونلاحظ أيضا تفوق المحفظة المثلى من خلال هذا المؤشر وهو يثبت صحة النتائج السابقة من خلال تحقيق المحفظة المثلى افضل مبادلة بين العائد والمخاطرة، اما معيار الأداء وباستخدام معيار شارب في تقييم أداء المحفظة المثلى الذي بلغ (-1.1421)، وقد بلغت نسبة شارب للمحفظة المرجعية (-1.3971) وعلى الرغم من كون نسبة الأداء للمحفظة المثلى والمحفظة المرجعية سالبة الا ان المحفظة المثلى قد تفوقت على المحفظة المرجعية وهذا يؤكد صحة كل من الفرضية الثانية والثالثة من خلال (إمكانية تحسين خصائص وأداء والمحفظة المثلى من خلال استخدام نموذج المؤشر الواحد) (وان المحفظة المثلى تحقق افضل مبادلة بين العائد والمخاطرة والأداء بالمقارنة مع محفظة السوق) وحسب الجدول الاتي:

جدول (٥) ملخص بناء المحفظة الاستثمارية المثلى في سوق عمان للأوراق المالية

SHARPE	Rp/ σ^2_P	UNSYS	SYS	σ^2_P	R(P)	PORTFOLIO
-1.1421	0.16915	0.0006	8.73129E-06	0.0242	0.0041	المثلى
-1.3971	-0.076			0.024	-0.0018	المرجعية

المحور الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

- أظهرت نتائج تحليل سوق عمان للأوراق المالية ان المحفظة المرجعية او محفظة السوق هي ذات معدل سالب وهذا يعني ان النشاط الاقتصادي والاستثماري في سوق عمان للأوراق المالية في حالة انخفاض ونزول ويعد من وجهة نظر التحليل الفني من الأسواق النازلة (Down market).
- أظهرت نتائج تحليل الشركات المدرجة في سوق عمان للأوراق المالية ان أداء هذه الشركات كان أداءً ضعيفاً اذ حققت ٢٤ شركة من الشركات عينة الدراسة متوسطات سالبة وهذا يدل على الأداء التنافسي لهذه الشركات.

٣. أظهرت النتائج التي تم التوصل اليها من خلال بناء المحفظة المثلى باستخدام نموذج المؤشر الواحد قدرة هذه النموذج على التبسيط الكبير في إجراءات بناء المحفظة المثلى مقارنة مع نموذج ماركويتز الذي يحتاج الى الوقت والتكلفة إضافة التعقيد الكبير الذي يرافق عملية بناء المحافظ.
٤. أظهرت النتائج التي تم التوصل اليها انه من بين ٤١ سهم مدرج في بورصة سوق عمان للأوراق المالية عينة الدراسة الحالية فقد تم الحصول على ٢ سهم مؤهل للدخول للمحفظة المثلى وفق إجراءات نموذج المؤشر الواحد وهذا يؤكد حجم التبسيط الكبير الذي قام به هذا النموذج اذ ان إجراءات بناء المحفظة المثلى اقتصرت فقط على هذين السهمين.
٥. أظهرت النتائج التي تم التوصل اليها قدرة نموذج المؤشر الواحد لشارب التأثير في معدلات العائد والمخاطرة والأداء للمحفظة المثلى وتحسين خصائص المحفظة التي تم بناؤها وفق هذا النموذج.
٦. ان استخدام طريقة المعاينة المثلى في بناء المحفظة المثلى اثبت كفاءة كبيرة في تحسين خصائص المحفظة الاستثمارية من حيث العائد والأداء، وعلى الرغم من تحقيق الشركات عينة الدراسة الحالية ومحفظة السوق متوسطات سالبة الا ان اتباع طريقة العينات المثلى أي التقاط الأوراق المالية الأكثر تداولاً والاعلى من خلال القيمة السوقية قد حقق النتائج المرغوبة من خلال معدلات العائد الموجبة للمحفظة الاستثمارية وتفوق المحفظة المثلى من خلال المخاطرة والأداء.
٧. أظهرت النتائج التي تم التوصل اليها تفوق المحفظة المثلى من خلال معدلات العائد والمخاطرة ونسبة شارب لتقييم الأداء على المحفظة المرجعية او محفظة السوق في سوق عمان للأوراق المالية وهذا يؤكد كفاءة في نموذج المؤشر الواحد في بناء المحافظ الاستثمارية.

ثانياً: التوصيات

١. يجب على جميع المستثمرين الراغبين في الاستثمار في سوق عمان للأوراق المالية اتباع نموذج المؤشر الواحد في بناء المحفظة الاستثمارية المثلى خاصة في ظل الكفاءة الكبيرة التي يتميز فيها هذا النموذج من خلال تحليل الأوراق المالية وصولاً الى تبسيط بناء المحفظة الاستثمارية المثلى مقارنة مع النماذج الأخرى.
٢. ضرورة قيام المستثمرين باستخدام طريقة العينات المثلى في بناء المحفظة الاستثمارية من خلال القيام بدراسة مفصلة للسوق المالي عينة الدراسة واختيار الشركات او الأسهم الأكثر تداولاً والاعلى من حيث القيمة السوقية من خلال التقاط الأوراق المالية الراجعة اذ يتيح ذلك للمستثمرين تحقيق معدلات عائد موجبة وأداء متفوق على محفظة السوق.
٣. يجب على المستثمرين الراغبين في استخدام نموذج المؤشر الواحد مراقبة ودراسة السوق بشكل مستمر ومفصل والقيام بتحديث محافظهم الاستثمارية المثلى باستمرار من خلال اختيار الأسهم المناسبة للاستثمار واختيار التوقيت الافضل.
٤. ضرورة القيام بتوجيه المستثمرين في سوق العراق او سوق عمان للأوراق المالية من خلال عقد ندوات تثقيفية مختلفة للتعريف بمميزات هذا النموذج في بناء المحفظة الاستثمارية المثلى إضافة الى إمكانية استخدامه من قبل مختلف المستثمرين اذ يتميز بالسهولة وعدم التعقيد والكفاءة.

- بناء المحفظة الاستثمارية المتلى في ظل نموذج المؤشر الواحد لشارب دراسة تحليلية في سوق عمان للأوراق المالية
٥. نلاحظ ان الاستثمار في سوق العراق للأوراق المالية وحتى في سوق عمان للأوراق المالية غير متطور بشكل كبير وليست هناك إمكانية لاستخدام المناهج او المداخل الحديثة في بناء المحفظة الاستثمارية اذ يجب اعداد كوادر متخصصة في هذا المجال للتعريف بهذه المداخل والكفاءة العالية التي تميزها في عملية بناء المحفظة الاستثمارية.
 ٦. هناك ضرورة ملحة لتطوير سوق العراق للأوراق المالية من خلال محتوى البيانات التي يصدرها والدقة والموثوقية مقارنة مع سوق عمان للأوراق المالية الذي يتفوق بشكل كبير على سوق العراق في هذا المجال والاستفادة من الطرق الحديثة التي تستخدم في البلدان المختلفة في نشر التقارير المالية والميزانيات الخاصة بالشركات اذ نلاحظ وجود ضعف كبير موجود في سوق العراق للأوراق المالية.
 ٧. ضرورة وضع وسن قوانين صارمة تمنع أصحاب الشركات المختلفة المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية من التلاعب بالبيانات والتقارير التي تصدر عن هذه الشركات لما له من أهمية كبيرة في مساعدة المستثمرين والمحللين من معرفة الواقع الفعلي للسوق مقارنة لما هو موجود في سوق عمان للأوراق المالية.

المصادر والمراجع:

A. BOOK

1. Amenc, Noel & Sourd, Veronique Le, " Portfolio Theory and Performance Analysis", John Wiley & Sons Ltd, 2003.
2. Berk, jonathan & demarzo, peter, "corporate finance ", 3rd edition, Pearson Education, Inc., USA, 2014.
3. Bhansali, Vineer., "Bond Portfolio Investing and Risk Management", McGraw Hill Professional, 2010.
4. Bradford D. Jordan, Thomas W. Miller, Jr., "Fundamentals of Investments valuation and management", fifth edition, McGraw-Hill/Irwin, 2009.
5. Brown, K, Reilly, F, "Analysis of investments and managements and management of portfolios", 9th, south- western, 2009.
6. Brown, K, Reilly, F, "Analysis of investments and managements and management of portfolios", 10th, south- western, 2012.
7. Elton, Edwing J.; Martin J. Gruber; Stephen J. Brown and William N. Goetzman "Modern Portfolio Theory and Investment analyses" 9th Edition, John Wiley and Sons, Inc. 2014.
8. Gangadhar, V., & Ramesh Bahu, G., Investment Management, Anmol Publications PVT. LTD, 2006.
9. Gitman Lawrence J. and Michael D. Joehnk and Scott B. Smart "Fundamentals of Investing "11th Edition, Pearson Education Inc. MA, USA, 2011.

10. Malz, allan m., "Financial Risk Management: Models, History, and Institutions", John Wiley & Sons, Inc., Hoboken, New Jersey, 2011.
11. Parrino, Robert & Kidwell, David S. & Bates, Thomas W., "Fundamentals of Corporate Finance", Second Edition", John Wiley & Sons, Inc. USA, 2012.
12. Quiry, Pascal, et al., "Corporate finance: theory and practice". John Wiley & Sons, 2011.
13. Sharpe, william f.& alexander, gordon j. & bailey, Jeffery v., " investments" 6th Ed., Prentice Hall, Inc.,1999.
14. Simon Benninga, " Financial Modeling", Third Edition, Massachusetts Institute of Technology, USA, 2008. 32. Sloman, John, " Economics", Sixth edition, Pearson Education Limited, 2006.
15. Van Horne, James C., Wachowicz, John M., "Fundamentals of Financial Management", 13th Edition, Prentice-Hall, Inc., 2009.
16. Vishwanath, S. R. & Krishnamurti, C., "Investment Management: A Modern Guide to Security Analysis and Stock Selection ", Springer-Verlag Berlin Heidelberg, 2009.

B. Journals and Periodicals:

1. Aida Toma & Cristinca Fulga, "Robust Estimation for the Single Index Model Using Pseudodistances", Entropy 2018, 20, 374; doi:10.3390/e20050374.
2. Aida Toma & Cristinca Fulga, "Robust Estimation for the Single Index Model Using Pseudodistances", Entropy 2018, 20, 374; doi:10.3390/e20050374.
3. Alrabadi, Dima Waleed Hanna. "Portfolio optimization using the generalized reduced gradient nonlinear algorithm: An application to Amman Stock Exchange." International Journal of Islamic and Middle Eastern Finance and Management 9.4 (2016): 570-582.
4. Aranha, C., H. Iba, "Modelling Cost into a Genetic Algorithm based Portfolio Optimization System by Seeding and Objective Sharing", IEEE Congress on Evolutionary Computation (CEC 2007): 196-203.
5. Beatriz Vaz de Melo Mendes & Daniel S. Marques, "Choosing an optimal investment strategy: The role of robust pair-copulas based portfolios", Emerging Markets Review, 13, (2012):449- 464.
6. Bernstein, Peter L., "Markowitz Marked to Market", Financial Analysts Journal, Vol. 39, No. 1 (Jan. - Feb., 1983), pp. 18-22.
7. Bilbao, A., Arenas, M, Arenas., Rodríguez, M. V., & Antomil, J., "On constructing expert betas for single-index model." European Journal of Operational Research 183.2 (2007): 827-847.

8. Chen, Son-Nan, and Stephen J. Brown. "Estimation risk and simple rules for optimal portfolio selection." *The Journal of Finance* 38.4 (1983): 1087-1093.
9. deLlano Paz, Fernando & Silvosa, Anxo Calvo & Antelo, Susana Iglesias & Soares, Isabel, "Energy planning and modern portfolio theory: A review", *Renewable and Sustainable Energy Reviews* 77, (2017):636-651.
10. Du Plessis, A. J., and Mike Ward. "A note on applying the Markowitz portfolio selection model as a passive investment strategy on the JSE." *Investment Analysts Journal* 38.69 (2009): 39-45.
11. E.R. Laubscher, (2002), "A review of the theory of and evidence on the use of the capital asset pricing model to estimate expected share returns", *Meditari Accountancy Research*, Vol. 10, Iss 1, (2002), pp. 131 - 146.
12. Elton, Edwin j.& gruber, martin j. & padberg, manfred w., "simple criteria for optimal portfolio selection", *the journal of finance*, vol. xxxi, no. 5, (December 1976): 1341-1357.
13. Elton, Edwin j.& gruber, martin J., "Modern portfolio theory, 1950 to date", *Journal of Banking & Finance* 21, (1997): 1743-1759.
14. Elton, Edwin j.& gruber, martin J., "The Rationality of Asset Allocation Recommendations", *The Journal of Financial and Quantitative Analysis*, Vol. 35, No. 1 (Mar. 2000):27-41.
15. Fama, Eugene F. & French, Kenneth R., "The Capital Asset Pricing Model: Theory and Evidence", *journal of Economic Perspectives*, Volume 18, Number 3, Summer (2004): 25-46.
16. Garcia, Reinaldo C., et al. "Applying modern portfolio theory for a dynamic energy portfolio allocation in electricity markets." *Electric Power Systems Research* 150 (2017): 11-23.
17. Javed Bin Kamal, "Optimal portfolio selection in ex ante stock price bubble and furthermore bubble burst scenario from Dhaka stock exchange with relevance to Sharpe's single index model", *Financial Assets and Investing*, No. 3, 2012:29-42.
18. Jeff grover and angeline m. lavin, "Modern Portfolio Optimization: A Practical Approach Using an Excel Solver Single Index Model", *The journal of wealth management*, summer 2007: 60-72.
19. Jianjun Gao, Duan Li, "Optimal Cardinality Constrained Portfolio Selection", *Operations Research* 61, 3, (2013):745-761.
20. Lawson, G.H. & Pike, Richard, "Capital Asset Prices: Risk and Return", *Managerial Finance*, Vol. 5, Iss 1, (1979), pp. 42 -56.

21. Lee, Stefan Colza & Junior, William Eid, "Portfolio construction and risk management: theory versus practice", RAUSP Management Journal, Vol. 53 Issue: 3, (2018), pp.345365.
22. Li, Wan Chau & Wu, Yue, "Using portfolio optimization models to enhance decision making and prediction", Journal of Modelling in Management, Vol. 9 Iss 1, (2014): pp. 36- 57.
23. Loviscek, Anthony. "'The lost decade": an MPT perspective." Managerial Finance 41.11 (2015): 1202-1220.
24. Lydenberg, Steve, "Integrating Systemic Risk into Modern Portfolio Theory and Practice", Journal of Applied Corporate Finance, Volume 28, Number 2, Spring (2016): 56-61.
25. Mahabadi, Samin Ansari & Bavani, Ali Reza Massah & Bgheri, Ali, "Improving adaptive capacity of social-ecological system of Tashk-Bakhtegan Lake basin to climate change effects - A methodology based on Post-Modern Portfolio Theory", Ecohydrology & Hydrobiology, Volume 18, Issue 4, December 2018, pp. 365-378.
26. Mangram, Myles E., "A Simplified Perspective of The Markowitz Portfolio Theory", Global Journal of Business Research, Vol. 7, No. 1, 2013.
27. Mary, J. Francis, and G. Rathika. "The single index model and the construction of optimal portfolio with cnxpharma scrip." International Journal of Management 6.1 (2015): 87-96.
28. McDonald, John F., "A Capital Asset Pricing Model with Variable Asset Supply", Review of Accounting and Finance, Vol. 2, Iss 4, (2003), pp. 5 - 19.
29. Michel, Allen, Jacob Oded, and Israel Shaked. "Index correlation: implications for asset allocation." Managerial Finance 41.11 (2015): 1236-1256.
30. Miklos Rasonyi, " Arbitrage pricing theory and risk-neutral measures", Decisions in Economics and Finance, DEF 27, (2004), 109 - 123.
31. Nandan, Tanuj & Srivastava, Nivedita, " Construction of Optimal Portfolio Using Sharpe's Single Index Model: An Empirical Study on Nifty 50 Stocks", Journal of Management Research and Analysis, April-June, 2017; 4(2): 74-83.
32. Paydar, Z. & Qureshi, M.E., " Irrigation water management in uncertain conditions-Application of Modern Portfolio Theory", Agricultural Water Management, 115, (2012), 47– 54.
33. Qi, Yue & Peng, Xiao Feng & Li, Ming, " Removing the necessity of simplifications in large-scale portfolio selection and implications to Chinese portfolio theory and management", Nankai Business Review International, Vol. 1, No. 1, 2010, pp. 20-38.

34. Rosdiana, Riska, "Analysis of sharia stock portfolio optimization (At the Jakarta Islamic Index for 2006-2010", Bachelor Program, Faculty of Economics and Business, Diponegoro University, 2012.
35. Ross, Stephen A., "The arbitrage theory of capital asset pricing", Handbook of the fundamentals of financial decision making: Part I. (1976). 11-30.
36. Scala, Antonio & Facchini, Angelo & Pernad, Umberto & Basosi, Riccardo, " Portfolio analysis and geographical allocation of renewable sources: A stochastic approach", Energy Policy, 125, (2019) 154–159.
37. Schlueter, Tobias, and Soenke Sievers. "Determinants of market beta: the impacts of firm-specific accounting figures and market conditions." Review of Quantitative Finance and Accounting 42.3 (2014): 535-570.
38. Singh, Saurabh, and Jayant Gautam. "The single index model & the construction of optimal portfolio: A case of banks listed on NSE India." Risk governance and Control: Financial Markets and Institutions 4.2 (2014): 110-115.
39. Tienyu Hwang, Simon Gao, Heather Owen "A two-pass model study of the CAPM: evidence from the UK stock market", Studies in Economics and Finance, Vol. 29 Issue: 2,, (2012) pp. 89-104, <https://doi.org/10.1108/10867371211229118>.
40. Witt, Stephen F. & Dobbins, Richard, "The Markowitz Contribution to Portfolio Theory", Managerial Finance, Vol. 5 Iss 1, (1979), pp. 3 – 17.

C. Thesis and Working Papers:

1. Ali, Yansen, Prof. Mehrotra, Sanjay, "Simplifying the Portfolio Optimization Process via Single Index Model", Industrial Engineering Honors Program, McCormick School of Engineering, Northwestern University, June 2008.
2. West, Graeme, "An introduction to Modern Portfolio Theory: Markowitz, CAPM, APT and Black- Letterman", University of the Witwatersrand, November 28, 2004.

استخدام نموذج البائل في قياس انتاجية الأنفاق العام الفصلي في العراق للمدة (2017-2005)

The use of the Panel model to measuring the productivity of seasonal public spending in Iraq for the period (2005-2017)

زينب جبار عبد الحسين الدعمي^(١)

Zainab Jabbar A.Al-Hussein Al-Daami

أ.م.د محمد حسين كاظم الجبوري^(٢)

Assist. Prof. Mohammed Hussein Kadhim Al-Juborui

المستخلص

تسعى هذه الدراسة الى الربط بين الانفاق العام وانتاجيته من أجل معرفة مساهمة الانفاق العام في عملية تحقيق التنمية الاقتصادية من خلال اثاره التي يتمتع بها وعلى مختلف الأنشطة الاقتصادية، بالإضافة الى ذلك يتسم الانفاق العام بخلل كبير في الاقتصاد العراقي، ويتمثل هذا الخلل بميمنة الانفاق الاستهلاكي على حساب الانفاق الاستثماري، ويضاف اليه الخلل الكبير في توزيع الانفاق العام على مستوى الفصول خلال السنة المالية، ومن أجل بيان أثر هذا الخلل الكبير في الانفاق العام على الانتاجية، تم تقسيم الانفاق العام على اربعة فصول خلال السنة المالية الواحدة للمدة (2017-2005) وباستخدام اساليب قياسية حديثة تعرف باسم (نموذج البائل) ومن خلال ذلك تبين بأن أعلى قيمة لإنتاجية الانفاق العام كانت في الفصل الاول ثم بدأت بالانخفاض وبشكل تدريجي لتسجل ادنى قيمة لها في الفصل الرابع، ومن أهم أسباب ذلك هو عدم انتظام توزيع الانفاق العام خلال السنة المالية الواحدة.

الكلمات المفتاحية: نموذج البائل، إنتاجية الانفاق، العام والفصلي، التنمية الاقتصادية.

^١ - جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

^٢ - جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

Abstract

This study sought to link public spending with its productivity in order to know the contribution of public expenditure to the process of economic development through its effects and various economic activities, in addition public spending is highly flawed in the Iraqi economy, this imbalance is dominated by consumer spending at the expense of investment spending, in addition there is a large imbalance in the distribution of public spending at the classroom level during the fiscal year, in order to demonstrate the impact of this large imbalance in public expenditure, public spending was divided into four chapters during the fiscal year and for the period (2005-2017) using modern standard methods knows as the (Model of the Panell), it was found that the highest value of public expenditure was in the first quarter, then began to decline gradually and to record the lowest value in the fourth quarter, the main reason for this is the irregular distribution of public spending during the fiscal year.

المقدمة

يعد العراق من البلدان الريعية، حيث يعتمد وبشكل رئيس على النفط في تمويل نفقاته، ويضاف إلى ذلك هيمنة النفقات الاستهلاكية على حساب النفقات الاستثمارية، وبما أن القطاع النفطي يتسم بتذبذب إيراداته بسبب ارتباطه بأسعار النفط العالمية، فأن هذا يسبب تذبذباً كبيراً في النفقات العامة، وعدم انتظامها خلال فصول السنة المالية، ويسبب أهمية الانفاق العام كونه يعد من أهم ادوات السياسة الاقتصادية، لا بد من ان تكون انتاجيته في حالة تزايد بسبب كونها تبرر جدوى تدخل الدولة في الانشطة الاقتصادية، لذلك لا بد من قياسها ومعرفة الخلل الذي تعاني منه ويتسبب بعدم كفاءتها، في سبيل الارتقاء بدورها في عملية تحقيق عملية النمو والتنمية الاقتصادية.

مشكلة الدراسة

يشهد الانفاق العام سنوياً حالة من عدم التوازن في توزيع هذا الانفاق زمنياً خلال السنة المالية مما ينعكس على انتاجيته، إذ أن انخفاض مستويات الانفاق في بداية السنة المالية وارتفاعها في نهاية السنة، ينعكس بشكل تذبذب في مستويات إنتاجية الانفاق العام خلال السنة المالية.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من أهمية الانفاق العام وإنتاجية هذا الانفاق على وجه الخصوص إذ ان الإنتاجية هنا تعد مؤشراً مهماً على مدى الأثر الاقتصادي الذي تحققه السياسة الانفاقية للدولة ومدى أثر هذا الانفاق في إمكانية تحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية التي تسعى المؤسسات الحكومية الى تحقيقها.

هدف الدراسة

١. استخدام نموذج البانل في تقدير إنتاجية الانفاق العام في الاقتصاد العراقي من خلال تقسيم السنة المالية الى أربعة فصول كل فصل يتضمن ثلاثة اشهر.
٢. تحديد أعلى وأدنى مستوى تحققة إنتاجية الانفاق العام خلال السنة المالية.
٣. بيان أثر سوء التوزيع الزمني للانفاق العام على إنتاجيته.

فرضية الدراسة

تفترض الدراسة أنه في حال تقسيم السنة المالية على أربعة فصول فإن إنتاجية الانفاق العام تحقق أعلى مستوياتها في الفصل الأول في السنة المالية ثم تأخذ طابعاً تنازلياً للفصول المتبقية من السنة وهذا انعكاس لسوء التوزيع الزمني للانفاق العام خلال السنة المالية.

أولاً:- مفهوم الانفاق العام وإنتاجيته

١. مفهوم الانفاق العام

يعرف الانفاق العام بأنه عبارة عن مبلغ نقدي يخرج من الذمة المالية للدولة أو إحدى المؤسسات العامة التي تنشؤها بهدف أشباع حاجة عامة^(٣)، ويعرف أيضاً بأنه مبلغ نقدي يقوم بتنفيذه شخص عام بهدف تحقيق نفع عام^(٤)، ويعرف كذلك بأن الانفاق العام يتمثل بجميع المدفوعات والمشتريات التي تقوم بها جهات حكومية مختلفة حيث تشمل المدفوعات والمشتريات التي لا يستطيع القطاع الخاص توفيرها ولكنها مهمة للصالح العام ككل ومن أمثلتها الانفاق على الدفاع والبنى التحتية وقطاع الصحة والتعليم ومدفوعات الرعاية الاجتماعية^(٥)، وكذلك يعرف على أنه مبلغ من النقود تنفقه الدولة لغرض تحقيق نفع عام^(٦).

٢. إنتاجية الانفاق العام

تعرف الإنتاجية بأبسط مفاهيمها بأنها عبارة عن العلاقة بين الانتاج والمدخلات التي تستخدم في ذلك الانتاج^(٧)، وتعرف أيضاً بأنها عبارة عن العلاقة بين الكمية المنتجة من سلعة معينة وكمية عوامل الانتاج المستخدمة في تحقيق هذا الانتاج^(٨)، ويمكن القول بأن الانتاج يشمل كل من أنتاج السلع والخدمات أي

^٣ - فيصل فخري مزار، عدنان الهندي، "مبادئ الادارة المالية العامة و اقتصادياتها"، المطبعة الأردنية، الأردن، ١٩٨٠، ص ١٥٥.

^٤ - طاهر الجنابي، "علم المالية العامة والتشريع المالي"، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩١، ص ١٧.

^٥ - Deepashree and Vanita Agarwal, " Macroeconomics ", TataMCGraw-Hill publishing company limited, India, 2007, p21.

^٦ - سعيد علي محمد العبيدي، "اقتصاديات المالية العامة"، دار دجلة، ط ١، العراق، ٢٠١١، ص ٥٦.

^٧ - Stefan Tangen, "Under standing the concept of productivity", Asia pacific Industrail Engineering and Management Systems Conference, The Royal Institute of Technology, Stockholm, Sweden, 2002, p1.

^٨ - فاطمة الزهرة غربي، " إنتاجية العمل دراسة مقارنة بين مؤسسة عمومية ومؤسسة خاصة (دراسة حالة مؤسسة الزجاج "Nover" العمومية والأجر "CCB" الخاصة خلال الفترة (٢٠٠٢-٢٠٠٦)، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بو علي - كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، ٢٠٠٨، ص ١١.

استخدام نموذج البائل في قياس انتاجية الأنفاق العام الفصلي في العراق للمدة (2005-2017)

أن الانتاجية يمكن أن تقيس كمية السلع والخدمات المنتجة خلال فترة ما أو أن تقيس الخدمات التي يمكن أن يقدمها شخص أو مؤسسة ما، وتقاس الانتاجية وفقاً للمعادلة التالية^(٩):

$$\text{الانتاجية} = \frac{\text{اجمالي الناتج}}{\text{اجمالي المدخلات المستخدمة}}$$

ويُعدُّ نمو الانتاجية من أهم المكونات التي تساهم في تحقيق نمو اقتصادي مستدام وطويل الأجل^(١٠)، نستنتج مما ذكر أعلاه بأن أنتاجية الانفاق العام هي عبارة عن العلاقة بين معدل النمو الاقتصادي ومعدل نمو الأنفاق العام، وتعد أنتاجية الانفاق أمراً في غاية الأهمية لكونها تبرر جدوى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي. إذ توضح لنا أنتاجية الوحدة الواحدة من الانفاق العام من خلال أثر هذه الوحدة في الناتج المحلي الاجمالي، أي كم يزداد الناتج عندما يزداد الانفاق بمقدار وحدة واحدة فقد تكون هذه الانتاجية موجبة أو سالبة أو تساوي صفراً، فعند زيادة الانفاق العام بمقدار وحدة واحدة وزيادة الناتج بمقدار موجب فنقول بأن الانفاق العام منتج بمقدار معين (أكبر من الصفر)، أما إذا ازداد الانفاق العام ولم يتغير حجم الناتج فنقول بأن انتاجية الانفاق مساوية للصفر أي أنه غير منتج، أما عندما يزداد الانفاق العام وينخفض حجم الناتج فعندها نقول بأن انتاجية الانفاق سالبة (أصغر من الصفر) أي أن الناتج لا يستجيب للانفاق العام، وبذلك ستكون لدينا ثلاث حالات لأنتاجية الانفاق العام وكما يلي^(١١):-

انتاجية موجبة $MPG > 0$

غير منتج $MPG = 0$

إنتاجية سالبة $MPG < 0$

ثانياً: استخدام نموذج البائل لقياس انتاجية الأنفاق الحكومي خلال السنة المالية

١. مدخل نظري لنموذج البائل

ان السلسلة الزمنية التي اعتمدها في دراستنا هذه هي (2005) ولغاية (2017)، والتي تم اعتمادها لان الانفاق العام في العراق شهد خلال هذه الفترة ارتفاعاً غير مسبوق كما أن هنالك تأخراً واضحاً في اقرار الموازنة، الامر الذي ادى الى عدم الأنظام في توزيع الانفاق العام على فصول واشهر السنة الواحدة سواء على مستوى الوزارات او على مستوى الوحدات الادارية التابعة لكل وزارة. الامر الذي أثر سلباً على انتاجية الانفاق العام في العراق ونظراً لقصر الفترة الزمنية والتي لا تتجاوز (13) سنة، عليه تم اللجوء الى نموذج البائل الذي يساعدنا على استخراج انتاجية الانفاق العام لكل قطاع وتوسعة السلسلة الزمنية لتصبح (13) سنة مضروبة في (3) اشهر وهو طول الفصل وبذلك تصبح عدد مشاهدات كل فصل (39)

⁹- Gboyega A.Oyeranti, "Concept and Measurment of Productivity", University of Ibadan, Department of economic, p1-3.

¹⁰- Stanislav Bucifal, "Productivity Concepts and policy Directions", Working paper, Department of Industry, Innovation, Science, Research and Tertiary Education, Australia, 2013, p4.

^{١١}- محمد حسين كاظم الجبوري، " تحديد حجم الانفاق العام الامثل في الاقتصادات الربعية للمدة- دراسة في بلدان عربية مختارة للمدة (1988-2009)، اطروحة دكتوراه، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة الكوفة، ص ١٦٩-١٧٠، ٢٠١٢.

مشاهدة. ونظراً لوجود فواصل زمنية بين مشاهدات الفصل الواحد لأن كل ثلاثة اشهر تمثل سنة معينة والثلاثة اشهر الاخرى تمثل سنة اخرى وهكذا، عليه لجأنا لأستخدام نموذج البانل لأنه يستخدم لتقدير هكذا سلاسل زمنية غير متجانسة.

نعني بمصطلح بيانات السلاسل الزمنية المقطعية أو معطيات البانل مجموعة من المشاهدات التي تتكرر عند مجموعة من الأفراد في عدة فترات من الزمن، بحيث أنها تجمع بين خصائص كل من البيانات المقطعية والسلاسل الزمنية في الوقت نفسه، فبالنسبة للبيانات المقطعية فهي تصف سلوك عدد من المفردات أو الوحدات المقطعية (شركات أو دول) عند فترة زمنية واحدة، بينما تصف بيانات السلاسل الزمنية سلوك مفردة واحدة خلال فترة زمنية معينة، وهنا تكمن أهمية استخدام بيانات البانل كونها تحتوي على معلومات ضرورية تتعامل مع ديناميكية الوقت وعلى مفردات متعددة، فإذا كانت الفترة الزمنية نفسها لكل العينات المستخدمة يسمى نموذج البانل هنا بـ "النموذج المتوازن"، أما إذا اختلفت الفترة الزمنية من عينة لأخرى يسمى نموذج البانل بـ "النموذج غير متوازن" (١٢).

٢. النماذج الاساسية لتحليل بيانات البانل

أ- نموذج التأثيرات الثابتة

يُعدُّ هذا النموذج الحد الثابت α_i مستقل لكل وحدة أو مقطع عرضي للبيانات أي أن هناك مجموعة من الحدود الثابتة (١٣).

ب- نموذج التأثيرات العشوائية

يُعدُّ هذا النموذج الحد الثابت α_i ضمن عنصر الخطأ العشوائي المركب، أي عدم وجود حد ثابت لكل مقطع عرضي (١٤).

ت- اختبار هوسمان

يتم من خلال هذا الاختبار معرفة أي النماذج يكون أكثر ملاءمة للتقدير النموذج الثابت أو العشوائي حيث تشير فرضية العدم الخاصة بهذا الاختبار الى نموذج التأثيرات العشوائية هو الملائم لتقدير النموذج أما الفرضية البديلة فتتص على ان نموذج التأثيرات الثابتة هو الأكثر ملاءمة.

٣. توصيف النموذج.

ان المعادلة التقديرية التي سنستخدمها في تقدير انتاجية الانفاق الحكومي الفعلي هي:-

$$GDP = \alpha + \beta G$$

¹²- Dielman, " Pooled Cross-Sectional and time series data analysis", Texas Christian, University, USA, 1989, p2.

¹³- William green, " Econometric Analysis ", 5 ed, New Jersey, Prentice Hall, Apper Saddle, River, p 272, 2003.

^{١٤}- جبوري محمد، "تأثير أنظمة أسعار الصرف على التضخم والنمو الاقتصادي: دراسة نظرية وقياسية باستخدام بيانات بانل"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية- جامعة ابي بكر بلقايد- تلمسان، ص ٣٠٦-٣٠٧، ٢٠١٢- ٢٠١٣.

استخدام نموذج البائل في قياس إنتاجية الإنفاق العام الفصلي في العراق للمدة (2005-2017)

حيث يمثل GDP الناتج المحلي الإجمالي، G نسبة الإنفاق العام الى الناتج المحلي الإجمالي، β تمثل إنتاجية الإنفاق الحكومي. ويتم من خلال النموذج أعلاه قياس إنتاجية الإنفاق الحكومي لكل فصل من فصول السنة المالية، إذ سيتم تقسيم السنة المالية على أربعة فصول و كالآتي:

- الفصل الأول يتضمن أشهر (كانون الثاني، شباط، اذار) على مدى (13) سنة من (2005) الى (2017) والنموذج المعتمد لهذا الفصل هو

$$GDP1 = \alpha + \beta G1 -$$

- الفصل الثاني يتضمن أشهر (نيسان، أيار، حزيران) على مدى (13) سنة من (2005) الى (2017) والنموذج المعتمد لهذا الفصل هو

$$GDP2 = \alpha + \beta G2$$

- الفصل الثالث يتضمن اشهر (تموز، اب، أيلول) على مدى (13) سنة من (2005) الى (2017) والنموذج المعتمد لهذا الفصل هو

$$GDP3 = \alpha + \beta G3$$

- الفصل الرابع يتضمن أشهر (تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول) على مدى (13) سنة من (2005) الى (2017) والنموذج المعتمد لهذا الفصل هو

$$GDP4 = \alpha + \beta G4$$

إنَّ تقدير النموذج لكل فصل من الفصول الأربعة يهدف الى استخراج أربعة معلمات تعبر عن إنتاجية الإنفاق العام لكل فصل من فصول السنة، وهذا يتطلب تكوين بيانات سلاسل زمنية مقطعية حيث تتكون كل سلسلة من (13) مقطع يتمثل بتكرار ظهور الفصل السنوي للمدة من 2005-2017، وكل مقطع من هذه المقاطع السنوية يتكون من ثلاثة مشاهدات تتمثل بالاشهر الثلاثة التي يتكون منها الفصل، لذا سيكون عدد المشاهدات الإجمالي لكل فصل (39) مشاهدة مقسمة الى 13 مقطع.

٤. نتائج تقدير النماذج القياسية

أ- النموذج الخاص بالفصل الأول من كل سنة مالية للمدة (2005-2017)

أ- تقدير نموذج الآثار الثابتة

الجدول التالي يوضح نتائج تقدير إنتاجية الإنفاق الحكومي للفصل الاول وفق طريقة الآثار الثابتة حيث يتضح من نتائج التقدير أن العلاقة المعبر عنها بواسطة النموذج المقدر هي علاقة معنوية من الناحية الاحصائية بين المتغير التابع والمتغير المستقل، وذلك من خلال قيمة (F) المحسوبة. كما ان معلم قيمة (R^2) Adjusted R-squared تشير الى ان القدرة التفسيرية للنموذج بلغت (92%) وان معلمات العلاقة المقدرة معنوية وفقاً لقيمة Prob value

ب- تقدير نموذج الآثار العشوائية

جدول (١) نتائج تقدير النموذج الأول وفق طريقة الآثار الثابتة				
Dependent Variable: GDP١ Method: Panel Least Squares Periods included: 3 Cross-sections included: 13				
Total panel (balanced) observations: 39	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	7.28601	0.06813	106.93760	0.00000
G1	0.27395	0.04434	6.1561	0.00000
Cross-section fixed (dummy variables)				
R-squared	0.95297	Mean dependent var		6.88169
Adjusted R-squared	0.92843	S.D. dependent var		0.12199
S.E. of regression	0.03264	Akaike info criterion		-3.73268
Sum squared resid	0.02450	Schwarz criterion		-3.16085
Log likelihood	80.18819	Hannan-Quinn criter.		-3.53310
F-statistic	38.83443	Durbin-Watson stat		2.24268
Prob(F-statistic)	0.00000			
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج Eviews 10				

تشير نتائج التقدير الواردة في الجدول التالي إلى أن العلاقة معنوية من الناحية الإحصائية، كما أن القدرة التفسيرية للنموذج انخفضت إلى (51%) وفقاً لقيمة R^2 Adjusted مع بقاء قيمة المعلمة المقدرة على حالها دون تغيير حيث بلغت (0.27)

جدول (٢) نتائج تقدير النموذج الأول وفق طريقة الآثار العشوائية				
Method: Panel EGLS (Cross-section random effects) Periods included: 3 Cross-sections included: 13				
Total panel (balanced) observations: 39	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	7.285454	0.076397	95.36311	0.0000
G1	0.27395	0.04434	6.1561	0.0000
R-squared	0.518748	Mean dependent var		1.056642
Adjusted R-squared	0.504594	S.D. dependent var		0.045686
S.E. of regression	0.032156	Sum squared resid		0.035157

F-statistic	36.64908	Durbin-Watson stat		1.562404
Prob(F-statistic)	0.000001			
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج Eviews 10				

ت- تطبيق اختبار Hausman Test

جدول (٣) تطبيق اختبار Hausman للنموذج الاول			
Correlated Random Effects - Hausman Test Equation: Untitled Test cross-section random effects			
Test Summary	Chi-Sq. Statistic	Chi-Sq. d.f.	Prob.
Cross-section random	0.010002	1	0.9203
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج Eviews 10			

تشير نتيجة الاختبار أعلاه الى ان قيمة probability value هي أعلى من مستوى (5%) وهو ما يعني عدم إمكانية رفض فرضية العدم، أي قبول فرضية العدم التي تنص على ان نموذج التأثيرات العشوائية هو الملائم لتقدير هذا النموذج وبالتالي سيتم اعتماد نتائج الجدول (2). ومن هنا نستخلص بان إنتاجية الانفاق الحكومي للفصل الأول من السنة المالية خلال مدة الدراسة بلغت (0.27) وان القدرة التفسيرية للنموذج قد بلغت (50%).

ب- تقدير النموذج الخاص بالفصل الثاني من كل سنة مالية للمدة (2005-2017)

أ- تقدير نموذج الآثار الثابتة

يوضح الجدول التالي نتائج التقدير وفق طريقة الآثار الثابتة حيث يتضح من نتائج التقدير أن العلاقة المعبر عنها بواسطة النموذج المقدر هي علاقة معنوية من الناحية الاحصائية بين المتغير التابع والمتغير المستقل، وذلك من خلال قيمة (F) المحسوبة. كما ان Adjusted R-squared (R^2) تشير الى ان القدرة التفسيرية للنموذج بلغت (97%) وان معلمات العلاقة المقدره معنوية وفقاً لقيمة Prob value، حيث بلغت معلمة متغير الانفاق العام (0.17)

جدول (٤) نتائج تقدير النموذج الثاني وفق طريقة الآثار الثابتة				
Dependent Variable: GDP ₂ Method: Panel Least Squares Periods included: 3 Cross-sections included: 13				
Total panel (balanced) observations: 39	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	7.244673	0.041690	173.7760	0.0000
G ₂	0.179	0.0244	7.33606	0.0000
Cross-section fixed (dummy variables)				
R-squared	0.984972	Mean dependent		6.940652

Adjusted R-squared	0.977132	S.D. dependent var		0.099810
S.E. of regression	0.015094	Akaike info criterio		-5.274893
Sum squared resid	0.005240	Schwarz criterion		-4.703066
Log likelihood	107.9481	Hannan-Quinn		-5.075310
F-statistic	125.6252	Durbin-Watson		2.809428
Prob(F-statistic)	0.000000			
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج EvIEWS 10				

ب- تقدير نموذج الآثار العشوائية

ان التقدير وفق هذه الطريقة قد أظهر انخفاض القدرة التفسيرية للنموذج الى (54%) مع بقاء المعلمة

الخاصة بالانفاق الحكومي على حالها، علما ان النموذج ككل معنوي احصائيا وفقا لقيمة F-statistic

جدول (٥) نتائج تقدير النموذج الثاني وفق طريقة الاثار العشوائية				
Method: Panel EGLS (Cross-section random effects)				
Periods included: 3				
Cross-sections included: 13				
Total panel (balanced) observations: 39	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	7.231866	0.049020	147.5294	0.662405
G _Y	0.179	0.0244	7.336066	0.024152
R-squared	0.553973	Mean dependent var		0.662405
Adjusted R-squared	0.540854	S.D. dependent var		0.024152
S.E. of regression	0.016366	Sum squared resid		0.009106
F-statistic	42.22854	Durbin-Watson stat		1.576109
Prob(F-statistic)	0.000000			
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج EvIEWS 10				

ت- تطبيق اختبار هوسمان

جدول (١٥) تطبيق اختبار Hausman للنموذج الثاني			
Correlated Random Effects - Hausman Test			
Equation: Untitled			
Test cross-section random effects			
Test Summary	Chi-Sq. Statistic	Chi-Sq. d.f.	Prob.
Cross-section random	٦,٩٧٢٧	1	0.٠٠٨3
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج EvIEWS 10			

استخدام نموذج البائل في قياس انتاجية الأنفاق العام الفصلي في العراق للمدة (2005-2017)

تشير نتيجة الاختبار أعلاه الى ان قيمة probability value هي دون مستوى (5%) وهو ما يعني رفض فرضية العدم، أي قبول الفرضية البديلة التي تنص على ان نموذج التأثيرات الثابتة هو الملائم لتقدير هذا النموذج وبالتالي سيتم اعتماد نتائج الجدول (4) والذي يشير الى ان معلمة متغير الانفاق العام للفصل الثاني من السنة المالية تبلغ (0.17).

ت-تقدير النموذج الخاص بالفصل الثالث من كل سنة مالية للمدة (2005-2017)

أ- تقدير نموذج الآثار الثابتة

يوضح الجدول التالي نتائج التقدير وفق طريقة الآثار الثابتة حيث يتضح من نتائج التقدير أن العلاقة بين المتغيرين هي علاقة معنوية من الناحية الاحصائية بين المتغير التابع والمتغير المستقل، وذلك من خلال قيمة F-statistic. كما ان قيمة Adjusted R-squared (R^2) تشير الى ان القدرة التفسيرية للنموذج بلغت (98%) وان معاملات العلاقة المقدرة معنوية وفقاً لقيمة Prob value، حيث بلغت معلمة متغير الانفاق العام (0.15)

جدول (٧) نتائج تقدير النموذج الثالث وفق طريقة الآثار الثابتة				
Dependent Variable: GDP ^٣				
Method: Panel Least Squares				
Periods included: 3				
Cross-sections included: 13				
Total panel (balanced) observations: 39	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	7.206276	0.034591	208.3279	0.0000
G ^٣	0.150014	0.0212	7.07613	0.0000
Cross-section fixed (dummy variables)				
R-squared	0.993046	Mean dependent		6.967689
Adjusted R-squared	0.989418	S.D. dependent		0.100377
S.E. of regression	0.010326	Akaike info		-6.034165
Sum squared resid	0.002452	Schwarz criterion		-5.462339
Log likelihood	121.6150	Hannan-Quinn		-5.834582
F-statistic	273.7088	Durbin-Watson		2.470093
Prob(F-statistic)	00000			

المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج Eviews 10

ب- تقدير نموذج الآثار العشوائية

ان التقدير وفق هذه الطريقة قد أظهر ان المعلمة الخاصة بمتغير الانفاق العام للفصل الثالث قد بلغت (0.15) وان القدرة التفسيرية للنموذج بلغت (57%)، علما ان النموذج ككل معنوي احصائيا وفقاً لقيمة F-statistic

جدول (٨) نتائج تقدير النموذج الثالث وفق طريقة الاثار العشوائية				
Method: Panel EGLS (Cross-section random effects)				
Periods included: 3				
Cross-sections included: 13				
Total panel (balanced) observations: 39	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	7.206951	0.045823	157.2784	0.0000
G ³	0.150014	0.0212	7.07613	0.0000
R-squared	0.591751	Mean dependent var		0.397736
Adjusted R-squared	0.579743	S.D. dependent var		0.015731
S.E. of regression	0.010198	Sum squared resid		0.003536
F-statistic	49.28244	Durbin-Watson stat		1.716399
Prob(F-statistic)	0.000000			
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج Eviews 10				

ت- تطبيق اختبار هوسمان

جدول (٩) تطبيق اختبار Hausman للنموذج الثالث			
Correlated Random Effects - Hausman Test			
Equation: Untitled			
Test cross-section random effects			
Test Summary	Chi-Sq. Statistic	Chi-Sq. d.f.	Prob.
Cross-section random	٠,١٦٥٥	1	0.٦٨
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج Eviews 10			

تشير نتيجة الاختبار أعلاه الى ان قيمة probability value هي أعلى من مستوى (5%) وهو ما يعني عدم إمكانية رفض فرضية العدم، أي قبول فرضية العدم التي تنص على ان نموذج التأثيرات العشوائية هو الملائم لتقدير هذا النموذج وبالتالي سيتم اعتماد نتائج الجدول (8).

ث- تقدير النموذج الخاص بالفصل الرابع من كل سنة مالية للمدة (2005-2017)

أ- تقدير نموذج الآثار الثابتة

يوضح الجدول التالي نتائج التقدير وفق طريقة الاثار الثابتة حيث يتضح من نتائج التقدير أن العلاقة بين المتغيرين هي علاقة معنوية من الناحية الاحصائية بين المتغير التابع والمتغير المستقل، وذلك من خلال قيمة F-statistic. كما ان قيمة Adjusted R-squared (R^2) تشير الى ان القدرة التفسيرية للنموذج بلغت (95%) وان معلمات العلاقة المقدرة معنوية وفقاً لقيمة Prob value، حيث بلغت معلمة متغير الانفاق العام (0.10)

جدول (١٠) نتائج تقدير النموذج الرابع وفق طريقة الاثار الثابتة	
Dependent Variable: GDP٤	
Method: Panel Least Squares	

Periods included: 3				
Cross-sections included: 13				
Total panel (balanced) observations: 39	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	7.154532	0.039382	181.6690	0.0000
G ξ	0.108568	0.029814	3.64151	0.0001
Cross-section fixed (dummy variables)				
R-squared	0.967208	Mean dependent		6.976242
Adjusted R-squared	0.950099	S.D. dependent		0.103138
S.E. of regression	0.023039	Akaike info		-4.429026
Sum squared resid	0.012209	Schwarz criterion		-3.857200
Log likelihood	92.72248	Hannan-Quinn		-4.229444
F-statistic	56.53295	Durbin-Watson		2.002418
Prob(F-statistic)	0.000000			
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج Eviews 10				

ب- تقدير نموذج الآثار العشوائية

ان التقدير وفق هذه الطريقة قد أظهر ان المعلمة الخاصة بمتغير الانفاق العام للفصل الرابع قد بلغت (0.10) وان القدرة التفسيرية للنموذج بلغت (36%)، علما ان النموذج ككل معنوي احصائيا وفقا لقيمة

F-statistic

جدول (١١) نتائج تقدير النموذج الرابع وفق طريقة الآثار العشوائية				
Method: Panel EGLS (Cross-section random effects)				
Periods included: 3				
Cross-sections included: 13				
Total panel (balanced) observations: 39	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	7.151643	0.049829	143.5241	0.0000
G ξ	0.108568	0.029814	3.64151	0.0001
R-squared	0.378597	Mean dependent var		0.860325
Adjusted R-squared	0.360320	S.D. dependent var		0.028537
S.E. of regression	0.022824	Sum squared resid		0.017711
F-statistic	20.71488	Durbin-Watson stat		1.369090

Prob(F-statistic)	0.000065		
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج Eviews 10			

ت- تطبيق اختبار هوسمان

جدول (١٢) تطبيق اختبار Hausman للنموذج الرابع			
Correlated Random Effects - Hausman Test Equation: Untitled Test cross-section random effects			
Test Summary	Chi-Sq. Statistic	Chi-Sq. d.f.	Prob.
Cross-section random	٠,٣٦٥٩	1	0.٥٤٥
المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لمخرجات برنامج Eviews 10			

تشير نتيجة الاختبار أعلاه الى ان قيمة probability value هي أعلى من مستوى (5%) وهو ما يعني عدم إمكانية رفض فرضية العدم، أي قبول فرضية العدم التي تنص على ان نموذج التأثيرات العشوائية هو الملائم لتقدير هذا النموذج وبالتالي سيتم اعتماد نتائج الجدول (11).

ج- خلاصة نتائج إنتاجية الأنفاق العام الفعلي:-

أظهرت مخرجات نتائج تقدير النماذج التي تم توصيفها لقياس إنتاجية الانفاق العام حسب فصول السنة المالية أن أعلى معلمة قد بلغت (0.27) وهي تخص الفصل الأول من السنة المالية. وهي تمثل إنتاجية الانفاق الحكومي في هذا الفصل، أما الفصول الأخرى فقد انخفضت قيمة الإنتاجية لتبلغ في الفصل الثاني (0.17) في حين بلغت إنتاجية الفصل الثالث (0.15) أما الفصل الرابع فقد بلغت إنتاجيته (0.10) ويمكن بيان مستويات إنتاجية الانفاق العام حسب الفصول من خلال الجدول ادناه:

المصدر:- الجدول من عمل الباحثة وفقاً لنتائج تقدير النماذج الاربعة

إنتاجية الانفاق	الفصل السنوي
0.27	الفصل الاول
0.17	الفصل الثاني
0.15	الفصل الثالث
0.10	الفصل الرابع

يلاحظ من الجدول أعلاه ان حجم إنتاجية الانفاق العام بلغت حدودها العليا في الفصل الأول من السنة المالية وبدء الانخفاض وتخفض بشكل واضح في نهاية السنة المالية ويعد التوزيع الزمني للإنفاق العام خلال السنة المالية أحد أبرز أسباب هذه الظاهرة، حيث أن الانفاق العام عادةً ما يكون متدنياً في الفصل الأول من السنة المالية، في حين نجد أن الانفاق يكون في أعلى مستوياته في الفصل الأخير من السنة، آخر ثلاثة أشهر من السنة المالية بسبب انخفاض حجم الانفاق فيه لتأخر اقرار الموازنة المالية لكل عام منذ 2005 ولغاية 2017، أما الفصلين الثاني والثالث يكون فيهما حجم الانفاق العام متوسطاً مع ملاحظة ان الفصل الثالث يكون مرتفعاً وذلك لقربه من فتره نهاية السنة التي تمتاز بكثرة وضخامة التمويلات المحولة من وزارة المالية الى وحدات الانفاق بغية رفع نسب تنفيذ الانفاق قبل نهاية السنة المالية.

هذه الظاهرة يتميز بها الاقتصاد العراقي أكثر من غيره من الاقتصادات، خاصة في المدة التي تلت تغير النظام بدء عام (2003) ويأتي ذلك نتيجة بعدة اسباب اهمها:

١. ارتفاع حجم الإيرادات العامة للدولة بسبب ارتفاع حجم الصادرات النفطية نتيجة لرفع العقوبات الاقتصادية مما أدى ارتفاع سقف التخصيصات الحكومية للوزارت.
٢. تأخذ اقرار الموازنة العامة للدولة من جميع اعوام مدة الدراسة نتيجة المشاكل السياسية التي تؤدي في كل عام الى تأخر اقرار الموازنة العامة لغاية الشهر الثالث من السن المالية، الامر الذي يؤدي الى ضعف تخصيصات الفصل الأول من السنة المالية الامر الذي ينعكس على ارتفاع انتاجية الأنفاق العام، كما ان النفقات الحكومية تبدأ بالانسيابية في دوائر مؤسسات الدولة بعد الشهر الثالث مما يؤدي الى انخفاض انتاجية الانفاق العام للوحدة الواحدة المنفقة، وتشهد اقل مستوى لها في الفصل الرابع بسبب كبر حجم الانفاق العام في هذا الفصل وذلك لمحاولة الوزارات والوحدات الادارية استنفاد مخصصاتها المالية قبل انتهاء السنة المالية في 31 كانون الأول من كل عام، مما ينعكس على كفاءة الانفاق وانخفاض مردوداته ومن ثم انخفاض انتاجيته.
٣. ارتفاع حجم الفساد الإداري والمالي مما يؤدي الى تضخم حجم الاموال المخصصة وانخفاض حجم المصروف الحقيقي منها على المشاريع والنشاطات الحكومية، الامر الذي ينعكس على انخفاض انتاجية الأنفاق العام.

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

١. ضعف انتاجية الانفاق العام في الاقتصاد العراقي، أذ إنَّ أعلى معلمة سجلت لمتغير الانفاق العام في النماذج الاربعة والتي تم تقديرها والتي عبرت عن فصول السنة المالية كانت (0.27).
٢. تأخر إقرار الموازنة العامة للدولة وعدم التزام الحكومة بالمواعيد المحددة لإقرار الموازنة العامة مما يتسبب بتأخيرها عن موعدها المحدد، من اهم الاسباب التي تؤدي الى حدوث خلل كبير في توزيع الانفاق العام وما يتسبب به من ضعف في انتاجيته.
٣. تضارب المصالح السياسية للأحزاب وعدم أخذها بنظر الاعتبار الصالح العام لأفراد المجتمع، يُعدُّ من أهم المسببات لابرز المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الاقتصاد العراقي.

التوصيات

١. يجب على الوحدات الحكومية ضرورة الالتزام بإقرار الموازنات العامة في المواعيد المحددة لها وعدم تأخيرها كما هو معتاد.
٢. العمل على تفعيل دور الانفاق العام في تحقيق عملية التنمية الاقتصادية وذلك بصفته احد اهم الادوات الاقتصادية، من خلال رفع معدلات انتاجيتها وعدم تذبذبها من فترة لأخرى.

المصادر باللغة العربية

١. الجبوري، محمد حسين كاظم، "تحديد حجم الانفاق العام الامثل في الاقتصادات الريعية للمدة- دراسة في بلدان عربية مختارة للمدة (1988-2009)، اطروحة دكتوراه، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة الكوفة، ٢٠١٢.
٢. الجنابي، طاهر، "علم المالية العامة والتشريع المالي"، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩١.
٣. العبيدي، سعيد علي محمد، "اقتصاديات المالية العامة"، دار دجلة، ط١، العراق، ٢٠١١.
٤. غربي، فاطمة الزهرة، "إنتاجية العمل دراسة مقارنة بين مؤسسة عمومية ومؤسسة خاصة (دراسة حالة مؤسسة الزجاج "Nover" العمومية والآجر "CCB" الخاصة خلال الفترة (٢٠٠٢-٢٠٠٦)، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بو علي - كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، ٢٠٠٨.
٥. محمد، جبوري، "تأثير أنظمة أسعار الصرف على التضخم والنمو الاقتصادي: دراسة نظرية وقياسية باستخدام بيانات بانل"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية - جامعة ابي بكر بلقايد - تلمسان، ص، ٢٠١٢ - ٢٠١٣.
٦. مرار، فيصل فخري، عدنان الهندي، "مبادئ الادارة المالية العامة و اقتصادياتها"، المطبعة الأردنية، الأردن، ١٩٨٠.

المصادر باللغة الانكليزية

1. Deepashree and Vanita Agarwal, "Macroeconomics", TataMCGraw-Hill publishing company limited, India
2. Dielman, "Pooled Cross-Sectional and time series data analysis", Texas Christian, University, USA, 1989.
3. Gboyega A.Oyeranti, "Concept and Measurment of Productivity", University of Ibadan, Department of economic.
4. Stanislav Bucifal, "Productivity Concepts and policy Directions", Working paper, Department of Industry, Innoration, Scienc, Research and Tertiary Education, Austraila, 2013.
5. Stefan Tangen, "Under standing the concept of productivity", Asia pacific Industrail Engineering and Management Systems Conference, The Royal Institute of Technology, Stockholm, Sweden, 2002.
6. William green, " Econometric Analysis ", 5 ed, New Jersey, Prentice Hall, Apper Saddle, River, 2003.

استخدام انموذج الانحدار الذاتي للإبطاء الموزع Autoregressive Distributed Lag (ARDL) في قياس وتحليل العلاقة بين الانفاق العام والاستثمار في العراق للمدة ١٩٩٤ - ٢٠١٧

The Use of Autoregressive Distributed Lag in the Measurement and Analysis of the Relation between the overall Expenditure and Investment in Iraq for the Period 1994-2017

أ.د. عامر عمران كاظم^(١) Prof. Amir Umran Kadhim
حسين علي عباس^(٢) Hussein Ali Abbass

المستخلص

استخدم البحث انموذج الانحدار الذاتي للإبطاء الموزع (ARDL) وتم الكشف عن وجود علاقة طردية بين الانفاق العام والاستثمار أي زيادة الانفاق العام يعمل على زيادة الاستثمار، من خلال الانموذج القياسي، واستنتج البحث عشوائية الانفاق العام في العراق وانحرافه عن مسار الخطة الاقتصادية و توصل البحث الى جملة توصيات تقضي بضرورة إدارة الانفاق العام بشكل كفوء والعمل على تفعيل دور القطاع الخاص الى جانب القطاع العام لتوفير البيئة المناسبة للاستثمار التي تسعى الدولة الى تحقيقها. الكلمات المفتاحية: الانحدار الذاتي، الانفاق العام، الاستثمار، الابطاء الموزع، القياس، القطاع العام والخاص.

١- كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة كربلاء.
٢- كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة كربلاء.

Abstract

The research used the ARDL model and revealed a positive relationship between public spending and investment. This increase in public expenditure increases the investment through the standard model. The research concluded random Iraqi public expenditure and deviation from the economic plan. Including the recommendations of the need to the management of public spending efficiently and work to activate the role of the private sector in addition to the public sector to provide an appropriate environment for investment, which the State seeks to achieve.

المقدمة

يعد العراق بلداً نفطياً لارتكانه بنسبة كبيرة في تمويل نفقاته على الإيرادات النفطية وطالما تتسم أسعار النفط بالتقلبات الشديدة والمستمرة بسبب الصدمات السعوية التي تشهدها السوق النفطية ومما يشكل خطراً على تذبذب حجم الإيرادات وبالتالي عدم استقرار حجم التمويل وعدم كفايته لتغطية النفقات العامة فضلاً عن تدني الامكانيات الاقتصادية بشكل عام، وبما ان الجزء الأكبر من النفقات العامة يوجه نحو النفقات الجارية على حساب النفقات الاستثمارية ومع عدم مرونة الجهاز الإنتاجي فان ذلك سوف يؤدي الى اثار سلبية على الاستثمار.

فضلاً عن الاعتماد على الاستيراد لتلبية الحاجة المحلية والذي أدى الى تراجع الأنشطة الإنتاجية بسبب عدم قدرة المنتجات المحلية على منافسة المنتجات الأجنبية بسبب ارتفاع تكاليف الإنتاج والتي كانت سبباً أساسياً في تراجع النشاط الاستثماري. إضافة الى عدم وضوح السياسة الاقتصادية في تطوير النشاط الإنتاجي الخاص العام.

وقد واجه الاقتصاد العراقي اختلال هيكل الإيرادات والتي تعتمد على عائدات النفط الخام بنسبة ٩١% وان الجزء الأكبر من النفقات يوجه نحو اغراض استهلاكية وليس نحو الاعمال الاستثمارية، وبسبب الحروب والأحداث السياسية في الوقت الحاضر وزيادة حجم النفقات الموجه نحو القطاع العسكري وانخفاض النفقات الاستثمارية واعتماد الاقتصاد على مصدر احادي (النفط الخام) وهو المورد الاساس في تمويل النفقات العامة اذ يشكل النسبة الأكبر من الناتج المحلي الاجمالي.

أولاً: أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من الدور المهم الذي يمارسه الاستثمار في النشاط الاقتصادي، إضافة الى دور الانفاق الحكومي في تطوير النشاط الاستثماري في العراق.

ثانياً: مشكلة البحث

انحراف الانفاق العام عن واقع الخطة الاستثمارية وتوجهه نحو قطاعي الخدمات والاستهلاك ما يؤثر على حجم الاستثمار.

ثالثاً: فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها ((لا توجد علاقة واضحة المعالم بين سياسة الانفاق العام والاستثمار في العراق الامر الذي ينعكس سلباً على النشاط الاقتصادي)).

رابعاً: اهداف البحث

تتمحور اهداف البحث في:

١. تحليل اهمية سلوك الانفاق العام في العراق وإعادة هيكلة بما يتناسب مع تخفيف الأثر السلبي في دفع عجلة الاستثمار وتحقيق الواقع الاستثماري المرغوب.
٢. قياس العلاقة بين الانفاق العام والاستثمار وتحليلها.

خامساً: منهجية البحث

يعتمد البحث على استخدام المنهج الوصفي التحليلي عن طريق تحليل تطور البيانات عبر المراحل التاريخية واستقراء الواقع الاقتصادي وتحليل الظواهر الاقتصادية خلال مدة الدراسة ومتابعة تطورها الزمني ومن ثم استنباط الاثار المترتبة على ذلك، فضلاً عن استخدام نموذج الانحدار الذاتي للإبطاء الزمني الموزع (ARDL) لتحليل العلاقة بين متغيرات الدراسة.

سادساً: هيكلية البحث

يقسم هيكل البحث على مبحثين، اذ تناول الاول الاطار المفاهيمي للأنفاق العام و للاستثمار. والثاني، تناول قياس العلاقة بين الانفاق العام والاستثمار في العراق وتحليلها.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للأنفاق العام والاستثمار

المطلب الأول: الانفاق العام (مفهوم، انواع)

أولاً: مفهوم الانفاق العام

يعكس الانفاق العام دور الدولة وتطورها، ومع تطور دور الدولة من الدولة الحارسة الى الدولة المتدخلة، الى الدولة المنتجة، تطور الانفاق العام، كما يعكس الانفاق الحكومي دور الدولة في الحياة الاقتصادية، اذ اصبح الاداة الرئيسة للسياسة المالية التي تهدف الى تحقيق الاستقرار الاقتصادي، وبالتالي فان دراسة الانفاق الحكومي (العام) تهدف الى معرفة الاثر الذي يخفض البطالة ويحقق الاستقرار الاقتصادي^(٣)، ويعرف الانفاق العام بأنه جميع المدفوعات والمشتريات من السلع والخدمات التي تقوم بها الدولة لغرض تحقيق منفعة عامة ولا يقدر القطاع الخاص توفيرها مثل الانفاق على التعليم والصحة والدفاع والبنى التحتية ومدفوعات الرعاية الاجتماعية^(٤).

^٣- وليد عبد الحميد عايب، مبادئ الاقتصاد الكلي (الاثار الاقتصادية الكلية لسياسة الانفاق الحكومي) دراسة تطبيقية قياسية لنماذج التنمية الاقتصادية، ط١، للنشر المنهل، للطباعة والنشر والتوزيع مكتبة حسين العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص ١٠٠.

^٤- Trvin B. Tucker, " Macroeconomics for Today " Seventh Edition, Copyright 2010 Cengage Learning, Canada, 2010, P 324.

وكذلك يعرف الاتفاق العام بأنه مبلغ نقدي يخرج من الذمة المالية للدولة أو إحدى السلطات المكونة لها بهدف تحقيق نفع عام^(٥)، أو هو مبلغ من المال (اقتصادي أو نقدي) يصدر عن الدولة أو عن أي شخص معنوي عام، بقصد تحقيق منفعة عامة^(٦).

تدفع الدولة رواتب إلى موظف في أمانة الصحة، وتدفع أموالاً إلى متعهد أو شركة قامت ببناء محطة للكهرباء، وتمنح مساعدة مالية إلى المصدرين، وراتباً أو معاشاً تقاعدياً، وتوزيع إعانات على المنكوبين أو المتضررين من زلزال أو فيضان، وتشتري سلاحاً من دولة أجنبية، وتحمل نفقات تحديد مصنع أو طريق عام أو ميناء.. الخ في كل هذه الحالات توجد نفقات عامة، أي خروج مبالغ نقدية من خزانة الدولة، وصرفها من أجل إشباع الحاجات العامة للمجتمع، إلا أن هذه النفقات تختلف من حيث طبيعتها واثارها، فبعضها يمثل تدخلاً اقتصادياً كمنح الإعانة للمصدر، والبعض الآخر لا يمثل أي تدخل كدفع رواتب إلى موظف، كما أن بعضها الآخر يمثل استثماراً منتجاً يدر على الدولة دخلاً في المستقبل كبناء محطة للكهرباء بسبب ما تنتجه من طاقة تبيعها الدولة للمستهلكين، بينما لا يمثل شراء السلاح أي استثمار منتج وإن كان يساهم بشكل غير مباشر في زيادة الانتاج بسبب ما يوفره من أمن وطمأنينة للمواطنين^(٧).

ثانياً: أنواع الانفاق العام

تأخذ النفقات العامة أنواع متعددة وهي^(٨):

- ١) الأجور والرواتب: وهي الأجور والرواتب التي تدفعها الدولة إلى الموظفين والعمال والمتقاعدين العاملين في أجهزتها (وهنا تدفع النفقة بمقابل).
- ٢) ائتمان مشتريات الدولة: قيم السلع والخدمات التي تشتريها الدولة وتهدف من ذلك إلى إشباع الحاجات العامة مثل الآلات والمعدات والقرطاسية والاثاث وغيرها من المشتريات الأخرى (هذه النفقة تدفع بمقابل أيضاً).
- ٣) الإعانات: الإعانات المختلفة التي تقدمها الدولة إلى مختلف الفئات الاجتماعية أو إلى الدول والمنظمات الدولية.
- ٤) تسديد الدين العام: تسديد أقساط وفوائد الدين العام الذي تقتضيه الدولة سواء كانت من الداخل أو الخارج.

^٥- Mithani, Modern Public finance, theory and practice, Himalaya House., New York, 1998, P. 221.

^٦- محمد خالد المهاني، د. خالد شحادة الخطيب. المالية العامة، ط١، دمشق، (٢٠١٤-٢٠١٥)، ص٧٦.

^٧- منصور ميلاد يونس، مبادئ المالية العامة، المؤسسة الفنية للطباعة والنشر، عمان، ٢٠٠٤، ص١٩.

^٨- طاهر الجنابي، علم المالية العامة والتشريع المالي، ط١، العتاك لصناعة الكتاب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧، ص٢٠.

المطلب الثاني: الإطار المفاهيمي للاستثمار (مفهومه، أنواع، العوامل المحددة، تحليل تطور المتغيرات الاقتصادية)

اولاً: مفهوم الاستثمار

ان المدلول اللغوي لكلمة استثمار، هو مصدر استثمار، تشير الى "طلب الحصول على الثمر والسعي للحصول عليه والانتفاع به" (٩)، اما من الناحية الاقتصادية الاستثمار يعني استخدام المدخرات النقدية في الاقتصاد لتكوين اصول رأسمالية (موجودات ثابتة) تستخدم في انتاج السلع والخدمات. اي جزء من الدخل القومي الذي يوجه نحو شراء الاصول الرأسمالية (موجودات ثابتة) وعلى زيادة المخزون من الموارد الاولى. وحتى يتم الاستثمار في الاقتصاد من خلال اتفاق قطاع الاعمال على الآلات الجديدة، والمباني الجديدة ينبغي ان تتوفر في الاقتصاد مؤسسات تتولى مهمة جمع الادخارات النقدية، وتوفير لمن يرغب في استخدامها لأغراض الاستثمار والذي ينتج سلع وخدمات حيث يوفر القدرة الانتاجية وكذلك زيادة الكفاءة الانتاجية للأصول الرأسمالية عند استخدامها، وأن الاستثمار يسهم في توليد دخول اضافية وهذا ما يؤدي الى ارتفاع القوة الشرائية التي تشكل طلباً على السلع والخدمات التي يسهم الاستثمار في انتاجها، وهذا الطلب يمثل حافزاً نحو اقامة المشاريع والتوسع فيها، ومن ثم فان الاستثمار في شراء الآلات والمعدات والمباني والزيادة في المخزون يتحقق عند تحقق الربح وتعويض الاندثار الذي يصيب الاصول الرأسمالية في العملية الانتاجية او التقادم الفني المرتبط بإحلال اصول رأسمالية جديدة تصبح معها الاصول الرأسمالية المستخدمة خارج اطار امكانية الانتفاع الاقتصادي المقبول منها. من اجل المحافظة على استمرار النشاطات الاقتصادية بالمستويات التي هي عليه بدون توسع او انكماش (١٠).

كما يعرف الاستثمار بأنه تكوين راس المال الثابت مضافاً الى التغير في المخزون السلعي في سنة معينة (١١). او هو ذلك الجزء من الناتج القومي الذي لا يوجه للاستهلاك وانما يدخر في صور الآلات ومعدات و تشييدات سكنية جديدة، بالإضافة الى التغير في المخزون (١٢) والبعض الآخر يعرف الاستثمار بأنه التخلي عن استخدام أموال حالية ولفترة زمنية معينة من اجل الحصول على مزيد من التدفقات النقدية في المستقبل تكون بمثابة تعويض عن القيمة الحالية للأموال المستثمرة مع إمكانية الحصول على عائد مجزي مقابل تحمل عنصر المخاطرة (١٣)، وبذلك يلعب الاستثمار دوراً بارزاً ومهماً في اقتصاديات الدول المتقدمة والنامية، كونه وسيلة لتحقيق النمو الاقتصادي والتطور الاجتماعي، وان تكوين اجمالي رأس المال يساهم في تعجيل عملية النمو الاقتصادي كما تشير الى ذلك معظم النظريات الاقتصادية والبحوث الاقتصادية التطبيقية (١٤)

٩- هناء عبد الغفار، "الاستثمار الأجنبي المباشر والتجارة الدولية الصين أنموذجاً"، بيت الحكمة للأعلام والنشر، بغداد ٢٠٠٢، ص ١٣.
١٠- فليح حسن خلف، الاقتصاد الكلي، ط ١، علم الاقتصاد الحديث للنشر والتوزيع، اربد، عمان، الأردن، ٢٠٠٧، ص ١٦٣-١٦٥.

١١- احمد بريهي علي، الاستثمار الاجنبي والنمو وسياسات الاستقرار الاقتصادي، ط ١، دار الكتاب، ٢٠١٤، ص ٥٩.

١٢- Shapiro, Macro Economic Analysis, 3cd, Harcourt Brace Jovanovich, New York, 1974, P.156.

١٣- Redclife, R, Investment; concept, Analysis, and stratege, Ill, Scott, (2). for esman comp. 1982, p7.

١٤- Hadiwibowo, yuniarto " fiscal policy, Investment and Long – Run Economic Growth:Evidence From Indonesia ", Asian social science vol. 6, No.9: September 2010, p3.

ويعد الاستثمار المادي (العام والخاص) محركاً مهماً للنمو في جميع الاقتصادات كما انه يحمل مفتاح التحسينات لا حياء نمو الانتاجية^(١٥).

ثانياً: انواع الاستثمار

(١) تصنيف الاستثمار وفق الهدف

أ) الاستثمار الصافي: وهو الاضافة الصافية الى رصيد المجتمع من راس المال، وهو يمثل الفرق بين الاستثمار الاجمالي والاستثمار الاحلالي الا ان الهدف منه هو مواجهة الزيادة في الطلب ولغرض استكمال الطاقة الانتاجية المرغوبة^(١٦)

الاستثمار الصافي = الاستثمار الاجمالي - الاستثمار الاحلالي ----- (١)

ب) الاستثمار الإحلالي

هو القدر من الاستثمار يوجه للإحلال محل الاصول المستهلكة اثناء العملية الانتاجية، ولكن لا يؤدي الى اضافة في رصيد راس المال بل يزيد من المقدرة الانتاجية للاقتصاد القومي خاصة اذا كانت الآلات والمعدات تتميز بارتفاع مستوى التكنولوجيا والتقنية^(١٧).

ج) الاستثمار الثابت

هو الاستثمار الذي يتكون من الاصول المعمرة من السلع الرأسمالية (الآلات والمعدات) والمعرفة التي يمكن استخدامها لإنتاج السلع والخدمات والتي تزيد من الطاقة الانتاجية^(١٨) ويعرف (Mankiw) الاستثمار الثابت بأنه شراء المصانع والمعدات الجديدة من قبل الشركات^(١٩).

د) الاستثمار في المخزون

الذي يتكون من الزيادة الحاصلة في المواد الخام او السلع النهائية المخزونة، والتي تحتفظ بها المنشأة خلال فترة زمنية محددة، حيث ان المنشأة خلال هذه الفترة تضيف او تحسب منه كماده خام او سلعة نهائية. وان هذا التغير من رصيد المخزون من خلال الاضافة او السحب هو الذي يشكل الاستثمار في المخزون^(٢٠).

(٢) الاستثمار حسب العائدية

أ) الاستثمار الفردي

¹⁵- IMF POLICY PAPER, FISCAL POLICY AND LONG- TERM GROWTH, APRIL,20,2015,p18.

[http:// www. Imf.org /external/pp/ ppindex. aspx](http://www.Imf.org/external/pp/ppindex.aspx)

¹⁶- Little.L.M.D&J.A.Mirrlees, Project Appraisal and Planning for Developing Countries.London, Heinemann, Education Books,1974,p116

^{١٧}- احمد محمد محمود نصار، الاستثمار بالمشاركة في البنوك الاسلامية (الشركات، المضاربة، الاسهم، السندات والصكوك)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص ١١.

¹⁸- Bodie, Ziv & Kane, Alex & Marcus, Alan J, Essentials Of Investment, 5th ed, Mc graw-Hill/ Irwin, New York, USA 2007, P4.

¹⁹- N. Gregory Mankiw, Macroeconomics, 7th ed., USA, Worth publishers, Harvard University, 2009, p27.

^{٢٠}- محمود حسين الوادي، وآخرون، مبادئ علم الاقتصاد، ط١، دار المسيرة، عمان، الاردن، ٢٠١٠، ص ٢٨٢.

الاستثمار الفردي فهو قيام القطاع الخاص باستخدام تلك البنى المتاحة بإقامة مشاريع تعود بالنفع على المستثمر من فوائد وارباح، وتعود على الحكومة والمجتمع بالفائدة من حيث قدرتها على خلق فرص عمل، وتنشيط السوق المحلية بتحريك التجارة وإقامة الصناعات المحلية وتوفير منتجاتها^(٢١)، ويتأثر الاستثمار الفردي بالكفاءة الحدية لرأس المال وسعر الفائدة، التوقعات، والنمو السكاني، والتقدم التكنولوجي.

ب) الاستثمار الحكومي

هو رأس المال الحقيقي الجديد الذي تقوم الحكومة بتكوينه وتمويله من فائض الإيرادات عن الانفاق العام، أو من حصيلة القروض التي تطرحها للاكتتاب العام أو من حصيلة القروض الأجنبية^(٢٢)، ويشير الاستثمار الحكومي إلى إنفاق الأموال العامة التي تضيف إلى خزين رأس المال الحقيقي العام ويتضمن بناء الطرق والموانئ والمدارس والمستشفيات.. الخ^(٢٣)، والذي يوجه نحو تحقيق نفع عام من خلال بناء المستشفيات والصحة العامة والتعليم والطرق والجسور فهو يتأثر بسياسة الدولة^(٢٤).

ثالثاً: العوامل المحددة للاستثمار

١) التقدم التكنولوجي

إن هذا التطور يساعد على تقليل تكاليف الاستثمار فإن منحى الطلب على الاستثمار سوف ينتقل إلى اليمين وهذا يعني زيادة الاستثمارات، وهذا الشيء موجود في عالمنا اليوم، فالدول الصناعية في صراع تكنولوجي وفني وتتسابق في اختراعاتها وتقدمها وهذا يشجع على استخدام وسائل تكنولوجية حديثة في الانتاج وبأبسط الطرق أي حدوث تطورات تكنولوجية زادت الاستثمارات عند مستوى سعر الفائدة نفسه.

٢) ثقة وتوقعات القطاع التجاري بالوضع الاقتصادي (التوقعات)

نعني بالثقة التجارية الثقة بالوضع الاقتصادي المستقبلي، بمعنى عند توقع رجال الأعمال حدوث ركود اقتصادي في دولة معينة فإن العديد من المستثمرين يجمعون عن الاستثمار في تلك الدولة، الأمر الذي سيؤدي إلى انتقال منحى الاستثمار في تلك الدولة إلى اليسار، كذلك ينطبق هذا الكلام عند توقع القطاع التجاري تحقيق أرباح أقل في المستقبل، أما عند توقع رجال الأعمال حدوث انتعاش اقتصادي فإن العديد من المستثمرين يزيدون استثماراتهم وبالتالي ينتقل منحى الاستثمار إلى اليمين، وهذا يحدث أيضاً عند توقع القطاع التجاري تحقيق أرباح أكبر في المستقبل^(٢٥).

٢١- أمل بنت سيف بن ناصر السلامة، واقع الاستثمار في سلطنة عمان، ورقة عمل، دائرة المعلومات والبحوث، الامانة العامة المساعدة للمعلومات، مجلس الشورى، سلطنة عمان، ٢٠٠٦، ص٤.

٢٢- وديع طوروس، الاقتصاد الكلي، ط١، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ٢٠١٥، ص١٨٣.

٢٣- Edward Anderson et al., the role of public investment in poverty reduction: theories, evidence and methods, working paper 263, overseas development institute, 111 Westminster Bridge Road, London SE17JO, UK, 2006, p2.

٢٤- Desgranges, Gabriel, Rochon, Celine, Conformism and Public new, wp/11/33.http://www.imf.org/external/pubs/ft/wp/wp1133.pd, 2011, p3.

٢٥- محمود حسين الوادي، وآخرون، الاقتصاد الكلي، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠، ص١٢٣.

٣) حجم الطلب ونموه (الزيادة السكانية)

تؤثر الزيادة السكانية في زيادة الطلب على السلع والخدمات المختلفة ونموه يؤدي الى تشجيع المستثمرين على شراء الآلات ومعدات وبناء مصانع جديدة لتلبية الطلب المتزايد او تحقيق ارباح أعلى، مما يؤدي الى انتقال منحنى الطلب الاستثماري الى اليمين والعكس صحيح.

٤) اجراءات الحكومة

وقد ينتقل منحنى الطلب الاستثماري اذا تغيرت معدلات العائد المتوقعة للمشروعات نتيجة لإجراءات الحكومة، فتخفيض العبء الضريبي أو إعفاءات جمركية أو تقليل الضريبة على المشروعات ستؤدي الى تشجيع الاستثمارات وبالتالي انتقال منحنى الطلب على الاستثمار لليمين (للأعلى). كما ان الحوافز والتسهيلات التي تقدمها الحكومة للمستثمرين مثل تقديم دراسات جدوى للمشروعات الانتاجية بأسعار رمزية، وكذلك ان تقوم بالقضاء على الروتين وغيرها من الحوافز ستؤدي حتماً الى زيادة الاستثمارات وانتقال منحنى الاستثمار الى اليمين (للأعلى) (٢٦).

٥) الكفاية الحدية لرأس المال

الكفاية الحدية لرأس المال هي ((سعر الخصم الذي يجعل القيمة الحالية لمجموع الغلات النقدية الصافي التي يدرها الأصل الرأسمالي مساوية لتكلفة هذا الأصل (سعر العرض) فعندما يقوم رجال الأعمال بالاستثمارات في أصول رأسمالية فانه يقوم بتقدير الغلات الصافية من هذا الأصل طيلة فترة بقائه صالحاً للاستعمال، الغلات الصافية تعني ((مقدار إيرادات المشروع بعد خصم جميع التكاليف ما عدا سعر الفائدة المدفوعة وتكلفة اهتلاك راس المال)) ثم يقوم بعد ذلك بخصم تلك الغلات بسعر خصم معين يجعل القيمة الحالية للغلات مساوياً لسعر الاصل ليحصل على الكفاية الحدية لرأس المال (٢٧)، على سبيل المثال فاذا كانت فائدة البنوك ١٠% و الكفاية الحدية لرأس المال اكبر من ١٠%، اي العائد اكبر من تكلفة الحصول على راس المال فان المشروع يكون مربحاً مما يشجع على الاستثمار حتى يتقاطع منحنى الكفاية الحدية لرأس المال مع سعر الفائدة عند نقطة التوازن (A)، النقطة المثلى تتحقق عندما يكون

$$\text{سعر الفائدة} = \text{الكفاية الحدية لرأس المال} - - - - (2)$$

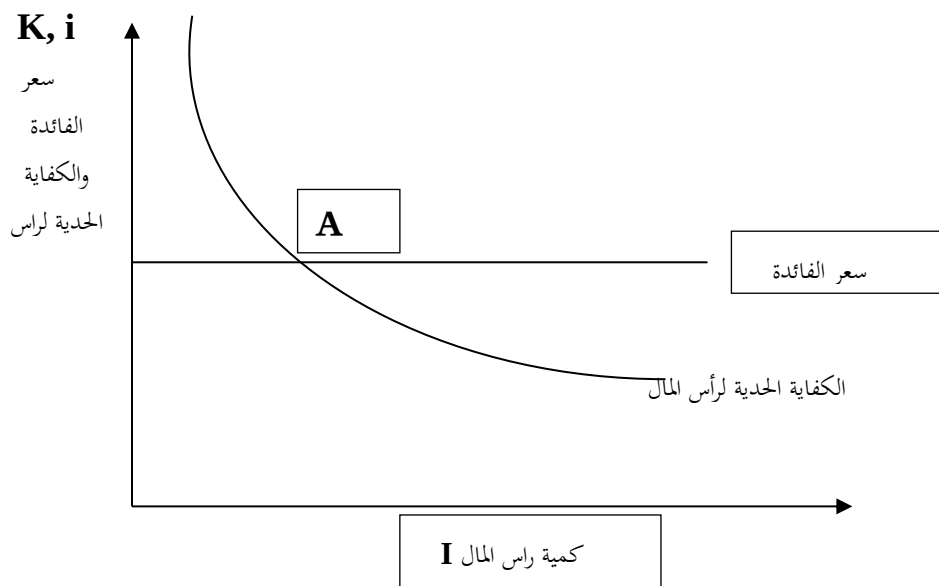
وبعد هذه النقطة (A) تكون الكفاية الحدية لرأس المال اقل من سعر فائدة البنوك، مما يؤدي الى تراجع الاستثمار ومن الافضل التوجه نحو الادخار بدلاً من الاستثمار (٢٨).

شكل (١) الكفاءة الحدية للاستثمار

٢٦- حسام علي داوود، مبادئ الاقتصاد الكلي، ط ٤، دار المسيرة، عمان، الاردن، ٢٠١٤، ص ١٣٧.

٢٧- محمود حسين الوادي وآخرون، مصدر سابق، ص ١٢٥.

٢٨- حسام علي داوود، مصدر سابق، ص ١٣٢ - ١٣٣.



المصدر: حسام علي داود، مبادئ الاقتصاد الكلي، ط ٤، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤،

ص ١٣٣

في الشكل (١) يمثل المحور الأفقي كمية رأس المال (I) في فترة معينة كما يمثل المحور العمودي سعر الفائدة (i) والكفاية الحدية للاستثمار (k) مع افتراض باقي العوامل الأخرى ثابتة دون تغيير ومنها توقعات الربح والتقدم التقني وغيرها من العوامل الأخرى، كالأذواق والعادات، وهيكل الأسعار السائدة ودرجة المنافسة وتوزيع الدخل... الخ وهذا يجعل التحليل ساكناً، ويلحظ ان الكفاية الحدية تتغير تغيراً عكسياً مع حجم الاستثمار، وتنحدر من الأعلى الى الأسفل باتجاه اليمين ذات ميل سالب، ويترتب على زيادة حجم الاستثمار انخفاض الكفاية الحدية للاستثمار.

ويمكن الإشارة الى ان سبب العلاقة العكسية بين الاستثمار والكفاية الحدية للاستثمار يعود الى التكلفة الحدية المتزايدة في صناعة السلع الرأسمالية، الزيادة في تكاليف التشغيل انعكاساً لارتفاع تكلفة المواد.

وانخفاض الاثمان تبعاً لزيادة الإنتاج والمبيعات، وانخفاض الإنتاجية الحدية للاستثمار كلما زاد معدل الاستثمار (٢٩).

رابعاً: تحليل تطور المتغيرات الاقتصادية

شهد تكوين راس المال في العراق تطورات عديدة ويعد مؤشر إجمالي تكوين راس المال من المؤشرات الاقتصادية المهمة المستخدمة في التحليل الاقتصادي ومتابعة التطورات التي يشهدها الاقتصاد خلال مدة محددة على المستوى الكلي، فضلاً عن كونه يشير الى اتجاه النفقات المساهمة في زيادة الأصول الثابتة للاقتصاد الوطني، حين يعرف سعر الفائدة وهو تكلفة اقتراض النقود، وتقاس أسعار الفائدة بنسبة مئوية سنوية وهي تختلف باختلاف صفات القرض من ناحية وتاريخ الاستحقاق والمخاطر والسيولة، وتلعب سعر الفائدة دوراً مباشراً للتأثير في قرارات الافراد من خلال الاستهلاك والادخار، وتؤثر في قرارات رجال الاعمال والمنشأة عن طريق الاستثمار، و يقصد بالنفقات الاستثمارية ذلك الجزء من الانفاق الحكومي العام الذي يوجه لبناء محطات الكهرباء والطرق والجسور والمستشفيات والمدارس.

الجدول (١-١) بيانات تكوين راس المال الإجمالي وسعر الفائدة والانفاق الاستثماري في العراق للمدة

٢٠١٧-١٩٩٤

الانفاق الاستثماري بالأسعار الثابتة ١٠٠=٢٠٠٧ (٣)	سعر الفائدة (٢)	تكوين رأس المال الثابت الإجمالي بالأسعار الثابتة (١)	السنوات
1204347.8	6.5	2029784391.3	1994
772236.4	7.25	1053342727.3	1995
391828.0	7.25	513409129.0	1996
629008.8	7.25	2217974701.8	1997
731267.2	7.25	3145534938.9	1998
1373877.6	7.35	5132602666.7	1999
2238948.4	7.35	9453243129.0	2000
3215894.4	7.35	14063560655.6	2001
6813953.5	6.35	10228263953.5	2002
742528.1	6.35	18388202.2	2003
8282233.5	6	7851118189.6	2004
9162360.7	7	20405535493.0	2005
7889633.5	10.42	22135019210.7	2006
7723044.0	20	7530404439.0	2007
10541858.9	16.75	20621596405.5	2008
8610487.3	8.83	11032958462.7	2009

٢٩- مجيد علي حسين، عفاف عبد الجبار سعيد، مقدمة في التحليل الاقتصادي الكلي، ط ١، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٤، ص ١٩٦.

٢٠٠١، ثم انخفض في عام ٢٠٠٢ الى (٥٦,٣٥%)، نلاحظ أن أسعار الفائدة في انخفاض والسبب في ذلك ان السلطة النقدية لم تستخدم أسعار الفائدة للتأثير في النشاط الاقتصادي او معالجة مشكلة التضخم التي كانت تعصف بالاقتصاد العراقي كذلك لم يمارس سعر الفائدة الدور الفعال في اجتذاب المدخرات وسحب السيولة للحد من الضغوط التضخمية^(٣٠).

ب. تطور سعر الفائدة خلال المدة (٢٠٠٣-٢٠١٧)

شهد عام ٢٠٠٣ ثبات سعر الفائدة عند المستوى السابق اذ بقي عند معدل (٥٦,٣٥%)، اما عام ٢٠٠٤ فقد انخفض سعر الفائدة الى (٥٦%)، ثم عاود الارتفاع عام ٢٠٠٥ ليصبح (٥٧%)، واستمر هذا الارتفاع في سعر الفائدة حتى عام ٢٠٠٧ وبلغ (٥٢٠%)، وهذا الارتفاع في اسعار الفائدة كان بسبب سعي البنك المركزي للوصول الى اسعار فائدة توازنية فضلاً عن التأثير في مستويات التضخم التي يعاني منها الاقتصاد العراقي بسبب التقلبات في القطاع الحقيقي^(٣١).

انخفض سعر الفائدة عام ٢٠٠٨ الى (١٦,٧٥%) واستمر البنك المركزي بتخفيض اسعار الفائدة الى (٥٦%) في عام ٢٠١١، وبقى البنك المركزي سعر الفائدة ثابتاً عند مستوى (٥٦%) خلال الاعوام ٢٠١٢-٢٠١٥، اما خلال عامي ٢٠١٦-٢٠١٧ فقد شهد سعر الفائدة انخفاضاً اذ بلغ (٤%)^(٣٢).

٣ تحليل تطور الانفاق الاستثماري بالأسعار الثابتة في العراق

أ. تطور الانفاق الاستثماري بالأسعار الثابتة خلال المدة (١٩٩٤-٢٠٠٢)

نلاحظ الانفاق الاستثمار بالأسعار الثابتة في عام ١٩٩٤ بلغ (١٢٠٤٣٤٨) مليون دينار، حين شهد الانفاق الاستثمار بالأسعار الثابتة عامي (١٩٩٥-١٩٩٦) انخفاضاً بلغ (٧٧٢٢٣٦,٤-٣٩١٨٢٨) مليون دينار، وزاد الانفاق الاستثماري خلال أعوام (١٩٩٧-٢٠٠٢) وبلغ (٦٨١٣٩٥٣,٥) مليون دينار عام (٢٠٠٢).

ب. تطور الانفاق الاستثماري بالأسعار الثابتة خلال المدة (٢٠٠٣-٢٠١٧)

وشهد عام ٢٠٠٣ انخفاضاً في الانفاق الاستثماري اذ بلغ (٧٤٢٥٢٨,١) مليون دينار، مع عدم تمكين القطاع الصناعي من تحقيق التراكمات المالية المطلوب لتمويل الاستثمارات التنموية أضيف إلى ذلك تقليل الاعتماد على التخصيصات الاستثمارية في خطط التنمية الاقتصادية على الرغم من تنفيذ العديد من المشاريع الانتاجية الكبيرة^(٣٣). ارتفاع الانفاق الاستثماري بالأسعار الثابتة عامي (٢٠٠٤-٢٠٠٥) وبلغ (٨٢٨٢٢٣٣,٥-٩١٦٢٣٦,٧) مليون دينار، حيث شهد عامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧) تراجع الانفاق الاستثماري بالأسعار الثابتة وبلغ (٧٨٨٩٦٣٣,٥-٧٧٢٣٠٤٤,٠) مليون دينار، والسبب في هذا الانخفاض لم يكن اقتصادياً وانما هو بسبب تغيير طريقة حساب تكوين رأس المال الثابت^(٣٤)، ثم عاود

٣٠- جليل كامل غيدان و استيرق اسماعيل حمه، اثر السياسة النقدية على استقرار اسعار الصرف الاجنبي في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٢)، مجلة الكوث للعلوم الاقتصادية والادارية، جامعة واسط، العدد ١٧، ٢٠١٥، ص ١٢٩.

٣١- نبيل مهدي الجنابي، نماذج السياسات النقدية والمالية: مع تطبيق معادلة (st.louis) على الاقتصاد العراقي للمدة (٢٠٠٣-٢٠١١)، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، المجلد ٨، العدد ٢٢، ٢٠١٢، ص ٥٨.

٣٢- صباح كچه جي، التخطيط الصناعي في العراق اساليبه وتطبيقاته واجهزته، ج ١، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢، ص ١٥٥.

٣٣- وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية الحسابات القومية، قسم تكوين راس المال الثابت.

الانفاق الاستثماري عام ٢٠٠٨ الزيادة وبلغ (١٠٥٤١٨٥٨,٩) مليون دينار، وشهد تراجعاً من جديد في عام ٢٠٠٩ بعد الازمة المالية العالمية وبلغ (٨٦١٠٤٨٧,٣) مليون دينار، ثم عاود الاستثمار في عام ٢٠١٠ الارتفاع وبلغ (١٥٥٦٥١٤٧,٩) مليون دينار، في حين انخفض في عام ٢٠١١ وبلغ (١٣٤٩٨٩٤٩,٩) وسبب الانخفاض يعود الى سوء اختيار الأولويات وانخفاض كفاءة التنفيذ للمشاريع مع وجود فساد كبير مما جعل تلك التخصيصات لا تترجم الى مشاريع حقيقية على الأرض^(٣٤)، ثم ارتفع في عامي ٢٠١٢-٢٠١٣ وبلغ (٢٠٩٥٠٠٠١,٤) و(٢٨٢٩٧٨٢٧,٦) مليون دينار، في حين شهدت الاعوام ٢٠١٤ و ٢٠١٦ تراجعاً في حجم الانفاق الاستثماري و بلغ على الترتيب (١٧٠٨٧٥٧١,٦) و(١٢٥٤٣٧٠٠,٠) و(١٠٧٣١٩٣٧,٩) مليون دينار بسبب الاحداث التي مر بها الاقتصاد وسياسات التقشف الحكومية فضلاً عن دخول الاقتصاد حالة الركود الاقتصادي. و في عام ٢٠١٧ ارتفع الانفاق الاستثماري وبلغ (١١٠٩٤٦٥٠,٣) وسبب ارتفاع الانفاق الاستثمار يعود الى قيام الحكومة بزيادة مخصصات النفقات لدعم عملية النمو وتأهيل البنى التحتية وخلق فرص عمل جديدة ضمن الأنشطة الاقتصادية المختلفة والتقليل من نسب الحرمان^(٣٥).

المبحث الثاني: قياس العلاقة بين الانفاق العام والاستثمار باستعمال نموذج الانحدار الذاتي للإبطاء الموزع (ARDL)

اولاً: توصيف النموذج القياسي

تُعدُّ مرحلة التوصيف من اهم مراحل بناء النموذج القياسي وأصعبها وذلك لما تتطلبه من تحديد للمتغيرات التي يجب أنْ يحتويها النموذج، وفي هذه المرحلة يتم الاستناد على النظرية الاقتصادية لتحويل العلاقة بين المتغيرات الى معادلات رياضية باستخدام الرموز في تحديد نوع واتجاه العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية.

يعرف النموذج القياسي بأنه عبارة عن نموذج اقتصادي يبين بصيغة رمزية طبيعة العلاقات الاقتصادية للظاهرة المدروسة وبصورة أقرب الى الدقة مستخدماً في ذلك العوامل المحددة أو المؤثرة في سلوك الظاهرة جزئياً أو كلياً^(٣٦).

تعد العوامل المؤثرة في سياسة الانفاق العام وانعكاساتها على واقع الاستثمار في العراق والتي تم توضيحها مسبقاً، من المواضيع المهمة، والتي لا يمكن أن يقتصر تحليلها على الجانب الوصفي فقط، بل لابد من تحديد وقياس أثرها ونسبة مساهمتها في التغيرات التي تحصل في سياسة الانفاق العام وانعكاساتها على واقع الاستثمار خلال مدة الدراسة (١٩٩٤-٢٠١٧)، وهذا يتم من خلال الاستعانة بالاقتصاد القياسي الذي يعد من الأساليب الكمية المميزة في هذا المجال، إذ أنها تتسم بالسهولة والدقة والإمكانية العالية في

^{٣٤} - عبد الحسين العنبيكي، اقتصاد العراق النفطي فوضى تنموية.. خيارات الانطلاق، ط ١، الناشر مركز العراق للدراسات، مطبعة الساقية، ٢٠١٣، ص ٧٤.

^{٣٥} - وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، التقرير الاقتصادي العراقي للعام ٢٠١١، ص ٦٣.

^{٣٦} - وليد اسماعيل السيفو وآخرون، اساسيات الاقتصاد التحليلي، ط ١، دار الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، ص ٤٧.

تحديد طبيعة المتغيرات التي يتم إدخالها أو استبعادها من النماذج، و يمكن توصيف هذه المتغيرات كما يأتي:-

١. المتغيرات التابعة (المعتمدة):

وهي المتغيرات التي تتحدد قيمها عن طريق النموذج، أي بواسطة تقدير معادلات النموذج. أي معرفة قيم المعلومات وقيم المتغيرات الخارجية. وتكون:

أ. تكوين راس المال الإجمالي (CT)

٢. المتغيرات المستقلة (خارجية):

وهي المتغيرات التي لا تتحدد قيمها عن طريق النموذج، وإنما تتحدد بعوامل خارجية عن النموذج، وفي بعض الأحيان تتحدد قيمها عن طريق نموذج آخر مختلف عن النموذج الأصلي^(٣٧). أ. سعر الفائدة (IR).

ب. الانفاق الاستثماري (EI) بالأسعار الثابتة.

٣. المتغير العشوائي (U_t)

يحتوي المتغير العشوائي المتغيرات التي يصعب قياسها كالعادات والتقاليد وطبيعة السلوك، وقد يحتوي على بعض المتغيرات الحقيقية أو المالية فضلاً عن التدفقات المالية والدولية التي تعذر احتسابها، فمن المحتمل عدم وجود البيانات الكافية عنها ولصعوبة قياسها كمياً.

ثانياً: اختبار استقراره المتغيرات

سنقوم باختبار استقرارية متغيرات الدراسة باستعمال برنامج Eviews.9 وإجراء اختبار ديكي فولر الموسع (ADF) من أجل معرفة هل ان المتغيرات مستقرة ام غير مستقرة اي تحتوي على جذر الوحدة مع تحديد رتبة التكامل، وبعد إجراء الاختبار للمتغيرات حصلنا على المخرجات الموضحة بالجدول (٢):-

جدول (٢) اختبار ديكي فولر الموسع لجذر الوحدة

المتغير	رتبة التكامل	المستوى			الفرق الأول		
		A	B	Non	a	B	Non
IR	I(0)	-3.08*	-3.01	-0.91			
CT	I(0)	-1.69	-3.34**	-0.55			
EI	I(1)	-1.60	-2.45	-0.67	-5.39*	-5.32	-5.45

a تعني الانحدار يحتوي على قاطع فقط

b تعني الانحدار يحتوي على قاطع واتجاه عام

non تعني الانحدار لا يحتوي على قاطع ولا اتجاه عام

* تعني معنوي عند مستوى معنوية ٥%

^{٣٧} - وليد اسماعيل السيفو، أحمد محمد مشعل، الاقتصاد القياسي التحليلي بين النظرية والتطبيق، ط ١، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣، ص ٤٢-٤٣.

** تعني معنوي عند مستوى معنوية ١٠٪

المصدر من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews. 9
نلاحظ من الجدول (٢) ان بعض السلاسل الزمنية كانت مستقرة على المستوى (Level) سواء بوجود قاطع ام بوجود قاطع واتجاه عام اي انها خالية من جذر الوحدة ولا تحتوي على الانحدار الزائف وهذه المتغيرات هي (IR,CT) عند مستوى معنوية ٥٪ و ١٠٪ وستكون متكاملة من الدرجة I(0), في حين كانت بقية المتغيرات (EI) غير مستقرة لذلك تم اجراء الاختبار بعد اخذ الفروق الاولى (- First difference) للسلاسل الاصلية وتبين انها استقرت عند مستوى ٥٪ و ١٠٪ وستكون متكاملة من الدرجة I(1) سواء بوجود قاطع ام قاطع واتجاه عام.

ثالثاً: تقدير العلاقة بين الاستثمار والانفاق العام باستعمال انموذج الانحدار الذاتي للإبطاء الموزع (ARDL)

تم تقدير الاستثمار حسب نموذج ARDL وبوجود فترات ابطاء عدد (٤) وبعد اجراء التقدير حصلنا على النتائج الموضحة في الجدول (٣)

جدول (٣) نتائج انموذج ARDL للاستثمار

المتغير	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.*
CT(-1)	0.576483	0.169613	3.398826	0.0079
CT(-2)	-0.427710	0.229167	-1.866370	0.0948
CT(-3)	-0.187385	0.201556	-0.929691	0.3768
CT(-4)	0.533595	0.223797	2.384281	0.0409
EI	1044.954	225.3489	4.637052	0.0012
IR	-7.78E+08	5.13E+08	-1.518066	0.1633
IR(-1)	2.23E+09	8.19E+08	2.720548	0.0236
IR(-2)	-3.26E+09	9.89E+08	-3.296736	0.0093
IR(-3)	2.05E+09	8.35E+08	2.458793	0.0362
IR(-4)	-1.26E+09	5.65E+08	-2.224604	0.0532
C	9.02E+09	4.76E+09	1.893671	0.0908
R-squared	0.923389	Adjusted R-squared		0.838266
F-statistic	10.84767	Durbin-Watson stat		2.564513

المصدر من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews. 9
نلاحظ من الجدول المذكور انفا الذي يوضح نتائج تقدير انموذج ARDL للاستثمار اذ كانت القدرة التفسيرية للانموذج المقدر ($R^2=0.92$) اي ان المتغيرات المستقلة الداخلة في الانموذج المقدر تفسر ٩٢٪ من التغيرات في المتغير التابع والنسبة المتبقية تعود لمتغيرات اخرى غير داخلة في الانموذج، وكذلك نلاحظ ان الانموذج معنوي اذ كانت قيمة F المحتسبة (١٠,٨٤) وهي معنوية عند مستوى ٥٪ اي ان الانموذج المقدر معنوي.

الخطوة اللاحقة هي اختبار وجود علاقة تكامل مشترك اي وجود علاقة توازنه طويلة الاجل عن طريق اختبار الحدود (Bounds Test) والموضح في جدول (4).

جدول (٤) اختبار الحدود للنموذج المقدر للاستثمار

Test Stat.	Value	K
F- Stat	١,٩٤١	٢
Signi.	I0 Bound	I1 Bound
%١٠	3.17	4.14
%٥	3.79	4.85
%٢,٥	4.41	5.52
%١	5.15	6.36

المصدر من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews. 9

من الجدول (٤) الذي يوضح نتائج اختبار الحدود ومنه نلاحظ ان قيمة (F-statistics) المحتسبة كانت (١,٩٤١) وهي اقل من القيمة الجدولية العظمى البالغة (٤,١٤) وكانت القيمة الجدولية الصغرى (٣,١٧) عند مستوى معنوية ١٠% وعليه سنقبل فرضية العدم ونرفض الفرضية البديلة. ننقل الى اختبار النموذج المقدر للتأكد من خلو من مشكلة الارتباط التسلسلي ومشكلة عدم تجانس التباين والارتباط الذاتي بالجدولين (5)، (6)

جدول (5) اختبار الارتباط التسلسلي وعدم تجانس التباين للاستثمار

المصدر من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews. 9

Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test			
F- statistic	0.892	Prop. F	0.45
Obs*R-squared	4.06	Prob. Chi-Square	0.13
Heteroskedasticity Test: Breusch-Pagan-Godfrey			
F-statistic	1.392885	Prob. F	0.3147
Obs*R-squared	12.14963	Prob. Chi-Square	0.2752
Scaled explained SS	2.774101	Prob. Chi-Square	0.9863

جدول (6) اختبار الارتباط الذاتي للاستثمار

Date: 03/20/19 Time: 12:38

Sample: 1994 2017

Included observations: 20

Q-statistic probabilities adjusted for 4 dynamic regressors

Prob*	Q-Stat	PAC	AC	Partial Correlation	Autocorrelation
0.122	2.3854	-0.321	-0.321	1 .** .	.** .
0.299	2.4118	-0.078	0.033	2 .* .	. .
0.294	3.7111	-0.267	-0.224	3 .** .	.** .
0.375	4.2353	-0.029	0.138	4 . .	. * .
0.487	4.4460	-0.088	-0.085	5 .* .	.* .

D(CT(-2))	-0.346210	0.233017	-1.485772	0.1715
D(CT(-3))	-0.533595	0.223797	-2.384281	0.0409
D(EI)	1044.954333	225.348867	4.637052	0.0012
D(IR)	-778020956.571693	512507877.415857	0.000000	0.0000
D(IR(-1))	3259752305.660539	988781672.043452	0.000000	0.0000
D(IR(-2))	-2051962564.110794	834540506.891921	0.000000	0.0000
D(IR(-3))	1257844086.660580	565423747.838094	0.000000	0.0000
CointEq(-1)	-0.505016	0.163172	-3.094993	0.0128
معادلة تصحيح الخطأ + CT - (2069.1516*EI - 2010926533.1155*IR + Cointeq = 17866036220.7006)				
الاجل الطويل				
المتغير	Coefficient	Std. error	t-stat	Prob
EI	2069.151613	516.095442	4.009242	0.0031
IR	-2010926533.11545	1037160530.78479	-1.93887	0.0845
C	17866036220.70055	8336342370.45655	2.143150	0.0607

المصدر من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews.9 من الجدول (٧) نلاحظ ان الانفاق الاستثماري في الاجل القصير وعن طريق اختبار t كان معنوياً عند مستوى معنوية ٥% ويرتبط بعلاقة طردية مع تكوين راس المال الاجمالي اي ان زيادة الانفاق الاستثماري بوحدة واحدة سيؤدي الى زيادة تكوين راس المال الاجمالي بمقدار (١٠٤٤,٩) وحدة، اما أسعار الفائدة فإنها معنوية عند مستوى ٥% ومتفقة مع مضمون النظرية الاقتصادية اذ ان العلاقة بينهما علاقة عكسية. اما معلمة سرعة التكيف فقد كانت كبيرة بلغت (٠,٥٠-) وهي معنوية عند مستوى ٥% اي ان الاختلالات في الاجل القصير يتم تصحيح (٥٠%) منها تجاه القيمة التوازنية طويلة الاجل في السنة نفسها اي ان عملية التصحيح كانت متوسطة التأثير في النموذج.

اما في الاجل الطويل فنلاحظ ان الانفاق الاستثماري يرتبط بعلاقة طردية مع تكوين راس المال الإجمالي وهذا يتفق مع النظرية الاقتصادية، اما سعر الفائدة فقد كان معنوياً ايضاً عند مستوى ١٠% وكذلك علاقته عكسية وتتفق مع النظرية الاقتصادية اما معلمة الحد الثابت فقد كانت معنوية عند مستوى ٥%.

الاستنتاجات والتوصيات

اولا الاستنتاجات

- توصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات اهمها:-
١. نستنتج بعشوائية الانفاق العام في العراق وانحرافه عن مسار الخطة الاقتصادية.
٢. نستنتج من قياس العلاقة بين الانفاق العام والاستثمار بوجود علاقة طردية أي ان زيادة الانفاق العام يعمل على زيادة الاستثمار.

٣. نستنتج من دالة الاستثمار ان معامل تصحيح الخطأ كان (-0.50) وتعني ان الانحرافات في الاجل القصير تصصح بنسبة (50%) تجاه القيمة التوازنية طويلة الاجل خلال السنة نفسها اي ان سرعة التكيف متوسطة التأثير نسبيا في النموذج، وهنا سنرفض فرضية العدم ونقبل الفرضية البديلة بوجود علاقة توازنية طويلة الاجل. اما الحد الثابت فلم يكن ذات دلالة معنوية.

ثانياً التوصيات

بناءً على الاستنتاجات يوصي البحث بالآتي:

١. العمل على تنويع مصادر الإيرادات العامة لتقليل الاعتماد على الإيرادات النفطية لأنها مصدر دائم للالتزام والاعتماد على مصادر الدخل الأخرى كالضرائب والرسوم، وهذا يستلزم من الحكومة الجديدة تنويع سياساتها الإيرادية من خلال تشجيع الاستثمار في القطاعات الاقتصادية غير النفطية كالزراعة والصناعة و السياحة والخصوص السياحة الدينية لأنه يمكن ان يكون مورداً غنياً يسد حاجات الحكومة.
٢. ضرورة تفعيل دور القطاع الخاص إلى جنب القطاع العام ليأخذ دوره بعملية استنهاض الاقتصاد العراقي بعده شيئاً أساسياً للقطاع العام عن طريق توفير المستلزمات الضرورية كافة وتوفير البيئة المناسبة للاستثمار وتقليل التعقيدات والروتين الإداري الذي يمثل عائقاً بوجه المستثمرين، كذلك ينبغي من الحكومة تشريع القوانين واصدار التعليمات وتقديم كل التسهيلات والاعفاءات الى حين من الزمن من اجل خلق موقع تنافسي للعراق في التعامل مع رجال الاعمال والمستثمرين.
٣. ادارة الإنفاق العام بشكل كفوء من قبل مجلس متخصص في اعداد وتنفيذ مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية كقطاع الصحة والإسكان والخدمات العامة الأخرى والتربية والتعليم الأساس بالدرجة الأولى.

**تأثير استراتيجيات ادارة المعرفة في تحقيق التكيف التنظيمي -دراسة
تحليلية لآراء عينة من العاملين في شركة زين العراق للاتصالات المتنقلة
في محافظتي كربلاء المقدسة وبابل-**

*The Impact of Knowledge Management Strategies in
Achieving the organizational Adaptation (An Analytical
study of the views of a Sample of Personnel in zain Al-
Iraq for the Mobile Telecommunication company in
Babil and Karbala Provinces)*

م.م عبير محمد مهدي الشمري^(١)

Assist. Lect. Abeer M. Mahdi Al-Shimari

المستخلص

ابرز مقومات نجاح منظمات الاعمال هو قدرتها على مواكبة احداث المتغيرات التي يشهدها عصر الثورة التكنولوجية والمعلوماتية نتيجة التطور الهائل الذي طرأ على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها في مجال المعلومات، مما ادى الى وجود حاجة ماسة لتنظيم وادارة هذه المعلومات بحكمة ومسؤولية للاستفادة القصوى منها في تحقيق اهداف المنظمات الاستراتيجية ودعم متخذي القرارات، وقد تمثلت مشكلة البحث عبر التساؤلات المطروحة بشأن مدى تأثير استراتيجيات ادارة المعرفة وابعادها في التكيف التنظيمي ضمن عينة من العاملين في شركة زين العراق للاتصالات المتنقلة في محافظتي كربلاء المقدسة وبابل، وسعى البحث الى تحقيق جملة من الاهداف استناداً الى فرضية رئيسة واخرى فرعية. وقد استخدمت الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بعينة البحث، اذ تم توزيعها على عينة مكونة من (٧٠) شخص اشتملت على كادر المديرين العامين ومعاونيهم و مديري الاقسام و ومجهزي الخدمة المتواجدين في تلك الشركة.

^١ - جامعة كربلاء/ كلية العلوم السياحية.

وقد بينت الاساليب الاحصائية عدداً من النتائج من ابرزها وجود تأثير معنوي لاستراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي، وفي ضوء مناقشة النتائج اظهرت بوجود اهمية كبيرة لمفهوم استراتيجيات ادارة المعرفة والتكيف التنظيمي، الامر الذي يستلزم من الشركة المبحوثة ضرورة الاعتناء باستراتيجيات ادارة المعرفة لدورها في تحقيق التكيف التنظيمي.

الكلمات المفتاحية: استراتيجيات ادارة المعرفة، تحقيق التكيف التنظيمي، شركة زين العراق للاتصالات.

Abstract

The most important elements of the success of business organizations is their ability to keep abreast of the latest changes witnessed in the era of the technological and information revolution as a result of the tremendous development of information and communication technology and its use in the field of information, which led to the urgent need to organize and manage this information wisely and responsibly to make the most of it in achieving the goals of the organizations Strategy and support of decision makers. The problem of research was the question of the extent to which knowledge management strategies and their implications for organizational adjustment were affected by a sample of employees of Zain Iraq Mobile Telecommunications Company The holy sites of Karbala and Babylon, and the search sought to achieve a set of goals based on the premise of the President and the other subsidiary. The questionnaire was used as a tool for collecting data and information related to the sample of the research. It was distributed to a sample of 70 persons, which included the cadre of the general managers, assistant managers, department managers and service providers in the company. The statistical methods showed a number of results, the most significant of which is the significant impact of knowledge management strategies on organizational adaptation. In view of the discussion of the results, there is a great importance for the concepts of knowledge management strategies and organizational adaptation, which requires the company to take care of knowledge management strategies for its role in achieving adaptation. Organizational structure.

المبحث الأول: منهجية البحث

المقدمة

تحتاج منظمات الاعمال اليوم الى التطور والنمو بما يحقق لها التميز والاستدامة في التعلم وبالتالي تطبيق الخبرات والمهارات المكتسبة في نشاطاتها اليومية، وفي ظل عصر المعرفة على المنظمات ان تعيد النظر في طبيعة فهمها لاستراتيجياتها وعملياتها وتوجهاتها بما يمكنها من مواجهة التحديات المتعلقة بالبيئة سريعة

التغير والسعي الى تبني مفاهيم ادارية حديثة كاستراتيجيات ادارة المعرفة بما يحقق الوصول الى المستوى المطلوب من التكيف التنظيمي.

١- مشكلة البحث:

بعدما ازداد الاهتمام بادارة المعرفة وبيان دورها في اكتساب ونشر وتطبيق الموارد المعرفية، بدأت منظمات الاعمال بالبحث في تبني استراتيجيات واضحة لادارة تلك الموارد وتحسين استثمارها بما يحقق قدرات متنامية لها بالشكل المستدام، وعليه من الممكن صياغة عناصر مشكلة الدراسة على النحو الآتي:

١. ما مدى ادراك المنظمة المبحوثة لمزايا وفوائد استراتيجيات ادارة المعرفة ودورها في تحقيق التكيف التنظيمي؟

٢. ما مدى توافر المستلزمات الضرورية لتطبيق استراتيجيات ادارة المعرفة في الشركة المبحوثة؟

٣. ما الاستراتيجية الامثل التي يمكن تطبيقها في الشركة المبحوثة؟

٤. ما المعوقات التي تحد من تطبيق استراتيجيات ادارة المعرفة في الشركة المبحوثة؟

٢- اهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث الحالي في دور استراتيجيات ادارة المعرفة بعدها مؤشراً أساسياً لتحقيق التكيف لمنظمات الاعمال في ظل بيئة تنافسية تتسم بالتعقيد وعدم التأكد، وذلك من خلال استثمار الموارد المعرفية في اداء المهام بمستوى دقة عالٍ والوصول الى افضل خدمة ممكنة للزبائن، وبما يساهم في الوصول الى الحصة السوقية الأكبر مقارنة بالمنافسين لذلك يمكن تجزئة أهمية البحث على جزئين هما:

أ. الأهمية النظرية للبحث:

تتمثل الأهمية الفلسفية الاكاديمية للبحث في دعم وزيادة الاثراء الفكري والتراكم المعرفي في ضوء متغيرات البحث، فضلاً عن تكوين خلاصة لاهم نتائج الباحثين في ميدان استراتيجيات ادارة المعرفة والتكيف التنظيمي، والتركيز على التعامل بصورة شمولية مع متغيرات البحث من خلال السعي للوصول الى اهم النتائج العلمية الحديثة والمراجع ذات القيمة العالية وبما يساهم في رفد المكتبات العراقية ودعم خطوات مسيرة البحث العلمي.

ب. الأهمية الميدانية للبحث:

تبرز الأهمية الميدانية للبحث من خلال تسليط الضوء على متغيرات البحث ومدى أهميتها للمنظمات العاملة في البيئة العراقية عموماً، والتي قد تعاني من ضعف الاهتمام والوعي بتلك المتغيرات وتأثيرها على الموقف التنافسي في سوق الاعمال، فهو محاولة لزيادة ادراك العاملين في الشركة المبحوثة ومساعدتهم في تشخيص السبل الكفيلة لتبني ابعاد استراتيجيات ادارة المعرفة والتكيف التنظيمي.

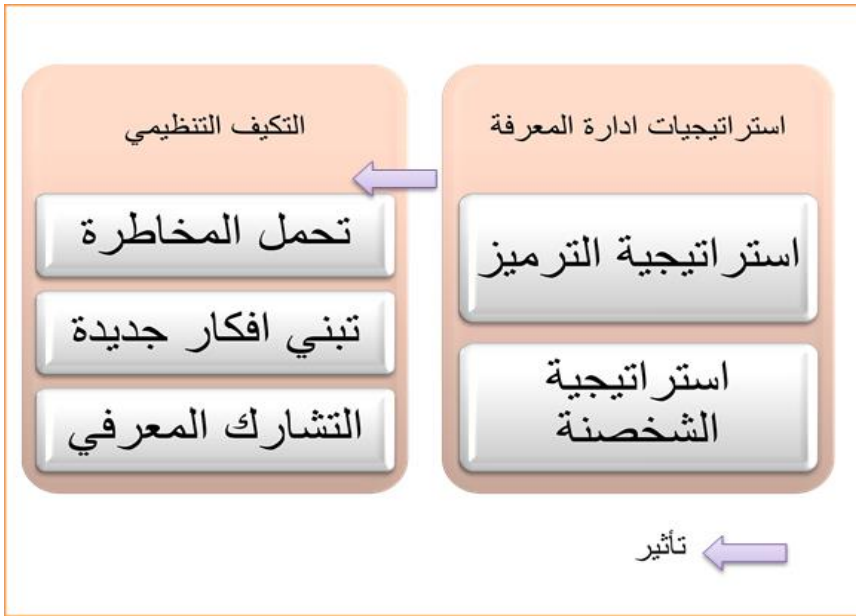
٣- اهداف البحث:

يهدف البحث الحالي الى تحليل طبيعة العلاقة بين متغيرات البحث (استراتيجيات ادارة المعرفة والتكيف التنظيمي) بعده محاولة نظرية وتطبيقية، وبالتالي يمكن ايجاز اهم الأهداف التي يسعى الى تحقيقها:

- أ. معرفة مدى اهتمام الشركة المبحوثة بمفاهيم استراتيجيات ادارة المعرفة والتكيف التنظيمي.
- ب. تشخيص مستوى وطبيعة علاقات الارتباط والتأثير بين استراتيجيات ادارة المعرفة والتكيف التنظيمي في الشركة المبحوثة.
- ج. تقديم الحلول للمشكلات التي قد تعاني منها الشركة المبحوثة، فضلاً عن صياغة التوصيات وبما يساهم في تبني ابعاد استراتيجيات ادارة المعرفة والتكيف التنظيمي لتكون قادرة على تقديم الخدمة بالجودة المطلوبة.
- د. بناء مخطط فرضي يصف شكل العلاقة بين متغيرات البحث، والتحقق من الجدوى والمصادقية العلمية والعملية لذلك المخطط.

٤- مخطط البحث الفرضي:

يشير الشكل (١) الى المخطط الفرضي الذي يعبر عن التأثير المنطقي بين متغيرات البحث:



شكل (١) مخطط البحث الفرضي

٥- فرضية البحث:

من اجل تحقيق اهداف البحث واختبار مخططة الفرضي تم الاعتماد على الفرضية الرئيسة التي تنص على انه (يوجد تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي) وقد انبثقت عنها الفرضيات الفرعية الآتية:

- يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لاستراتيجية الترميز (X1) في التكيف التنظيمي (Y)
- يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لاستراتيجية الشخصية (X2) في التكيف التنظيمي (Y)

٦- حدود البحث:

أ- الحدود المكانية: تتمثل الحدود المكانية للبحث بعينة من العاملين في شركة زين العراق للاتصالات المتنقلة في محافظتي كربلاء المقدسة وبابل.

ب- الحدود الزمانية: تمتد الحدود الزمانية للبحث للمدة من ٢٠١٩/٢/٢٠ ولغاية ٣ / ٤ / ٢٠١٩.

٧- ادوات البحث:

من اجل ان يحقق هذ البحث غاياته فقد تم الاعتماد في عملية جمع البيانات والمعلومات على استمارة الاستبانة وكانت تتضمن المحاور الآتية وكما مبينة في الجدول (١)

جدول (١) محاور الاستبانة

ت	المحاور	المتغيرات الأساسية	المتغيرات الفرعية	عدد الفقرات	المصادر
١- معلومات عامة	المعلومات الخاصة بمجبي استمارة الاستبيان		النوع الاجتماعي، الفئة العمرية، المؤهل العلمي، المنصب الاداري الحالي، عدد الدورات التدريبية، عدد سنوات الخدمة	٦	اعداد الباحث
	المجموع			٦	
٢- معلومات شخصية	اولاً: استراتيجيات ادارة المعرفة		١- استراتيجية الترميز ٢- استراتيجية الشخصية	٣ ٣	Hansen et al,) (1999: 116
	المجموع			٦	
٣- معلومات مهنية	ثانياً: التكيف التنظيمي		١- تحمل المخاطرة ٢- تبني افكار جديدة ٣- التشارك المعرفي	٣ ٣ ٣	Garvin) et al, 2008: (109
	المجموع			٩	
	المجموع الكلي			٢١	

المصدر: إعداد الباحث

٨- توزيع استمارة الاستبانة

يشير الجدول (٢) الى عدد الاستمارات الموزعة والمسترجعة من قبل المستجيبين، اذ كان عدد الاستمارات الموزعة (٧٠) استمارة، وعدد الاستمارات المسترجعة (٧٠) استمارة، وهذا يعني ان نسبة الاستجابة كانت (١٠٠ %).

جدول (٢) عدد الاستمارات الموزعة والمسترجعة

مجتمع البحث	

الاستبانات			
الموزعة	المسترجعة	نسبة الاستجابة	
٣٥	٣٥	١٠٠ %	شركة زين العراق - كربلاء المقدسة
٣٥	٣٥	١٠٠ %	شركة زين العراق - بابل
٧٠	٧٠	١٠٠ %	المجموع الكلي

المصدر: إعداد الباحث

٩- وصف عينة البحث

ان اختيار عينة البحث تم بصورة قصدية عمدية، اذ تضمنت عدداً من المديرين العامين، معاوني المديرين، مديري الأقسام ومجهزي الخدمة في الشركة المبحوثة، والجدول (٣) يوضح خصائص عينة البحث.

جدول (٣) وصف عينة البحث حسب استمارة الاستبانة

المتغيرات	العينة	التكرار	النسبة المئوية
النوع الاجتماعي	الذكور	٥٣	٧٦ %
	الاناث	١٧	٢٤ %
المجموع		٧٠	١٠٠ %
الفئة العمرية	٢١ - ٣٠	٣٢	٤٦ %
	٣١ - ٤٠	٢١	٣٠ %
	٤١ - ٥٠	٨	١١ %
	٥١ - ٦٠	٥	٧ %
	٦١ فأكثر	٤	٦ %
	المجموع	٧٠	١٠٠ %
المؤهل العلمي	دبلوم	٣٣	٤٧ %
	بكالوريوس	٢٦	٣٧ %
	دبلوم عالي	٧	١٠ %
	ماجستير	٤	٦ %
	المجموع	٧٠	١٠٠ %
المنصب الاداري الحالي	مدير	٢	٣ %
	معاون مدير	٢	٣ %
	رئيس قسم	١٠	١٤ %
	مجهز خدمة	٥٦	٨٠ %

المجموع	٧٠	١٠٠ %
عدد سنوات الخدمة	٥ - ١	٤٦ %
	١٠ - ٦	٥٤ %
المجموع	٧٠	١٠٠ %
عدد الدورات التدريبية	لا يوجد	٧ %
	٣ - ١	٤٩ %
	٦ - ٤	٢٦ %
	٩ - ٧	١١ %
	١٠ فأكثر	٧ %
	المجموع	٧٠

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على استمارة الاستبانة

١٠- اساليب التحليل الاحصائي المستخدمة في البحث

من اجل اختبار فرضيات البحث، تم الاستعانة بمجموعة من الاساليب الاحصائية، فضلاً عن توظيف البرنامج الاحصائي الجاهز (SPSS) والاساليب الاحصائية المستخدمة هي (التكرارات والنسب المئوية، معامل الانحدار البسيط Simple Regression Coefficient، معامل التحديد R2، اختبار F).

المبحث الثاني: الجانب النظري

تمهيد:

تلعب المعرفة دوراً جوهرياً في اداء المنظمات ونجاحها من خلال التأثير في تحقيق التميز التنافسي وزيادة التفكير الاستراتيجي، اذ ادركت المنظمات مدى اهمية المعرفة واصبحت ادارة المعرفة المصدر الاساسي للنمو في سوق الاعمال، فضلاً عن ذلك دورها المتنامي في خلق وبناء المهارات والمعارف والعمل على تطويرها.

اولاً : استراتيجيات ادارة المعرفة:

١- مفهوم استراتيجيات ادارة المعرفة:

اشار (Murray, 2001: 5) الى ان استراتيجيات ادارة المعرفة هي الاداة التي تعمل على الاستفادة من الموجودات الفكرية التي تمتلكها المنظمات من مواهب، خبرات ومعلومات بما يحقق الزيادة في الانتاجية والقدرة على المنافسة بالشكل الامثل، اما (Klciner, 2007: 2) فقد بينها بعملية استخدام المعرفة للوصول او اكتساب المعرفة الجديدة لتحقيق الاهداف الاستراتيجية، في حين عرفها (Olukpe, 2012: 863) بالاستراتيجيات التي تعمل على تحقيق الاهداف وبلوغ الغايات والرؤى التنظيمية من خلال استخدام المعرفة الضمنية والظاهرة التي تمتلكها المنظمات.

٢- اهمية استراتيجيات ادارة المعرفة:

ان ادارة المعرفة الفاعلة تعتمد بالدرجة الاولى على وجود استراتيجية وغرض واضحين وبالتالي الاعتماد المتبادل بين استراتيجية المعرفة واستراتيجية الاعمال، اذ توفر الاولى الاطار المتكامل للعمل بما يساعد المنظمات في ادارة المبادرات والافكار الجديدة والتي ستعظم موجوداتها غير الملموسة بينما تعمل الثانية على توفير العمليات والتقنيات المطلوبة لتدفق المعرفة بفاعلية واتقان.

ان نجاح استراتيجيات ادارة المعرفة يعتمد على مدى توفر المناخ التنظيمي المناسب من خلال دعم الادارة العليا وتشجيع التعلم المستدام وتبادل المهارات والافكار من خلال تسخير الاساليب الخاصة بالاتصال وتشجيع نقل وخزن المعرفة. (Wheelen and Hunger, 2004: 17)، وأشار (Alex et al, 2012: 216) الى ان استراتيجيات ادارة المعرفة يمكن ان تساهم في تقليل الوقت المستغرق لانجاز الاعمال مما يؤدي الى زيادة معدلات تقديم المنتجات والخدمات، فضلاً عن ذلك ان اهمية استراتيجيات ادارة المعرفة تأتي من اهمية ادارة المعرفة ذاتها ودورها في تحقيق الرقي والتطور ويجب تعزيز المعرفة والتركيز عليها ومحاولة الابتعاد عن الجهل.

٣- ابعاد استراتيجيات ادارة المعرفة:

اشار (Hansen et al, 1999: 116) الى وجود نوعين من استراتيجيات ادارة المعرفة وهما (استراتيجية الترميز واستراتيجية الشخصية) وقد تم اختيار هذا النموذج لشموليته واعتماده بشكل علمي:

أ- استراتيجية الترميز: تتمحور هذه الاستراتيجية حول الحاسوب اذ بموجبها يتم اختيار وتصنيف وترميز الموارد المعرفية وتخزينها بعناية في قواعد بيانات يمكن ان توفر الوصول الى والاستخدام من قبل الافراد العاملين في المنظمات، اذ تستند هذه الاستراتيجية على الجانب التكنولوجي الذي يقوم بترميز المعرفة في هيئة ادوات و تعليمات مستنداً على دعم تكنولوجيا المعلومات.

ان استراتيجية الترميز تمثل الاسلوب المعرفي الذي يقود الى اقتصاديات الحجم في المعرفة، اذ إنَّ المعرفة التي يتم ترميزها يمكن استخدامها لاحقاً وهذا ما يؤدي الى تحسين المعرفة بشكل مستمر.

ب- استراتيجية الشخصية: تهتم هذه الاستراتيجية بالمعرفة المتعلقة بالجانب الانساني والتفاعل المباشر غير الرسمي بين الاشخاص، اذ تعتمد على افتراض ان مقداراً كبيراً من المعرفة المتاحة في المنظمة هي معرفة ضمنية والتي ترتبط بدورها بشكل واضح بالشخص الذي يعمل على مشاركة المعرفة وتنميتها من خلال الاتصال المباشر، فضلاً عن ذلك ان هذه الاستراتيجية تركز على اسلوب التحوار بين الاشخاص ولكنها لا تلغي دور التكنولوجيا في تحقيق المشاركة والوصول الى المعرفة.

ثانياً : التكيف التنظيمي:

١. مفهوم التكيف التنظيمي:

اشار (Tillson, 2005: 31) ان التكيف التنظيمي هو مجموعة توقعات خاصة بالافراد والمنظمة بشكل عام تهدف الى الانسجام والتغير حسب الظروف البيئية، اما (Heifetz et al, 2009: 11) فقد اشار الى ان الادارة العليا في المنظمة يجب ان تعمل على خلق مناخ تنظيمي واتجاهات تعمل على تسريع التعلم

والتكيف المستدام فضلاً عن تسخير الأدوات للوصول الى الاهداف المستقبلية. ويضيف (Battilana and Casciaro, 2012: 381) ان التكيف التنظيمي هو بناء متعدد الابعاد يشتمل على تطوير المهارات المعرفية والسلوكيات التي يسعى من خلالها قادة المنظمات لزيادة التعلم، التدريب والخبرات التنظيمية فضلاً عن تسريع الانسجام الثقافي في بيئة العمل.

٢. مجالات التكيف التنظيمي:

بين (Kumar and Best, 2006: 75) ان انتهاج المنظمات لعملية التكيف التنظيمي تتضمن التغيير في ثلاثة مجالات جوهرية هي:

أ- التغيير في بيروقراطية وعمليات الادارة: وتتضمن التحول في بيروقراطية الادارة الى خصائص اعمال جديدة تسمح للعاملين من اداء المهام الموكلة اليهم بفاعلية عالية وبمستوى تكنولوجي متقدم.

ب- التغيير في هيكلية المنظمة: ان التغيير في هيكلية المنظمة ستسمح من اداء الاعمال بصورة سهلة وكفاءة فضلاً عن التركيز على توزيع القدرات المعرفية الخاصة بتكنولوجيا المعلومات عبر مختلف المستويات الوظيفية.

ت- التغيير في الثقافة التنظيمية: ويشير الى التحول في الثقافة التنظيمية الى قيم ومعايير جديدة وانفتاح متبادل في الحوار والالتزام التنظيمي، فضلاً عن الاهتمام بتقليل مقاومة التغيير وزيادة مستوى الثقة بالادارة العليا مما يزيد من دافعية العاملين والتزامهم اتجاها اهداف المنظمة.

٣. ابعاد التكيف التنظيمي:

يشير (Garvin et al, 2008: 109) الى ان التكيف التنظيمي يشتمل على ثلاثة ابعاد رئيسة هي:

أ- تحمل المخاطرة: يُعدُّ تحمل المخاطرة من قبل اعضاء المنظمة وادارتها العليا من اهم الابعاد الخاصة بالتكيف التنظيمي، اذ ان المنظمات يمكن ان تحقق التكيف التنظيمي عندما تمتلك القادة والعاملين الذين يتصفون باداء المهام مهما كان مستوى المخاطرة والبحث عن مقدار معين من الامن النفسي والجسدي، اذ يلعب الامن النفسي دوراً كبيراً في تحمل المخاطرة وذلك من خلال اهميته المتزايدة في تأسيس الممارسات والقيم المشتركة داخل المنظمة وبما يحفز الانفتاح والعلاقات الايجابية وتسهيل الحوار بعيداً عن مشاعر الخوف والتوجس من الطرف الآخر.

ب- تبني افكار جديدة: ان المنظمات التي تسعى الى انتهاج عملية التكيف التنظيمي تتصف بالبحث المستدام عن الافكار الجديدة والتعلم من الاخطاء، اذ ان المناخ التنظيمي السائد يشجع العاملين على ابتكار الافكار والتخلص من الخوف المرتبط بمخالات الفشل، فضلاً عن ذلك ان القادة في تلك المنظمات يبحثون بشكل مستمر عن ايجاد الحلول للمشاكل التي يواجهونها بشكل نظامي والقدرة المتزايدة على التكيف، النمو والابداع.

ت- التشارك المعرفي: ويشير ذلك الى تدفق حر من المعلومات عبر المنظمة والقدرة على الوصول للمعرفة داخل المنظمة وخارجها، اذ يُعدُّ احد المقومات الحرجة لتطوير التكيف التنظيمي هو الاهتمام بتطوير المناخ التنظيمي الذي يسهل تبادل المعلومات عمودياً وافقياً والقدرة على تحليل المعلومات وتطبيقها في حلول

لمشكلات مستقبلية، فضلاً عن ذلك اهتمام القادة في منظمات الاعمال لتطوير اليات التحاور المفتوح، الابداع والتفكير بما يحقق الاستشعار الدقيق للتغيرات البيئية المحيطة بشكل فعال.

المبحث الثالث: قياس علاقات التأثير بين متغيرات البحث

يهدف هذا المبحث الى قياس تأثير المتغير المستقل (استراتيجيات ادارة المعرفة) في المتغير المعتمد (التكيف التنظيمي) باختبار الفرضية الرئيسة والفرضيات الفرعية المنبثقة عنها، وذلك بالاعتماد على تحليل الانحدار البسيط (SIMPLE REGRESSION ANALYSIS) واختبار (F) لتحديد معنوية معادلة الانحدار (التأثير)، اذ يوجد تأثير معنوي اذا كانت قيمة (F) المحسوبة اكبر من قيمة (F) الجدولية. ولا يوجد هذا التأثير اذا كانت قيمة (F) المحسوبة اصغر من قيمة (F) الجدولية عند مستوى معنوية بلغ (0.01)، كذلك تم استخدام معامل التحديد (R^2) لتفسير مقدار تأثير المتغير المستقل بأبعاده للتغيرات التي تطرأ على المتغير المعتمد.

وبناءً على ما تقدم، سيتم تحقيق هدف المبحث من خلال فقرة رئيسة تخصص لاختبار الفرضية الرئيسة وما ينبثق عنها من فرضيات فرعية، وكما يأتي:

❖ قياس تأثير استراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي

تناول هذه الفقرة قياس اثر الذكاء الاستراتيجي في التفوق التنظيمي والذي تضمنته الفرضية الرئيسة التي تنص على انه (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي)، وتم اختبار الفرضيتين الفرعيتين المنبثقة عنها وعلى النحو الآتي:

أ- اختبار الفرضية الفرعية الاولى:

- فرضية العدم (H_0) لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجية الترميز في التكيف التنظيمي
 - فرضية الوجود (H_1) توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجية الترميز في التكيف التنظيمي
- ومن اجل قبول الفرضية الفرعية اعلاه من عدم قبولها تم استخدام اختبار (F) لتحليل معنوية انموذج الانحدار الخطي البسيط وكما هو موضح في الجدول (٤) والذي تم بناؤه على وفق الصيغة الآتية:

$$Y = 0.179 + 0.403 * X1$$

اذ ان Y تمثل المتغير المعتمد (التكيف التنظيمي).

وان X1 تمثل البعد الاول للمتغير المستقل (استراتيجية الترميز).

جدول (٤) تقدير معلمات انموذج الانحدار الخطي البسيط لقياس تأثير استراتيجية الترميز (X_1) في

التكيف التنظيمي (Y)

معامل التفسير R^2	قيمة (F)		(X1)	Constant	استراتيجية الترميز (X1) المتغير المعتمد (Y)
	الجدولية (%)	المحسوبة	B1	A	

التكيف التنظيمي (Y)	0.179	0.403	52.372	2.79	0.655

المصدر: إعداد الباحث وفقاً لنتائج الحاسبة الالكترونية $n=70$

يتضح من النتائج الواردة في الجدول (٤) ما يأتي:

١. ان قيمة (F) المحسوبة لأنموذج الانحدار الخطي البسيط لاستراتيجية الترميز (X1) قد بلغت (52.372) وهي اكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (2.79) عند مستوى معنوية بلغ (1%) اي بدرجة ثقة (99%). وهذا يدل على ثبوت معامل الانحدار ($B1 = 0.403$) عند مستوى المعنوية المذكور.

وبناءً على ذلك تكون استراتيجية الترميز (X1) ذات تأثير عال في التكيف التنظيمي (Y)، ويعد هذا التأثير ذات دلالة احصائية عند مستوى المعنوية البالغ (1%) اي بدرجة ثقة بلغت (99%).

٢. ان قيمة معامل التفسير (R^2) بلغت (0.655)، وهذا يعني ان استراتيجية الترميز (X1) تفسر ما نسبته (65.5%) من التغيرات التي تطرأ على التكيف التنظيمي (Y). اما النسبة المتبقية والبالغة (34.5%) فتعود الى مساهمة متغيرات اخرى غير داخلية في مخطط الدراسة الحالية.

ومما تقدم يتضح رفض فرضية العدم ($H0$) وقبول فرضية الوجود ($H1$) اي ثبوت صحة الفرضية الفرعية الاولى التي مفادها (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجية الترميز في التكيف التنظيمي).

ب- اختبار الفرضية الفرعية الثانية:

▪ فرضية العدم ($H0$) لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجية الشخصية في التكيف التنظيمي.

▪ فرضية الوجود ($H1$) توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجية الشخصية في التكيف التنظيمي.

ومن اجل قبول الفرضية الفرعية اعلاه من عدم قبولها تم استخدام اختبار (F) لتحليل معنوية انموذج الانحدار الخطي البسيط وكما هو موضح في الجدول (٥) والذي تم بناؤه على وفق الصيغة الآتية:

$$Y = 0.365 + 0.579 * X2$$

اذ ان Y تمثل المتغير المعتمد (التكيف التنظيمي).

وان $X2$ تمثل البعد الثاني للمتغير المستقل (استراتيجية الشخصية).

جدول (٥) تقدير معاملات انموذج الانحدار الخطي البسيط لقياس تأثير التكيف التنظيمي ($X2$) في

استراتيجية الشخصية (Y)

معامل التفسير R^2	قيمة (F)		(X2)	Constant	استراتيجية الشخصية الشخصنة (X2) المتغير المعتمد (Y)
	الجدولية (%)	المحسوبة	B2	A	

التكيف التنظيمي (Y)	0.365	0.579	72.374	2.79	0.692

المصدر: إعداد الباحث وفقاً لنتائج الحاسبة الالكترونية n=70

يتضح من النتائج الواردة في الجدول (5) ما يأتي:

١. ان قيمة (F) المحسوبة لأنموذج الانحدار الخطي البسيط لاستراتيجية الشخصية (X2) قد بلغت (72.374) وهي اكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (2.79) عند مستوى معنوية بلغ (1%) اي بدرجة ثقة (99%). مما يدل على ثبوت معامل الانحدار ($B_2 = 0.579$) عند مستوى المعنوية المذكور.

وهذا يعني ثبوت معنوية انموذج الانحدار الخطي البسيط، اي ان استراتيجية الشخصية (X2) ذات تأثير عال في التكيف التنظيمي (Y)، ويعد هذا التأثير ذات دلالة احصائية عند مستوى المعنوية البالغ (1%) اي بدرجة ثقة (99%).

٢. ان قيمة معامل التفسير (R^2) بلغت (0.692)، وهذا يعني ان استراتيجية الشخصية (X2) تفسر ما نسبته (69.2%) من التغيرات التي تطرأ على التكيف التنظيمي (Y). اما النسبة المتبقية والبالغة (30.8%) فتعود الى مساهمة متغيرات اخرى غير داخلية في مخطط الدراسة الحالية.

ومما تقدم يتضح رفض فرضية العدم (H_0) وقبول فرضية الوجود (H_1) اي ثبوت صحة الفرضية الفرعية الثانية والتي تنص على انه (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجية الشخصية في التكيف التنظيمي).

ت- اختبار الفرضية الرئيسة:

بناءً على النتائج المتقدمة وللتحقق من معنوية تأثير استراتيجيات ادارة المعرفة (X) في التكيف التنظيمي (Y) وفق الفرضيتين الآتيتين:

- فرضية العدم (H_0) لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي.
- فرضية الوجود (H_1) توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي.

ومن اجل قبول الفرضية الرئيسة اعلاه من عدم قبولها تم استخدام اختبار (F) لتحليل معنوية انموذج الانحدار الخطي البسيط وكما هو موضح في الجدول (٦) والذي تم بناؤه على وفق الصيغة الآتية:

$$Y = 0.271 + 0.699 * X$$

اذ ان Y تمثل المتغير المعتمد (التكيف التنظيمي).

وان X تمثل المتغير المستقل (استراتيجيات ادارة المعرفة).

جدول (٦) تقدير معاملات انموذج الانحدار الخطي البسيط لقياس تأثير استراتيجيات ادارة المعرفة (X)

في التكيف التنظيمي (Y)

CONSTANT	(X)	قيمة (F)

استراتيجيات ادارة المعرفة بأبعادها (X)	A	B	المحسوبة	الجدولية (%1)	معامل التفسير R^2
المتغير المعتمد (Y)					
التكيف التنظيمي Y	0.271	0.699	72.663	2.79	0.793

المصدر: إعداد الباحث وفقاً لنتائج الحاسبة الالكترونية n=70

ومن النتائج الواردة في الجدول (٦) يتضح ما يأتي:

١- ان قيمة (F) المحسوبة لأنموذج الانحدار الخطي البسيط لاستراتيجيات ادارة المعرفة (X) قد بلغت (72.663) وهي اكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (2.79) عند مستوى معنوية بلغ (1%) اي بدرجة ثقة (99%). مما يدل على ثبوت معامل الانحدار ($B = 0.699$) عند مستوى المعنوية المذكور.

ومما تقدم يتضح بأن استراتيجيات ادارة المعرفة (X) له تأثير كبير في التكيف التنظيمي (Y)، ويعد هذا التأثير ذات دلالة احصائية عند مستوى المعنوية البالغ (1%) اي بدرجة ثقة (99%).

٢- ان قيمة معامل التفسير (R^2) بلغت (0.793)، وهذا يعني ان استراتيجيات ادارة المعرفة (X) تفسر ما نسبته (79.3%) من التغيرات التي تطرأ على التكيف التنظيمي (Y). اما النسبة المتبقية والبالغة (20.7%) فتعود الى مساهمة متغيرات اخرى غير داخلية في مخطط الدراسة الحالية.

ومما تقدم وبعد التأكد من ثبوت صحة الفرضيتين الاثنى اعلاه وثبوت معنوية تأثير استراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي، تأكد صحة الفرضية الرئيسة والتي تنص على انه (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي).

ويوضح الجدول (٧) ترتيب القوة التأثيرية لاستراتيجيات ادارة المعرفة (X) في التكيف التنظيمي (Y) وفقاً الى اقيام معامل التفسير (R^2) وعلى النحو الآتي:

جدول (٧) ترتيب قوة التأثير لاستراتيجيات ادارة المعرفة (X) في التكيف التنظيمي (Y)

ترتيب القوة التأثيرية	معامل التفسير (R^2)	ابعاد استراتيجيات ادارة المعرفة
الثاني	0.655	استراتيجية الترميز (X1)
الاول	0.692	استراتيجية الشخصية (X2)

المصدر: إعداد الباحث وفقاً لنتائج الحاسبة الالكترونية

يتضح من النتائج الوارد في الجدول (٧) ما يأتي:

١. حصلت استراتيجية الشخصية (X2) على المرتبة الاولى من حيث قوة التأثير في التكيف التنظيمي من خلال معامل تفسير بلغ (0.692).

٢. جاءت استراتيجية الترميز (X1) في المرتبة الثانية من حيث قوة التأثير في التكيف التنظيمي من خلال معامل تفسير بلغ (0.655).

ومن خلال النتائج المتحققة السابقة يتضح ان بُعْد استراتيجية الشخصية (X2) هو الاله في القوة التأثيرية، اذ يفسر ما قيمته (69.2 %) من التغيرات التي تطرأ على النموذج وباقي التغيرات والتي تمثل (30.8 %) تفسرها متغيرات اخرى لم يشملها مخطط الدراسة الحالية.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

في هذا المبحث سيتم عرض الاستنتاجات وبعد ذلك تقديم التوصيات المقترحة للشركة المبحوثة خاصة والشركات المماثلة الاخرى على وجه العموم.

اولاً : الاستنتاجات:

١. الاستنتاجات ذات الصلة باستراتيجيات ادارة المعرفة:

- أ- تهتم الشركة المبحوثة وبشكل كبير في متغير استراتيجيات ادارة المعرفة كونها تمثل اداة فعالة تساهم في استثمار القدرات المعرفية من خبرات وافكار تعمل على تطوير المنتجات بما يتلاءم مع متطلبات الزبائن.
- ب- تهتم الشركة المبحوثة بشكل كبير باستراتيجية التميز ويتضح ذلك عبر تامين وتصنيف المعرفة وخزنها في قواعد بيانات توفر امكانية الوصول اليها واستخدامها من قبل العاملين.
- ت- تركز الشركة المبحوثة على استراتيجية الشخصية، ويظهر ذلك من خلال التأكيد والتشجيع المستمر والمتنامي على التفاعل الانساني المباشر وغير المباشر بين العاملين بما يحقق تطوير الافكار والخبرات في ميدان العمل.

٢. الاستنتاجات ذات الصلة بالتكيف التنظيمي:

- أ- ادراك الشركة المبحوثة بشكل كبير لمتغير التكيف التنظيمي، ويظهر ذلك من خلال تركيزها على تطوير المهارات المعرفية والسلوكيات التي يسعى من خلالها ادارة الشركة لزيادة التعلم، التدريب والخبرات التنظيمية فضلاً عن تسريع الانسجام الثقافي في بيئة العمل.
- ب- تهتم الشركة المبحوثة في تبني المخاطرة بدرجة ملحوظة، ويظهر ذلك من خلال تركيزها على تأسيس الممارسات والقيم المشتركة داخل المنظمة وبما يحفز الانفتاح والعلاقات الايجابية وتسهيل التحوار بعيداً عن مشاعر الخوف والتوجس من الطرف الآخر.
- ت- تدرك الشركة المبحوثة اهمية تبني افكار جديدة ويتضح ذلك من خلال سعيها الى تهيئة مناخ تنظيمي يشجع العاملين على ابتكار الافكار والتخلص من الخوف المرتبط بحالات الفشل، فضلاً عن ذلك ان القادة في الشركة يبعثون بشكل مستمر عن ايجاد الحلول للمشاكل التي يواجهونها بشكل نظامي والقدرة المتزايدة على التكيف، النمو والابداع.
- ث- تعطي الشركة المبحوثة اهمية كبيرة لبُعْد التشارك المعرفي عند تقديم الخدمات الى الزبائن، ويتم ذلك من خلال تدفق حر من المعلومات عبر الشركة والقدرة على الوصول للمعرفة داخل الشركة وخارجها.

ج- ثبوت معنوية تأثير استراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي، مما يعني تأكيد صحة الفرضية الرئيسية والتي تنص على انه (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لاستراتيجيات ادارة المعرفة في التكيف التنظيمي).

ثانياً : التوصيات:

١. ضرورة اجراء الشركة المبحوثة للمقارنة المرجعية مع الشركات المماثلة في ميدان العمل بهدف معرفة اهم التطورات العالمية في قطاع الاتصالات فضلاً عن معرفة الاستراتيجية المتبعة في تلك الشركات لادارة المعرفة والاستفادة منها.
٢. تطوير البنى التحتية الالكترونية في الشركة المبحوثة بما يتلاءم مع متطلبات ادارة المعرفة.
٣. تطوير نظام الاتصالات الداخلية والخارجية بما يساهم في نشر ومشاركة المعرفة بين العاملين.
٤. التركيز على استراتيجية ادارة المعرفة وتطبيقها بشكل صحيح لدورها في تحقيق التكيف التنظيمي، وخصوصاً استراتيجية الشخصية من خلال الاهتمام بالوسائل والادوات التكنولوجية واستثمار قواعد البيانات.
٥. تأسيس خطة لإدارة المخاطر التي تتعرض لها الاصول والموجودات المعرفية داخل الشركة المبحوثة من خلال تأمين تلك الاصول بنظام رقابي محكم.
٦. زيادة ثقافة التشارك المعرفي بين الافراد العاملين في المنظمة لدورها الكبير في تحقيق التكيف التنظيمي من خلال زيادة الندوات والاجتماعات الحوارية.
٧. الاهتمام المتزايد بالافكار الجديدة وتبنيها في ايجاد الحلول للمشاكل في ميدان العمل وذلك لدورها في تنمية التكيف التنظيمي من خلال تخصيص المكافآت والحوافز المادية والمعنوية لجميع المبادرات التي يطلقها الافراد العاملين.

المصادر:

- 1- Alex, Hou., Mum, WAI, Sabariyah, binti, and Nooh, abu bakr (Integrated Knowledge Management strategy: A preliminary literature review) published by Elsevier ltd, 2012.
- 2- Battilana, J. and Casciaro, T. (Change agents, networks, and institutions: A contingency theory of organizational change), Academy of management journal, vol.55, issu 2, 2012.
- 3- Garvin, D., Edmondson, A. and Gino, F. (Is yours a learning organization ?) Harvard business review, vol.86, issue 3, 2008.
- 4- Heifetz m R., Grashow, A. and Linsky, M. (The practice of adaptive leadership) m Harvard business review press, boston mass, 2009.
- 5- Hansen, M, Nohria N., and Tierney. T. (What's your strategy for managing knowledge ?) Harvard business review, 1999.
- 6- Klciner, (why learning organization), 9th edition, pearson education press, inc. mc crow, USA, 2007.

7- Kumar, R. and Best, M. (Impact and sustainability of E –Government services in developing countries), the information society, vol.22, issue 1, 2006.

8- Murray, Joe (Nature value and pursuit of reliable corporate knowledge), journal knowledge management, vol.5, issu. 3, 200.

9- Oluikpe, paul (Developing a corporate knowledge management strategy), journal of knowledge management, vol. 16, issue 6, 2012.

10- Tillson, m. (learning to respond to asymmetric threats), Alexandria journal, va. institute for defense analysis, vol.2, issue 3, 2005.

11- Wheelen T, and Hunger (strategic management and business policy) 9th edition, pearson education press, 2004.

بسم الله الرحمن الرحيم



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية العلوم السياحية

قسم ادارة المؤسسات الفندقية

السيد المستجيب المحترم...

نهديكم اطيب تحياتنا...

م / استبانة

تعد الاستبانة التي بين ايديكم جزءاً من متطلبات اعداد بحث في علوم إدارة الاعمال بعنوان (تأثير استراتيجيات ادارة المعرفة في تحقيق التكيف التنظيمي) دراسة تحليلية لآراء عينة من العاملين في شركة زين العراق للاتصالات المتنقلة في العراق في محافظتي كربلاء المقدسة وبابل، ونظراً لما تتمتعون به من دراية واسعة وخبرة في ميدان عملكم نرجو الإجابة عن الاستبانة بدقة، تملؤنا الثقة بأن تحظى فقرات الاستبانة بحرصكم واهتمامكم عند الإجابة عليها لضمان دقة التحليل وصواب الرأي في نتائج البحث، على امل ان يخرج هذا البحث بنتائج تخدم البحث العلمي وتعزز أطره المعرفية والتطبيقية وذلك بفضل ما ستقدمونه من إجابات دقيقة وموضوعية، ولكي تتضح الصورة لديكم يرجى ملاحظة النقاط الآتية:

١. يرجى ان تكون الإجابات مستندة الى الواقع الفعلي الموجود حالياً وليس على أساس ما ترونه صحيحاً ومناسباً .

٢. يرجى الإجابة من خلال وضع علامة (✓) امام اختيار واحد فقط لكل فقرة.

٣. يرجى من حضرتكم عدم ترك أي فقرة من دون إجابة، لان ذلك يعني عدم صلاحية الاستبانة للتحليل.

٤. ان الإجابات سوف تكون لأغراض علمية بحتة فلا حاجة لذكر الاسم او التوقيع على الاستبانة. مع خالص شكرنا وتقديرنا لتعاونكم معنا متمنين لحظرتكم دوام الموفقية

الباحث

عبير محمد مهدي الشمري

المعلومات العامة GENERAL INFORMATION

النوع الاجتماعي	☐ ذكر	☐ انثى
الفئة العمرية:	☐ ٢١ - ٣١	☐ ٣١ - ٤٠
	☐ ٤٠ - ٥٠	☐ ٥٠ - ٦١ فأكثر
المؤهل العلمي: دبلوم	☐ لوريوس	☐ دبلوم عالي
	☐ ماجستير	
المنصب الاداري الحالي:	☐ مدير	☐ معاون مدير
	☐ رئ	☐ م
عدد الدورات التدريبية:	☐ لا يوجد	☐ ١ - ٤
	☐ ١٠ - ١٩	☐ ٢٠ - ٢٩
عدد سنوات الخدمة:	☐ ١ - ٥	☐ ٥ - ١٠

أولاً : استراتيجيات ادارة المعرفة

الاداة التي تعمل على الاستفادة من الموجودات الفكرية التي تمتلكها المنظمات من مواهب، خبرات ومعلومات بما يحقق الزيادة في الانتاجية والقدرة على المنافسة بالشكل الامثل.

١ - استراتيجية الترميز:

تستند هذه الاستراتيجية على الجانب التكنولوجي الذي يقوم بترميز المعرفة في هيئة ادوات و تعليمات مستنداً على دعم تكنولوجيا المعلومات.

اتفق بنسبة											العبارات
٠	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	

											١- تهتم ادارة الشركة المبحوثة في تطوير نظام الكتروني لتوثيق و تخزين ونشر المعلومات بما يحقق الاستخدام الجيد.
											٢- توفر ادارة الشركة المبحوثة المخصصات الكافية لتدريب العاملين و فرق العمل.
											٣- تحقق الشركة المبحوثة منافع كبيرة من خلال الاعتماد على المعرفة المخزنة.

٢- استراتيجية الشخصية:

تتم هذه الاستراتيجية بالمعرفة المتعلقة بالجانب الانساني والتفاعل المباشر غير الرسمي بين العاملين.

اتفق بنسبة											العبارات
٠	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	
											٤- تهتم إدارة الشركة المبحوثة بتطوير شبكات الاتصال بين الاقسام الادارية والعاملين لتشارك المعرفة.
											٥- استخدام ادارة الشركة المبحوثة لفرق العمل لتطوير ومشاركة المعرفة.
											٦- تهتم ادارة الشركة المبحوثة بمكافئة الاشخاص لمشاركتهم المعرفة مع الاخرين.

ثانيا: التكيف التنظيمي:

مجموعة توقعات خاصة بالافراد والمنظمة بشكل عام تهدف الى الانسجام والتغير حسب الظروف

البيئية.

١- تحمل الخاطرة: ان المنظمات يمكن ان تحقق التكيف التنظيمي عندما تمتلك القادة والعاملين الذين

يتصفون باداء المهام مهما كان مستوى المخاطرة والبحث عن مقدار معين من الامن النفسى والجسدي

اتفق بنسبة											العبارات
٠	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	

											٧- تمتلك إدارة المنظمة القدرة على اداء المهام بمستوى عالي من المخاطرة.
											٨- تهتم ادارة الشركة المبحوثة بتشجيع العاملين على تبني الافكار الجديدة والمبتكرة
											٩- تحرص إدارة الشركة المبحوثة على إيصال المعلومات الخاصة بالمعرفة الجديدة للعاملين

٢- تبني افكار جديدة: ان المنظمات التي تسعى الى انتهاج عملية التكيف التنظيمي تتصف بالبحث المستدام عن الافكار الجديدة والتعلم من الخطاء.

اتفق بنسبة											العبارات
٠	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	
											١٠- تحرص إدارة الشركة المبحوثة على تلبية جميع احتياجات الزبائن من خلال البحث المستدام للمعلومات.
											١١- تحفز إدارة الشركة المبحوثة العاملين على تحسين العلاقات مع الزبائن من خلال خطوات مدروسة.
											١٢- تركز إدارة الشركة المبحوثة على التعاون والانسجام وتشكيل فرق عمل متعددة المعارف.

٣- التشارك المعرفي:

ويشير ذلك الى تدفق حر من المعلومات عبر المنظمة والقدرة على الوصول للمعرفة داخل المنظمة وخارجها.

اتفق بنسبة											العبارات
٠	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	%	
											١٣- تتابع إدارة الشركة المبحوثة سياسات وظيفية تحرص على ازالة العقبات

											امام التعلم والتطور الوظيفي
											١٤- اهتمام ادارة الشركة المبحوثة بتقدير واحترام جهود العاملين الخاصة بالتشارك المعرفي
											١٥- تحرص إدارة الشركة المبحوثة على تنمية التشارك المعرفي من خلال تلبية حاجات العاملين ومتطلباتهم الشخصية

تجليات الذات والآخر في رواية الخيميائي لـ (باولو كويلو)

The Manifestations of self and other in Paolo Coelho's novel "Alchemy"

م.م. زيد وفاق شاكر^(١) Assist. Lect. Zaid wifaq Shakir

الملخص

رواية الخيميائي هي رواية رمزية من تأليف (باولو كويلو) نشرت لأول مرة عام ١٩٨٨ وتحدث الرواية عن قصة الراعي الاندلسي ((سانتياغو)) الذي مضى في البحث عن حلمه المتمثل بكنز مدفون قرب اهرامات مصر بدأت رحلته من إسبانيا عندما التقى الملك "ملكي صادق" الذي اخبره عن الكنز عبر مضيق جبل طارق مارا بالمغرب حتى بلغ مصر وكانت تواجهه طوال الرحلة اشارات غيبية... وقد تناولت في هذه الرواية مفهوم الذات والآخر وبيان العلاقة فيما بينهما عن طريق تحليل نصوص الرواية، واستنتجت بان مفهوم الذات فيها قد تنوعت صوره واشكاله تبعا لتغير الظروف المحيطة ببطل الرواية الراعي (سانتياغو) اذ تغيرت صور الذات تماشيا مع الاحداث التي وردت في الرواية لتتماشى معها حيث كان تغير الاحداث واضحا في نفس الذات (الراعي)...

اما بالنسبة الى مفهوم الآخر فنلاحظ انه قد ورد بصور واشكال تم تقسيمها وفقا لما جاء في الرواية

الى:

١. الانسان: والذي يتجسد في (الأصدقاء، والعدو، والحبيبة).
٢. الحيوان: يتجسد في (الأغنام، والصقور).
٣. الطبيعة: وتجسدت في (الشمس، والرياح، والصحراء).
٤. الجماد: وقد تجسدت في (الكتاب، المعطف).

^١ - جامعة كربلاء.

وبعد تحليل نصوص الرواية اتضح لنا بأن العلاقة ما بين الذات والآخر في رواية الخيميائي كانت متذبذبة فهي احيانا تكون توافقية واخرى تقاطعية ولكن السمة البارزة لهذه العلاقة هي علاقة توافقية ايجابية فالآخر بجميع صوره كان ذا موقفا دفع ببطل الرواية الى تحقيق اهدافه والسعي وراء حلمه المنشود.

الكلمات المفتاحية: الذات والآخر، رواية الخيميائي.

Abstract

This study sought to search for bi-self and the other in the novelist alchemist (Paolo Coelho), and the results were penetrated during the research is an analytical research that produces partial results often in their positions of analysis. However, we can summarize the main findings of the research as follows:

1. The relationship between the self and the other in the alchemist's novel was fluctuating, sometimes it is conciliatory and the other conclusive but the salient feature of this relationship is a positive correlation relationship

2. Personal nature is an important part of self-determination. It is a reflection of the individual's concept of himself. The experiences and experiences of that person are a way to realize that self, which develops through social upbringing and social interaction. And their impact on their personal nature

3. We find that the other always plays an important role in the integration of the civilized cultural achievement of the self, and this applies to the personality of the king (Melchizedek) and its intellectual and cultural influence on changing the personality of the protagonist (Santiago) and motivating him to achieve his goals

4. The one who is familiar with al-Khaimi's novel finds that it is based on the dualism of the self and the other, since the existence of one of them is coupled with the other. The personality that represents Santiago in all its forms is a clear interview of the other that the novel defines in all its forms.

5. The other is represented in the novel of the alchemist of Santiago (man), which is embodied in the (sun, wind, and desert), which is embodied in (the friends, the enemy and the beloved) and the animal: which is embodied in (sheep, falcons)..

المقدمة

يُعد مفهوما الذات والآخر من المفاهيم التي تبلورت علميًا في العصر الحديث عبر جهود متنوعة بذلها مفكرون وباحثون في علم النفس والاجتماع، فضلا عن جهود الكتاب في الحقل الأدبي والثقافي إجمالاً... وقبل الخوض في مفهوم الآخر وتداعياته لابد لنا من وقفة قصيرة نتحدث بها عن مفهوم الذات، فنحن نتحدث في ضوء مفاهيم علم النفس التي تنضوي تحت مسمى (الشخصية) ومن ثمَّ فنحن أمام ثنائية ضدية

من تلك التي أشاعتها دراسات الحداثة وما بعد الحداثة، وكذلك (الأنا، الذات، الآخر) إذ لها أبعاد فكرية وفلسفية، وأخرى اجتماعية، وحتى سياسية. ولأن علاقة الذات بالآخر علاقة متداخلة ومركبة لذا فإن الحديث عن الآخر يستدعي الانتقال إلى الطرف المكمل لهذه الثنائية وهو الذات فحسباً وتمحيصاً. لذا اقتضى منا أن نتبع منهجاً يلائم هذه الدراسة، وهو المنهج التحليلي الذي يتحرك لفهم الفن والفكر والثقافة من خلال النص الروائي، أي بالاحتكام إلى معطيات النص في التحليل والتأويل... أما بالنسبة إلى خطة البحث فهي مقسمة على قسمين: - كان الأول قد تحدثت فيه عن مفهومي الذات والآخر من حيث اللغة والاصطلاح والعلاقة فيما بينهما كونهما يمثلان كما اسلفت (ثنائية ضدية).

أما في القسم الثاني فقد تناولت فيه مفهوم الذات والآخر وتحليلاته في نصوص رواية (الخيميائي)، فرواية الخيميائي تقوم على ثنائية الذات والآخر، إذ إن وجود أحدهما مقرون بالآخر، فالذات التي تمثل (سانتياغو) بكافة صورها، هي مقابلة واضحة للآخر الذي تحدده الرواية بأشكالها وصورها كافة. ولذلك أرتأت أن يكون هذا القسم مقتصرًا على جزئين مهمين، يمثل الأول صور الذات التي كانت مرآة يتجلى عنها (سانتياغو)، أما الثاني فهي الأشكال المتنوعة التي رسمت لنا الآخر.

الفصل الأول: (مفهوم الذات والآخر)

أولاً / مفهوم الذات:

في اللغة: ((هي النفس أو الشخص، ويقال: جاء فلان ذاته، أو عرفه من الذات نفسه: سريرته المضمر))^(٢)، وهي إشارة إلى ما يكمن في داخل الإنسان، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣)، وبهذا يكون الوصول إلى الذات هي اكتشاف الحقيقة، وفي حال وصوله لهذه الحقيقة يكون سيداً^(٤).

وفي الاصطلاح:

الذات هي ((تكوين معرفي منظم ومتعلم للمدركات الشعورية والتطورات والتقييمات الخاصة بالذات يبلوره الفرد ويعتبره تعريفاً نفسياً لذاته ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المحددة الأبعاد من العناصر المختلفة لكيנותه الداخلية والخارجية وتشمل هذه العناصر التصورات والمدرجات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس إجرائياً في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو))^(٥).

نضيف إلى ذلك أن الذات هي التي تحدد وجود الشخص، وهذا الوجود قد يتطلب مجهوداً استثنائياً، ف((هي الوجه العميق الذي يتطلب اكتشاف بعض ملامحها وسماتها الباطنية مجهوداً معرفياً وجمالياً وتجربة حياتية صميمية متجذرة في تربة الواقع ومتواشجة مع هموم البسطاء وانشغالهم وعذاباتهم))^(٦) ويعد مفهوم

^٢ - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة استانبول-تركيا، د.ط، ١٩٨٩م: ٣٠٧/١، مادة: (الذات).

^٣ - لقمان / ٢٣.

^٤ - ينظر: معرفة الذات، ماري مادلين دافي، ترجمة: نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط ٣، ١٩٨٣م: ١٧.

^٥ - التوجيه والإرشاد النفسي، حامد زهران، منشورات جامعة دمشق، سوريا، د.ط، ١٩٨٩، ٨٣.

^٦ - الصورة الشعرية وأسئلة الذات، قراءة في شعر حسن نجمي، د. عبد القادر الغزالي، مؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط ٢٠٠٤م: ٩٨.

الذات عند بعض العلماء مفهوما مهما فيؤكدوا على ضرورة مفهوم الذات، فقد اعتبر بعض الكتاب الأمريكيين ومنهم ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢م) وجيمس (١٨٤٢-١٩١٠م)، الذات مفهوما ضروريا حتى عام (١٨٩٠م) بعد أن شعروا بأن المفاهيم التحليلية لعلم النفس قد فقدت ما للعمل الوظيفي من وحدة (٧). فأدler (١٩٣٥م) اعتبر مفهوم الذات ((تنظيماً يحدد للفرد شخصيته ورؤيته، وهذا التنظيم يفسر خبرات الكائن الحي ويعطيها معناها، وتسعى الذات لاكتساب الخبرات التي تكفل للفرد أسلوبه المتميز في الحياة، وإذا لم توجد تلك الخبرات فلنحيا تعمل على خلقها)) (٨).

وقد بدأ بعض العلماء يستخدمون ((مفاهيم مثل صورة الذات، وتحقيق الذات، وتوكيد الذات، والذات الواقعية، والذات المثالية، وتقبل الذات)) (٩).

وهكذا فإن كلمة الذات تحتوي على معنيين متميزين، أولهما: إنها تشير إلى اتجاهات الشخص ومشاعره وصورته عن نفسه، ويطلق على هذا المعنى الذات كموضوع self - as - object. أما المعنى الثاني فهو مجموعة العمليات السيكلوجية التي تحكم السلوك والتوافق فتوصف الذات هنا بأنها (عملية ذاتية). فالذات هي الفاعل بمعنى أنها تتكون من مجموعة أنشطة من العمليات والتفكير والإدراك. ويستعمل بعض الكتاب تعبير الأنا Ego عند الإشارة إلى مجموعة العمليات النفسية وأن يحتفظوا بتعبير الذات self لنظام مفهوم الشخص عن نفسه، وأحيانا يستعمل التعبير على العكس من المعنى السابق. وأحيانا يستخدم تعبير الأنا والذات؛ ليشير إلى كل من العمليات والموضوع الذي يدرك. أي إن الذات بحسب هذا التوجه ليست مفهوما ميتافيزيقيا أو دينيا، وإنما هي مفهوم يقع داخل دائرة علم النفس. وإجمالاً تُعرف الذات - بحسب فهم علماء النفس - بأنها رؤية الفرد لنفسه وصورتها عنده بوصفه مصدرا للتأثير والتأثر بالنسبة للآخر أو تقدير الفرد لقيمه بوصفه شخصا، والذات تمكننا من معرفة إمكانيات الفرد ومستوى طموحه (١٠).

نصف الى ذلك ان الطبيعة الشخصية تعد جزءاً مهما في تحديد الذات، إذ أنها تمثل انعكاسا لمفهوم الفرد لنفسه، وتكون خبرات ذلك الشخص وتجاربته طريقاً لأدراك تلك الذات، التي تتطور بالتنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي.

ولا شك في أن معرفة الذات لها علاقة وثيقة بعلم النفس، وقد خاض علماء النفس في هذا المجال بهدف تحديد الملامح الشخصية للفرد، و (فرويد) تحديداً لتلك الملامح التي وضعها في ثلاثة أجهزة، وعدها المحرك الرئيس لنفس الانسان وهي (ال هو و الأنا و الأنا العليا) (١١)، وتتفاعل تلك الأجهزة وما يحصل فيها من صراعات، يؤدي الى تطور الشخصية فوظيفة الذات هي خدمة تلك الأجهزة الثلاثة، والتوفيق بينهما (١٢).

٧- ينظر النضج الانفعالي وتقبل الذات وتقبل الآخرين عند الطلبة المسرعين والمتميزين وإقراهم العاديين -دراسة مقارنة- ياس خضر القيسي، جامعة بغداد كلية التربية (ابن رشد)، ١٩٩٧م، (اطروحة دكتوراه): ٦٢.

٨- نظريات الشخصية، ولندي هول، ك، ترجمة: فرج احمد فرج، وقدري محمد حفي، ولطفي محمد فطيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ١٩٧٦م: ١٦١.

٩- سيكلوجية الذات والتوافق، إبراهيم أبو زيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧م: ٢٧.

١٠- ينظر: سيكلوجية المتفوقين عقليا، أديب الخالدي، دار السلام، بغداد، ط٢، ١٩٧٦م: ١٨٥-١٨٧.

١١- ينظر: مقدمة في التحليل النفسي، كمال وهي، كمال أبو شهدة، دار الفكر العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م: ٤٥.

١٢- ينظر مدخل علم النفس، ندال دافيدوف، ترجمة: سيد طواب وآخرون / منشورات مكتبة التحرير، ط٣، (د:ت): ٥٨٥.

وقد يكون لتلك الأقسام الثلاثة وجود في شخصية (الخيماي) عبر تفاعلها مع الذات، لكون أن لكل منها وظيفة جعلتنا نكشف ملامح شخصية وسر وجودها وهدفها الذي ترمي الوصول إليه، والأجزاء هي: الهو: وتمثل الجزء القلق من أجزاء النفس الإنسانية البعيدة عن مبدأ الغريزة والأخلاق، والقريبة من أمور مستمدة من طبيعة الانسان نفسه.

الأنا: وهو الجانب الذي يمثل مجال الشعور ضمن ماهو معقول، ويتغير بوساطة الإدراك والشعور للذين يمثلان قوة اندفاع الفرد، وقد يؤدي الى ميلانه الى إحساسه العاطفي.
الأنا الأعلى: التي تمثل القسم الخُلقي لأي شخصية، والتي تسيطر على أعماله الجيدة، وتجنبه الوقوع في الأخطاء، وتحديد الهدف^(١٣).

ثانياً: مفهوم الآخر:

تناولنا مفهوم الذات وما يتعلق بالشخصية ومعرفة ماهيتها، وعلينا ان نتنقل او نتطرق الى مفهوم الآخر وتحليلاته كونه الموضوع الاساسي في بحثنا، فنحاول أن نجيب عن بعض الأسئلة التي قد تطرح هنا وهناك في علاقة الذات بالآخر، مَنْ هو الآخر؟ وهل هما قريبان لبعضهما؟ او هو العدو الأبعد؟ أهو المجتمع أم الفرد أم البيئة التي نعيش فيها وفيها تتحرك قيم الآخر؟ هل الآخر هو الخصم الذي قد يكون ضحية الرفض المضمر؟ أم هو المتقدم معرفياً وثقافياً فيصبح العدو المرفوض علناً أو ضمناً؟
فالآخر في اللغة جاء في معنى أحدى الشيئين، أو غير، ولا يأتي بمعنى رجل آخر أو ثوب آخر، لان فيه معنى الصفة^(١٤).

اما عند احمد بن فارس في كتابه مقاييس اللغة فيرى ان الآخر هو: احد الشيئين وهو اسم على وزن(افعل)، والانتى أخرى^(١٥).

اما في المعجم الوسيط فنجد تعريفاً للآخر: فالآخر: احد الشيئين، ويكونان من جنس واحد.^(١٦)
كقول المتنبي:

ودع كل صوت غير صوتي انا الصائح المحكي والآخر
فأنا نني الصدى

فلاحظ ان الآخر من جنس الذات، وقد يكون بمعنى (غير).

كقول امرئ القيس^(١٧).

اذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت اخرا

^{١٣} - ينظر: م: ٤٦.

^{١٤} - ينظر: لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة والأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة د. ط، د. ت: ٩٤/١ / مادة (آخر).

^{١٥} - احمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، ص ١٤٣.

^{١٦} - المعجم الوسيط، انيس إبراهيم، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠-٢٩.

^{١٧} - ديوان امرئ القيس، ص ٢٢، وينظر المعجم الوسيط، ٢٠-٢٩.

وفي المنجد نجد تعريف الآخر هو مفرد اخرين بمعنى غير، ولكن مدلوله خاص بجنس ماتقدمه، كان تقول: جاءني رجل وآخر معه لم يكن الآخر إلا من جنس ماقلته^(١٨).

أما مفهوم الآخر في الاصطلاح: فهناك من يعدّه من المصطلحات الفضاضة التي تحتاج الى تحديد التسمية، وإلى اتفاق واضح، لكي لا تتشابك مع معنى الذات^(١٩).

وحينما نقول الآخر نشير الى وجود ثنائية تنشأ مع الأول وهي الذات، فضلا عما أشار اليه المعنى في اللغة وهو (الغير) سواء أكان -ذلك الغير- إنسانا أم شيئا آخر، ف((الآخر هو الكائن المختلف عن الذات، وهو مفهوم نسبي ومتحرك/ ذلك أنّ الآخر لا يتحدد إلا بالقياس الى نقطة مركزية هي الذات))^(٢٠).

فالشرق الآخر للغرب، والرجل الآخر للمرأة، والسماء الآخر للأرض، وهكذا نستطيع أن نجد الآخر في كل شيء، فالآخر حاضر في جميع مراحل الحياة، فضلا عن تغير خصائصه بتغير الظرف والموقع، فقد يكون تارة فردا وتارة أخرى جماعة، أو يكون الآخر معروفا للذات أو قريبا منها، فالآخر جزء مهم ومكمل للذات، وأن الذات تقتضي وجود الآخر، ومتى ما تحدد الآخر نستطيع أن نحدد مفهوم الذات ومعرفتها في أي نص، فأني نص أدبي لا يخلو من الآخر، لكونه الركيزة الأساس في الوصول الى غاية أو نقد حالة ما. فالآخر يؤدي دائما دورا مهما في تكامل المنجز الحضاري الثقافي للذات. فسارتر في فلسفته ينظر إلى الآخر (الغريب، المختلف) فيقول: ((فوجود الآخر شرط لوجودي وشرط لمعرفتي لنفسي وعلى ذلك يصبح اكتشافني لدواخلي اكتشافا للآخر كحرية تعمل إما لجاني أو ضدي))^(٢١)، ولهذا فإن مجيء الآخر المختلف يضعف من سيطرة الذات على نفسها، ويفتح لها آفاقا جديدة تسمو بها إلى ما هو أرقى، لبيان نقاط الضعف والقوة من ناحية معرفية عند كليهما (الذات والآخر)، وهذا ينطبق على مختلف العلوم الإنسانية ومنها الأدب، وما هذا إلا لأن الأدب هو نتاج ذات حساسة مرهفة تتفاعل مع الحياة وحقائقها، وقد تحدث تودوروف عن علاقة الذات بالآخر اذ يقول: ((لن نتواصل أبدا إلى أن نعرف الآخرين... فسيان أن نعرف الآخرين أو أن نعرف ذاتك. فهما شيء واحد))^(٢٢)، وهذا يعني ان من خلال التعرف على الآخر يمكننا ان نعرف هويتنا وذاتنا وما هو موافق ومختلف مع الذات الشخصية. فمصطلح (الآخرين) الذي استعمله تودوروف يدل على أنه المجتمع بحراكه الحيائي المنتج للقيم، ولايعني الجمع لمصطلح الآخر بوصفه الفردي. وهكذا فإن ((العلاقة بين الأنا والآخر هي الخيط الناصج للنص الإبداعي، وإذا كانت جدليتها كثيرا ما تبدو مصنعة في الخطاب الفكري، فإن الإبداع يتيح لها من مقومات البناء والصياغة ما يوسع إمكانات تصورها والتعبير عنها، وبالمناسبة فإن المفكرين يضيعون فرص الثراء عندما يلتفون حول قضاياهم دون أن يشعروا بغيباب المبدع وبالحاجة إلى خياله وإلى حسه وحده، أي إلى قدرته على تجاوز الوعي

١٨- ينظر المنجد في اللغة والاعلام، اليسوعي، الملعوف، دار المشرق، بيروت، ط ٢/ ١٩٨٦، ص ٨٥.

١٩- ينظر: الآخر في الشعر الجاهلي، مي عودة احمد ياسين، أطروحة قدمت الى جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس-فلسطين، ٢٠٠٦ م: ٤.

٢٠- تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م: ٢٠.

٢١- الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر، قدم له: كمال الحاج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ١، د. ط: ٧٢.

٢٢- صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه (ما بعد الأحكام المسبقة)، روبرتو يسبرياني وماريا مانسي، تحرير: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م: ١٥٠. وينظر في موضعه.

التجربي في اتجاه الوعي الممكن^(٢٣)، فأبي نص أدبي لا يخلو من آخر، كما يقول الشاعر بلند الحيدري معبرا عن تجربته الفردية بوصفه شاهدا: ((إن ذاتي كذات أي إنسان تقع في اللحظة الواحدة في السكون والمغادرة في آن، أي في الرحلة المستمرة عبر الأشياء. ومن خلال هذه العملية وصراع التناقضات تنحل شخصيتي العامة حلولا جزيئا في هذه المتناقضات))^(٢٤).

فأصحاب الحداثة في ترويجهم للحداثة يرون أن الحداثة تمثل النظرة الأرقى للآخر، إذ إننا دعت إلى المساواة بين أفراد المجتمع وإلى محاربة طبقة الإقطاع والاستغلال الموروث في القرون الوسطى ودعت إلى احترام الآخر وخياراته، مهما كان لونه وعرقه وعقيدته، ويدعون إلى التسامح واتخاذ الحوار سبيلا للتوافق الإنساني مع الآخر^(٢٥). و((لاخلاف في أن الحداثة قد نفذت إلى صميم حياة مجتمعا بتفاوت، وعبر مسالك وأساليب، بعضها القسري المفروض، والآخر بالتقاليد والاحتكاك))^(٢٦). وهكذا فقد دخلت الحداثة إلى المجتمع العربي وتحولت أما إلى الشخصنة أو الحلول و((الحداثة هي المشاركة والمساهمة في هذا التحول الكبير الذي تشهده الإنسانية اليوم. لقد مرت الإنسانية في عدة تحولات كبرى، قيام المجتمعات البشرية بأشكالها البدائية، وظهور الحضارات الإنسانية، وأخيرا نخوض حضارة العلم والتكنولوجيا وانتشارها فوق كوكبنا))^(٢٧) على أن للحداثة وجهين: خارجي يتجسد بالتطور العلمي والتكنولوجي، وآخر داخلي يتمثل بتطور النظرة الداخلية (الرؤية) المفضية إلى السلوك الإنساني ولا تكون الحداثة إلا بالوجهين^(٢٨)، وهذا يقود إلى الحديث عن التلازم فالحديث عن الآخر هو حديث عن الذات في الوقت نفسه و ((لما كان الخطاب حول الآخر هو-أساسا- خطاب حول الاختلاف، فإن التساؤل فيه ضروري حول الأنا أيضا، ذلك أن هذا الخطاب لا يقيم علاقة بين حدين متقابلين، وإنما علاقة بين آخر وأنا متكلمة عن الآخر، وتناول الاختلاف لا يفرضي إلى نفي الجدلية بين الذات والآخر، ولا إلى جوهرية الهوية))^(٢٩).

والإشارة إلى الآخر تقودنا إلى (آخر النحن) وهو ما أكدته الباحثة الفرنسية (جان فارو) عندما عد الأنا الذي لا يوجد بدونه اختراعا تاريخيا، مرتبطا بوعي الذات بل إنه متأخر نسبيا، فقبله كان (آخر النحن) والفرد فيه مرتبطا بالقبيلة، ولعل هذا المفهوم مازل حاضرا في مجتمعا وتبرهن وجوده سلوكيات التصفية العرقية والقبلية... إلى غير ذلك^(٣٠).

فالآخر سواء أكان فردا أم مجتمعا هو صورة أو حضور يتحد فيه شعور الذات بذاتها وتتفاعل الذات وتزداد رغبتها عبر الامتزاج به (الحلول) أو بما يرمز إليه، أي إن وقفة الذات أمام الآخر باختلافه الثقافي الحضاري، هي وقفة مشبعة بالقلق فهي تبحث عن المختلف أملا في الوصول إلى الكمال أو الأنموذج

٢٣- صورة الآخر: ٣٨.

٢٤- أسئلة الشعر (أصوات التجربة الواحدة): ١٦٨.

٢٥- ينظر: في الحداثة والخطاب الحداثي، منير شفيق، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م: ٦٠.

٢٦- مشروع النهضة ومنهج نقده للآخر، مقدمات للنقاش، د. بكري خليل، مجلة الموقف الثقافي، العدد (٣٧)، ٢٠٠٢م: ٧.

٢٧- معالم على طريق تحديث الفكر العربي، معن زيادة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، د. ط، ١٩٨٧م: ٧٠.

٢٨- ينظر: م. ن: ٧١.

٢٩- صورة الآخر: ٢١.

٣٠- ينظر: م. ن: ٢١.

الأمثل^(٣١). وهي محتاجة في هذا إلى ((الجرأة في مواجهة معرفة الآخر، انطلاقاً من الثقة بالتسلح المعرفي وليس انصياعاً للتهور واللامسؤولية))^(٣٢)، ويرى بعض الباحثين أن نفي الآخر- هو بتر للذات- ((قطع جزء منها هو (الجزء الملعون) من الذات. هذا رغم أنه ضروري لاكتشافها، إذ تصوّر الذات لا ينفصل عن تصوّر الآخر))^(٣٣). فاستخدام الذات لكلمات من شأنها أن تؤدي إلى الانقراض على حرية الآخرين وبالتالي تدمير كل محاولات التي تؤدي إلى إشاعة ثقافة التسامح بين أبناء المجتمع. وهكذا يمكننا القول إن الآخر كان مفهوماً ومصطلحاً حديثاً ذلك أن ((اختراع الآخر يرتبط عند البعض بسياق الاكتشافات الغربية وبما وفرته من شروط الخطاب حول الاختلاف الثقافي. من هذه الوجهة، يُعد اكتشاف أمريكا بداية الحداثة الغربية، كما يعد الخطاب الأنثروبولوجي الفضاء البلاغي لبناء صورة الآخر، وفي اتجاه ما كان ذهب إليه تودروف في فتح أمريكا: مسألة الآخر))^(٣٤). وبالتالي أستخدمت الثقافة في الفكر الغربي الحديث لبيان ماهو غربي وتمييزه من غير الغربي، وهنا بدأت سلسلة الثنائيات بوصفهم على أعمق الأصل وغيرهم تابعون شاذون عن العالم الغربي وتأثرت بهذا العديد من البلاد التي وقعت تحت سيطرتهم^(٣٥).

الفصل الثاني: (تجليات الذات والآخر في رواية الخيميائي)

نبذة مختصرة عن الرواية:

رواية الخيميائي هي رواية رمزية من تأليف (باولو كويلو) نشرت لأول مرة عام ١٩٨٨ وتحدث الرواية عن قصة الراعي الاندلسي ((سانتياغو)) الذي مضى في البحث عن حلمه المتمثل بكنز مدفون قرب أهرامات مصر بدأت رحلته من إسبانيا عندما التقى الملك "ملكلي صادق" الذي أخبره عن الكنز عبر مضيق جبل طارق ماراً بالمغرب حتى بلغ مصر وكانت تواجهه طوال الرحلة إشارات غيبية، وفي طريقه للعثور على كنزه الحلم، تقع له أحداث كثيرة كل حدث منها استحالة عقبة تكاد تمنعه من متابعة رحلته إلى أن يجد الوسيلة التي تساعد على تجاوز هذه العقبة فيسلب مرتين، يعمل في متجر للبلور، يرافق رجلاً إنجليزياً (يريد أن يصبح خيميائياً)، يبحث عن أسطورة الشخصية يشهد حروباً تدور رحاها بين القبائل، إلى أن يلتقي "الخيميائي" عارف الأسرار العظيمة الذي يمنحه على الماضي نحو كنزه في الوقت نفسه يلتقي "فاطمة" حبه الكبير فيعتمل في داخله صراع بين البقاء إلى جانب حبيبته ومتابعة البحث عن كنزه، فتنصحه فاطمة بالمشي وراء حلمه وتعلّده بانتظاره في الصحراء، وخلال هذه الأحداث تتوطد الرابطة بين هذا الراعي والكون حتى يصبح عارفاً بلغة الكون فاهماً لعلاماته.

٣١- ينظر: مقارنة الآخر- مقارنات أدبية- د. سعد البازعي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م: ٥٢.

٣٢- خطاب الآخر: ١٨.

٣٣- صورة الآخر: ٢٢.

٣٤- صورة الآخر: ٢١.

٣٥- ينظر: المركزية الإسلامية: ١٠١.

لذا فإن المطلع على رواية الخيميائي يجد بأنها تقوم على ثنائية (الذات والآخر) إذ إنّ وجود أحدهما مقرونا بالآخر، فالذات التي تمثل (سانتياغو) بكافة صورها، هي مقابلة واضحة للآخر الذي تحدده الرواية بأشكالها كافة.

ولذلك أرتأت أن يكون هذا الجانب مقتصرًا على جزئين، يمثل الأول منه صور الذات والتي كانت مرآة يتجلى عنها (سانتياغو)، أما الثاني فهي الأشكال التي رسمت لنا صور الآخر.

أولاً: صور الذات:

تمثلت صور الذات في عدة صور منها (طالب العلم) إذ إن (سانتياغو) كان يقيم في بلد يتفاخر أهلها بأن يكون أحد أبنائها طالب علم إلى أن يصل إلى درجة تؤهله من الوصول إلى الكنيسة ويكون أحد أفرادها، فكان طالب علم حتى السادسة عشرة من عمره، إذ كان يتردد على مدرسة اكليريكية، ودرس اللاتينية والإسبانية واللاهوت كما في هذا المقطع ((... فحتى السادسة عشرة تردد إلى المدرسة اكليريكية وكان والداه يرغبان بأن يجعلا منه كاهنًا ليغدو فخراً لذويه الريفيين البسطاء الذين يكدحون من أجل الطعام والماء مثل خرافه تماماً. درس اللاتينية والإسبانية واللاهوت...))^(٣٦).

ثم دعت الضرورة أن تتحول ذات الفتى من طالب العلم إلى (راع) ليحقق رغبة أبيه فيجوب البراري والمدن باحثاً عن أسطوره الشخصية وعن الكنز محاولاً الوصول إلى هدفه الذي خرج من أجله، والذي تغير جراء تغير الظروف التي أحاطت به، إذ ((تعلم خلال هاتين السنتين كل شيء عن تربية الغنم، وهو يتقن جزّ الصوف، والعناية بالنعاج الحوامل وحماية قطيعه من الذئاب ويعرف كل حقول الاندلس ومراعيها، كما يعرف ثمن البيع وثمان الشراء لكل من بمائمه...))^(٣٧).

وبعد ذلك باع الفتى نعاجه بسبب الظروف التي مر بها وتغير حياته حيث أراد أن يصبح (مغامراً) يجوب الأرض بحثاً عن هدفه المنشود كما في هذا المقطع من الرواية ((نظر حواليه باحثاً عن اغنامه ثم أدرك أنه الآن في عالم آخر وبذل أن يحزنه ذلك شعر بالسعادة، لم يعد مضطراً للذهاب بحثاً عن الماء والعشب بل يمكنه أن ينطلق للبحث عن كنز. ليس في جيبه فلس واحد، ولكنه مؤمن بالحياة، لقد اختار مساء أمس أن يكون مغامراً يشبه أبطال الكتب التي تعود قراءتها...))^(٣٨).

وبعد ذلك تحولت ذات الفتى بسبب ظروفه الصعبة إلى (عامل) في محل بيع البلور كما في هذا المقطع ((أريدك أن تعمل في حانوتي فقد دخل اليوم زبونان عندما كنت تنظف الاواني البلورية وهذه إشارة طيبة... أتريد أن تعمل عندي؟ أستطيع أن أعمل بقية هذا النهار وبالمقابل احتاج إلى المال لكي أكون غداً في مصر))^(٣٩)، وهكذا عمل الفتى الراعي في محل بيع البلور كعامل ودار عليه ما دار من تعب وإرهاق كل هذا بسبب رغبته في السفر إلى مصر وبلوغ هدفه (الأهرامات).

^{٣٦} - الخيميائي، بأول كويل، ترجمة: جواد صيداوي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١٦، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م: ٢٤.

^{٣٧} - م. ن: ٤١.

^{٣٨} - م. ن: ٥٧.

^{٣٩} - الخيميائي: ٦٢.

أرادت ذات الفتى أن تعيش حلاًماً طالما تمنيت ان يكون حقيقة وهي أن يكون (عاشقاً)، وتحقق ذلك بلقاء (فاطمة) بنت الصحراء، والتي كان يظنُّ بأنها هي الكنز الذي يبحث عنه، حينما ((شاهد عينيها السوداوين وشففتيها الحائرتين بين التيسم والصمت أدرك الجزء الجوهرى الأكثر افصاحاً في اللغة التي يتكلم بها العالم والتي تستطيع كل كائنات الارض ان تفهمها في اعماقها، وهو مايسمى الحب انه الشيء ماكثر قدما من البشر ومن الصحراء ذاتها ومع ذلك يتكرر انبثاقه بالقوة ذاتها وفي كل مكان كلما تعانقت نظرتان مثلما حدث للتو قرب بئر ماء...))^(٤٠).

ومن صور الذات الاخرى والتي تنوعت اشكالها تبعاً لتغير الظروف هو تحول الفتى الراعى الى (مستشار الواحة) بسبب علمه بالاشارات التي علمه اياها الشيخ العجوز (ملكي صادق) فكانت سبباً دفع زعيم الواحة الى الانتباه للفتى وما يحمله صفات تؤهله لان يكون مستشار للواحة، وهذا ما يطلق عليه البعض بـ((الذات الموضوعية، فإنها تتكون من الرموز التي يكونها الشخص من خلال ما يراه الآخرون فيه))^(٤١)، كما في هذا المقطع ((استدعى زعيم الواحة الفتى الغريب واعطاه خمسين قطعة ذهبية، ثم ذكر مجدداً بحكاية يوسف في مصر، وطلب الى الفتى ان يكون من الان فصاعداً، مستشار الواحة))^(٤٢). وهذه كانت ابرز نماذج من صور الذات التي كان يحملها (سانتياغو) بطل الرواية والتي كانت تتغير تبعاً الى تغير الظروف تارة، وإلى تغير الآخر تارةً أخرى.

ثانياً: صور الآخر في الرواية:

تمثل الآخر في رواية الخيميائي لذات (سانتياغو) بصور عدة، وسوف نحاول أن نكتشف بعض تلك الصور بما يسمح به المقام.

١. الانسان: والذي يتجسد في (الأصدقاء، والعدو، والحبيبة).
 ٢. الحيوان: يتجسد في (الأغنام، والصقور).
 ٣. الطبيعة: وتجسدت في (الشمس، والرياح، والصحراء).
 ٤. الجماد: وقد تجسدت في (الكتاب، المعطف).
- فالآخر الانسان (الصديق) فقد تمحور في شخصيات عدة منها (ملكي صادق) أو مايعرف بملك سالم، فقد كان الآخر الايجابي الذي كان محفزاً ايجابياً للذات (سانتياغو) ذلك لان ((وعى الآخر وعياً موضوعياً ونقدياً سيكون أحد المحفزات الأساسية لاكتشاف الذات فكراً وقيماً وأنماطاً حضارية))^(٤٣) فقد احتاج الفتى الى أن يرشده الى (الكنز المخبوء) وإلى أسطوره الشخصية التي كانت هي ((الواجب الوحيد المفروض على البشر، ليس الكل سوى شيء واحد وعندما ترغب في شيء ما، فإن الكون بأسره يطاوعك على القيام بتحقيق رغبتك))^(٤٤).

٤٠- م. ن: ١١١.

٤١- علم النفس الاجتماعي، خليل عبد المعاطة، دار الفكر للطباعة والنشر عمان- الأردن، د. ط، ٢٠٠٠م: ٩١.

٤٢- م. ن: ١٣١.

٤٣- الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠م: ٥٦.

٤٤- م. ن: ٣٧.

وهذا الآخر كان السبب أيضا في عدوله عن مقابلة ابنت التاجر التي أراد أن تكون له زوجة فما قاله الشيخ عن بائع الفشار الذي مر من امامهم كان سببا في تردد الراعي بمقابلة الفتاة كما في قوله ((لقد فكر في الامر فعلا ولكن بائعي الفشار اهم بكثير من الرعيان، لأن لهم مساكن يأوون إليها، في حين ينام الرعيان في العراء، والناس يفضلون تزويج بناتهم لبائعي الفشار اكثر منهم للرعاة... شعر الفتى بانقباض في صدره وهو يفكر بابنة التاجر، ذلك أن المدينة التي يعيش فيها هناك لا بد ان يكون فيها بائع فشار...))^(٤٥). وربما يكون هذا الصديق أو الآخر فكرة جميلة أو لحظة حاسمة للفتى، إذ يقول ((أحيانا أظهر في شكل فكرة جميلة، وأحيانا أخرى وفي لحظة حاسمة انصرف على نحو تغدو الامور معه اكثر سهولة وهكذا، ولكن معظم الناس لا يلاحظون شيئا...))^(٤٦)

والآخر الذي كان يمثل منعطفًا آخر في حياة سانتياغو هو (تاجر البلور) الذي شارك في بقاء الفتى مستمرا في البحث عن كنزه وتحقيق أسطوره الشخصية عبر عبارات ردها في أكثر من مقام، ومنها حينما قام الفتى بتنظيف الأواني البلورية ((لأن الأواني كانت مُتسخة، وكل منا بحاجة الى تنظيف رأسه من الأفكار السيئة))^(٤٧)، فضلا عن عبارات أخرى كان لها الأثر العميق في ذات الفتى^(٤٨). كما في هذا المقطع الذي يبين رغبة تاجر البلور في الوقوف الى جانب (سانتياغو) ((سأعطيك مالا لكي تعود الى بلدك يا بني))^(٤٩). والآخر الذي تجسد في الانسان هو (الجمال) كان هو أيضا آخر بالنسبة الى (سانتياغو)، لأنه كان يجد في شخصه الآخر الذي يتكلم معه عن نفسه في صحراء واسعة كما في هذا المقطع ((وانتهى الامر به الى اقامة علاقة صداقة مع الجمال الذي يراه باستمرار الى جانبه وحين يقبل المساء ويطول السهر حول النار يحكى له عن مغامراته يوم كان راعيا))^(٥٠)، فضلا عن أن الجمال شخصية عاشت المعاناة نفسها التي مرّ بها الفتى نفسه حتى تغير مجرى حياته، وهذا يؤكد ما قاله الجمال ((أن تاريخنا وتاريخ العالم إنما كتبنا باليد ذاتها))^(٥١)، وهي العبارة التي سمعها من تاجر البلور، وهناك مواقف أخرى لهذا الآخر ذات أثر في ذات الفتى^(٥٢).

وتكاد كون شخصية البارزة سانتياغو، والتي شكلت آخر مهما هي (الخيماي) فقد كان الآخر المكمل لما قبله، وكأن الشخصيات تتبادل الحوار وتتناقل الحِكم والموعظة، بهدف بقاء الفتى في طريق تحقيق أسطوره الشخصية، ومن نصائحه للفتى ((ينبغي الا تضعف عزيمتك، وحتى لو كنت قد أنجزت هذا الشوط الكبير من السفر...))^(٥٣)، وأيضاً كان امتدادا للشخصيات التي قابلها الفتى، والتي شكّلت آخر^(٥٤).

٤٥- الخيميائي: ٣٨.

٤٦- م. ن: ٣٩.

٤٧- م. ن: ٦٢.

٤٨- للاستزادة مراجعة م. ن: ٧٠ و ٧٦ و ٧٧.

٤٩- م. ن: ٦٣.

٥٠- م. ن: ٩٣.

٥١- م. ن: ٩٣.

٥٢- للاستزادة مراجعة م. ن: ١٢٠ و ١٢٦ و ١٢٨ و ١٤٣.

٥٣- الخيميائي: ١٢٩.

٥٤- للاستزادة مراجعة م. ن: ١٢٩ و ١٣٣.

أما الآخر الذي تجسد في الانسان فهو (العدو) المتمثل بالرجل الذي أراد أن يكون له دليلاً لبلوغ الأهرامات، إذ كان الفتى مطمئناً، على الرغم من اعتراض صاحب المقهى الذي كان له وجهة نظر مختلفة يقول ((شعر الفتى بمزيد من الأطمئنان، نهض ليدفع ما توجب عليه، ولكن صاحب المقهى أمسك بذراعه وأسمعه عظة طويلة دون توقف...))^(٥٥)، فقد كان مكملًا لما تنقصه ذات سانتياغو في معرفة الطريق^(٥٦). وكذلك يمثل الآخر العدو في (المحاربين الثلاثة) الذين اعترضوا طريقه مع الخيميائي^(٥٧)، وأيضاً الجماعة الهاربة من الحرب، الذين أوسعوا الفتى ضرباً وسرقوا منه القطعة الذهبية عند الأهرامات^(٥٨).

والآخر الذي تجسد في الانسان (الحبيبة) وباختصار شديد كانت (فاطمة) شخصية شكلت آخر حافظ على اتجاه البوصلة نحو الهدف-هدف سانتياغو- بعد أن أراد إنهاء الحلم بالحب ((أفترت شفتا الفتاة أخيراً عن ابتسامه كانت بمثابة إشارة وهي الإشارة التي أنتظرها دون أن يدري))، ولذلك الآخر مواقف أكثر أهمية للفتى^(٥٩)، مثل ادراكه أن الحب هو دافع للوصول للغاية وليست نهايتها.

أما الآخر الذي تمثل في (الحيوان) هي (الأغنام) إذ إن هنالك علاقة بين ذات (سانتياغو) والآخر المتجسد بالأغنام التي كانت رفيقة دربه، والتي وصفها بالطاقة الغامضة التي توحد بينهما، وهو بهذا يؤكد أن معرفة الآخر تقود إلى معرفة الذات، وتجسد ذلك بقوله: ((لاحظ أن غالبية ماشيته تفيق من النوم فور إفاقته، لكنَّ هناك طاقة غامضة توحد بين حياته وحياة هذه الأغنام التي تجوب البلاد برفقته منذ عامين بحثاً عن الكأ والماء، قال لنفسه هامساً، لقد ألفت عاداتي جيداً حتى باتت تعرف مواعيدي...))^(٦٠).

وتأكيداً على أن الآخر ليس بالضرورة أن يكون من الجنس نفسه، فقد كان يخاطب نعاجه وكأنه يتكلم مع نفسه، حينما عرف أن بنت التاجر باتت حلاًماً قد لا يتحقق ((لا أهمية لذلك فأنا أعرف أيضاً فتيات أخريات في مدن أخرى))^(٦١).

وقد يكون الآخر هو من يقود الذات في بعض الأحيان، وهذا ما جعل (سانتياغو) يهتم بالآخر المتمثل (بالصقور) التي كانت تتشاجر فوق الواحة، وهي إشارات قد فهمها الفتى، إذ إنها كانت تحاول أن تخبره بما سوف يكون، ويقع على من في الواحة، وحينما سأله الخيميائي ((لم قرأت تحليل الطيور))^(٦٢) إجاب ((قرأت ما كانت تريد الطيور أن ترويه فحسب، أرادت إنقاذ الواحة))^(٦٣).

وننتقل إلى الآخر الذي تجسده (الطبيعة) والمتمثل في (الشمس) إذ أنها كانت تحاكي (سانتياغو) في أكثر من موضع، فكانت في شروقها تمثل الأمل والديمومة فهي الآخر الجيد للفتى ((بانت الشمس تدگر

٥٥- م.ن: ٥١.

٥٦- للاستزادة مراجعة م.ن: ٥٤ و ٥٢ و ٥٣.

٥٧- ينظر: م.ن: ١٥٣.

٥٨- ينظر: م.ن: ١٨١.

٥٩- للاستزادة مراجعة م.ن: ١١١ و ١١٤ و ١١٦ و ١٧٩.

٦٠- م.ن: ١٧-١٨.

٦١- م.ن: ٢١.

٦٢- الخيميائي: ١٢٨.

٦٣- م.ن: ١٢٨.

الفتى حوار مع والده وشعر بالسعادة^(٦٤)، وفي غروبها إيجاء للانتهاء ((مع غياب الشمس يجد نفسه غريبا في بلد غريب حيث لا يستطيع حتى فهم اللغة التي يتكلم الناس بها، لم يعد راعيا ولا يملك شيئا))^(٦٥). كانت الشمس هي (الآخر) في حياة الفتى، إذ إنها كانت تعلمه أو تواشج أفكاره بما يريد، أو سوف يكون، ففي شروقها ينبثق أمل جديد، وفي أفولها يجد نفسه غريبا لا يملك ما كان يملكه، فهي إذًا نهاية الأشياء.

وما تمثّل في (الطبيعة) أيضاً هو (الرياح) إذ كانت مكتملة لما في ذات الفتى، لكونها كانت تهمس له بما يحول في خاطره من أمور ابعدها المسافات، فكانت كلما تهب تحمل معها ما يريد أن يراه، ويشم رائحته أو يتحسسها ((الريح الشرقية تعصف بقوة، ويشعر بعصفها على وجهه.... تحمل أيضاً رائحة الصحراء والنساء المحجبات، وتحمل العرق واحلام الرجال الذين انطلقوا... للبحث عن المجهول))^(٦٦). فهي أيضاً كانت الآخر الذي يخدم الذات لمعرفة الأشياء التي لم يخبرها، أو يتوق لها، مثل صوت الحبيبة ((كانت الرياح تحمل أصوات الواحة، فحاول ان يتبين بينهما صوت فاطمة))^(٦٧)، وللرياح دور كبير في ذات الفتى تتطابق تارة، وأخرى تخالف^(٦٨).

بقي أن نرجع على الآخر من الطبيعة وهي (الأهرامات) التي مثلت الحلم والغاية والمستقر، ونهاية الرحلة، فكانت الآخر البعيد الذي طالما انتظر الأيام والليالي وخسر ما خسر من أموال وأغنام في سبيل الوصول إليها، إذ إنها كانت تختلف عن أي أهرامات من الممكن أن يبينها شخص في حديثه، لما تحتويه من طاقة كامنة وكنوز مخفية، وهذا ما حاول تاجر البلور ان يقوله للفتى

((لا يمكن لأحد ان يبني أهراما في حديقة منزله حتى لو استمر يكسب الحجارة طوال حياته))^(٦٩). و(الأهرامات) كانت الآخر الذي يحاكي الفتى حينما وصل إليها آخر مرة بعد أن سرق وضرب، فعندما ابتسم ابتسامة حملت معاني كثيرة ((نحس الفتى تحت وطأة الألم وألقى نظرة أخيرة على الأهرامات، فابتسمت الأهرامات له، وابتسم لها، وقفل راجعا وقلبه مفعم بالبهجة، ولقد وجد الكنز))^(٧٠). وكأنه يقول لها هنا انتهى سراب أسطوري التي لم يؤمن بها زعيم المهاجرين عليه، وأن الكنز ليس بما يجده عندها إنما بما حصل عليه أثناء المسير إليها.

وهكذا يكون الآخر متمما للذات، مساعدا إياها في معرفة ما يريد معرفته، فلا ذات دون الآخر فقد تكون الذات والآخر في الإنسان نفسه، قد يتفقان وقد يختلفان، وهذا يعود على مدى خدمة الذات للآخر، أو عكس ذلك.

اما الآخر (الجماد) فقد تجسد في (الكتاب) الذي كان يرافق سانتياغو طول فترة رحلته حيث مثل الآخر الايجابي له حيث استخدمه كوسادة يلجأ لها في نومه اضافة الى كونه وسيلة للقراءة والمعرفة كما في

٦٤- م.ن: ٢٦.

٦٥- م.ن: ٥٣.

٦٦- م.ن: ٤٣.

٦٧- الخيميائي: ١٣٩.

٦٨- للاستزادة مراجعة م.ن: ١٤٤ و ١٦٥ و ١٦٥.

٦٩- م.ن: ١٧٩.

٧٠- م.ن: ١٨٢.

هذا المقطع الذي يقول فيه ((بسط رداءه على الأرض، مستخدماً الكتاب الذي أنهى قراءته وسادة، قبل أن يغفو فكر بأنه ينبغي له أن يقرأ بعد الآن مؤلفات أكثر ضخامة، بذلك يقضي وقتاً أطول قبل أن ينتهي منها، وقد تغدو وسائل أكثر راحة للنوم))^(٧١).

والآخر الذي يمثله (الجماد) تجسد أيضاً في (المعطف) فقد اتخذ الراعي (سانتياغو) كصديق حميم ورفيق درب يلازمه في تجواله المسمتر حيث عده كنفسه تماماً فيقول: ((إن هذا المعطف إذن كالفتي نفسه إن مايرر وجوده بعد عامين من التجوال في سهول الاندلس بات يعرف عن ظهر قلب كل مدن المنطقة وهذا بالذات ما أعطى معنى لحياته.. الترحال))^(٧٢).

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى البحث عن ثنائية الذات والآخر في رواية الخيميائي للروائي (باولو كويلو)، وقد جاءت النتائج متغلغلة في أثناء البحث فهو بحث تحليلي يُنتج نتائج الجزئية في أغلب الأحيان في مواضعها من التحليل. ولكن يمكن أن نُجمل أهم النتائج الكلية التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

١. إن العلاقة ما بين الذات والآخر في رواية الخيميائي كانت متذبذبة فهي أحيانا تكون توافقية وأخرى تقاطعية ولكن السمة البارزة لهذه العلاقة هي علاقة توافقية إيجابية فالآخر بجميع صورته كان ذا موقفاً دفع ببطل الرواية إلى تحقيق أهدافه والسعي وراء حلمه المنشود.

٢. تعد الطبيعة الشخصية جزءاً مهماً في تحديد الذات، إذ أنها تمثل انعكاساً لمفهوم الفرد لنفسه، وتكون خبرات ذلك الشخص وتجاربه طريقاً لإدراك تلك الذات، التي تتطور بالتنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي. وهذا ما نجد واضحاً من تغيير صور الذات لبطل الرواية سانتياغو تبعاً لتغيير الظروف المحيطة بالبطل وتأثيرها على طبيعته الشخصية.

٣. نجد أن الآخر يؤدي دائماً دوراً مهماً في تكامل المنجز الحضاري الثقافي للذات وهذا ينطبق على شخصية الملك (ملكي صادق) وتأثيرها الفكري والحضاري على تغيير شخصية بطل الرواية (سانتياغو) وتحفيزه لتحقيق أهدافه.

٤. المطلع على رواية الخيميائي يجد بأنها تقوم على ثنائية الذات والآخر إذ إنّ وجود أحدهما مقروناً بالآخر، فالذات التي تمثل (سانتياغو) بكافة صورها، هي مقابلة واضحة للآخر الذي تحدده الرواية بأشكالها كافة.

٥. تمثل الآخر في رواية الخيميائي لذات (سانتياغو) بصورة عدة، منها الإنسان: والذي يتجسد في (الأصدقاء، والعدو، والحبيبة) والحيوان: والذي يتجسد في (الأغنام، والصقور). والطبيعة: والتي تجسدت في (الشمس، والرياح، والصحراء).. والجماد الذي تجسد في (المعطف، الكتاب).

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

٧١- م. ٥: ١٧.

٧٢- م. ٥: ٢٣.

- الآخر في الشعر الجاهلي، مي عودة أحمد ياسين، أطروحة قدمت الى جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس-فلسطين، ٢٠٠٦م.
- تمثيلات الآخر صور السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٤م.
- رواية الخيميائي، باولوا كويلوا، ترجمة: جواد صيداوي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، بيروت-لبنان، ٢٠٠٨م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة استانبول-تركيا، د.ط، ١٩٨٩م: جزء ١، مادة: (الذات).
- معرفة الذات، ماري مادلين دافي، ترجمة: نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط٣، ١٩٨٣م.
- التوجيه والارشاد النفسي، حامد زهران، منشورات جامعة دمشق، سوريا، د.ط، ١٩٨٩.
- الصورة الشعرية وأسئلة الذات، قراءة في شعر حسن نجمي، د. عبد القادر الغزالي، مؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط٤، ٢٠٠٤م.
- النضج الانفعالي وتقبل الذات وتقبل الآخرين عند الطلبة المسرعين والمتميزين وإقرانهم العاديين - دراسة مقارنة- ياس خضر القيسي، جامعة بغداد كلية التربية (ابن رشد)، ١٩٩٧م، (أطروحة دكتوراه).
- نظريات الشخصية، ولندزي هول، ك، ترجمة: فرج احمد فرج، وقدري محمد حفتي، ولطفي محمد فطيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ١٩٧٦م.
- علم النفس الاجتماعي، خليل عبد المعايطة، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان-الأردن، د.ط، ٢٠٠٠م.
- سيكولوجية الذات والتوافق، إبراهيم أبو زيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧م.
- سيكولوجية المتفوقين عقليا، أديب الخالدي، دار السلام، بغداد، ط٢، ١٩٧٦م.
- مقدمة في التحليل النفسي، كمال وهبي، كمال أبو شهدة، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
- مدخل علم النفس، ندال دافيدوف، ترجمة: سيد طواب وآخرون/ منشورات مكتبة التحرير، ط٣، (د:ت).
- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة والأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة د.ط، د.ت: ج ١.
- احمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت.
- المعجم الوسيط، انيس ابراهيم، دار صادر، بيروت، ط١، ج ١.
- المنجد في اللغة والاعلام، اليسوعي، المعلوف، دار المشرق، بيروت، ط ١٩٨٦/٢.
- تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

- الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر، قدم له: كمال الحاج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط ١، د. ت.
- الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، محمد محفوظ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠ م.
- صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه (ما بعد الأحكام المسبقة، روبرتو يسيرياني وماريا مانسي)، تحرير: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م.
- في الحداثة والخطاب الحداثي، منير شفيق، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م.
- مشروع النهضة ومنهج نقده للآخر، مقدمات للنقاش، د. بكري خليل، مجلة الموقف الثقافي، العدد (٣٧)، ٢٠٠٢ م.
- معالم على طريق تحديث الفكر العربي، معن زيادة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، د. ط، ١٩٨٧ م.
- مقارنة الآخر - مقارنات أدبية - د. سعد البازعي، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩ م.

التزام الحفظي وتطبيقاته في الأحكام الولائية

Conservation overcrowding and its applications in state judgments

أ.م.د. ضرغام كريم الموسوي^(١) Dr. Dargham Karim Al - Musawi
زهرة إبراهيم خان^(٢) The Zhraa of Ibrahim Khan

المخلص

التزام الحفظي من النظريات الأصولية التي أبدع فيها السيد الصدر، ولها أهمية كبيرة في الشريعة الإسلامية؛ لأنها أثبتت الإنسجام التام بين كافة المنظومة التشريعية، والترابط فيما بينها ترابطاً وثيقاً، بالنحو الذي يجعل من كل تشريع مكماً للآخر، ومن خلال البحث يتبين الإنسجام بين التشريعات الولائية، وطبيعة العلاقة بينها وبين التشريعات الواقعية، وكيفية ربطها بالتشريعات المتضمنة لنظام العقوبات، وإنسجامها مع التشريعات الأخرى داخل المنظومة الواحدة؛ لأن أغلب هذه التشريعات كانت نتيجة حتمية لوقوع التزام الحفظي بين الأغراض الواقعية الأولية وبين مقتضى حفظ الغرض الأهم منها، لأن المصالح تختلف من زمن إلى آخر ومن مكان إلى آخر، بحيث لا يمكن إرتباطها بتشريع محدد بحفظها ما دامت متعرضة للتبدل والتغير، وكذلك يختلف كيفية تحقيقها باختلاف المكان والزمان، وبالتالي يؤدي إلى حتمية وقوع التزام في بعض الأحيان بين المصالح العامة وبين مصالح المرتبطة بالأفراد كأفراد، والتي نشأة الأحكام الواقعية الأولية منها؛ لأن مقتضى التزام الحفظي هو ترجيح الغرض الأهم وإن أدى إلى خسارة بعض الأغراض الواقعية، فلا خلاف في أن المصلحة العامة أهم من المصلحة الخاصة وعلى هذا يقضي تشريع معين يهدف من ورائه حفظ المصلحة العامة، وهذه المصلحة لا تكون خارجة عن دائرة الشريعة، بل مستفادة من هدي التشريعات الإلهية.

الكلمات المفتاحية: التزام الحفظي، الأحكام الولائية، الفقهاء، ولي الامر.

^١ - جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية.

^٢ - جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية.

Abstract

The contradiction between the tolerance and compensation, and the interdependence away from everything related to the covenant, the interdependence, and the nature of the relationship between the factors of the crisis, the muscles, the complex, the muscles and the muscles. And the sensitivity of the preservation of the most important purpose of it, it starts from its history so far, can be the inevitable, the wing independence of the year that you do, and this requires a specific legislation aimed at preserving the public interest, and this interest is not outside the circle of Sharia, From the guidance of divine legislation.

المقدمة

من أهم المسائل التي أبدع فيها السيد الصدر في الدراسة الأصولية حيث توصل الى نظرية جديدة لم يتوصل إليه غيره من الأصوليين وهي نظرية التزام الحفظي، فإنه تمكن من خلال هذه النظرية تفسير حقيقة الأحكام الظاهرية، وكيفية الجمع بين الحكم الظاهري والحكم الواقعي وبين إمكان جعلها وأهميتها في علم الفقه وخصوصاً في الأحكام الولائية، ومشكلة البحث هو بيان علاقة التزام الحفظي في تفسير الأحكام الولائية، وكذلك بيان آراء الفقهاء فيها، ولأجل ذلك عقد البحث على ثلاثة مباحث، الأول خصص لشرح مفهوم التزام الحفظي، وخصص الثاني في معنى الأحكام الولائية ومجالها، وأما الثالث خصص في آراء الفقهاء بتشريع الأحكام الولائية وعلاقة التزام الحفظي بها، فالخاتمة ونتائج البحث ثم المصادر والمراجع..

المبحث الأول: مفهوم التزام الحفظي

أولاً: معنى التزام لغةً وإصطلاحاً

١. التزام في اللغة:

لفظ (التزام) في اللغة مأخوذ من الفعل (زَحَمَ)، وقد زحم القوم بعضهم بعضاً ويزحمونهم زحماً وزحاماً: أي ضايقوهم. وازدحموا وزاحموا: أي تضايقوا، والأمواج تزدحم وتتراحم: أي تلتطم^(٣). وهذا يدل على الانضمام الذي يصطحبه شدة^(٤)، ومن المعنى اللغوي يمكن تعريف التزام: إنه عبارة عن وجود التضايق بين أمرين على مورد واحد، ويكون ذلك في زمان واحد.

^٣ - ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ٣: ٤٩ - مادة زحم.

^٤ - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، نشر أدب الحوزة قم، ١٤٠٥هـ، ١٢: ٦٢ - مادة زحم، هيثم هلال، معجم الأصول، ١٨٩، ط ١٤٢٤هـ، نشر وطبع وتوزيع: دار الجبل، بيروت.

٢. التزاحم في الإصطلاح:

أما في الإصطلاح فقد ورد تعريفه عند بعض الأصوليين^(٥) بأنه التنافي بين حكمين قد صدرا من الشرع الخفيف ويكون السبب في ذلك عدم قدرة المكلف على أن يجمع بينهما في مقام الإمتثال اتفاقاً وهذا معناه، أنه يكون في مورد دون آخر، وهذا بالإضافة إلى أنه بالنسبة إلى مكلف دون مكلف آخر، وهذا التنافي والتضاد تكون نشأته بسبب عدم القدرة من المكلف على الجمع بين الأمرين في مرحلة الإمتثال والإطاعة إتفاقاً، وقد كان قبل ذلك قادراً على فعل كل واحد من هذين الفعلين في نفسه دون الآخر، ولكنه لم يقدر أن يجمع بينهما في الخارج قادراً وهذه القدرة الواحدة لا تفي ولا تنفع أن يمتثل بكليهما معاً، وقد حصلت هذه المضادة في هذا المورد لا دائماً.

وعرفه صاحب المعجم الأصولي: (هو في إصطلاح الإمامية صدور حكمين من الشارع المقدس وتنافيهما في مقام الإمتثال إتفاقاً إما لعدم القدرة على الجمع بينهما كما هو الغالب في هذا الباب وإما لقيام الدليل من الخارج على عدم إرادة الجمع بينهما)^(٦).

(وقد أضاف بعض الأصوليين أن ذلك يكون بسبب قيام دليل من الخارج على عدم إرادة المكلف الجمع بينهما)^(٧)، ولكن السيد الخوئي (ت: ١٤١٣هـ) قد أورد إشكالاً على هذه الإضافة إذ قال: أنها ليست من باب التزاحم وإنما هي من باب التعارض^(٨).

ثانياً: معنى الحفظ لغة وإصطلاحاً

١. الحفظ في اللغة:

إن الحفظ مستفاد من مادة حفظ وهو أصل صحيح يدل على تعاهد الشيء مع عدم الغفلة عنه، وكل ما يشتق من معان فهو منه إذ إنّ أصل وضعه يدل على تعاهد مقرون بعدم الغفلة. هي مصدر من قولهم حفظ يحفظ وماداتها (ح ف ظ) الحِفْظُ: نقيض التَّسْيَانِ، وهو التَّعَاهُدُ وقلة الغفلة، والحفيظ: المؤكّل بالشيء يحفظه. والحَفْظَةُ جمع الحافظ، وهم الذين يُحْصُونَ أعمال بني آدم من الملائكة. والإحتفاظ: حُصُوص الحفظ، تقول: إحتفظت به نفسي، وإستحفظته كذا، أي: سألته أن يحفظه عليك^(٩) وهي تدل على مراعاة الشيء، ولذلك يقال حفظت الشيء حفظاً، ويسمى الغضب الحفيظة، والسبب أن تلك الحال من الغضب تدعو إلى مراعاة الشيء، والتَّحَفُّظُ: هو قلة الغفلة، والحفاظ: معناه المحافظة على الأمور^(١٠).

٥- الفياض، محمد إسحاق، محاضرات في أصول الفقه، تقرير بحث السيد الخوئي (ت: ١٤١٣هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي - قم، ط ١، ١٤١٩هـ، ٣: ٢١٦، والروحاني: السيد محمد صادق، زبدة الأصول، مدرسة الإمام الصادق - (عجل الله فرجه)، منشورات أمير، ط ١ (١٤١٢هـ)، ٢: ٧٤.

٦- معجم الأصول، هيثم هلال: ١٨٩: ٢٠٤، نشر وطبع وتوزيع: دار الجبل، بيروت.

٧- الحكيم، محمد تقى، الأصول العامة للفقه المقارن، مؤسسة آل البيت - (عجل الله فرجه)، ط ٢، ١٩٧٩م، ٣٦٤.

٨- الفياض، محمد إسحاق، محاضرات في أصول الفقه، ٣: ٣٤٦.

٩- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري (ت: ١٧٠هـ)، العين، دار آل هلال، ٣: ١٩٨.

١٠- ابن فارس، أبو حسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢: ٨٧.

٢. الحفظ في الاصطلاح:

أما عن معنى الحفظ في الاصطلاح، فلم يعثر على مصطلح اصطلاحي محدد للحفظ، ولكن من الأهمية بمكان أنه لا بد لفهم هذه الظاهرة (التزام اللفظي) من التعرض لمعنى النسيان الذي هو ضد الحفظ، وقد بيّن الفيومي في المصباح المنير أنّ النسيان مشترك بين معنيين^(١١):

الأول: أن يترك الشيء على ذهول وغفلة، وهذا يكون خلاف الذكر له.
والثاني: الترك عن تعمد وقصد وعليه قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾^(١٢) أي لا تتعمدوا الترك والإهمال. وقد أضاف الفيومي قائلاً: إنّ هذا الفعل قد يتعدى بالهمز والتضعيف.
والذي يظهر من ذلك أنّ النسيان هو ضد الحفظ، وهذا الضد أي النسيان قد تنوع إلى نوعين: إما يكون عن ذهول وغفلة، وإما عن قصد وتعمد، وبما إنّ معنى التزام الحفظي هو حفظ المولى سبحانه لما هو أهم الأغراض من التشريعات الواقعية عند حصول التزام، فالمقصود من الحفظ في عنوان الرسالة، هو المعنى الذي يقابل الإضاعة، ويكون المراد هو حفظ التشريعات من الإضاعة.

ثالثاً: معنى التزام الحفظي كمصطلح.

التزام الحفظي: وهو مصطلح من إبداعات السيد الصدر والذي عدّه أحد معاني التزام في علم الأصول بعد التزام الملاكي والتزام الإمثالي، وقد عني به التزام الذي يحدث دائماً بين ملاكات الأحكام الواقعية، ويكون في مقام الحفاظ على تلك الملاكات عندما لا يعود بالإمكان الحفاظ عليها جميعاً عند حصول الإشتباه والإختلاط بين تلك الأحكام لدى المكلف، والذي يؤدي حتماً إلى خسارة المولى لأحد الغرضين، وبالتالي خسارته لأحد التشريعين^(١٣).

فالمراد من التزام الحفظي: هو التزام بين الأحكام الواقعية في مقام الحفظ التشريعي في طول الإشتباه وعجز الخطابات الأولية في تحقيق ذلك الحفظ التشريعي، فإن للمولى ملاكات تقتضي التحريم كما إنّ لديه ملاكات تقتضي الإباحة ومن هنا حكم بجرمة أشياء وإباحة أخرى وإذا فرض أن هذه الأمور إشتبهت على المكلف خارجاً، فإنّه لم يميز المباح منها عن الحرام فإنّه يفرض تارة أنّ المولى يتعلق غرضه برفع شك المكلف وبيان حالته المشتبه فيكون هذا البيان للحكم الواقعي، يفرض تارة أخرى تعذر هذا البيان أو أنّه ليس حاله موجب بحيث يستحكم الشك عند المكلف وعند ذلك ينشأ التزام جديد بين الملاكات الحرمية الواقعية وملاكات الإباحة الواقعية، وهنا يقع التزام في مقام حفظ تلك الملاكات تشريعاً، بمعنى أنّ ملاكات الحرمية تقتضي من المولى للتحفظ على نفسها أنّ يحكم بتحريم كل ما يحتمل حرمة، لكي يضمن احتساب كل المحرمات، وعلى العكس منها ملاكات الإباحة فأثماً تقتضي تحفظاً عليها أنّ يحكم المولى بإباحة كل ما يحتمل إباحته لكي يضمن إطلاق العنان الذي هو محط المصلحة في كل مباحات الواقعية، وعند ذلك يقع التزام في مقام الحفظ التشريعي في مثل ذلك يوازن المولى بين ملاكاته الترخيصية وملاكاته الإلزامية،

١١- المقرئ الحموي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ)، المصباح المنير، مؤسسة دار الهجرة، قم، ط ١، ١٤٠٥ هـ، مادة نسي، ٢٠١.

١٢- البقرة / ٢٣٧.

١٣- المنصوري، أياد، نظرية التزام الحفظي، مدين للطباعة والنشر، قم، ط ١، ٢٠١٠ م، ١٦.

فان فرض أنّ الملاكات الترخيصية كانت أهم، فسوف يجعل حكماً بالإباحة في موارد الشبهات بلسان من ألسنة الحكم الظاهري وإن فرض أنّ الملاكات الإلزامية كانت أهم فسوف يجعل حكمه بوجوب الإحتياط في موارد الشبهات بلسان من ألسنة الحكم الظاهري^(١٤).

المبحث الثاني: في الأحكام الولائية ومجالها

أولاً: معنى الأحكام الولائية

الأحكام الولائية^(١٥): (هي عبارة عن الأحكام التي يصدرها من له الولاية بمقتضى ولايته الشرعية، ويطلق عليها الأحكام الحكومية، أو هي القرارات التي يتخذها وليّ أمر المسلمين تحقيقاً لمصلحة المجتمع المسلم).

أو تسمى بالأحكام السلطانية^(١٦): (وهي الأحكام المتعلقة بسلطان الحاكم على رعيته والحقوق المتقابلة).

وهو بهذا التعريف يقابل الأحكام التي يستنبطها الفقيه بوصفه مجتهد ومرجع، ويطلق عليها الأحكام الفتوائية أو الشرعية.

وقد فرق التبريزي في كتابه صراط النجاة بين الحكمين حيث قال^(١٧): (أنّ الفتوى عبارة عن الحكم الكلي الفرعي المستنبط من أدلته، وأما الحكم الولائي فهو لمن كانت له الولاية على الأمر والنهي في الأمور المباحة).

ولذا ذكر السيد الخامني^(١٨): (طبقاً للفقه الشيعي، يجب على كل مسلم إطاعة الأوامر الولائية الشرعية الصادرة من ولي أمر المسلمين والتسليم لأمره ونهيّه، حتى على سائر الفقهاء العظام، فكيف بمقلديهم؟ ولا ترى الالتزام بولاية الفقيه قابلاً للفصل عن الالتزام بالإسلام وبولاية المعصومين -عليه السلام-). فوجوب الطاعة وعدم العصية على هذا النحو من الأحكام؛ لكون وليّ الفقيه حاكماً للدولة ومخالفة أحكامه مخالفة لقوانين الدولة، وملاك هذه الأحكام هي مخالفة النظام، وإن كان مخالفته يختلف عن مخالفة الحكم الشرعي؛ لأنّ الملاكين مختلفان باعتبار أنّ الأحكام الصادرة من الفقيه الذي يعتبر بمثابة الحكم الشرعي ومخالفته تُعدّ معصية لأنّ ملاكه مخالفة الحكم الشرعي الإلهي، فالأحكام الولائية تعدّ حكماً شرعياً من هذه الناحية.

^{١٤} - ط، الساتر، حسن عبد، بحث في علم الأصول، تقرير أبحاث السيد الصدر، ط ١، ١٤٢٣هـ، المطبعة: ستارة، قم، إيران، ٨: ٣٨٨-٣٨٩.

^{١٥} - حب الله، علي، دراسات في فلسفة أصول الفقه والشرعية نظرية المقاصد، ٥١٣، ط ١، ٢٠٠٥م، الناشر: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

^{١٦} - الطباطبائي، السيد علي، رياض المسائل، ٢: ٣٣.

^{١٧} - التبريزي، الميرزا جواد، صراط النجاة، ٣: ٤٢٦، تحقيق: موسى مفيد الدين عاصي العاملي، ط ١، جمادي الأول ١٤١٦هـ، المطبعة: سلمان الفارسي، الناشر: دفتر نشر بركزیده.

^{١٨} - الخامني، السيد علي، أجوبة الاستفتاءات، ١: ٢٣، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، الناشر: دار النبا للنشر والتوزيع.

وبرّر ذلك السيد الصدر حيث ذكر^(١٩): (لأنّها تكتسب الصفة الشرعية ووجوب التنفيذ شرعاً من الأحكام الشرعية التي إقتضتها).

وعليه أصبح لا فرق بين الحكمين في وجوب الطاعة والمخالفة به معصية، ورغم ذلك فإنّ الأحكام الولائية تنسب الى الفقيه، وهذا لا يعني أنّها أحكام يشرعها الفقيه؛ لأنّ التشريع حق الله سبحانه وحده، ولكن هي في الأساس أحكام شرعها الله سبحانه، فقط دور الفقيه هو أنّ يشخص موضوع تلك التشريعات، أو يشخص الملاك الأقوى والأهم عند حصول التزام؛ لأنّ هناك تشريعات خاصة بلحاظ كل مورد، وتشريعات عامة مجعولة بعنوان كلي أو عام، وعلى هذا فهو يختلف من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان آخر، ومن ظرف الى آخر فيتأثر بالمتغيرات.

ولذا ذكر المحقق الأردبيلي في مقدمة كتاب مجمع الفائدة حيث قال^(٢٠): (إنّ في التشريع الإسلامي جانباً متغيراً متصوراً لم يتعرض الإسلام فيه بتشريع تفصيلي ثابت؛ لإرتباطه بالجوانب المتغيرة من حياة الانسان، بل جاء فيه بتشريعات عامة وترك لولي الأمر مسؤولية تفاصيله، وهو ما يسمى بمنطقة الفراغ). (فالأحكام الولائية لم ترد في الشريعة مباشرة وبنصوص محددة، وإنّما تستنبط من أحكام الشريعة على ضوء الظروف والأحوال التي هي عرضة للتغيّر والتبدّل)^(٢١).

وعليه ذكروا^(٢٢): (وإنّ مصادر الإسلام من الكتاب والسنة إذا شرعت حكماً ونصت على الهدف منه، كان الهدف علامة هادية ملء الجانب المتحرك والمتغير بحسب الظروف، بصيغ تشريعية تضمن تحقيقه). فالأحكام الشرعية (الفتوائية) هي عناوين محددة لا تتأثر بالمكان والزمان وغير ذلك فعنوان (الصلاة) أو (الصوم) لا يتأثر ولا يتغير بمرور الزمان والمكان.

وقد ذكر السيد الصدر بهذا الصدد^(٢٣): (ويدخل في الأحكام الشرعية كل حكم دلّ عليه الدليل الشرعي بصفته المعنية، كحكم وجوب الصلاة والزكاة والخمس والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكافة التفاصيل المحددة التي جاءت في الشريعة).

وعليه قسّم الأحكام على قسمين: على أنّها ثابتة ومتغيرة، وأراد بالثابتة، (تلك التي ترتبط بواقع الانسان الطبيعي، وتأخذ بنظر الاعتبار بالتكوين الإنساني، بصرف النظر عما إذا كان الإنسان بدوياً، أو متحضراً أسوداً، أو أبيضاً، قوياً أو ضعيفاً، ودون أنّ تعني بزمان أو مكان معينين^(٢٤)، وأرادوا بالمتغيرة: (الأحكام القابلة للتغير بحسب إختلاف المصالح والأزمات والأمكنة)^(٢٥).

١٩- الصدر، محمد باقر، أصول الدستور الاسلامي، أساس ٨، ٤٥، ١٠، ١٩٩٨م، المنشور ضمن كتاب، ملاط، شبلي، تجديد الفقه الاسلامي، ترجمة غسان غصن، دار النهار للنشر، بيروت.

٢٠- الأردبيلي، أحمد المحقق، مقدمة كتاب مجمع الفائدة، ١: ١٠، تحقيق: الحاج آقا مجتبي العراقي والحاج شيع علي بناء الإشتهاري روي والحاج آقا حسين الزيدي الإصفهاني، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.

٢١- الصدر، محمد باقر، أصول الدستور الاسلامي، أساس ٨، ٤٤.

٢٢- بري، باقر، منطقة الفراغ التشريعي من منظور الشهيد الصدر، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد ٧٥، ١٩٩٩.

٢٣- الصدر، محمد باقر، أصول الدستور الاسلامي، أساس ٨، ٤٥.

٢٤- الطباطبائي، محمد حسين، مقالات تأسيسية في الفكر الاسلامي، ١٠٩، ٢، ١٤١٨هـ، ترجمة: جواد علي كسار، الناشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر.

٢٥- م، ن، ١٠٧.

ويتبين من ذلك إنّ الأحكام الولائية ليست كأحكام التي يصدرها الأب الى أولاده ويجب على الأولاد إطاعته، وإنّما هي تطبيق التشريع على موضوعه الذي هو في الخارج وقد أحرزه الفقيه. وسوف يتضح ذلك من خلال المثال الآتي: إذا علم الفقيه إنّ حفظ النظام ومراعاة المصلحة العامة تعلق به غرض الشارع ولم يرَضْ بفواتها، فما على الفقيه إلا تشخيص المورد وعليه يصدر الحكم المناسب، وذلك تطبيقاً للتشريع المتعلق بحفظ النظام العام للمجتمع، والذي يتغير ويتأثر بالزمان والمكان والظروف والتطور الحاصل في حياة المسلمين، وهنا قد يتوهم البعض بأن الإسلام لم يتطرق الى تطور حياة الانسان، وأعطى مجالاً للتطور أن يشرع من عنده، ولكن هذا التوهم غير صحيح؛ لأنّ الإسلام أعطى خطوطاً عريضة ثابتة ولا يجب تغييرها وتبديلها، ولذا قال السيد الصدر (٢٦): (أنّ الاسلام قد سكت عن الجوانب المتطورة في حياة الإنسان وفسح المجال للتطور أن يشرع لها من عنده، وإنّما معناه أنّ الإسلام أعطى في تلك الجوانب الخطوط العريضة الثابتة بحيث أنّ التطورات المدنية للإنسان لا توجب تغيير هذه الخطوط وتبديلها، وإنّما تؤثر في القوانين التي تباشر تنظيم الحياة في ظروف تقصر أو تطول).

ثانياً: مجال الأحكام الولائية

أما مجال الأحكام الولائية هو في كل ما يرتبط برعاية المصالح العامة للإسلام، وحفظ النظام العام ضمن دائرة الدولة التي يحكمها ولي الفقيه، ويجب عليه مراعاة ذلك (ولا يوجد أي شك في لزوم مراعاة المصلحة من قبل الولي الفقيه عند إصداره الأحكام الحكومية) (٢٧)، على أن يكون حكم وليّ الفقيه وفق المصالح العامة، بالوجوب تارة وبالحرمة تارة أخرى، وهي غير خارجة عن دائرة التشريعات الإلهية الكلية، وذلك من باب تطبيق الحكم على موضوعه.

وقد أشار الشيخ مكارم الشيرازي الى ذلك حيث قال (٢٨): (أنّ الأحكام الولائية أحكام إجرائية وتنفيذية؛ لأنّها مقتضى طبيعة مسألة الولاية، وأنّها دائماً ترجع الى تشخيص الصغريات والموضوعات). ويتبين من ذلك أنّ صلاحية ولي الأمر في إطار الأحكام الولائية تكون أمرين:-
الأول: أن يكون الأمر الولائي مما اقتضته المصلحة العامة (٢٩).

الثاني: أن يكون ذلك الحكم منسجماً مع سائر أحكام الشريعة الإسلامية (٣٠).
فلا إشكال بأنّ الأحكام الولائية جارية في مساحة المباحات الأولية، وهذا القدر المتيقن لمن آمن بالأحكام الولائية، وإنّما وقع الإشكال والخلاف في توسيع الدائرة لتشمل الأحكام الإلزامية أيضاً، فيكون لولي الفقيه التحريم أو الإيجاب في المباحات، وكذلك يكون له ذلك فيما أوجبه الشارع، كتعطيل الحج إذا اقتضت المصلحة لذلك.

٢٦- الطباطبائي محمد حسين مقالات تأسيسية في الفكر الاسلامي، ٤٥.
٢٧- صرامي، سيف الله، مباني أحكام حكوميّ أز ديدكاه امام خميني، ٧: ٣٥٣، مجموعة آثار كنكرة مباني فقيه حضرت امام خميني، (نقش زمان ومكان در اجتهاد).
٢٨- الشيرازي، ناصر مكارم، أنوار الفقاهة، كتاب البيع، ١: ٥٥١، ط١، ١٤١١هـ، المطبعة: العلمية - قم، الناشر: مدرسة الإمام أمير المؤمنين - عجلال -.
٢٩- ط، الحائري، السيد كاظم، أساس الحكومة الاسلامية، ٧٧، ط١، ١٣٩٩هـ، المطبعة: النيل، بيروت.
٣٠- ط، آل حيدر، حيدر، ولاية الفقيه، ١٧١، ط١، ١٤٠٩هـ، المطبعة: سلمان الفارسي، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي.

المبحث الثالث: آراء الفقهاء بتشريع الأحكام الولائية وعلاقتها بالتزام

الحفظي

أولاً: رأي تخصيص الأحكام الولائية في نطاق المباحات الأولية

إنّ هذا الرأي يلتزم في مجال الأحكام الولائية التي يتحرك فيها وليّ الأمر في خصوص نطاق المباحات، فيحقق له أنّ يمنع فعل مباح أو يأمر به، وليس له المنع من فعل واجب، أو الأمر بفعل حرام ومن أنصار هذا الرأي، بل على رأسهم السيد الصدر حيث قال^(٢١): (فأي نشاط وعمل لم يرد نص تشريعي يدل على حرمة، أو وجوبه يسمح لوليّ الأمر بإعطائه صفة ثانوية بالمنع عنه، أو الأمر به، فإذا منع الإمام عن فعل مباح بطبيعته أصبح حراماً، وإذا أمر به أصبح واجباً، وأما الأفعال التي ثبت تشريعاً تحريمها بشكل عام كالزنا مثلاً، فليس من حق وليّ الأمر الأمر بها، كما أنّ الفعل الذي حكمت الشريعة بوجوبه كإنفاق الزوج على زوجته لا يمكن لوليّ الأمر المنع عنه؛ لأنّ طاعة أولي الأمر مفروضة في الحدود التي لا تتعارض مع طاعة الله وأحكامه العامة).

ودليلهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. (النساء/٥٩). على ضوء هذه الآية يرون أنّ المنع من الواجب، أو الأمر بالحرام يكون مخالفاً لصريح ما أمر الله تعالى، وهو وجوب طاعة الله ورسوله، وذلك بإطاعة الأوامر والنواهي، ولذا يجب أنّ تكون طاعة وليّ الأمر لا يخالف طاعتهما وعليه تكون إطاعة وليّ الأمر في مساحة المباحات فقط.

ثانياً: رأي شمول دائرة الأحكام الولائية لساحة الالتزامات.

هذا الرأي يلتزمه الإمام الخميني حيث يرى إنّ سلطة وليّ الفقيه وأحكامه الولائية لا تنحصر بدائرة المباحات فقط، بل تشمل دائرة الالتزامات، وإنّ حكم الولي الفقيه يقدّم على جميع الأحكام الإلهية الفرعية حيث قال: (لا تنحصر ولاية الفقيه بالأحكام الأولية والثانية وحسب، بل يتقدّم حكم الفقيه الولي على جميع الأحكام الإلهية الفرعية، فالحكومة قادرة على منع الحج الذي هو من الفرائض الإلهية المهمة مؤقتاً إذا كان في ذلك صلاح البلد الإسلامي)^(٢٢).

وسبب ذلك تغير ماهية موضوعات الأحكام الشرعية، وتأثرها بالزمان والمكان وصرح أيضاً بقوله: (إنّ الزمان والمكان عنصران فاعلان في الإجتهد، فالمسألة التي كان لها في القديم حكم في الظاهر يمكن أن يكون لها حكم جديد من خلال العلاقات الحاكمة على السياسة والمجتمع والاقتصاد في نظام من الأنظمة، بمعنى أنّ المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، تجعل الموضوع الحالي -الذي هو بحسب الظاهر لا يختلف عن الموضوع الأول -موضوعاً جديداً واقعاً، وهو يستدعي تلقائياً حكماً جديداً)^(٢٣).

٢١- الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، ٧٢٦، دار التعارف للمطبوعات، ط ١، ١٩٧٩م.

٢٢- الخميني، روح الله، صحيفة نور، مجموعة آثار امام خميني، ٢٠: ١٧٠-١٧١، مؤسسة تنظيم ونشر آثار امام خميني، ط ٤، ١٣٨٥ هـ ش.

٢٣- الخميني، روح الله، صحيفة نور، مجموعة آثار امام خميني، ٢١: ٩٨.

ومعرفة أي الرأيين هو الأصح، لا بد من الوقوف على حقيقة هذه الأحكام -الأحكام الولائية- التي يصدرها وليّ الأمر حسب السلطة، حتى يشرع هذه الأحكام، فهل هي تثبت له بمقتضى تلك الولاية فيشرع تلك الأحكام، أم هي سلطة لتشخيص الموضوعات العامة، وتحديد الأهم عند حصول التزاحم بين المصالح العامة والخاصة للمجتمع الإسلامي؟.

على الرأي الأول: أي يحق لولي الأمر التشريع بمقتضى الولاية فقط في ساحة المباحات؛ لأنّ سلطة التشريع للأحكام لا يمكن أن تتعدى ذلك وإلا لكانت شاملة للواجبات والمحرمات للزم منه الأمر بالنقيضين؛ لأنّ من باب يأمرنا بوجوب طاعة الله ورسوله في أوامره ونواهيه، وفي الوقت نفسه يأمرنا بإطاعة ولي الأمر الذي دلّ عليه صريح الآية، ولا يمكن أن يأمرنا بإطاعة أوامره ونواهيه، وفي الوقت نفسه يأمرنا بإطاعة ولي الأمر إذا أمر ونهى بما يخالف لما أمر به وأما على الرأي الثاني: أي له الحق في تشخيص الموضوعات العامة وتحديدتها عند حصول التزاحم فهذا ليس من التشريع بشيء، بل هو من باب التطبيق أي تطبيق الحكم الكلي على موضوعه وبما أن ماهيات الموضوعات تتبدل وتتغير، فيكون بنفسه موجبا للتبدل والتغير للأحكام التي كانت ثابتة لموضوعاتها، وعليه لا معنى لحصر سلطة الأحكام الولائية بمحدود المباحات، فكما أنّ الشيء المباح بعنوان كذلك لا ينافي حرمة أو وجوبه بعنوانين أخرى، وكذلك الشيء الحرام أو الواجب بعنوان لا ينافي المنع منه أو إباحته بعنوانين أخرى، وعليه لا وجه للتفصيل بين الإلزامات الأولية والمباحات الأولية.

والصحيح من هذين الرأيين هو الرأي الثاني؛ لأنّ ما يثبت للولي الفقيه بمقتضى ما يثبت له من الولاية لم يكن من سنخ ولاية التشريع الثابتة لله سبحانه وتعالى، فإنّ مثل هذه الولاية منحصرة به وحده، ولا يمكن لغيره أن يشاركه فيها ولا يعقل فيها التفويض، ويكون دور الفقيه هو الكشف عن تلك التشريعات وإبرازها وإظهارها عن طريق إدراكه للمصالح العامة المستفادة من هدي التشريعات الإلهية، ومن أغراضه التشريعية (٣٤).

فان تلك المصالح التي تتأثر بالظروف والمتغيرات التي توجب تغيير الأحكام تبعاً لتغير تلك الملاكات، (فإنّ الأحكام منوعة بالمصالح والمصالح تتغير بتغير الأوقات وتختلف باختلاف المكلفين، فجاز أن يكون الحكم المعين مصلحة لقوم في زمان فيؤمر به، أو مفسدة لقوم في زمان آخر فينهى عنه) (٣٥).

وبما إنّ المصالح والمفاسد عرضة للتبدل والتغير، لا يمكن للشارع أن يضعها في إطار تشريعي محدد، وعليه أطلق على هذه الأحكام بالأحكام المتغيرة، في مقابل الأحكام الثابتة، وتبين من ذلك أنّ الأحكام سواء كانت ثابتة أو متغيرة فهي أحكام إلهية كغيرها، ولا يوجد أي فرق بينهما من هذه الجهة.

وأما ما ذكره الإمام الخميني أنّ أحكام ولي الأمر -الفقيه- مقدم على جميع الأحكام الإلهية، قد يتوهم ان ما يصدره وليّ الأمر من أحكام هي تختلف عن الأحكام الإلهية، ولكن مقصوده غير ذلك؛ لأنّه صرح بأنّ كلا الحكمين من سنخ واحد فقال: (ولاية الفقيه والأحكام الولائية من الأحكام الأولية) (٣٦).

٣٤- ظ، الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة ٤١-٤٥.

٣٥- الحلي، أبو المنصور الحسن بن يوسف بن المطهر، كشف المراد، ٣٨٥، تحقيق: السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، ط ٤، ١٣٧٣ ش، المطبعة: إسماعيليان - قم، الناشر: إشارات شكوري، قم.

٣٦- الخميني، روح الله، صحيفة تور، مجموعة آثار الإمام الخميني، ٢٠: ٧٤.

ويبين أنه لا يوجد وجه للتخصيص دائرة الأحكام الولائية بإطار المباحات الأولية، بل هي عامة وشاملة لكل الأحكام الالهية؛ لعدم لزوم محذور.

وكذلك أنّ الأحكام الولائية أساسها المصالح العامة للمجتمع الإسلامي، وهو نفس تعلق غرض الشارع والتي تكون حاكمة على المصالح الخاصة المرتبطة بأحاد المكلفين، وبما أنّ هذه المصالح تتأثر وتتبدل بتبدل الزمان والمكان، فإنّ الأحكام الولائية تتبدل وتتغير حسب تغير ماهيات الموضوعات، لا أنّ المكان والزمان يوجبان ذلك، ولذا فأى تبدل وتغير بالموضوع يقتضي تبدل الحكم الشرعي وفقه، فمثلاً: آلة الشطرنج كان موضوعاً للحرمة بلحاح كونه آلة قمار وهو، فإذا تبدل إلى آلة تنشيط الفكر فهذا أصبح موضوعاً جديداً غير الذي تعلق به الحرمة أولاً، وإنّ كان العنوان واحداً، فإن مع تغير الموضوع لم يبق محذور في تعلق حكم مخالف لما تعلق به أولاً وهو واضح.

ثالثاً: التزام الحفظي في تفسير الأحكام الولائية

مما تقدم عرفنا أنّ الأحكام الولائية تعمل بدائرة المصالح العامة وحفظ النظام، إذن كيف نوجه تلك الأحكام بحيث تكون منسجمة مع الأحكام الأخرى تماماً، لأنّ بعض الأحكام الولائية قد تؤدي في دائرة المباحات إلى تحريم الحلال، أو تحليل الحرام أو يحرم ما هو مباح أو يوجب، وفي دائرة الإلزامات بإباحة ما هو واجب أو حرام، أو إيجاب ما هو محرم، أو تحريم ما هو واجب حسب ما يراه الفقيه الولي رعاية للمصلحة العامة، والذي يؤدي إلى فوات الغرض التي شرع به تلك التشريعات، فالحلّ يكمن في التزام الحفظي؛ لأنّ هي تفترض وجود غرضين شرعيين، ووقع التزام بينهما في مقام الحفظ، وترجيح الأهم من تلك الأغراض، ويتضح من ذلك أنّه لا تنافٍ بين الأحكام الواقعية والولائية؛ لأنّ الأحكام الولائية تكون على وفق المصالح العامة، وعند تزامنها في مقام الحفظ مع المصالح الفردية، فسوف يقدم المصالح العامة؛ لأنّها أهم بنظر الشارع من غيرها (٣٧).

فعمل الولي الفقيه هو فقط يعمل بقاعدة الأهم والمهم عند التزام، وهذا ما قال به الشيخ مكارم الشيرازي: (فولاية الفقيه ترجع بالمآل إلى مراعاة الأهم فالأهم شرعاً) (٣٨). فهذا التفسير ينسجم مع كلا الرأيين المتقدمين في تحديد دائرة الأحكام الولائية.

فعلى الرأي الأول - تحديد الدائرة في المباحات - : إنّ حفظ الغرض الأهم يتطلب حكماً الزامياً، فإذا كانت تلك المباحات من قبل المباحات اللاإقتضائية إذا لا يوجد ما يحول دون الحكم بالإلزام بهذه الحالة. وإن كانت مباحات اقتضائية، فسوف يقع التزام في مقام الحفظ بين الغرضين، أحدهما متعلق بالمباحات، والآخر متعلق بحفظ المصلحة العامة، ولا شك في الحالة يكون الترجيح للغرض الأهم، وإذا لم يكن كذلك فلا مبرر لجعل الحكم الولائي؛ لأنّ جعل الأحكام الولائية مشروطة بمراعاة المصالح العامة.

وعلى الرأي الثاني - سعة الدائرة لتشمل موارد الأحكام الإلزامية - : فيكون جعل الحكم الولائي أيضاً نتيجة التزام الحفظي بين الأغراض اللزومية للأحكام الشرعية الأولية وبين الغرض اللزومي الآخر التي جعل

٣٧- ط، المنصوري، أيا، نظرية التزام الحفظي، ٣٤١-٣٤٢.

٣٨- الخميني، روح الله، صحيفة نور، مجموعة آثار الامام الخميني، ٢٠: ٧٤.

على وفقه الحكم الولائي - هي المصلحة العامة - فيقدم في مقام الحفظ المصلحة العامة، وإلا لما كانت موجبة لجعل الحكم الولائي.

ولا يشك أحد بترجيح غرض المصالح العامة على الأغراض الزلومية المرتبطة بآحاد المكلفين، وهذا التفسير الأصح لتبرير جعل الأحكام الولائية، وبيان طبيعتها، والملاكات المتقتضية لها، من دون حاجة إلى دعوى فيها تكلف بتبدل ماهية الموضوعات؛ لأنّ تبدل الموضوع لا يقتضي من زوال الحكم الأولي، إنّ انقلاب الخمر خلا، لا يقتضي أكثر من نفي الحرمة، وأما اثبات حكم آخر للموضوع الجديد، فهو مرتبط بمدى دخوله تحت عنوان آخر ثبت له حكم معين، وهذا لا علاقة له بالأحكام الولائية، بل هو من شأن أي فقيه بما هو فقيه، وإن لم يكن ولياً للأمر^(٣٩).

فإن أساس الذي يقوم عليه الأحكام الولائية: هو وقوع تزامن في مقام الحفظ بين غرضين واقعيين يمثل أحدهما: المصلحة العامة للمجتمع الاسلامي المستفاد من مجموع التشريعات الالهية، ومن روح الشريعة نفسها ويمثل الآخر: المصلحة، أو المفسدة القائمة بهذا الحكم الشرعي، أو ذاك المرتبط بآحاد المكلفين وبالأفراد كأفراد، وعلى هذا يندفع ما يقال: (من أنّه إذا كان المعصوم الذي يعلم الغيب ويعلم ما يريد الله وما لا يريد، لا يملك الصلاحية المدعاة في سعة ولاية الفقيه من التقدم على سائر الأحكام... فكيف تكون ولاية الفقيه مقدمة؟ وكيف يمكن للأحكام أن تعطي الفقيه ليعطل أحكام الله إذا اقتضت المصلحة المفروضة غير مصلحة تطبيق الشريعة؟ وكيف يكون في تعطيل الحكم الشرعي مصلحة للإسلام والمسلمين؟)^(٤٠). ولذا فنظرية التزام الحفظي فسرت أنه لا محذور من جعل الأحكام الولائية؛ لأنّها هي مجرد تقدم الغرض الأهم على غيره عند حصول التزام وليس فيه تعطيل لأي حكم شرعي، بل هو مقتضى الحفاظ على الأحكام الشرعية والأغراض المجعولة بلحاظها، ولا إشكال أنّ المصالح العامة في نظر الشارع أهم؛ لأنّه لوحظ فيها مقدار مساهمتها في تحقيق الغرض العام من الشريعة بكاملها، ولا ينفك عن المصلحة العامة للمجتمع.

وأشار الى ذلك الشيخ الأصفي حيث قال: (فيحق للحاكم أن يفرض المصلحة الاسلامية من الضرائب على أموال المسلمين، كما يحق له أن يدعوهم الى الجهاد أو الدفاع عن حريم الوطن الإسلامي، أو الدخول في سلك الأعمال العسكرية للتدريب والتهيؤ للحرب، أو أي شيء آخر تتطلبه المصلحة الاجتماعية، وإن كان ذلك يؤدي أحيانا الى التضيق على بعض الأفراد بصورة فردية، أو مصادرة حرياتهم في بعض القضايا التي تتعلق بالمصلحة الاجتماعية، فإنّ للمصلحة الاجتماعية الأولوية على حق الفرد في الحرية، كما أنّ للمصلحة الاجتماعية الأولوية إذا ما تعارضت مع المصلحة الفردية)^(٤١).

الخاتمة وأهم النتائج

من خلال البحث استطعت أن أخرج ببعض النتائج أهمها:
أولاً: أن لنظرية التزام الحفظي دوراً كبيراً في بيان حقيقة الأحكام الظاهرية:

^{٣٩} - المنصوري، أياذ، نظرية التزام الحفظي، ٣٤٣-٣٤٤.

^{٤٠} - الفقيه، مفيد، ولاية الفقيه، ٢٥٦، ط١، ١٤٢٥ هـ، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

^{٤١} - الأصفي، محمد مهدي، موقع دار الولاية للثقافة والاعلام، ٢٠٠٧ م.

- ١- من جهة سبب جعلها: وهو التزام بين الأغراض الواقعية في مقام الحفظ، بسبب عدم وصول التشريعات الإلهية الى المكلف، مما أدى الى الإختلاط فيما بينهما عنده.
 - ٢- من جهة الهدف من جعلها: وهو حفظ الغرض الواقعي الأهم.
 - ٣- من جهة الدور التي تقوم به: وهو تعيين وكشف عن الغرض الأهم.
 - ٤- من جهة المبادئ: فهي مبادئ الأحكام الواقعية نفسها.
- وفي حالة حصول التزام في المقام فخسارة بعض الأغراض لا مفر منه.
- ثانياً: أن للالتزام الحفظي دوراً مهماً في تفسير الأحكام الولائية، فنجد أن بعض الأحكام الولائية تلزم بفعل من الأفعال أو يلزم بتركه في مورد المباحات- على مبنى من قال بتحديد دائرته بساحة المباحات- قد يخلق نوعاً من التنافي بين الحكمين، خصوصاً إذا كانت المباحات إقتضائية فيؤدي الى إجتماع الضدين، أو يلزم منه المنع من فعل حكم الشارع بوجوبه- على مبنى من قال بتوسيع دائرته لتشمل الإلزام- فيخلق تنافياً بين الحكمين فيلزم إجتماع الضدين، هذا يحصل نتيجة عدم فهم طبيعة الأحكام الولائية، فنظرية التزام الحفظي هي محل الشبهات كلها؛ لأن طبيعة هذه النظرية وما تقوم عليه من إفتراض وقوع التزام بين الأغراض الواقعية للتشريع الإلهي يتضح له ذلك، فإن خلو أي شريعة من مثل هذه الأحكام يعد خلافاً فيها، لا أن وجودها خللٌ في الشريعة، فوجود هذه الأحكام يعد أمراً ضرورياً يقتضيه التشريع الإلهي، ويعد أيضاً عنصراً من عناصر تكاملها وإستمرارها؛ لأنها تقوم على أساس وجود غرضين واقعيين وقع التزام بينهما في مقام الحفظ، الغرض الأول المتمثل بالحكم الأولي والثاني الغرض الذي إقتضى جعل الحكم الولائي، وهو الغرض الأهم حسب الفرض؛ لأنه شرع من أجل حفظ الغرض الأهم وهو المصلحة العامة ولأن المصلحة العامة مرتبطة بالمجتمع، والمصلحة الخاصة مرتبطة بالفرد ولزوم مراعاة المصلحة العامة على الخاصة.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
١. ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
٢. ابن منظور، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن عليّ بن أحمد بن أبي القاسم بن حبة بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
٣. الأردبيلي، أحمد المحقق، مجمع الفائدة، تحقيق: الحاج آقا مجتبي العراقي والحاج شيع علي بناء الأشتهار روي والحاج آقا حسين اليزدي الاصفهاني، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.
٤. آل حيدر، حيدر، ولاية الفقيه، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، المطبعة: سلمان الفارسي، الناشر: مجمع الفكر الاسلامي.

٥. التبريزي، الميرزا جواد، صراط النجاة، تحقيق: موسى مفيد الدين عاصي العاملي، الناشر: دفتر نشر بركزيده، المطبعة: سلمان الفارسي، الطبعة الأولى، جمادي الأول ١٤١٦ هـ.
٦. الحائري، السيد كاظم، أساس الحكومة الاسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ، المطبعة: النيل - بيروت.
٧. حب الله، علي، دراسات في فلسفة أصول الفقه والشرعية نظرية المقاصد، الناشر: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
٨. الحلي، العلامة أبو المنصور الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦ هـ)، كشف المراد، تحقيق: السيد ابراهيم الموسوي الزنجاني، الطبعة الرابعة، ١٣٧٣ ش، المطبعة: اسماعيليان، قم، الناشر: انتشارات شكوري، قم.
٩. الخامنئي، السيد علي، أجوبة الاستفتاءات، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الناشر: دار النبأ للنشر والتوزيع.
١٠. الخميني، روح الله، صحيفة نور، مجموعة آثار امام خميني، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار امام خميني، الطبعة الرابعة، ١٣٨٥ هـ ش.
١١. الساتر، حسن عبد، بحوث في علم الأصول، تقرير أبحاث السيد الصدر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، المطبعة: ستارة، قم، إيران.
١٢. الشيرازي، ناصر مكارم، أنوار الفقاهة، كتاب البيع، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ، المطبعة: العلمية - قم، الناشر: مدرسة الامام أمير المؤمنين - عليه السلام.
١٣. الصدر، محمد باقر، أصول الدستور الاسلامي، أساس ٨، ص ٤٥، المنشور ضمن كتاب، ملاط، شبلي، تحديد الفقه الاسلامي، ترجمة غسان غصن، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
١٤. الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الحادي عشر، ١٩٧٩ م.
١٥. صرامي، سيف الله، مباني أحكام حكومتي أز ديدكاه إمام خميني، مجموعة آثار كنكرة مباني فقيه حضرت إمام خميني، (نقش زمان ومكان در اجتهاد).
١٦. الطباطبائي، السيد علي، رياض المسائل، الناشر: مؤسسة آل البيت - عليه السلام - للطباعة والنشر، المطبعة: الشهيد - قم - ايران، الطبعة الحجرية ١٤٠٤ هـ.
١٧. الطباطبائي، محمد حسين، مقالات تأسيسية في الفكر الاسلامي، ترجمة: جواد علي كسار، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ، الناشر: مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر.
١٨. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري (ت ١٧٠ هـ)، العين، دار آل هلال.
١٩. الفقيه، مفيد (ت ٤١٣ هـ)، ولاية الفقيه، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٢٠. الفياض، محمد إسحاق، محاضرات في أصول الفقه، تقرير لأبحاث السيد أبو القاسم الخوئي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

٢١. المقرئ الحموي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠)، المصباح المنير، مؤسسة دار الهجرة، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

٢٢. المنصوري، أياد، نظرية التزام الحفظي، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة دار مدين للنشر والطباعة، مطبعة سرور، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٢٣. هلال، هيثم، معجم مصطلح الأصول، تعريفات لغويه، شروحات لكتب الأصول، مراجعة.

٢٤. وتوثيق محمد النوبختي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، طبع ونشر وتوزيع: دار الجبل.

المجلات والمواقع الإلكترونية:

١. الآصفي، محمد مهدي، موقع دار الولاية للثقافة والاعلام، ٢٠٠٧ م.

٢. بري، باقر، منطقة الفراغ التشريعي من منظور الشهيد الصدر، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد ٧،

١٩٩٩ م.

دور جمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية

Role of the Assembly of States Parties to the International Criminal Court

م.د. ياسر عامر المختار^(١) Lect. Yassir Amir Al-Mukhtar

الملخص

تشكل جمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية الهيئة التشريعية والرقابية العليا لهذه المحكمة، ويعود إليها اختصاص تعديل النظام الأساسي للمحكمة، كما تختص بإصدار القرارات والمقررات التي تنظم سير عمل هذه المحكمة، وكذلك هي المشرف العام تنظيمياً وإدارياً ومالياً على أجهزة المحكمة كلها، بحكم دورها الرقابي الذي تمارسه، ولكنها ليست جهازاً من أجهزتها من الناحية التنظيمية، كما أنها ليست هيئة أعلى مرتبة منها، وإنما ارتبطت بالمحكمة لأن الدول الأعضاء فيها ترسم السياسة العامة للمحكمة. والعضوية في هذه الهيئة مقتصرة على الدول التي تتمتع بكامل الحقوق العضوية والتي صادقت على النظام الأساسي للمحكمة، أما الدول التي وقعت الوثيقة الختامية لمؤتمر روما تمتاز بعضوية المراقبة فقط. تتمتع الدول الأعضاء ضمن جمعية الدول الأطراف بمزايا مناقشة بنود النظام الأساسي، ولها الحق في المشاركة وإبداء الرأي في أي تعديل يطرأ عليه، كما أن أحكام النظام الأساسي أعطتها الحق دون غيرها بأجراء أي تعديلات على بنوده، والقبول بقائمة تكون أكثر شمولاً للجرائم الدولية التي تعد من اختصاص المحكمة؛ وهذه المزايا تصب في مصلحة الدول وتدفعها بأن تكون عضواً في هذه الجمعية.

تقوم جمعية الدول الأطراف بتسوية المنازعات الدولية بشأن تفسير وتطبيق النظام الأساسي للمحكمة، وذلك بمتابعة المسألة عن كثب وإصدار توصيات للدول المتنازعة لحل النزاع بالطرق السلمية الدبلوماسية القانونية، وإن لم تكن التوصيات ملزمة للدول المتنازعة إلا أنها ذات اعتبار في مسألة التنازع. ونرى أنه يجب إعادة النظر بالنسبة إلى القرارات التي تصدرها جمعية الدول الأطراف كونها غير ملزمة، إذ يجب أن تكون ملزمة على جميع الدول الأطراف.

١ - مركز الدراسات الاستراتيجية / جامعة كربلاء.

أن هذه الجمعية تفتقر إلى العقوبات التي يجب ان تفرضها على أعضائها؛ لكي تجبرها على تنفيذ قراراتها، وهذا ما يؤدي بالنهاية إلى عدم امتثال الدول إلى تلك التوصيات، مما قد يؤثر على عمل الجمعية بصورة عامة. وعليه يجب على الجمعية تعديل نظامها الداخلي من خلال فرض عقوبات على الدول الأعضاء في حال عدم امتثالهم لقراراتها، مثل فرض غرامات مالية، أو تعليق عضويتها. الكلمات المفتاحية: جمعية الدول الأطراف، المحكمة الجنائية الدولية، اختصاصات جمعية الدول الأطراف.

Abstract

The Assembly of States Parties in the International Criminal Court forms the Supreme legislative and regulatory Commission of this court. It is specialized in the amendment of the court's statute, as well as issuing the decisions related to the court's work. It is considered the supervisor of the organization, management and the finance of the court's organs, based on its function as censorship. However, it is not an organ in the structure of the court nor higher in rank. The affiliation of the commission is based on the country members who shape the general policies of the court. The membership in this commission is based on the complete rights of membership that the countries who approved the statute of court.

المقدمة

تشكل جمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية الهيئة التشريعية والرقابية العليا لهذه المحكمة، ويعود إليها اختصاص تعديل النظام الأساسي للمحكمة، كما تختص بإصدار القرارات والمقررات التي تنظم سير عمل هذه المحكمة، وكذلك هي المشرف العام تنظيمياً وإدارياً ومالياً على أجهزة المحكمة كلها، بحكم دورها الرقابي الذي تمارسه، ولكنها ليست جهازاً من أجهزتها من الناحية التنظيمية، كما أنها ليست هيئة أعلى مرتبة منها، وإنما ارتبطت بالمحكمة لأن الدول الأعضاء فيها ترسم السياسة العامة للمحكمة. والعضوية في هذه الهيئة مقتصرة على الدول التي تتمتع بكامل الحقوق العضوية والتي صادقت على النظام الأساسي للمحكمة، أما الدول التي وقعت الوثيقة الختامية لمؤتمر روما تمتاز بعضوية المراقبة فقط. تتمتع الدول الأعضاء ضمن جمعية الدول الأطراف بمزايا مناقشة بنود النظام الأساسي، ولها الحق في المشاركة وإبداء الرأي في أي تعديل يطرح عليه، كما أن أحكام النظام الأساسي أعطتها الحق دون غيرها بأجراء أي تعديلات على بنوده، والقبول بقائمة تكون أكثر شمولاً للجرائم الدولية التي تعتبر من اختصاص المحكمة؛ وهذه المزايا تصب في مصلحة الدول وتدفعها بأن تكون عضواً في هذه الجمعية^(٢).

إنَّ الدول التي تخلفت عن توقيع النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية والمصادقة عليه، سیرتد عليها ذلك سلباً، وستدفع ضريبة أحجامها عن ذلك، وهي بعدم مشاركتها في إقرار قواعد الإثبات والقواعد

٢- مأمون الخصاونة، مجلة الإنساني، إصدار اللجنة الدولية للصليب الأحمر، العدد الرابع والعشرون، ربيع/٢٠٠٣، ص ٢٧ أيضاً عامر الزمالي، مجلة الإنساني، إصدار اللجنة الدولية للصليب الأحمر، العدد السابع عشر، تموز - آب/٢٠٠١، ص ٢٢.

الإجرائية، وإقرار وتحديد أركان الجرائم، وعدم مشاركتها في ترشيح القضاة والمدعي العام واختيارهم، ولا يتسنى لها ولا تستطيع المشاركة في تعريف العدوان، الذي إذا ما تم تحديده سيخول المحكمة ممارسة اختصاصها في محاكمة المعتدين ومرتكبي جرائم العدوان ومعاقبتهم^(٣).

إنَّ ارتباط جمعية الدول الأطراف بالمحكمة الجنائية الدولية هو ارتباط وثيق. حتى وإن لم تكن جهازاً من أجهزتها الرئيسة التي نصت عليها المادة (٣٤) من النظام الأساسي للمحكمة، إذ أشارت إلى أن المحكمة تتكون من أربعة أجهزة:

أ- هيئة الرئاسة.

ب- شعبة ما قبل المحاكمة أو الشعبة التمهيدية وشعبة الاستئناف.

ت- مكتب المدعي العام.

ث- قلم كتاب المحكمة أو الجهاز الإداري للمحكمة.

تتمحور إشكالية هذا البحث حول الدور الفعلي لجمعية الدول الأطراف داخل المحكمة الجنائية الدولية، من حيث فرض الضوابط والتعليمات والعقوبات في حال مخالفة الدول الأطراف للنظام الأساسي للمحكمة، إضافة إلى مدى الزامية قراراتها وتعليماتها.

أما منهجية البحث، فقد استندنا على التقسيم الثنائي، من خلال تقسيمه على مبحثين، يتناول الأول مكتب جمعية الدول الأطراف وأمانتها، الذي قمنا بتقسيمه على مطلبين، الأول هو أمانة جمعية الدول الأطراف، والثاني تأليف جمعية الدول الأطراف. أما المبحث الثاني فقد تناول اختصاصات جمعية الدول الأطراف، والذي أيضاً قسمناه على مطلبين، الأول دور الجمعية في الشؤون الإدارية والتأديبية، والثاني دور الجمعية في تسوية المنازعات، ومن ثم أننا البحث بخاتمة تضمنت جملة من الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: مكتب جمعية الدول الأطراف وأمانتها

إنَّ الدول التي صادقت على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، أو التي انضمت إليه بعد اقراره ونفاذه، هي الدول التي يحق لها أن تتمتع بعضوية الجمعية. أما بقية الدول التي وقعت على النظام الأساسي أو التي وقعت على الوثيقة الختامية لمؤتمر روما، فأما تتمتع بحق حضور اجتماعات الجمعية بصفة مراقب، أي أن لها حق المشاركة، وليس حق التصويت^(٤).

وتحتاج المحكمة الجنائية الدولية بصفتها كائناً قانونياً إلى هيكل تتكئ عليه، وتعتمد عليه في سيرها، وهذا الهيكل يتكون من أجهزة رئيسية جاء النص عليها في ميثاق روما، وأجهزة ثانوية أو فرعية يتم أنشاؤها

٣- سوسن تمر خان بكه، الجرائم ضد الإنسانية في ضوء أحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٨١.

٤- المادة (١/١١٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، والمادة (٩٢) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

من قبل الأجهزة الرئيسية، وهذه الأجهزة تضطلع بدور مهم في تسيير المحكمة وفرض إرادتها باسم المحكمة ولصالحها^(٥).

نتناول خلال هذا المبحث في مطلبه الأول تكوين مكتب جمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية من خلال المطلب الأول منه، بينما في مطلبه الثاني أمانة جمعية الدول الأطراف.

المطلب الأول: مكتب جمعية الدول الأطراف

سوف نتناول مكتب جمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية على فرعين، الأول هو تأليف مكتب جمعية الدول الأطراف واجتماعاتها، والثاني اختصاصات رئيس مكتب الجمعية.

الفرع الأول: تأليف مكتب الجمعية واجتماعاتها.

يتكون مكتب جمعية الدول الأطراف من واحدٍ وعشرين عضواً، وهم رئيس ونائبان للرئيس وثمانية عشر عضواً، ويتم انتخابهم لمدة ثلاث سنوات من بين ممثلي الدول الأطراف في الجمعية. ونص تقرير اللجنة التحضيرية المقدم إلى مؤتمر الأمم المتحدة الدبلوماسي المعني بإنشاء المحكمة الجنائية الدولية إلى وجود نائب واحد لرئيس المكتب لكنه أشار إلى إمكان أن يكون أكثر من نائب واحد للرئيس وإلى إمكانية جواز النص على إجراء زيادة أعضاء المكتب، إلا أن النظام الأساسي للمحكمة أبقى عدد أعضاء المكتب ثمانية عشر عضواً، كما جاء في تقرير اللجنة، ولكنه أضاف نائباً ثانياً لرئيس المكتب. وسرى في أوساط بعض الوفود المشاركة في المؤتمر رأي يدور حول إمكانية معالجة مسألة تأليف المكتب وتشكيله في النظام الداخلي للجمعية. وتم إقرار أن يكون عدد أعضاء المكتب ثمانية عشر عضواً بالإضافة إلى الرئيس ونائبين له. ويتم انتخاب جميع أعضاء مكتب الجمعية من قبل الجمعية نفسها وبالاقتراع السري ولمدة ثلاث سنوات، وقد طالبت بعض الوفود بوجود أن تكون الانتخابات تعاقبية، على أن يتناول النظام الداخلي للجمعية ذلك الأمر^(٦). ويمكن للجمعية، إذا ما قررت دون اعتراض من أحد، أن تختار على قاعدة توافق الآراء وبدون اقتراع، مرشحاً متفق عليه أو حتى قائمة مرشحين متفق عليها^(٧)، إلا أنه لم يتم تحديد عدد الاصوات اللازمة لانتخاب أعضاء مكتب الجمعية كما في انتخاب قضاة المحكمة والمدعي العام ونوابه^(٨).

وأنخب الأمير الاردني (زيد بن رعد) وهو دبلوماسي في الأمم المتحدة، رئيساً للمكتب بالإجماع ولمدة ثلاث سنوات، في الدورة الأولى التي عقدتها الجمعية من (٣-١٠/ أيلول). كما تم انتخاب كل من السيد

٥- تلعب أجهزة المنظمات الدولية دوراً هاماً في تسييرها، إذ من الثابت أن إرادة أي شخص من أشخاص القانون الدولي يتم تكوينها والتعبير عنها بواسطة جهاز معين أو عدد من الأجهزة. ويتحدد هذا الجهاز بواسطة قواعد القانون الداخلي واجبة التطبيق في هذا الخصوص. أحمد أبو الوفا، الحماية الدولية لحقوق الإنسان في إطار منظمة الأمم المتحدة والوكالات الدولية المتخصصة، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣٨.

٦- المادة (٣/١١٢ - أ) من النظام الأساسي للمحكمة، والمادة (١/٢٩) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف. تقرير اللجنة التحضيرية لإنشاء محكمة دولية جنائية، الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة الدبلوماسي للمفوضين المعني بإنشاء محكمة دولية جنائية، روما، ١٥ حزيران - ١٧ تموز ١٩٩٨، ص ٦٨.

٧- المادة ٧٨/ من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٨- المادة (٦/ ٣٦ - أ) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

بأوليلو أوروغواي والسيد سيراليون نائبين لرئيس المكتب. وترأس الأمير زيد آنذاك عدة لجان خلال المشاورات الرسمية وغير الرسمية للجنة التحضيرية للمحكمة، وعمل على إعداد النظام الأساسي للمحكمة وصياغته^(٩). وتبين أنه يوجد إجماع من الدول الأطراف للجمعية على تأييد فكرة انتخاب مسبق لرئيس الجمعية المقبل، وقبل بدء فترة ولايته الفعلية، كرئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة. وكان المنسق السيد كريستيان موخ قد قام بأجراء مشاورات غير رسمية مع الدول الأطراف بشأن عضوية المكتب المقبلة. وجاء في تقريره أن عملية الانتخاب المسبق ستعطي للرئيس المقبل للجمعية فرصة المشاركة في اجتماعات المكتب، كما يشارك في شؤون المحكمة الجنائية الدولية، مما يوفر له الإلمام الكافي بمسؤولياته. والجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من مندوبي الدول الذين شاركوا في المشاورات وتجاوزوا مع المنسق السيد موخ، كانوا على استعداد مبدئي لانتخاب الرئيس المقبل للجمعية قبل موعد تسلمه ولايته عدة لا تتعدى السنة الواحدة؛ بينما فضل عدد قليل من الدول الأطراف في الجمعية إجراء الانتخاب قبل موعد الولاية الفعلية ببضعة أشهر^(١٠).

وفيما يتعلق بإجراء انتخابات مسبقة لعضوية مكتب الجمعية فقد رأت الدول الأطراف في الجمعية أنه ليس من الضروري إجراء مثل هذه الانتخابات لأي منصب غير منصب رئيس المكتب. كما لم يسجل أي اعتراض على اقتراح دعوة رئيس سابق للجمعية للمشاركة في اجتماعات المكتب بصفة مراقب.

وحول انتخاب الرئيس ونائبيه أو اختياراتهم لم ترد أي إشارة توضح هذه العملية، هل هي عن طريق جمعية الدول الأطراف عند انتخاب أعضاء مكتب الجمعية في المرحلة الأولى، أو يتم اختيارهم من بين الأعضاء المنتخبين أو من قبلهم كمرحلة ثانية؛ وتجدر الإشارة هنا، إلى أن النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية وقواعد الإثبات والقواعد الإجرائية، وكذلك النظام الداخلي للجمعية، لم تذكر أي آلية لانتخاب رئيس مكتب ونائبيه أو اختياراتهم. ولعل المركز الحساس الذي يشغله رئيس المكتب بشكل خاص ونائبه بشكل عام أدى إلى هذا النقص في تحديد آلية انتخابهم، إذن المراد من وراء ذلك هو حصول توافق في لآراء حول التصويت وعدم اللجوء إلى قاعدة الأغلبية في عملية الانتخاب أو الاختيار^(١١).

ويفضل أن يتم اختيار رئيس مكتب الجمعية بتوافق الآراء من قبل أعضاء المكتب المنتخبين بعد انتخابهم مباشرة كمرحلة أولى، وإذا تعذر التوصل إلى توافق في الآراء عندها يتم اللجوء إلى الانتخاب، إما بالأكثرية العادية - النصف زائد واحد - أو بأكثرية الثلثين لأعضاء المكتب المنتخبين من قبل جمعية الدول الأطراف، أي انتخابهم من قبل أعضاء المكتب كمرحلة ثانية.

وبالنسبة إلى عملية توزيع مقاعد العضوية اعتمد ميثاق روما مبدأ التوزيع الجغرافي العادل وهو معيار ذو طبيعة مزدوجة في توزيع المقاعد في المكتب ما بين الدول الأطراف. إذ يضمن هذا التوزيع تمثيل الدول في مختلف البقاع في العالم. وقد ركزت المنظمات الدولية المعاصرة والتي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية على

٩- الجلسة الأولى المنعقدة في ٣/ أيلول/٢٠٠٢، ولزيادة في التفاصيل على الموقع: www.un.org/law/icc/asp/2ndsession/report/second_reprt_contents.htm.

١٠- تقرير مكتب الجمعية المرفق بمذكرة أمانة جمعية الدول الأطراف المقدم إلى اجتماع الدورة الثالثة لجمعية الدول الأطراف للفترة ٦-١٠/أيلول/٢٠٠٤، تحت عنوان (اقتراح بشأن انتخاب رئيس للجمعية والعضوية المقبلة للمكتب)، ٣١/آب/٢٠٠٤، ص ٣، الوثيقة ICC-ASP/3/24.

١١- تقرير مكتب الجمعية المرفق بمذكرة أمانة جمعية الدول الأطراف المقدم إلى اجتماع الدورة الثالثة لجمعية الدول الأطراف للفترة ٦-١٠/أيلول/٢٠٠٤، المرجع السابق، ص ٣.

استخدام هذا المبدأ لتشكيل أجهزتها بما فيها السكرتارية^(١٢). إذ يعد هذا المبدأ من أهم المبادئ المعتمدة في تشكيل الأجهزة ذات العضوية المحدودة. و لإضفاء ضمانات أخرى لتمثيل مختلف الدول في المكتب، أضاف نظام روما اعتماد التمثيل للنظم القانونية الرئيسة المتبعة في العالم بشكل مناسب، ولم يكتف بمبدأ توزيع المقاعد على الاساس الجغرافي^(١٣).

وتجدر الإشارة هنا انه لم يتم تحديد حصص المجموعات الاقليمية، على الرغم مما أورده النظام الأساسي للمحكمة حول التوزيع العادل لعضوية المكتب بين الدول الأطراف. ولم يخصص نظام روما أي صفة تمييزية لأي دولة طرف مهما كان مركزها الاقتصادي أو ثقافتها السياسي، كما هي العضوية الدائمة في مجلس الامن، إذ خصصها ميثاق الأمم المتحدة وحدد أسماء الدول دائمة العضوية في مجلس الامن في الميثاق^(١٤). وعليه، فأن التمثيل في مكتب الجمعية يركز أن يكون جميع أعضاء المكتب منتخبين من قبل الدول الأطراف في الجمعية.

وخلال دورتها الثالثة المعقودة في لاهاي، عدلت الجمعية المادة (٢٩) من نظامها الداخلي، وهذه المادة تنظم أحكام تكوين مكتب الجمعية ووظيفته، إذ أبقى هذا التعديل على فترة ولاية المكتب وصيغة تمثيله كما هي، وكذلك، نص على إبقاء عدد أعضاء المكتب ونواب الرئيس كما هو عليه. ونص هذا التعديل أيضاً، على أن تنتخب الجمعية رئيس المكتب وأعضائه عند نهاية الدورة العادية، ثم يستأنف رئيس المكتب المنتخب ولايته عند بداية الدورة العادية المقبلة^(١٥).

إذ كان جوهر التعديل منصباً على تنظيم استمرارية عمل مكتب ورئيسه خلال المدة التي تفصل بين الدورات العادية، بحيث لا تنتهي ولايتهم بنهاية مدة السنوات الثلاث المقررة عند انتخابهم.

الفرع الثاني: اختصاصات رئيس مكتب الجمعية.

عدا دوره السياسي والدبلوماسي في العلاقات الخارجية بين الدول الأطراف وغير الأطراف في المحكمة، وفي المؤتمرات والمحافل الدولية، وفي المنظمات الدولية منها وغير الدولية، فإن رئيس مكتب جمعية الدول الأطراف يتمتع باختصاصات تنظيمية وإدارية عدة، ولكنه يبقى أثناء اضطراره في المهمات والممارسات الموكولة إليه تحت سلطة جمعية الدول الأطراف^(١٦)، إذ يتمتع رئيس المكتب بالحق في:

١. إعلان افتتاح كل جلسة عامة من جلسات الدورة واختتامها.

٢. إعطاء الحق في الكلام وطرح الأسئلة، وإعلان القرارات.

١٢- صالح مهدي العبيدي، قانون المنظمات الدولية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٩٢، ص ١١٢.

١٣- المادة (٣/١١٢ - ب) من النظام الأساسي للمحكمة، والمادة (٢/٢٩) من النظام الداخلي للجمعية.

١٤- تقرير مكتب الجمعية المرفق بمذكرة أمانة جمعية الدول الأطراف المقدم إلى اجتماع الدورة الثالثة لجمعية الدول الأطراف للفترة ١٠-١٤/أيلول/٢٠٠٤، المرجع السابق، ص ٢.

١٥- قرار جمعية الدول الأطراف المتخذ في جلستها العامة الخامسة للدورة الثالثة في ٩/أيلول/٢٠٠٤ بتوافق الآراء، بشأن تحسين المادة (٢٩) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف، الوثيقة ICC-ASP/3/Res. 2. Press Release Doc. Third Session of ASP. 007، 9 September 2004، 5th Meeting of ASP. P 1، NO ASP 2004.

والمادة (٢/٣٠) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

١٦- المادة (١/٣٠) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف والتي أشارت إلى بعض الاختصاصات لرئيس المكتب على سبيل الذكر لا الحصر.

٣. إدارة المناقشات في الجلسات العامة مع التركيز على مراعاة أحكام النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.
٤. أثناء مناقشة أي بند، يقترح على جمعية الدول الأطراف تحديد الوقت الذي سيعطى للمتكلمين، وكذلك إقفال باب المناقشة.
٥. تعليق الجلسة أو رفعها أو تأجيل مناقشة البند قيد البحث.
٦. البت في نقاط النظام ويكون له كامل السيطرة على سير كل جلسة وحفظ النظام فيها مع مراعاة نصوص النظام الداخلي للجمعية.
- البت فيما إذا كانت مسألة ما موضوعية أو إجرائية، وعليه أن يطرح على الفور الطعن في هذا القرار على التصويت. ويبقى قرار الرئيس ساري المفعول ما لم تتم الموافقة على الطعن بالأغلبية البسيطة - النصف زائد واحد - من الدول الأطراف الحاضرة والمشاركة في التصويت^(١٧).
٧. ويحق له دعوة دولة غير طرف، وليس لها صفة المراقب، إلى المشاركة في اجتماعات جمعية الدول الأطراف عند بداية أي دورة من الدورات، إلا أن هذه الصلاحية مقيدة بموافقة الجمعية، ولها أيضاً أن تعطي الأذن لممثل تلك الدولة للإدلاء بالبيانات^(١٨).
٨. الدعوة إلى دقيقة صمت للتأمل أو الصلاة فور افتتاح أول جلسة عامة وقبل اختتام آخر جلسة عامة من اجتماعات جمعية الدول الأطراف^(١٩).
٩. يضمن ترجمة جميع التعديلات المقترحة على القواعد الإجرائية وقواعد الإثبات وأركان الجرائم إلى جميع اللغات الرسمية للمحكمة ومن ثمة إحالتها إلى الدول الأطراف في الجمعية.
١٠. يتكفل بانتظام سير الإجراءات في المحكمة، ويضطلع بدور تنظيمي مهم فيها، في عمليات ترشيح كل من قضاة المحكمة والمدعي العام ونوابه، وانتخابهم، علاوة على تحديد مدة الترشيح والانتخاب، وتنظيم عملية الاقتراع^(٢٠).
- إذا تغيب رئيس مكتب جمعية الدول الأطراف عن أي جلسة أو عن جزء من جلسة وأي سبب كان، يحق له أن يعين أحد نائبيه مكانه ليقوم مقامه أثناء الجلسة^(٢١). ويكون للنائب المعين سلطات الرئيس نفسها، وعليه الواجبات نفسها المترتبة على رئيس المكتب^(٢٢). أما إذا عجز رئيس المكتب عن القيام

١٧- المادة (٦٤) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

١٨- المادة (٩٤) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف. وقد دعى رئيس الجمعية الدول التالية التي وُجّهت إليها الدعوة خلال الدورة الأولى للحضور أثناء أعمال الجمعية للدورة الأولى المستأنفة، باستثناء الدول التي أصبحت طرفاً في النظام الأساسي واصلت مشاركتها في الدورات المستأنفة بتلك الصفة وهي بابوا غينيا الجديدة، بالاو، بوتان، تركمانستان، توغو، توفالو، جزر كوك، جمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية، جمهورية لاو الديمقراطية الشعبية، راندا، سانت كيتس ونيفيس، سوازيلند، سورينام، الصومال، غينيا الاستوائية، فانواتو، كيريباس، لبنان، مالديف، موريتانيا، ميانمار، نيوي، ولايات ميكرونيزيا الموحدة. تقرير الدورة الأولى (الاستئناف الأول والثاني) لجمعية الدول الأطراف، منشورات الأمم المتحدة، طبع في قسم طباعة الوثائق، الأمم المتحدة - نيويورك، ٢٠٠٣، ص ١-٢، الوثيقة ICC-ASP/1/3/Add. 1.

١٩- المادة (٤٣) من النظام الداخلي للجمعية. تقرير الدورة الثانية لجمعية الدول الأطراف، منشورات الأمم المتحدة، قسم طباعة

الوثائق، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠٠٣، الوثيقة ICC-ASP/2/10، ص ٤.

٢٠- المادة (٣٣/٧٣)، والمادة (٢/٧٤) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٢١- المادة (١/٣٢) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٢٢- المادة (٢/٣٢) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

بواجباته وأداء مهامه أو شغل منصبه لأي سبب كان، ففي هذه الحالة يتم انتخاب رئيس جديد بدلاً منه، للمدة التي تبت من عمله في المكتب^(٢٣). وفي حال الغياب لا يحق لرئيس المكتب أو النائب الذي يعينه مكانه حق التصويت، بل عليه - أي رئيس المكتب - أن يعين عضواً آخر من أعضاء الوفد الذي معه ليقوم بمحله بالتصويت^(٢٤). ولكي يقوم رئيس المكتب بممارسة المهام والاختصاصات الموكولة اليه بموجب نظام روما والمواثيق الدولية ذات الصلة بالمحكمة على أكمل وجه، ولضمان عدم هيمنته على مجريات التصويت وفرض صوته على بقية أعضاء المكتب، تم اعتماد عدم إعطاء رئيس مكتب جمعية الدول الأطراف أو أحد نائبيه الذي يشغل مكانة الحق في التصويت. ولا يمكن اعتبار رئيس مكتب جمعية الدول الأطراف في عداد الموظفين الدوليين للمحكمة بأي حال من الأحوال، كذلك المعتمد في الأمم المتحدة بالنسبة إلى رئيس الجمعية، ورئيس مجلس الأمن، ذلك أنه فور انتخاب ممثل أي دولة في الجمعية تنشأ حالة من الازدواج الوظيفي، لأنه سوف يكون من جانب ممثل لدولته في الجمعية، ومن جانب آخر رئيساً لمكتب الجمعية، وهي وظيفة إدارية بعده موظفاً دولياً^(٢٥).

من هنا كان حرمان رئيس المكتب من حق التصويت في الجمعية لصالح دولته نظراً إلى الصفة الوظيفية، وتم تجريده من صفته التمثيلية للدولة التي انتدبته، ومن ثم يتوقف عن العمل وفق تعليماتها، ويخضع في مباشرة مهامه وممارستها إلى ما جاء في نظام روما والمواثيق الدولية المرتبطة بالمحكمة^(٢٦).

تعقد جمعية الدول الأطراف، والتي تمثل الدول الأعضاء تمثلاً شاملاً في المحكمة، دورات انعقاد عادية متقطعة يتخللها فترات زمنية كما هو في اجتماعات الوكالات المتخصصة ذات الطابع المالي مثل صندوق النقد الدولي واجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة. أما بالنسبة إلى اجتماعات مكتب جمعية الدول الأطراف، فقد فرضت طبيعة التصويت والمناقشات على المواضيع التي تطرق داخلها وما تتطلبه من اتصالات التي تستغرق وقتاً طويلاً، إلى ضرورة إنشاء جهاز يكون محدود العدد يتحقق له سرعة الحركة لمواجهة المشكلات التي يتم عرضها عليه وتقتضي اتخاذ تدبير أو اقرار مستعجل^(٢٧).

وعلى هذا الأساس تبرز أهمية مكتب جمعية الدول الأطراف المحدود العدد والتشكيل الذي يمكنه أن يقوم بأعباء هذه المهمة وذلك لسهولة استدعائه بصورة عاجلة من ناحية، وبالتالي سرعة التواصل إلى تدبير أو إقرار حول مشكلة معروضة عليه من ناحية أخرى. ولم توضع الفترة الزمنية لعقد اجتماع المكتب، فقد يطول الاجتماع، وقد يكون لمدة يوم واحد فقط. كما يجتمع المكتب كلما كان ذلك ضرورياً، ويقوم بمساعدة الجمعية أثناء الاضطرار بمسؤولياتها، شرط أن لا يقل عدد اجتماعاته عن مرة واحدة بالسنة^(٢٨).

٢٣- المادة (٣٣) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٢٤- المادة (٣١) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٢٥- يتم تحديد مجال عمل الموظف الدولي من خلال قيامه بتنفيذ اتفاق دولي ضمن إطار قانوني دولي، إذ إنه يمارس وظيفته الدولية في مجتمع دولي ولمصلحة مجموعة من الدول يجمعها كيان وتنظيم دولي مشترك. ويقوم بأعباء الوظيفة الدولية شخص - موظف دولي - لا يخضع لأي نظام داخلي لأي دولة من دول الأعضاء في الكيان الدولي المشترك، ذلك أنه أثناء اضطراره بالقيام بمهام وظيفته يرتبط بعلاقة تبعية بالتنظيم الدولي المشترك، وتكون هذه العلاقة محكومة بنظام قانوني يتميز بالدوام والثبات والاستقرار.

٢٦- عصام محمد أحمد زياتي، قواعد تعيين الموظفين الدوليين، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٧.

٢٧- محمد السعيد الدقاي، التنظيم الدولي، المرجع السابق، ص ٨٢ - ٨٣.

٢٨- المادة (٣/١١٢ - ج) من النظام الأساسي للمحكمة، والمادة (٣/٢٩) من النظام الداخلي للجمعية.

من الجائز أن يشارك الأمين العام للأمم المتحدة في اجتماعات مكتب جمعية الدول الأطراف، وهو يستطيع أن يعين عضواً من الأمانة العامة للمشاركة باسمه، وتوصف عضوية المراقب بالعضوية غير المباشرة أو غير الرسمية عند قيام العضو المراقب بالدور الذي يقوم به العضو الدائم. ذلك أنه أثناء التطبيق العملي، يستطيع العضو المراقب أن يؤثر بمختلف الوسائل في بقية أعضاء المكتب أو الأعضاء في الجمعية على حد سواء. فهو يستطيع أن يقنع عضواً أو أكثر بتقديم مشاريع قرارات تتعلق به، وبناءً على ذلك يمكن له أن يتجاوز حدود الحضور والمشاركة في النقاش الدائر في الاجتماعات إلى التأثير في إتخاذ القرارات^(٢٩). إضافة إلى ذلك يمكن لرئيس المحكمة والمدعي العام والمسجل أن يشاركوا في اجتماعات مكتب جمعية الدول الأطراف كلما كان ذلك مناسباً، ويجوز لهم أن يدلوا ببيانات خطية أو شفوية وأن يقدموا معلومات بشأن أي مسألة وهي في إطار البحث^(٣٠).

أما بالنسبة إلى مكان عقد اجتماعات مكتب الجمعية، فلم نلاحظ أي إشارة لذلك كما في جمعية الدول الأطراف، وبما أن ما يتم تطبيقه على الجمعية من نظام، ينسحب ويطبق على مكتبها، فإن عقد اجتماعات المكتب تكون في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، أو في مقر المحكمة في لاهاي. وبما أن نصف عدد الدول الأعضاء في الجمعية ليس لديهم سفارات في هولندا، وبالتالي لا يمكنهم المساهمة في أعمال المكتب إلا إذا كان مقره في نيويورك، فقد أيدت أغلبية الدول الأطراف في المحكمة مقترح أن يكون مكتب الجمعية في مقر الأمم المتحدة في نيويورك. وما دام الهدف من إنشاء المكتب أصلاً هو القيام بدور سياسي ودبلوماسي، رداً على ذلك أن يكون مقر المحكمة ثابتاً في لاهاي، ولأسباب عديدة أخرى يرجع بعضها إلى اسباب تنظيمية، كان لا بد من الاحتفاظ بحضور سياسي من قبل الدول في الأمم المتحدة^(٣١). وتمتاز اجتماعات مكتب الجمعية بالسرية بصورة عامة ما لم يقرر المكتب على خلاف ذلك، ومن ناحية إصدار القرارات، فقد أشار نظام الجمعية على أن يقوم رئيس المكتب أو نائبه إذا كان مكلفاً برئاسة المكتب، بإصدار بيان جميع القرارات المتخذة في الجلسة السرية عند اختتامها، وذلك في الجلسة العلنية التالية، ومن خلال أمانة الجمعية، ويجب أن نشير هنا إلى أن النظام المطبق على اجتماعات الجمعية هو النظام نفسه المطبق على اجتماعات مكتب الجمعية^(٣٢). أما بالنسبة إلى اللغات المستخدمة في عمل المكتب هي اللغة العربية والانكليزية والفرنسية والروسية والصينية والاسبانية، وهي ذاتها اللغات التي تعمل بها الجمعية، بمعنى أنه لم يتم التفريق بين اللغات الرسمية ولغات العمل في مكتب الجمعية، ودون أن تحدد لغات بعينها كلغات عمل، مثلما هو حاصل في المحكمة، حيث تم تحديد اللغتين الإنكليزية والفرنسية كلغات عمل فيها^(٣٣).

٢٩- المادة (٣٦) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٣٠- المادة (٥/ ١١٢) من النظام الأساسي للمحكمة، والمادة (٣٤) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٣١- تقرير مكتب الجمعية المرفق بمذكرة أمانة جمعية الدول الأطراف المقدم إلى اجتماع الدورة الثالثة لجمعية الدول الأطراف للفترة ١٠-١١/أيلول/٢٠٠٤، المرجع السابق، ص ٣.

٣٢- المادة (٢-٤/٤٢) والمادة (١/ ٢) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٣٣- تقرير مكتب الجمعية المرفق بمذكرة أمانة جمعية الدول الأطراف المقدم إلى اجتماع الدورة الثالثة لجمعية الدول الأطراف للفترة ١٠-١١/أيلول/٢٠٠٤، المرجع السابق، ص ٣.

المطلب الثاني: أمانة جمعية الدول الأطراف

تقوم أمانة جمعية الدول الأطراف وهي إحدى الهيئات جمعية الدول الأطراف بمهام وخدمات السكرتارية للجمعية ومكتبها واللجان والهيئات الأخرى التي ترتبط بالجمعية وتُتبع لها ومنها: لجنة الميزانية والمالية، ولجنة التفويض، والفريق الخاص العامل المكلف بجريمة العدوان. أما من يقوم بالعمل في الأمانة فهم الموظفون، وهم يختلفون من حيث التصرف عن ممثلي الدول في جمعية الدول الأطراف، إذ تذهب آثار أعمال مندوبي الدول في الجمعية إلى دولة فقط وليس لأي جهة أخرى. ويرجع ذلك إلى أن المندوبين يعينون من قبل دولهم لذا فأهم يتبعون لها، بينما تتحمل المحكمة نفسها مسؤولية الأعمال التي يقومون بها موظفو الأمانة وتصرفهم^(٣٤).

وبناءً عليه سنعالج في هذا المطلب فرعين:

الفرع الأول: تأليف أمانة جمعية الدول الأطراف واختصاصاتها.

الفرع الثاني: اتخاذ القرارات في أمانة جمعية الدول الأطراف.

الفرع الأول: تأليف أمانة جمعية الدول الأطراف واختصاصاتها

لا يمكن لأي منظمة دولية أن تقوم بعملها من دون جهاز إداري متخصص، وهذا يعني أن وجود الجهاز الإداري أمر مهم في أي منظمة دولية مهما كانت طبيعة المنظمة الدولية أو الكيان الدولي أو اختصاصاته. وتطلق مواثيق المنظمات الدولية على هذا الجهاز عادة اسم السكرتارية، والذي ترجمة الفقه الدولي العربي بالأمانة العامة^(٣٥). إذن، فإن الجهاز الإداري لأي منظمة هو الأمانة العامة التي يناط بها إدارة الجوانب الإدارية والفنية في المنظمة الدولية والقيام بتصريف شؤونها بشكل مستمر ودائم يومياً. وعلى خلاف غيره من الأجهزة الأخرى يوجد هذا الجهاز بصفة مستمرة ويُعد من أهم الأجهزة الرئيسية في المنظمة الدولية، إذ لا يمكن أن تعمل منظمة بشكل كامل ذي جدوى من دون جهاز إداري متخصص يتولى تصريف الأعمال الإدارية اليومية للمنظمة وتسييرها. وبناءً عليه، من الطبيعي أن تمتلك المحكمة الجنائية الدولية جهازاً إدارياً مكوناً من موظفين دوليين^(٣٦)، لأن هذه المحكمة تعد منظمة دولية تتمتع بالشخصية القانونية الدولية المستقلة عن الدول الأعضاء فيها وتمتلك الأهلية القانونية اللازمة من أجل تحقيق أهدافها في تحقيق العدالة الدولية^(٣٧).

إذن، فلأمانة العامة ليس فرعاً مستقلاً بذاته، وإنما جهاز تابع للمحكمة الجنائية الدولية، وما يميز الفروع الرئيسية عن الفرعية هو أن الأولى تذكر بالاسم، ويتم النص عليها صراحة في الميثاق المنشئ للمحكمة بعدها فروعاً رئيسية. وبالعكس فإن الفروع الثانوية هي التي يتم أنشاؤها بقرار من أحد الأجهزة الرئيسية في المحكمة،

٣٤- أحمد أبو الوفا، الوسيط في قانون المنظمات الدولية، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٢٧.

٣٥- محمد المجذوب، التنظيم الدولي، النظرية العامة والمنظمات الدولية والإقليمية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٨٣.

٣٦- وهنا يجب التفريق بين الموظف الدولي وبين المستخدم الدولي، حيث كل موظف دولي هو مستخدم والعكس غير صحيح، فالمستخدم الدولي هو (كل شخص يؤدي مهمة دولية بصفة مؤقتة لحساب منظمة دولية)، أما الموظف الدولي هو (كل شخص يشغل وظيفة عامة تمول باعتبارها كذلك وبصفة منتظمة). ويظهر الفرق بين الاثنين في أن الموظف الدولي يشغل وظيفة دولية بصفة مستمرة وما يقتضيه القيام بهذه الوظيفة من تفرغ حتى ولو كان العقد الذي يربطه بالمنظمة موصوف بالتوقيت.

٣٧- المادة (٤) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

وهذه الميزة تختص بها المحكمة وتجعل هيكلها مرناً قابلاً للتعديل بسهولة وبأي وقت^(٣٨). ومن ضمن الاجهزة الرئيسية التابعة للمحكمة المسؤول عن الامور الفنية والادارية للمحكمة هو قلم المحكمة أو التسجيل، الذي يعمل الامور الموكلة اليه فقط من دون التدخل في الجوانب القضائية. مدير قلم المحكمة يسمى المسجل، فهو المسؤول الاداري للمحكمة، ويتم اختياره بطريقة الانتخاب السري من قبل القضاة بالأغلبية المطلقة. وعند بداية أنشاء المحكمة، أوكلت جمعية الدول الأطراف أن يتولى منصب المسجل في البداية مدير الخدمات المشتركة أن يقوم بالمهام الادارية باستثناء بعض الصلاحيات لحين انتخاب مسجل، وذلك حسب النظام المالي والقواعد المالية للجمعية^(٣٩). ويمثل قلم المحكمة الامانة العامة للمحكمة الجنائية الدولية، كما يعد رئيسه -المسجل- بمثابة الامين العام للمحكمة. وهنا يلاحظ أن للمحكمة امانتين، الاولى تتمثل بأمانة جمعية الدول الأطراف، والثانية قلم المحكمة والتي تكون تابعة إلى الهيئة القضائية، وهي من الاجهزة الرئيسية للمحكمة كما ذكرنا سابقاً، ومن أهم وظائف قلم المحكمة هي تلقي تصريحات الدول بقبول اختصاص المحكمة والإبلاغ بالإعلانات والطلبات وعرائض الدعوى^(٤٠).

المسجل هو المسؤول الاداري الرئيس للمحكمة، لذلك فهو من يتولى رئاسة رئاسة قلم المحكمة ويمارس سلطة بأشراف رئيس المحكمة. ومن مهامه إقامة قنوات اتصال المتمثلة في تلقي المعلومات والحصول عليها وتقديمها إلى المحكمة، دون التدخل بصلاحيات المدعي العام، أما امانة الجمعية فتقوم بعمل الخدمات السكرتارية لجمعية الدول الأطراف، وهي تعمل تحت أشرف السلطة الكاملة للجمعية وتكون مسؤولة مباشرة أمامها. كما أنها -أمانة الجمعية- تشكل جزءاً لا يتجزأ من المحكمة الجنائية الدولية، وتدمج موظفيها ضمن قلم المحكمة للأهداف الادارية، في الوقت الذي تقع على قلم المحكمة مسؤولية الجوانب غير القضائية من إدارة المحكمة وتزويدها بالخدمات^(٤١). أما بالنسبة إلى جهة تمويل أمانة الجمعية، فهي تمول من ميزانية المحكمة وتدير ميزانيتها ذاتياً، وليس لها دخل خاص بها، ولا يجوز لأمانة الجمعية أن تتلقى تبرعات مباشرة من أي جهة كانت سواء من دول أو منظمات دولية ما لم تقرر الجمعية خلاف ذلك^(٤٢).

لأغراض وأهداف إدارية يُضم موظفو أمانة الجمعية بقلم المحكمة، وعلى هذا الاساس يقع عليهم واجبات ويتمتعون بحقوق وحصانات ومزايا نفس التي يتمتع بها بقية موظفو المحكمة، ولكنهم في النهاية يعملون تحت سلطة الجمعية، فهم ملزمون بتقديم تقارير الأمانة بصفة مباشرة إلى الجمعية^(٤٣). ومسؤولية

٣٨- أحمد أبو الوفا، الوسيط في قانون المنظمات الدولية، المرجع السابق، ص ٦٣.
٣٩- المادة (٤/٤٣) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. والمقرر الذي اتخذته جمعية الدول الأطراف بشأن الترتيبات المؤقتة لممارسة السلطة ريثما يتبوأ المسجل منصبه، في جلستها العامة الثانية المعقودة في ٣/أيلول/٢٠٠٢ للدورة الأولى، الوثيقة ICC-ASP/1Decision 2.

٤٠- الموقع www.icc-int/registry/home.php، والموقع www.icc-int/registry/registry.php.
٤١- الفقرتان (٣) و (٤) من قرار الجمعية المعني بإنشاء الأمانة الدائمة لجمعية الدول الأطراف، الذي اتخذته في جلستها العامة الخامسة المعقودة في ١٢ ايلول ٢٠٠٣ بتوافق الآراء، الوثيقة Icc-ASP/2/RES.3، ص ٢. والمادة (٢-١/٤٣) من النظام الأساسي للمحكمة، والقواعد (١٣) و (١٥) و (١٦) من القواعد الإجرائية وقواعد الإثبات.
٤٢- الفقرة (٩) والفقرة (٥) و (٤) من المرفق الملحق بقرار جمعية الدول الأطراف المعني بإنشاء الأمانة الدائمة لجمعية الدول الأطراف، المرجع السابق، ص ٣، ٤.
٤٣- الفقرة (٣) من المرفق الملحق بقرار جمعية الدول الأطراف المعني بإنشاء الأمانة الدائمة لجمعية الدول الأطراف، المرجع السابق، ص ١.

موظفي الجمعية ليست بمسؤولية وطنية وإنما مسؤولية دولية، لأنهم موظفون دوليون، ولكن لم يتم توضيح كم هو عددهم في المواثيق الدولية ذات الصلة بالمحكمة^(٤٤). ويطبق على موظفي الامانة القوانين نفسها التي يخضع لها موظفو المحكمة وذلك حسب المادة (٣/٤٤) من النظام الأساسي^(٤٥). كما يخضع موظفو أمانة الجمعية إلى الآلية نفسها المعتمدة في اختيار بقية موظفي المحكمة. وحسب النظام الأساسي والاداري للموظفين، لا يمكن لمسجل المحكمة أن يتخذ اجراءاته على موظفي امانة الجمعية من دون المشاورة مع مدير الأمانة، وذلك تطبيقاً إلى النظام الأساسي لموظفي المحكمة^(٤٦).

ولقد أوكل إلى الأمانة بأن تترجم كل التقارير والوثائق والقرارات الصادرة عن الجمعية وهيئاتها الفرعية، وهذه الهيئات هي لجنة الميزانية والمالية ولجنة وثائق التفويض والفريق الخاص المعني بجريمة العدوان، إضافة إلى الهيئات الفرعية الأخرى التي يمكن للجميع انشاؤها في المستقبل بالاستناد إلى قرار صادر منها. ومن مهام أمانة الجمعية أيضاً إعداد محاضر الدورات وطبعها وتعممها إذا طلبت منها الجمعية، كما تقوم بحفظ وثائق الجمعية في المحفوظات، وبصورة عامة فالأمانة تضطلع بجميع الاعمال التي تتطلبها جمعية الدول الأطراف^(٤٧). ويمكن اجمال الامور التي تقع ضمن اختصاصها بما يأتي:

١. المسائل المتعلقة بخدمة المؤتمرات.
٢. المسائل القانونية والفنية الرئيسة.
٣. المسائل المالية الأساسية.
٤. المسائل الإدارية.
٥. المسائل المتعلقة بالإخطار بعقد الدورات.
٦. المسائل المتعلقة بمجدول الأعمال المؤقت وإبلاغه.
٧. المسائل المتعلقة بالترشيح والانتخابات^(٤٨).

الفرع الثاني: اتخاذ القرارات في أمانة جمعية الدول الأطراف

عند بدء التنظيم الدولي كان السائد في اتخاذ القرارات اعتماد قاعدة الاجماع، وهذه القاعدة نواحي ايجابية وسلبية، تعتمد هذه النواحي على طريقة وظروف استخدامها والجهة التي تمارسها، فمن الناحية الايجابية أنها اذا استخدمتها دولة ما فقد يكون ذلك للحؤول دون اتخاذ قرارات دينية واحباطها، أما من الناحية السلبية، فهي تتمثل بأنه إذا أصرت دولة ما على التمسك بقرار ما فسيكون من أجل تحقيق

٤٤- المادة (١) البند (١-١) من المرفق الملحق بقرار جمعية الدول الأطراف المنشأ للنظام الأساسي لموظفي المحكمة الجنائية الدولية، المتخذ في الجلسة العامة الخامسة المعقودة في ١٢/أيلول/٢٠٠٣ بتوافق الآراء، ص ٢، الوثيقة 2. ICC- ASP/2/RES.

٤٥- نصت المادة (٣/٤٤) على (يقترح المسجل بموافقة هيئة الرئاسة والمدعي العام نظاماً أساسياً للموظفين يشمل الأحكام والشروط التي يجري على أساسها تعيين موظفي المحكمة ومكافأته وفصلهم، ويجب أن توافق جمعية الدول الأطراف على النظام الأساسي للموظفين).

٤٦- قرار جمعية الدول الأطراف بشأن اختيار موظفي المحكمة الذي اتخذته الجمعية في جلستها العامة الثالثة المعقودة في ٩/أيلول/٢٠٠٢ الوثيقة 10. ICC-ASP/1/RES.

٤٧- المادة ٣٧ من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٤٨- الفقرة (٥) من المرفق الملحق بقرار جمعية الدول الأطراف المعني بإنشاء الأمانة الدائمة لجمعية الدول الأطراف، والتي تضمنت المسائل المتعلقة بخدمة المؤتمرات، القانونية والفنية الرئيسة، المالية الأساسية، الإدارية، ICC-ASP/2/RES.3، ص ١ - ٣.

مصالحها الخاصة، وهنا نلاحظ أن قاعدة الاجماع تبرز وتجسد مبدأ السيادة والمساواة، إذ تتساوي الدول الصغرى، والتي تخشى من سيطرة الدول الاكثر نفوذاً من السيطرة عليها من الدول الكبرى ذات النفوذ والقوة. وعليه فإن قاعدة الاجماع في هكذا حالات أن تدفع إلى اتخاذ قرارات وسطية عندما يشعر من يتمسك برأيه أنه لا يستطيع فرض إرادته على الآخرين دون موافقتهم^(٤٩). وقد استقر العرف الدولي على مبدأ الاجماع في الهيئات والمؤتمرات الدولية التي تحمل طابعاً سياسياً، ومن الناحية التاريخية فقد ظهرت قاعدة الاجماع في المؤتمرات الدولي حتى نهاية عصبة الأمم. وتعتمد قاعدة الاجماع في مجلس الامن في بعض القرارات غير الاجرائية المهمة والتي يتخذها ويستلزم إقرارها موافقة الدول دائمة العضوية فيه، ومن المنظمات التي تمارس هذه القاعدة هي منظمة الحلف الاطلسي(الناتو) ومنظمة الدول المصدرة للنفط(أوبك) وجامعة الدول العربية. لكن ميثاق الأمم المتحدة أبعد عن هذا القاعدة التي كانت عرفاً سائداً في الماضي، وأعتمد مبدأ اتخاذ القرارات بالأغلبية المطلقة في أكثر الاحيان، واصبح قاعدة الاجماع حالة استثنائية بحالات معينة من قرارات مجلس الامن. بينما جعل اتخاذ القرارات بالأغلبية هو القاعدة العامة^(٥٠).

إنّ القرارات الصادرة بموجب قاعدة الاغلبية تكون ملزمة لجميع الأعضاء سواء صوت أي عضو لمصلحة هذه القرارات أم لا. وقد ظهرت قاعدة الاغلبية إلى حيز الوجود في إطار القانون الدولي العام بسبب مرونتها وكونها سريعة في اتخاذ القرارات، وأيضاً لصعوبة تطبيق قاعدة الاجماع وخصوصاً في المنظمات التي تضم أعداداً كبيرة من الدول. لكن في الواقع لم يتم تنفيذ أي قرار قد اتخذ بالأغلبية بصورة كاملة، مقارنةً لو اتخذ بطريقة الاجماع^(٥١). وهناك نوعان من التصويت في قاعدة الاغلبية:

١. الاغلبية الموصوفة: وهي تشترط اجماع ثلثي أعضاء الدول المصوتة لمصلحة القرار وربما تشترط ثلاثة أرباع المقترعين المصوتة.

٢. الاغلبية البسيطة: ويتم باحتساب نصف أصوات عدد الأعضاء المقترعين زائد واحد.

أما جمعية الدول الأطراف، فقد اعتمدت طريقة جديدة بالتصويت، وهي طريقة معتمدة في الكثير من المنظمات التي ظهرت ضمن التنظيم الدولي الحديث، وهذه الطريقة تعرف بتوافق الآراء أو الاتفاق الرضائي. وفي حال تعذر اتخاذ قرار بتوافق الآراء، أخذت الجمعية بالأغلبية الثلثين في بعض القرارات وبالأغلبية البسيطة في بعضها الآخر. ونظراً لأن الاكتفاء بالأغلبية في اتخاذ القرارات اخذ يثير إشكاليات لجهة قوتها الملزمة، فقد لجأت أغلب المنظمات الدولية إلى اعتماد قاعدة توافق الآراء لكي تكون قراراتها أكثر زخماً وفعالية، وهذا الاسلوب -أي اعتماد قاعدة توافق الآراء- يقتضي البحث عن تراضي الأطراف قبل اللجوء إلى عملية التصويت^(٥٢).

ولكي يتحقق مبدأ المساواة بين الدول الأطراف تم اعتماد التصويت لناحية مبدأ لكل دولة طرف في جمعية الدول الأطراف وفي المكتب صوت واحد، دون الالتفات إلى حجم هذه الدولة ومدى تقدمها

٤٩- صالح جواد الكاظم، دراسة في المنظمات الدولية، المرجع السابق، ص ٦٠.
٥٠- المادة (٧) من ميثاق جامعة الدول العربية، والمادة (١٠) من معاهدة حلف الشمال الأطلسي على الموقع www.nato.int/docu/fonda/traite.htm

٥١- محمد المجذوب، دراسة في المنظمات الدولية والإقليمية، المرجع السابق، ص ٦٦، ٦٧.

٥٢- عبد الكريم علوان خضير، الوسيط في القانون الدولي العام، عمان، ١٩٩٧، ص ٢٩.

العلمي أو قوتها العسكرية، وهذا ما يعطي صورة عن هذا المبدأ بين الدول الأطراف^(٥٣). ولا يجوز لدولة بالتصويت اذا كان ممثلها يتولى رئاسة مكتب الجمعية، بل علة هذه الدولة أن تعين شخصاً آخر للتصويت يقوم محل الرئيس لكي يصوت عنها^(٥٤). وإضافة إلى ذلك، لا يمكن لممثلي الكيانات والمنظمات الدولية أو الاقليمية، وكذلك لممثلي الدول التي تتمتع بصفة مراقب، التصويت في جمعية الدول الأطراف وهيئاتها الفرعية^(٥٥).

المبحث الثاني: اختصاصات جمعية الدول الأطراف

تختص جمعية الدول الأطراف، بصفتها جهازاً تشريعياً ورقائياً للمحكمة الجنائية الدولية بالنظر والبت في أمور عدة منها: ممارسة الرقابة الادارية على هيئة رئاسة المحكمة والمدعي العام والمسجل، والمراقبة في ترشيح القضاة وانتخابهم. واتخاذ الاتفاقية التي تحدد طبيعة العلاقة بين الأمم المتحدة والمحكمة^(٥٦)، ومناقشة ميزانية المحكمة واعتمادها، والنظر في أي مسألة من المسائل التي تتعلق بعدم التعاون القضائي وعدم تقديم المساعدة القضائية للمحكمة، وتسوية المنازعات بين الدول الأطراف، ودراسة توصيات اللجنة التحضيرية^(٥٧).

وبالرغم من ذلك، وبالعودة إلى ميثاق روما والمواثيق الاخرى ذات الصلة بالمحكمة، فإن الصلاحيات والاختصاصات والامتيازات الممنوحة لهذه الجمعية يتيح لها الاشراف العام الفني والاداري والمالي على جميع أجهزة المحكمة. ترتبط الجمعية بالمحكمة من نواح عدة، عدا عملها من صلاحيات تعديل قواعد الاثبات والقواعد الاجرائية، وعناصر الجرائم أو أركانها، وتعديل أحكام النظام الأساسي، وقواعد المتصلة بالآليات المالية والادارية لعمل المحكمة؛ رغم كل هذا فإن الجمعية من الناحية القضائية ليست جهازاً من أجهزة المحكمة وهي أيضاً ليست جهازاً أعلى منها أو يفوقها. وللجمعية هيئات عدة ترتبط بها بالإضافة إلى صلاحياتها في إنشاء هيئات فرعية ترتبط بها كلما دعت الحاجة^(٥٨). ومن ضمن الاختصاصات التي تتعلق بعمل الجمعية، هو ترشيح وانتخاب القضاة والمدعي العام وتوجيه العقوبات التأديبية. وعليه سوف نقسم هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الاول: دور الجمعية في الشؤون الإدارية والتأديبية.

المطلب الثاني: دور الجمعية العامة للدول الأطراف في تسوية المنازعات.

المطلب الأول: دور جمعية الدول الأطراف في الشؤون الإدارية والتأديبية.

خوّل نظام روما جمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية بعدة اختصاصات، أهمها هي ترشيح وانتخاب القضاة والمدعي العام، مما يعطي للجمعية سلطة داخل أجهزة المحكمة، بالرغم من إنها منفصلة

٥٣- المادة (١١٢/٧) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. والمادة (٦٠) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٥٤- المادة (٣١) من النظام الداخلي للجمعية العامة للدول الأطراف.

٥٥- المادة (١٩٢/٢) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

٥٦- المادة (٢) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

٥٧- المادة (١١٢/٢ - أ، ب، ج، د، هـ، و، ز) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

٥٨- ضاري خليل محمود وباسيل يوسف، المرجع السابق، ص ٧١. والمادة (١١٢/٤) من النظام الأساسي للمحكمة، والمادة

(٨٣) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف.

عنها من الناحية الشكلية، فكل أجهزة المحكمة نجد ان للجمعية دوراً في تشكيله، إذ تمتد هذه السلطة إلى مسجل المحكمة الذي يكون عمله تحت سلطة رئيس المحكمة. إضافة إلى ذلك، فإن للجمعية صلاحية التوصية التي توجه للقضاة لغرض مراعاتهم عند انتخابهم مسجل المحكمة^(١). ومن جانب آخر، فإن للجمعية ان تحدد رواتب القضاة والمدعي العام ونوابهم^(٢)، ولها أيضاً ان تفرض عقوبات تأديبية تصل إلى العزل في مخالفة القاضي أو المدعي العام إلى الضوابط التي بينها النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. وعليه سوف نقوم بتقسيم هذا المطلب على فرعين:

الفرع الأول: ترشيح القضاة والمدعي العام وانتخابهم.

الفرع الثاني: العقوبات التأديبية التي تفرضها الجمعية.

الفرع الأول: ترشيح القضاة والمدعي العام وانتخابهم

يبدأ عمل جمعية الدول الأطراف في اختيار القضاة من تحديد فترة الترشيح، وعلى هذا الأساس تقوم الجمعية بتعميم الدعوات لترشيح قضاة المحكمة الدولية الجنائية على الدول الأطراف في الجمعية، وذلك من خلال السفارات والقناصل، وتتضمن دعوات إجراءات وشروط الترشيح وترشيح بقرار صادر من جمعية الدول الأطراف وذلك بموجب المادة (٣٦) من النظام الأساسي للمحكمة.

وعلى الدول الأطراف اختيار مرشحين من القضاة خلال فترة الترشيح التي يحددها مكتب الجمعية، ويجب على هذه الدول ان تراعي الفترة الزمنية التي حددها الجمعية، وفي ترفض الترشيحات في حال تم تقديمها قبل او بعد فترة الترشيح كونها تعد باطلة. ولرئيس الجمعية ان يمدد فترة الترشيح إذا انتهت الفترة المقررة ولم يكتمل العدد المطلوب من القضاة.

بعد اكمال عدد المرشحين لتولي منصب القضاة، تقوم الجمعية بإعداد قائمة بأسماء المرشحين حسب الترتيب الأبجدي في اللغة الإنكليزية مع رفق وثائقهم الصادرة من دولهم، بعدها تقوم بتعميم تلك القائمة من خلال القنوات الدبلوماسية على جميع أعضاء الجمعية^(٣).

أما من حيث شروط اختيار القضاة، فقد أشار النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية في المادة (٣٦) إلى الشروط التي يجب توافرها في المرشحين لمنصب قاضي في المحكمة، إذ يجب ان يكونوا قد عملوا كقضاة في دولهم وان يتمتعون بالأخلاق الرفيعة والحياد والنزاهة، على أن تكون هذه الصفات والمؤهلات المطلوبة الأخرى هي التي مكنتهم من تبوء أعلى المناصب القضائية في دولهم. إضافة إلى ذلك، ويجب أن يكون المرشح يتكلم بإحدى اللغات التي تعمل بها المحكمة على الأقل، وهي الإنكليزية أو الفرنسية^(٤).

٥٩- المادة (٤٩) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، والمادة (٣/٨٨) من النظام الداخلي لجمعية الدول الاطراف.
٦٠- البند (أ) من قرار جمعية الدول الأطراف بشأن إجراءات ترشيح وانتخاب القضاة والمدعي العام ونواب المدعي العام للمحكمة الدولية الجنائية، والذي اتخذته الجمعية في جلستها العامة الثالثة المعقودة في ٩/أيلول/٢٠٠٢ بتوافق الآراء. ص ١، الوثيقة ICC-ASP/1/Res.2

٦١- علي ضياء حسين الشمري، القضاء الدولي الجنائي (دراسة نظرية تحليلية مقارنة للنظم الأساسية للمحاكم الجنائية)، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بابل، ص ١٠.

ومن الشروط الأخرى التي يجب توفرها في المرشح، أن يكون ضليعاً في القانون والإجراءات الجنائية، وفي مجالات القانون الدولي، وقانون حقوق الإنسان^(٦٢).

يكون عدد القضاة في الهيئة القضائية للمحكمة ١٨ قاضياً على الأقل، يتم انتخابهم في اجتماع للجمعية، وينتخب جميع القضاة أعضاء عاملين في المحكمة لوقت كامل ويكونون مستعدين للعمل على هذا الأساس من بداية مدة عضويتهم. يمكن لهيئة الرئاسة أن تطلب زيادة عدد القضاة على أن توضح الأسباب التي استند عليها هذا الطلب كونه أمراً ضرورياً وملائماً لعملها، ويقع على عاتق الجمعية تحديد موعد انتخاب القضاة^(٦٣).

وكون مسألة انتخاب القضاة من المسائل الموضوعية، لذا يجب توفر النصاب القانوني للتصويت على اختيار القضاة بتوفر الأغلبية المطلقة للدول الأطراف داخل الجمعية، وعلى المرشح أن يحصل على أكبر عدد من الأصوات وعلى أغلبية ثلثي الدول الأطراف الحاضرة والمصوتة، وتتم إجراءات الانتخاب بطريقة الاقتراع السري^(٦٤).

أما من حيث ترشيح وانتخاب المدعي العام، يقوم مكتب الجمعية بتحديد الفترة الزمنية لترشيح المدعي العام، وتقوم أمانة الجمعية من خلال ممثلي الدول الأطراف فيها بنشر دعوات الترشيح. ويجب على الدول الأطراف الالتزام بفترة الترشيح التي حدتها الجمعية، لأنه في حال تم تقديم الترشيح قبل أو بعد الفترة المحددة يعتبر التقديم باطل^(٦٥).

و بالإجراءات نفسها التي تقوم بها جمعية الدول الأطراف في انتخاب القضاة، يتم تحديد موعد لانتخاب المدعي العام، إذ تقوم أمانة الجمعية بإعداد قائمة بالمرشحين لهذا المنصب وفقاً للترتيب الأبجدي باللغة الإنكليزي، ويتم الانتخاب وفقاً لتوافق الآراء، وفي حالة عدم حصول إلى هذا التوافق، يتم انتخاب المدعي العام بالاقتراع السري بالأغلبية المطلقة لأعضاء جمعية الدول الأطراف^(٦٦).

الفرع الثاني: العقوبات التأديبية التي تفرضها الجمعية.

ان الهدف الأساس لكل محكمة هو ضمان عدالة وقانونية الأحكام الصادرة منها ونزاهة سير إجراءاتها، وقد أكدت المواثيق الصادرة عن المحكمة ماهية الإجراءات التأديبية التي قد تفرض على كل من القضاة والمدعي العام ونواب المدعي العام ضمن حالات معينة يحددها النظام الأساسي للمحكمة. ولم تتدخل جمعية الدول الأطراف في الإجراءات التأديبية بحق القضاة والمدعي ونوابه، ولكنها تدخلت في إجراءات الترشيح من خلال اصدار قرارات تنظيم هذه الاجراءات، وذلك لسد بعض النواقص التي ظهرت خلال إجراءات الترشيح والانتخاب. ولقد اقتصر دور جمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية في

٦٢- المادة / ٣٦ فقرة / ٣ (ب) من النظام الأساسي للمحكمة.

٦٣- أبو الخير احمد عطية، مصدر سابق، ص ٢٢- ٢٣.

٦٤- زياد عيتاني، المحكمة الجنائية الدولية وتطور القانون الدولي الجنائي، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٦، ص ١٨٩.

٦٥- محمد عزيز شكري، المحكمة الجنائية الدولية (بعض الملامح الأساسية)، مجلة المأمون، دمشق، عدد ٧-٨، اب ٢٠٠٨، ص ٦١٤.

٦٦- فيدا نجيب حمد، المحكمة الجنائية الدولية نحو العدالة الدولية، منشورات الحلبي، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٩٣.

الإجراءات التأديبية على القضاة والمدعي العام ونوابه فقط، وذلك لضمان سير الأعمال القضائية التي تقوم بها المحكمة بشكل صحيح، وقد تركز دور الجمعية من الناحية التأديبية على نوعين هما: العزل من المنصب، والإجراءات التأديبية^(٦٧).

منح النظام الأساسي للمحكمة لجمعية الدول الأطراف بشكل حصري باتخاذ قرار العزل للقاضي والمدعي العام أو نائب المدعي العام، مع بعض الاختلافات في الإجراءات لكل واحد منهم، ونسبة التصويت التي يطلبها قرار العزل. ففي حال عزل القاضي، يكون القرار بأغلبية ثلثي الدول الأطراف في الجمعية، وفي حالة المدعي العام أو نائبه بالأغلبية المطلقة للدول الأطراف. وينفذ قرار عزل القاضي أو المدعي العام أو نائبه عند صدوره من الجمعية، وعندها مباشرة تنقطع علاقة الشخص المعزول مع المحكمة، ويشمل هذا الانقطاع النظر في القضايا التي كان مشاركاً فيها. وقد بين نظم روما ثلاث حالات يمكن من خلالها ان تتخذ جمعية الدول الأطراف قرار عزل القاضي أو المدعي العام أو نائبه، وهي: أولاً: أن يثبت أن القاضي أو المدعي العام أو نائبه قد ارتكب سلوكاً سيئاً جسيماً الذي قد يحدث في أثناء أداء المهام الرسمية أو يحدث خارج إطار المهام الرسمية.

ثانياً: أن يكون قد أخل إخلالاً جسيماً بواجباته بمقتضى النظام الأساسي للمحكمة. ثالثاً: أن يكون القاضي أو المدعي العام أو نائبه غير قادر على ممارسة المهام المطلوبة منه بموجب ميثاق روما. ولم يحدد في هذه الحالة ما معيار عدم القدرة على ممارسة المهام المطلوبة بصورة واضحة، إذ لم تعرف القواعد الإجرائية وقواعد الإثبات مدى القدرة في ممارسة الواجب للقاضي والمدعي العام ونائبه على خلاف الحالتين الأولى والثانية. ويمكن تقدير عدم القدرة في انه يرجع لحالات غير إرادية قد تكون مرضية أو شيخوخة مثلاً أو حدوث أمر ما خارج نطاق إرادة القاضي والمدعي العام ونائبه، أو قد أصبحوا غير أكفاء لتولي مناصبهم. وكل ذلك موكول إلى جمعية الدول الأطراف، قبل اتخاذ قرار العزل، في تقدير ان الشخص المراد عزله غير قادر على ممارسة المهام المطلوبة منه^(٦٨).

أما من ناحية التدابير التأديبية، فتتمثل هذه التدابير التي يجوز فرضها على القضاة والمدعي العام ونائب المدعي العام بطريقتين: الأولى جزاء معنوي ويتمثل بتوجيه اللوم، والثانية جزاء مالي لا يتجاوز ستة أشهر تخصم من الراتب الذي تدفعه المحكمة.

عند اصدار قرار تأديبي بحق القضاة، يتم اتخاذ القرار بشكليه المالي والمعنوي من قبل رئاسة المحكمة. أما عند اصدار قرار تأديبي بحق المدعي العام، يتم اتخاذ هذا القرار بشكليه بالأغلبية المطلقة لجمعية الدول الأطراف. ولكن في حالة نواب المدعي العام، يكون للمدعي العام دور مع مكتب الجمعية في اتخاذ القرارات التأديبية، ولكن في توجيه اللوم للمدعي العام إصداره بصورة فردية. أما في العقوبة المالية، يتم اتخاذ القرار بالأغلبية المطلقة لمكتب الجمعية الدول الأطراف استناداً إلى توصية من المدعي العام^(٦٩).

٦٧- علي يوسف الشكري، القضاء الدولي الجنائي في عام متغير، دار رضوان للنشر والطباعة، عمان، ٢٠١٤، ص ١١٢.

٦٨- ياسر عامر المختار، المحكمة الجنائية الدولية دراسة نقدية، منشورات صادر الحقوقية، بيروت، ٢٠١٦، ص ١٢٩.

٦٩- القاعدة (٣٢) و القاعدة (٣٠) (٤،٣،٢٠١/٣٠) من القواعد الإجرائية وقواعد الإثبات للمحكمة الجنائية الدولية.

المطلب الثاني: دور جمعية الدول الأطراف في تسوية المنازعات

كما ذكرنا سلفاً، ان انشاء المحكمة الجنائية الدولية قد تم بواسطة معاهدة دولية -النظام الأساسي-، ويعد هذا النظام من ضمن المعاهدات الجماعية الشارعة كونه يحتوي قواعد موحدة وعامة تهم المجتمع الدولي أجمع، ولا يقتصر على عدد محدود من الدول أو لشأن خاص بها. وتخضع المحكمة في نظامها الأساسي للأحكام العامة للمعاهدات المدرجة في اتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات الدولية للعامين ١٩٦٩ و١٩٨٦. وتم توقيعها من قبل الدول المشتركة فيها في ١٧/٧/١٩٩٨، وأصبحت سارية المفعول في ١/٧/٢٠٠٢. وهذه المحكمة لا تلزم سوى الدول الأعضاء فيها أو الدول غير الأعضاء في حالة اذا قبلت ان تخضع لاختصاص المحكمة استناداً إلى النظام الأساسي للمحكمة.

وفي تسوية المنازعات بين الدول الأطراف، فالتفاوض هو الخطوة الأولى لحل أي خلاف الذي ينشأ بسبب تفسير نظام روما^(٧٠).

والتفاوض^(٧١) أو الالتزام بالتفاوض يكون التزاماً بالتوصل إلى نتيجة، اذ لا يعني هذا الالتزام ضرورة التوافق والاتفاق تحت أي شكل من الأشكال وبأي ثمن. وباعتبار التفاوض علاقة بين أشخاص القانون الدولي العام، فهو التزام مستمر ويمكن اعتماده واللجوء اليه في اي وقت، بدايةً واستمراراً وانتهاءً، إذ إن التفاوض ونظراً لاتصافه بالسهولة والمرونة يُعد في الوقت الحاضر وسيلة مهمة من وسائل حل النزاعات بين الدول^(٧٢).

والمفاوضات الدولية بصورة عامة نوعان: الاول ان تكون مفاوضات دائمة وهي تكون في أطار المنظمات الدولية أو أجهزتها، والثاني تكون مؤقتة وتبرم في حالة حدوث نزاع معين تقوم الدول بمحاولة فضّه عن طريق مفاوضات ثنائية او جماعية^(٧٣).

أما بشأن تسوية النزاعات بين الدول حول تفسير نظام روما او تطبيقه، فقد حدد النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية ثلاثة أشهر لتسوية الخلاف او النزاع الحاصل بينهم، وتسري هذا المدة من لحظة وقوع النزاع، وإذا لم يتم الوصول إلى حل خلال هذه المدة، يحال هذا الخلاف إلى جمعية الدول الأطراف. فالجمعية يمكنها إصدار توصية إلى الدول الأطراف لفض الخلاف بالطرق الدبلوماسية او القانونية، وهذه

٧٠- المادة (٢/١١٩) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.

٧١- والتفاوض اصطلاحاً تبادل وجهات النظر حول مسألة أو موضوع معين، وهو يفترض طرفين على الأقل أو أكثر، لذلك فليس من المتصور اقتصره على طرف واحد فقط، إذ كيف يتفاوض الشخص مع نفسه، فهو إذن نوع من الاتصال أو الترابط أو التبادل أو الاجتماع الذي يفترض بطبيعة الأشياء وجود أكثر من طرف. وتنص صراحة بعض المعاهدات الدولية- في بعض الحالات - على اتباع المفاوضات المباشرة وتجمع منها شرطاً أساسياً لا بد من توفره قبل اللجوء إلى التحكيم أو إلى القضاء الدولي، بل ان بعض أحكام المحكمة الدولية قد جعلت استنفاد الطرق الدبلوماسية، والتي تعد المفاوضات واحدة منها، حتى في حالة عدم النص عليها في اتفاق دولي، شرطاً لا بد من توفره قبل رفع القضية محل النزاع أمام محكمة العدل الدولية. أحمد أبو الوفا، المفاوضات الدولية دراسة لبعض جوانبها القانونية في القانون الدولي والشرعة الإسلامية، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٩.

٧٢- أحمد أبو الوفا، المفاوضات الدولية، المرجع السابق، ص ٢٣-٢٤.

٧٣- أحمد أبو الوفا، المفاوضات الدولية، المرجع السابق، ص ١٥.

الطرق هي: التحكيم^(٧٤)، والمفاوضات، والتوفيق والتحقيق^(٧٥)، والمسامحة الحميدة^(٧٦)، والوساطة^(٧٧)، والتسوية القضائية. ويمكن للجمعية أن تسعى إلى حل أي نزاع نشأ أو قد ينشأ بين الدول الأعضاء في المحكمة أو الذين يعدون أعضاء فيها دون التقييد بالملءة الممنوحة للدول^(٧٨).

وقد ينشأ النزاع بين دولتين أو أكثر من خلاف على وقائع معينة، وإذا ما تم الفصل في صحة هذه الوقائع يمكن التوصل إلى تسوية ودية للنزاع بعد ذلك. وهنا في مثل هكذا حالة من الأجدى لأطراف النزاع إحالة الموضوع إلى التحقيق لتوضيح الوقائع المختلف عليها والتحقيق بها، وتكون المناقشة حول حل النزاع مركزة على أسس من الوقائع الصحيحة^(٧٩).

٧٤- تعد سلطة التحكيم كسلطة القضاء، وقراراته بمثابة حكم قضائي للاحية صفة الإلزام، ويقوم التحكيم على النظر في النزاع من قبل شخص أو هيئة يلجأ إليها المتنازعون مع التزامهم بتنفيذ القرار الصادر بشأن ذلك النزاع. ويتم عرض النزاع على التحكيم بناءً على اتفاق الدول المتنازعة التي يحق لها أن تعرض على التحكيم أي نزاعات قد تنشأ بينها، ومن ضمنها النزاعات ذات المنحى القانوني كالاخلافات على تطبيق قاعدة دولية أو تفسير معاهدة ما. حيث يتم تحديد موضوع النزاع والمشكلات التي يجب أن تحلها هيئة التحكيم وكيفية تشكيل هذه الهيئة، مع كامل الحرية لأطراف النزاع في اختيار الهيئة التي يحتكمون إليها، والتي تصدر قراراتها بالأغلبية ويجب أن تكون مبررة. أن التحكيم طريقة قضائية تعتمد في وجودها وفي تشكيل الهيئة التي تفصل في الخصومة بناءً على إرادة الأطراف المتنازعين، وهذا هو الفارق بين الوحيد بين التحكيم وبين القضاء الدولي، لأن القضاء وأن اعتمد على إرادة الدول الأطراف في النزاع بالنسبة إلى ولاية القاضي، إلا أن تشكيل المحكمة والإجراءات التي تطبقها هي من اختصاص القانون العام، الذي يتولى تحديدها قبل وقوع الخصومة وقبل اتفاق أطرافها على عرضها على المحكمة الدولية. عبد العزيز محمد سرحان، دور محكمة العدل الدولية في تسوية المنازعات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٧.

٧٥- التحقيق هو أن تقوم لجنة مشككة من أكثر من شخص واحد بالتحقيق مهمتها تقصي الحقائق المتعلقة بأي نزاع ينشأ بين دولتين، ودون تقديم أي ملاحظات من شأنها أن تؤثر في تحديد الطرف الذي تقع على عاتقه مسؤولية وقوع النزاع، أي أن مهمة لجنة التحقيق هي فقط جمع الحقائق ووضعها بنصرف الطرفين. ووفقاً لقواعد القانون الدولي العام، فإن مهمة لجان التحقيق هي التدخل في النزاع بغية التوصل إلى الأسباب والحقائق التي أدت إليه، ولذلك فإن الأطراف المتنازعة غير ملزمة بقبول ما وصل إليه التحقيق، لأنه ليس من مهام لجان التحقيق تقديم أي اقتراحات لحل النزاع، ومهمتها فقط أن تمهد الطريق للتفاوض بشأن تسوية النزاع. والتوفيق هو تشكيل لجان توفيق من ثلاثة إلى خمسة أعضاء، وهذه اللجان تكون معروفة ومشككة قبل قيام النزاع وليس بعده، وذلك لمواجهة أي خلاف ممكن أن يحدث بين دول تربطها عدة اتفاقيات، تعرف بمعاملة التوفيق، ومن بنودها تحديد طريقة تشكيل اللجنة واختصاصاتها. والتوفيق هو تمهيد الطريق لحل الخلاف حلاً دائماً، عن طريق التوفيق بين أطراف النزاع. وعادة ما تتخذ لجان قرارات التوفيق بالأغلبية، أما اجتماعاتها فتكون سرية، وليست مجبرة على نشر تقاريرها. والفارق بين لجان التوفيق ولجان التحقيق، أن هذه الأخيرة تشكل عند وقوع نزاع دولي وتكون مهمتها مؤقتة تنتهي عند انتهاء التحقيق. أما لجان التوفيق فتتميز أنها تنشأ بموجب معاهدة توقعها عدة أطراف، قبل حصول أي نزاع من المتوقع حصوله فيما بينهم. وتتكون لجان التوفيق من أكثر من فرد واحد وتقوم على مبدأ الجماعة والاستمرارية أي أنها ليست لجان مؤقتة، وذلك لمواجهة أي نزاع قد يقع أو يراود حله. والعلاقة بين لجان التحقيق والتوفيق، تكون من خلال تعهد لجان التوفيق أحياناً بالقيام ببعض أشكال التحقيق بغية الوصول إلى بعض الحقائق في النزاع. إذن هناك رابطة ما بين التوفيق والتحقيق، إذ يعتبر التوفيق تطوراً عملياً ولازماً في بعض النزاعات الدولية التي لا يكفي لمباشرة حلها مجرد التحقيق. عصام العطية، القانون الدولي العام، دار المحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠١، ص ٥٩١، ٥٩٢.

٧٦- المسامحة الحميدة هو التدخل الودي من جانب طرف محايد -دولة أو منظمة دولية- عند وقوع خلاف بين دولتين، وذلك بهدف تصفية الخلافات بين هاتين الدولتين. عصام العطية، القانون الدولي العام، المرجع السابق، ص ٥٨٤، ٥٨٦.

٧٧- أما الوساطة فهي نشاط ودي تبذله دولة أو منظمة دولية لحل خلاف قائم بين دولتين، وقد درجت العادة في العمل الدولي في مجال الوساطة إلى الميل في اختيار الوسيط من الشخصيات السياسية المعروفة على مستوى العلاقات الدولية. حيث يباشر هذا الأخير الاتصالات بين الأطراف واقتراح الحلول التي يراها مناسبة، بهدف التوصل إلى اتفاق يرضي جميع الأطراف المتنازعين. وينحصر الفارق المسامحة الحميدة والوساطة بأن الطرف الثالث يقوم في حالة الوساطة بمباشرة الاتصالات التي تتم بين أطراف النزاع ومتابعتها، كما يقدم الاقتراحات بالحل الذي يعتقد أنه مناسب لقض النزاع، وإذا رأى أن ذلك يساعد أطرافه على التوصل إلى نهاية جيدة من اتصالاتهم. عبد العزيز محمد سرحان، دور محكمة العدل الدولية في تسوية المنازعات وإرساء مبادئ القانون الدولي العام، المرجع السابق، ص ٤.

٧٨- نصت المادة (٣/٢) من ميثاق الأمم المتحدة على (يفض جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية...)، ونصت المادة (٣٣) من الميثاق على تعدد الوسائل السلمية لحل المنازعات (يجب على أطراف أي نزاع من شأن استمراره أن يعرض حفظ السلم والأمن الدولي للخطر أن يلتزموا حله بآداب ذي بدء بطريقة المفاوضات والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية...).

٧٩- علي صادق أبو الهيف، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٥، ص ٧٣٧.

حدد النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية في المادة (٢/١١٩)، أن في حالة وقوع نزاع بين الدول الأطراف يمكن حلها بطريقة المفاوضات فقط، من دون وضع طريقة أخرى لحل النزاع. ويقدم هذا النزاع إلى التفاوض خلال ثلاثة أشهر من وقوعه، حيث يمكن للدول الأطراف اللجوء إلى المادة (٢/١١٩) في حالة وقوع نزاع حول تطبيق أو تفسير نظام روما. علماً أن هذه المادة لم تشر إلى بقية وسائل حل المنازعات التي ذكرناها سابقاً. إنَّ التفويض الذي حُوِّلَ به الجمعية من أجل حل المنازعات بين الدول الأطراف ينتابه بعض الغموض، وهذا ما يؤدي إلى اتخاذ قرارات فاصلة في نزاع معين قد تؤثر فيها بعض الميول السياسية لمصلحة الدول الكبرى. لذا يفضل أن ترفق الجمعية الوسائل أو الطرق السلمية لحل النزاعات بين الدول الأطراف بتوصية من الجمعية من دون اختيار الأطراف المتنازعة الطريقة لحل النزاع.

وتطبيقاً لمبدأ المساواة في السيادة بين الدول، فإنه يمكن للدول المتنازعة اللجوء إلى أي من وسائل حل النزاعات الدولية بالطرق السلمية، لحل النزاعات كافة شرط أن توافق الدول المعنية على الوسيلة المستخدمة والمعتمدة. و من الثابت في القانون الدولي العام أنه لا يوجد ما يمنع تعدد وسائل حل النزاع وتزامنها في الوقت نفسه، باعتبار أن الهدف من ذلك هو -في النهاية- الوصول إلى تسوية سلمية لحل النزاع، كما أن الدول لا تلتزم بعرض نزاعاتها مع الدول الأخرى على أية وسيلة دون موافقتها، وهذا يعني أن اختصاصات الجمعية ليست فقط تشريعية و رقابية و إدارية، وإنما قضائية أيضاً^(٨٠). إضافة إلى ذلك لقد أشارت المادة (٢/١١٩) إلى عدم الزامية توصياتها الصادرة منها، لأن كلمة توصية تعني أنها من الناحية القانونية غير ملزمة، في حال اذا نظرت الجمعية بخلاف بين الدول الأطراف، وكان من الأفضل استعمال كلمة قرار عن كلمة توصية كون الأولى ملزمة أكثر من الثانية. ومن خلال القراءة المتأنية للمادة (٢/١١٩) التي تم اختتامها بعبارة: (للجمعية أن تتخذ توصيات لحل النزاع بما في ذلك إحالة النزاع إلى محكمة العدل الدولية)، فقد أشار النظام الأساسي للمحكمة أنه قد أوكل محكمة العدل الدولية على حسم النزاعات بين الدول الأطراف، وكما هو معلوم أن محكمة العدل الدولية تختص بالنظر بالتقاضي بما يخص الدول فقط، وبالتالي فإن قراراتها التي تصدر في هذه النزاعات إلى الدول المتنازعة مجبرة على تنفيذها بالرغم من إلزامية تطبيقها^(٨١). أضف إلى ذلك، أن هذه المادة لم تنص على بصورة مباشرة أو غير مباشرة على جزاء ينتج عنه تجميد عضوية الدولة أو وقفها، في حالة عدم امتثال الدول إلى التوصيات التي تصدرها الجمعية عند المنازعات، حيث كان من الأفضل أن ترفق جزاءات على الدولة التي لا تلتزم بتوصيات الجمعية لكي تمثل كل دولة إلى هذه التوصيات^(٨٢).

نستنتج من خلال ما اسلفناه، أن الخلافات أو النزاعات التي تحدث بين الدول الأطراف بسبب تطبيق أو تفسير النظام الأساسي، تحل من خلال الوسائل السلمية فقط، والمشكلة أن جمعية الدول الأطراف

٨٠- أحمد أبو الوفا، المفاوضات الدولية، المرجع السابق، ص ١٠، ١١.

٨١- محمد صلاح الدين، منظمة التجارة العالمية وآلية تسوية المنازعات، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بابل، بابل،

٢٠٠٣، ص ٥٨-٦١.

٨٢- اللجنة التحضيرية لإنشاء المحكمة، المرجع السابق، ص ١٧٢.

تفتقر إلى العقوبات التي يجب ان تفرضها على الدول لكي تجبرها على تنفيذ توصياتها، وهذا ما يؤدي بالنهاية إلى عدم امتثال الدول إلى تلك التوصيات مما قد يؤثر على عمل الجمعية بصورة عامة.

الخاتمة

بعد أن فرغنا من دراسة موضوع دور جمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية، ومن دون الدخول في تكرار ما سبق بحثه؛ فإنَّ هناك بعض النتائج التي ترسّخت لنا من خلال البحث، وبعض التوصيات سوف نوجزها بالآتي:

أولاً: النتائج

١. تتألف جمعية الدول الأطراف من ممثلي جميع الدول التي صادقت على النظام الأساسي للمحكمة دون إضفاء مركز تفضيلي لبعض الدول، وتكون الدول متساوية في عضويتها لا فرق بين عضوية أصلية أو منضمة، وتكون العضوية فيها تلقائية للدول بمجرد المصادقة على النظام من غير أي شروط موضوعية أو شكلية.
٢. تُعَد جمعية الدول الأطراف الهيئة التشريعية للمحكمة الدولية الجنائية، إذ تتمتع بصلاحيات عدّة، منها: تعديل النظام الأساسي للمحكمة النظام الداخلي لها والوثائق الصادرة من المحكمة، ويمكنها إضافة جرائم دولية إلى اختصاص المحكمة، ولها أن تصدر قرارات ومقررات تنظّم سير الإجراءات في أجهزة المحكمة، ولها اختصاص الإشراف العام التنظيمي والمالي والإداري على جميع أجهزة المحكمة.
٣. تقوم جمعية الدول الأطراف بتسوية المنازعات الدولية بشأن تفسير وتطبيق النظام الأساسي للمحكمة، وذلك بمتابعة المسألة عن كثب وإصدار توصيات للدول المتنازعة لحل النزاع بالطرق السلمية الدبلوماسية القانونية، وإن لم تكن التوصيات ملزمة للدول المتنازعة إلا أنَّها ذات اعتبار في مسألة التنازع. ونرى أنَّه يجب إعادة النظر بالنسبة إلى القرارات التي تصدرها جمعية الدول الأطراف كونها غير ملزمة، إذ يجب أن تكون ملزمة على جميع الدول الأطراف، إضافة إلى ذلك، نجد قلة الدول العربية المصادقة على نظام روما والمتضمنة خمس دول فقط (الأردن، اليمن، جيبوتي، جزر القمر، تونس)، وهذا يعني قلة الثقل العربي داخل جمعية الدول الأطراف.

ثانياً: التوصيات

١. إنشاء جمعية الدول الأطراف جهازاً دائماً مرتبطاً بها مختصاً بآلية تسوية المنازعات المتعلقة بتفسير وتطبيق النظام الأساسي بين الدول الأطراف، فللجمعية الصلاحية في إنشاء هيئات مرتبطة بها متى ما دعت الحاجة إلى ذلك، ومثل هذه الصلاحية تمكنها من إنشاء جهاز ذي صبغة قضائية مستقبلاً، وذلك على غرار بعض المنظمات الدولية التي أفردت لمسألة تسوية المنازعات ما بين الدول الأعضاء فيها جهازاً قائماً بذاته يختص بتسوية المنازعات تأمين الاستقرار في العلاقات الدولية.
٢. إنَّ جمعية الدول الأطراف تفتقر إلى العقوبات التي يجب ان تفرضها على أعضائها، لكي تجبرها على تنفيذ قراراتها، وهذا ما يؤدي بالنهاية إلى عدم امتثال الدول إلى تلك التوصيات مما قد يؤثر على عمل الجمعية بصورة عامة. وعليه يجب على الجمعية تعديل نظامها الداخلي من خلال فرض

عقوبات على الدول الأعضاء في حال عدم امتثالهم لقراراتها مثل فرض غرامات مالية، أو تعليق عضويتها في المحكمة الجنائية الدولية.

٣. تعديل نص المادة (٢/١١٩) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، الذي أشار إلى أنه في حال نشوب نزاع بين الدول الأطراف، يمكن إحالته إلى محكمة العدل الدولية، إذ يجب أن تكون صلاحيات حل النزاعات داخل المحكمة الجنائية الدولية من ضمن صلاحيات جمعية الدول الأطراف حصراً.

المصادر

أولاً: الكتب

- ١- أحمد أبو الوفا، الحماية الدولية لحقوق الإنسان في إطار منظمة الأمم المتحدة والوكالات الدولية المتخصصة، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ٢- أحمد أبو الوفا، الوسيط في قانون المنظمات الدولية، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.
- ٣- أحمد أبو الوفا، المفاوضات الدولية دراسة لبعض جوانبها القانونية في القانون الدولي والشرعية الإسلامية، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥.
- ٤- عبد الكريم علوان خضير، الوسيط في القانون الدولي العام، عمان، ١٩٩٧.
- ٥- عبد العزيز محمد سرحان، دور محكمة العدل الدولية في تسوية المنازعات الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١.
- ٦- عصام العطية، القانون الدولي العام، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠١.
- ٧- عصام محمد أحمد زياتي، قواعد تعيين الموظفين الدوليين، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ١٩٩٥.
- ٨- علي يوسف الشكري، القضاء الجنائي الدولي في عالم متغير، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.
- ٩- فيدا نجيب حمد، المحكمة الجنائية الدولية نحو العدالة الدولية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٦.
- ١٠- صالح مهدي العبيدي، قانون المنظمات الدولية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٩٢.
- ١١- محمد المجذوب، التنظيم الدولي، النظرية العامة والمنظمات الدولية والإقليمية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٨.
- ١٢- ياسر عامر المختار، المحكمة الجنائية الدولية دراسة نقدية، منشورات صادر الحقوقية، بيروت، ٢٠١٦.

أنظمة المحكمة:

- ١- النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.
- ٢- النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف في المحكمة الجنائية الدولية.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

- ١- علي ضياء حسين الشمري، القضاء الدولي الجنائي (دراسة نظرية تحليلية مقارنة للنظم الأساسية للمحاكم الجنائية)، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بابل.
- ٢- زياد عيتاني، المحكمة الجنائية الدولية وتطور القانون الدولي الجنائي، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠٠٦.
- ٣- سوسن تمر خان بكه، الجرائم ضد الإنسانية في ضوء أحكام النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٤.
- ٤- محمد صلاح الدين، منظمة التجارة العالمية وآلية تسوية المنازعات، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بابل، بابل، ٢٠٠٣.

ثالثاً: القرارات

- ١- قرار جمعية الدول الأطراف بشأن اختيار موظفي المحكمة الذي اتخذته الجمعية في جلستها العامة الثالثة المعقودة في ٩/أيلول/٢٠٠٢ الوثيقة ICC-ASP/1/RES. 10.
- ٢- قرار جمعية الدول الأطراف المتخذ في جلستها العامة الخامسة للدورة الثالثة في ٩/أيلول/٢٠٠٤ بتوافق الآراء، بشأن تحسين المادة (٢٩) من النظام الداخلي لجمعية الدول الأطراف، الوثيقة ICC-ASP/3/Res. 2. Press Release Doc. Third Session of ASP 9 September, 5th Meeting, P 1, NO ASP 2004. 007, 2004.

رابعاً: التقارير

- ١- تقرير مكتب الجمعية المرفق بمذكرة أمانة جمعية الدول الأطراف المقدم إلى اجتماع الدورة الثالثة لجمعية الدول الأطراف للفترة ٦ - ١٠/أيلول/٢٠٠٤، تحت عنوان (اقترح بشأن انتخاب رئيس للجمعية والعضوية المقبلة للمكتب)، ٣١/آب/٢٠٠٤، ص ٣، الوثيقة ICC-ASP/3/24.
- ٢- تقرير الدورة الأولى (الاستئناف الأول والثاني) لجمعية الدول الأطراف، منشورات الأمم المتحدة، طبع في قسم طباعة الوثائق، الأمم المتحدة - نيويورك، ٢٠٠٣، ص ١-٢، الوثيقة ICC-ASP/1/3/Add. 1.
- ٣- تقرير الدورة الثانية لجمعية الدول الأطراف، منشورات الأمم المتحدة، قسم طباعة الوثائق، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠٠٣، الوثيقة ICC-ASP/2/10.
- ٤- تقرير اللجنة التحضيرية لإنشاء محكمة دولية جنائية، الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة الدبلوماسي للمفوضين المعني بإنشاء محكمة دولية جنائية، روما، ١٥ حزيران - ١٧ تموز ١٩٩٨.
- ٥- تقرير مكتب الجمعية المرفق بمذكرة أمانة جمعية الدول الأطراف المقدم إلى اجتماع الدورة الثالثة لجمعية الدول الأطراف للفترة ٦ - ١٠/أيلول/٢٠٠٤، تحت عنوان (اقترح بشأن انتخاب رئيس للجمعية والعضوية المقبلة للمكتب)، ٣١/آب/٢٠٠٤، الوثيقة ICC-ASP/3/24.

٦- قرار جمعية الدول الأطراف بشأن إجراءات ترشيح وانتخاب القضاة والمدعي العام ونواب المدعي العام للمحكمة الدولية الجنائية، والذي اتخذته الجمعية في جلستها العامة الثالثة المعقودة في ٩/أيلول/٢٠٠٢ بتوافق الآراء. ص ١، الوثيقة ICC-ASP/1/Res.2.

٧- مشروع اتفاق بشأن العلاقة بين المحكمة الدولية الجنائية والأمم المتحدة، نيويورك، ٢٦ شباط - ٩ آذار ٢٠٠١، و ٢٤ أيلول - ٥ تشرين الأول ٢٠٠١، وثيقة رقم (PCNICC/2001/1/A. dd1)، ٨ كانون الثاني ٢٠٠٢، المادة ١، ٢، ٣.

٨- تقرير الدورة الأولى (الاستئناف الأول والثاني) لجمعية الدول الأطراف، منشورات الأمم المتحدة، طبع في قسم طباعة الوثائق، الأمم المتحدة - نيويورك، ٢٠٠٣، ص ١-٢، الوثيقة ICC-ASP/1/3/Add. 1.

٩- تقرير الدورة الثانية لجمعية الدول الأطراف، منشورات الأمم المتحدة، قسم طباعة الوثائق، الأمم المتحدة، نيويورك، ٢٠٠٣، الوثيقة Icc-Asp/2/10.

خامساً: المجلات

١- محمد عزيز شكري، المحكمة الجنائية الدولية (بعض الملامح الأساسية)، مجلة المأمون، دمشق، عدد ٧-٨، اب ٢٠٠٨.

٢- عامر الزمالي، مجلة الإنساني، إصدار اللجنة الدولية للصليب الأحمر، العدد السابع عشر، تموز-أب/٢٠٠١.

٣- مأمون الخصاونة، مجلة الإنساني، إصدار اللجنة الدولية للصليب الأحمر، العدد الرابع والعشرون، ربيع/٢٠٠٣.

سادساً: المواقع الإلكترونية

1. www.un.org/law/icc/asp/2ndsession/report/second_reprt_contents.htm
2. www.icc-int/registry/home.
3. www.icc-int/registry/registrar.php.
4. www.nato.int/docu/fonda/traite.htm

تأثير الشمول المالي على مؤشرات كفاية رأس المال (العراق حالة دراسية للمدة ٢٠١٠-٢٠١٦)

Effect of financial inclusion on capital adequacy indicators (Iraq case study for the period 2010 -2016)

أ.م.د. كمال كاظم جواد الشمري^(١)

Assist. Prof. Kamal K. Jawad Al-Shimari

ريام فاضل شاكر الفتلاوي^(٢) Riam F. Shakir Al-Fatlawi

المستخلص

يعد الشمول المالي احد اولويات السياسات المالية والنقدية بشكل عام والعراق بشكل خاص، وذلك لما له من دور كبير في تعزيز الثقافة المصرفية لدى المجتمع وتحسين اداء القطاع المالي والمصرفي في العراق، وقد سعى صانعو السياسات النقدية والمالية الى اىصال الخدمات المالية الى شرائح المجتمع كافة وخاصة الشرائح المحرومة من هذه الخدمات الحيوية، وتعد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بوابة الوصول الى الشمول المالي، ومن جانب اخر كانت البنوك التجارية تواجه مختلف انواع المخاطر خلال اعمالها اليومية ولغرض تلافي الوقوع في مثل هذه المخاطر فقد تم تحديد نسبة محددة من كفاية رأس المال للحيلولة دون فشل البنوك ولتعزيز السوق والاستقرار المصرفي، وقد انطلقت الدراسة من مشكلة رئيسية مفادها (كيف سيؤثر الشمول المالي على مؤشرات كفاية رأس المال في العراق) والتي تضمنت مجموعة من التساؤلات لإعطاء رؤية علمية متكاملة تبين الفعالية الاقتصادية للشمول المالي في تعزيز الاستقرار المصرفي. وقد تم تحليل تأثير ابعاد الشمول المالي المتمثلة بالوصول والاستخدام على كفاية رأس المال في العراق للمدة (٢٠١٠-٢٠١٦) باستخدام البرنامج الاحصائي (SPSS.V25) وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات اهمها وجود علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين ابعاد الوصول ومؤشر كفاية رأس المال، وكذلك عدم وجود علاقة تأثير ذات دلالة

١- جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

٢- جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

معنوية بين جميع ابعاد الاستخدام ومؤشر كفاية رأس المال، وتوصل الباحثان الى مجموعة توصيات اهمها ضرورة قيام البنك المركزي العراقي بتوسيع استخدام أجهزة الصراف الآلي ونقاط البيع والبطاقات الإلكترونية، وذلك للدور الهام الذي تلعبه في توفير المعاملات المصرفية الإلكترونية وإيصالها إلى أكبر شريحة في المجتمع العراقي، وكذلك التوجه نحو مشاركة المؤسسات التعليمية، سواء في المدارس أو التعليم العالي من خلال البرامج التعليمية والتثقيفية، فمن الضروري جعلهم يفهمون أهمية الشمول المالي لتحقيق نمو شامل في الاقتصاد، الأمر الذي بدوره سيحفزها على المشاركة تلقائيًا في النظام المالي. الكلمات المفتاحية: الشمول المالي، مؤشر كفاية رأس المال، البنك المركزي.

Abstract

Financial inclusion is one of the priorities of monetary and monetary policies in general and Iraq in particular, because of its great role in enhancing the banking culture of the society and improving the performance of the banking and financial sector in Iraq. Monetary and financial policy makers have sought to deliver financial services to all segments of society, And the information and communication technology is the gateway to access to financial coverage. On the other hand, commercial banks have faced various types of risks during their daily operations. In order to avoid the occurrence of such risks, a specific percentage of KFA The study started from a major problem (how financial coverage will affect the capital adequacy indicators in Iraq), which included a set of questions to give an integrated scientific vision indicating the economic effectiveness of financial coverage in enhancing banking stability.. The impact of the dimensions of the financial coverage of access and utilization on capital adequacy in Iraq for the period 2010-2016 was analyzed using the SPSS.V25. The study reached a number of conclusions, the most important of which was a significant effect relationship between the dimensions of access and the capital adequacy index, As well as the trend towards the participation of educational institutions, both in schools and higher education through educational and educational programs, it is necessary to make them understand the importance of financial inclusion to achieve comprehensive growth in the economy, which in turn will stimulate them to participate automatically in the financial system.

Keywords: Financial inclusion, capital adequacy index, central bank.

المبحث الأول: منهجية البحث

أولاً: مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في الاجابة عن التساؤلات الاتية:

- ما المقصود الشمول المالي؟ ما أهميته ومبادئه؟ وما المؤشرات التي يمكن من خلالها قياس المستوى العام له؟
- ما المقصود بمؤشر كفاية رأس المال؟ وما أهميته ومعاييرها؟
- هل هناك تأثير ذات دلالة احصائية ومعنوية بين ابعاد الوصول ومؤشر كفاية رأس المال؟
- هل هناك تأثير ذات دلالة احصائية بين ابعاد الاستخدام ومؤشر كفاية رأس المال؟

ثانياً: أهمية البحث

- تأتي أهمية البحث من خلال مجموعة من النقاط الآتية:
- معرفة واقع الشمول المالي في العراق في ضوء قياس اهم مؤشرات وتحليلها.
- تحديد مدى مساهمة ابعاد الشمول المالي في تحقيق الاستقرار المصرفي.
- إعطاء رؤية علمية في إطار متكامل من التطورات النظرية والتطبيقية التي تبين الفعالية الاقتصادية للشمول المالي في تعزيز الاستقرار المصرفي بالتركيز على الشمول المالي بعده موضوعاً حيوياً لم يحصل على حصة كافية من الدراسة في المؤسسات الأكاديمية والبحثية على مستوى.

ثالثاً: فرضيات البحث

- ينطلق البحث من فرضية رئيسة مفادها (لا توجد هناك علاقة أثر ذات دلالة احصائية معنوية بين الشمول المالي ومؤشر كفاية رأس المال)، ولقد تفرع منها الفرضيات الفرعية الآتية:
- الفرضية الفرعية الأولى: لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة احصائية معنوية بين ابعاد الوصول ومؤشر كفاية رأس المال.
- الفرضية الفرعية الثانية: لا توجد تأثير ذات دلالة احصائية معنوية بين ابعاد الاستخدام ومؤشر كفاية رأس المال.

رابعاً: حدود البحث

- تتمثل حدود البحث بما يأتي:
- ١. الحدود المكانية: تتمثل الحدود المكانية بالعراق كحالة دراسية.
- ٢. الحدود الزمانية: الحقبة الزمنية لبيانات ومؤشرات الشمول المالي والاستقرار المصرفي التي تم اعتمادها في البحث للمدة (2010-2016).

خامساً: هيكلية البحث

تم تقسيم هيكلية البحث على ثلاثة مباحث، تضمن المبحث الأول منهجية البحث من حيث المشكلة والاهمية والفرضيات الرئيسة وهيكلية البحث. اما المبحث الثاني فقد تناول الإطار النظري للشمول المالي ومؤشر كفاية رأس المال حيث المفهوم والاهمية و... الخ وفق محورين أساسيين، في حين تناول المبحث الثالث تحليل بيانات الشمول المالي ومؤشر كفاية رأس المال في العراق واستخدام البرنامج الاحصائي SPSS.v25 لاستخراج علاقة اثر الشمول المالي على مؤشر كفاية رأس المال في العراق، واخيراً المبحث الرابع الذي تم فيه تناول الاستنتاجات و التوصيات التي توصل إليها الباحثان.

المبحث الثاني: الخلفية النظرية للشمول المالي والاستقرار المصرفي

المحور الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للشمول المالي

أولاً: لمحة تاريخية عن الشمول المالي

تعود جذور الشمول المالي التاريخية إلى أوائل عقد التسعينات من القرن الماضي، وقد تصاعد الاهتمام بهذه البرامج استجابة لدعوات ومناشدات مجموعة من محافظي البنوك المركزية في مجموعة من الدول النامية والناشئة في مختلف أنحاء العالم، ولاسيما في دول شرق آسيا، إذ تضمنت هذه المناشدات توسيع نطاق الخدمات المالية والمصرفية لتشمل أكبر شريحة ممكنة من المجتمع، بعد أن كان أكثر من (٥٠%) من سكان العالم لا يستطيعون الوصول إلى الخدمات المالية والمصرفية.

إن توسع قاعدة الخدمات المصرفية بمختلف أنواعها لا يعطي استقراراً مالياً للأفراد فحسب، بل يساهم في رفع معدلات النمو الاقتصادي وتحسين نوعية الحياة للمجتمع بأكمله عبر خدمات الائتمان والدفع والتأمين وتحفيز المدخرات التي أصبحت من ضرورات العصر.

لقد تغيرت سياسة الشمول المالي في السنوات الأخيرة، فبعد أن أدركت الحكومات والبنوك التجارية إمكانية إدماج الفقراء ومنخفضي الدخل في الخدمات المالية والمصرفية، عملت على تحقيق الشمول المالي وذلك من خلال وضع خطط وبرامج منظمة تهدف إلى الوصول إلى مستويات عالية من مؤشرات الشمول المالي التي تم تحديدها من قبل البنك الدولي، ففي عام ٢٠١١ كشفت الدراسات الاستقصائية المعدة من قبل البنك الدولي والتي شملت (١٤٨) دولة، بأن التعليم ومستوى نصيب الفرد من الدخل القومي ارتفع بشكل واضح في الدول التي قامت بتطبيق برامج وخطط الشمول المالي مقارنة بالدول الأخرى التي لم تتحرك بهذا الاتجاه، كما أثبتت تلك الدراسات بأن الشمول المالي يعمل على مكافحة ظاهرة الخدمات المالية في الظل (المرايين)، ويخفض من مستويات الفائدة فضلاً عن كونه يحقق النمو الاقتصادي المستدام (Ramiz, 2017: 3).

إن ظهور مشاريع التمويل الأصغر في مطلع السبعينات من القرن الماضي يعد النواة الأولى لمفهوم الشمول المالي، إلا أنه لا بد من التمييز بين الاثنين، فالشمول المالي ينطوي على تقديم أنواع الخدمات المالية والمصرفية لأكثر عدد ممكن من شرائح المجتمع مثل القروض والادخار والتأمين والتحويل، في حين يتحدد مفهوم التمويل الأصغر بمنح القروض الصغيرة والميسرة لأصحاب المشاريع الفردية الصغيرة فقط، وغالباً ما تقوم بهذا النشاط منظمات غير حكومية (Christen et al, 2004: 2). وبمرور الزمن تطور مفهوم الائتمان الأصغر من التمويل الأصغر ثم إلى مفهوم الشمول المالي والذي يقصد به تقديم أنظمة مالية متكاملة تخدم الناس الفقراء ومنخفضي الدخل (Helms, Littlefield ٢٠٠٦: ١)، كما يتضمن الشمول المالي الجهود المبذولة للوصول إلى أفراد غير مشمولين بالخدمات المالية والمصرفية، والتي تتمثل بتأمين البنوك واندماج المصارف الريفية والإقليمية وتوسيع البنية التحتية المصرفية فضلاً عن مضاعفة أعداد الفروع المصرفية، وتجدر الإشارة إلى أن كل هذه المبادرات التي كانت تسعى لتقديم الخدمات المالية والمصرفية للأفراد

المهمشين ماليا لم تصل إلى كافة شرائح المجتمع، إذ لا يزال هنالك عدد كبير من الأسر الفقيرة محرومة من أبسط الخدمات المالية والمصرفية الأساسية (3: Chakrabarty, 2011).

ثانياً: مفهوم الشمول المالي

يطلق مصطلح الشمول المالي على العديد من المفاهيم بحسب الكتاب والباحثين لانعكاسه المباشر على الاستقرار المالي والمصرفي بشكل خاص والنمو الاقتصادي بشكل عام في الاقتصادات المتقدمة والنامية على حد سواء، فقد عُرف الشمول المالي حسب مركز الشمول في واشنطن على أنه "الحالة التي يكون فيها جميع الأفراد قادرين على الوصول إلى مجموعة كاملة من الخدمات المالية ذات الجودة العالية والكلفة المنخفضة وبأسلوب ملائم يحفظ كرامة العملاء، حيث يمكن الوصول إلى الخدمات المالية من خلال مقدمي تلك الخدمات بما في ذلك فئة ذوي الحاجات الخاصة والفقراء والمناطق الريفية والمناطق المهمشة" (2013:225, Gatnar). كما عُرف أيضاً بأنه "عملية ضمان الوصول إلى الخدمات المالية والائتمانية في الوقت المناسب والكافي عند الحاجة للفئات الضعيفة والفئات ذات الدخل المنخفض بتكلفة معقولة" (Gupter, et al, 2012:133).

وفي تعريف آخر عُرِفَت (مجموعة العشرين G2) ومؤسسة التحالف العالمي للشمول المالي (AFI) الشمول المالي بأنه "تعزيز وصول واستخدام كافة فئات المجتمع حيث يشمل الفئات المهمشة و الفقيرة للخدمات والمنتجات المالية التي تتناسب مع احتياجاتهم بحيث تقدم لهم بشكل عادل وشفاف وبتكاليف معقولة" (صندوق النقد العربي، ٢٠١٥: ٢-٣). وفي هذا الصدد يتبين بان هناك فرقاً بين مفهوم الشمول المالي ومفهوم الحصول على الخدمات المالية حيث ان الشمول المالي يشمل نسبة الافراد والشركات الذين يستخدمون الخدمات المالية من اجمالي عدد السكان. فعدم الاستخدام لا يعني بالضرورة صعوبة الحصول على الخدمات. فقد يكون بعض الأفراد قادرين بالحصول على الخدمات وبأسعار مناسبة ولكنهم لا يميلون إلى استخدامها، وآخرين يفتقرون بالحصول على هذه الخدمات بسبب تكلفتها الباهظة أو عدم توافر هذه الخدمات أو بسبب الحواجز التنظيمية أو العقبات التنظيمية أو لأسباب ثقافية، وإن عدم وجود شمول مالي ربما يعزى إلى نقص بالطلب على الخدمات أو وجود بعض العوائق تمنع وصول الأفراد والشركات إلى الخدمات (GFDR, 2014:16).

ومن خلال التعاريف والمفاهيم المختلفة للشمول المالي والتي أشار إليها مختلف الكتاب والباحثين، يرى الباحثان بان الشمول المالي هو إتاحة المنتجات والخدمات المالية واستخدامها من قبل شرائح المجتمع، وبما يشمل الفئات ذوي الدخل المحدود والميسورين، كما تقدم بشكل عادل وبتكاليف معقولة دون تمييز وتساعدهم على استمرار مشاريعهم ليصبحوا جزءاً من النشاط الاقتصادي من خلال القنوات الرسمية التي تحكم عملها من التعليمات والضوابط التي يصدرها البنك المركزي بتمام رقابته الإشرافية على تنفيذ هذه التعليمات والضوابط بما يضمن حماية حقوق المستهلك ونشر الثقافة المالية بالوقت نفسه.

ثالثاً: أهمية الشمول المالي

تبرز أهمية الشمول المالي من خلال الآتي:

١. يسهم الشمول المالي في تعزيز جهود التنمية الاقتصادية، حيث ان هناك علاقة طردية بين الشمول المالي والناتج المحلي الاجمالي (الدريعي، ٢٠١٨: ١٣).
٢. يلعب الشمول المالي دوراً مهماً في أتمته النظام المالي حيث يتطلب توسيع انتشار الخدمات المالية وزيادة معدلات استخدامها المزيد من أتمته هذه الخدمات، وبما يجذب المزيد من مستخدمين الثورة التكنولوجية في مجال الاتصالات والالكترونيات التي يشهدها العالم في القرن الواحد والعشرين (World Bank, 2014:2).
٣. يُعد الشمول المالي عنصراً متزايد الأهمية لسياسات التنمية الدولية، كما يتضح ذلك من اعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة "اهداف التنمية المستدامة" في أيلول عام ٢٠١٥، المتكونة من (١٧) هدفاً رئيسياً، ستة منها تحتوي على مؤشرات مرتبطة بالشمول المالي، وعلى سبيل المثال كان الهدف الأول هو القضاء على الفقر بجميع أشكاله في كل مكان، وحصول الجميع على عدد من الخدمات الأساسية كهدف يمكن تحقيقه بحلول عام (٢٠٣٠)، بما في ذلك الخدمات المالية، أما الهدف الثاني فكان تعزيز النمو الاقتصادي الشامل والمستدام والعمالة الكاملة وفرص العمل اللائق للجميع كما يشير ايضاً إلى الحاجة الى تشجيع المشاريع الصغيرة والمتوسطة وإضفاء الطابع الرسمي وتنميتها، من خلال الوصول إلى الخدمات المالية، وهذا يدل على اعتراف جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بأهمية الشمول المالي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية (Clotteau & Measho, 2016: ١٣).
٤. للشمول المالي دور في تعزيز قدرة الأفراد على الاندماج والمساهمة في بناء مجتمعاتهم حيث أن تحسين قدرة الافراد على استخدام الخدمات المالية في النظام المالي ستعزز قدرتهم على بدء أعمالهم الخاصة، والاستثمار في التعليم، فضلاً عن تحسين قدرتهم على إدارة مخاطرهم المالية وامتصاص الصدمات المرتبطة بالتغيرات المالية (إضاءات مالية ومصرفية، ٢٠١٦: ٢).
٥. يساعد الشمول المالي في مكافحة غسيل الاموال وتمويل الارهاب، حيث ان اجراءات مكافحة غسيل الموال وتمويل الارهاب ترتبط ايجابيا بـ (علاقة طردية) مع الشمول المالي، ذلك يعني كلما زاد استخدام الخدمات المالية الرسمية زادت كفاءة مكافحة غسيل الاموال وتمويل الارهاب وهذا يدل على توحيد الهدف في جذب الافراد والشركات المستبعدين مالياً في التعامل مع المؤسسات المالية والمصرفية (FATF/OECD, 2013: 15).

رابعاً: مبادئ الشمول المالي

تتضمن مبادئ الشمول المالي تقديم العون والمساعدة من اجل تهيئة البيئة التنظيمية الخاصة بالسياسات الداعمة للشمول المالي القائم على الإبداع والابتكار، لتحسين سبل وصول الفقراء للخدمات المالية من خلال الانتشار الآمن والسليم للمناهج الجديدة، من ابرز المبادئ التي يقوم عليها الشمول المالي ما يأتي:-

١. القيادة (Leadership): وتتضمن غرس الالتزام الحكومي الواسع والصريح تجاه الشمول المالي للمساعدة في تخفيف وطأة الفقر، ومن الناحية العملية فان ذلك يعني ان الحكومات الاكثر نجاحاً هي الاكثر دعماً للشمول المالي، وذلك من خلال معالجة قضايا السياسة العامة والتنظيمية ذات الصلة بالابتكار وحماية المستهلك وتيسير مناهج جديدة فضلاً عن اعتماد مناهج تعاونية ازاء

الشمول المالي تمارس من قبل الجهات ذات الصلة، بما في ذلك القطاع العام و السلطات الرقابية ودعم برامج التثقيف المالي أو من خلال تطوير البنية التحتية لنظم المدفوعات وجمع وتوفير البيانات لدعم السياسات القائمة على الادلة التي من شأنها ان تحافظ على سلامة النظام المالي (G20,2010:2).

٢. التنوع (Diversity): ويقصد بها تنفيذ منهج السياسات التي تشجع على المنافسة وتتيح الحوافز المستندة إلى أوضاع السوق لتوفير الوصول المستدام للخدمات المالية واستخدام مجموعة واسعة من الخدمات ميسورة التكلفة مثل (خدمات الايداع، والقروض، الدفع، والتحويلات، والتأمين) فضلاً عن ان هذه السياسات توفر مجموعة متنوعة من جهات تقديم الخدمة (حيث ان تنوع المنتجات ومقدمي الخدمات يمكن ان يؤدي الى توافر الخدمات وتعزيز المنافسة الشريفة وكذلك يزيد من فرص حصول الشرائح المستبعدة على الخدمات المالية والمصرفية واستخدامها).

٣. التطوير (Innovation): ويتضمن تشجيع التطور التكنولوجي والادوات المؤسسية كوسيلة لتوسيع نطاق الوصول إلى النظام المالي، مع الاشارة الى نقاط الضعف في البنية الأساس (العامري، ٢٠١٨: ٤٢).

٤. الحماية (Protection): ويقصد بها وجود عناصر شاملة لحماية المستهلك في إطار القواعد المتعارف عليها من قبل الحكومة ومقدمي الخدمات المالية والمصرفية ومستخدمي هذه الخدمات.

٥. التمكين (Empowerment): يقصد به العمل على محو الأمية المالية للأفراد، لتحقيق الاستفادة المثلى من الخدمات المالية، لذلك لابد من تطوير قدراتهم وثقافتهم المالية وتمكين قدراتهم (Alliance for Financial Inclusion, 2011, 3).

٦. التعاون (Cooperation): يعني خلق بيئة مؤسسية تتضح فيها خطوط المساءلة والتنسيق والمحاسبة الحكومية، و تشجيع الشراكات والمشاورات المباشرة مع الحكومة والشركات وأصحاب المصالح المعنيين في القطاع المالي (ابو دية، ٢٠١٦: ٣٢).

٧. المعرفة (Knowledge): يجب توفير بيانات كافية ودقيقة، واستخدامها لوضع سياسة عامة قائمة على أدلة وأدوات لقياس التقدم في الشمول المالي من قبل الجهات الرقابية والإشرافيه ومزودي الخدمات المالية والمصرفية (G20,2010:20).

٨. التناسب (Proportionality): هو وضع إطار للسياسات وخاص بالنواحي التنظيمية بشكل يتناسب مع المخاطر والمنافع التي تنطوي عليها المنتجات والخدمات المالية المبتكرة ويستند إلى فهم للفجوات والمعوقات الموجودة في التنظيم الحالي الذي يختلف في المنافع والمخاطر المرتبطة بالخدمات المالية ومقدمي الخدمات المالية (مطر، ٢٠١٨: ٣٨).

٩. إطار العمل (Framework): يعني الاخذ بنظر الاعتبار المسائل التالية المعايير الدولية والظروف الوطنية ودعم المشهد التنافسي: نظام مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب على نحو ملائم ومرن قائم على المخاطر؛ شروط استخدام الوكلاء كواجهة عميل، نظام تنظيمي واضح للقيمة المخزنة

تأثير الشمول المالي على مؤشرات كفاية رأس المال (العراق حالة دراسية للمدة ٢٠١٠-٢٠١٦)

إلكترونياً، والخوافز الموجهة نحو السوق لتحقيق الهدف طويل الأجل المتمثل في قابلية التشغيل البيئي والتواصل البيئي (٢٠١٥: ١٥, National Strategy for Financial Inclusion).

خامساً: ابعاد الشمول المالي ومؤشرات قياسه

اصدرت مجموعة العشرين (G20) مع توصية الشراكة العالمية (GPII) من أجل الشمول المالي على مجموعة أساسية من مؤشرات قياس الشمول المالي، و تُقيس هذه تتناول ثلاثة أبعاد رئيسية هي:

١. بُعد الوصول ومؤشرات قياسه:

يساعدنا هذا البعد في قياس حجم السكان المصرفيين، ويقصد به القدرة على استخدام الخدمات والمنتجات المالية المتاحة من المنظمات الرسمية، وهو يعكس عمق التواصل للخدمات والمنتجات المالية في إطار نظام مالي شامل، ينبغي أن تكون الخدمات المالية متاحة بسهولة للمستخدمين المحتملين ويمكن الإشارة إلى توافر الخدمات من قبل عدد نقاط الوصول التي تقدم الخدمات المالية مثل المصرف، الفروع / المنافذ branches، وآلات الصرف الآلي (ATMs) أو وكلاء البنوك (BAs) أو في بعض البلدان المعروفة باسم المراسلات المصرفية (BCs) لتوفير الخدمات المصرفية للسكان (Gamito, 2018:9).

إنَّ التطورات المصرفية الحديثة عبر الهاتف المحمول واستخدام الخدمات المالية عبر شبكات الانترنت المختلفة تفتح قنوات جديدة إلى الخدمات المالية الرسمية حيث ان التكنولوجيا التي تم اعتمادها في القطاع المصرفي تتجاوز الوصول المصرفي التقليدي الذي يقاس بعدد الفروع واجهزة الصراف الآلي وان بعد المسافة لم يعد حاجزاً امام الوصول للخدمة المالية وأن المؤشرات التقليدية لقياس الوصول للخدمات المالية غير وافية حالياً (Camara and Tuesta, 2014:10).

٢. بُعد الاستخدام ومؤشرات قياسه:

هو الاستخدام الفعلي للمنتجات والخدمات المالية، على سبيل المثال، تفشل الحملات التي تهدف إلى زيادة عدد الحسابات اذا كانت تلك استخدام الحسابات يتم استخدامها بشكل نادر او لم يتم استخدامها مطلقاً، وان تحديد مدى استخدام الخدمات المالية يتطلب جمع بيانات حول مدى انتظام وتواتر الاستخدام عبر فترة زمنية معينة (Yoshino & Morgan, 2016:4).

٣. بُعد الجودة ومؤشرات قياسه:

يقصد بها قدرة الخدمات المالية او المنتجات على تلبية طلبات المستهلك وان عملية وضع مؤشرات لقياس ابعاد الجودة يُعدُّ تحدياً نظرياً بحد ذاته وذلك لكون بعد الجودة للشمول المالي ليس بعداً واضحاً ومباشراً لأن هنالك العديد من العوامل التي تؤثر على جودة ونوعية الخدمات المالية مثل تكلفة الخدمة، ووعي المستهلك، وفعالية آلية التعويض بالإضافة الى خدمات حماية المستهلك والكفالات المالية، والمنافسة الشفافة في السوق، وهنالك ايضا العوامل غير ملموسة مثل ثقة المستهلك (AFI, 2013: 4)، وتؤكد المؤلفات على حاجة الناس إلى تطوير قائمة بالقدرات المالية حتى يتمكنوا من الاستفادة الكاملة من الخدمات التي يتم تقديمها لهم، حيث اصبحت القدرة المالية للعميل جانباً مركزياً متزايد الأهمية في التفكير حول الشمول المالي، ويؤكد المؤلفون على دور "التجربة" حيث تعد اهم ميزه في تحسينات القدرة المالية، وتشمل تلك التجربة استخدام المنتجات المالية، حتى قبل فهمها بشكل كامل (Mariz, 2017:26).

و يوضح الجدول (١) تلخيص لأبعاد الشمول المالي ومؤشرات قياس كل بعد كما في الآتي:-
جدول (١) أبعاد الشمول المالي ومؤشرات قياسها.

البعد	مؤشرات قياسه
الوصول الى الخدمات المالية	- عدد نقاط الوصول للخدمة المالية لكل ١٠٠٠٠ من البالغين على المستوى المحلي بحسب المحافظة. - عدد أجهزة الصراف الآلي (ATM) لكل ١٠٠٠ كيلو متر مربع - حسابات تحويل مالي الالكتروني. - امكانية الترابط بين نقاط تقديم الخدمة. - النسبة المئوية لإجمالي السكان الذين يعيشون في المحافظة بنقطة وصول واحدة على الاقل.
استخدام الخدمات المالية	- نسبة البالغين الذين لديهم نوع واحد على الاقل كحساب وديعة منتظم. - نسبة البالغين الذين لديهم نوع واحد على الاقل كحساب ائتمان منتظم. - عدد المتعاملين بسياسة التأمين لكل ١٠٠٠ من البالغين. - عدد معاملات التجزئة غير النقدية للفرد الواحد. - عدد معاملات الدفع عبر الهاتف - نسبة البالغين الذين يستخدمون حساب مصرفي بشكل دائم ومتواصل. - نسبة المحتفظين بحساب مصرفي خلال سنة مضت. - نسبة البالغين الذين يستلمون تحويلات مالية محلية أو دولية. - نسبة الشركات المتوسطة أو الصغيرة التي لديها حسابات رسمية مالية. - عدد الشركات الصغيرة والمتوسطة التي لديها حسابات ودائع. - عدد الشركات الصغيرة والمتوسطة التي لديها قروض قائمة.
جودة الخدمات المالية	<u>القدرة على تحمل التكاليف:</u> - معرفة متوسط الكلفة الشهرية للحصول على حساب أساس بناء على الحد - الحد الادنى الرسمي للأجور. - متوسط الرسوم السنوية للاحتفاظ بحساب جاري مفتوح. - متوسط تكلفة تحويلات الائتمان.

- نسبة العملاء الذين أفادوا بان رسوم المعاملات المالية غالية الرسوم.
الشفافية:
- نسبة العملاء الذين أفادوا أنهم يتلقون معلومات واضحة وكافية حول الخدمات المالية في بداية عقود القروض المالية.
- وجود نموذج وصف محدد للخدمات المالية المقدمة.
حماية المستهلك:
- امكانية وجود قانون أو لائحة معايير للشكاوي والتعامل بين العملاء والمؤسسة المالية.
- مدى وجود امكانية اللجوء الى العدالة مثل وجود محاكم مالية لحل المشاكل
- نسبة العملاء الذين لديهم ودائع تم تغطيتها بوساطة صندوق تأمين الودائع.
الراحة والسهولة:
- نسبة الافراد الذين لا يشعرون بالراحة بمتوسط الوقت الذين يقضونه في الانتظار في الاصطفاف في فروع المؤسسات المالية.
- متوسط الوقت الذي يقضيه العملاء في الاصطفاف في فروع المؤسسات المالية
التثقيف المالي:
- حساب النسبة المئوية للبالغين الذين يعرفون المصطلحات المالية الاساسية مثل المعدل، المخاطرة، التضخم.
- النسبة المئوية للبالغين الذين يستطيعوا اعداد ميزانية لهم كل شهر
المديونية (السلوك المالي):
- نسبة المقترضين الذين يتأخرون أكثر من ٣١ يوم عن سداد القرض في موعد الاستحقاق.
- كيفية حل الأزمات المالية من قبل الزبائن اما بالاقتراض من الأصدقاء الاقارب، بيع الأصول، استخدام وفورات، أو قرض مصري.
- العوائق الائتمانية:
- نسبة الوحدات الادارية في المناطق الحضرية على الاقل بثلاثة فروع مالية رسمية للمؤسسات.

- نسبة الشركات الصغيرة والمتوسطة المطلوب منها توافر ضمانات على القروض المصرفية.
- مدى وجود عوائق أو نقص في المعلومات حول أسواق الائتمان

المصدر: Global partnership for Financial Inclusion Global Partnership for Financial Inclusion. "G20 Financial Inclusion indicator. Available at: <http://www.Global Partnership For Financial Inclusion.nancial Inclusion.org/sites/default/Financial Inclusionles/g20>.

المحور الثاني: الاطار النظري لمؤشر كفاية رأس المال

أولاً: مفهوم كفاية رأس المال

يقصد بكفاية رأس المال هو مقدار رأس المال الذي يكون كافيا لامتصاص الصدمات التي تتعرض لها المصارف في عملها و ما ينتج عنها من خسائر نتيجة عملية التسليف و الاستثمار و غيرها من العمليات المصرفية، لذلك فان اهمية رأس المال للمصارف يمكن فهمه على انه وسيلة لجذب المستثمرين و المودعين، في حين تتضح أهمية رأس المال للمودع كوسيلة لحماية ايداعاتهم، أما بالنسبة للبنك المركزي فانه يعنى بكفاية رأس المال من اجل المحافظة على قدرة المصرف في تسديد التزاماته وكذلك الحفاظ على أموال المودعين و المساهمين، وعليه اصبح الحفاظ على رأس المال المصرفي من أهم القضايا المعاصرة إذ بدأ مفهوم كفاية رأس المال يحظى بأهمية كبيرة نتيجة التطورات الكبيرة التي تشهدها الاسواق العالمية، وذلك لان العمل المصرفي يتعرض في ما يتعلق بمصادر امواله للعديد من المخاطر التي قد تنشأ عن عوامل داخلية ترتبط بنشأة المصرف و ادارته أو لعوامل خارجية تنتج عن تغيرات الظروف التي يعمل المصرف (المالكي & سعيد، ٢٠١٣: ٢٢٤).

ثانياً: أهمية كفاية راس المال المصرفي

تعتمد أهمية كفاية رأس المال إلى ضرورة تأمين الضمان والأمان الكافي للمودعين والدائنين، مع الاخذ بنظر الاعتبار المحافظة على عائد معقول للمساهمين، اصبح مفهوم كفاية رأس المال ومعايير ذات أهمية متزايدة وذلك لنمو فعاليات المصارف التجارية وتوسعها في الإقراض دون أن يتطلب ذلك زيادة متسقة في رأسمالها، ولقد أدى ذلك التوسع وما نتج عنه من مخاطر إلى ظهور أزمة الديون العالمية وتأثر العديد من البنوك العالمية بذلك، وادت هذه التطورات السلطات الرقابية الى التشديد في إجراءات الرقابة وتطوير أساليب ومعايير جديدة لها لمساعدة المؤسسات المصرفية في تجنب الوصول إلى مرحلة الفشل.(الشماخ، ١٩٩٠: ١٠١).

وقد أكتسبت قضية كفاية رؤوس أموال في البنوك أهمية كبيرة في ضوء التطورات المالية والمصرفية المتتالية، من اجل تجنب انتقال المخاطر المصرفية بين الدول الصناعية أو من الدول الأخرى، إذ شهدت دول متعددة من العالم أزمات مصرفية خلال الثمانينيات والتسعينيات، وقد اختلفت حدة تلك الأزمات من الأزمة المالية التي أصابت المكسيك في أواخر عام ١٩٩٤ وأوائل عام ١٩٩٥، و أكثر الأزمات المالية والمصرفية شدة

هي أزمة جنوب شرق آسيا في النصف الثاني من عام ١٩٩٧ والتي امتدت الى عام ١٩٩٨ وكان تأثيرها واضح على الاقتصاد العالمي وبالأخص على القطاع المالي والمصرفي، إذ إن حدوث أزمات مالية ومصرفية في بعض الدول يؤثر سلباً على القطاعات المالية والمصرفية في دول أخرى، فقد تأثرت البنوك اليابانية والبنوك الأوروبية سلباً بالأزمة المالية في جنوب شرق آسيا، خاصة البنوك التي انخرطت بشكل كبير في التعامل مع البنوك والأسواق المالية في دول جنوب شرق آسيا (النشرة المصرفية، ٢٠٠٥: ١١).

ثالثاً: معايير كفاية رأس المال المصرفي

١. نسبة رأس المال إلى الودائع

تعد هذه النسبة من أشهر واقدم المعايير المستخدمة لقياس كفاية رأس المال المصرفي، يستند هذا المعيار على أساس التحكم في المخاطر الناتجة عن زيادة مجموع الودائع عن نسبة معينة في رأس المال. وقد اعتمدت معظم المصارف المركزية على نسبة مقدارها (١٠%)، بمعنى أن تكون مجموع الودائع تعادل عشرة أضعاف رأس المال، إذ زادت الودائع عن هذا الحد المقرر زادت مخاطر المصرف بالنسبة للمودعين لديه (المرسومي، ٢٠١٧: ٧٦). وتطرح هذه النسبة بالصيغة الآتية:

$$\text{رأس المال} / \text{الودائع} \times 100 = 10\%$$

٢. نسبة رأس المال إلى إجمالي الموجودات

يستخدم هذا المعيار بشكل واسع من قبل المصارف التجارية والسلطات النقدية بعد الحرب العالمية الثانية. وهو يمتاز على المعيار الأول (نسبة رأس المال إلى الودائع) بأنه يربط رأس المال بالموجودات من اجل مواجهة أية خسائر قد يتكبدها المصرف، غير أن ما يؤخذ على هذا المعيار اعتماده على إجمالي الموجودات من غير تمييز بين أنواعها المختلفة، وقد اعتمدن اغلب المصارف المركزية على نسبة مقدارها (١٠%) بمعنى ان تكون اجمالي الموجودات تعادل عشرة اضعاف رأس المال من اجل حماية حقوق المودعين (Santomero&Joseph, 1997: 185-205). والصيغة لهذه النسبة هي:

$$\text{رأس المال} / \text{إجمالي الموجودات} \times 100 = 10\%$$

٣. نسبة رأس المال إلى الموجودات المرجحة بالمخاطرة

يحدد هذا المؤشر الحد الأدنى لمتطلبات رأس المال بناءً على حجم الاصول المرجحة لمخاطر المصارف بوصفه احد الاليات المستخدمة لتقليل حجم المخاطر التي قد تتعرض لها المصارف، إذ ان الاقراض والاصول ذات المخاطر العالية تولد متطلبات رأس مال أعلى لحمايتها من المخاطر (Strumeyer & Swammy, 2017: 25)، ويمكن حساب مؤشر متطلبات كفاية رأس المال راس المال في ضوء قسمة مجموع راس المال الذي يحتوي على (مجموع راس المال الاساسي مثل الاسهم العادية والممتازة والاحتياطيات والارباح المحتجزة + مجموع راس المال التكميلي مثل الاحتياطيات غير المعلنة واحتياطيات اعادة التقييم وخصصات الديون المدومة والديون الطويلة الاجل)، على اساس المعادلة الآتية (شاكراً، ١٩٩٣: ١٦٣):

$$\text{رأس المال} / \text{الموجودات المرجحة بالمخاطرة} \times 100 = 10\%$$

٤. نسبة رأس المال إلى القروض

يعد هذا المؤشر مقياساً لهامش الأمان في مواجهة مخاطر الفشل في استرداد جزء من الأموال المستثمرة في القروض. وصيغة هذه النسبة هي:-
رأس المال / القروض $\times 100\%$

٥. نسبة رأس المال إلى الالتزامات العرضية

تمثل الالتزامات العرضية مجموعة من الحسابات النظامية (حسابات خارج الميزانية العمومية للبنوك)، وتتضمن هذه الحسابات البنود (الفقرات) الآتية (باز، ١٩٩٣: ١٥٤):

➤ التسهيلات المستندية: وهي التسهيلات التي تمنح للعملاء لفتح اعتمادات مستندية لغرض الاستيراد أو لأغراض أخرى.

➤ القبولات: وهي أرصدة الاعتمادات المؤجلة الدفع التي يقوم المستفيد (المصدر) بسحب كمبيالة على العميل (المستورد) بقيمة البضاعة، وهذه الارصدة تستحق الدفع بعد مدة معينة متفق عليها، ويتعهد المصرف بسداد قيمة هذه الكمبيالة في تاريخ الاستحقاق.

➤ الكفالات: وهي المبالغ التي يتعهد المصرف بدفعها الى الجهات المقيمة أو غير المقيمة بناء على طلب هذه الجهات (كفالات صادرة). والكفالات المصرفية يدفعها العملاء للمصرف من اجل الحصول على ضمان للتسهيلات الائتمانية الممنوحة لهم. وصيغة هذه النسبة هي:-

$$\text{رأس المال} / \text{الالتزامات العرضية} \times 100\%$$

٦. نسبة رأس المال إلى الاستثمارات

تظهر هذه النسبة مدى قدرة المصارف على مواجهة الخسائر الناتجة عن هبوط قيمة الاستثمارات، تراجع هذه النسبة يشير الى اعتماد المصرف على الودائع في تحمل الخسائر، لذلك سميت هذه النسبة بهامش الأمان في مقابلة مخاطر الاستثمارات (انخفاض القيمة السوقية للأوراق المالية والاستثمارات)، ويستبعد منها حوالات الخزينة والأوراق المالية الحكومية نظراً لخلوها من المخاطر (الشماخ، ٢٠٠٢: ٤٢).

٧. نسبة رأس المال الحر إلى الموجودات العاملة

يتم حساب رأس المال الحر بطرح الموجودات الثابتة من رأس المال لجعله حراً، أي: قابلاً للبيع لمواجهة الخسائر غير المتوقعة.

ويقصد بالموجودات العاملة: هي كل من الاحتياطات الثانوية والقروض والاستثمارات، ويطلق عليها (الموجودات المرحة) أي الموجودات التي تدر عائداً للمصرف. وتشير من هذه النسبة الى مدى كفاية رأس المال الحر لمواجهة مخاطر الاستثمار والإقراض بأنواعه (Clark&Vicent, 1989: 106).

٨. نسبة رأس المال الحر إلى الموجودات الخطرة

يتم احتساب رأس المال الحر من خلال طرح الموجودات الثابتة من رأس المال لجعله حراً، أي: قابلاً للبيع لمواجهة الخسائر غير المتوقعة، فالأساس المنطقي لهذه النسبة، وهو إذا تم استثمار نسبة معينة من رأسمال مصرف ضمن الموجودات الثابتة، والتي تكون غير متاحة بسهولة، فعندئذ لن تكون متاحة فعلاً لدعم السيولة، أو للإيفاء بالديون التي قد تتجاوزها في وقت لاحق (Rose, 1999: 481).

المبحث الثالث: تحليل الترابط بين الشمول المالي ومؤشرات كفاية رأس المال في العراق

خصص هذا المبحث لدراسة اهم التطورات التي يحققها الشمول المالي في العراق من خلال تلك المدة، وبيان مدى تأثيرها على مؤشر كفاية رأس المال المصرفي، وذلك عن طريق دراسة المتغيرات المستقلة المتمثلة نسبة الانتشار المصرفي، عدد الصرافات الالية، عدد الفروع لكل ١٠٠ كم^٢، عدد الصرافات الالية لكل ١٠٠ كم^٢، نسبة القروض الى الناتج المحلي الاجمالي، نسبة الودائع الى الناتج المحلي الاجمالي، نسبة عدد حسابات الودائع الى عدد البالغين، نسبة عدد حسابات القروض الى عدد البالغين، وذلك من خلال استخدام البرنامج الاحصائي (SPSS.V25) لتحليل علاقة الارتباط فيما بينها باستخدام الارتباط البسيط (Person) ومعادلة الانحدار الخطي البسيط (Linear) التي يمكن من خلالها معرفة مدى أثر تلك المتغيرات المستقلة بالمتغير التابع المتمثل بمؤشر كفاية رأس المال.

أولاً: تحليل بيانات الشمول المالي ومؤشر كفاية رأس المال في العراق:

يمكن توضيح اهم التطورات في الشمول المالي ومؤشر كفاية رأس المال في العراق للمدة 2010-2016 من خلال الجدول (2) كالآتي:

جدول (2) تطورات مؤشرات الشمول المالي ومؤشر كفاية رأس المال في العراق 2010-2016

البيان المدة	نسبة الانتشار المصرفي	عدد الصراف ات الالية الى عدد البالغين	عدد الفروع لكل ١٠٠ كم ^٢	عدد الصرافات الالية لكل ١٠ كم ^٢	نسبة القروض الى الناتج المحلي الاجمالي	نسبة الودائع الى الناتج المحلي الاجمالي	نسبة عدد حسابات الودائع الى عدد البالغين	نسبة عدد حسابات القروض الى عدد البالغين	كفاية رأس المال
2010	2.6	-	2.00	-	5.3	8.5	2.5	0.5	718.7
2011	2.6	2.3	2.06	1.07	5.2	8.4	2.8	0.8	527.67
2012	2.9	2.2	2.28	1.07	5.8	8.3	3.01	1.1	510.33
2013	2.8	3.1	2.33	1.07	6.2	8.9	3.2	1.2	774.34
2014	2.8	1.4	2.37	0.77	6.9	9.5	3.4	1.3	460.66
2015	2.3	2.8	1.96	1.33	9.4	12.3	2.9	1.4	347.66
2016	2.2	2.9	1.99	1.51	9.2	12.1	2.8	1.4	475.67

المصدر: اعداد الباحثين بالاعتماد على البيانات الاحصائية للبنك المركزي العراق نشرات احصائية للسنوات ٢٠١٠، ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣، ٢٠١٤، ٢٠١٥، ٢٠١٦.

من الجدول (2) نلاحظ ان نسبة الانتشار المصرفي مستمر بالمحافظة على مستواه المنخفض بالعراق نتيجة لتدهور الاوضاع الامنية منذ منتصف عام ٢٠١٤ واحتلال التنظيمات الارهابية (داعش) لعدد من المحافظات العراقية، اذ أدى ذلك لأغلاق عدد من فروع المصارف الحكومية والخاصة، وتدني مؤشر الانتشار المصرفي خلال السنوات اللاحقة، وهذا بدوره حال دون عملية النفاذ والوصول إلى الخدمات المالية، واستفادة عدد اكبر من شرائح المجتمع، وخاصة المستبعدين والمحرومين، كما أنه عمل على اضعاف القدرة في تعبئة المدخرات المحلية، وتسهيل الأنشطة التجارية والاقتصادية للمواطنين، وتسهيل إتمام مختلف معاملاتهم المالية، ومن ثم فكلما انخفض مؤشر الانتشار المصرفي كلما دل على ضعف الثقافة المصرفية، وأن نسبة الانتشار المصرفي لماكنات السحب الآلي ATM منخفضة بالبيئة المحلية بسبب احداث تنظيم داعش الارهابي في محافظة الموصل وبعض المناطق الساخنة وبنسبة انخفاض (27.83%) ثم ازدادت بعد ذلك في عام 2015 بنسبة زيادة (72.10%) مما أدى إلى ارتفاع نسبة الانتشار المصرفي الى (2.8%) وازداد في عام 2016 وبنسبة زيادة (13.79%) ويعزى زيادة حجم الانتشار المصرفي في العراق للمصارف الخاصة التي ساهمت بزيادة اعداد مكائن الصراف الآلي وان معظم هذه الاجهزة متوفرة في الاماكن التجارية وبعض فروع المصارف.

ان الانتشار المصرفي الى مساحة العراق منخفض ويؤثر سلباً على الشمول المالي، اذ انه لم يتجاوز (٣) فروع لكل الف كيلو متر مربع للفترة (٢٠١٠-٢٠١٧)، وكذلك فيما يخص انتشار اجهزة الصراف الآلي في العراق اذ لم تتعدّ (٢) جهاز لكل الف كم٢ خلال المدة (٢٠١١-٢٠١٦)، وهذا يفسر صعوبة وصول الافراد الى الخدمات المصرفية مما ينعكس سلباً على مستوى الشمول المالي في العراق.

نلاحظ من الجدول (٢) كذلك ارتفاع نسبة القروض للقطاع الخاص الى الناتج المحلي الاجمالي حيث ارتفعت النسبة الى 9.2 في عام 2016 بعد ان كانت 5.3 في عام 2010، والحال نفسه فيما يخص اجمالي ودائع القطاع الخاص الى الناتج المحلي الاجمالي فقد ارتفعت بشكل عام من 8.5% في عام 2010 الى 12.1% في عام 2016، ومن الجدير بالذكر ان هذه النسب مازال منخفضة مما يكشف ضعف مساهمة القطاع المصرفي في الناتج المحلي الاجمالي وضعف الطلب على الخدمات المصرفية سواء خدمات الودائع او الائتمان. أما نسبة عدد حسابات الودائع الى عدد السكان البالغين قد ارتفت بشكل بسيط في سنة 2011 بمعدل 2.8% وبعد ذلك استمرت بالارتفاع في السنوات اللاحقة اذ بلغت اعلى نسبة 3.4% في سنة 2014، في حين كشفت البيانات المتوفرة لعام 2015، 2016 أن تلك النسب قد انخفضت الى (2.9) و(2.8) على التوالي، ان هذا الانخفاض قد يكون بسبب الاختلاف في البيانات المستخدمة في التقدير، والسبب الرئيس هو بقاء نسبة كبيرة من سكان في العراق البالغين دون الاستفادة من الخدمات المصرفية، الذي يعود الى تركز فروع المصارف في بغداد بنسبة (38.7%) من اجمالي الفروع، ومن ناحية اخرى امتناع الكثير من الافراد التعامل مع المصارف بسبب الاحكام الدينية، ونسبة 30% من اجمالي نساء العراق لعام 2015 يعيشن بالريف وليس لديهن حسابات مصرفية وفي افضل الاحوال فإن نسبة قليلة منهن يملكن حسابات التوفير، كما ان النسبة نفسها من الذكور يعيشون في المناطق الريفية لا يملكون حسابات مصرفية، كما ان زيادة العملة في التداول مؤشر واضح على تفضيل الافراد تسوية معاملاتهم التجارية نقداً فضلاً عن انتشار ظاهرة الاكتناز وترى الباحثة فضلاً عن ذلك عدم ثقة الجمهور بالقطاع المصرفي بسبب الاوضاع

غير المستقرة في البلاد وعدم امكانية المصارف في ارجاع المبالغ المودعة لديها عند طلب الزبون، بينما يبين الجدول (٢) ان مؤشر الشمول المالي مقاساً بعدد حسابات القروض الى عدد البالغين سجل مستويات متزايدة حيث نجد ان هناك حالة تزايد في كل من حجم القروض واعداد البالغين من السكان خلال مدة الدراسة حيث بلغت نسبة عدد حسابات القروض الى عدد السكان البالغين (0.5%) في عام 2010 وهو مؤشر نفاذ غير فاعل وضعيف جداً في حين بلغ (1.4%) في عام 2016 بسبب الطلب المرتفع على القروض ولاسيما قروض الاسكان بالرغم من معدلات اسعار الفائدة المرتفعة نسبياً للقروض طويلة الاجل التي بلغت 12.6% في عام 2016.

اما مؤشر كفاية رأس المال فيقصد به احتفاظ المصارف برأس مال قادر على مواجهة الخسائر المحتملة من عمليات توظيف الاموال، ويجب ان يكون كافياً لتوفير الحماية للمودعين من ناحية وكذلك مهم للسلطات الرقابية من ناحية اخرى لتجنب ايقاف عمليات المصارف التجارية (المالكي & سعيد، ٢٠١٢: ٢٢٤). وفقاً لتلك الأهمية لمعدل نسب كفاية رأس المال في الحفاظ على المصارف من الافلاس و الاستمرار في عملياتها الاستثمارية فقد حددت المادة (١٦) من قانون المصارف العراقي المرقم (٩٤) لعام ٢٠٠٤ الحد الأدنى لمعيار معدل كفاية نسبة رأس المال بنسبة (١٢%) للحد من مخاطر الائتمان المصرفي، بالاستناد الى الجدول (٢) شهدت معدل نسبة كفاية رأس المال لدى المصارف التجارية نسب متفاوتة بين ارتفاع و انخفاض في بداية مدة البحث الا انها شهدت اعلى معدل نسب ارتفاع في عام ٢٠١٣ عندما بلغت (٧٧٤,٣٤%) و هذه تعدّ معدل لنسب عالية في الحفاظ على المصارف من الانهيار و الافلاس، ثم استمرت هذه المعدلات بين ارتفاع و انخفاض الى ان شهدت ادنى مستوى في عام ٢٠١٥ عندما بلغت (٣٤٧,٦٦%) وتعتبر هذه معدلات ضئيلة بالنسبة للمعدلات السابقة و لكنها جيدة عند مقارنتها مع النسبة المحددة من قبل البنك المركزي، ثم بعد ذلك بدأت بالتحسن تدريجياً بين ارتفاع و انخفاض خلال السنوات اللاحقة، مما يؤكد هذا المؤشر وعلى وفق النسبة المحددة من قبل البنك المركزي على وضع افضل للمصارف خلال مدة البحث (٢٠١٦-٢٠١٠).

ثانياً: اختبار فرضيات التأثير بين متغيرات الدراسة

قبل تحليل الاختبارات أرتأى الباحثان اجراء اختبار شرط خضوع البيانات للتوزيع الطبيعي (Normality test) لما له من أهمية كبيرة في تحديد نوع الاختبار الاحصائي الذي سيستخدم لاختبار فرضيات الدراسة، فعند خضوع البيانات للتوزيع الطبيعي سيستخدم الباحثان أساليب الاختبار المعلمي (Parametric test)، اما في حالة كان التوزيع غير طبيعي للتوزيع الطبيعي فسوف يتم استخدام اساليب الاختبار اللامعلمي (Non parametric test). علماً ان قياس علاقات التأثير بين المتغيرات تعتمد بشكل اساسي على الاختبار المعلمي. إذ استخدم الباحثان اختبار (Kolmogorov-Smirnov) لتحديد طبيعة التوزيع والمتمثل بالجدول (3) وكالاتي:

جدول (٣) اختبار التوزيع الطبيعي لمتغيرات الدراسة

	Kolmogorov-Smirnov ^a	Shapiro-Wilk

	Statistic	df	Sig.	Statistic	df	Sig.
نسبة الانتشار المصرفي	.214	7	.200*	.903	7	.351
عدد الصرافات الآلية الى عدد البالغين	.181	7	.200*	.936	7	.604
عدد الفروع لكل ١٠٠٠ كم ^٢	.248	7	.200*	.836	7	.091
عدد الصرافات الآلية لكل ١٠٠٠ كم ^٢	.259	7	.170	.935	7	.598
نسبة القروض الى الناتج المحلي	.217	7	.200*	.837	7	.093
نسبة الودائع الى الناتج المحلي	.263	7	.154	.771	7	.051
نسبة عدد حسابات الودائع الى عدد البالغين	.169	7	.200*	.977	7	.944
نسبة عدد حسابات القروض الى البالغين	.214	7	.200*	.874	7	.200
نسبة كفاية رأس المال	.260	7	.166	.914	7	.423

المصدر: اعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج نتائج البرنامج الاحصائي SPSS Var.25 يتضح من خلال الجدول (3) ان جميع قيم الاختبارات كانت اكبر من (0.05)، وهذا يعني خضوع جميع بيانات الدراسة للتوزيع الطبيعي مما يحقق شرط الاختبار المعلمي. وعليه سيتم اجراء اختبارات الدراسة عن طريق استخدام الانحدار (Regression) وكالاتي:

يهدف الباحثان الى اختبار علاقات التأثير بين متغيرات الدراسة، وطبقا لما ورد في الفرضية الرئيسة وما تفرع عنها من فرضيات من خلال استخدام معامل الانحدار المتعدد، وباستخدام أسلوب الحذف التراجعي الذي يعد أسلوبا كفوءا في تحديد المتغيرات المستقلة التي تؤثر فعلا في المتغيرات التابعة، ومن خلال البرنامج الاحصائي (SPSS V.25).

الفرضية الرئيسة: وتنص على أنه (لا توجد علاقة تأثير متعدد ذات دلالة إحصائية ومعنوية بين ابعاد الشمول المالي ومؤشر كفاية رأس المال). ولقد تفرع عنها الفرضيات التالية، وكما مبين في ادناه:

١. الفرضية الفرعية الأولى: لا توجد علاقة تأثير متعدد ذات دلالة إحصائية ومعنوية بين ابعاد الوصول وكفاية رأس المال. ويبين الجدول (٤) قيم معاملات الانحدار المتعدد باستخدام أسلوب الحذف التراجعي للفرضية (١)

جدول (٤) تحليل الانحدار المتعدد بطريقة الحذف التراجعي بين ابعاد الوصول وكفاية رأس المال.

Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	715.624	1205.923		.593	.613
	نسبة الانتشار	6.937	56.487	.122	.123	.913

	عدد الصرافات على عدد البالغين	301.214	154.805	1.164	1.946	.191
	عدد الفروع لكل ١٠٠٠ كم ^٢	-115.603	-616.525	-.137	-.188	.869
	عدد الصرافات لكل ١٠٠٠ كم ^٢	-753.751	-517.212	-1.273	-1.457	.282
2	(Constant)	800.039	812.040		.985	.397
	عدد الصرافات على عدد البالغين	307.291	120.214	1.187	2.556	.083
	عدد الفروع لكل ١٠٠٠ كم ^٢	-55.508	-307.335	-.066	-.181	.868
	عدد الصرافات لكل ١٠٠٠ كم ^٢	-796.873	-311.221	-1.346	-2.560	.083
3	(Constant)	658.145	178.867		3.680	.021
	عدد الصرافات على عدد البالغين	304.496	103.802	1.177	2.933	.043
	عدد الصرافات لكل ١٠٠٠ كم ^٢	-769.791	-237.462	-1.300	-3.242	.032
R2=0.856						
المتغير المعتمد: كفاية رأس المال						

المصدر: اعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج البرنامج الاحصائي SPSS Var.25

اعتمد الباحثان على المعاملات المعيارية للانحدار (Beta) لغرض قياس تأثير المتغيرات المستقلة في المتغير المعتمد، والسبب في ذلك هو اختلاف مقاييس المتغيرات المستقلة، الامر الذي يحتم تحويلها الى النموذج المعياري بهدف توحيدها (Hair et al, 388:2016). ويتبين من الجدول (٤) الاتي:

١. لم يتضمن النموذج الأول متغيراً مستقلاً ذو تأثير معنوي على كفاية رأس المال، الامر الذي أدى الى الانتقال الى النموذج الثاني الذي حذف مؤشر نسبة الانتشار المصرفي من التحليل لعدم معنويته، مما أدى الى تحسين معنوية كل من مؤشر عدد الصرافات الى عدد البالغين ومؤشر عدد الصرافات لكل ١٠٠٠ كم^٢، بالمقابل أدى ذلك الى عدم التأثير على معنوية مؤشر عدد الفروع لكل ١٠٠٠ كم^٢، الامر الذي أدى الى حذفه في الانموذج الثالث ليستقر التحليل على مؤشرين فقط هما عدد الصرافات الى عدد البالغين وعدد الصرافات لكل ١٠٠٠ كم^٢، حيث بين التحليل ان تأثيرهما معنوياً عند مستوى (٥%).

٢. يتبين من النموذج الثالث ما يلي:

أ- ان تأثير عدد الصرافات الى عدد البالغين في كفاية رأس المال يبلغ (١,١٧٧) وهذا يعني ان كفاية رأس المال سيزداد بمقدار (١,١٧٧) اذا زاد مؤشر عدد الصرافات الى عدد البالغين بمقدار وحدة معيارية واحدة، وهو تأثير معنوي عند مستوى (٥%) لان قيمة (t) المحسوبة وبالغة (٢,٩٣٣) كانت معنوية عند المستوى المذكور.

ب- ان تأثير عدد الصرافات لكل ١٠٠٠ كم^٢ في الاستقرار المصرفي يبلغ (-١,٣٣) وهذا يعني ان كفاية رأس المال سيقبل بمقدار (-١,٣٣) اذا زاد مؤشر عدد الصرافات لكل ١٠٠٠ كم^٢ بمقدار وحدة معيارية واحدة، وهو تأثير معنوي عند مستوى (٥%) لان قيمة (t) المحسوبة وبالغة (-٣,٢٤) كانت معنوية عند المستوى المذكور.

٣. بلغت قيمة معامل التحديد (R²) للنموذج الثالث (٠,٨٥٦) وهذا يعني ان كل من عدد الصرافات الى عدد البالغين وعدد الصرافات لكل ١٠٠٠ كم^٢ يفسران ما قيمة (٨٥,٦%) من التغيرات التي تطرأ على كفاية رأس المال، اما النسبة الباقية فتعود لعوامل أخرى غير داخلية في النموذج. عليه تستدل الباحثة على رفض فرضية العدم وقبول فرضية الوجود بمعنى (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين ابعاد الوصول ومؤشر كفاية رأس المال).

٢. الفرضية الفرعية الثانية: لا توجد علاقة تأثير متعدد ذات دلالة إحصائية ومعنوية بين ابعاد الاستخدام وكفاية رأس المال

بعد ان أكملت الباحثة اختبار الفرضيات الخاصة بتأثير ابعاد الوصول من الشمول المالي على ابعاد المتغير المعتمد كفاية رأس المال، قامت باختبار تأثير ابعاد الاستخدام وهي من ابعاد الشمول المالي على مؤشر كفاية رأس المال، وهو ما تضمنته الفرضية الفرعية الثانية، ويبين الجدول (٥) قيم معاملات الانحدار المتعدد باستخدام أسلوب الحذف التراجعي للفرضية الفرعية (٢)

جدول (٥) تحليل الانحدار المتعدد بطريقة الحذف التراجعي بين ابعاد الاستخدام وكفاية رأس المال

Model	Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
	B	Std. Error	Beta		
(Constant)	1027.279	2744.001		.374	.744
1 حجم القروض الى الناتج المحلي الاجمالي	-17.611-	671.795	-.207-	-.026-	.981
حجم الودائع الى الناتج المحلي الاجمالي	-24.646-	573.113	-.287-	-.043-	.970
عدد حسابات الودائع الى عدد البالغين	-9.589-	718.245	-.019-	-.013-	.991
عدد حسابات القروض الى عدد البالغين	-85.331-	1200.894	-.191-	-.071-	.950

2	(Constant)	999.528	1462.673		.683	.543
	حجم القروض الى الناتج المحلي الاجمالي	-16.245-	542.144	-.191-	-.030-	.978
	حجم الودائع الى الناتج المحلي الاجمالي	-24.265-	467.385	-.282-	-.052-	.962
	عدد حسابات الودائع الى عدد البالغين	-97.649-	627.686	-.219-	-.156-	.886
3	(Constant)	1041.884	325.472		3.201	.033
	حجم الودائع الى الناتج المحلي الاجمالي	-38.179-	46.046	-.444-	-.829-	.454
	عدد حسابات الودائع الى عدد البالغين	-114.545-	238.794	-.257-	-.480-	.657
4	(Constant)	1067.382	295.347		3.614	.015
	حجم الودائع الى الناتج المحلي الاجمالي	-53.774-	29.991	-.626-	-1.793-	.133
a. Dependent Variable: كفاية راس المال						
R ² :0.62						

المصدر: اعداد الباحثين بالاعتماد على نتائج البرنامج الاحصائي SPSS Var.25

يتبين من الجدول (٥) الآتي:

١. تضمن النموذج الأول عدم وجود تأثير معنوي للمتغيرات المستقلة في المتغير المعتمد، وفي النموذج الثاني تم حذف مؤشر عدد حسابات القروض الى عدد البالغين من التحليل لعدم معنويته، مما أدى الى تحسين معنوية باقي المؤشرات. أما في النموذج الثالث فقد تم حذف مؤشر حجم القروض الى الناتج المحلي الاجمالي لعدم معنويته أيضاً. وتم الاستقرار على النموذج الرابع.
٢. يتبين من النموذج الرابع ان تأثير حجم الودائع الى الناتج المحلي الاجمالي يبلغ (٠,٦٢٦ -) وهذا يعني ان نسبة كفاية راس المال ستقل بمقدار (٠,٦٢٦) اذا زاد مؤشر حجم الودائع الى الناتج المحلي الاجمالي بمقدار وحدة معيارية واحدة، وهو تأثير غير معنوي عند مستوى (١%) او (٥%) لان قيمة (t) المحسوبة والبالغة (-1.793) لم تكن معنوية عند المستوى المذكور.
٣. بلغت قيمة معامل التحديد (R²) للنموذج الرابع (٠,٦٢) وهذا يعني انه يفسر ما قيمة (٦٢%) من التغيرات التي تطرأ على كفاية راس المال، اما النسبة الباقية فتعود لعوامل أخرى غير داخلية في النموذج. عليه تستدل الباحثة على عدم رفض فرضية العدم بمعنى (لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين ابعاد الاستخدام ومؤشر كفاية راس المال).

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

١. يعد الشمول المالي ضرورة هامة لتحقيق الاستقرار المصرفي، إذ ان هناك نسبة كبيرة من الافراد لا يتعاملون مع المصارف او لا يمتلكون حسابات مصرفية وان كانوا يمتلكون فأفها تكون بسيطة ومحدودة.
٢. يساهم الشمول المالي في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية عن طريق التواصل الايجابي بين العملاء والبنوك في علاقة متوازنة تعطي ثمارا لجميع الاطراف وبطريقة تساعد على اطلاق ديناميكيات مالية واقتصادية منتجة.
٣. لقد ادى ضعف البنية التحتية التكنولوجية للقطاع المصرفي واستحداث قطاع الاتصالات في العراق الى تدني مستويات الانتشار المصرفي، الكثافة، العمق المصرفي بتقديم الخدمات المالية والمصرفية فضلا عن تدني مستويات التثقيف المالي للوحدات الاقتصادية من جانب الطلب، والذي ادى بدوره الى اضعاف القدرات المالية لتلك الوحدات الاقتصادية، وكذلك للعاملين في القطاع المصرفي من جانب العرض.
٤. يعد مشروع توظيف رواتب موظفي الدولة لدى المصارف الحكومية والخاصة من الخطوات المهمة والايجابية نحو التداول السريع الخدمات المالية والمصرفية لتشمل اكبر عدد من شرائح المجتمع العراقي بالخدمات المصرفية.
٥. افصحت نتائج الدراسة عن عدم وجود تأثير ذات دلالة احصائية معنوية بين ابعاد الوصول في النموذج الاول المتمثلة بـ(نسبة الانتشار، عدد الصرافات على عدد البالغين، عدد الفروع لكل 1000 كم^٢، عدد الصرافات لكل 1000 كم^٢) وبين مؤشر كفاية رأس المال.
٦. بينت نتائج الدراسة عن عدم وجود تأثير ذات دلالة احصائية معنوية بين ابعاد الوصول في النموذج الثاني المتمثلة بـ(عدد الصرافات على عدد البالغين، عدد الفروع لكل 1000 كم^٢، عدد الصرافات لكل 1000 كم^٢) ومؤشر كفاية رأس المال.
٧. اظهرت نتائج الدراسة عن وجود تأثير ذات دلالة احصائية معنوية بين ابعاد الوصول في النموذج الثالث المتمثلة بـ(عدد الصرافات على عدد البالغين عند مستوى معنوية ٠,٠٤٣، وعدد الصرافات لكل 1000 كم^٢ عند مستوى معنوية ٠,٠٣٢) وبين مؤشر كفاية رأس المال.
٨. افصحت نتائج الدراسة عن عدم وجود علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين جميع ابعاد الاستخدام ومؤشر كفاية راس المال.

ثانياً: التوصيات

١. ضرورة قيام البنك المركزي العراقي بتوسيع استخدام أجهزة الصراف الآلي ونقاط البيع والبطاقات الإلكترونية، وذلك للدور الهام الذي تلعبه في توفير المعاملات المصرفية الإلكترونية وإيصالها إلى أكبر شريحة في المجتمع العراقي.

٢. قيام البنوك المركزية في معظم الدول النامية، ولاسيما العراق بوضع استراتيجية للشمول المالي تكون مكملة لاستراتيجية البنوك التجارية ولا تتعارض مع المبادئ العامة لعمل تلك المصارف.
٣. التوسع التدريجي في تنفيذ متطلبات العمل بالشمول المالي بما يتماشى مع الامكانيات المادية والمعنوية والكفاءة والفاعلية في الاداء من قبل جميع المؤسسات العاملة في ظل النظام المالي العراقي تهدف الى استعادة الثقة به بشكل عام وبالقطاع المصرفي العراقي بشكل خاص ومن قبل جميع الوحدات الاقتصادية.
٤. الاستفادة القصوى من مؤشرات الشمول المالي من خلال متابعة عملية الرصد والتقدم والتوسع والعمق في تقديم الخدمات المالية وكذلك تشخيص اوجه القصور والضعف في سير عمل القطاع المصرفي (الحكومي والخاص) والتي تعد بالوقت نفسه قاعدة بيانات لعمل القطاع المصرفي لاتخاذ الاجراءات المناسبة لتلافي اتساع فجوة الثقة بالقطاع المصرفي.
٥. التوجه نحو مشاركة المؤسسات التعليمية، سواء في المدارس أو التعليم العالي من خلال البرامج التعليمية والتثقيفية، فمن الضروري جعلهم يفهمون أهمية الشمول المالي لتحقيق نمو شامل في الاقتصاد، الأمر الذي بدوره سيحفزها على المشاركة تلقائيًا في النظام المالي.
٦. توفير البنية التحتية التكنولوجية الفعالة تكون قادرة على توفير متطلبات الشمول المالي مع توفير قاعدة بيانات رصينة تمتاز بالدقة والوضوح في بيانات مؤشراتهما وبالتعاون مع الجهات ذات العلاقة وشركات الاتصال والحث على توسيع شبكة الانترنت ليشمل جميع مناطق العراق لأنه يعد الوسيلة المباشرة لاستخدام خدمات الهاتف المحمول ولهذا فهو بمثابة وسيلة لنشر الثقافة المالية والترويج للخدمات المصرفية وتعزيز الارتباط والثقة في القطاع المصرفي.

قائمة المصادر العربية:

١. ابو دية، ماجد محمد محمود، (دور الانتشار المصرفي والاشتغال المالي في النشاط الاقتصادي الفلسطيني)، ماجستير اقتصاد، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة الازهر، غزة، ٢٠١٦.
٢. إضاءات مالية ومصرفية (نشرة توعوية)، معهد الدراسات المصرفية السلسلة الثامنة، العدد ٧، الكويت، (٢٠١٦).
٣. الدريعي، سعود عزيز دايش، (دور الاستقرار والشمول في تحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة)، رسالة ماجستير، جامعة واسط، ٢٠١٨.
٤. الشماع، خليل محمد حسن، (تحليل وتقييم أداء المصرف)، (ورشة عمل)، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية (معهد التدريب المالي والمصرفي)، صنعاء-اليمن، يناير ٢٠٠٢.
٥. الشماع، خليل محمد حسن، (مقررات لجنة بازل حول كفاية رأس المال؛ الملاءة المصرفية وأثرها على المصارف العربية)، بيروت، الملحق الرابع، ١٩٩٠.
٦. العامري، رشدا عودة لفته، (اثر تدقيق الرقابة الاشرافية للبنك المركزي العراقي في تحقيق الشمول المالي)، شهادة المحاسب القانوني، جامعة بغداد، ٢٠١٨.

٧. المالكي، زهراء ناجي عبيد & سعيد، أحمد محمد فهمي، (دور معايير كفاية رأس المال المصرفي على وفق مقررات بازل ١ و ٢ في المخاطرة الائتمانية)، مجلة دراسات محاسبية ومالية، المجلد ٨، العدد ٢٤، ٢٠١٣.
٨. المرسومي، مروج طاهر هذال، (أثر مخاطرة السيولة المصرفية و كفاية راس المال في أداء المصارف التجارية العراقية)، رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، ٢٠١٧.
٩. النشرة المصرفية العربية، (القطاع المصرفي العربي ومتطلبات الالتزام باتفاق بازل-٢)، بيروت، اتحاد المصارف العربية، الفصل الأول، آذار-٢٠٠٥.
١٠. باز، فريدي، (خصائص التجربة اللبنانية في تطبيق توصيات لجنة بازل)، "الإجراءات التي قامت بها السلطة النقدية العربية لتنفيذ مقررات لجنة بازل"، اتحاد المصارف العربية، ١٩٩٣.
١١. شاكر، فؤاد محمد، (التجربة المصرية بخصوص مقررات لجنة بازل بشأن المعيار الموحد لقياس كفاية رأس المال)، "الإجراءات التي قامت بها السلطات النقدية العربية لتنفيذ مقررات لجنة بازل"، اتحاد المصارف العربية، ١٩٩٣.
١٢. صندوق النقد العربي، فريق العمل الإقليمي لتعزيز الشمول المالي في الدول العربية، ورقة عمل حول (متطلبات تبني استراتيجيات وطنية لتعزيز الشمول المالي في الدول العربية)، مقدمة لمجلس محافظي المصارف المركزية ومؤسسات النقد العربية، ٢٠١٥.
١٣. مطر، احمد نوري حسن، (متطلبات تطبيق الشمول المالي في العراق ومؤشرات قياسه)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية اقتصادات الاعمال، جامعة النهرين، بغداد، ٢٠١٨.

قائمة المصادر الأجنبية:

1. Alliance for Financial Inclusion, (The G20 Principles for Innovative Financial Inclusion), Bringing the principles to life, Eleven country case studies, 2011.
2. Camara, Noelia & Tuesta, David, (Measuring Financial Inclusion: A Multidimensional Index), Working Paper, N° 14/26 Madrid, September 2014.
3. Chakrabarty, (inclusion and banks -issues and perspectives), at the FICCI (Federation of Indian Chambers of Commerce & Industry) UNDP (The United Nations Development Programme) Seminar on "Financial Inclusion: Partnership between Banks, MFIs and Communities, New Delhi, 2011.
4. Christen, Rosenberg, and Jayadeva, (Financial Institutions with a 'Double Bottom Line'), 2004.
5. Clark, Time & Vicent, William, (Banking Under Pressure Braking the Chains), Buttet Worth and Co. (Publishers), LTD, 1989.
6. Clotteau. Nils & Measho, Bsrat, (Global Panorama on Postal Financial Inclusion), Printed in Switzerland by Universal Postal Union, 2016.

7. FATF/OECD, (Anti-money laundering and terrorist financing measures and financial inclusion), 2013.
8. G20 Financial Inclusion Experts Group, (ATISG Report, Innovative Financial Inclusion), 2010.
9. G20, Global Partnership For Financial Inclusion, (Financial Inclusion Indicators), 2016.
10. Gamito, Susana, (Financial inclusion in Africa), Master's in Finance, Católica Lisbon School of Business and Economics, 2018.
11. Gatnar, Eugeniusz, (Financial inclusion indicators in Poland), 2013.
12. GFDR., (Financial report inclusion. Washington: The World Bank), 2014.
13. Gupta, Rajani, Venkataramanib, Bhama & Deepa, Gupta, (Computation of financial inclusion index for India), 2012.
14. Hair, Geo F. & Celsi, Mary, (Essentials Of Business Research Methods), 3th ed., Taylor & Francis Group, New York and London, 2016.
15. Littlefield, Elizabeth, Helms, Brigit David, (Porteous 2006, CGAP, Financial Inclusion) 2015.
16. Mariz, Frederic de (Financial inclusion and electronic payments in Brazil), Tese (Doutorado)- Universidade de São Paulo, 2017.
17. National Strategy for Financial Inclusion, Philippine International Convention Center Manila, Philippines, July 2015.
18. Ramiz, ur-Rehman & Mangla, Inayat U. & Naseem, Muhammad Akram: (Emergence of Financial Inclusion in Developing Economies: A Case Study of China and Pakistan), Western Michigan University, 2017.
19. Rose, Peters. (Commercial Bank Management), Irwin Mc Graw – Hill, 1999.
20. Santomero, Anthony M., & Joseph D. Vinso., (Estimating the Probability of Failure for Commercial banks and the Banking System), Journal of Banking and Finance 1(1997).
21. Strumeyer, Gary & Swamy, Sarah, (The Capital Markets Evolution of the Financial Ecosystem), 1st ed., John Wiley & Sons, Inc., New Jersey, USA, 2017.
22. WORLD BANK, FATF (Guidance, Anti-money laundering and terrorist financing measures and Financial Inclusion), France, 2011.
23. Yoshino, Naoyuki & Morgan, Peter, (Asian Development Bank Institute), No. 591, September 2016.

الاحكام الموضوعية والاجرائية للقوانين الجزائية المحددة الفترة - دراسة تحليلية مقارنة-

The substantive and procedural provisions of the penal laws specified period -Comparative analytical study-

أ.م.د. عدي جابر هادي^(١) Dr. Adi Jaber Hadi

م.م. علي حمزة جبر^(٢) Ali Hamza Jaber

الملخص

إنَّ النص الجنائي تتم صياغته من قبل المشرع على النحو الذي يضمن حماية مصالح متعددة وهذا هو هدف السياسة الجنائية الحديثة، ولهذا نجد من اهم خصائص هذا النص سواء أكان عقابياً أم اجرائياً، انه يتسم بصفة الدوام وكذلك انه غير محدد بموضوع معين بل انه نص عام مجرد يستجيب لكافة المتغيرات والتطورات التي يمكن ان تحصل بغير ذلك.

واذا كان هذا المبدأ العام لكننا نجد أن بعض الحالات لا يصح معها تطبيق تلك النصوص، فقد لا يستجيب لها- النص العقابي الدائم النفاذ- اما بسبب ان نطاق النص العقابي لا يمكن تطبيقه على تلك الحالات التي حصلت بعده، او ان هذه الحالات التي تحصل وكثرتها تحتاج الى نص جديد يستوعب كافة التغيرات التي تحصل بعد ذلك، أو ان طبيعة المصالح المحمية مؤقتة فانها تستوجب نصاً عقابياً مؤقتاً، ومن هنا فقد ظهرت فكرة القوانين المحددة الفترة فهي لا تغني عن النصوص الاصلية لكنها تعالج حالات وجرائم تحصل بعد ذلك نظرا لمرعاة خصوصية الجرائم التي تحصل فيها والفترات التي تقع خلالها كالجرائم التي تحصل في مواسم الصيد وكذلك حالات الحرب وغيرها من الحالات.

الكلمات المفتاحية: القوانين الجزائية، تعدد القوانين، المشرع.

^١ - كلية القانون/ جامعة القادسية.

^٢ - كلية القانون والعلوم السياسية/ الجامعة الإسلامية.

Abstract

The criminal text is drafted by the legislator in a manner that ensures the protection of multiple interests. This is the goal of modern criminal politics. Therefore, one of the most important characteristics of this text, whether punitive or procedural, is that it is always permanent and is not specific to a particular subject. Responds to all variables and developments that can otherwise occur.

If this is the general principle, but we find that some cases are not valid with the application of those texts, may not respond to them - the text of the punishment of permanent access - either because the scope of the text punitive can not be applied to those cases that occurred after, or that these cases and the number of It requires a new text that accommodates all the changes that happen after that, or that the nature of the protected interests is temporary. It requires a temporary punitive text. Hence, the idea of the specific laws has emerged. It does not dispense with the original texts but deals with cases and crimes that take place after taking into account the specificity of the crimes Where and where the periods occur Crimes that occur in fishing seasons, as well as situations of war and other situations.

المقدمة

إنَّ النص العقابي تتم صياغته على النحو الذي يضمن حماية مصالح مختلفة ومتعددة، إذ إنَّ من أهم هذا خصائص هذا النص اتسامه بصفة الدوام وكذلك كونه غير محدد بموضوع محدد بل عام مجرد لكي يستجيب لكافة المتغيرات والتطورات التي يمكن ان تحصل بغير ذلك.

واذا كان هذا الكلام يعد مبدأ عام قد لا يصح اللجوء إليه في حالات أخرى، إما لان نطاق النص العقابي لا يمكن تطبيقه على تلك الحالات التي حصلت بعده، او ان هذه الحالات المشار إليها التي تحصل نتيجة لكثرتها أو لأنها وقتية بطبيعتها فإنها تحتاج الى نص جديد مؤقت بطبيعته ونطاقه يستوعب كافة التغيرات التي تحصل بعد ذلك على النص العقابي الدائم.

ومن هنا فقد ظهرت فكرة القوانين المؤقتة الفترة أو المحددة الفترة فهي لا تغني عن النصوص الاصلية لكنها تعالج حالات وجرائم تحصل بعد ذلك نظراً لمراعاة خصوصية الجرائم التي تحصل فيها والفترات التي تقع خلالها فيه كالجرائم التي تحصل في مواسم الصيد وكذلك حالات الحرب وغيرها.

أولاً:- أهمية البحث:

يشترك هذا البحث اهميته من خلال التعرف على دور المشرع في استيعاب كافة الجرائم التي تقع المصالح المحمية المقرر حمايتها بموجب النص العقابي، كما يتم التعرف من خلال البحث على الاهمية العملية للنصوص او القوانين المؤقتة من خلال كشف اهمية تشريعها وبيان جدوى تطبيقها.

ثانياً:- مشكلة البحث:

يتفرع عن هذا البحث مجموعة من التساؤلات منها ماهي القوانين المحددة الفترة؟ وماهي الاحكام الموضوعية الناشئة عنها؟ وما هي الاثار الاجرائية الناشئة عنها؟ ويتضمن البحث مجموعة من التساؤلات الفرعية الاخرى، منها ما الحكم لو تعددت القوانين الفترة في وقت واحد؟.

ثالثاً:- منهجية البحث:

ان المنهج الذي نتبعه في هذا البحث هو المنهج التحليلي المقارن وذلك من خلال عرض موقف المشرع العراقي ومقارنته مع مجموعة من التشريعات الاخرى يتم الكشف من خلالها على دقة وسلامة وموقف المشرع العراقي في صياغته لنصوص واحكام القوانين المحددة الفترة.

المبحث الأول: مفهوم القوانين المحددة الفترة

نتطرق في هذا المبحث بالتعريف للقوانين المحددة الفترة أو ما يسمى بالقوانين المؤقتة وأيضاً من مسمياتها القوانين محددة النفاذ، وعلى الرغم من اختلاف مسمياتها إلا إنها نصت عليها تشريعات الدول لتعالج ظروف خاصة وطارئة، ولغرض بحث تلك القوانين نقسم هذا المبحث على مطلبين يكون المطلب الأول للتعريف بالقوانين المحددة الفترة وأساسها والمطلب الثاني مبررات القوانين المحددة الفترة وأنواعها.

المطلب الأول: التعريف القوانين المحددة الفترة

نقسم هذا المطلب على فرعين الأول يخصص لمعنى القوانين المحددة الفترة، والفرع الثاني يكون للأساس القانوني لهذه للقوانين.

الفرع الأول: معنى القوانين محددة الفترة

نبين هذا الفرع على النحو الآتي:

أولاً: المدلول الفقهي للقوانين محددة الفترة

تناول الفقه الجنائي القوانين المحددة الفترة بعدة تعريفات، اذ عرفها احد الشراح بأنها تلك القوانين التي تسن لمواجهة ظروف خاصة وطارئة ينتهي العمل بها بمجرد زوال هذه الظروف^(٣)، وهناك من الفقهاء من يرى بأنها هي القوانين التي تصدر في ظروف صعبة تواجه بها الدولة أوضاعاً استثنائية كالأزمات الاقتصادية والظروف الصحية أو الحوادث الأمنية^(٤).

ويرى آخر بأنه القوانين التي تصدر لمواجهة ظروف خاصة في حالات الحرب والزلازل والكوارث الطبيعية والفيضانات وغيرها^(٥).

مما يلاحظ على الفقه أنه يربط تلك التعريفات بظروف غير طبيعية فأحياناً يعبر عنها بأنها ظروف خاصة أو صعبة، وما نلاحظه بعد ذلك أن تلك القوانين لا تعالج موضوعات في ظروف خاصة أو صعبة فحسب وإنما تعالج موضوعات في ظروف طبيعية، كتنظيم الصيد في مواسم معينة وفي مواقع محددة.

٣- د. عبود السراج، شرح قانون العقوبات القسم العام، نظرية الجريمة مطبوعات جامعة دمشق، سوريا، ٢٠٠٧، ص ٦٠.

٤- د. سمير عالية، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة مجد للدراسات، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٠٠.

٥- د. احمد عبد الظاهر، القوانين الجنائية الخاصة، مطبعة دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٠١.

كما عرفت على أنها القوانين التي يصدرها المشرع لمواجهة فترات استثنائية معينة أو أوضاعاً محددة مرهوناً بالمدة التي يستغرقها الظرف الذي سنت لأجله، ذلك الظرف الذي في العادة ما يكون سياسياً أو اقتصادياً^(٦).

وهناك من أضاف على أن القوانين المحددة الفترة هي التي تصدر في حالات الطوارئ لمواجهة ظروف حربية اقتصادية أو صحية استثنائية دون إن ينص على مدة سريانها ويحتاج إبطال العمل به إلى قانون يصدر بإلغائها^(٧).

ويرى آخر بأنها تلك القوانين التي يحدد المشرع نفاذ احكامها بأجل معين كالحرب والكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل وغيرها^(٨).

وفي تعريف آخر فهي قوانين عادة ما تصدر لمواجهة ظروف غير عادية مثل الأزمات الاقتصادية والظروف الصحية اضطراب الأمن وحالة الحرب وغيرها^(٩).

يبني على كل التعريفات المتقدمة أن من أهم ما يميز القوانين المحددة الفترة أو كما يسميها البعض بالقوانين المؤقتة، أنها التي تصدر من أجل تجريم أفعال معينة خلال فترة زمنية تحددها تلك القوانين تحديداً صريحاً من حيث بدء وانتهاء العمل بها، بحيث انه و بحلول تاريخ انتهاء هذه القوانين تعد ملغاة وليس هناك ضرورة لإصدارها قانون يقرر إلغائها فإذا لم تتضمن هذه القوانين وبشكل صريح تحديد مدة سريانها أصبحت كالقوانين العادية^(١٠).

نستنتج من مجمل التعاريف المذكورة أنفاً ما يأتي:

١. إنها قوانين تصدر لمواجهة ظروف استثنائية معينة او وضاعاً محددة طبيعية ويكون مرهون بالمدة التي يستغرقها الظرف، أي أنها قوانين ظرفية ترتبط بموضوعات معينة تستوجب وجود قوانين مؤقتة لغرض.
 ٢. قوانين زمنية النفاذ، أي أنها ووفقاً لإرادة المشرع صدرت في فترة زمنية محددة ترتبط بمصلحة محمية وجد المشرع ضرورة حمايتها بنص عقابي مؤقت.
- ويمكن إن نعرفها على أنها (القوانين التي تصدر عندما تواجه الدولة ظرفاً استثنائياً أو تلك التي تنظم تجريم افعال يحددها المشرع في الظروف العادية).

ثانياً: المدلول التشريعي للقوانين محددة الفترة

لم يعرف المشرع - وهذا هو المبدأ في تناول المصطلحات الجنائية - القوانين محددة الفترة بل اكتفى بتنظيمها، كما فعل قانون العقوبات العراقي إذ أوردها في المادة الثالثة منه والتي نصت على (إذا صدر قانون بتجريم وبتشديد العقوبة المقررة له وكان ذلك في فترة محددة فان انتهاء هذه الفترة لا يحول دون تنفيذ العقوبة المحكوم بها ولا يمنع من إقامة الدعوى على ما وقع من جرائم في خلالها).

٦- د. محمد زكي أبو عامر، قانون العقوبات القسم الخاص، مطبعة دار الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٦، ص ١٣٣.

٧- د. عبد القادر القهوجي، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة الحلبي الحقوقية، بيروت لبنان، ٢٠٠٢، ص ١١٤.

٨- د. فخري عبد الرزاق صليبي الحديدي، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة الزمان، بغداد، ١٩٩٢، ص ٧٢.

٩- د. ضاري خليل محمود، البسيط في شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة العاني، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٧١.

١٠- جاسم خريبط خلف، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة زين الحقوقية والأدبية، بيروت، ٢٠١٧، ص ٥٦.

إما بالنسبة إلى المشرع المصري أوردتها في المادة الخامسة التي نص فيها (ويعاقب على الجرائم بمقتضى القانون المعمول به وقت ارتكابها ومع هذا إذا صدر بعد وقوع الفعل وقبل الحكم نهائياً، قانون أصلح للمتهم فهو الذي يتبع دون غيره)^(١١).

أما المشرع الكويتي فقد نص على القوانين المؤقتة في قانون الجزاء النافذ المادة السادسة عشر نصت على انه (إذا كان القانون الذي يقرر العقوبة قانون مؤقتاً بمدة معينة أو قانون دعت إلى إصداره ظروف طارئة وجب تطبيقه على كل فعل ارتكب أثناء مدة سريانه ولو انتهت مدته أو الغى لزوال الظروف الطارئة وكان ذلك قبل صدور الحكم النهائي بخصوص هذا الفعل)^(١٢)، وكذلك ما ذهب إليه المشرع العماني عندما نص على أنه (...استثناء من حكم المادة (١٣) من هذا القانون، إذا صدر قانون بتجريم فعل أو بتشديد العقوبة المقررة له، وكان ذلك مؤقتاً بفترة محددة، فإن انتهاء هذه الفترة لا يحول دون إقامة الدعوى أو السير فيها على ما وقع من جرائم خلال تلك الفترة، أو تنفيذ العقوبات المحكوم بها...).

وبعد عرض هذه النصوص نتساءل هل أن التشريعات المشار إليها إتفقت بشأن مصطلح محدد تجاه هذا الموضوع أم أنها اختلفت على تسمية محددة؟.

للإجابة عن هذا التساؤل ينبغي استطلاع موقف التشريعات، فعلى صعيد التشريع المصري نجد أنه تبنى مصطلح "فترة محددة"، وذلك في طيات المادة الخامسة من قانون العقوبات المصري، أما المشرع الكويتي فإنه استخدم مصطلح "قانون مؤقت"، وذلك في المادة السادسة عشر من قانون العقوبات الكويتي، أما بالنسبة للقانون العراقي فقد استخدم مصطلح "فترة محددة"، وذلك في المادة الثالثة من قانون العقوبات العراقي، وكذا الحال نجده منطبقاً على المشرع العماني فإنه استخدم المصطلح ذاته الذي تبناه المشرع العراقي، وإستكمالاً للإجابة عن سؤالنا المتقدم نرى بأن ذلك التباين النسي في المصطلح لا يؤثر على دلالته وغاية المشرع من تشريعه، خاصة وأن الموضوعات المتبناة بين طيات النصوص المؤقتة هي واحدة أو متقاربة بين تشريعات تلك الدول، لذا فلا وجود لأية فوارق تسجل في هذا الخصوص، في ظل توافق المضامين التي تبتغي معالجتها تلك التشريعات.

الفرع الثاني: الأساس القانوني للقوانين محددة الفترة

تبنت العديد من التشريعات القوانين محددة الفترة^(١٣)، وذلك في نوعين من التشريعات، نبينها على النحو الآتي:

أولاً: قانون العقوبات

تبنت اغلب القوانين العقابية بالتنظيم والمعالجة الموضوع محل البحث، فعلى صعيد المشرع العراقي فقد أشار في المادة الثالثة من قانون العقوبات العراقي إلى أنه (إذا صدر قانون بتجريم فعل أو بتشديد العقوبة

١١- د. علي حسين الخلف و د. سلطان عبد القادر الشاوي، المبادئ العامة من قانون العقوبات، مطبعة السنهوري، بغداد، ٢٠١٢، ص ٧٤.

١٢- المادة (١٦) من قانون الجزاء الكويتي رقم (١٦) لسنة ١٩٦٠.

١٣- لا يوجد في تونس والمغرب والأردن والجزائر نص خاص بالقوانين محددة الفترة فإذا أُنهي العمل بمقتضى قانون مؤقت بإلغاء الأجل المعين قبل أن يصدر حكم بات انقضت الدعوى بالنسبة للجرائم التي وقعت في خلال هذا الأجل.

المقرر له وكان ذلك في فترة محددة فان انتهاء هذه الفترة لا يحول دون تنفيذ العقوبة المحكوم بها ولا يمنع من إقامة الدعوى على ما وقع من جرائم خلالها).

أما بالنسبة للقوانين محددة الفترة في مصر فقد نصت المادة الخامسة من قانون العقوبات المصري على انه (يعاقب على الجرائم بمقتضى القانون المعمول به وقت ارتكابها ومع هذا إذا صدر بعد وقوع الفعل وقبل الحكم نهائياً قانون أصلح للمتهم فهو الذي يتبع دون غيره).

يعني ذلك إذا صدر قانون وتحدد مدة سريانه لفترة زمنية ما بمناسبة ظروف معينة لكي يطبق على أفعال معينة فإذا انتهت هذه الفترة الزمنية وحتى إن لم يصدر حكم بات فانه لا يسري القانون الذي يجرم الفعل أو يعاقب عليه بعقوبة اخف وكذا لا يسري القانون الجديد بهذا الوصف^(١٤).

وتطبيقاً للنص المتقدم فقد قضت محكمة النقض المصرية ب(إن المادة الخامسة من قانون العقوبات المصري في فقرتها الأخيرة قد أفادت ان حكمها خاص بالقوانين المؤقتة إي التي تنتهي عند ارتكاب فعل في مدة زمنية محددة فهذه هي التي يبطل العمل بها بانقضاء هذه الفترة بغير الحاجة إلى صدور قانون بإلغائها في مذكرة الإيضاحية لقانون العقوبات المصري فقد ذكرت هذه المادة صراحة إن حكمها يتناول حالة القوانين المؤقتة وحالة قوانين وعلى ذلك فالأوامر العسكرية التي تصدر بمناسبة الأحكام العرفية غير محددة بمدة معينة ولا جائز الإبطال العمل بها إلا بناء على قانون يصدر بإلغائها ولا يمكن اعتبارها من القوانين بالمعنى الذي تقصده الفقرة الأخيرة من المادة الخامسة من قانون العقوبات المصري^(١٥).

أما المشرع الكويتي في قانون الجزاء المادة السادسة عشر لسنة ١٩٦٠ نصت على انه (إذا كان القانون الذي يقر العقوبة قانون مؤقتاً بمدة معينة أو قانون دعت إلى إصداره ظروف طارئة وجب تطبيقه على كل فعل ارتكب أثناء مدة سريانه ولو انتهت مدته أو الغى لزوال الظروف الطارئة وكان ذلك قبل صدور الحكم النهائي بخصوص هذا الفعل^(١٦))، وكذلك ما ذهب إليه المشرع العماني عندما نص على أنه (...استثناء من حكم المادة (١٣) من هذا القانون، إذا صدر قانون بتجريم فعل أو بتشديد العقوبة المقررة له، وكان ذلك مؤقتاً بفترة محددة، فإن انتهاء هذه الفترة لا يحول دون إقامة الدعوى أو السير فيها على ما وقع من جرائم خلال تلك الفترة، أو تنفيذ العقوبات المحكوم بها...)^(١٧).

ثانياً: التشريعات الجنائية الخاصة

لم تكتفِ التشريعات محل الدراسة المقارنة في تبني الموضوع محل البحث بل تم تطبيقه فعلياً، فعلى سبيل المثال نجد أن المشرع لم يكتفِ بالتطرق في المادة الثالثة من قانون العقوبات العراقي إليه فقد أشار في بعض التشريعات الخاصة^(١٨)، فقد نص في إحدى التشريعات إلى أنه (...)(١) يمنع منعاً باتاً صيد الحيوانات البرية من اللبائن والطيور غير الأليفة في جميع بوادي القطر اعتباراً من تاريخ هذا القرار ولمدة خمس سنوات

١٤- د. مصطفى كامل، شرح قانون العقوبات العراقي القسم العام في الجريمة والعقاب، مطبعة المصارف، بغداد، ١٩٤٩، ص ٨٣.

١٥- د. علي عبد القادر القهوجي، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١١٥.

١٦- المادة (١٦) من قانون الجزاء الكويتي النافذ.

١٧- المادة (١٤) من قانون الجزاء العماني رقم (٧) لسنة ٢٠١٨.

١٨- د. سامي النصاروي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٩٧، ص ٥٥.

(٢) يعاقب المخالف الإحكام هذا القرار وفقا للمادة التاسعة من قانون صيد الحيوانات البرية وحمايتها رقم ١٩٥٨/٤٠ المعدل (٣) ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية ويتولى الوزراء المختصون تنفيذ إحكامه...^(١٩). كما نص على أن (... يمدد العمل بأحكام قرار مجلس قيادة الثورة المرقم بـ (٢٠) في ٢٧ / ١ / ٢٠٠٠ لمدة سنة واحدة...^(٢٠)، والمتضمن تمديد العمل بأحكام قرار ٢٠ / لسنة ٢٠٠٠ حول دفع الغرامة عند انتهاء نصف المدة في السجن.

كما ذهب المشرع العراقي في تشريع منفصل إلى تمديد المدة التي يمنع فيها صيد الاسماك ببيان ينشر في الجريدة الرسمية ووسائل الاعلام، إذ أشار إلى أنه (... تتحدد الشركة العامة لخدمات الثروة الحيوانية ببيان ينشر في الجريدة الرسمية ووسائل الاعلام المدة التي يمنع فيها صيد الأسماك في المحافظات كافة...^(٢١) ونص على أن (يمنع استخدام طرق الإبادة الجماعية في صيد الأسماك كالسموم والمتفجرات والمواد الكيميائية والطاقة الكهربائية...^(٢٢)).

وذهب في تطبيق آخر إلى (... منع صيد الاسماك منعاً باتاً في المناطق وللترات الزمنية وفقاً كما مبين أدناه وذلك لغرض المحافظة على الثروة السمكية وزيادة انتاجيتها... ٤- المخالف يعرض نفسه للعقوبات الواردة في القانون...^(٢٣)، وذهب كذلك إلى أنه (... يمنع صيد الغزال في البادية الشمالية لمدة خمس سنوات...^(٢٤)).

المطلب الثاني: مسوغات القوانين الجزائية المحددة الفترة وأنواعها

نقسم هذا المطلب على فرعين، الفرع الأول نبين فيه مبررات القوانين محددة الفترة، أما الفرع الثاني فنكرسه لتوضيح أنواع القوانين محددة الفترة.

الفرع الأول: مسوغات القوانين محددة الفترة

إتضح فيما تقدم بأن القوانين المحددة الفترة هي قوانين يصدرها المشرع لمواجهة فترات استثنائية معينة أو أوضاعاً محددة تطبقها غير أنها سنت لمواجهة ظروف معينة دون إن تحدد مدة معينة للعمل بها بل ذلك مرهون بالمدة التي يستغرقها الظرف الذي سنت لأجله وهو الظرف الذي في العادة سياسياً واقتصادياً حيث لا ينتهي العمل بها إلا بصدر قانون يلغي العمل بها^(٢٥)، ان القوانين محددة الفترة تلك القوانين التي تحدد في نصوصها مدة لسريان مفعولها فتحدد تاريخ انتهاء العمل بها دون الحاجة بحلول هذا التاريخ إن صدر قانون يلغيها وهي قوانين بطبيعتها تصدر في حالات، منها:

١٩- قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم ١٢٧٧ لسنة ١٩٧٨.
٢٠- ينظر قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (١٠٩) لسنة ٢٠٠١.
٢١- ينظر المواد (٢-١) من قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٠.
٢٢- ينظر قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (٢٢) لسنة ١٩٨٣.
٢٣- ينظر بيان بمنع صيد الغزال رقم (١) لسنة ١٩٦٣ منشور في جريدة الوقائع العراقية عدد ٨٦٧ - ٦ - ١٠ - ١٩٦٣.
٢٤- د. محمد صبحي نجم، قانون العقوبات القسم العام، مطبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠، ص ١٣٣.

أولاً: حالة الطوارئ

وهي تصدر وفق قانون مخصص لحماية كل أو بعض اجزاء البلاد ضد الإخطار الناجمة عن عدوان مسلح^(٢٥)، وتتضمن تجزئاً لبعض الافعال أو الامتناعات التي تصدر خلالها.

ثانياً: ظروف خاصة كحالة الحرب

عرف المشرع العراقي حالة الحرب (... بأنها يراد بحالة الحرب حالة القتال الفعلي وان لم يسبقها إعلان الحرب وحالة الهدنة التي توقف بها القتال ويعتبر في حالة حرب الفترة التي يحدث فيها خطر الحرب متى ما أسهمت فعلاً بوقعها...)^(٢٦)، فقد تقتضي حالة الحرب اوضاعاً خاصة مما يستدعي معالجتها عن طريق القوانين المحددة الفترة.

ثالثاً: الاوضاع الاقتصادية

هي التي تدعو إلى إصدارها حالات خاصة مؤقتة من اقتصادي سيئ كوجود نقص في الحبوب أو المواشي أو أي نوع آخر من المواد الغذائية، أو أنها تصدر لمواجهة ظروف خاصة أو لمعالجة طارئة كالقوانين بالتسعير الجبري التي تصدر خلال الأزمات الاقتصادية، فالمصلحة العامة التي تدعو المشرع إلى إصدارها يوضع لفترة زمنية محددة صراحة أو تستنتج بصورة ضمنية من ظروف وضعه إن الحالات التي تؤدي إلى اللجوء إلى هذه القوانين غير محددة.

رابعاً: الاوضاع المتعلقة بالصحة العامة

في كثير من الاحيان يحدث وباء أو اضرارٌ صحية تصيب الافراد فيعمل المشرع على مواجهة كافة الافعال التي قد تؤدي بطبيعتها الى الاضرار بالافراد، أو أنها -القوانين المتعلقة بالمحافظة على الصحة العامة عند انتشار وباء من الأوبئة.

و هناك أسباب مختلفة تدعو المشرع إلى إصدار قوانين مؤقتة فقد يقرر إجراء تعديل في التشريع فيرى قبل إن يعتمد نهائياً تجريبه في التطبيق مدة معينة من الزمن فيحدد له فترة حتى يتمكن من الوقوف على أثار تطبيقه فيها ومثال ذلك ما قامت به بعض التشريعات الأجنبية من إلغاء عقوبة الإعدام خلال فترة محددة حتى تختبر مدى تأثير ذلك على الحركة العامة للإجرام أو على فئة معينة من الجرائم خلال هذه الفترة أو كان يطلق المشرع الحرية الاقتصادية لبعض العمليات الاقتصادية في قطاع معين وكان نشاطها من قبل محظور أو منظماً وذلك بقصد الوقوف على التحسن الذي يطرأ على الوضع الاقتصادي وبالإضافة إلى ذلك قد تدعو المشرع ظروف اقتصادية استثنائية أو طارئة كالأزمات السياسية والاقتصادية أو اضطراب في الأمن العام إلى إصدار مثل هذا النوع من القوانين أو ظروف صحية أو حالة حرب أو إعلان حالة الطوارئ غداة قيام الثورة أو تمرد في كل هذه الظروف قد يلجأ المشرع إلى إصدار القوانين المؤقتة^(٢٧).

الفرع الثاني: أنواع القوانين المحددة الفترة

هل القوانين المحددة الفترة هي على نوع واحد أم أكثر من نوع؟

^{٢٥} - د مجيد ظاهر.علي، المصدر السابق، ص ١٣٣.

^{٢٦} - قانون العقوبات العراقي (نص المادة ٢/١٨٩).

^{٢٧} - د. حسن الجوخدار، تطبيق القانون الجزائي من حيث الزمان، دراسة مقارنة، مطبعة دار الثقافة، عمان، بدون السنة، ص ٣٢٨.

أجاب الفقه عن ذلك، منطلقاً من المعنى العام للقوانين محددة الفترة أنه والتي تتضمن وجود تشريعات تسن لفترات زمنية محددة بنص صريح فيها أو بصورة ضمنية عن طريق معالجة الظروف، فهي تشريعات تم وضعها لمواجهة حالات ذات خصوصية معينة، وبناءً على ذلك فهي تُقسم على كل من القوانين المؤقتة بحكم النص والقوانين المؤقتة بحكم طبيعتها، ونبينهما على النحو الآتي:

أولاً: القوانين المؤقتة بنص

إن القوانين المؤقتة بنص هي تلك القوانين التي يتم العمل بها في فترة العمل القانون، فيحدد المشرع تاريخ الانتهاء العمل القانون، و من ثم فإن هذه القوانين تلغى تلقائياً بمجرد حلول هذا الميعاد دون الحاجة لإصدار قانون يلغيها وبالتالي فإن القوانين المؤقتة هي التي تنتهي عند ارتكاب فعل في مدة زمنية محددة ويظل بها بعد تلك الفترة بغير حاجة إلى صدور قانون بإلغائها^(٢٨)، وعلى ذلك فإن المشرع في هذا النوع من القوانين يتضح منه الآتي:

١. إن المشرع يحدد في نصوص القانون المحدد الفترة فترة العمل به وتاريخ انقضائه كذلك.
٢. إن المشرع يحدد صراحة فترة تطبيق تلك القوانين بصورة واضحة فيورد في صلب نصوصها تاريخ انتهاء العمل بها ومثاله بعد شهر أو سنة أو ثلاث سنوات ومتى حل هذا الأجل بانتهاء الفترة المحددة لها فأتمها تلغى من تلقاء ذاتها دون الحاجة إلى صدور قانون جديد يقرر ذلك^(٢٩)، وعلى ذلك فإننا يمكن أن نطلق على انتهاء فترة العمل بهذا القانون دون تدخل تشريعي جديد لإلغائه، بالالغاء التلقائي للنص العقابي.

ثانياً: القوانين المؤقتة بطبيعتها

في هذا النوع من التشريعات نجد أنه لا يعتمد إلى تحديد مدة زمنية منصوص على سريانها على الوقائع والافعال الذي جاء ليعالجها، ولكن يستفاد من طبيعة الأمور التي تنظمها وإبطال العمل بها يقتضي صدور قانون بإلغائها وذلك القوانين الاستثنائية التي تصدر في حالات الطوارئ من القوانين كالأوامر العسكرية التي كانت تصدر في حالة الإحكام العرفية تصدر غير محددة بمدة معينة وبالتالي لا يجوز إبطال العمل بها إلا بناء على صدور قانون يصدر بإلغائها، على عكس النوع الأول، ومثال ذلك القوانين والقرارات الخاصة بالتسعير الجبري فمن يتهم بارتكاب جريمة بيع السلع بسعر يتجاوز الثمن المحدد يلزم تبرئته إذا صدر قرار بحذف هذه السلعة من جدول التسعير الجبري^(٣٠).

فقانون التسعير الجبري والرقابة على النقد في ظل ظروف اقتصادية خاصة والقوانين التي تصدر بالكوارث التي تلحق بالدولة وتبقى فترة من الزمن فالمصلحة العامة التي تدعو المشرع إلى إصدار النص المؤقت حينها لا تتحقق إذا افلت المجرم من العقاب بسبب انتهاء فترة العمل به بدون محاكمته عن الجريمة الواقعة خلال العمل به أو تعمد المتهم إطالة إجراءات المحاكمة حتى ينتهي مفعول النص المؤقت القديم الأشد وبالتالي

٢٨- د. امين مصطفى محمد، قانون العقوبات القسم العام، مطبعة منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٦٩.

٢٩- د. حسن الجو خدار، مصدر السابق، ص ٣٢٩.

٣٠- د. امين مصطفى محمد، مصدر سابق، ص ٦٩.

يستفيد من النص الجديد أو الوضع الجديد الأحق^(٣١) لا يصرح المشرع بتوافقيته بل يستفاد ذلك من طبيعة الظروف التي ينظمها^(٣٢).

وعلى ذلك فإن القوانين المحددة الفترة تسن وفق قانون ينشئ جريمة أو يعمل على تشديد عقوبة ولا يكون منصوباً على مدة معينة لسريانها فهي تدخل في حكم القوانين محددة الفترة لان إبطال العمل بها يقتضي صدور قانون بإلغائها^(٣٣).

وهناك من أضاف من الفقهاء إن القوانين بطبيعتها تنقسم على نوعين: النوع الأول: قوانين تحدد مدتها بطريقة ضمنية عن طريق الظروف التي أدت إلى وضعها وتنتهي هذه المدة تلقائياً بانتهاء هذه الظروف ومثال هذه القوانين التي تسري في حالة الحرب واللوائح التي تسري أثناء إقامة المعرض أو مؤتمر معين فهذا النوع من القوانين ينتهي بانتهاء هذه الحالة دون حاجة النص الصريح^(٣٤) بصورة ضمنية عن طريق الظروف التي أدت إلى وضعها وتنتهي فترة تطبيقها من تلقاء ذاتها بانتهاء هذه الظروف دون الحاجة إلى نص صريح يقرر ذلك ومثال ذلك القوانين التي ينص على تطبيقها أثناء الحرب أو بمناسبة انعقاد مؤتمر دولي أو إقامة سوق دولية أو زيارة شخصية سياسية هامة لإقليم الدولة^(٣٥).

النوع الثاني: قوانين تحدد مدتها بطريقة ضمنية عن طريق الظروف التي أدت إلى وضعها ولكنها لا تنتهي بل لا بد من تدخل الشارع بنص صريح لإلغائها فالشارع هو الذي يستقل وحده بتقدير الظروف بانتهاء ومثال قرارات رئيس الجمهورية التي تصدر عند إعلان الطوارئ فأما تبقى طالما توافرت هذه الحالة ولم يصدر قرار بإلغائها^(٣٦).

المبحث الثاني: الإحكام المترتبة على تطبيق القوانين محددة الفترة

تعالج في هذا المبحث إحكام القوانين المحددة الفترة من جانب التجريم والعقاب والإحكام الإجرائية لمواجهة الجرائم التي تقع خلال القوانين محددة الفترة وذلك عن طريق تقسيمه على مطلبين يكون المطلب الأول الإحكام الموضوعية والمطلب الثاني الإحكام الإجرائية.

المطلب الأول: الإحكام الموضوعية

يخص هذا المطلب الإحكام الموضوعية ويكون على فرعين الفرع الأول التجريم بينما الفرع الثاني يكون العقاب.

الفرع الأول: الإحكام المتصلة بالتجريم

التجريم يعني إخفاء الحماية الجزائية على مصلحة معينة من المصالح الاجتماعية التي تهتم المجتمع ومنع إلحاق الضرر بها بإصدارها وتدميرها كلياً أو جزئياً أو التهديد بانتهاكها لان الإضرار الجنائية ماهي إلا نشاط

٣١- د. جاسم خريط خلف، مصدر سابق، ص ٥٦.

٣٢- د. حسن الجو خدار، مصدر السابق، ص ٣٤٣.

٣٣- د. كامل السعيد شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٣، ص ٨٢.

٣٤- د. اشرف توفيق شمس الدين، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة جامعة بنها، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٥٠.

٣٥- د. حسن الجو خدار، المصدر السابق، ص ٣٣٠.

٣٦- د. اشرف توفيق شمس الدين، المصدر السابق، ص ٥٠.

محل بالحياة الاجتماعية وكل مجتمع يحتفظ بقواعده وأفكاره وقيمة التي تضبط النظائر الاجتماعي فالقواعد الاجتماعية تنظم سلوك الأفراد والجماعات التي تمثلهم وبعض هذا القواعد تهتم بها سياسة التجريم فننقلها إلى قانون العقوبات^(٣٧).

إن التجريم يستند إلى تحقيق غرض معين هو كفالة التنظيم القانوني لموضوع معين كما انه يهدف إلى حماية حق من الحقوق بلغ درجة من الأهمية يجعله جديراً بالحماية الجنائية فينص على تجريم كل فعل يعتدي على ذلك الحق^(٣٨)، وإن كثيراً من الدول تصدر هذه القوانين لحماية المصلحة العامة خلال فترة مؤقتة محددة وقد تجرم بعض الأفعال وتعاقب عليها إن انتهاء هذه الفترة المؤقتة لا يؤثر على تطبيق القانون المؤقت محاسبته على الأفعال التي جرمها التي وقعت أثناء فترة تطبيقه لأن هذه الأفعال قد أحدثت اضطراباً والإخلال بالنظام ولا جدوى من القوانين المؤقتة إذا كان إلغاؤها لا يؤثر على الجرائم التي وقعت في ظلها يصدر لمواجهة ظروف خاصة وغالبا ما تكون استثنائية فإذا ما انقضت هذه الظروف لم يعد للقانون ما يبرأ والقانون المؤقت الذي ينظم التجريم^(٣٩).

لا يجوز تجريم فعل لم يكن المشرع قد نص من قبل على تجريمه لأن الأصل في الأفعال الإباحة ومن واجب السلطة التشريعية إن تعلن مسبقاً عن الأفعال التي تعدها منافية لا من المجتمع ونظامه وإن تبلغها إلى الكافة ليكونوا على علم بما وفعل التجريم لا يعد جريمة إلا إذا نص القانون الجزائي أو أي نص جزائي آخر على تجريم فالمشرع هو الذي يضع قواعد السلوك فيأمر الأفراد بالامتناع عن القيام ببعض الأفعال أو بإتيان بعضها مستلهاً أحكامه عن اعتبارات ترتبط ببناء الدولة ونظامها الاجتماعي وفلسفتها وسياستها^(٤٠). إن السلطة المختصة بالتجريم تتصل بدور القاضي الجنائي وإن القاضي فيه لا يتعدى تطبيقه على ما يعرض عليه من وقع فالفعل أو الامتناع لا يطلق عليه وصف الجريمة ما لم يكن مطابقاً أو صافه وعناصره النموذج الذي حدده المشرع في النص ومن تحديد سلطة في تحديد الجريمة أي بحسب الفعل بحكم القاضي^(٤١).

و إذا كانت الجريمة المنصوص عليها في القانون المؤقت سلبية لا ايجابية أي تتكون عن امتناع عن القيام بفعل يفرضه هذا القانون مثل تقديم خدمات أو أشياء للدولة فهل يسري بشأنهم حكم القوانين المؤقتة يذهب كذلك فريق من الفقهاء في مصر القول بأن نص الفقرة الأخيرة من المادة الخامسة مقصور على الجرائم الايجابية وسندهم في ذلك عبارة "ينهي عن فعل" إذا قد يستفاد منها إن المقصود هو الجرائم الايجابية دون السلبية وواضح أن هذه التفرقة لا تقوم على أساس سوى التعلق بحرفية النص وهي تتعارض كذلك مع قصد الشارع الذي صرح في المذكرة الإيضاحية للنص بأنه يطبق على القانون الذي ينهي عن فعل أو يأمر به كما إن تعتبر الفعل يتسع لفظاً للجرائم الايجابية والسلبية^(٤٢).

٣٧- د. فاطمة السباعي وآخرون، السياسة الجنائية المفهوم والتطور، بحث مقدم الى جامعة سيد محمد بن عبد الله، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨، ص ١٤.

٣٨- عبده يحيى الشاطي، مصادر سابق، ص ٤٣.

٣٩- د. عدنان الخطيب، مؤخر القانون الجزائي، مطبعة دمشق، ١٩٦٣، ص ٦٥.

٤٠- د. عبود السراج، قانون العقوبات العام، مطبعة الجامعة، دمشق، ٢٠١٨، ص ٣٩-٤٢.

٤١- د. أمال عبد الرحيم، النموذج القانوني للجريمة في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، العدد الأول، ١٩٧٢، ص ٣.

٤٢- د. حسن الجو خدار، مصادر سابق، نقل عن د. علي بدوي، ص ١٣٢.

وهذا يعني أن الفعل قد ارتكب في ظل قانون مؤقت وقبل الحكم نهائيا في الدعوى انقضت فترته وحل محل قانون مؤقت آخر قد يكون اشد واخف منه فما الحل في مثل هذه الحالة القاعدة إن كل القانون المؤقت يستقل في نطاق تطبيقه الخاص به فيستمر القانون المؤقت في حكم الأفعال التي حدثت في ظله وعله ذلك إن كل قانون يستقبل في ظروفه الداعية إلى وضعه وبناء على هذا فقد حكمت محكمة النقض المصرية بان القرار رقم ١٤٨ لسنة ١٩٩٣ الصادر من وزير التموين في ١٥ ديسمبر نة ١٩٥٣ والذي يقضي بان تستولي الحكومة لدى الزراع على كمية من الأرز.

الفرع الثاني: الأحكام المتصلة بالعقاب

إن القانون المؤقت يصدر لمواجهة ظروف خاصة وهو مؤقت بفترة محددة معروفة للناس كافة وانقضاء فترة العمل بالقانون المؤقت لا يعني بحال انه لم يعد له مبرراً لتطبيقه على الأفعال التي حدثت في ظله إذ إن من قام في ظله بفعل أو امتناع يظل مستحقا العقاب المقرر به فهو قد اضر بالمجتمع وهو يمر في مثل هذه الظروف ويظل مستحقا العقاب وان انقضت بعد فعله هذه الظروف وانقضى القانون ذاته وكل ما يعنيه إصدار القانون المؤقت إن من يقترب مثل هذا الفعل بعد زوال الظروف لا يستحق العقاب وعلى ذلك يجب إن يستمر القانون المؤقت في حكم الجرائم التي ارتكبت في ظله لان وصف التجريم او التشديد في العقاب مستمد من إن الفعل ارتكب إثناء ظرف طارئ فالزمن في مجال القانون المؤقت يعد من عناصر الإجرام وهذا الوصف لا يزول رغم إلغاء القانون فمن يخالف قانون يحظر على سكان منطقة من المناطق مغادرتها لتفشي وباء معين فيها وحدد الشارع فترة العمل بهذا القانون بثلاثة أشهر حيث قدر إن الفقهاء على هذا الوباء يحتاج لمثل هذه الفترة فانه يضر من غير شك بالمجتمع إذ يعرقل مقاومة الوباء لذا فهو يظل جديرا بالعقاب وان زال القانون بعد فعله^(٤٣).

التفريق بين ما إذا كان القانون المؤقت ينشئ تجريما جديدا او يقتصر على تشديد العقاب ذهب جانب من الفقه المصري إلى التفريق بين حالة القانون المؤقت الذي ينشئ تجريما جديداً غير مقرر في التشريع العادي الذي العمل به وحالة القانون المؤقت الذي يشدد العقاب على فعل يعد جريمة وفقاً للتشريع العادي فانه في الحالة الأولى يغدو مباحا بعد زوال القانون المؤقت وفي الحالة الثانية يعاقب عليه بعقوبة اخف ويذهب بعد ذلك إلى القول بترتيب حكم القوانين المؤقتة وفي الحالة الأولى فحسب إي حالة التي يصبح فيها الفعل مباحا بعد زوال القانون المؤقت كما لو كان القانون ينهي عن تصدير رؤوس الأموال إلى الخارج مثلاً في خلال فترة محددة الأجل فيزول ذلك القانون بانتهاء هذه الفترة وتسقط الجريمة عن الفعل ابتداء من التاريخ المذكور في هذه الحالة فقط يسري القانون المؤقت على الجرائم التي ارتكبت ظله اما الحالة الثانية وهي التي يبقى فيها الفعل بعد زوال القانون المؤقت معاقبا عليه ولكن بعقوبة اخف وفقاً للقانون العادي الذي يسترد بسلطانه بزوال القانون المؤقت فانه لا يخضع لحكم الفقرة الاخيرة من المادة الخامسة ان القانون المؤقت لا يسري على الأفعال التي حدثت في ظله إذا لم يصدر بها حكم بات قبل زوال ويطبق بشأنها

^{٤٣} - د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم العام، المجلد الاول، الطبعة الثالثة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت،

القانون العادي ويستفيد المتهم من التخفيف الذي يأتي به هذا القانون وسند هذا الفريق من الفريق من الفقهاء أن نص يبدأ بكلمة تفيد الاستثناء من حكم الفقرة عليها وهي لا تشمل إلا القانون الذي يجعل الفعل غير معاقب عليه وان نصها ينتهي كذلك يؤخذ منها إن الشارع قد اقترض إن القانون العادي لا يعتبر الفعل معاقبا عليه وهو لا يحول دون السير في الدعوى او تنفيذ العقوبات المحكوم فيها إن هذا الرأي المطبق لحكم القوانين المؤقتة يعيبه انه اتجه إلى ظاهر النص ويمسك بحرفيه ألفاظ بصورة لا تتفق وقصد الشارع الذي صرح به في مذكرته الإيضاحية للقانون فلا محل لقصر النص على القوانين التي تنشئ تجريما جديدا فان ذلك تخصيصا لغير علة مفهومه كما إن العلة في عدم تطبيق القانون الجديد باثر رجعي هي واحدة في الحالتين وهي التعارض مع المصلحة العامة فقد تستدعي ظروف طارئة يشدد الشارع العقاب على فعل كان يعده جريمة وفقا للقانون العادي والذي يستأنف العمل به بعد زوال القانون المؤقت وذلك لان الظروف قد زادت من خطورة هذا الفعل على المجتمع فمن ارتكبه اثناء هذه الظروف يكون اضر بالمجتمع على نحو اشد ويجب ان يظل جديرا بالعقاب المشدد وفقا للقانون المؤقت وان انقضى اجله قبل صدور حكم بات في الدعوى (٤٤).

إن المشرع قد يشدد العقاب على الفعل بسبب الظروف خاصة بحيث لا يجب ان يستفيد من التخفيف الوارد في القانون العادي من ارتكب فعله اثناء هذه الظروف إذا اضر بالمجتمع على نحو اشد ويجب ان يظل جديرا بالعقاب وفقا للأحكام القانون المؤقت وان انقضى اجله قبل صدور حكم بات في الدعوى على ان غالبية الفقهاء ترى وجوب استمرار القانون المدني (المؤقت في حكم الوقائع التي حدثت في ظله يستوي في ذلك إن يقرر تجريما جديدا أو يشدد العقاب على الجريمة سابقا وقد اخذ بهذا الحل صراحة كثيرا من التشريعات الجنائية منها على سبيل المثال الألماني (المادة ٣/٢) والاطالي (المادة ٢) والبولوني (المادة ٣/٢) ومشروع قانون العقوبات الفرنسي (المادة ٦) والمصري (المادة ٤/٥) والعراقي (المادة ٣) والليبي (المادة ٤/٢) والسوري واللبناني (المادة ٢/٢) والكويتي (المادة ١) (٤٥).

الشعير من محصول سنة ١٩٥٣ في ميعاد لا يتعدى آخر ديسمبر في سنة ١٩٥٣ لم يصدر قرار لاحق بإلغائه وهو بطبيعته مؤقت بمدة معينة وهي سنة ١٩٥٣ ولذلك فانه وفقا للفقرة الأخيرة من المادة الخامسة من قانون العقوبات لا يتأثر بانقضاء هذه المدة لا يتأثر من باب أولى بصدور أو عدم صدور قرار عن السنوات التالية أو بصدور قرار من نوعه بالنسبة للمحصول سنة ١٩٥٤ تم إلغاؤه وحكمت أيضا بان المرسوم بقانون رقم ٢٠٣ لسنة ١٩٥٢ الصادر ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ بتحديد المساحة التي تزرع قطنا في السنوات ١٩٥٢-١٩٥٣، ١٩٥٣-١٩٥٤، ١٩٥٤-١٩٥٥ الزراعية اذا نص في الفقرة (أ) من المادة الرابعة منه على انه لا يجوز لا يشخص إن يزرع القطن في السنوات الثلاث المذكورة في ارض زرعت محصولا شتويا غير البرسيم في السنة الزراعية نفسها فقد أفاد بذلك انه قانون مؤقت من نوع ما نص عليه في الفقرة الأخيرة من المادة الخامسة من قانون العقوبات لان أحكامه تنتهي عند ارتكاب فعل في مدة زمنية محددة ويبطل بها بانقضاء هذه المدة بغير حاجة إلى صدور قانون وقد صدر بعدئذ القانون رقم ٤٨٩ لسنة

٤٤- د. احمد عبد العزيز الألفي، شرح قانون العقوبات الليبي، مطبعة الإسكندرية مصر، ١٩٦٩، ص ١٠٧.

٤٥- د. السعيد مصطفى السعيد، الأحكام العامة في قانون العقوبات، مطبعة القاهرة، مصر، بدون ذكر السنة، ١١٩.

١٩٥٣ بتعديل بعض احكام المرسوم بقانون المتقدم الذكر ونص فيها على وقف العمل بأحكام الفقرة (أ) من المادة الرابعة ١٩٥٣-١٩٥٤، ١٩٥٤-١٩٥٥ الزراعتين وهذا الوقف لا ينسحب أثره على السنة الزراعية السابقة عليهما ويلزم من ذلك وجوب تطبيق احكام ذلك المرسوم بقانون على المخالفات التي وقعت في ظله ان القانون المؤقت يحتفظ بأثره كاملا بالنسبة للجرائم التي وقعت في ظله ويظل كذلك حتى وان انقضت فترة العمل به قبل صدور حكم نهائي بها ويستوي في ذلك ان يكون حكمه اخف أم اشد من حكم القانون العادي الذي يستأنف العمل به وان يكون القانون اللاحق عليه عاديا أم مؤقتا^(٤٦).

كيف يستقيم هذا الوضع الخاص بالقوانين المؤقتة مع فكرة رجعية القانون الأصلي للمتهم يذهب جانب من الفقه إلى القول بان عدم تطبيق فكرة رجعية القانون الأصلح للمتهم في مجال القوانين المؤقتة مرجعة انتفاء العلة التي تقوم عليها هذه الرجعية ففي الأحوال العادية تقرر رجعية القوانين الأصلح لأنها تفيد اعتراف الشارع بان العقوبة السابقة أصبحت غير ضرورية أو غير مفيدة أو زائدة عن الحد بسبب صدور تشريع جديد الأصلح فلا محل بعد ذلك للإصرار على توقيعها فتمتد تطورا في التجريم والعقاب وثم اعتراف بعيب التشريع ولكن هذه العلة لا محل لها عندما تنقضي فترة العمل بالقانون المؤقت فانقضائها لا يعني تطورا في السياسة التشريعية وكل مايعنيه ذلك بمجرد تغير الظروف وما يتطلبه ذلك في تحقيق الاتساق بين الظروف الجديدة والتشريع فحيث تنتفي علة الرجعية لا يكون سبيل إلى القول بها^(٤٧).

إنما ما اعتمده الفكر التقليدي لتبرير رجعية القانون الأصلح للمتهم فهي سلاح ذو حدين ومن هنا لا يمكن الاعتماد عليه أيضا كمنطق لتبرير الحكم الخاص بالقوانين المؤقتة إذا كانت لا تصلح سند في حد ذاتها فمن باب أولى لا تصلح للبناء عليها ثانيا من جهة أخرى فان هذه الحجة تضع على عائق القاضي مهمة التنقيب عن إرادة الشارع وفيما إذا كان ما صدر عنه من تشريع جديد يعد اعترافاً منه او عدم اعتراف بعدم جدوى العقوبة ولهذا الأمر محاذيره إذ من العسير الوقوف على قصد الشارع في ذلك فيما يعده بنظر البعض غير ذي جدوى يراه البعض الآخر عكس ذلك وعلى فرض التسليم بذلك فمألاً إي معيار نلجأ عند غياب ما يدل على إرادة الشارع في إي هذا العدد وهل يترك ذلك لمحض سلطة القاضي معنى ذلك الوقوع في خطر التحكم والرأي عندنا ان استمرار سريان القانون المؤقت على الجرائم التي وقعت في ظله حتى بعد انقضاء اجله وبصرف النظر عن ماهية القانون الجديد من حيث اتجاهه نحو التخفيف أو التشديد إنما هو تطبيق للقواعد العامة ولا تحتاج إلى تعليل خاص فالأصل عند تنازع القوانين في الزمان ان القانون الجديد غير ذي اثر رجعي إن المركز القانوني للمتهم يتحدد ويتبلور نهائيا وقت اقترافه الفعل فيكون من الطبيعي ان يسري القانون النافذ في ذلك الوقت أما رجعية القانون الأصلح للمتهم فما هي إلا استثناء من هذا الأصل العام وهي مشروطة با لا تتعارض مع المصلحة العامة وهذا الشرط لا يتحقق في مجال القوانين المؤقتة يعني عدم الأخذ بها عودة إلى هذا الأصل العام أي لمبدأ عدم الرجعية الذي يتمتع بسلطانه كاملا^(٤٨).

٤٦- د. حسن الجو خدار، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

٤٧- د. محمد الفاضل، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة دمشق سوريا، ١٩٦٣، ص ١٢٩.

٤٨- د. عبد الوهاب حومد، الحقوق الجزائية العامة، مطبعة دمشق سوريا، ١٩٥٦، ص ٢٠٠.

المطلب الثاني: الإحكام المتصلة بالإجراءات

نتطرق في هذا المطلب إلى الإحكام الإجرائية يكون على فرعين الفرع الأول إقامة الدعوى الجزائية إثناء سريان فترة القانون المؤقت إما الفرع الثاني إقامة الدعوى الجزائية بع انتهاء فترة القانون المؤقت.

الفرع الأول: إقامة الدعوى الجزائية أثناء سريان فترة القانون المؤقت

الدعوى الجزائية هي الوسيلة التي من خلالها يستطيع المجتمع محاسبة فاعل الجريمة الذي عكر أمنه وسلامة وعرض مصالحه للخطر وهذه الوسيلة تبدأ بشكوى وتنتهي في الغالب بالعقوبة وقلنا غالباً في العقوبة وذلك لان الدعوى الجزائية قد تنتهي في مرحلة التحقيق^(٤٩).

تنص غالبية التشريعات الجنائية العربية على انه إذا ارتكب شخص جريمة ما لمخالفة لنص محددة الفترة وحُركت إجراءات التحقيق والمحاكمة في مواجهة او صدر حكم نهائي عليه بالإدانة فان انتهاء الفترة والمحددة لسريان النص لا يحول دون استمرار إجراءات التحقيق والمحاكمة وتنفيذ الجزاء المحكوم به ولو صار الوضع أصح له بالعودة إلى الوضع الأصلي السابق على صدور النص المحددة الفترة ويتضمن بياناً صريحاً بتاريخ انتهاء مفعول^(٥٠).

ووفقاً للقواعد العامة الواردة في قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي فإن تقديم الشكوى يتضمن الدعوى بالحق الجزائي وهو طلب اتخاذ إجراءات الجزئية ضد مرتكب الجريمة وفرض العقوبة عليه وتتضمن الشكوى التحريرية الدعوى بالحق المدني مالم يصرح المشتكي بخلاف ذلك^(٥١).

ووفقاً للأصول العامة كذلك فإن الدعوى الجزائية تحرك بشكوى شفهية أو تحريرية تقدم إلى قاضي التحقيق أو المحقق أو إلى إي مسؤول في مركز الشرطة أو إي من أعضاء الضبط القضائي من المتضرر من الجريمة أو من يقوم مقامه قانوناً أو إي شخص علم، بوقوعها أو بأخبار يقدم منهم من الادعاء العام مالم ينص القانون على خلاف ذلك يتبين إن المشرع العراقي لم يعط في هذا القانون الدور الرئيسي ولم يخص الادعاء العام بتحريك الدعوى بل اعطاه أولاً لمن وقعت عليه الجريمة ومن ثم لمن علم بوقوعها وأخيراً للادعاء العام وهذا يعني إن المشرع العراقي لازال متأثراً بالنظام الانكليزي الذي يعطي الحق في تحريك الدعوى للأفراد عدا بعض الجرائم ولا سيما تلك التي تتعلق بأمن الدولة وتزيف العملة حيث خص الادعاء العام فيها كذلك فعل المشرع المصري الذي خص النيابة العامة دون غيرها في رفع الدعوى الجنائية ومباشرتها ولا ترفع من غيره إلا في الأحوال التي يحددها القانون، وتطبيق هذا الموضوع على محل البحث فيمكن إقامة الدعوى عن الجرائم التي يرتكب أثناء سريان القانون المؤقت^(٥٢).

وبعد هذا العرض نسأل هل أن الزمن يعد في حد ذاته عنصراً من عناصر التجريم في الفعل الذي يرتكب أثناء فترة العمل بالقانون المؤقت أو عنصر من عناصر تشديد العقاب عليه؟.

٤٩- د. سليم إبراهيم حربة، عبد الأمير العكيلي، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، مطبعة العاتك، ٢٠٠٨ بغداد، ص ٢٥٩.

٥٠- د. عبد الفتاح خضر، النظام الجنائي الجزء الأول، بدون مطبعة، ٢٠١٢، بدون مكان النشر، ص ١٠٤.

٥١- المادة (١/٩) ٢٣ لسنة ١٩٧١ من قانون اصول المحاكمات الجزائية النافذ.

٥٢- د. سليم إبراهيم حربة، عبد الأمير العكيلي، مصدر سابق، ص ٢٦.

أجابت المذكرة الإيضاحية لقانون العقوبات المصري عندما قالت (انه لا يجوز إن يستفيد المتهم أو المحكوم عليه من مضي المدة التي ينهي فيها القانون عن فعل أو يأمر وإلا ضاع الغرض المقصود من القانون إن سريان القانون العادي بأثر رجعي على ما ارتكب من أفعال في ظل القانون المؤقت يشجع الناس على مخالفة إحكامه طالما إنهم على علم مسبق بلحظة انقضائه أو أنهم يتوقعون ذلك وإن كان توقعهم على غير أساس فيتعمد المتهم تعطيل الخصومة الجنائية بالمماطلة والتسويف واستخدام الثغرات والحيل الإجرائية المحكمة فضلا عن الطعن بالحكم بمختلف وجوه الطعن بقصد تأخير لحظة صدور الحكم النهائي ضده وحتى يلحقه القانون العادي فيغدو فعله لا عقاب عليه أو تنزل به العقوبة الأخف وهذا المخدور يظهر بجلاء عن ما تقتزف الجريمة قبل نهاية العمل بالقانون المؤقت بوقت قصير لا يعقل إمكان المضي في إجراءات التحقيق والمحكمة وصدور حكم بات خلال الوقت المتبقي منها كما يظهر ضرر رجعية القانون الأصلح للمحكوم عليه بالنسبة للتشريعات التي قررتها حتى ما بعد صدور حكم بات في الدعوى وهذا يؤدي الى ان من صدر في مواجهة حكم بات في ظل قانون مؤقت يصبح فعله غير معاقب عليه بعد انقضاء فترة العمل بهذا القانون).

وهناك من يرى أن المشرع العراقي قد أخذ في المادة (٣) من قانون العقوبات في إطار عرضه للقوانين المحددة الفترة بأن يستمر القانون المؤقت في حكم الأفعال التي وقعت في ظله^(٥٣)، الذي ذهب فيها أن تجريم فعل أو بتشديد العقوبة المقرر له وكان ذلك في فترة محددة (...فان انتهاء هذه الفترة لا يحول دون تنفيذ العقوبة المحكوم بها ولا يمنع من إقامة الدعوى عل ما وقع من جرائم في خلالها...)، وحكم هذه المادة في حالة ما إذا ارتكب الفعل الجرم في ظل القانون المؤقت الأشد ثم انتهت مدة نفاذه قبل إقامة الدعوى العامة عن الجريمة ففي هذه الحالة انتهاء فترة نفاذ القانون الأشد لا يحول دون إمكان إقامة الدعوى العامة تطبيقا للقانون المذكور استثناء من مبدأ رجعية القانون الجنائي الأصلح للمتهم على الماضي وحكم المادة (٣) من قانون العقوبات العراقي قاصرا على القوانين المؤقتة وهي التي تصدر لتنفيذ في فترة وبالتالي فهو لا يشمل القوانين الاستثنائية التي تصدر في حالات الطوارئ ولا يكون منصوفا على مدة معينة لسريانها إنما تحتاج لبطالانها إلى صدور قانون جديد بذلك^(٥٤).

الفرع الثاني: إقامة الدعوى الجزائية بعد انتهاء فترة القانون المؤقت

إذا حلت فترة نهاية القانون المؤقت قبل قيام إجراءات الدعوى فهناك من ذهب من الفقهاء إلى القول بأن الحكم الوارد في الفقرة الأخيرة من المادة الخامسة من قانون العقوبات المصري هو في الواقع استثناء لمبدأ رجعية القانون الأصلح مادام الحكم نهائياً لم يصدر وإن هذا الاستثناء لا يجوز التوسع في حكمه على حساب المتهم مادام مقصوراً في صيغته على حالة قيام إجراءات الدعوى لذا فهو لا يسري على حالة انتهاء اجل القانون المؤقت قبل بدء إجراءات الدعوى على الجرائم وقعت في ظله ويسري في هذه الحالة القانون العادي بعده القانون الأصلح بأثر رجعي عليها فيحول دون إقامة الدعوى عملاً بالمبادئ العامة

^{٥٣} - د. محمود محمود مصطفى، اصول قانون العقوبات في الدول العربية، مطبعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢٨.

^{٥٤} - جاسم خريبط خلف، المصدر السابق، ص ٥٧.

فضلا عن انقضاء اجل القانون المؤقت دون اتخاذ إجراءات قبل المجرم لهو دليل على قلة الاهتمام بجريمته أو نسيان أمرها رغم تجريمها فلا محل لإثارتها بعد انقضاء الأجل الذي كانت محرمه فيه^(٥٥).

فقد أراد المشرع بعبارة (قيام إجراءات الدعوى أو صدور حكم بالإدانة فيها) الإفصاح عن أنَّ الفقرة الأخيرة من المادة الخامسة قد وردت استثناء لما جاء في الفقرتين تتكلم على صدور القانون قبل الحكم البات أي في حالة قيام إجراءات الدعوى وتتكلم قبل نهاية فترة العمل بالقانون المؤقت بوقت قصير الأمر الذي لم يتيح الوقت الكافي لاتخاذ مثل هذه الإجراءات كما لا يصح تفسير عدم اتخاذ الإجراءات ضد المجرم قبل انتهاء اجل القانون دليل على عدم الاهتمام بالجريمة أو نسيان أمرها فقد يكون لضيق الوقت هو الغالب والقول بالعكس ذلك يؤدي إلى إن يتخير الناس نهاية فترة العمل بالقانون كفرصة لمخالفته لعلمهم بأنه لا يوجد متسع من الوقت لقيام إجراءات الدعوى ضدهم وقد أشرفت نهاية القانون الاقتراب لذا فان انتهاء فترة العمل بالقانون المؤقت لا يحول دون السير في الإجراءات الدعوى سواء بدأت فعلا أو لم تبدأ وكذلك الحال في تنفيذ العقوبة المحكوم بها^(٥٦).

إن ما اخذ به المشرع العراقي في المادة (٣) من قانون العقوبات والمتضمنة للقوانين المحددة الفترة بالنص على انه (إذا صدر قانون بتجريم فعل أو بتشديد العقوبة المقررة له وكان ذلك في فترة محددة فان انتهاء هذه الفترة لا يحول دون تنفيذ العقوبة المحكوم بها ولا يمنع من إقامة الدعوى على ما وقع من جرائم في خلالها) وحكم هذه المادة في هذه الحالة يشمل اذا ما ارتكبت الفعل المجرم في ظل القانون المؤقت (الأشد) ولم تتم اقامة الدعوى الجزائية في ظل القانون نفسه وحُركت بعد ذلك فإنه لا يعد مانعاً في السير بإجراءاتها ومن ثم الحكم على الجاني حتى وإن انتهت مدة نفاذ القانون قبل القيام بتلك الاجراءات، ففي هذه الحالة انتهاء فترة نفاذ القانون الأشد قبل اكتساب الحكم الدرجة القطعية لا يحول دون تنفيذ العقوبة المحكوم بها تطبيقاً للقانون الأشد مار الذكر استثناء أيضاً من مبدأ رجعية القانون الجنائي الأصلح للمتهم على الماضي، وجدير بالاشارة -على رأي- وحكم المادة (٣) من قانون العقوبات العراقي قاصراً على القوانين المحددة الفترة وهي التي تصدر في فترة محددة وبالتالي فهو لا يشمل القوانين الاستثنائية التي تصدر في حالات الطوارئ ولا يكون منصوباً فيها على مدة معينة لسريانها إنما تحتاج لبطلانها إلى صدور قانون جديد بذلك^(٥٧).

الخاتمة

اولاً: الاستنتاجات

١. ان القوانين المحددة الفترة هي تلك القوانين التي يصدرها المشرع لمواجهة فترات استثنائية معينة او اوضاعاً خاصة بالمدة التي يستغرقها هذا الظرف اللازم تطبيقها خلال هذه القوانين.
٢. ان المبررات التي تدعو لتبني هذا النوع من القوانين هي حالة الطوارئ والظروف الصحية والحوادث الامنية والظروف الاقتصادية.

^{٥٥} - د. رؤوف عبيد، مبادئ الاجراءات الجنائية في القانون المصري، الطبعة الثامنة، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١١٨.

^{٥٦} - د. احمد عبد العزيز الالفي، المصدر السابق، ص ١٠٨.

^{٥٧} - جاسم خريبط، المصدر السابق، ص ٥٧.

٣. ان القوانين محددة الفترة على نوعين فمنها ما هو محدد بنص ومنها ما هو محدد بطبيعته لكن كلا الفرعين مرتبطا بمدة معينة ينتهي تطبيقها خلال انتهاء المدة المحددة او انتهاء مدة الظرف.
٤. نظم المشرع العراقي احكام القوانين المؤقتة الفترة وذلك يوضع قواعد التجريم والعقاب، وكذلك وضع المحددة الاحكام الاجرائية اللازم تطبيقها خلال هذه المدة.

ثانياً: التوصيات

١. ندعو المشرع العراقي الى تعديل نص المادة (٣) من قانون العقوبات النافذ والاشارة الى القوانين المحددة الفترة في الحالات المادية وحالة الطوارئ كما فعل المشرع الكويتي، وعدم قصرها على الحالات الاعتيادية.
٢. نوصي المشرع العراقي بعدم اللجوء القوانين محددة الفترة بصورة متكررة لأنها تكشف عن مشاكل في تطبيقها في النواحي الموضوعية والاجرائية اذ يفضل ان يتم معالجة المصالح المحمية بموجب قوانين تكسب صفة الدوام لا التأقيت.
٣. ندعو المشرع العراقي الى مراجعة كافة القوانين المحددة الفترة ودراستها ومدى كفاءتها في حماية المصالح المحمية او المبررة التي اراد المشرع حمايتها من خلاله اذا إنَّ ذلك تمكن المشرع من إصدار تشريعات ذات فعالية اكثر في وقائع مستقبلية.

المصادر

أولاً: الكتب

١. د. احمد عبد الظاهر، القوانين الجنائية الخاصة، مطبعة دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١١.
٢. د. احمد عبد العزيز الألفي، شرح قانون العقوبات الليبي، مطبعة الإسكندرية مصر، ١٩٦٩.
٣. د. امين مصطفى محمد، قانون العقوبات القسم العام، مطبعة منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٠.
٤. د. السعيد مصطفى السعيد، الإحكام العامة في قانون العقوبات، مطبعة القاهرة، مصر، بدون ذكر السنة.
٥. جاسم خريط خلف، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة زين الحقوقية والأدبية، بيروت، ٢٠١٧.
٦. د. حسن الجوخدار، تطبيق القانون الجزائي من حيث الزمان، دراسة مقارنة، مطبعة دار الثقافة، عمان، بدون سنة النشر.
٧. د. رؤوف عبيد، مبادئ الاجراءات الجنائية في القانون المصري، الطبعة الثامنة، القاهرة، ١٩٧٠.
٨. د. سامي النصاروي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٩٧.
٩. د. سليم إبراهيم حربة، عبد الأمير العكيلي، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية، مطبعة العاتك، ٢٠٠٨.
١٠. د. سمير عالية، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة مجد للدراسات، بيروت، ٢٠٠٢.

١١. د. سمير عالية، هيثم سمير عالية، الوسيط في شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة مجد، بيروت، ٢٠١٠.
١٢. د. ضاري خليل محمود، البسيط في شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة العاني، بغداد، ٢٠٠٢.
١٣. د. عبد الفتاح خضر، النظام الجنائي الجزء الاول، بدون مطبعة، ٢٠١٢، بدون مكان النشر.
١٤. د. عبد الوهاب حومد، الحقوق الجزائية العامة، مطبعة دمشق سوريا، ١٩٥٦.
١٥. د. عبود السراج، شرح قانون العقوبات القسم العام، نظرية الجريمة مطبوعات جامعة دمشق، سوريا، ٢٠٠٧.
١٦. د. عبد الوهاب حومد، الحقوق الجزائية العامة، مطبعة دمشق سوريا، ١٩٥٦.
١٧. د. عدنان الخطيب، مؤخر القانون الجزائي، مطبعة دمشق، ١٩٦٣.
١٨. د. علي حسين الخلف و د. سلطان عبد القادر الشاوي، المبادئ العامة من قانون العقوبات، مطبعة السنهوري، بغداد، ٢٠١٢.
١٩. د. علي عبد القادر القهوجي، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٢.
٢٠. د. فخري عبد الرزاق صلي الحديثي، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة الزمان، بغداد، ١٩٩٢.
٢١. د. كامل السعيد شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٣.
٢٢. د. محسن ناجي، الأحكام العامة في قانون العقوبات شرح عل متون النصوص الجزئية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤.
٢٣. د. محمد صبحي نجم، قانون العقوبات القسم العام، مطبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٠.
٢٤. د. محمود محمود مصطفى، اصول قانون العقوبات في الدول العربية، مطبعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٢.
٢٥. د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم العام، المجلد الاول، الطبعة الثالثة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٨.
٢٦. د. مصطفى كامل، شرح قانون العقوبات العراقي القسم العام في الجريمة والعقاب، مطبعة المصارف، بغداد، ١٩٤٩.

ثانياً: البحوث

١. د. فاطمة السباعي وآخرون، السياسة الجنائية المفهوم والتطور، بحث مقدم الى جامعة سيد محمد بن عبد الله، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨.
٢. د. امال عبد الرحيم، النموذج القانوني للجريمة في مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، العدد الأول، ١٩٧٢.

ثالثاً: التشريعات

أ-القوانين

- ١- قانون العقوبات المصري رقم (٥٨) لسنة ١٩٣٧.
- ٢- قانون الجزاء الكويتي رقم (١٦) لسنة ١٩٦٠.
- ٣- قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩.
- ٤- قانون أصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١.

ب-قرارات مجلس قيادة الثورة المنحل

- ١- قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم ١٢٧٧ لسنة ١٩٧٨.
- ٢- قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (٢٢) لسنة ١٩٨٣.
- ٣- قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٠.
- ٤- قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم (١٠٩) لسنة ٢٠٠١.

رابعاً: البيانات الرسمية

١. بيان بمنع صيد الغزال رقم (١) لسنة ١٩٦٣ منشور في جريدة الوقائع العراقية عدد ٨٦٧ - في ٦-١٠-١٩٦٣.

الضمانات الدستورية والقانونية لحقوق الإنسان

The Legal and Constitutional Guarantees of Human Rights

زينب احمد حسون بلال^(١) Zainab A. Hassoon Bilal

الخلاصة

يعد التشريع هو الأساس القانوني لحماية حقوق الإنسان وهو الوسيلة الأكثر فاعلية لتمكين الأفراد من التمتع بحقوقهم، وذلك بوصفه عملاً من أعمال السلطة المنبثقة عن الشعب ولذلك تكاد تجمع التشريعات على كفالة وحماية حقوق الإنسان سواء تمثلت تلك التشريعات في الدستور، والذي يمثل التشريع الأعلى في الدولة، أو في القوانين العادية وتتمثل تلك الحماية في مجموعة من الضمانات الدستورية والقانونية. الكلمات المفتاحية: مبدأ الفصل بين السلطات، مبدأ المشروعية، الحقوق والحريات.

Abstract

Legislation is the legal basis for the protection of human rights and is the most effective means of enabling individuals to enjoy their rights as a work of the people's authority. Legislation is therefore almost unanimous in ensuring and protecting human rights, whether in the Constitution, Or in ordinary laws. Such protection is a set of constitutional and legal guarantees.

Keywords: The principle of separation of powers, The principle of legality, Rights and freedoms.

المقدمة

من المبادئ المسلم بها في النظم الديمقراطية أن يمثل الدستور الوثيقة القانونية العليا في الدولة بحكم انه يتضمن الأسس القانونية التي تحدد شكل الدولة ونظام الحكم فيها، وذلك من حيث تنظيمه لاختصاصات

^١ - جامعة كربلاء/ كلية القانون.

السلطات العامة فيها، وتحديد حقوق وحريات الأفراد. فالدستور بالإضافة إلى تنظيمه للمواضيع الأساسية في الدولة فإنه يتولى أيضا تنظيم موضوع الحقوق والحريات الفردية سواء كانت هذه الحقوق شخصية، سياسية، اجتماعية، اقتصادية، فمن اجل احترام هذه الحقوق والحريات لا بد من ان يتم النص عليها في صلب الدساتير، فالدستور هو خير ضامن لهذه الحقوق لأن النص عليها يضمن لنا عدم تجاوز السلطات الموجودة في الدولة لهذه النصوص على اعتبار أنها نصوص دستورية والنصوص الدستورية تتميز بالسمو والعلو على غيرها من القوانين الأخرى، وحتى نضمن عدم تجاوز هذه السلطات لصلاحياتها لا بد من تفعيل موضوع الرقابة على دستورية القوانين التي هي عبارة عن آلية قانونية مهمتها التحقق من مدى مطابقة القوانين للدستور. فدستور الدولة إذن هو الضامن الأساسي لحقوق الأفراد وحرياتهم وهو ما جاء في الدستور العراقي الصادر عام (٢٠٠٥) حيث انه افرد الباب الثاني لهذا الموضوع (الحقوق والحريات) في المواد (١٤-٤٦) بالإضافة إلى المادة (١٣) منه.

أولاً: أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في كونه يتعلق بحقوق وحريات المواطنين الأمر الذي يجعله في مقدمة المواضيع التي تفرض على كل باحث او مهتم في هذا الشأن ان يدلي بدلوه لعله في ذلك يشخص خطأ أو نقصاً ما أو يثير انتباه المشرع لنقطة معينة تتعلق بهذا الموضوع، فيكون بذلك قد ساهم في إيضاح فكرة أو لفت نظر المشرع الدستوري لأمر توجب معالجته مستقبلاً.

ثانياً: مشكلة البحث

تتركز مشكلة البحث في عدة تساؤلات يمكن عرضها أو اثارها وفق التفصيل الآتي:

- ماذا نقصد بمبدأ الفصل بين السلطات؟ وهل اخذ به دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ ام لا؟
- ماهي اهم المبررات التي يستند عليها هذا المبدأ؟
- ما هو اثر مبدأ المشروعية على ضمانات حقوق الانسان؟ وما موقف الدساتير منها؟

ثالثاً: منهجية البحث

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي والمقارن لدراسة موضوع الضمانات الدستورية والقانونية لحقوق الإنسان من خلال تحليل نصوص دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ والدساتير المقارنه.

رابعاً: خطة البحث

تنقسم خطة البحث على مبحثين تناولنا في المبحث الاول الضمانات الدستورية لحقوق الانسان وهو مقسم على مطلبين خصصنا المطلب الاول لبيان مدلول مبدأ الفصل بين السلطات والمطلب الثاني لبيان مبررات مبدأ الفصل بين السلطات وموقف الدساتير منها.

إما في المبحث الثاني فقد تم تخصيصه لبيان مبدأ المشروعية وهو مقسم على ثلاثة مطالب خصصنا المطلب الأول لبيان تعريف مبدأ المشروعية وأهميته، أما المطلب الثاني فقد تناول أثر مبدأ المشروعية على ضمانات حماية حقوق الإنسان، وتم تخصيص المطلب الثالث لبيان موقف الدساتير من مبدأ المشروعية.

وفي الخاتمة سوف يتم التطرق الى اهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل اليها.

المبحث الأول: الضمانات الدستورية لحقوق الإنسان

القانون الدستوري هو مجموعة القواعد القانونية التي تنظم قواعد الحكم، وتوزع السلطات، وتبين اختصاص كل منها، وتضع الضمانات الأساسية لحقوق الأفراد.^(٢) ومن ثم فالدستور هو الذي يضع المبادئ الأساسية الضامنة لحقوق الإنسان، والتي من بينها مبدأ الفصل بين السلطات وما يترتب عليه من تحديد اختصاصات معينة لكل سلطة من السلطات العامة في الدولة، بحيث لا يمكنها تجاوزها أو الخروج عليها^(٣)، فيتحقق بذلك التوازن فيما بينها، ومن ثم تقف كل منها في وجه الأخرى إذا ما حادت أو أرادت أن تحيد عن جادة الصواب وتحالف قواعد القانون الدستوري^(٤). ومبدأ المشروعية والذي يتمثل في خضوع جميع سلطات الدولة فضلاً عن المحكومين لحكم القانون، فلا شك أن هذا المبدأ يضمن احترام حقوق الأفراد وحرياتهم عن طريق التزامهم بالقوانين التي تسري عليهم والتزام سلطات الدولة باحترامها وتطبيقها^(٥).

وفي ضوء ما تقدم، سنقسم هذا المبحث على مطلبين، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: مدلول مبدأ الفصل بين السلطات

المطلب الثاني: مبررات مبدأ الفصل بين السلطات وموقف الدساتير منه

المطلب الأول: مدلول مبدأ الفصل بين السلطات

لقد نشأ خلاف بين فقهاء القانون العام حول مفهوم أو مدلول مبدأ الفصل بين السلطات، فالبعض فهمه على أنه يعني الفصل المطلق والتام بين السلطات، بحيث تحتص كل سلطة من السلطات الثلاث بالقيام بإحدى الوظائف التشريعية أو التنفيذية أو القضائية باستقلال تام عن السلطات الأخرى على نحو تنتفي معه وجود أي علاقات تعاون بينها^(٦)، وقد أخذت بهذا التفسير الدساتير الفرنسية في بداية الأمر (دستور فرنسا سنة ١٧٩١، ودستور السنة الثالثة)، ودساتير الولايات المتحدة الأمريكية.^(٧)

إلا أن الغالبية العظمى من الفقهاء قد فهمت المبدأ على نحو آخر، وهو أنه يعني الفصل المرن والنسي بين السلطات والقائم على وجود تعاون بينها.

وفي ضوء ما تقدم، سنتناول مدلول كل من هذين التفسيرين وذلك كما يلي:

أولاً-التفسير التقليدي لمبدأ الفصل بين السلطات (فكرة الفصل المطلق):

لقد سادت فكرة الفصل المطلق بين السلطات في الحقبة التي أعقبت الثورة الفرنسية مباشرة، حيث فهم رجال تلك الثورة ومن عاصروهم من الفقهاء مبدأ الفصل بين السلطات على أنه فصل جامد ومطلق، أي

٢- د. عبد الغني بسيوني، الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، مرجع سابق، ص ٤٢٧.

٣- د. حسين جميل، حقوق الإنسان في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سنة ٢٠٠١، ص ١٤٠.

٤- د. حسين عثمان محمد عثمان، النظم السياسية والقانون الدستوري، الإسكندرية، دار الجامعة، دون تاريخ نشر، ص ١٧٩.

٥- د. أحمد فتحي سرور، الشرعية الدستورية وحقوق الإنسان في الإجراءات الجنائية، القاهرة، دار النهضة العربية، سنة ١٩٩٥، ص ١٢١.

٦- د. محمد الشافعي أبو راس، نظم الحكم المعاصرة، دراسة مقارنة في أصول النظم السياسية، الجزء الأول، القاهرة، عالم الكتب، سنة ١٩٧٧، ص ٤٣٤ وما بعدها.

٧- د. أيمن محمد شريف، الأزواج الوظيفي والعضوي بين السلطتين، مرجع سابق، ص ٢٣.

أن كل سلطة من سلطات الدولة الثلاث يجب أن تباشر اختصاصاتها استقلالاً ولا تتدخل في اختصاصات السلطات الأخرى.^(٨)

وذلك لأن الأمة صاحبة السيادة تملك ثلاث سلطات، وكل سلطة تمثل جزءاً منفصلاً ومستقلاً من أجزاء السيادة التي تملكها، وعندما تختار الأمة ممثلها، فإنها تفوض كلاً من هذه السلطات إلى هيئة عامة مستقلة ومتخصصة، فتفوض إحدى هذه الهيئات الأمة في ممارسة السلطة التشريعية، والأخرى في ممارسة السلطة التنفيذية، والثالثة في ممارسة السلطة القضائية، وهذه الوظائف الثلاث ليست مجرد اختصاصات مختلفة تصدر عن سلطة واحدة، ولكنها سلطات مستقلة تعبر كل منها عن جانب من جوانب السيادة، وتمارس نشاطاً متميزاً ومستقلاً.^(٩)

ويترتب على ذلك، قيام فصل مطلق بين هذه السلطات الثلاث، وحصر كل سلطة منها في نوع معين من النشاط، وأمام ذلك ذهب أنصار هذا الاتجاه إلى القول لأن مبدأ الفصل بين السلطات يقوم على قاعدتين تكمل إحداها الأخرى، فهو يقوم أولاً على قاعدة التخصيص الوظيفي.^(١٠) بمعنى تقسيم وظائف الدولة إلى ثلاث: الوظيفة التشريعية والوظيفة التنفيذية والوظيفة القضائية، على أن تختص كل سلطة بأداء وظيفة بعينها وفي حدود اختصاصها.^(١١)

ويقوم ثانياً على قاعدة الاستقلال العضوي، وهذا يعني استقلال كل سلطة من سلطات الحكم عن الأخرى إبان مباشرتها لوظيفتها، وكما يرى البعض في تفسيره لهذا الاستقلال أحد الأمور الثلاثة: أ- الشخص عليه أن يتولى عضوية إحدى السلطات الثلاث في الدولة فقط (فهو جزء من واحدة فقط)، فالوزير مثلاً لا يمكن أن يكون عضواً بالبرلمان.

ب- عدم إمكانية مراقبة أي عضو من أعضاء السلطات الثلاث إبان مباشرته لوظيفته لعضو آخر، فالوزير مثلاً يجب ألا يكون مسؤولاً أمام البرلمان والقضاء ويجب أن يكون مستقلاً عن السلطة التنفيذية.

ج- عدم إمكانية ممارسة أي وظيفة أخرى بجانب وظيفته العضوية لإحدى السلطات، فالوزير لا يستطيع القيام بأي عمل تشريعي.^(١٢)

ثانياً- التفسير الحديث لمبدأ الفصل بين السلطات (فكرة الفصل المرن):

تقوم فكرة الفصل النسبي أو المرن بين السلطات العامة على أساس أن سلطة الدولة تمثل وحدة لا تتجزأ، غير أن للدولة وظائف ثلاث هي: الوظيفة التشريعية والوظيفة التنفيذية والوظيفة القضائية، وهذه

٨- للمزيد راجع: د. سعاد الشوقوي، النظم السياسية في العالم المعاصر تحديات وتحولات، القاهرة، دار النهضة العربية، سنة ٢٠٠٢م، ص ١٣٢.

د. ثروت بدوي، النظم السياسية، القاهرة، دار النهضة العربية، سنة ١٩٩٤م، ص ٣٢٣.

٩- د. حسن مصطفى البحري، الرقابة المتبادلة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية كضمان لنفاذ القاعدة الدستورية، القاهرة، شركة ناس للطباعة، سنة ٢٠٠٦م، ص ٥٣.

١٠- د. حسن مصطفى البحري، الرقابة المتبادلة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية مرجع سابق، ص ٥٣.

١١- د. عفيفي كامل عفيفي، الانتخابات النيابية وضماناتها الدستورية والقانونية، دراسة مقارنة، دار الجامعيين، سنة ٢٠٠٢م، ص ٦٠٤.

١٢- راجع في ذلك: د. أنور أحمد رسلان، الديمقراطية بين الفكر الفردي والفكر الاشتراكي، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق، سنة ١٩٧١م، ص ٢١٨، د. أيمن محمد شريف، الإزدواج الوظيفي، مرجع سابق، ص ٢٣.

الوظائف الثلاث يجب أن توزع على هيئات ثلاث، بحيث تكون هناك هيئة تختص بممارسة التشريع، وهيئة تختص بممارسة أمور التنفيذ، وهيئة تباشر الوظيفة القضائية^(١٣).

غير أن تلك الهيئات عندما تباشر تلك الوظائف لا تباشرها بعدها سلطات منفصلة يمثل كل منها جانباً من جوانب السيادة، بل بعدها مجموعة من الاختصاصات تصدر من سلطة موحدة هي سلطة الدولة، وهذه الاختصاصات لا يمكن الفصل بينها فصلاً مطلقاً لسببين:

السبب الأول: إن هذه الاختصاصات جميعاً إنما تمارس لأجل تحقيق الصالح العام، وبناء عليه فإنه يجب أن يقوم تعاون وتنسيق بين الهيئات التي تباشرها، وذلك لأجل تحقيق تلك الغاية. والسبب الثاني: مفاده أن هذه الاختصاصات يتداخل بعضها مع البعض الآخر لدرجة لا تسمح بالفصل بينها فصلاً مطلقاً.

وبناء عليه، يجب أن تكون هناك درجة معينة من المشاركة في ممارستها بين الهيئات العامة المختلفة، شريطة ألا تؤدي تلك المشاركة إلى إلغاء الفواصل القائمة بينها، أو تركيز السلطة في يد واحدة منها.^(١٤) ولقد ذهب معظم فقهاء القانون العام إلى أن المفهوم الصحيح لمبدأ فصل السلطات - كما تصوره مونتسكيو - هو الفصل المتوازن بين السلطات العامة الثلاث في الدولة، مع قيام قدر من التعاون فيما بينها، لتنفيذ وظائفها في توافق وانسجام، ووجود رقابة متبادلة بينها لضمان وقوف كل سلطة عند حدودها، دون أن تجاوزها أو تعتدي على سلطة أخرى.^(١٥)

وهذا الرأي يحظى - كما تقدم القول - بتأييد عدد كبير من الفقهاء المعاصرين، نظراً للحجج القوية التي ساقها أنصاره لتبريره، ويمكن إجمال تلك الحجج في الآتي:

١- إن الغاية الأساسية التي ابتغاها مونتسكيو من فصل السلطات هي تفادي إساءة استخدام السلطة وحماية حقوق المواطنين وحرياتهم، بيد أنه يكفي لتحقيق هذه الغاية توزيع السلطات بين هيئات متعددة تستطيع كل منها أن تمنع الأخرى من الاستبداد بالسلطة، بل إن هذه الغاية المنشودة لا تتحقق على الوجه الأكمل في نظام يقوم على الفصل المطلق بين السلطات، فالفصل المطلق يجعل من كل هيئة سلطة منعزلة تماماً عن باقي السلطات، وتمارس اختصاصاتها بطريقة استقلالية قد تمكنها من إساءة استعمالها، لأن السلطة المستقلة لا تجد أمامها عائقاً يمنعها من الاستبداد، فالسلطات الأخرى لا تستطيع أن تتدخل في ممارستها لاختصاصاتها، وبالتالي لا تستطيع أن تحول بينها وبين ممارسة الطغيان، ومن ثم بدلاً من أن يكون هذا الفصل المطلق ضماناً ضد التحكم والاستبداد.^(١٦)

^{١٣} - راجع في ذلك: د. عدنان حمودي الجليل، مبدأ الفصل بين السلطات وحقيقة أفكار مونتسكيو، مرجع سابق، ص ١٢١، د. حسن مصطفى البحري، الرقابة المتبادلة مرجع سابق، ص ٥٥.

^{١٤} - راجع في ذلك: د. عدنان حمودي الجليل، مبدأ الفصل بين مرجع سابق، ص ١٢١. د. حسن مصطفى البحري، الرقابة المتبادلة مرجع سابق، ص ٥٥.

^{١٥} - د. عبد الغني بسيوني، النظم السياسية والقانون الدستوري، مرجع سابق، ص ١٩٢.

^{١٦} - راجع في ذات المعنى: د. ثروت بدوي، النظم السياسية، مرجع سابق، ص ٣٢٢. و د. حسن مصطفى البحري، الرقابة المتبادلة، مرجع سابق، ص ٥٦.

٢- إن مونتسكيو بحث مبدأ فصل السلطات تحت عنوان دستور إنجلترا، وذلك في الفصل السادس من الكتاب الحادي عشر من مؤلفه "روح القوانين"، ومن الثابت أن إنجلترا لم تعرف في أية لحظة من لحظات تاريخها السياسي فكرة الفصل المطلق بين السلطات.^(١٧)

٣- إن مونتسكيو يعترف في كتابه "روح القوانين" للسلطة التنفيذية بحق المشاركة أو التدخل في بعض أعمال السلطة التشريعية، فيعترف للسلطة الأولى بحق دعوة البرلمان إلى الانعقاد، والحق في فض دورات انعقاده، والاعتراض على القوانين. وفي مقابل ذلك، يقر بحق الهيئة التشريعية في مراقبة أعمال الهيئة التنفيذية والإشراف على كيفية تطبيقها للقوانين، مما يعني بالتالي أن مونتسكيو لم يذهب إلى حد القول بالفصل المطلق بين السلطات، بل قدر دائماً وجود علاقة مستمرة بينها.^(١٨)

المطلب الثاني: مبررات مبدأ فصل السلطات وموقف الدساتير منه

لقد شهد مبدأ الفصل بين السلطات بريقاً ومجداً لم يشهده غيره من المبادئ الدستورية^(١٩)، حيث وجد حظوة كبيرة لدى فقهاء القانون العام، فأخذوا يتحمسون له ويدافعون عنه، وذلك من خلال إبراز مزاياه وشرح مبررات الأخذ به وتطبيقه، ولكن شأنه شأن غيره من المبادئ السياسية والقانونية لم يسلم من النقد والهجوم عليه، فقد عاداه بعض الفلاسفة والفقهاء، ووجهوا إليه سهام نقدهم، وشككوا في أصالته وفي جدواه.

وفي ضوء ما تقدم، سنتناول مبررات مبدأ فصل السلطات أولاً، ثم بعد ذلك الانتقادات التي وجهت إليه وذلك كما يلي:

أولاً- مبررات مبدأ الفصل بين السلطات:

إن الأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات في الأنظمة السياسية كضمانة لحماية الحريات كان وليداً لعدة مبررات تتلخص فيما يلي:

١- منع الاستبداد وصيانة الحريات:

يعد مبدأ الفصل بين السلطات ضماناً أساسياً لصيانة الحقوق والحريات ومقيداً للسلطة المطلقة للحكام، لأن إطلاق السلطة وتحقيق الحرية لا يلتقيان، فإذا وجد إطلاق للسلطة انتقت معه الحرية (والعكس صحيح).^(٢٠)

^{١٧} - للمزيد راجع في ذات المعنى: د. أحمد كمال أبو المجد، الرقابة على دستورية القوانين في الولايات المتحدة الأمريكية والإقليم المصري، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٦٠، ص ١١٦. د. رمضان محمد بطيخ، النظرية العامة للقانون الدستوري وتطبيقاتها في مصر، مرجع سابق، ص ٢٥٨.

^{١٨} - 149. cit., p. 2. - MONTESQUIEU; The Spirit of Laws, op., cit., p. 2. د. حسن مصطفى البحري، الرقابة المتبادلة، مرجع سابق، ص ٥٧ وما بعدها.

^{١٩} - د. أيمن محمد شريف، الازدواج الوظيفي والعضوي بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، مرجع سابق، ص ٢٢.

^{٢٠} - المرجع السابق، ص ٢٤.

وإذا كان تركيز السلطة في يدي هيئة واحدة يؤدي- بلا شك إلى الاستبداد- فإن توزيعها على هيئات متعددة يحول دون الاستبداد، فالسلطة توقف السلطة عن طريق ما تملكه كل منها إزاء الأخرى من وسائل الرقابة. (٢١)

إن اجتماع السلطات في يد واحدة، حتى لو قيدت في ممارستها بنصوص دستورية، سيقود إلى الاستبداد، فإذا ما اجتمعت وظيفتا التشريع والتنفيذ في يد واحدة، فإن ذلك قد يفقد التشريع صفة العمومية والتجريد، بإصدار قوانين لمعالجة حالات خاصة أو تعديل قانون معين عند التنفيذ على الحالات الفردية بهدف تحقيق أغراض شخصية (٢٢).

واجتماع التشريع والقضاء في يد واحدة قد يدفع المشرع إلى سن قوانين مغرضة تتفق مع الحل الذي يري تطبيقه على الحالات الفردية التي تعرض أمامه للقضاء فيها يحايي من يشاء ويعصف بحقوق من يريد. (٢٣)

٢- تأكيد مبدأ المشروعية في الدولة:

يعد مبدأ الفصل بين السلطات من الضمانات المهمة التي تكفل قيام الدولة القانونية، فهو وسيلة فعالة لكفالة احترام القوانين وتطبيقها تطبيقاً عادلاً وسليماً (٢٤)، لأن تركيز السلطة في يد هيئة واحدة من شأنه أن يخلع عن القانون حيده وعموميته، لأن في هذه الحالة قد ينصرف سن القوانين على الحالات الفردية، الأمر الذي يتعارض مع ما يجب أن تتسم به القوانين من عمومية وتجريد، لذا كانت جدوى مبدأ الفصل بين السلطات في كفالاته لاحترام القوانين في الدولة وضمانة حسن تطبيقها. (٢٥)

٣- تقسيم العمل وإتقانه:

يحقق الفصل بين السلطات مبدأ تقسيم العمل والتخصص الذي من شأنه أن يحقق إتقان كل هيئة لوظيفتها وحسن أدائها (٢٦)، فهو يؤدي إلى توزيع وظائف الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية على سلطات ثلاث، فتمارس الأولى مهمة التشريع، وتمارس الثانية مهمة التنفيذ، وتمارس الثالثة مهمة القضاء. وتقسم الوظائف على هذا النحو يؤدي إلى تخصص كل سلطة من هذه السلطات بالمهام الموكولة إليها، الأمر الذي يؤدي إلى إجادة كل سلطة لعملها وإتقانه (٢٧)، وقيامها به على خير وجه، مما يحقق في النهاية حسن سير العمل في كافة المجالات الرئيسية في الدولة: التشريعية والتنفيذية والقضائية. (٢٨)

- ٢١- د. سامي جمال الدين، النظم السياسية والقانون الدستوري، الإسكندرية، منشأة المعارف، سنة ٢٠٠٥م، ص ٢٩٥.
- ٢٢- د. محمد رفعت عبد الوهاب، د. حسين عثمان محمد عثمان، النظم السياسية، الإسكندرية، دار المطبوعات الجامعية، سنة ٢٠٠١م، ص ١٧٩.
- ٢٣- المرجع السابق نفسه.
- ٢٤- د. إبراهيم عبد العزيز شيحا، النظم السياسية والقانون الدستوري، تحليل النظام الدستوري المصري، الإسكندرية، منشأة المعارف، سنة ٢٠٠١م، ص ٣٩٩.
- ٢٥- د. أمين شريف، الأزواج الوظيفي والعضوي بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، مرجع سابق، ص ٢٥.
- ٢٦- د. محمد رفعت عبد الوهاب، مبادئ النظم السياسية، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، سنة ٢٠٠٢م، ص ٢٠٢.
- ٢٧- د. سامي جمال الدين، النظم السياسية والقانون الدستوري، مرجع سابق، ص ٢٩٦.
- ٢٨- د. إبراهيم عبد العزيز شيحا، النظم السياسية، مرجع سابق، ص ٣٣٩.

ثانياً- الانتقادات التي وجهت إلى مبدأ الفصل بين السلطات:

إن مبدأ الفصل بين السلطات يهدف- كما تم القول- إلى منع الاستبداد وصيانة حريات الأفراد، والعمل على تحقيق شرعية الدولة، فضلاً عن إتقان الدولة لوظائفها. غير أنه إذا كان لهذا المبدأ من دعاة نادوا بوجوب الأخذ به، وحرصوا على الدفاع عنه، إلا أن بعضاً من الفقه لم يسلموا بهذا المبدأ، فوجهوا إليه الكثير من سهام النقد- وإن كانت لم تحظ بتأييد الفقه لها- نجملها فيما يلي:

١- إن مبدأ الفصل بين السلطات أصبح الآن غير ذي موضوع، إذ كان الغرض من تقريره في أول الأمر هو انتزاع السلطة التشريعية من يد الملوك والحد من سلطاتهم المطلقة، أما وقد تحقق هذا الغرض، فإن مبدأ الفصل بين السلطات في وقتنا الراهن يكون غير ذي جدوى أو فائدة.^(٢٩)

٢- إن مبدأ فصل السلطات مبدأ وهمي غير مستطاع التحقيق، إذ لا تلبث إحدى السلطات أن تسيطر على السلطات الأخرى، وتسيرها بحسب ما تريد، رغم ما أوجده الدستور من حواجز بينها.^(٣٠)

٣- إن هذا المبدأ يقضي على فكرة المسؤولية، وذلك على أساس أن توزيع وظائف الدولة على عدة هيئات يؤدي حتماً إلى توزيع المسؤولية ويساعد كل سلطة من سلطات الدولة على إلقاء عبء المسؤولية على السلطات الأخرى، مما يجعل من الصعوبة بمكان تحديد المسؤولية الحقيقية داخل الدولة، وعلى النقيض فإن تركيز السلطة يؤدي إلى حصر وتحديد المسؤولية.^(٣١)

٤- تعارض مبدأ الفصل بين السلطات مع فكرة السيادة:

لقد انتقد روسو مبدأ الفصل بين السلطات بشدة لتعارضه مع فكرة السيادة وعدم قابليتها للتجزئة، ومن ثم فكيف يمكن توزيعها على سلطات مختلفة؟ نظراً لأن مظهر السيادة الوحيد في الدولة- من وجهة نظر روسو- يكمن في السلطة التشريعية المنبثقة من الشعب، بينما ينحصر دور السلطة التنفيذية في كونها مجرد وسيط بين المواطنين وصاحب السيادة.

٥- منافاة مبدأ الفصل بين السلطات لمبدأ وحدة الدولة:

ونظراً لقيام مبدأ الفصل بين السلطات على أساس توزيع وظائف الدولة على السلطات الثلاث، فإن هذا يعد تعارضاً صارخاً لوحدة الدولة وسلطانها، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى انهيارها.^(٣٢) هذه كانت مجمل الانتقادات التي وجهها الفكر الغربي لمبدأ الفصل بين السلطات.

ويمكن القول بأن الانتقادات الموجهة إلى مبدأ الفصل بين السلطات إنما ترجع إلى سوء فهم لذلك المبدأ، فهي لا تنصب عليه في ذاته، وإنما تنصب على الإسراف في تطبيقه، فهي تخص في الحقيقة بعض النتائج السيئة التي تنجم عن ذلك الإسراف، أما تطبيق المبدأ في حدوده المعقولة، فإنه يجعله بريئاً من معظم

٢٩- د. سامي جمال الدين، النظم السياسية والقانون الدستوري، مرجع سابق، ص ٢٩٧.

٣٠- د. عبد العزيز محمد سلمان، رقابة دستورية القوانين، مرجع سابق، ص ١٨.

٣١- راجع في ذلك: د. سعد عصفور، المبادئ الأساسية في القانون الدستوري والنظم السياسية، الإسكندرية، منشأة المعارف، سنة ١٩٨٠م، ص ١٦٢. د. أمين محمد الشريف، الازدواج الوظيفي والعنوي بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، مرجع سابق، ص ٢٧.

٣٢- راجع في ذلك: د. محمد كامل ليلة، النظم السياسية، الدولة والحكومة، القاهرة، دار الفكر العربي، سنة ١٩٧١م، ص ٥٦٤، د. سامي جمال الدين، النظم السياسية، مرجع سابق، ص ٢٩٧.

ما وجه إليه من انتقادات، ويظل من أنجح الوسائل التي تكفل الحرية، لأنه يهيئ جواً من الاعتدال في شؤون الحكم، وهذا الجو هو الذي يمكن أن تتفتح فيه وتنمو زهرة الحرية.^(٣٣)

أما فيما يتعلق بموقف الدساتير من مبدأ الفصل فنجد أن رجال الثورة الفرنسية قد اقروا مبدأ الفصل بين السلطات، وقد ترددوا كثيراً في الأخذ ما بين الفصل المطلق بين السلطات والفصل المرن بين السلطات، ومن أجل منع الاستبداد والتحكم في السلطة، وحرصاً على حقوق الأفراد وحرياتهم العامة، أمر رجال الثورة الفرنسية التخلي عن مفهوم الفصل المطلق بين السلطات، والأخذ بالتفسير المرن، والذي يستند إلى حقيقة الأفكار التي نادى بها "لوك" ومونتسكيو، والذي يقر بأن الفصل بين السلطات يكون فضلاً مرناً.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فلم يعترف الدستور الأمريكي الصادر عام ١٧٨٧م الحالي صراحةً بمبدأ الفصل بين السلطات بمفهومه المطلق، بل اعترف به ضمناً - وقد يتضح من معالم ومظاهر النظام الرئاسي الأمريكي أنه يأخذ بمبدأ الفصل المطلق بين السلطات.

أما بالنسبة للدساتير المصرية فنجد أن الدستور المصري الصادر عام ١٩٧١م، لم ينص صراحةً على مبدأ الفصل بين السلطات، ولكنه اعترف به ضمناً من خلال النصوص الدستورية المبينة في الدستور.^(٣٤) أما الدستور المصري الصادر عام ٢٠١٢م فقد نص صراحةً على مبدأ الفصل بين السلطات - وذلك على عكس الدستور المصري الصادر عام ١٩٧١م - وذلك في المادة السادسة منه والتي تنص على أنه: "يقوم النظام السياسي على مبادئ الديمقراطية والشمولية، والمواطنة التي تسوى بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات العامة، والتعددية السياسية والحزبية، والتداول السلمي للسلطة، والفصل بين السلطات والتوازن بينها، وسيادة القانون، واحترام حقوق الإنسان وحرياته؛ وذلك كله على النحو المبين في الدستور".

حيث أرسى المشرع الدستوري المصري مبدأ الفصل بين السلطات إلا إن هذا الفصل ليس فصلاً تاماً بين سلطات الحكم ومن ثم فمقتضي مبدأ الفصل بين السلطات في الدساتير المصرية - سالف الذكر - أن يكون بين السلطات الثلاث تعاون وأن يكون لكل منهما رقابة على الأخرى في نطاق اختصاصها بحيث يكون نظام الحكم قائماً على أساس أن السلطة تحدد السلطة^(٣٥).

ومن منطلق مبدأ الفصل المرن بين السلطات منح المشرع الدستوري المصري للسلطة التشريعية وسائل عديدة لتحقيق بها رقابتها الفعالة على السلطة التنفيذية^(٣٦) وفي قبال الحقوق التي قررها المشرع الدستوري للسلطة التشريعية في مواجهة السلطة التنفيذية فقد أعطي للسلطة التنفيذية أيضاً العديد من الوسائل التي تمكنها من التأثير في السلطة التشريعية وذلك حتى يقيم نوعاً من التوازن بين السلطتين^(٣٧).

^{٣٣} - راجع في ذلك: د. عبد الحميد متولي، القانون الدستوري والأنظمة السياسية المقارنة بالمبادئ الدستورية في الشريعة الإسلامية، الإسكندرية، منشأة المعارف، سنة ١٩٩٩م، ص ٣٥٩. د. حسن مصطفى البحري، الرقابة المتبادلة، مرجع سابق، ص ٦٥.

^{٣٤} - د. محمد عطية محمد علي، الحماية الدستورية لحقوق الإنسان، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، سنة ٢٠١٠م، ص ١١٢.

^{٣٥} - د. رمزي طه الشاعر، الوجيز في القانون الدستوري، القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٨٥، ص ١١٥ وما يليها.

^{٣٦} - د. هشام محمد البدر، لجان التحقيق البرلمانية كوسيلة للرقابة على أعمال السلطة التنفيذية في مصر والكويت، المنصورة، دار الفكر والقانون، دون سنة نشر، ص ٧.

^{٣٧} - د. محمد عبد الحميد أبو زيد، توازن السلطات ورقابتها، دراسة مقارنة، القاهرة، دون دار نشر، سنة ٢٠٠٣م، ص ١٧٠. لقد خصص الدستور المصري الصادر عام ١٩٧١م الباب الخامس منه لنظام الحكم وقسمه إلى فصول، حيث خصص الفصل الأول منه "الرئيس الدولة" وذلك في المواد من (٧٣-٨٥)، وأفرد الفصل الثاني "للسلطة التشريعية"، وذلك في (المواد من ٨٦ إلى ١٣٦)،

ومن الوسائل والإجراءات التي تستخدمها السلطة التشريعية لمواجهة السلطة التنفيذية حق البرلمان في توجيه أسئلة واستجوابات إلى أعضاء السلطة التنفيذية وكذلك حقه في أن يؤلف لجناً لتقصي الحقائق وأيضاً حقه في طرح موضوع عام للمناقشة وفي حجب الثقة عن الوزارة أو أحد الوزراء.^(٣٨)

وفي قبال الحقوق السابقة والتي وضعها المشرع الدستوري تحت تصرف السلطة التشريعية جعل للسلطة التنفيذية أيضاً وسائل تستطيع من خلالها التأثير في عمل لبرلمان، وبذلك وفي وجوده أيضاً في بعض الأحيان، والتي تحقق بها إيجاد التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، إذ لا ينبغي أن يكون البرلمان صاحب حق في السيطرة على السلطة التنفيذية دون أن يكون لهذه السلطة الأخيرة وسائل معادلة للدفاع عن نفسها.

وتتمثل هذه الوسائل في مباشرة إجراءات تكوين البرلمان والتدخل في سير أعماله وفي حق حل البرلمان. وأما في العراق فبالرجوع إلى الدساتير العراقية الصادرة منذ عام ١٩٢٥ م وحتى عام ١٩٧٠ م نجد أن أياً منها لم ينص على مبدأ الفصل بين السلطات صراحة وربما يرجع ذلك إلى أن هذه الدساتير - باستثناء دستور عام ١٩٢٥ م - كانت مؤقتة حيث كانت تركز السلطة بيد هيئة واحدة أو شخص واحد كرئيس الدولة مثلاً والذي كان يجمع بيده في ظل دستور عام ١٩٧٠ م السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية^(٣٩).

ويعد قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية لسنة ٢٠٠٤ م أول الدساتير العراقية التي نصت صراحة على مبدأ الفصل بين السلطات وذلك في المادة الرابعة والتي تنص على أنه "نظام الحكم في العراق جمهوري اتحادي" فدرالي "ديمقراطي تعددي".....ويقوم النظام الاتحادي على أساس.....والفصل بين السلطات".

وأما الدستور العراقي الصادر عام ٢٠٠٥ م فقد نص صراحة - وهو بذلك يتفق مع الدستور المصري الصادر عام ٢٠١٢ م ويختلف عن الدستور المصري الصادر عام ١٩٧١ م والذي لم ينص على ذلك صراحة - على مبدأ الفصل بين السلطات وذلك في المادة (٤٥) منه والتي تنص على أنه: "تتكون السلطات الاتحادية، من السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، تمارس اختصاصاتها ومهامها على أساس مبدأ الفصل بين السلطات". حيث خصص الباب الثالث من السلطات الاتحادية وقسمه على فصول حيث خصص الفصل الأول منه للسلطة التشريعية وذلك في المواد من (٤٦-٦٢) وأفرد الفصل الثاني للسلطة التنفيذية وذلك في المواد من (٦٣-٨٣) في حين أفرد الفصل الثالث للسلطة القضائية وذلك في المواد من (٨٤ إلى ١٠٥).

وأفرد الفصل الثالث للسلطة التنفيذية وذلك في المواد من (١٣٧ إلى ١٦٤)، وأفرد الفصل الرابع للسلطة القضائية، وذلك في المواد من (١٦٥ إلى ١٧٣).

أما دستور عام ٢٠١٢ م فقد خصص الباب الثالث للسلطات العامة وقسمه إلى فصول حيث خصص الفصل الأول منه للسلطة التشريعية وذلك في المواد (٨٢-١٣١) وأفرد الفصل الثاني "للسلطة التنفيذية ه"، وذلك في المواد من (١٣٢ إلى ١٦٧)، وأفرد الفصل الثالث "للسلطة القضائية وذلك في المواد من (١٦٨ إلى ١٨٢).

^{٣٨} - د. رأفت دسوقي، هيمنة السلطة التنفيذية على أعمال البرلمان، الإسكندرية، منشأة المعارف، سنة ٢٠٠٦ م، ص ١٢٥ - ٢٠٠٦.

^{٣٩} - د. علي يوسف الشكري، حقوق الإنسان بين النص والتطبيق، دراسة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية والدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥، القاهرة، مكتبة ايتراك، سنة ٢٠٠٩، ص ٢٠٠.

المبحث الثاني: مبدأ المشروعية (سيادة القانون)

يمثل مبدأ المشروعية ضماناً مهماً للحقوق والحريات العامة، فالدولة القانونية هي التي تحترم الشرعية، ويخضع جميع أفرادها حكماً ومحكومين للقانون هي دولة - بلا شك - تحترم الحقوق والحريات العامة. ومن ثم، فإن أي نظام حكم لا يحترم هذه الحقوق أو ينحرف عن مهمته الأساسية في ضمان واحترام تلك الحقوق والحريات هو نظام لا يحترم مبدأ المشروعية، وتوصف تلك الدولة بأنها دولة غير قانونية.^(٤٠) ومبدأ المشروعية يضمن احترام حقوق الأفراد وحرياتهم في مواجهة السلطة العامة، لأنها تصبح محكومة بالقانون وحده بعيداً عن أهواء السلطة أو تحكمها، وبهذا يحقق مبدأ سيادة القانون الأمن للأفراد عن طريق التزامهم بالقوانين التي تسري عليهم، والتزام سلطات الدولة باحترامها وتطبيقها.^(٤١) ولقد عبرت المحكمة الدستورية العليا في مصر عن مبدأ سيادة القانون قائلة "إن الدولة القانونية هي التي تتقيد في كافة مظاهر نشاطها - وأياً كانت طبيعة سلطاتها - بقواعد قانونية تعلو عليها، وتكون بذاتها ضابطاً لأعمالها وتصرفاتها في أشكال مختلفة، وذلك أن ممارسة السلطة لا تعد امتيازاً شخصياً لأحد، ولكنها تباشر نيابة عن الجماعة ولصالحها."^(٤٢)

وفي ضوء ما تقدم، وللتعرف على مبدأ المشروعية، سنقسم هذا المبحث وفق التفصيل التالي:

المطلب الأول: تعريف مبدأ المشروعية وأهميته

المطلب الثاني: أثر مبدأ المشروعية على ضمانات حماية حقوق الإنسان

المطلب الثالث: موقف الدساتير من مبدأ المشروعية

٤٠- د.عاصم رمضان مرسى يونس، الحريات العامة في الظروف الاستثنائية، دراسة مقارنة، القاهرة، دار النهضة العربية، سنة ٢٠١٠م، ص ٢١.

٤١- د.محمد محمد مصباح القاضي، حق الإنسان في محاكمة عادلة، دراسة مقارنة، القاهرة، دار النهضة العربية، دون تاريخ نشر، ص ١٦.

٤٢- راجع في ذلك: حكم المحكمة الدستورية العليا (مصر) في ٢٣ يناير سنة ١٩٩٢م، القضية رقم ٣٢ لسنة ٨ قضائية "دستورية"، الجريدة الرسمية العدد ٤٢ في ٢٣ يناير سنة ١٩٩٢. مشار إليه لدى: د.محمد محمد مصباح القاضي، حق الإنسان في محاكمة عادلة، مرجع سابق، ص ١٧.

المطلب الأول: تعريف مبدأ المشروعية وأهميته

لقد جهلت الأنظمة السياسية القديمة مبدأ المشروعية^(٤٣)، والذي يقتضي سيادة أحكام القانون على كافة السلطات والأفراد، دونما تفرقة أو تمييز^(٤٤)، ويرجع ذلك إلى اختلاط السلطة والسيادة بشخصية الحاكم، فلا حقوق ولا حريات ولا ضمانات سوى تلك التي تتمتع بها السلطة الحاكمة، وظل ذلك سائداً في العصور القديمة والعصور الوسطى، والتي أطلق عليها المؤرخون عصور الظلام والاستبداد، وكانت تغطي أوروبا بأسرها.

وفي ظل أنظمة الحكم السائدة في هذه العصور، لم يكن حديث عن مبدأ المشروعية، لأن الحاكم الذي كان يمارس سلطة إلهية فإنه كان يحكم حكماً مطلقاً، ولم يكن يقبل الخضوع لدستور أو قانون، كما لم يكن يقبل أن يسأل أمام أحد.

غير أن هذا الوضع لم يكن ليستمر أمام التيار الديمقراطي الجارف، وأمام نظرية (الحكم للشعب) والتي أرجعت السلطة للشعب، بحيث لا يتولى الحاكم مقاليد الحكم إلا عن طريق الشعب، الذي يضع عن طريق ممثليه في البرلمان القوانين التي تقيد من سلطة الحاكم، وتعترف للمواطنين بالحقوق والحريات المختلفة-ومن هنا بدأت تظهر في الوجود الدولة القانونية التي يقصد بها التزام كل من الأفراد والسلطات العامة بالقانون والتقييد بأحكامه.

^{٤٣} - لقد اصطلاح على تسمية المبدأ في إنجلترا بمبدأ "حكم القانون"، كما يطلق عليه في الولايات المتحدة الأمريكية مبدأ "الحكومة المقيدة"، وأحياناً يطلق عليه تعبير "حكومة قانون لا حكومة أشخاص"، كما يطلق عليه في مصر وفرنسا والعراق مبدأ "سيادة القانون"، كما يطلق عليه في الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية "الشرعية الاشتراكية"، وكانت تعني احترام القانون بما يحقق النظام القانوني للدولة الاشتراكية بالمفهوم الماركسي، وقد تجلّى ذلك في صورة الحكم الشمولي، وكان جهاز البروكيراتورا مسؤولاً عن تطبيق مبدأ الشرعية الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي (سابقاً).

وقد سقط مفهوم الشرعية الاشتراكية باخلاق دولة الاتحاد السوفيتي والغاء الحزب الشيوعي، بعد أن فشل نظام الحكم في تحقيق النمو والتقدم والرخاء للشعب كحصار طبيعي لانتهاك حقوق الإنسان.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الفقه في مصر يميز بين المشروعية والشرعية، فالمشروعية لدى البعض (الأستاذ الدكتور ماجد راغب الحلو) تعني احترام قواعد القانون القائمة فعلاً في المجتمع، وهي في حقيقة الأمر مشروعية وضعية.

أما الشرعية فهي فكرة مثالية تحمل في طياتها معنى العدالة، وتتضمن قواعد أخرى يستطيع عقل الإنسان المستقيم أن يكشفها، ويجب أن يكون المثل الأعلى الذي يتوخاه المشرع في الدولة ويعمل على تحقيقه إذا أراد الارتفاع بمستوى ما يصدر من تشريعات. بينما يذهب البعض الآخر إلى خلاف ذلك، حيث يرى أن كل من الشرعية والمشروعية لفظان مترادفان-لأن هذا المبدأ يعتبر قيداً على تصرفات السلطة العامة، ويتطلب الالتزام بكل القواعد القانونية المكتوبة وغير المكتوبة، ومن بين هذه القواعد المبادئ القانونية العامة التي يستقر عليها المجتمع، وتعتبر قواعد أساسية لتحقيق العدل والصالح العام، فضلاً عن الالتزام بقواعد المشروعية الوضعية، وطالما أن هذا المبدأ يعني احترام الأفكار المثالية التي تحمل في طياتها معنى العدالة، ويعني احترام قواعد المشروعية الوضعية، فلا يكون ثمة مجال للتفرقة التي نادى بها الرأي-سالف الذكر-.

وذهب البعض الثالث إلى القول بأن الشرعية التي تعنيها هي تلك المبادئ العامة التي تتقيد بها أجهزة الدولة، ومبدأ الشرعية هو صمام الأمن الذي يكفل إعطاء المضمون الفعال لمبدأ سيادة القانون ويضمن تحقيق أهدافه، وفي النظام الديمقراطي يجب أن تكفل هذه المبادئ احترام حقوق الإنسان، وأقامت التوازن بينها وبين المصلحة العامة.

ومن هنا يتضح أن الشرعية وسيادة القانون وجهان لعملية واحدة، فالشرعية هي المبدأ وسيادة القانون هي إلزام سلطات الدولة باحترام هذا المبدأ ومطابقة أفعالها معه. ويلاحظ أن هذه المطابقة تسمى أحياناً بالمشروعية تمييزاً لها عن الشرعية.

=راجع في ذات المعنى: د. ماجد راغب الحلو، القضاء الإداري، الإسكندرية، منشأة المعارف، سنة ١٩٨٥م، ص ١٩.

د. رمزي طه الشاعر، قضاء التعويض، القاهرة، دار النهضة العربية، سنة ١٩٨٢م، ص ١٣.

د. أحمد فتحي سرور، الشرعية الدستورية وحقوق الإنسان في الإجراءات الجنائية، مرجع سابق، ص ١٢٢.

^{٤٤} - د. عصمت علي، د. طارق إبراهيم الدسوقي، حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٤٠٢ وما بعدها.

والدولة وإن كانت تختص بوضع القانون ممثلة في السلطة التشريعية، إلا أنها ليست مطلقة الحرية في وضع القانون، ذلك أنه رغم أن سلطتها تقديرية في هذا المجال إلا أنها تخضع في هذا الشأن لقيود معينة، أهمها وأخصها المصلحة العامة، تلك الفكرة التي تهيمن على كل تصرفات السلطات العامة، كما أنها تلتزم بعدم مخالفة الدستور، واحترام الحقوق المكتسبة، وكفالة ممارسة الحقوق والحريات العامة في حدودها المعترف بها. (٤٥)

ومن ثم أصبحت دولة المشروعية هي الدولة التي يحكمها القانون، ويخضع له الحكام والمحكومون، وأصبح مبدأ المشروعية الملاذ للأفراد في مواجهة طغيان السلطة.

ونخلص من ذلك كله إلى أن اصطلاح مبدأ المشروعية يقصد به "أن تكون كل تصرفات السلطات العامة والأفراد في إطار القانون، وبالتالي فإن أي عمل صادر من إحدى السلطات العامة لا يعد صحيحاً ومنتجاً لإثارة إلا إذا كان مطابقاً للقانون، فإذا كان العمل مخالفاً للقانون كان لكل ذي مصلحة أن يطلب إلغاؤه أو التعويض عنه إذا كان هناك مقتضى لذلك، وتُعد الرقابة على تصرفات السلطة العامة الضمانة الحقيقية والفعالة لتطبيق مبدأ المشروعية.

ولقد انقسم الفقه في تعريف مبدأ المشروعية على اتجاهين:

الاتجاه الأول: ذهب إلى أن مبدأ المشروعية يعني: "سيادة أحكام القانون فوق كل إرادة، سواء كانت إرادة الحاكم أو المحكوم، أي أنه يعني ضرورة خضوع سلطات الدولة الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية)، وهي تمارس نشاطها لحكم القانون، بعد أن خضوع المحكوم للقانون أمر مفروغ منه بعده الحلقة الأضعف في سلسلة الخاضعين لحكم القانون. (٤٦)

وبعبارة أخرى، يعني ضرورة احترام كافة القواعد القانونية القائمة في الدولة، وذلك من جانب كافة السلطات العامة، تستوي في ذلك السلطة التشريعية والسلطة القضائية وكذلك السلطة التنفيذية، فتكون تصرفات سائر السلطات محكومة بإطار قانوني محدد لها سلفاً. (٤٧)

ويقصد بالقانون هنا القواعد القانونية المطبقة في الدولة كافة بصرف النظر عن نوعها أو طبيعتها أو مصدرها، سواء كانت دستورية أو تشريعية أم لائحية، فخضوع السلطة التشريعية لمبدأ سيادة القانون يعني التزامها فيما تسنه من تشريعات في حدود الدستور وعدم مخالفتها أحكامه، والتزام السلطة التنفيذية فيما تصدره من لوائح وقرارات، وما تقوم به من أعمال بأحكام الدستور والتشريعات النافذة، وربما كانت السلطة التنفيذية معنية بهذا المبدأ في هذا المقام (حقوق الإنسان وحرياته) أكثر من باقي سلطات الدولة كونها السلطة المعنية بإدارة المرفق العام وحماية النظام والصحة والسكنية وتسهر على مصالح المواطنين وحقوقهم.

٤٥- د. عبد الرزاق السنهوري، مخالفة التشريع للدستور والانحراف في استعمال السلطة التشريعية، مجلة مجلس الدولة، السنة الثالثة، سنة ١٩٥٢م، ص ١٦٦، مشار إليه لدى: د. عصمت عدلي، د. طارق إبراهيم، مرجع سابق، ص ٤٠٣.

٤٦- د. علي يوسف الشكري، حقوق الإنسان بين النص والتطبيق، دراسة الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية والدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥م، مرجع سابق، ص ١٩٧.

٤٧- راجع في ذلك: د. عبد الغني بسيموني، القضاء الإداري، الإسكندرية، منشأة المعارف، سنة ١٩٩٦م، ص ١١.

كما أن هذا المبدأ يعني التزام السلطة القضائية في أحكامها حدود القانون، وعدم الاجتهاد في كل ما ورد فيه نص.^(٤٨) وفضلاً عما تقدم تجدر الإشارة إلى أنه يضاف إلى القواعد القانونية المدونة (الدستورية) والتشريعات العادية والفرعية (اللوائح) قواعد أخرى غير مدونة مثل العرف والمبادئ القانونية العامة.^(٤٩) وتتحقق سيادة القانون في عنصرين، أولهما: شكلي، وينبع من السلطة المختصة بإصداره. وثانيهما: موضوعي، ويتمثل في التزام المخاطبين بأحكامه، سواء كانوا من سلطات الدولة أو أفرادها، وأن يكفل القانون في مضمونه احترام الحقوق والحريات العامة، وتعد هذه الحقوق شرطاً أساسياً لممارسة الديمقراطية.^(٥٠)

الاتجاه الثاني: ويذهب إلى تعريف مبدأ المشروعية بأنه "خضوع كل سلطة من سلطات الدولة (التشريعية والتنفيذية والقضائية) للقانون، وكذلك خضوع الأفراد للقواعد القانونية"^(٥١)، فلا تجوز ممارسة أي عمل إلا وفقاً لحكم القانون، ويترب على ذلك التزام كل فرد في المجتمع بمراعاة حقوق الآخرين.^(٥٢) وقد ذهب بعض الفقه^(٥٣) إلى أنه يوجد فرق بين مبدأ خضوع الدولة للقانون ومبدأ سيادة القانون يتمثل فيما يلي:

١- إن مبدأ خضوع الدولة للقانون يعني خضوع جميع السلطات في الدولة للقانون، وهو مبدأ قانوني قصد به صالح الأفراد وحماية حقوقهم ضد تحكم السلطة.

أما مبدأ سيادة القانون فينبع عن فكرة سياسية تتعلق بتنظيم السلطات العامة في الدولة، وتهدف إلى وضع الجهاز التنفيذي في مركز أدنى بالنسبة للجهاز التشريعي، ومنع الأول من التصرف إلا تنفيذاً لقانون أو بتحويل من القانون.

وخضوع الجهاز التنفيذي للجهاز التشريعي لا يقتصر على ما يتعلق بأعمال الإدارة التي تنتج أثراً خاصة تجاه الأفراد، بل يمتد إلى جميع الإجراءات الإدارية بما فيها تلك التي تخص مجرد التنظيم الداخلي للمرافق الإدارية؛ والتي لا تتعدى آثارها نطاق الجهاز الحكومي.

٢- إذا كان مبدأ خضوع الدولة للقانون أضيق نطاقاً من مبدأ سيادة القانون لاقتصر تطبيقه على الإجراءات التي تمس مصالح الأفراد، بينما يمتد مبدأ سيادة القانون إلى جميع أعمال الإدارة، فإن مبدأ خضوع الدولة للقانون أوسع نطاقاً من نواح أخرى.

فمبدأ سيادة القانون إنما يهدف إلى جعل الجهاز التشريعي - بوصفه منتخباً من الأمة - الجهاز الأعلى في الدولة، وأن يجعل إرادته الإرادة العليا فيها، ومن ثم فهو لا ينطبق إلا على السلطة التنفيذية، في حين

٤٨- د. علي يوسف الشكري، حقوق الإنسان بين النص والتطبيق، مرجع سابق، ص ١٩٧.

٤٩- د. حمدي عطية مصطفى عامر، حماية حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٧٢٥.

٥٠- د. محمد عطية محمد، الحماية الدستورية لحماية الإنسان، مرجع سابق، ص ٨٩.

٥١- عيد بن مسعود الجهني، تطور النظام السياسي في المملكة العربية السعودية بين الأنظمة الوضعية والفكر الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، كلية الحقوق، سنة ١٩٩٦م، ص ٢٤٢.

٥٢- راجع في ذلك: جعفر صادق مهدي، ضمانات حقوق الإنسان، دراسة دستورية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، سنة ١٩٩٠م، ص ٣٣. د. عيد بن مسعود الجهني، تطور النظام السياسي في المملكة العربية السعودية بين الأنظمة الوضعية والفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٤٢.

٥٣- راجع في ذلك: د. ثروت بدوي، النظم السياسية، مرجع سابق، ص ١٧١ وما بعدها.

أن نظام الدولة القانونية يقضي بإخضاع جميع السلطات العامة للقانون، فهو لا يقيد السلطات الإدارية فقط، بل يقيد السلطة التشريعية أيضاً.

ومن ناحية أخرى، فإن مبدأ سيادة القانون يعني خضوع الإدارة للقوانين الشكلية فقط، في حين أن نظام الدولة القانونية أو مبدأ خضوع الدول للقانون يعني تقييد الإدارة ليس فقط بالقوانين، بل أيضاً باللوائح الإدارية.

٣- إن مبدأ سيادة القانون خاص بالنظم الديمقراطية، حيث يتكون الجهاز التشريعي الذي يسن القوانين من نواب عن الأمة يمثلون إرادتها العليا، أما مبدأ خضوع الدولة للقانون، فهو متصور في النظم المختلفة للحكم، ديمقراطية أو دكتاتورية.

وترجع أهمية مبدأ المشروعية والأخذ به إلى أنه يبين الحدود الفاصلة بين حقوق كل من الحاكم والمحكوم، بحيث يخضع الحكام فيما يقومون به من أعمال وما يتخذونه من تصرفات للإطار العام للنظام القانوني في الدولة، وعلى ذلك فقد أصبح مبدأ المشروعية من المبادئ القانونية المعاصرة التي يجب تطبيقها في كافة الدول وبغض النظر عن الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحكم النظام القانوني في الدولة. فمبدأ المشروعية مبدأ عام يسري حكمه في كل مجتمع وفي مواجهة أي سلطة، لأنه أصبح من المسلمات التي تستند إليها كافة النظم السياسية في العالم المعاصر، وإهداره يؤدي حتماً إلى انتهاك حقوق الأفراد وحرياتهم.^(٥٤)

المطلب الثاني: أثر مبدأ المشروعية على ضمانات حماية حقوق الإنسان

إن مبدأ المشروعية يمثل في الدولة المعاصرة أهم الضمانات الجدية والحاسمة للأفراد في مواجهة السلطة العامة حتى تكون بمقتضاها في مأمن من تعدي الدولة عليهم، وتتضح هذه الضمانة إذا أخذنا في الاعتبار بما هو مسلم به في فقه القانون العام الدستوري المعاصر من أن للسلطة العامة امتيازات متعددة تكفل لها وحدها حق الأمر والنهي بالإرادة المنفردة الملزمة ثم حق التنفيذ المباشر لأوامرها ونواهيها، فضلاً عن القوة الجبرية التي تتمتع بها، وخاصة بعدما ازداد اتساع ونمو وتشعب مجالات تدخل السلطة العامة بعد أن تراجعت فكرة الدولة الحارسة.^(٥٥)

أي أن مبدأ المشروعية يُعد السياج المنيع لحماية ضمانات نفاذ الوثيقة الدستورية وحقوق الإنسان، فهو يحمي الديمقراطية ويعدها الوسيلة المثلى نحو نفاذ وتطبيق الوثيقة الدستورية وصلاحيات نظام الحكم في الدول المعاصرة. كما أنه يحمي مبدأ الفصل بين السلطات في الدول التي تأخذ به إلى جانب رعايته لحق التقاضي واستقلال القضاء، وهذا يجعل أثر مبدأ المشروعية عميقاً في احترام ضمانات حقوق الإنسان.

وإذا كان الفقه قد اختلف في تعداد ضمانات حقوق الإنسان، فإنه قد اتفق على أن مبدأ المشروعية هو الضمان الرئيسي لنفاذ قاعدة القانون واحترام ضمانات حقوق الإنسان وحرياته من حيث أنه يجب خضوع الدولة للقانون، واحترام الحكومات لحقوق الأفراد في ظل سيادة حكم القانون، وضرورة توفير

٥٤- د. محيي شوقي أحمد، الجوانب الدستورية، مرجع سابق، ص ٣٧٢.

٥٥- د. محمد عطية محمد، الحماية الدستورية لحقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٩٢.

الوسائل الفعالة لكفالاته، ويستلزم التزام القضاة بمبدأ سيادة القانون، وأن يحافظوا على استقلال القضاء، وتأكيد حقوق الأفراد، وإنشاء المحاكمة العادلة لكل فرد.^(٥٦)

إن مبدأ المشروعية هو الضمان الحيوي والأساسي لحقوق الأفراد وحرياتهم، إذ يوجب على الدولة أن تكون كل تصرفاتها وقراراتها التي تتخذها أيًا كان موضوعها مطابقة لمبدأ المشروعية، وبذلك يصبح مبدأ المشروعية عاصماً من الحكم البوليسي ومن الانحراف في استعمال السلطة.^(٥٧)

إن مبدأ المشروعية يكفل ضرورة عملية وفلسفية، وضرورته الفلسفية تكمن في إخضاع الدولة للقانون من خلال وجود مبادئ عليا تسمو على الدستور، وتشريعات الدولة وسبق وجودها في الدولة نفسها، أما قيمته العملية المؤثرة في مجال حقوق وحريات المواطنين، فإنه يعد أحد الضمانات اللازمة لاحترام حقوق الإنسان.^(٥٨)

يتضح مما تقدم أن مبدأ المشروعية يقوم على احترام الإنسان وكرامته، ومن هنا يمكن القول أنه ذات تأثير فعال في تحقيق جميع الضمانات التي قال بها الفقه المعاصر لحماية حقوق الإنسان وحرياته، وأنه لا يمكن لأي ضمان آخر مهما كانت قيمته القانونية والسياسية أن يجد حظه في التطبيق إلا في ظل احترام مبدأ المشروعية.

المطلب الثالث: موقف الدساتير من مبدأ المشروعية

لقد جاء في ديباجة الدستور المصري الصادر عام ٢٠١٢م النص على مبدأ المشروعية حيث جاء فيها ما نصه "سيادة القانون أساس حرية الفرد، ومشروعية السلطة، وخضوع الدولة للقانون؛ فلا يعلو صوت على قوة الحق، والقضاء مستقل شامخ، صاحب رسالة سامية في حماية الدستور وإقامة موازين العدالة ووصون الحقوق والحريات.

كما نصت المادة السادسة من ذات الدستور على مبدأ المشروعية صراحة حيث نصت على أنه: "يقوم النظام السياسي على مبادئ الديمقراطية والشورى، والمواطنة التي تسوى بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات العامة، والتعددية السياسية والحزبية، والتداول السلمي للسلطة، والفصل بين السلطات والتوازن بينها، وسيادة القانون، واحترام حقوق الإنسان وحرياته؛ وذلك كله على النحو المبين في الدستور".^(٥٩)

^{٥٦} - د. محيي شوقي أحمد، الجوانب الدستورية، مرجع سابق، ٣٧٤ وما بعدها.

^{٥٧} - د. محمد موسى محمد، حدود ومبدأ المشروعية، مرجع سابق، ص ٨.

^{٥٨} - د. محيي شوقي أحمد، الجوانب الدستورية، مرجع سابق، ٣٧٣.

^{٥٩} - يرى بعض الفقهاء المصريين أنه بالرغم من نص دستور ٢٠١٢ على أن سيادة القانون أساس الحكم في الدولة، فإن هذا المبدأ العام في حاجة إلى التوضيح والتفسير في التعديل الدستوري الراهن - يقصد بالتعديل الدستوري الراهن ذلك التعديل الدستوري الذي تجريه الآن لجنة الخمسين عام ٢٠١٣ في الفترة الانتقالية الحالية التي تشهدها مصر والذي يتولى فيها السلطة الرئيس المؤقت عدلي منصور - مع بيان أوجه تطبيقه وتفعيله. فمن المتطلبات الأساسية في هذا السياق ضمان التطبيق العملي لسيادة القانون، من خلال كفالة المساواة وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين، دون أدنى تفرقة وتميز بين الغني والفقير، بين صاحب السلطة والمواطن العادي، وهي ظاهرة لا تزال سائدة في كثير من المجتمعات، وترسيخاً لتلك المساواة، يتعين إتاحة المشاركة لجميع أطراف المجتمع في اتخاذ القرارات الوطنية المصرية، سواء في داخل مصر أو خارجها، كما يشترط في هذا الإطار توافر أمانة ونزاهة وشفافية في تطبيق القانون منعا للالتفاف حوله والتحايل تجاهه، ولن يتأتى ذلك إلا بالحفاظ على استقلال السلطة القضائية وضمان حيادها ونزاهتها، مما يكفل دعم دولة القانون وتحقيق العدالة لجميع المواطنين، وتأكيداً لهذا الاستقلال يتعين أن يكون فصل السلطات المنصوص عليه في الدستور فصلاً حقيقياً وليس شكلياً.

ونصت عليه كذلك المادة (٦٤) من الدستور المصري الصادر عام ١٩٧١ بقولها: "سيادة القانون أساس الحكم في الدولة". كما نصت المادة (٦٥) من ذات الدستور على أن "تخضع الدولة للقانون". وأما في العراق فان الذي يتأمل الدساتير العراقية يلاحظ أن أي من الدساتير العراقية الصادرة منذ عام ١٩٢٥ وحتى عام ٢٠٠٤ لم يشر لمبدأ سيادة القانون، ربما لأن دساتير العهد الجمهوري (١٩٥٨-٢٠٠٤) كلها كانت دساتير مؤقتة جاءت وبحسب طبيعتها لعلاج ظروف استثنائية أو مرحلة انتقالية، بالتالي فإن عدم نصها على مبدأ سيادة القانون من الناحية القانونية قد يبدو شكلياً مبرراً وإن استمر عمر بعضها فترة أطول من كثير من الدساتير الدائمة، فقد امتد عمر دستور ١٩٧٠ المؤقت أكثر من ثلاث وثلاثين سنة في الوقت الذي سقط فيه دستور الجمهورية الرابعة الفرنسية بعد اثني عشرة سنة. وأخيراً، نص الدستور عام ٢٠٠٥ الدائم على مبدأ سيادة القانون في المواد (٥-٦٦) منه، فقد نصت المادة (٥) على أنه "السيادة للقانون، والشعب مصدر السلطات وشرعيتها، ممارستها بالافتراع السري العام المباشر وعبر المؤسسات الدستورية". أما المادة (٦٦) فنصت على أنه "تتكون السلطة التنفيذية الاتحادية من رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء، تمارس صلاحيتها وفق الدستور والقانون".

الخاتمة

لقد توصلنا في بحثنا هذا الى النتائج والتوصيات الاتية:

أولاً: النتائج

١- يعد دستور العراق الدائم لعام (٢٠٠٥) من اهم الدساتير العراقية التي تناولت بالتفصيل كل المبادئ المتعلقة بحقوق الانسان والتي نصت عليها الاعلانات والمواثيق الدولية، وفي مقدمتها الحقوق السياسية

وتلتزم الدولة بمقتضي سيادة القانون باحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع دونما تمييز من أي نوع، كما تلتزم بضمان تمتع المرأة بجميع حقوقها وكفالة حماية حقوق الطفل، كما تلتزم الدولة بتحقيق الاستقرار القانوني بحيث لا تتغير القوانين بين يوم وآخر، حيث يعوق ذلك فرص الاستثمار = والتنمية الاقتصادية، والواقع أن هناك ترابطاً وثيقاً بين سيادة القانون والتنمية باعتبارهما عنصرين يدعم بعضهما بعضاً، فإن النهوض بسيادة القانون أمر أساسي لتحقيق النمو الاقتصادي المطرد والقضاء علي الفقر والجوع وتحقيق الرفاهية الشاملة.

ومن أهم المتطلبات كذلك في مجال سيادة القانون توفير شفافية قانونية لجميع الأعمال والأنشطة العامة والخاصة علي حد سواء، وتجنب الغموض والتهرب القانوني، هذا فضلاً عن فرض المحاسبة القانونية الصارمة دون استثناء أو محاباة بغية الفساد الذي لا يزال متفشياً في كثير من مجتمعاتنا، فإن سيادة القانون تعد عنصراً أساسياً في التصدي للفساد الذي يعوق النمو والتنمية الاقتصادية ويزعزع ثقة المواطنين ويضعف الشرعية.

كما تتسم سيادة القانون بأهمية في مجال تحقيق العدالة الانتقالية على نَحْج شامل من خلال التدابير القضائية وغير القضائية لكفالة المسائلة وتوفير سبل الانتصاف للضحايا وتعزيز المصالحة ثم إن سيادة القانون مبدأ أساسي في محاربة الارهاب وإدائته بجميع أشكاله وتحدياته، أيا كان مرتكبه وحيشاً ارتكب وأيا كانت أغراضه، بالإضافة إلى ذلك يتطلب مبدأ سيادة القانون احترام قواعد القانون الدولي وأحكام المواثيق الدولية - فلقد أخذ الميثاق العربي لحقوق الإنسان بكثير من المعايير الدولية واستند إلى المبادئ الأساسية للقانون الدولي، مما يستوجب عدم تجاهلها في صياغة الدستور المصري والدساتير العربية الأخرى وفي هذا السياق نتطلع إلى تنمية التعاون بين الدول العربية والإسلامية في مجال القضايا المتصلة بسيادة القانون كتبادل الخبرات وتنظيم الندوات والدورات التدريبية... إلخ.

وختاماً يراودنا الأمل في أن يسهم تعديل الدستور من خلال تأكيده مبدأ سيادة القانون وتفسير مفاهيمه في دعم الوعي القانوني وتنمية الثقافة القانونية لدى المواطنين، مما يعزز المسار الديمقراطي المنشود وفق خريطة الطريق.

راجع في ذلك: د. حسين حسونة، دستور سيادة القانون، مقال منشور على موقع الأهرام الالكتروني التالي: <http://www.ahram.org.eg/News>

والاقتصادية والاجتماعية. لذا فإن المواطن العراقي في ظل احكام هذا الدستور يتمتع بقدر لا بأس به من الحقوق التي كفلها له واحاطها بمجموعة من الضمانات التي تم النص عليها صراحة.

٢- كحال بقية الدساتير فإن الدستور العراقي النافذ يكتنفه بعض النقص والقصور فيما يتعلق بموضوع الحقوق والحريات، فبعض نصوصه جاءت عامة غير محددة او قد احوالت تنظيم موضوع معين له علاقة بحقوق الافراد الى قوانين تصدر لاحقاً، الامر الذي يجعل مسألة تنظيم حقوق الافراد وحرياتهم بيد السلطة التشريعية، وقد اشرنا اليها سابقا في صلب الموضوع.

٣- احاط المشرع العراقي النصوص الدستورية بمجموعة من الضمانات القانونية بهدف حماية الحقوق والحريات الفردية من الاعتداء او التجاوز عليها من باقي سلطات الدولة، ولذلك فهو تبنى مجموعة مبادئ ديمقراطية تعد من الركائز الاساسية للدولة الدستورية.

ثانياً: التوصيات

على المشرع الدستوري ان يراعي ويأخذ بنظر الاعتبار كل المطالب الشعبية التي تستجد في الدولة، في حال راي فيها تحقيقاً للصالح العام ما دامت هذه المطالب لا تتعارض مع احكام الدستور وان تكون ضمن الحدود المسموح بها دستورياً، لانه اذا ما حصل عكس ذلك فأننا سنكون حينئذ امام فوضى مما يؤدي الى الاخلال بأمن الدولة واستقلالها.

المصادر

أولاً: الكتب

- ١- د. حسين جميل، حقوق الإنسان في الوطن العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سنة ٢٠٠١.
- ٢- د. حسين عثمان محمد عثمان، النظم السياسية والقانون الدستوري، الإسكندرية، الدار الجامعية، دون تاريخ نشر.
- ٣- د. أحمد فتحي سرور، الشرعية الدستورية وحقوق الإنسان في الإجراءات الجنائية، القاهرة، دار النهضة العربية، سنة ١٩٩٥.
- ٤- د. محمد الشافعي أبو راس، نظم الحكم المعاصرة، دراسة مقارنة في أصول النظم السياسية، الجزء الأول، القاهرة، عالم الكتب، سنة ١٩٧٧.
- ٥- للمزيد راجع: د. سعاد الشراوي، النظم السياسية في العالم المعاصر تحديات وتحويلات، القاهرة، دار النهضة العربية، سنة ٢٠٠٢.
- ٦- د. ثروت بدوي، النظم السياسية، القاهرة، دار النهضة العربية، سنة ١٩٩٤.
- ٧- د. حسن مصطفى البحري، الرقابة المتبادلة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية كضمان لنفاذ القاعدة الدستورية، القاهرة، شركة ناس للطباعة، سنة ٢٠٠٦.
- ٨- د. عفيفي كامل عفيفي، الانتخابات النيابية وضماناتها الدستورية والقانونية، دراسة مقارنة، دار الجامعيين، سنة ٢٠٠٢.

- ٩- د. رمزي طه الشاعر، الوجيز في القانون الدستوري، القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٨٥.
- ١٠- د. هشام محمد البدر، لجان التحقيق البرلمانية كوسيلة للرقابة على أعمال السلطة التنفيذية في مصر والكويت، المنصورة، دار الفكر والقانون، دون سنة نشر.
- ١١- د. علي يوسف الشكري، حقوق الإنسان بين النص والتطبيق، دراسة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية والدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥، القاهرة، مكتبة ايتراك، سنة ٢٠٠٩، ص ٢٠٠.
- ١٢- د. عاصم رمضان مرسي يونس، الحريات العامة في الظروف الاستثنائية، دراسة مقارنة، القاهرة، دار النهضة العربية، سنة ٢٠١٠.
- ١٣- د. محمد محمد مصباح القاضي، حق الإنسان في محاكمة عادلة، دراسة مقارنة، القاهرة، دار النهضة العربية، دون تاريخ نشر.
- ١٤- د. عبد الرزاق السنهوري، مخالفة التشريع للدستور والانحراف في استعمال السلطة التشريعية، مجلة مجلس الدولة، السنة الثالثة، سنة ١٩٥٢.

ثانياً: الرسائل والاطاريح

- ١- راجع في ذلك: د. أنور أحمد رسلان، الديمقراطية بين الفكر الفردي والفكر الاشتراكي، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الحقوق، سنة ١٩٧١.
- ٢- د. محمد عطية محمد علي، الحماية الدستورية لحقوق الإنسان، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، سنة ٢٠١٠.

ثالثاً: الدساتير

١. القانون الاساسي العراقي لعام ١٩٢٥.
٢. الدستور العراقي لعام ١٩٥٨.
٣. الدستور العراقي لعام ١٩٦٤.
٤. الدستور العراقي لعام ١٩٦٨.
٥. الدستور العراقي لعام ١٩٧٠.
٦. قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية لعام ٢٠٠٤.
٧. دستور العراق الدائم لعام ٢٠٠٥.

تمثيلات الاسلاموفوبيا في السينما الامريكية

Islamophobia Representation in American Cinema

م.م محمد عبد الحميد ضيدان^(١)

Assist. Lect. Mohammad Abdul-Hameed Dhaidan

الخلاصة

ان من اهم مميزات الفن السينمائي هو القدرة على تناول موضوعات مختلفة في مجالات معرفية واجتماعية وفلسفية مترامية الاطراف بسبب ما تمتلكه من عناصر وادوات مختلفة من جهة والمرونة الكبيرة التي يمكن من خلالها استثمار تلك العناصر من اجل ايصال ما يمكن ايصاله الى المتلقي، ومن تلك الموضوعات التي بدأت تأخذ حيزا كبيرا في الانتاج السينمائي تلك الافلام التي تطرح افكار ايدلوجية ودينية وقد تناول هذا البحث توجه بعض الشركات السينمائية مدعومة من قبل مؤسسات حكومية لها موقف عدائي من الاسلام والمسلمين بإنتاج وبث كم كبير من الافلام السينمائية التي تريد الاساءة للدين الاسلامي وتخلق صورة نمطية للفرد المسلم بغية تفعيل الكراهية ضده من قبل المجتمعات الغربية من اجل تبرير قتله وتشريده وسلب حقوقه. تم تقسيم البحث على اربعة فصول، تناول الفصل الاول الاطار المنهجي وقد عبر عن مشكلة البحث بالتساؤل التالي ما هي تمثيلات الاسلاموفوبيا في السينما الامريكية؟ ثم اهمية البحث وهدفه وتحديد مصطلحاته، اما الفصل الثاني (الاطار النظري) فقد تناول ثلاثة مباحث فالمبحث الاول تناول المرجعيات الفكرية للاسلاموفوبيا، اما المبحث الثاني فتناول الاسلاموفوبيا والثقافة المعاصرة اما المبحث الثالث فتناول التمثيل السمعي بصري للاسلاموفوبيا، اما الفصل الثالث فقد تناول اجراءات البحث والمبحث الرابع فقد تناول تحليل العينة وصولا الى النتائج التي كان من اهمها هو ان هنالك اهتماما واضحا في ترسيخ فكرة العدوانية التي يحملها الفرد المسلم في اذهان الغرب عبر التأكيد على افعال الشخصيات الاسلامية والتي تمارس الارهاب وتدعو له ثم خلص البحث الى الاستنتاجات والتوصيات واخيرا قائمة بالمصادر التي اعتمدها الباحث.

^١ - جامعة كربلاء- كلية العلوم السياحية- قسم السياحة الدينية.

Abstract

One of the most important features of film art is the ability to deal with different topics in the areas of knowledge, social and philosophical sprawling because of the various elements and tools on the one hand and the flexibility that can be large through which to invest these elements in order to deliver what can be delivered to the recipient, These films, which introduce ideological and religious ideas, have begun to take a large part in the film production. This research dealt with the tendency of some film companies, supported by government institutions that have a hostile attitude towards Islam and Muslims, to produce and broadcast a large number of films that want to insult religion And create a stereotype of the Muslim individual in order to activate hatred against him by Western societies in order to justify his killing and displacement and the deprivation of his rights. The research was divided into four chapters, the first chapter dealt with the methodological framework. The problem of research was expressed by the following question: What are the Islamophobia representations in America cinema? The second chapter deals with Islamophobia and contemporary culture. The third topic deals with the pseudo-Semitic representation of Islamophobia. The third chapter deals with the research procedures and the fourth subject. The analysis of the sample to reach the results, which was the most important Is that there is a clear interest in instilling the idea of aggression carried by the Muslim individual in the minds of the West by emphasizing the actions of Islamic figures, which practice terrorism and calls him conclusions and recommendations and finally a list of sources adopted by the researcher.

١. الفصل الأول: الاطار المنهجي

١.١. مشكلة البحث:-

منذ ان برز الفن السينمائي واخذ موقعه الريادي في التأثير بالمجتمعات سعت مؤسسات وجهات حكومية وشعبية من اجل استثماره وايصال رسائلها الدينية او السياسية او الثقافية او غيرها بكم هائل من الافلام اخذت مأخذها في تشكل موقف وثقافة الفرد الغربي تجاه الآخر وخصوصاً الاسلام والمسلمين مستندة الى كل وسائل التشويه ولصق الاوصاف والافعال التي ربما لا علاقة له بالكثير منها الا ان الصورة التي تعتمدها السينما والتي تشكل حجر الاساس في هويتها يمكن ان تشكل صورة ذهنية عند المتلقي لا يمكن لها ان تغادره بسهولة. من هنا عمدت بعض الجهات التي لها عدااء تجاه الاسلام بدوافع سياسية ودينية من تفعيل الكراهية ضد الاسلام والمسلمين عن طريق المنجز السينمائي مستندة على الكتابات

الاستشراقية والاعلام الغربي ومتكئته على ارث عدائي يريد ان يحقق السطوة والتمركز على اعتبار ان الفن السينمائي بلغ من الاهمية والتأثير ما يفوق اي فن من الفنون فضلاً على قدرته الايصالية والاتصالية. ومن هنا صاغ الباحث مشكلته عبر التساؤل الآتي: ما هي التمثيلات الفلمية للاسلاموفوبيا في السينما العالمية؟

٢.١. هدف البحث:-

يهدف البحث الى:-

الكشف عن التمثيلات الفلمية للاسلاموفوبيا في السينما العالمية.

٣.١. اهمية البحث:

يتناول البحث موضوعاً مهماً وهي موضوعة (الاسلاموفوبيا) التي ترتبط بدوافع دينية وسياسية حيث تصاغ بجملة من الرسائل تبث عن طريق المنجز الفلمي، وعن طريق البحث يحاول الباحث ان يشرح تلك الرسائل وكيفية ايصالها، وهنا تكمن اهمية البحث، اضافة الى انه قد ينفع الدارسين والمهتمين في المجال السينمائي.

٤.١. تحديد المصطلحات:

التمثل:

أ-التمثل لغةً: "مثل الشيء بالشيء: سواه وشبهه به وجعله على مثاله، ومثل الشيء لفلان صورة له بالكتابة او غيرها حتى كأنه ينظر اليه"^(٢).

ب-التمثل اصطلاحاً: جاء في معجم المصطلحات السينمائية ان التمثل "يشكل دائماً نمطاً من أنماط الترميز وهو على العموم عبارة عن (قائم مقام) سواء كان رسماً او صورة فوتوغرافية او فلمية"^(٣). والباحث يتبنى هذا التعريف الاصطلاحي كتعريف اجرائي.

الفوبيا:

أ- الفوبيا لغةً: عرف في معجم التعريفات بـ"الخوف: توقع حول مكروه أو فوات محبوب"^(٤)
ب- الفوبيا اصطلاحاً: "مجموعة من المخاوف التي تصل في بعض الاحيان الى حالات من الرعب، والذعر، والفوبيا هي القلق المستمر من الأشياء، وتسمى الخوف القلبي والقلق المرضي في أحيانٍ أُخر"^(٥)

٢. الفصل الثاني: الاطار النظري

١.٢. المبحث الاول: المرجعيات الفكرية للاسلاموفوبيا

ليس من الصحيح الحديث عن مفهوم الاسلاموفوبيا في الوقت الراهن دون الحديث عن اسباب نشوئه ومرجعياته الفكرية، وان كانت لهجة العدائية والخوف من الاسلام والمسلمين في دول الغرب قد تنامت

^٢ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، منشورات ذوي القربى، ايران، ٢٠١٠، ص٣٤١.

^٣ - ماري-تيريز جورو، معجم المصطلحات السينمائية، ت: فائز بشور، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، ٢٠٠٧، ص١٨٠.

^٤ - علي محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، ٢٠٠٤، ص٩٠.

^٥ - آرثر بيل: الفوبيا، ت: عبد الحكم الخزامي، الدار الأكاديمية للعلوم، القاهرة، ٢٠١١، ص٦.

فهناك ما يثبت فيها روح التجدد والدمومة وهو شديد الاتصال بالماضي ويتغذى من اصوله المتطرفة. وان كان العالم قد شهد أكثر من اي وقت مضى ثورة في مناحي عديدة وخصوصاً التقنية منها وما عزز مجال الاتصال بشكل لم يشهد له مثيل الا ان ما يدعو الى الاستغراب ان ميزة التواصل تتناسب عكسياً - الى حد ما على الاقل في البلدان التي تشهد هذه الظاهرة وتمولها مؤسساتها على اختلاف صنوفها وانواعها- مع هذا الاتصال.

يشير الدارسون الى ان النشأة الاولى لمصطلح الاسلاموفوبيا في الادبيات والكتابات الغربية تعود الى عشرينيات القرن الماضي حيث "استخدمه مستشرق لاهوتي بلجيكي هو هنري لاماس الذي عاش في لبنان لسنوات وذلك في سياق كتاب له عن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وورد ايضاً في كتاب للرسم الاستشراقي الفرنسي ايتيان ديني بعنوان الشرق كما ينظر اليه من الغرب"^(٦). ويرى البعض ان هذا المفهوم "اعيد صياغته سنة ١٩٧٧ في تقرير لجنة المسلمين البريطانيين الاسلاموفوبيا المعنون (الاسلاموفوبيا متحداناً جميعاً)"^(٧).

وفي حقيقة الامر ان بؤار الاسلاموفوبيا ظهرت مع بداية الدعوة الاسلامية، بظهور النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وما حققه من انتصارات عظيمة على الصعيد السياسي والفكري والعسكري والديني والاجتماعي مما جعل القيادات (الدينية والعسكرية) من الطرف الآخر تتخذ موقفاً معادياً من الاسلام والمسلمين وخصوصاً من قبل علماء اليهود، ولهذا جوبحت الدعوة بشتى انواع المواجهات سواء الفكرية والدينية والتي كان موقف بعض علماء اليهود والنصارى منها واضحاً اذ ترى ان الدعوة الاسلامية انما هي دعوة عالمية يمكن ان تطيح بباقي الاديان او العسكرية التي قادها بعض الملوك والقادة في بلدان مختلفة في مواجهة المد الاسلامي الذي بدأ يمتد حتى بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فوصل بلاد الاندلس غرباً والصين شرقاً، والذي شهد حروباً كبيرة وكثيرة اسس لتنامي الاحقاد والبغضاء بين المسلمين وشعوب اخرى، وتلا ذلك ما يعرف بالحروب الصليبية والتي استثمر بها الباباوات والقساوسة من جهة والملوك من جهة اخرى سيطرة المسلمين على بعض المناطق المسيحية مشاعر غير المسلمين بدعوى الخطر الذي يهدد اوطانهم وديانتهم من جهة ومن جهة اخرى تحرير واناقد الارض المقدسة (بيت المقدس)، فبدأت الحملة الاولى في القرن الحادي عشر الميلادي وتبعته حملات اخرى نتج عنها الآلاف من القتلى والجرحى والمشردين، مما زاد عدااء المسيحية الى الاسلام والذي يصفه البابا جون الثامن في نهاية القرن التاسع عشر للميلاد في رسالة الى الملك (شارل لوشوف) "ان الدمار الذي لحقه المسلمون الذين هبطوا على الارض يحتاج الى وصفه الى لغات تكون بقدر عدد اوراق اشجار البلاد التي اجتاحتها"^(٨) بالرغم من ان الحروب الصليبية شهدت احياناً مروعة فقد قام الجيش الصليبي بدخوله الى بيت المقدس بقتل سبعين الف مسلم.

ان سبب تنامي تلك الظاهرة هي الكتابة والتثقيف التي قامت بها مؤسسات معادية للإسلام لأسباب دينية او سياسية وخصوصاً ما قام به المستشرقون من كتابات ادبية وفكرية واعمال فنية "فالاستشراق كان

^٦ - محمود حيدر، استشراق مستحدث الاسلاموفوبيا بما هي اطروحة ايديولوجية ما بعد حداثة، دراسات استشراقية، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٣، السنة الثانية، ٢٠١٥، ص ١٦١.

^٧ - مصطفى بن تمسك، ٢٠٠٧، مؤمنون بل حدود للدراسات والابحاث، .www.mominoun.com

^٨ - الصادق رابع، بحث منشور، تجليات الاسلاموفوبيا في خطابات الوسائط الاعلامية الفرنسية، كلية الاتصال جامعة الشارقة، الامارات العربية المتحدة، ص ٧.

له دور سلبي في عكسه لصورة الشرق والاسلام وجاء هذا الانتقاد لهم ليس فقط من الكتاب العرب بل من الغربيين انفسهم اذ يرى (مكسيم رندسون) ان الاستشراق لم يعط سوى نتائج معرفية هزيلة في دراسته للإسلام والسبب في ذلك هو عجزه عن التخلص من المعايير الاثنية الغربية عند تناوله للإسلام^(٩)، وحيث يرى ادوارد سعيد من ان الاسلاموفوبيا هي "مفردة تعني الرهاب من الاسلام وتنتمي الى سجل ثقافة الكراهية والتمييز العنصري والعداء للسامية الذي كرسته الدراسات الاستشراقية عن الاسلام والمسلمين عبر تاريخ الصراع الطويل بين الاسلام والتقليد اليهودي-المسيحي"^(١٠) اضافة الى الصراع الصهيوني-العربي على صعيد المعارك التي دارت بينهم او على صعيد الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية وما شهدته تلك الاراضي من احداث دموية، ولدت ردة فعل لدى الفلسطينيين بقيامهم بعمليات استشهادية وهكذا الحال في المناطق المحتلة في لبنان، كل هذه الاحداث احوالت الى ترسيخ صورة الكراهية وخصوصاً مع تنامي المنظمات والجماعات الاسلامية المتطرفة والتي كانت على الاغلب مدعومة من جهات ودول ومؤسسات تريد النيل من الاسلام والمسلمين لتحقيق هذا الخلط عند العامة من الناس بين المسلمين والارهابيين. وخصوصاً ان الحضارة الاسلامية اصبحت من اهم الحضارات التي يمكن لها ان تهدد او تراحم القوة الامريكية المتسيدة ذات القطبية الواحدة بعد زوال خطر الشيوعية كما ترى الفلسفة السياسية في امريكا، لذا كان لا بد من ان تصنع تلك المؤسسات حدثاً يغير مجريات الامور فكانت احداث الحادي عشر من ايلول من اهم الاحداث التي خلقت الهوة العميقة بين الشعوب الغربية وخصوصاً دول امريكا واوروبا وبين المسلمين واصبح الصراع بين الطرفين صراعاً معلناً وخصوصاً ان هذا الصراع قد شهد حالة جديدة وهو ان الخوف من المسلمين بدأ يتنامى بشكل سريع ليكون شعباً الى حد ما بعد ان كان مؤسساتياً، "لقد منحت هجمات سبتمبر/ايلول التراخيص للأميركيين، من معلقين وصحفيين وسياسيين ومنظرين، لتبني خطاب الاسلاموفوبيا، كتبرير أيديولوجي لحرمان عشرات الآلاف من الحريات المدنية، وتكوين ملفات عنهم والاحتجاز غير القانوني لعشرات الآلاف من المقيمين الشرعيين، والتغاضي عن اختطاف المشتبه فيهم وتعتيبيهم، وتشريع التجسس على المواطنين الأميركيين ومراقبتهم، والإيقاع بهم"^(١١) واصبحت صورة المسلم لدى عامة افراد المجتمعات الاوروبية والامريكية تشكل مصداقاً للإنسان الارهابي البربري، واصبحت تتغذى تلك المشاعر وبشكل مستمر بجملة من الاحداث الارهابية في لندن وباريس وغيرها والتي كان المتهم الاول فيها الفرد المسلم، فاصبح المواطن المسلم في نظر المجتمعات الغربية قبلة موقوته تهدد الجميع.

٢.٢. المبحث الثاني: الاسلاموفوبيا والثقافة المعاصرة

لقد شكلت الصوحة الاسلامية في العالم الاسلامي وتنميتها في بعض البلدان الغربية وخصوصاً في نهايات القرن العشرين مصدر قلق لدى الساسة الغربيين حفزت لتفعيل المشاعر المضادة والارث التاريخي الديني الدفين لدى البعض وخصوصاً ان بعض رجالات الدين من اليهود يعتقدون ان هناك صراعاً مستمراً بين الديانتين وهو صراع وجود لذا عملت وبشكل ممنهج الى الاستحواذ على وسائل الاعلام لأنها تعلم ان

^٩ - نفس المصدر، ص ١٠.

^{١٠} - ادوارد سعيد، المعرفة-السلطة-الانشاء، ت: كمال ابو ديب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٣٢.

^{١١} - ادوارد سعيد، المعرفة-السلطة-الانشاء، ت: كمال ابو ديب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ٢٠٠١، ص ٣٢.

الاعلام اداة مهمة وخطيرة يمكنها من السيطرة واخذ زمام الامور والمبادرة "ان سيطرة اليهود على وسائل السينما والاعلام في الولايات المتحدة لم تنبع من الصدفة بل عن طريق التخطيط الجاد لانهم يدركون ان السيطرة على الاعلام تمكنهم من التحكم في الحكومات والافراد لخدمة اهدافهم" (١٢) لهذا كانت عمليات التشويه وصناعة الخوف وبث روح العداوة ضد المسلمين تأخذ مأخذها في المجتمع الغربي ولم يتم الاكتفاء بهذا الخطاب التخويفي والتحريضي بل صحب ذلك افعال وعمليات واحداث تؤكد الحالة وتنمي تلك المشاعر مشاعر الكراهية كعدم الحركات الاسلامية المتطرفة والتي استطاعت بعض المؤسسات الغربية من تجنيدها فكانت تقتل وترهب باسم الدين، فضلاً عن تعمدتها للاساءة للإسلام والمسلمين من خلال الاساءة للمقدسات الاسلامية ورموزها حتى تستفيد من ردود المسلمين الغاضبة وتصور تلك الردود على انها غير منضبطة وعدوانية وارهابية، وهذا ما حدث بالفعل بعدما اصدر (سليمان رشدي) كتابه المسيء للإسلام وللقرآن وما تبعه من ردود غاضبه للمسلمين حاولت وسائل الاعلام الغربية في ان تدين تلك الردود وان تصورها بالوحشية دون ان تنال من المسبب في تلك القضية بدعوى حرية الرأي، وايضاً "ما وقع في تونس في يوم ١٤ سبتمبر ٢٠١٢ بمناسبة الاحتجاج على الفلم الامريكي (براءة المسلمين) وما استثمرته فيما بعد المجموعات الدينية الموالية للقاعدة في منطقة المغرب العربي لتنفيذها هجوم دموي على السفارة الامريكية في العام نفسه انتهى الى قتل السفير واربعة من الموظفين" (١٣).

لقد استطاعت المؤسسات الغربية التي ترعى الاعلام العالمي وتمنجه لصالحها بدعم من اليهود ان تحقق مبتغاها في عملية استحضار وتأكيذ صورة نمطية عن المسلم (الممجي-البربري-العنيف-الملتحي) والغريب ان هذه الصورة كان تنطبق على اليهودي قبل الحرب العالمية الثانية عبر وسائل الاعلام الامريكية "ان التلفزيون الامريكي كان قبل الحرب العالمية يعد ان الوغد العالمي هو اليهودي وكانت الصورة الذهنية عن اليهودي انه ذلك الماروغ الفاسد المرتشي والفوضوي والشره للمال" (١٤)، ولكن منذ الحرب العالمية الثانية وتزايد نفوذ امريكا كقوة عظمى، وتنامي النفوذ اليهودي داخل امريكا، تغيرت بوصلة الاتهام من اليهودي الى العربي المسلم "فاصبح رمز الشر هو العربي الذي يرتدي العباة والكوفية بدلا من اليهودي الذي يرتدي القلنسوة ونجمة داوود" (١٥)، ويبدو ان هذا التحول هو صورة لصراع ديني قديم، بدا يأخذ اثره في الحاضر بسبب عودة الصحوة الاسلامية وتناميها في الشرق والغرب من جهة وتساقط النظريات والاتجاهات العلموية من جهة اخرى "ان الصورة المشوهة عن الاسلام في الغرب لم تكن بسبب جهل اوربا به لكنه في الواقع نتيجة معرفة حقيقية بالإسلام غلفت بالحقد والخوف من تنامي تأثير هذا الدين على اوربا نفسها وعلى العالم اجمع" (١٦).

١٢- عزت عزت، صورة العرب والمسلمين في العالم، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٣- مصطفى بن تمسك، ٢٠٠٧، مؤمنون بل حدود للدراسات والابحاث، www.mominoun.com

١٤- مجموعة من الباحثين، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، سلسلة كتاب المعرفة، الرياض، ٢٠٠٣، ص ١٢.

١٥- مجموعة من الباحثين، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، سلسلة كتاب المعرفة، الرياض، ٢٠٠٣، ص ١٣.

١٦- باسم خفاجي، لماذا يكرهونه: الاصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الاسلام، مجلة البيان، عدد ٧٧، الرياض، ٢٠٠٦، ص ٢٣.

لقد عبر (نيكولاس فون هوفمان) الصحفي بجريدة واشنطن بوست عن الظلم الذي لحق بالإسلام والمسلمين من قبل وسائل الاعلام الغربية حين قال "لم تشوه سمعة جماعة دينية او ثقافية او قومية ويحط من قدرها بشكل مركز ومنظم كما حدث للعرب"^(١٧) بالرغم من ان الكثير من الافلام العربية ولا سبب قد تبدو مجهولة هي التي اساءت للعرب والمسلمين ما عدا بعض الافلام التي كانت لها اشراف واضحة وصدى مهم في الاوساط العالمية كما في فلم الرسالة وعمر المختار الذي اعطى المخرج من خلاله انطباعاً مميزاً للإسلام والمسلمين.

٣،٢. المبحث الثالث: التمثيل السمعي بصري للإسلاموفوبيا

استطاع الفن السينمائي بالرغم من تاريخه القصير قياساً لباقي الفنون ان يأخذ حيزاً كبيراً في مجالات واسعة من مناحي الحياة وان يحقق تأثيراً كبيراً في حياة المجتمعات، واصبح هذا الفن بعد ان بدأ كاكشاف تقني خالص ومن ثم اداة ترفيه تعرض في المقاهي والنوادي الليلية ان يخترق جميع الحجب وان ينفذ في كل مكان من اقصى الارض الى اقصاها وان يستثمر في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها "تطورت السينما من اداة هـو بسيطة الى صناعة ضخمة معقدة تشمل مئات الفنون وتضم ملايين العاملين في ميادينها المختلفة، ولا تقاس خطورة السينما الآن بعدها صناعة كبيرة او بالثروات والاموال التي توظفها، وانما خطرها الرئيسي يكمن في عدها قوة هائلة في توجيه الفكر واداة فعالة في ميادين التعليم والتدريب وطاقه لا يشق لها غبار في تقريب المسافات وازالة الفوارق بين شعوب الارض"^(١٨)، لذا تنبهت المؤسسات التي تسعى الى ان تحقق اغراضاً ايديولوجية الى اهمية هذا الفن واخذت على عاتقها ان تستثمر كل الامكانيات المتاحة من اجل تحقيق غرضها في الاستحواذ والسيطرة والنفوذ، وان توظف الصورة التي يتميز بها هذا الفن في عملية بث افكارها وتأكيد تحكمها في توجيه مسارات التفكير العالمي، على اعتبار ان الصورة هي الاكثر تأثيراً في النفس الانسانية والاكثر فاعلية من غيرها وخصوصاً ان العالم بدأ يحدث من معطياته بشكل يوائم متطلبات العصر من التقدم في المجالات التقنية والاتصالية واصبحت الصورة احدى اهم فواعل المعرفة الانسانية "يقول امبرتو ايكو" اذا كان القرن العشرين هو قرن اللسانيات، فأن القرن الواحد والعشرين هو قرن الصورة بامتياز"^(١٩) وما يؤكد هذا القول ايضاً ما قاله رولان بارت "اننا نعيش في حضارة الصورة"^(٢٠)، لذا كانت السينما عبر تاريخها اداة فاعلة للحركات والمؤسسات الممولة وايضا موضع اهتمام على صعيد الدول والحكومات، فالاتحاد السوفيتي استطاع ان يعلن عن افكاره الاشتراكية من خلال كم كبير من الافلام والتي لاقت رواجا واقبالا كبيرا وهذا ما دعا لينين بعد ان اسقط القيصرية في ثورته ١٩١٧ الى الاهتمام بالسينما معلنا بشكل صريح بقوله "تعد السينما من بين جميع الفنون اهمها بالنسبة لنا"^(٢١) وهكذا الحال في ايطاليا وفرنسا واسبانيا والتي حاولت ان تنتج اعداداً كبيرة من الافلام

١٧- مجموعة من الباحثين، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، سلسلة كتاب المعرفة، الرياض، ٢٠٠٣، ص ١٤.

١٨- ريموند سيوتزود، الفيلم واصله الفنية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٥.

١٩- امبرتو ايكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ت: احمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٨٦.

٢٠- شاكر عبد الحميد، عصر الصورة السلبية والايجابيات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣١١، ٢٠٠٥.

٢١- ارثر نايت، قصة السينما في العالم، ت: سعد الدين توفيق، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧، ص ٧١.

التي تروج لسياستها، كما ان المانيا وخصوصا في الحربين العالميتين اعطت للسينما الاهتمام الاكبر يقول هتلر "هنا - أي في السينما - لا يحتاج المرء الى استخدام عقله كثيرا، انه سيستقبل البيان المصور بسهولة اكثر من المقالة الصحفية، والصورة تعلم وتلقن بسرعة فائقة" (٢٢)، وهذه احدى اهم خصائص الصورة التي تمتاز بها عن المقالات الاعلامية والصحفية فضلاً عن ان الفيلم السينمائي يحوي على نسج من الاحداث (حبكة) يستطيع من خلالها ان يرتب الغرض الذي من اجل أن تصاغ القصة التي يراد طرحها وبالتالي يكون الحدث المقدم من خلال الفيلم رغم عدم مصداقيته اكثر مصداقية وتأثيراً وقبولاً لدى المتلقي، لذا كان الفيلم السينمائي بما يحمله من افكار ايدلوجية الاكثر تأثيراً، وهذا ما عمدت على تحقيقه الدول الغربية في تأكيد مفهوم الاسلاموفوبيا في وقتنا الراهن.

لقد عمدت شركات الانتاج السينمائي الغربية التي لها ارتباطات بمؤسسات ومنظمات معادية للإسلام وخصوصاً شركات هوليوود مثل (فوكس القرن العشرين وكولومبيا ووارنر وجولدن ماير) ان تؤكد على بعض المحاور التي تظهر من خلالها الفرد المسلم على انه يملك اسوء الصفات الانسانية وبالتالي تسيء الى الاسلام من خلاله وتشكل صورة ذهنية لدى الفرد الغربي وانطباع لا يمكن ان يزول مفعلة في ذلك حالة الكراهية والخوف من الاسلام والمسلمين، ولم تكن تلك الافلام في وقتنا الحالي فقط وانما عمدت تلك الافلام على نسج صورة خاصة للفرد المسلم منذ وقت مبكر في عمر السينما والافلام في هذا المجال كثيرة ففي فلم (لص بغداد) من اخراج راؤول واثس، انتاج عام ١٩٢٤ وهو في عصر انتاج الافلام الصامتة قدم مدينة بغداد على انها مدينة مليئة بالفوضى واللصوص وحكامها منشغلون بالنساء والاموال ولا وجود للقانون ولا للعلم والمعرفة حتى ينفي الصورة الذهنية المشكلة لدى الفرد عن مدينة بغداد وتقدمها في العلوم والآداب والفنون، وما تبعه من افلام اخرى كانت مخصصة لهذا الغرض من اهمها مثلاً فلم (لورنس العرب) اخراج ديفيد لين والذي يعد من الافلام المهمة التي تناولت حياة العرب المسلمين في الجزيرة العربية وشكلت انطباعاً راسخاً لدى المجتمعات الغربية عن طبيعة وحياة المجتمعات الاسلامية وخصوصا ان هذا الفيلم قد حاز على شهرة واسعة وحصل على العديد من الجوائز المهمة اذ ركز المخرج على نقل صورة عنهم وهي صورة التخلف والبداءة وحب المال، ليس هذا وحسب بل ان العديد من الافلام زادت من حالة وصفهم بهذه المواصفات بل ارادت ان تؤكد عدوانيتهم وعنفهم من خلال افعالهم المشينة ضد المجتمع الغربي وبالتالي تبرير قتلهم بدم بارد كما هو الحال في فلم (قواعد الاشتباك) للمخرج وليم فريديكن الذي اثار ضجة واعتراضات كبيرة من قبل المؤسسات التي تعنى بمعاداة العنصرية والكراهية بين الشعوب والتي كانت ترى ان هذا الفيلم قد يثير مشاعر الكراهية ضد العرب والمسلمين ويدعو الى قتلهم، الى ان المخرج برر ذلك بالحرب ضد الارهاب ويتحدث الفيلم عن شخصية (تشايندر) المنتسب في وحدة المشاة البحرية التي كان تروم إخراج السفير الأميركي من سفارتهم في اليمن بعد المظاهرات الاحتجاجية التي قام بها اليمنيون ضد الوجود الأميركي وقيامهم بإطلاق النار على العلم الأميركي قبالها رد القوات البحرية لإطلاق النار عليهم وقتل ٨٣ شخصاً

٢٢- أ. فوغل سكوت، السينما التدميرية، ت: امين صالح، مطبعة دار الكنوز الالهية، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٥٤.

بعد مقتل ٣ جنود داخل السفارة. اذ حاول الفلم ان يصور اليمنيين بضمنهم الاطفال بانهم متوحشون يحاولون قتل الامريكيين وهذا ما يبرر للامريكيين ان يردوا بالمثل ويقتلوا المتظاهرين اليمنيين بشكل وحشي. وفي فلم (١٣ ساعة جنود بنغازي السرين) للمخرج مايكل بي اذ يصور الفلم وحشية الفرد المسلم من خلال الهجوم على المجمع الدبلوماسي الامريكي في بنغازي بعد الهجوم على القنصلية الامريكية ويحاول عبر العديد من المشاهد ان يبرر للامريكي او الفرد الغربي ردة فعله بقتله المسلمين كونه يدافع عن نفسه، وهذا ما روجت له الكثير من الافلام الامريكية التي تناولت موضوعات الحرب في افغانستان والصومال والعراق، والغريب ان الدول الغربية وخصوصا امريكا تنقل جنودها ومعداتها العسكرية من المحيط الى الخليج وتغزو تلك البلدان الا انها تمكنت الى حد ما باقناع الشعوب بان حربها تلك هي حرب عادلة وان دخولها الى تلك البلدان لا تبوب ضمن باب الاعتداء او الغزو او الاحتلال وانما هو بدافع التحرير والتحول الديمقراطي في فلم (القناص) يسعى المخرج الى تمجيد القناص الامريكي من خلال عرض بطولاته في قتل المئات من العراقيين في مواقف مختلفة بحجة الدفاع عن النفس، ومن تلك المشاهد قتله لطفل وامرأة تلبس الحجاب وترتدي العباءة، وحينما يتم قتلهم يصف الضابط المرأة بقوله يالها من امرأة عاهرة شريرة غبية. من خلال ما تمت دراسته من تلك الافلام يستطيع الباحث ان يصنفها على انها ارادت أن تقدم الفرد والمجتمع المسلم ضمن انماط اتفقت عليها وهي:

اولاً: الصفات الظاهرية: اكدت السينما على ان هناك مواصفات عامة يتصف بها الفرد المسلم من حيث:

١- الازياء: للفرد المسلم زي خاص في بلاده فهو عادة ما يلبس الكوفية او العقال او العمامة والعباءة وحيثما يكون هكذا لباسه في دول الغرب وخصوصاً الخليجيين منهم والذي عادة ما تنتقدهم الافلام من خلال وجودهم في النوادي الليلية او الحفلات الاباحية او البلاجات وغيرها والحالة العامة لهؤلاء هم جنسيون ولديهم شراهة في الاكل وينفقون المال من اجل ملذاتهم ولا يفقهون شيئاً، اما العرب في الغرب والمهاجرون بالخصوص فهم يلبسون الملابس الغربية كالجينز والقميص الا انهم عادة ما يتصفون بانهم سمر الوجوه وشعر مجعد وغير مرتبين وذو لحى طويلة. وهذه الموصفات وهذا الزي عادة ما يسبب كراهية لدى الانسان الغربي ففي فلم (لورنس العرب) حينما يدخل لورنس بزي العرب اثناء اجتماع القيادة البريطانية فلاحظ امتعاض القائد البريطاني من هذا الزي لذا يصف القائد البريطاني لورنس بانه اصبح متخلفاً، اما المرأة: فعادة ما توصف المرأة المسلمة بانها منقبة رغماً عنها في بلاد الغرب او بلاد الاسلام، او انها شبه عارية في المراقص والنوادي كما هو الحال في فلم (المملكة) للمخرج بيتر بيرغ حيث يقوم المخرج باستخدام المونتاج والتعليق خارج الكادر عن رسم صورة عن المسلمين من خلال اخذ نموذج السعودية واعمامها على جميع المسلمين في العالم، يبدأ الفلم بتصوير الصحراء ثم مجموعة من الرجال تمتطي الجياد ثم شخص ملتحى يصلي وبعض الامراء السعوديين، ولقطة لامرأة منقبة مع التعليق الذي يقول بان هناك قوانين اسلامية صارمة، ثم لقطة لنساء راقصات، وهكذا يستمر الفلم ليصف المسلمين بهذه الصفات الظاهرية، ومن ثم يظهر مشهد لمجموعة مسلمة تخطط لعمل ارهابي، يلبسون الثياب البيضاء ويضعون على رؤوسهم الكوفية. كما ان زي النساء الخاص بالمنقبات عادة ما يستخدم للتكرار حيث يقوم مجموعة من الارهابيين بالتكرار

بزي النساء المنقبات كما هو الحال في مشهد من فيلم (ثلاثون دقيقة بعد منتصف الليل) والذي يتحدث عن عملية عسكرية أمنية أمريكية لقتل اسامة بن لادن في باكستان.

٢- المكان: حاولت شركات السينما بفعلها الممنهج ان ترسم صورة للفرد المسلم في المخيال الغربي عن طريق المكان بوصفه البيئة الحاضنة للفرد وانه يؤثر بشكل شعوري او غير شعوري على منظومة الفرد السلوكية والاخلاقية والمعرفية، وان المكان هو هوية الشخص، وبالتالي اظهار المكان الصحراوي حينما يذكر اسم الاسلام والمسلمين له مقاصد واضحة في التعبير عن الطبيعة القاسية من جهة ووسم الفرد المسلم بسمات البداوة والتخلف من جهة اخرى وخصوصا اظهاره دائما على انه راعي للغنم والابل في فلم الحصار للمخرج (ادورد زويك)، يتحدث كلنتون عبر الفضائيات عن عمل اراهابي حدث في السعودية ضد القوات الامريكية لذا يصرح بالقول (ان الجبناء ارتكبوا هذا العمل الاجرامي وهذا الامر يجب الا يمر دون عقاب) يظهر المشهد الذي بعده بلقطة عامة بانورامية للصحراء وهناك سيارة مرسيدس تمشي يظهر بداخلها رجل دين يلبس العمامة ويده مسبحة ويردد كلمات التسبيح وفي اصابعه بعض الخواتم، وتمر السيارة بجانب رعاة للأغنام والماعز.

ثانياً: الصفات المعنوية: بعد ان رسخت الشركات التي تعنى بنشر الكراهية ضد المسلمين عن طريق الانتاج السينمائي صفات ظاهرية للفرد المسلم والبيئة التي يقطنها بحيث اصبح هناك نمط خاص به. عمدت على اظهاره بسلوك وافعال تنم عن شخصية سيئة ومذمومة من خلال:

١- الشخصية المسلمة شخصية اراهابية عنيفة دموية: في فلم (الحصار) يظهر في احدى المشاهد ان مجموعة من المسلمين يحتطفون حافلة بركابها ومن ضمن الركاب اطفال ونساء، يطالم ضابط المسؤول عن المنطقة بإطلاق سراح النساء والاطفال، يفتح باب الحافلة وتبدأ النساء بالخروج ويظهر في لقطة قريبة وجه الضابط يبدو عليه الارتياح ولكن فجأة تفجر السيارة بركابها، فتظهر بلقطات عامة الدمار الذي يخلفه الانفجار وحالات القتل والحرق التي تحدث، اما في فلم (المملكة) لا يشير الى ان المسلمين اراهابيون فقط بل ان شعائرهم ودينهم يخلق حالة من الارهاب والخوف في المجتمع الغربي، حيث من خلال لقطة باناروموية تظهر مأذنة جامع حيث يرفع الاذان ثم تتحرك الكاميرا الى تظهر المدينة وقد اخترقها صوت الاذان وتدمج معها لقطة عن طريق الاختفاء والظهور لكتب التحقيقات الفدرالية في امريكا وهم يتحدثون عن الارهاب.

٢- الشخصية المسلمة شخصية غبية متخلفة لا تفقه شيئاً تكره التقدم: في فلم (يوم بعد غد) وفي احدى المشاهد يظهر من خلال لقطة عامة مكان يجتمع فيه العديد من المسؤولين ويظهر من خلال اللوحة الشارحة على انه (المؤتمر العالمي للمناخ في نيودلهي) ثم يظهر احد الخبراء في شؤون المناخ وهو يتحدث للحضور بالقول (لقد اكتشفنا وجود تغيرات مناخية، الكارثة التي حدثت قبل عشرة آلاف سنة، تركز هذه الغازات على الثلوج مؤشراً على ان الكوكب في مرحلة سخونة ويعيدنا الى عصر الجليد الذي استمر قرنين) عندها يظهر احد الجالسين في المؤتمر وهو من العرب المسلمين يلبس العباءة والكوفية ويضغط على (الهاتفون) في اذنه ويقول (انا لا افهم انا مضطرب، كان يتحدث عن السخونة والآن يتحدث عن الجليد).

٣- الشخصية المسلمة شخصية مسرفة بالمال والاكل والجنس: في فلم (ثلاثون دقيقة بعد منتصف الليل) حينما ينتقل الفلم من مشهد في امريكا الى الكويت يظهر بلقطة عامة مدينة الكويت ويظهر تعليق مكتوب (الكويت) يتم سماع صوت موسيقى صاخبة مع لقطة لعمارات عالية واضواء ليلية، ينتقل بعدها المخرج الى داخل احدى الصالات حيث يظهر مجموعة من الرجال الكويتيين وهم يلبسون الملابس العربية وسط النساء ويبادلنهم الشرب والحديث.

٤- الشخصية المسلمة شخصية لا يحب الا نفسه معاد للآخر وخصوصاً الغربيين: في فلم المملكة يحاول المخرج ان يظهر الغرب على انهم مسالمون ولديهم حسن نية تجاه الآخر على عكس المسلم، وفي احد المشاهد حينما يتم اقتحام اماكن الارهابيين وقتلهم تقوم احدى الامريكيات بإعطاء طفلة بعض الحلويات فيما تبادلها الطفلة بإعطائها كرات صغيرة من الحديد، وهذه اشارة واضحة الى ان الجيل القادم من المسلمين هو جيل مستمر بالقتل والارهاب، ويؤكد ذلك ما قام به المخرج عبر المونتاج في تأكيد استمرار العداء للغربيين من قبل المسلمين، ففي احدى المشاهد حينما تأثرت احدى محققات وكالة الاستخبارات الامريكية بمقتل زملائها اقترب منها مديرها وهمس في اذنها وفي مشهد اخر حينما دخلت القوات الامريكية منزل احد قيادات الجماعات الاسلامية قام الرجل الكبير قبل مقتله بالهمس في اذن حفيده وقبل نهاية الفلم كشف المخرج عن هاتين الحالتين عبر المونتاج، حينما يسأل احد الضباط مديره ماذا قلت لـ (جانيت) كي تهدئها، قال لقد قلت لها (سنقتلهم جميعاً)، وحينما ينتقل الى عائلة المقتول تسأل العمة الطفل ماذا قال لك جدك قبل ان يموت، قال لها قال لي (لا تخاف يا ولدي راح نقتلهم كلهم) لهذا تستمر الشركات السينمائية في انتاج هكذا افلام من اجل تحقيق هذا المستوى من التصعيد، كما صرح بوش الابن بعد احداث الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ حينما قال "اننا نحتاج الى خيال سينمائي لنقول ان الحرب اعلنت على الولايات المتحدة الامريكية من داخلها" (٢٣).

هذا ما حاولت السينما الغربية ان تقدمه وهو صورة نمطية عن الاسلام والمسلمين "ان العرب هم الصورة الوحيدة للتوحش والعنصرية التي ما زالت مقبولة في هوليوود" (٢٤) هذا ما كتبه محرر شؤون الشرق الاوسط لصحيفة الغارديان البريطانية برايان ويتاكر.

المؤشرات:

- ١- يعتمد الفلم على بث الكراهية والعداوة ضد الاسلام والمسلمين من خلال اعطاء مظهر خارجي للمسلم معتمداً على الازياء، المظهر الخارجي للشخصية، المكان.
- ٢- يشكل فعل الشخصية وسلوكها في الفلم مركزاً رئيساً في اعطاء طابع خاص للفرد المسلم.
- ٣- تعتمد البنية السمعية على الحوار في تأكيد الاسلاموفوبيا.

٢٣- سليمان العسكري، خواطر سينمائية عن السينما العربية، مجلة العربي، عدد ٥١١، الكويت، ٢٠٠١، ص ٥١.

24- 18. Shaheen, Jack, (2001) Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People, Interlink Publishing, USA.

٣. الفصل الثالث: اجراءات البحث

١,٣. منهج البحث

بغية تحقيق أهداف البحث والوصول إلى حل لمشكلته، فقد اعتمد الباحث في تحليل العينة الفلمية على المنهج الوصفي التحليلي، كون هذا المنهج أكثر ملاءمة لطبيعة البحث.

٢,٣. مجتمع البحث

يتمثل مجتمع البحث في الأفلام التي امتازت بتناولها موضوع الاسلاموفوبيا او ان تلك الافلام كانت مصدر لإثارة المشاعر العدائية ضد المسلمين.

٣,٣. عينة البحث

نظرا لسعة مجتمع البحث، اختار الباحث عينة قصدية احتمالية، تمثلت بفلم (سيريانا) وقد اختار الباحث هذه الفلم لعدة أسباب يمكن إجمالها بالآتي:

١. امتلاكه القدرة عن الإجابة على أكبر قدر ممكن من التساؤلات التي وردت في أهداف البحث.
٢. احتوائها على رسائل واضحة لإثارة مشاعر العداء ضد الاسلام والمسلمين.

٤,٣. أداة البحث

من أجل تحقيق أعلى قدر من الموضوعية العلمية والعملية لموضوع البحث، فإن تحليل العينة المختارة لا يمكن أن يتم إلا من خلال وضع أداة لاستخدامها في التحليل لذا خرج الباحث بالأداة التي من الممكن أن تحقق أهداف البحث فضلاً عن إمكانية تقديم الحلول المناسبة لمشكلة البحث. لذا اعتمد الباحث مؤشرات الاطار النظري.

٥,٣. وحدة التحليل

اعتمد الباحث في تحليله للعينة على استخدام المشهد الفلمي كوحدة ثابتة واضحة المعالم وذلك لتوافر العناصر الفنية المتكاملة داخل المشهد.

٤. الفصل الرابع: تحليل العينة

١,٤. العينة

فلم: (سيريانا Syriana) انتاج: ٢٠٠٥ بطولة: جورج كلوني، مات ديمون، جيفري رايت تأليف واخراج: ستيفن كاهان.

٢,٤. ملخص الفلم

يركز الفلم الذي اقتبس من رواية (روبرت باير) والذي اعتمد المسارات القصصية المتعددة على التركيز على قضية الصراع من اجل الحصول على الثروات النفطية وما يحدث من صراعات دولية بين الشركات النفطية التي تقودها الاستخبارات وتأثير ذلك على السياسات والاقتصاد العالمي. ففيما يكتشف عميل السي آي ايه (بوب بارنز) بعض الحقائق الغريبة في عمله، يبدأ خبير الطاقة (بريان وودمان) بالعمل لدى

امير خليجي، اما المسار القصصي الاخر فيدور حول محامي الشركات (بنيت هوليداي) الذي يسعى الى دمج شركتين عملاقتين امريكيتين للنقط.

٣،٤. تحليل العينة:

١- يعتمد الفلم على بث الكراهية والعداوة ضد الاسلام والمسلمين من خلال اعطاء مظهر خارجي للمسلم معتمداً على الازياء، المظهر الخارجي للشخصية، المكان.

حاولت الشركات السينمائية الغربية من خلال كم كبير من الافلام ان تخلق صورة ذهنية لدى المشاهد عن صورة المسلم وبيئته التي يعيشها، ففي هذا الفلم ومن خلال المشهد الاستهلاكي يعمد المخرج ومن خلال المونتاج ان يعطي انطباعاً عن المسلمين بانهم اناس غير منضبطين وعشيين ولا يحبون النظام، فمن خلال الزي واضح انهم مسلمون حيث يلبسون السراويل ووجوههم مغبرة ولحيهم طويلة وعلى رؤوسهم يضعون المناديل من اجل الاحتماء من اشعة الشمس الالهية، المشهد ومن خلال لقطات متنوعة غير ثابتة يصور جمعاً من الرجال المسلمين يعملون في احدى الشركات النفطية في الخليج، وحينما تأتيهم سيارة يتدافعون بقوة من اجل الصعود بالرغم من ان الاعداد قليلة ويمكن ان تكون السيارة حاوية لهم جميعاً. كما ان المخرج ومن خلال لقطات قريبة يحاول ان يصور ارجلهم فهم يلبسون احذية ممزقة وكبيرة وهو تأكيد على عدم ترتيبهم ونظافتهم وفقهم. وفي الدقيقة ٢٢ من الفلم يعطي المخرج مواصفات الامير الخليجي من خلال لبس الشيخ العباءة والعقال ويظهر ابنه معه يلبس بدلة ولكن يؤكد المخرج من خلال لقطة قريبة على ان هذا الشاب ملتحي وهي عادة ما تكون تلك الصفة مذمومة لدى الغربي التي عادة ما يصورون الارهابيين والقتلة بانهم ذوو لحى طويلة. وفي الدقيقة ٢٣ يرينا المخرج البيئة التي يعيش فيها المسلمون، ارض جرداء يتدافع فيها الشباب فيما بينهم من اجل الحصول على الماء وهي صفة التصقت بالمسلمين لانهم عادة ما يرجعون الى ارض الجزيرة العربية بالرغم من الكثير من البلدان العربية لها وافر من المياه كما هو الحال في العراق وسوريا ومصر والدول المطلة على الخليج العربي وايران وغيرها، الا ان الصورة النمطية للمسلمين ارتبطت دائماً بحياة البداوة والتصحّر. وفي الدقيقة ٤٠ من الفلم يظهر من خلال لقطة استعراضية لمجموعة من المصلين في الجامع انهم يلبسون الزي الابيض والسراويل والكوفية على الرأس وهذه الصورة عادة ما ارتبطت بشيوخ الجوامع والمدارس الدينية او الاكفان التي يلبسونها الجهاديون حين تنفيذهم بعض العمليات الاستشهادية وهي محاولة ارباك لوعي المتلقي الذي تشكل لديه صورة مشوشة بين الارهابي والاستشهادي او بين رجل الدين الذي يحاول ان يقدم النصيحة ويامر الناس بالمعروف وبين بعض الرجال الذين يطلقون على انفسهم رجال دين وهم دعاة ارهاب. بعد ذلك حينما يتدارس بعض المسؤولين الامريكان شخصية ابن الامير وهم يضعونه صورته على شاشة، يذكر احدهم ان امواله تستخدم في نشاطات مشبوهة وتحويلات لحساب عمليات ارهابية وبالتالي اعطاء صورة عن القادة الذين هم ارهابيون اساساً، وفي الدقيقة ٥٢ من الفلم يظهر عميل السي أي ايه (بوب بارنز) وهو يتنقل بالسيارة في احياء بيروت فيصف حال الاحياء التي تسيطر عليها تنظيمات اسلامية بانهم يصعدون السطوح ويتجولون في الاحياء، مع ان هناك نساء تجلس في الابواب واطفال فقراء ملابسه رثة يقفون في الشوارع والبيوت مهتمة قديمة والشوارع متربة ضيقة، يظهر

ذلك المخرج مستمراً كل وسائل التصوير والمونتاج، فقد استخدم اللقطة القريبة لامرأة مسنة جالسة امام بيت وطفلة رثة الملابس واقفة في الشارع ورجال يضعون على وجوههم النقاب وهم مسلحون ويقفون على السطوح وفي الممرات واركاب الشوارع، غير ان البيئة الموجودة والتي ظهرت بتطاير الغبار والصوت المشوش والتي اكدت على بيئة قذرة ومتخلفة يقطنها هؤلاء، وهي رسالة واضحة للمتلقي تريد ان تقول ان هؤلاء المسلحين هم نتاج هذه البيئة.

٢- يشكل فعل الشخصية وسلوكها في الفلم مرتكزاً رئيساً في اعطاء طابع خاص للفرد المسلم.

بعد الوصف العام لشخصية المسلم يأتي دور فعل الشخصية المسلمة التي تمتلك العدوانية والقسوة في التعامل من خلال المشهد الافتتاحي وعملية التدافع من اجل الصعود الى السيارة بالرغم من انهم يعملون سوية، وفي المشهد اللاحق اراد الفلم ان يسيى الى المرأة المسلمة من خلال مشهد يظهر فيه عميل السي أي ايه في احدى الدول الاسلامية وهو يتناول المشروبات الكحولية في احدى النوادي الليلية وتجلس معه مجموعة من النساء المبتذلات وبعد حوار بين العميل وبعض الموجودين من الرجال وتلك النسوة اللاتي يجلسن بين الرجال ويتناولن المشروبات معهم وصراخ الموسيقى الراقصة تقوم واحدة من تلك النسوة تلبس ملابس الحشمة بعد ان كانت بملابس فاضحة يقوم المخرج بالتركيز على ذلك من خلال لقطات قريبة وبعدها تلبس الحجاب والحذاء وتخرج من المكان الى الشارع في الليل والشارع فارغ لا وجود لاحد هناك. وفي الدقيقة ٢٥ من الفلم يحاول المخرج ان يستهزئ بالعقلية العربية المسلمة من خلال مقابلة خبير الطاقة (بريان وودمان) بممثل الامير الذي بعثه الامير نيابة عنه اذ حاول ان يشرح له المشاكل التي تتعرض لها الشركات وكيفية الحلول للحد من تلك المشاكل الا ان ممثل الامير ومن خلال لقطة قريبة لوجه المسلم عبرت عن عدم فهمه لهذا الكلام اذ بدا عليه عدم الفهم وهنا يريد المخرج ان يقول ان الفرد المسلم لا يستحق ان يدير ان شركة او مصنع لأنه لا يفهم وليس لديه القدرة على استيعاب اي مشكلة فضلاً عن حلها. وفي المشهد الذي بعده يريد ابن الامير ان يشاهد بعض المعلومات من خلال شاشة العرض امام مجموعة من الضيوف الا ان (الريمونت) لا يعمل فيقوم بضربه عدة مرات حتى يعمل. وهي افعال تدعو الى الاستهزاء كما يراها المخرج، وفي الدقيقة ٤٠ من الفلم يظهر المخرج رجل الدين في المسجد وهو يحدث الشباب عن امور دينية الا ان الشباب يأكلون بنهم دون مبالاة بما يقول الشيخ وهي دلالة على ان اغلب الشباب المسلم انما يأتون طمعا في الاكل او المال لا من اجل عقيدة وایمان وبالمقابل فان شيوخ الجوامع ليس لديهم القدرة الاقتناعية على جلب الشباب المسلم الا عن طريق الطمع او الاغراءات. وفي الدقيقة ١٠:٠٦ تقوم مجموعة من المسلحين المسلمين باختطاف عميل السي أي ايه في بيروت وتنقله الى مكان حيث يتم تعذيبه بأنواع مختلفة بحضور بعض رجال الدين المعممين، وهي اشارة واضحة على ان من يقوم بالإرهاب في العالم (القتل والاغتياي والتشريد والخطف) انما هم المسلمون وتحت اشراف قياداتهم الدينية فيقوم المخرج بصناعة مشهد من أكثر المشاهد عنفاً ودموية من اجل ترسيخ بشاعة وفضاعة وعدوانية الجماعات المسلحة ويقصد به الفرد المسلم حيث يوضع عميل السي أي ايه في احدى الغرف ويتم التحقيق معه ونزع اعترافاته بالقوة حيث تسحب اظافره بشكل بشع ثم يضرب بقوه حتى ان الدماء تسيل من كل جسده حتى يغمى عليه امام انظار الجميع، الشباب المسلحون يجلسون على مائدة ويأكلون ويشربون وهم

مستمعون وغير مبالين بالذي يحدث وحينما يسقط العميل على الارض والدماء تسيل منه وهو مقيد ويغمى عليه، بعد ان يفيق يقوم المخرج بحركة تسيىء للمسلمين من خلال استخدامه لعمق المكان، اذ يظهر في مقدمة الكادر وجه العميل والدماء على وجهه وتسيل من فمه وفي عمق الكادر (بوستر) لرجل معمم وبعض الكتابات الاسلامية.

٣- تعتمد البنية السمعية على الحوار في تأكيد الاسلاموفوبيا.

يشكل الحوار بنية اساسية في ايصال فكرة الفلم، هذا الفلم حاول من خلال الحوار ان يبعث مجموعة من الرسائل والتي فيما يبدو لا تصل عن طريق الصورة، او ان الحوار هو مستوى اخر من مستويات بث الرسائل التي يمكن ان تكون احدى الحلول التي يعتمد عليها المخرج من اجل ايصال ما يمكن ايصاله وبالخصوص ان كان الفلم يتناول موضوعاً ايدلوجياً يمزج بين السياسة والعقيدة، وحيثما يكون الحوار في مستوى من مستوياته صريحاً ومباشراً يصل الى عموم المتلقين والمشاهدين بغض النظر عن مستوياتهم ومرجعياتهم الفكرية بالرغم من انه يمتلك مستويات متعددة تمكن المخرج من ان يضمن الرسالة التي يريد ارسالها دون التصريح بذلك بشكل علني ففي الدقيقة ١٧ تذكر احدى النساء التي تعمل لحساب وكالة الاستخبارات الامريكية (ان الهند حليفتنا وروسيا حليفتنا وحتى الصين سوف تكون حليفة لنا ولكن كل من هو بين باكستان والمغرب هو المشكلة، انظمة فاشلة ونظم اقتصادية فاشلة) وواضح من خلال الحوار ان المقصود هو الامة الاسلامية التي حددتها كمكان جغرافي لتصبح المكان الذي هيأت له كل الافلام البيئة التي تحمل كل تلك الشرور والتي تهدد الغرب والحياة المعاصرة التي يريدها الفكر الجديد بحسب زعمهم. وفي الدقيقة ٣٨ من الفلم يقول احد مقدمي البرامج الغربية عن مكة (ان في مكة كل النساء ترتدي الاسود من الرأس حتى القدم وتمشي على بعد خمسة اقدم من الرجال بل ١٢٥ قدم) ففي الوقت الذي يحاول فيه المخرج ان يؤسس لصورة ذهنية عن نساء مسلمات يقوم بإعطاء صورة واضحة عن رجال الدين، ففي الدقيقة ٤٠ حيث يتحدث الشيخ لمجموعة من المصلين عن القران وان كل القضايا تحل به، يحاول ان يذم الغرب والليبرالية الغربية وسياسة الانفتاح. وفي الدقيقة ٤٨ يقول الامريكي لولي العهد منذ ٢٠ عاماً كنت صاحب اكبر واغلى صادرات في العالم اما اليوم فانت بجانب البانيا، لذا عمل عظيم، ثاني اكبر صادراتك هي البضائع المستعملة ويليها التمر، انكم منذ مائة عام كنتم تعيشون بخيام وتقتلون بعضكم بعضاً وهذا سيكون حالكم بعد مائة عام اخرى. ومن خلال هذا الحديث هو لا يذم المسلمين والعرب وينقد واقعهم المتردي فحسب بل هو يتنبأ بمستقبلهم السيئ ويستشرف حالهم لسنوات قادمة مما يعكس صور سلبية عن هذا المجتمع فضلاً عن انه يغرس حالة اليأس والروح الانهزامية لدى الفرد المسلم من خلال التأكيد على ان لا صلاح ولا مستقبل للمجتمع الاسلامي لا في الوقت الحاضر ولا في المنظور البعيد، وهذا الفلم هو جزء من كم كبير من الافلام التي استطاعت ان تكون منظومة خطاب تروج لهذا الفكر من خلال تلك المؤسسات السينمائية الممولة وان تتمكن من تحقيق الغاية التي صممت من اجلها وهذه واحدة من الاسباب التي جعلت الفرد المسلم فرداً عاجزاً سلبياً في مجتمعه باحثاً عن تحقيق طموحاته في المجتمع الغربي مما ادى الى نزوح الشباب المسلمين الى دول الغرب.

النتائج:

- ١- اعتمدت الافلام التي تدعو الى الاسلاموفوبيا بتشكيل صورة ذهنية لدى المتلقي عن الفرد المسلم من خلال مظهره العام كالأزياء والمكان والديكور.
- ٢- استثمر المخرج عناصر اللغة السينمائية (كالتصوير عبر لقطات قريبة) في تأكيد تخلف الفرد المسلم، او استخدام المونتاج من خلال خلق مقارنة بين الحياة المستقرة التي يعيشها الفرد والمجتمع الغربي وبين حياة الفرد والمجتمع الاسلامي.
- ٣- هنالك اهتمام واضح في ترسيخ فكرة العدوانية التي يحملها الفرد المسلم في اذهان الغرب عبر التأكيد على افعال الشخصيات الاسلامية والتي تمارس الارهاب وتدعو له.

الاستنتاجات:

- ١- هنالك اهتمام واضح من قبل مؤسسات وجهات لها موقف عدائي من الاسلام والمسلمين ولها سطوة على وسائل الاعلام عموماً وشركات الانتاج السينمائي خصوصاً والتي تسعى بشكل ممنهج الى تشويه صورة الاسلام والمسلمين في العالم.
- ٢- اهمية الفن السينمائي في تشكيل صورة ذهنية عن المجتمعات بغض النظر عن مصداقية المعطيات على ارض الواقع.
- ٣- اهمية العناصر السينمائية واستثمارها بشكل امثل لترجمة الافكار التي يراد بثها الى المتلقي.

التوصيات:

- يوصي البحث بضرورة البحث في (دور الارث الاستشراقي في تشكل صورة المجتمع الاسلامي عبر المنجز الفلمي العالمي).

المصادر:

- ١- أ.فوغل سكوت، السينما التدميرية، ت: امين صالح، مطبعة دار الكنوز الاهلية، بيروت، ١٩٩٥.
- ٢- ادوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة-السلطة-الانشاء، ت: كمال ابو ديب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ٢٠٠١.
- ٣- آرثر بيل: الفوبيا، ت: عبد الحكم الخزامي، الدار الأكاديمية للعلوم، القاهرة، ٢٠١١.
- ٤- ارثر نايت، قصة السينما في العالم، ت: سعد الدين توفيق، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.
- ٥- امبرتو ايكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ت: احمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥.
- ٦- باسم خفاجي، لماذا يكرهونه: الاصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الاسلام، مجلة البيان، عدد ٧٧، الرياض، ٢٠٠٦.
- ٧- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، منشورات ذوي القرى، ايران، ٢٠١٠.
- ٨- رايغوند سبوتزود، الفيلم واصوله الفنية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.
- ٩- سليمان العسكري، خواطر سينمائية عن السينما العربية، مجلة العربي، عدد ٥١، الكويت، ٢٠٠١.

- ١٠- شاكِر عبد الحميد، عصر الصورة السلبية والايجابيات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣١١، ٢٠٠٥.
- ١١- الصادق رابح، بحث منشور، تحليلات الاسلاموفوبيا في خطابات الوسائط الاعلامية الفرنسية، كلية الاتصال جامعة الشارقة، الامارات العربية المتحدة.
- ١٢- عزت عزت، صورة العرب والمسلمين في العالم، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣.
- ١٣- علي محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، ٢٠٠٤.
- ١٤- ماري-تيريز جورو، معجم المصطلحات السينمائية، ت: فائز بشور، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، ٢٠٠٧.
- ١٥- مجموعة من الباحثين، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، سلسلة كتاب المعرفة، الرياض، ٢٠٠٣.
- ١٦- محمود حيدر، استشراق مستحدث الاسلاموفوبيا بما هي اطروحة ايديولوجية ما بعد حداثة، دراسات استشراقية، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد ٣، السنة الثانية، ٢٠١٥.
- ١٧- مصطفى بن تمسك، ٢٠٠٧، مؤمنون بل حدود للدراسات والابحاث،

www.mominoun.com www

18- Shaheen, Jack, (2001) Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People, Interlink Publishing, USA.

قسم

الانكليزي

21. Kitchen, Laurence. "Drama with a Message: Arnold Wesker." In *Modern British Dramatists*, edited by John Russell Brown, 71-83. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall Inc., 1968.
22. Kops, Bernard. *Epitaph for George Dilton, and, The Kitchen by Arnold Wesker, and The Hamlet of Stepney Green*. Middlesex: Penguin Books Ltd., 1964.
23. Lacey, Stephen. *British Realist Theatre: The New Wave in its Context 1956-1965*. London: Routledge, 1995.
24. Law, Jonathan, ed. *The Methuen Drama Dictionary of the Theatre*. London, 2011.
25. Lay, Samantha. *British Social Realism: From Documentary to Brit-grit*. London: Wallflower Press, 2002.
26. Leeming, Glenda. "Daily Bread." In *The Plays of Arnold Wesker: an Assessment*. 25-42. London: Gollancz, 1971.
27. ----- . *Wesker, the Playwright*. London: Methuen, 1983.
28. Milton, Gloria J., Norman Goodman, and Marilyn Goodman, *Introduction to Sociology*. NTC Learning Works, 1996.
29. Orley, Ray. 'The Kitchen', *Educational Theatre Journal*, Vol. 24, No. 2 (May, 1972), 188-190.
30. Patterson, Michael. *Strategies of Political Theatre: Post-War British Playwrights*. Cambridge: Cambridge University Press, 2003.
31. Ribalow, Harold. *Arnold Wesker*. New York: Twayne Publishers Inc., 1965.
32. Sinclair, William Augus. *Socialism and the Individual: Notes on Joining the Labour Party*. London: Robert Hale Limited, 1995.
33. Smith, John Graves and Ian Chilvers. *A Dictionary of Modern and Contemporary Art* 2nd. ed. New York: Oxford University Press, 2009.
34. Stade, George, Karen Karbiener, and Christine Likrueger, eds. *Encyclopedia of British Writers, 19th and 20th Centuries*. New York: Book Builders LLC., 2003.
35. Sternlicht, Sanford V. *A Reader's Guide to Modern British Drama*. New York: Syracuse University Press, 2004.
36. Todd, James G. (2009). "Social Realism". *Art Terms*. Museum of Modern Art. Accessed 6 February, 2018.
37. Trussler, Simon. "British Neo-naturalism". *The Drama Review*. Vol. 13, No. 2. (1968):130-136.
38. Tynan, Kenneth. *Review of The Kitchen*, *The Observer*, July 2, 1961.
39. Walker, John A. *Glossary of Art, Architecture & Design since 1945*, 3rd. ed. G.K. Hall, 1992.

4. Cook, Lez. *British Television Drama: a History* 2nd. ed. London: Palgrave, 2015.
5. Cornish, Roger, and Violet Ketels. *Landmarks of Modern British Drama: The Plays of The Sixties*. London: Methuen, 1985.
6. Dady, Mark Hawkins, ed. *Reader's Guide to Literature in English*. London: Taylor & Francis, 1996.
7. Davies, Alastair, and Alan. Sinfield, eds. *British Culture of the Postwar: An Introduction to Literature and Society, 1945-1999*. London: Routledge, 2013.
8. Dornan, Reade W. "Debts to the Court." In *Arnold Wesker Revisited*. 20-42. New York: Twayne Publishers, 1994.
9. Dorney, Kate. *The Changing Language of Modern English Drama 1945-2005*. London: Palgrave Macmillan, 2009.
10. Drabble, Margaret, ed. *The Oxford Companion to English Literature*. New York: Oxford University Press, 1998.
11. Etherington-Wright, Christine and Ruth Doughty. *Understanding Film Theory*. London: Palgrave, 2018.
12. Fraser, Derek. *The Evolution of the British Welfare State: a History of Social Policy Since the Industrial Revolution* 5th ed. London: Palgrave, 2017.
13. Gaskin, Geraldine. et al. *Social Realism: a Source Guide for Teaching of Canadian Literature in English*. Toronto: The Writer's Development Trust, 1977.
14. Harrison, Martin. *The Language of Theatre*. New York: Routledge, 1998.
15. Hawkins-Dady, Mark, ed., *Reader's Guide to Literature in English*. London: Taylor & Francis, 1996.
16. Hayman, Ronald. *Contemporary Playwrights: Arnold Wesker* 3rd ed. London: Heinemann Educational Books Ltd., 1979.
17. John A. Walker, *Glossary of Art, Architecture & Design since 1945*, 3rd. ed. G.K. Hall, 1992.
18. Jolivet, Catherine ed. *British Art in the Nuclear Age*. London: Routledge, 2017.
19. Kalliney, Peter J. "Cities of Affluence, Domesticity, Class, and The Angry Young Men." In *Cities of Affluence and Anger: a Literary Geography of Modern Englishness*. 112-145. Charlottesville: University of Virginia Press, 2007.
20. King, Kimball. "The Modernity of The Kitchen." In *Arnold Wesker: A Casebook*, edited by Reade W. Dornan, p119-123. London: Routledge, 1998.

tendencies dominating the stage, among which Kitchen-Sink drama, was the most prominent. This theater which is also labeled as Working-class realism is a descendant of John Osborne's "Angry Young men". It is a theater of anger and protest against the political, social and economic failures of the Welfare State.

The Kitchen is a play by Arnold Wesker, which discloses the harsh reality and miserable tribulations facing the working-class in a materialistic capitalist society in post-war Britain. Consequently, and through the analysis of the play, it can be concluded that The Kitchen adopts the conventions of Kitchen-sink realism through the choice of topics, class, language and mode of narrative. The play uncovers the social, political and economic conditions of the poor and lower-working class in a realistic setting (kitchen) and it employs the raw language of everyday life.

In the light of this study, Wesker embraces the approach of social realism which can be traced in the characters, settings, dialogue and themes of the play. Wesker is committed to interpret truthfully the experiences of the working-class experiences. Wesker's play is an emphatic and perceptive record that carries a moral and social function. *The Kitchen* is a social document intended to carry a didactic message, intensify sympathy and raise an awareness of the harsh social reality of the unprivileged working-class.

Furthermore, Wesker has found his voice as a humanist, championing individual rights and human values and defending the causes of the deprived therefore, he condemns the meaningless and mechanical life of the working class. Thus, he pleads for social justice and tries to bring about a true social change in a society full of class-struggle and oppression by revolting against the dehumanizing working conditions and eliminating distinctions between classes.

The researcher hopes that his work will help other researchers to understand the underlying forces of the post-war English society. Furthermore, this paper will be significant as it will provide specific comparative literary perceptions of Wesker in the context of Kitchen-sink drama and Social realism.

Bibliography

1. Aston, Elaine and Janelle Reinelt, eds. *The Cambridge Companion to Modern British Women Playwrights*. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.
2. Brown, John Russel. *Theatre Language: A Study of Arden, Osborne, Pinter and Wesker*. London: Penguin, 1973.
3. Chambers, Colin, and Mike Prior. *Playwright's Progress: Patterns of Postwar British Drama*. London: Amber Lane Press, 1987.

Additionally, Wesker examines the social interactions and personal conflicts between the kitchen staff, and from these conflicts the social behaviors and codes of different levels of society are revealed.

Wesker views life as imperfect and flawed; he believes that society has its shortcomings. The working-class in Wesker's play is not a homogenous mass, and it is perceived how certain segments of the population are in an even less advantageous situation. The kitchen only works perfectly together when personality and differences are completely erased, as demonstrated in the synchronized crisscrossing at the end of Part One: the capitalist machine works best when the workers are not fully-formed people but cogs in a machine.

The success of the system relies on people being happy with little and being unwilling to question it, like Alfredo. Peter, who is the most full-formed personality in the play, brings his feelings into the workplace: his troubled relationship with Monique, his sympathy for the tramp, and his feelings of discontent with being merely a cog in the machine. His breakdown at the end of the play represents the excess of human feelings that can bring the kitchen to a halt, representing Wesker's belief that a humanist approach to drama and to life is the best way to achieve greater parity in English society.

The dialogue is fragmented and full of non-sequiturs and asides. Wesker has seen social realism as akin to humanism, meaning an understanding of the real concerns and prejudices of people of a certain background, and therefore it is in the conversations that the play demonstrates its realism.

Wesker is established as a socialist playwright who deprecates injustice, exploitation and oppression. He calls for a social and political awakening and for the participation of workers in the management decisions along with a persistence on a more interrelated and sympathetic society.⁽⁴³⁾

To conclude, Wesker employs social realism by exposing realistically the prevailing social, political and economic problems and the evils of society in post-war Britain. He inspects the impact of power and the clash between the labor and capital systems in addition to the tension and stress in the human and social relationships especially, the social and economic relationships of society and calls for brotherhood.

Conclusion

In the mid and late 1950s, a New Wave of British theatre emerged as a reaction to the social, political, and economical changes resulting from World-War II. This era witnessed the manifestation of various new theatrical

⁴³- Dornan, "Debts to the Court," 25.

treatment of the working class is made universal. He helped to identify the context for working-class realism and relate it to political and social problems.

The Kitchen is the most political and socialist play of Wesker's early dramas although the play may seem 'ideologically stilted' and dramatically unexciting. It is observed how the play demonstrates political connotations and delivers a socialist message. Harold Ribalow, an American writer, critic and anthologist, believes that Wesker is politically committed in his plays and has recognized how "Wesker has wrestled with politics and ideas" and that Wesker "does this in all of his plays."⁽⁴⁰⁾

Wesker's philosophical heritage and artistic credo is only a reflection of his leftwing ideology which is rooted in the sociopolitical theories of Karl Marx (1818-1883) and the aesthetic theories of the British utopian socialist, William Morris (1834-1896).

Wesker's *The Kitchen* carries a moral and social function and it is an instrument for expressing his social ideas as he gives a poignant pictorial reflecting the dreadful conditions of the working class.

Social realism in the play is attained by a combination of strong characterization, setting and plot. The single setting of *The Kitchen*, in the rigidly hierarchical environment of a restaurant kitchen, represents a microcosm of society at large. This setting of *The Kitchen*, all taking place on one set, is a characteristic of social realist drama. The different characters, men and women, English and foreign, at different places in the work hierarchy, are typical of the men and women of the post war British society.

Wesker presents a 'slice of life' and employs a "realistically detailed setting, realistic-sounding dialogue and rounded characters" as Michael Patterson in his book, *Strategies of Political Theatre: Post-War British Playwrights*, confirms.⁽⁴¹⁾ Glenda Leeming maintains that:

The kitchen is at once realistic and representative: for a director's ability to contain an action that so nearly approaches documentary realism in its details of kitchen routine with a form that verges upon the expressionistic- especially in its manner of relating the places overwhelmingly mechanistic trappings to the human responses these shape and provoke-has tended to determine the success of the play in production.⁽⁴²⁾

⁴⁰- Harold Ribalow, *Arnold Wesker* (New York: Twayne Publishers Inc., 1965), 41.

⁴¹- Patterson, *Strategies of Political Theatre*, 27.

⁴²- Glenda Leeming, *Wesker, the Playwright* (London: Methuen, 1983), 27.

the focus on the problems of the working class and the critique of middle-class verify that *The Kitchen* belongs to kitchen sink drama.

The Kitchen: a Play of Social Realism

Pointing to working-class social realism in *The Kitchen* is difficult without first defining what is meant by social realism. The new British theatre has been devoted to exposing the reality of British people and particularly the working-class. Among the theatrical forms employed by this theatre is social realism, which is used interchangeably with Kitchen-sink realism and Working-class realism.⁽³⁶⁾

Social realism is “the realistic treatment of man in society.”⁽³⁷⁾ Social realism or socio-realism is an artistic movement related to the depiction of the contemporary social, economic and political status in a realistic mode, focusing on the social and racial discrimination and the everyday struggles of the working class. It usually adopts a left-wing viewpoint advocating protest and social reform. The movement, which has been motivated by Marxist and socialist ideas, initiated in the art of painting in which the portraits painted carry a message of social and political protest.⁽³⁸⁾

In her article ‘Realism and Convention’ Marion Jordan points out to the main characteristics of social realism:

The genre of social realism demands that life should be presented in the form of a narrative of personal events... the characters should be either working-class or of the classes immediately visible to the working classes...that the locale should be urban and provincial (preferably in the industrial north) that the settings should be common place and recognizable....that the time should be ‘the present’; that the style should be such as to suggest an unmediated, unprejudiced and complete view of reality.⁽³⁹⁾

In the context of dramas of the mid-late twentieth century, social realism is most clearly seen in a commitment to social issues. In Wesker’s case, it is the situation of the working class. Wesker possess a social consciousness of the role of theatre and its impact on the audience. He is a socialist playwright whose

³⁶- Lacey, British Realist Theatre, 63.

³⁷- Geraldine Gaskin, et al. *Social Realism: a Source Guide for Teaching of Canadian Literature in English* (Toronto: The Writer’s Development Trust, 1977), 13.

³⁸- Todd, James G. ["Social Realism"](#). Art Terms. Grove Art Online 2009 (Accessed 6 February, 2018.)

³⁹- Cited in Lez Cook, *British Television Drama: a History* 2nd ed. (London: Palgrave, 2015), 37.

impoverished. Since class tension is one of the distinctive features of kitchen sink drama, thus *The Kitchen* is identified as a representative of this genre.⁽³²⁾

From the analysis of the play, it is perceived that the social pressures placed upon the workers, besides the hostile busy atmosphere surrounding the kitchen, prove to be the driving forces that control human actions. The tensions arising from working in close quarters in the kitchen suggest ways that the working environment itself conspires to prevent the working class from acting in solidarity. Wesker embraces the ideas of Marxism in that the solution is not in overthrowing capitalism but replacing it with a society based on harmony, fellowship and cooperation more willingly than competition which is essential in capitalism.⁽³³⁾

Stephen Lacey in *British Realist Theatre: The New Wave in its Context 1956-1965* states that The kitchen, in addition to being 'a metonym' for other kitchens but also is a 'metaphor for society'.⁽³⁴⁾ Thus, the problems, conflicts, and difficulties placed within the kitchen signify those confronting the whole working class in an industrial and capitalist society. *The Kitchen* is an example of the worker's perspective of the collision of Man with economy and the protest against mass manufacture and profit drives. Critic Kenneth Tyan adds that:

The play achieves something that few playwrights have attempted, it dramatizes work, the daily collision of man with economic necessity, the repetitive toil that consumes the large portion of human life which is not devoted to living.⁽³⁵⁾

Concerning the language of the play, it is crude and realistic. Wesker's aim is to use everyday language in order to shock the audience with its frankness. Additionally, different languages are spoken on stage. Hans and Peter speak German, and Hans and Raymond speak French together. There are many instances in which the speech is over layered, and the audience at certain points have to choose which thread of conversation to follow. The very fact that the play has so little plot is emblematic of its realism, since, unlike in the theatre, human stories do not neatly resolve themselves over the course of a day. This characterizes the play as a piece of Kitchen-sink drama. The realism of the play,

³²- Cornish and Ketels, *Landmarks of Modern British Drama*, xi.

³³- William Augus Sinclair, *Socialism and the Individual: Notes on Joining the Labor Party* (London: Robert Hale Limited, 1995), 50.

³⁴- Lacey, *British Realist Theatre*, 107.

³⁵- Kenneth Tyan, *Review of The Kitchen*, *The Observer*, July 2, 1961.

the living circumstances of working and lower-middle class origins and highlighting their predicaments. In the *Educational Theatre Journal*, Wesker elucidates that: "All the world's a restaurant's kitchen and all the men and women in it merely cooks, bakers, waitresses, salad girls, dishwashers, owners, and managers" (29).

Through the dialogue and the incidents of the play, Wesker tries to interpret human relations in the post-war Britain which is perceived as corrupted, frenetic, inhumane and indifferent. So the play is about the relationship of people to their work. The play illustrates the lack of communication and disharmony among the working class and their inability to express themselves. Moreover, most of the characters in the play get engaged in different arguments and conflicts; thus, creating an aggressive and negative atmosphere, which is one of the main features of Kitchen-sink drama. They fight against each other instead of cooperating, calling racist names like "bloody German bastard"(140), "disgusting cow"(111), "the lunatic"(141). The monotonous busy daily routine of the kitchen staff has made the characters impersonal, detached and shallow.

It is evident from the examination of the play, that class distinctions are manifested in the play. Historically, Britain is a class-based society. Social classes characterized the British society beginning from the feudal system of the medieval period, extending through the early modern period embodied in the model of the courtly aristocrats and then evolving in the last two centuries to form the traditional archetype of the working, middle and upper classes. Each character in society plays a role in relation to the prevailing hierarchy.⁽³⁰⁾

The hierarchy of The kitchen is with the owner on the top, than the cooks followed by the waitresses and lastly the porters are at the bottom of the hierarchy. Divisions are clear between the members of the staff, between the chefs and the waitresses and between the staff and their boss.⁽³¹⁾

All the characters in the play work with low benefits in meaningless jobs. The working-class has limited opportunities in life, with no real education. This is obvious when a tramp appears at the kitchen door and is treated with contempt by Max: "Go to hell... I work for my living" (134). Peter gives the tramp some cutlets, which provokes the Chef: "Don't think we're too busy I can't sack you. Three years is nothing you know... Don't go thinking I won't sack you." (134). This displays the lack of sympathy for the class below the working-class, and highlights the thin line between people who rely on a wage and the

²⁹- Quoted in Orley, "The Kitchen, 189.

³⁰- Gloria J. Milton, Norman Goodman and Marilyn Goodman, Introduction to Sociology (NTC Learning Works, 1996), 61.

³¹- Ronald Hayman, Contemporary Playwrights: Arnold Wesker 3rd ed. (London: Heinemann Educational Books Ltd.,1979), 16.

that has been redirected in Peter's uttered irritability and in aggression directed against his fellow-workers. ⁽²⁷⁾

Peter's aggressive behavior and hot tempered mood are caused by the burden of his failed love-affair and the pressures of work placed upon him. Peter is a victim of the political and social capitalist system in which there is no place for false hopes or dreams for a better life. He becomes conscious of the mechanical and inhuman life of the workers. Peter protests but does not succeed in giving his protests an intellectual endorsement because he is romantic and vulnerably impulsive.

Peter's charisma is a mixture of sincerity, rebellion and ambiguity, he is sketched in compliance with the British youth, experiencing disappointment, provocation and disillusionment reflecting the mood of the people. At one moment, he is violent and pessimistic, in another, he is calm and positive. In *The Kitchen*, violence, anger and negative emotions are manifested, which identify this play as a piece of Kitchen-sink drama. In consequence, Peter crystallizes the image of the 'Angry Young Man' who is dissatisfied with his life and is incapable of accommodating and harmonizing with the environment surrounding him.

Wesker gives the play an ironic finality when Mr. Marengo enters with confusion; he does not understand the dissatisfaction of his kitchen staff. Marengo responds:

I don't know what more to give a man. He works,
he eats, I give him money. This is life, isn't it? I
haven't made a mistake, have I? I live in the right
world, don't I? What is there more? What is there
more? What is there more? (142-143)

The play ends with the question "What is there more?" Perhaps it is a question about the meaning of life. Mr. Marengo believes that there is nothing more to life than work, food and wealth. Through this 'emphatic' ending, Wesker may be hinting that life contains more: doubt, hatred, panic, ambitions and dreams. Life is maybe more about human relationships, kindness and passion than it is about making money. ⁽²⁸⁾

The Kitchen is an account of the miserable life of the British working-class in the mid-twentieth century. Wesker uses effective metaphors and characterization. He draws on a realistic-setting with the intention of revealing

²⁷ - Glenda Leeming, "Daily Bread" in *The Plays of Arnold Wesker: an Assessment* (London: Gollancz, 1971), 31.

²⁸ - Laurence Kitchen, "Drama with a Message: Arnold Wesker," in *Modern British Dramatists*, ed. John Russell Brown (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall Inc., 1968), 77.

a house for her: "Monty has promised we shall soon have our own house. Peter [screaming]: Monique!" (138)

Wesker draws attention to the fact that estrangement, detachment and alienation do not characterize the workers only, but the manager also. Tensions are heightened by the arrival of Mr. Marengo, who is described as an elderly 'world-obsessed proprietor'(96). He is a materialistic dispassionate owner who exploits his workers and is indifferent to their problems. Wesker depicts him as the heartless and inhuman stereotype who represents the capitalist system. He constantly reacts impassively and in a mechanical manner. Peter dislikes Mr. Marengo and criticizes his way of life:

He is a man, he is a restaurant.... He goes to market at five thirty in the morning: returns here, reads the mail, goes up to the office and then comes down here to watch the service. Here he stands, sometimes he walks round touching the hot-plate, closing the hot-plate doors, then looking inside this thing and that thing.... Every day from morning to night. What kind of a life is that, in a kitchen! Is that a life I ask you? (109)

Peter attempts to impart a sense of enjoyment, he tries to eventually be himself and encourage others to do the same. However, the unfriendly mood of the kitchen, with its whining of the burning ovens awakens in him the loss of pride and freedom. In a moment of disappointment after feeling rejected by Monique, Peter hysterically smashes the gas tubes and crockery and destroys them completely with a chopper, trying to emphasize his dignity. In what to be considered the climax of the play, Peter rebels against the system and turns into a 'mad man', destroying everything in the kitchen. This episode is described by Ray Orley in his review of *The Kitchen*:

The microcosm [of the play] strains and bursts because Wesker tries to pack it too much tightly with incidents, tries to commandeer it a bulldozer for his own personal revolution against meaningless work, impersonality and the whole catalogue of contemporary society's ills.⁽²⁶⁾

This episode of Peter's emotional catharsis and personal failure is of great significance. It is a forceful theatrical moment in giving a deliberately 'humdrum action' a satisfying dramatic outline and a sensed climax. Additionally, in terms of representation, it is considered a physical signal counter to the environment

²⁶- Ray Orley, "The Kitchen" Educational Theatre Journal, Vol. 24, No. 2 (May, 1972), 189.

Kevin: But I'll give it back in a few seconds.

Peter[pointing]: The plate room [slams his hand down on the board for emphasis. To a waitress-] What do you want?

Kevin [surprised at this change in Peter]: Well, speak a little human like, will you, please?

Peter: No time, no time (121-122).

The economic and social systems surrounding the workers have shaped their personalities. They are subjected to too much pressure, their work is exhausting and dull which makes them lose their humanity and ethical morals and became alienated from themselves, from their work and the society they live in. Kimball King in "The Modernity of The Kitchen" suggests that what is happening is an example of how technology is man's potential enemy, subjugating him and leaving him in a state of 'dehumanizing existence'.⁽²⁵⁾ It is detected how Wesker dramatically reflects Marxist concept of alienation in The Kitchen through its theatrical images and characterization.

During the Interlude, when the work stops, the characters eat lunch in relative peace and talk about themselves. Peter urges the other workers to sit with him and dream. They discuss their dreams and what they would do if they did not have to work. The Interlude represents a brief utopian moment between the brutal paces of the two busy periods in the kitchen. Wesker, here underscores some of the humanity inside each of the workers; as if the impact of their work is responsible for their dehumanization. When there is no work, they are different people. Unexpectedly, Wesker infuses a sense of hope reflected in the dreams and ambitions. Wesker employs dreams as a means to transcend the harsh reality of workers and escape to a world of fantasy, where they can imagine, express their feelings and communicate with each other.

After that, the staff returns for the evening service which is more tranquil than the lunchtime period. Peter and Paul compare the kitchen with the contemporary world and are aware of the consequences of estrangement. Paul says: "there is a wall, a big wall between me and millions of people like him" (127).

Even love is governed by money and power in a capitalist society. Peter and Monique love each other, but their relationship is insecure. At all times Monique dismisses Peter's suggestion of having a divorce. As the play proceeds, it is obvious that she has no intent of leaving her husband because he provides her with material possessions. She remarks gladly that her husband is going to buy

²⁵- Kimball King, 'The Modernity of The Kitchen', in Arnold Wesker: A Casebook, ed. Reade W. Dornan (London: Routledge, 1998), 123.

like I hate Boche" (117). Max resents the speaking of different languages in the kitchen: "You're in England now. Speak bloody English" (108).

The atmosphere is full of chaos and tension when the staff shouts at each other and give orders as the speed of work increases in preparation for the lunchtime meal. The workers move in a distracted and chaotic manner, devoid of any emotions, as the tempers of the workers explode.

The workers feel themselves under pressure and cut off from the rest of society. They work but they are dissatisfied with their lives. They have nothing to do but work and only work. Work for them is more significant than their lives. They are unemotional, cold and reserved in their attitudes. Besides they are made to be lifeless and 'caricatured'. Even when the new cook, Kevin, arrives the kitchen staff is not excited or moved by his arrival: Paul [shouting]: "Is the new cook here? Alfredo, [shrugging his shoulders]: He didn't ask for me" (104). Their behavior is characterized by disagreement and a lack of communication with each other. Kevin cries: "No one cares, that's what gets me, no one cares" (131). When the staff hears of Winnie's miscarriage, they don't stop their work. Even when Hans, a young German, who works at the frying station, has an accident in the steam room and his face is burned, the staff seems indifferent and apathetic, even if they try to show some sympathy.

A waitress [calling after them]: Put some of the yellow stuff on him.

Frank: He'll live. [To the crowd] All right, it's all over, come on. (113-114)

Even Mr. Marengo, the seventy-five year old owner of the restaurant shows his detachment. He only comments: "He's burnt his face. It's not serious, [to Chef] but it might have been" (114).

All this behavior shows the hostility and degradation of the kitchen staff and their boss. They act selfishly, hating to help each other. A very awful incident occurs with Kevin in the kitchen. He asks about some dishes from Chef and Chef impolitely responds saying: "I don't know anything about it, it was my day off yesterday. See the second Chef" (110). Once more throughout the 'heavy rush' during lunch time Kevin wants a cutting board but Peter grabs the cutting board from Kevin. Kevin's explosion is a sign of opposition and hostility:

Kevin: Let me borrow your cutting board then, please.[He moves to take it from Peter's bench.]

Peter [he stops his work and jumping on Kevin grabs board] In the kitchen it is each man for himself now]: Oh no, no, no, no, my friend... This is mine, I have need of it.

Monique refuses to leave her husband for Peter's sake. This is the leading story of the play around which the other actions revolve.

Ann: Hey Raymond, tell me, what happened to Peter in the end, you know, last night?

Raymond: Now he's a silly boy, eh? Don't you think so? I don't even know what it was all about anyway, you know, Paul?

Paul: All I know is he had a fight with Gaston.

Why? I don't know. Over a ladle I think, or maybe a

Max: He's a bloody German...he is always quarrelling always. There's no one he hasn't quarreled with, am I right? No one!

Anne: Ah, the boy is in love. (99-100)

Then Peter arrives late; he is a key figure based on Wesker himself. He is a hot tempered Jewish worker, always nervous and in conflict with the other staff. He is portrayed in the stage directions as, "boisterous, aggressive...living on his nerves"(95). He tries to reconcile with Gaston, who is still angry.

Peter: Hey Gaston, I'm sorry-your black eye, I'm sorry about it.

Gaston...You sorry because half a dozen Cypriot boys make you feel sorry-but we not finished yet! (107)

Peter and Monique always quarrel creating a violent and distressing atmosphere. Peter feels jealous and does not want Monique to speak to any customers. But eventually she agrees to ask her husband, Monty, for a divorce.

Peter: [following her like the pathetic, jealous lover]. And remember you're hostess today, I can see you in the glass. No flirting, do you hear?

[Grips her arm.] No flirting.

Monique: I shall talk to who I like. [Moves off]

Peter: [hoping no one can hear him]. Cow!

Disgusting cow! (111)

The staff members work continuously for long hours without stopping, they do not have time to know each other. They do not even reply to each other's greetings. They create a disharmonious atmosphere, when referring to each other's nationalities. Peter: "Hey Irishman, I thought you didn't like this place. Why don't you go home and sleep?"(124) Violet: "You Boche you. You bloody German bastard!"(140) Nicholas, a young Cypriot, declares "I don't hate no one

kitchen staff is pictured during the course of preparing lunch. The atmosphere is busy as waitresses shout orders and encircling around the kitchen.

Wesker gives instructive notes concerning the layout and action of the setting. He points out that the kitchen stations, or units: poultry, fried fish, grill, roasts and puddings are set up. He also indicates that "at no time is food ever used. To cook and serve food is of course just not practical"⁽²⁴⁾. The actors use mime techniques without real food, though the ovens, chopping boards, plates and knives are actual. So all the work, preparing and serving the food is mimed. Besides, Wesker recounts details about the main characters' backgrounds and the meals prepared.

Wesker also describes the light and sound in the kitchen. Like the human characters, the kitchen is both realistic and symbolic. The noise drowns out the speech of the people, but also exemplifies how work dominates and controls the actions of the working man. Wesker writes in the opening stage directions that "The kitchen's hum builds to a small roar-a battle with dialogue to the end"(99). This provides the context within which thirty workers struggle to regain their sense of identity as human beings.

At the beginning of the play, there are no curtains and the stage is dark. But it comes lighter while Magi, the night porter, lights five ovens creating a hum sound and a roar with a falling a rising rhythm. This sound continues all through the play giving it a sense of beauty.

The members of the kitchen staff enter, greet each other and take their positions in the kitchen. The workers follow a firm routine and each is given a particular job and appointed to a precise part of the menu. The main protagonist is Peter, a twenty-three-year old German pastry-cook. Other cooks are Paul, a Jew, and Raymond, an Italian. Both are pastry cooks who usually work together. There is also, Dimitri, a Cypriot kitchen porter, Max, a fifty-year old butcher, Kevin a new Irish cook and Alfredo, a sixty-five year old veteran chef.

Waitresses go into the dining room which is situated at the back, with trays of glasses and heaps of plates. The workers discuss various issues, but the main topic is the fight occurring the preceding evening between two cooks: Peter and Gaston, a Cypriot. The workers give different versions of the fight with racial undertones. Anne, a waitress serving coffee and desserts, reminds them that Peter is encountering an emotional dilemma because of his wild love affair with a married waitress, Monique. It is known that Monique has been twice pregnant by Peter, but she has had two miscarriages and is now pregnant. Yet,

²⁴- Bernard Kops, *Epitaph for George Dilton*, and, *the Kitchen* by Arnold Wesker, and *The Hamlet of Stepney Green* (Middlesex: Penguin Books Ltd., 1964), 94. Any references to the text will be taken from this edition and will be cited in the text parenthetically by page number.

playwrights of the genre advocate liberalism and social equality and express social anger and dissatisfaction with the British class structure and postwar reforms of the Welfare state, which failed to fulfill the needs of the British society. (19)

Arnold Wesker's *The Kitchen*: a Kitchen-Sink Drama

Arnold Wesker (1932-2016) is an English playwright and one of the central figures of the post-war New Wave of British working-class writers referred to as the 'Angry Young men' though he has discarded the label. He was later identified as a leading figure in the social protest theatre in the late 1950s called Kitchen-sink drama. Reade W. Dornan in *Arnold Wesker Revisited* asserts that Wesker is "one of Britain's Angry Young Men" who is captivated by "human beings and their familial relationships- their hopes, desires, failures."⁽²⁰⁾

Wesker is the author of about forty-four plays, four volumes of short stories, two collections of essays, a book for young people, an autobiography and other writings. He has written for the Royal Court theatre and has gained popularity for his three plays that came to be known as the Wesker Trilogy: *Chicken Soup with Barley* (1958), *Roots* (1959), and *I'm Talking about Jerusalem* (1960).⁽²¹⁾

Wesker was born into a poor East End Immigrant Jewish family and before writing plays; he has worked in many jobs like carpenter, plumber, porter, bookshop assistant, farm laborer, and a pastry cook. This gave him firsthand knowledge of the working-class conditions and he has employed them in most of his plays.⁽²²⁾

The Kitchen is the first play by Wesker. It is an autobiographical play in two parts and an interlude. It has been inspired by Wesker's job as a pastry cook in a Norwich hotel. It was performed, in a shortened one-act version, without sets, at the Royal Court Theatre in London in 1959, but it was then produced in its revised full-length version at the Royal Court in 1961.⁽²³⁾

The setting is a busy restaurant kitchen in London, called the Tivoli, over the phase of one day. The kitchen staff consists of thirty characters from different nationalities, mostly cooks, pastry chefs, dishwashers, and waitresses. The

¹⁹- Sanford V. Sternlicht, *A reader's Guide to Modern British Drama* (New York: Syracuse University Press, 2004), 12.

²⁰- Reade W. Dornan, "Debts to the Court," in *Arnold Wesker Revisited* (New York: Twayne Publishers, 1994), 14.

²¹- George Stade, Karen Karbiener and Christine Likrueger eds., *Encyclopedia of British Writers, 19th and 20th Centuries* (New York: Book Builders LLC., 2003), 397.

²²- Michael Patterson, *Strategies of Political Theatre: Post-War British Playwrights* (Cambridge: Cambridge University Press, 2003), 28.

²³- Margaret Drabble, ed., *The Oxford Companion to English Literature* (New York: Oxford University Press, 1998), 1049.

Consequently, the plays of Kitchen-sink drama are completely different from the previous ones; they depart from the middle-class, provincial setting and the 'bourgeois living-room' or the 'country- house drawing-room.' Instead, the action is located in the poor industrial parts in the North of England and set in contemporary realistic settings which include bedsits, terraces, wooden tables, chairs, gas stoves and kitchen sinks, etc. These settings earn these plays, the title of "Kitchen-sink drama." Hence, these plays depict aspects of domestic life, unlike the classical Victorian dramas which have dealt with the public life of the wealthy and ruling-class. ⁽¹⁵⁾

The typical characters of Kitchen-sink drama are ordinary everyday people, usually young poor middle or working class characters, with low social background living in the industrial parts of England or in provincial towns in gloomy houses, or attic apartments. They usually face depressing conditions and limited employment opportunities. The hero is commonly an 'Angry young man' who expresses negative emotions like anger, discontent and resentment towards the ruling class and its regulations. ⁽¹⁶⁾

Another notable characteristic is that as the writers of Kitchen-sink are demonstrating working-class in a realistic manner, their plays can be considered naturalistic and sustaining autobiographical elements. Simon Trussler in "British-Neo Naturalism" acclaims that writers of the 'New Wave' have selected the style of naturalism mostly because it has permitted them to deliver their social commentary and is compatible with the semi-autobiographical language in which the new writers are likely to weave in their problems. ⁽¹⁷⁾

In this respect, the exploration of innovative topics in the plays of the British New Wave initiated a change in the language of these plays to include "fresh idioms, new patterns of stage dialogue, and new theatrical forms. ⁽¹⁸⁾" Moreover, it is noteworthy to mention that since the plays of the British New Wave deal with the poor working-class, thus they are mostly characterized by the use of regional accents and simple vulgar and crude language, the same language spoken by real people especially when Lord Chamberlain's authority to censor drama was abolished.

Finally, Kitchen sink drama has social connotations and advocates a leftist political ideology, linked to the theories of Marxism and to British socialism. The

¹⁵- Martin Harrison, *The Language of Theatre* (New York: Routledge, 1998), 136.

¹⁶- Peter J. Kalliney, "Cities of Affluence, Domesticity, Class, and The Angry Young Men," in *Cities of Affluence and Anger: a Literary Geography of Modern Englishness* (Charlottesville: University of Virginia Press, 2007), 120.

¹⁷- Simon Trussler, "British Neo-Naturalism," *The Drama Review*. Vol. 13, No. 2, (1968), 130.

¹⁸- Roger Cornish, and Violet Ketels, *Landmarks of Modern British Drama: The Plays of The Sixties* (London: Methuen, 1985), xi.

as the 'Renaissance of the British drama' and is also affiliated with the Elizabethan period, thus, labeled as the 'New Elizabethan Age'.⁽¹⁰⁾

This drama shares common distinctive features which distinguish it from the earlier drama. Most of the playwrights of Kitchen-sink drama are from the lower-middle and working classes. Among these playwrights are John Osborne (1929-1994), Arnold Wesker, and the novelists Kingsley Amis (1922-1995), John Braine (1922-1986), John Wain (1925-1994), Alan Sillitoe (1928-2010) and David Storey (1933-2017). These writers usually manifest negative emotions such as anger, distress, protest, and rebellion against the post-war reforms, the class barriers and the harsh conditions of the British society.⁽¹¹⁾ Thus, they were labeled as "Angry Young Men"⁽¹²⁾.

It is worth mentioning that these plays are branded by newness of content and themes. Class distinction and the working-class have not been dealt with seriously before the late fifties. Working-class has become a major issue in the post-war period along with other taboo themes like sex, abortion, homosexuality and other topics. This 'low-life' drama has pursued new contemporary themes such as social inequality, materialism, labor, breakup marriages, homelessness, poverty, class conflict, and limited education opportunities, along with the exploration of man's alienation from other human beings. It has also ridiculed leading political and social figures, wherefore, adopting new dramatic techniques and attitudes.⁽¹³⁾

Until the 1950s, English drama portrayed the lives of the clergy, the ruling and the middle-classes in the verse dramas, the Victorian dramas, the well-made plays and the Avant-garde theatre that dominated the British stage from the 1930s to the 1950s. The main playwrights of the time were Noël Coward (1899-1973), T. S. Eliot (1888-1965), J. B. Priestley (1894-1984), Terence Rattigan (1911-1977), and Christopher Fry (1907-2005). The drama of this period entertained a limited audience from the upper-middle-class and the elite and not the poor common man nor the working-class.⁽¹⁴⁾

¹⁰- John Russel Brown, *Theatre Language: A Study of Arden, Osborne, Pinter and Wesker* (London: Penguin, 1973), 5-7.

¹¹- Stephen Lacey, *British Realist Theatre: The New Wave in its Context 1956-1965* (London: Routledge, 1995), 25.

¹²- The term 'Angry Young Men' is taken from the title of Leslie Allen Paul's autobiography, *Angry Young Man* in 1951. The Angry Young Men are a *group of educated middle and working-class English writers*, who held a new radical attitude towards life and class distinctions. Mark Hawkins-Dady ed., *Reader's Guide to Literature in English* (London: Taylor & Francis, 1996), 271.

¹³- Christine Etherington-Wright and Ruth Doughty, *Understanding Film Theory*, (London: Palgrave, 2018), 128.

¹⁴- Kate Dorney, *The Changing Language of Modern English Drama 1945-2005* (London: Palgrave Macmillan, 2009), 110.

society and left many people, especially the young generation, restless and bewildered. The impact of the post war dilemma has disillusioned their existing morals and beliefs, losing any hope of reformation within the governmental institutions. Under these circumstances, the social and political outlook of theatre was changing according to the sociopolitical status of the period. It is within this historical context that a number of literary movements have emerged.⁽⁵⁾

After World War II, there was a revival of the English theatre; a New Wave of British theatre arose as a reaction to the social, political, and economical changes resulting from the war. This era witnessed the rise of one of the important theatrical movements called Kitchen-sink drama, also known as Kitchen sink realism.

Kitchen-sink realism refers to an artistic and cultural movement in art, novel, theatre and television, and which appeared in Britain in the late 1950s. It employs social realism to describe the lives of the lower working-class in domestic settings and domestic labor not necessarily kitchen-related activities. This genre made its greatest impact in the cinema.⁽⁶⁾

The term 'Kitchen-sink' originated from a painting by John Bratby ⁽⁷⁾ which contains an image of a kitchen sink. Then the critic David Sylvester wrote an article in 1954 entitled "The Kitchen Sink" about a new tendency of British artists known for painting scenes of working-class in a realistic style. The term was then applied to the 'New Wave' of British plays which have been mostly adapted into films and presented on television. John Osborne's *Look Back in Anger* (1956), which has been considered a 'turning point' in the history of British theatre, was the first in this genre.⁽⁸⁾

Chambers and Prior have called these plays 'working-class drama'. Such plays are 'anti-bourgeois' with new style and content and give a realistic presentation of the life of the working-class.⁽⁹⁾ This drama has been described

⁵- Elaine Aston and Janelle Reinelt, eds., *The Cambridge Companion to Modern British Women Playwrights* (Cambridge: Cambridge University Press, 2000), 38.

⁶- John Graves-Smith and Ian Chilvers, *A Dictionary of Modern and Contemporary Art* 2nd ed. (New York: Oxford University Press, 2009), s.v. "Kitchen sink realism," 370.

⁷- John Bratby is a British painter and writer and a member of the Kitchen sink School of the 1950s. He is best known for his paintings of domestic life in the 1950s. Catherine Jolivet ed., *British Art in the Nuclear Age* (London: Routledge, 2017), 9.

⁸- John A. Walker, *Glossary of Art, Architecture & Design since 1945*, 3rd. ed. (G.K. Hall, 1992), s.v. "Kitchen sink realism," 374.

⁹- Colin Chambers and Mike Prior, *Playwright's Progress: Patterns of Postwar British Drama* (London: Amber Lane Press, 1987), 40.

Abstract

Arnold Wesker (1932-2016) is a prolific English playwright who belongs to the New Wave of British theatre that emerged as a reaction to the social, political, and economical changes in the wake of World War II. Wesker is also a representative of Kitchen-Sink drama, a new type of drama that deals with the lower working-class characters in working-class settings. This genre, which surfaced in the late 1950s and early 1960s, was introduced into the British theatre with John Osborne's *Look Back in Anger* (1956). Wesker presents realistic characters who express anger, disdain and frustration towards the failure of the social and political systems and institutions in post-World War II Britain. This study tackles the realistic representation of the working-class society in the British theatre in the aftermath of World-War II. It also attempts to identify the features of Kitchen-Sink drama in the context of Arnold Wesker's *The Kitchen*.

Keywords: Kitchen-sink drama, Social-realism, working-class, Arnold Wesker, *The Kitchen*.

Introduction: A Historical and Cultural Background of Kitchen-Sink Drama and Its Main Characteristics

The post-World War II (1939-1945) era for Britain was devastating; British cities and towns were destroyed. There was instability, austerity and cultural decay. The Welfare State⁽³⁾ promised the British society financial security, prosperity and improvements in employment, healthcare, housing and free secondary education. But its reforms failed to meet the aspirations of the British society.⁽⁴⁾

The post-war generation was influenced by many political events, such as the Nationalization of the Suez Canal in Egypt, the Hungarian Uprising of 1956 against Russia and, most considerably, the collapse of the British Empire after the decline of its colonial and imperial powers. Likewise, in Britain, there was a protest against the use of nuclear weapons, referred to as

'The Campaign for Nuclear Disarmament'. All these political events, in addition to the economic disintegration have contributed to radical changes in

³- The term refers to a system in which the government is responsible for the welfare of its citizens by providing free social services, such as health care, child care, pre-schooling, education, employment and housing, and it is based on equal opportunities and distribution of wealth. The Welfare State in Britain initiated in the 1940s. Derek Fraser, *The Evolution of the British Welfare State: a History of Social Policy Since the Industrial Revolution* 5th. ed. (London: Palgrave, 2017), 1.

⁴- Alastair Davies and Alan Sinfield, eds., *British Culture of the Postwar: An Introduction to Literature and Society, 1945-1999* (London: Routledge, 2013), 54.

**مسرحية ارنولد وسكرز (المطبخ): مسرحية بالوعة المطبخ عند الواقعية
الاجتماعية للطبقة العاملة**

*Arnold Wesker's The Kitchen: a Kitchen-Sink Drama of
Working-Class Social-Realism*

م.م زينة ضياء محمد حسن المنشي^(١)

Asst. Lec. Zena Dhia Al-Munshi

Asst. Lec. Azhar Mohammed

م.م ازهر محمد^(٢)

الملخص

ارنولد وسكرز (١٩٣٢-٢٠١٦) هو مسرحي انكليزي غزير الإنتاج وينتمي لموجة المسرح البريطاني الجديد في الخمسينات من القرن العشرين و الذي برز كردة فعل للتغيرات الاقتصادية، السياسية و الاجتماعية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية. و يعد هذا المسرحي ممثلاً "لدراما بالوعة المطبخ" و هو نوع جديد من الدراما ظهر في أواخر الخمسينات و بداية الستينات و يتعامل مع شخصيات الطبقات العاملة في محيط عملهم. ظهر هذا النوع الأدبي في مسرحية جون اوزبورن "انظر الى الوراء غاضباً" (١٩٥٦). قدم وسكر شخصيات من الواقع و التي تعبر عن الغضب، الازدراء و الإحباط تجاه الفشل الذي اصاب المؤسسات و الأنظمة السياسية و الاجتماعية في بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية. تستهدف هذه الدراسة التمثيل الواقعي لمجتمع الطبقة العاملة في المسرح البريطاني نتيجة الحرب العالمية الثانية. و تحاول هذه الدراسة ايضا تحديد مميزات "دراما بالوعة المطبخ" في سياق مسرحية ارنولد وسكرز "المطبخ".

الكلمات المفتاحية: دراما بالوعة المطبخ، الواقعية الاجتماعية، الطبقة العاملة، ارنولد وسكرز، "المطبخ".

١ - جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية.

٢ - جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية.

everything but the teacher, the generation builder and the civilization creator. If we want the good for Iraq and to be part of the developed countries, and if we want the happiness for our people, we need first to begin paying heed to the teachers, and we need to value and appreciate them in line with the poet Ahmed Shawqi:

Stand up in respect for the teacher The teacher is almost a messenger

Editorial's word

Iraqi Teacher's Day

The teacher is a starting point for the course of the human civilization. By the teacher Japan flourished, and by the teacher Singapore also made great strides in progress to be one of the developed countries after being a marshland.

Asked about the secret behind Japan's advancement, the emperor, one day, said: we have started where the others ended; we have learned from their mistakes; we have given the immunity of the diplomat to the teacher as well as the minister's salary. As a result, the teacher has become Number Two Man in Japan after the emperor.

In Singapore, a leader named Lee Kwan Yew appeared who highly appreciated the teacher. He said with modesty, "I have not made the miracle in Singapore, I have done my duty to my country, I have allocated the state resources to education, I have upgraded the teacher status from the lower ranks of society to their proper place; They have created the miracle which the population are experiencing now; any official who likes his country and cares for his people with do as I did." It has only a few days till the teacher's yearly income exceeded 50 thousand dollars besides the other material and moral privileges.

In this way, wherever progress is made across the world, for example in Finland, Germany, Australia, you will find that the leading factor is the teacher. On the contrary, when you look for the reasons of the countries' decadence and backwardness, it will be due to the weak level of education, poor level of teachers along with their own vulnerable social status. The failed teacher will build a decadent generation. The failed countries will create a backward society given that they neglect education and pay no attention to the teacher who lives under the poverty line, targeted by the haters in such underdeveloped countries.

In Iraq, today about 370 thousand teachers are leading the hardest living conditions while they are performing their duties at miserable places unworthy of their educational career and the state's potentials. The state took care of

Islamophobia Representation in American Cinema 627

Assist. Lect. Mohammad Abdul-Hameed Dhaidan

Assist. Prof. Hussein Ali Abed-Al-Rassool
Safa A. Akram Al-Ghanimi

Constructing the optimal investment portfolio under the single index model for Sharp “Analytical study in the Amman Stock Exchange”.....426

Haider N. Hussein Al-Mayali
Prof. Abbass K. Al-Daami

The use of the Panel model to measuring the productivity of seasonal public spending in Iraq for the period (2005-2017).....456

Zainab Jabbar A.Al-Hussein Al-Daami
Assist. Prof. Mohammed Hussein Kadhimi Al-Juborui

The Use of Autoregressive Distributed Lag in the Measurement and Analysis of the Relation between the overall Expenditure and Investment in Iraq for the Period 1994-2017.....471

Prof. Amir Umran Kadhimi
Hussein Ali Abbass

The Impact of Knowledge Management Strategies in Achieving the organizational Adaptation (An Analytical study of the views of a Sample of Personnel in zain Al-Iraq for the Mobile Telecommunication company in Babil and Karbala Provinces).....490

Assist. Lect. Abeer M. Mahdi Al-Shimari

The Manifestations of self and other in Paolo Coelho’s novel “Alchemy”..510

Assist. Lect. Zaid wifaq Shakir

Conservation overcrowding and its applications in state judgments.....526

Dr. Dargham Karim Al - Musawi
The Zhraa of Ibrahim Khan

Role of the Assembly of States Parties to the International Criminal Court540

Lect. Yassir Amir Al-Mukhtar

Effect of financial inclusion on capital adequacy indicators (Iraq case study for the period 2010 -2016) 564

Assist. Prof. Kamal K. Jawad Al-Shimari
Riam F. Shakir Al-Fatlawi

The substantive and procedural provisions of the penal laws specified period - Comparative analytical study-.....588

Dr. Adi Jaber Hadi
Ali Hamza Jaber

The Legal and Constitutional Guarantees of Human Rights 608

Zainab A. Hassoon Bilal

A Clean Environment is a Human Right.....	167
Assist. Lect. Firas Abdul-Ameer Essa	
Assist. Lect. Saib M. Nadhim	
The Modern Legislative Trends in the Re-trial :A comparative study.....	182
Assist. Lect. Karrar Riyadh Said	
Assist. Lect. Maitham Ghanim Al-Jubouri	
Personal status provisions for conjoined Siamese twins (An inductive legal study in the light of Islamic jurisprudence	204
Dr. Atheer Abdel-Gawad Hussein	
Dr. Hasanin Maki Jodi	
Prof. Haider Hussain Al-Shamri	
Conflict of Execution in Successive Sales	226
Prof. Wasan Q. Ghani Al-Khafaji	
The Platonic Sufism: Union or Sublimation	242
Lect. Hussein Hadi	
Islam position from the advertising in the philosophy of tourism	256
Assist. Lect. Haqi Ismaeel Ghafil	
The deal In the political direction of US President Donald Trump Towards the Gulf States	272
Lect. Muayed Jabbar Hassan	
The Performance Assessment of Iraqi Islmic Banks Using PATROL Model	298
Zeena Dh. Abed Ali	
Assist. Prof. Ahmed K. Brais	
The Effect of the Awareness of the Organizational Picture on the Functional Integration (An Analytical study of the Views of a sample of Personnel of sports and Youth Directorate-Karbala)	325
Prof. Mithaq Hatif Al-Fatlawi	
Mohammad K. Ghanim Al-Kinani	
Experiences of Islamic banks integration in selected counties (comparative analysis)	356
Prof. Talib H. Faris	
Ban Abbas Mahdi	
Performance evaluation of Babil Cement Factory for the period2017-2016	380
M. Dr. Sultan Jassim Al Nasrawi	
Afrah Ali Hamid Al Mamouri	
Psychological contract violation and its effect on customer's cynicism: An analytical study of the views of a sample of subscribers' Asia Cell Telecommunications Company	401

Contents

Arnold Wesker's The Kitchen: a Kitchen-Sink Drama of Working-Class Social-Realism..... 6

Asst. Lec. Zena Dhia Al-Munshi

Asst. Lec. Azhar Mohammed

Contents of Arabic Researches

Procedural means for the use of the right to civil action (analytical legal study) 10

Assist. Prof. Ali Shamran Alshammary

The Evidential Authenticity of the Expected Mahdi between Reason and Hadith 36
Lect. Hussein Abdul-Ameer Yusuf

The Controversy of Explanation and Interpretation 69
Lect. Azzam F. Shahab Al-Rubaie

The Integrity of the Judiciary by Imam Ali (PbUH): An Example of Criminal Jurisprudence..... 76
Lect. Zahra Mahdi Gati'
Hiba M. Ali

The death of a Party in Thepersonal contracts consideration (Comparative Study)..... 101
Assist. Prof. Ali Shaker Abdl Gader Al Badri

The Legal Slaughtering and its Modern Methods in Islamic Jurisprudence122
Lect. Enas K. Raji Ibrahim Al-Kinani
Assist. Prof. Khodair J. Haloob Al-Shimari

The Core Capabilities and Their Role in Building the Learning organization (An Analytical Study of the Views of College Board members in Thi Qar University) 145
Prof. Mithaq Hatif Al-Fatlawi
Assist. Lect. Isshaq Nassir Hussein

In The Name Of Allah Most Gracious, Most Merciful

ISSN 1819-2033

issue: 30

Ahlulbait

Refereed Journal (Quarterly)
Issued By Ahlulbait University

Chief Editor

Prof. Dr. Hamid Abed Jawad Al Najdy

Editorial Secretary

Dr. Baqer Jawad Al-Zajajy

Editors

Prof. Dr. Majed Hamze Al Khozaey

Prof. Dr. Hassan Hantoosh Al Hasnawy

Prof. Dr. Sadiq Abd-Al-Mottalib Al-Moosawi

Prof. Dr. Saleh Mahdi Al Shekarchy

Prof. Dr. Adel Khalil Al Zubaidy

Prof. Dr. Aziz Jabor Shaial

Prof. Dr. Hafodh Ibrahim Mahmood

Prof. Dr. Hassan Saeid Al Asadi

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486

info@abu.edu.iq, www.abu.edu.iq
